مركز البحوث الإسلامية
إستانبول

تتمة الكشاف

(حاشية الجاربردي على الكشاف)

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
(ت ٧٤٦هـ/١٣٤٦م)

تحقيق
أ.د. ضياء الدين القالش
محمد عماد النابلسي

إشراف
أ.د. محمد طه بويالق

المجلد الثالث

نشريات وقف الديانة التركي

بسم الله الرحمن الرحيم

تتمة الكشاف

حاشية الجاربردي على الكشاف

مركز البحوث الإسلامية
إستانبول
سِلْسِلَةُ عيُونِ التُّرَاثِ الإسْلَامِيِّ

تتمة الكشاف

(حاشية الجاربردي على الكشاف)

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
(ت. ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م)

تحقيق
أ.م. ضياء الدين القالش
محمد عماد النابلسي

إشراف
أ.م. محمد طه بويالق

المجلد الثالث

نشريات وقف الديانة التركي

نشريات وقف الديانة التركي
رقم النشر ١٤٣٦
نشريات إسام ٣٦٧
سلسلة عيون التراث الإسلامي ٦٢

تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف)

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي

المجلد الثالث

تحقيق أ.م. ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي

تم إعداد تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف)
بإشراف اللجنة العلمية للتحقيق
بمركز البحوث الإسلامية (İSAM) التابع لوقف الديانة التركي.
İcadiye- Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
الهاتف: +90 216 474 08 50 www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

التحرير: أوقان قدير يلماز
المراجعة العلمية: محمد طه بوبالق، عبد الرحمن رضوان خرش
التدقيق النهائي لقسم الدراسة: سعيد قاباجي (العربي)، مصطفى دميرآي (التركي)
التصحيح (العربي): عبد الناصر حكيمي (الإملاء والفهارس والمصادر)، نور الحيلة (الإملاء)،
علي حيدر أولوصوي (الإملاء والفهارس)، آزاد سارسانتبايوف (الإملاء)،
(التركي): عيسى قايا ألب (الإملاء)، إسماعيل أرزلكين (المصادر)
التصميم: علي حيدر أولوصوي، إبراهيم درويش مؤذن (تطبيق)،
حسن حسين جان (غلاف)، ومزي حاج مصطفى (خط الغلاف)

تم إعداد هذا الكتاب
من قبل مركز البحوث الإسلامية (إسام / İSAM)
في إطار مشروع العصور المتأخرة من الحضارة الإسلامية.

تم طبع هذا الكتاب بقرار مجلس إدارة إسام
بتاريخ ٢٧ / ١٢ / ٢٠٢٤ ورقم ١١ / ٢٠٢٤.

الطبعة الأولى: إستانبول، ديسمبر ٢٠٢٤م / ١٤٤٦هـ
ISBN 978-625-428-633-9 (مجموعة)
978-625-428-636-0 (المجلد الثالث)

الطباعة والنشر والتوزيع
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No: 11 Yeni Mahalle / Ankara
الهاتف: 9131 354 312 90+ الفاكس: 9132 354 312 90+ bilgi@tdv.com.tr

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف) / فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي؛ تحقيق: ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي. إستانبول؛ أنقرة: مركز البحوث الإسلامية (إسام)؛ وقف الديانة التركي، ٢٠٢٤.
المجلد الثالث (٧٢٠ صفحة)؛ ٢٤ سم. — (نشريات وقف الديانة التركي؛ ١٤٣٦. نشريات إسام؛ ٣٦٧. سلسلة عيون التراث الإسلامي؛ ٦٢)
يحتوي على الفهارس والمصادر
ISBN 978-625-428-633-9 (مجموعة) 978-625-428-636-0 (المجلد الثالث)

فهرس المحتويات

سورة آل عمران

مدنية، وهي مئتا آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ①﴾

"ميم" حقُّها أن يوقَفَ عليها كما وُقِفَ على "ألفْ" و"لامْ"، وأَنْ يُبْدَأ ما بعدها؛

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين

قوله: (**"ميم" حقُّها أن يُوقَفَ**)... إلخ، اختلف العلماء في أسماء الحروف مِن نحو ألف لام ميم قاف، وغير ذلك مِن الأسماء قبل التركيب: فذهب الأكثرون إلى أنّها مبنيّة لِفِقدان[1] مقتضي الإعراب، وبُنِيَ على السكون واغتُفِر التقاء الساكنين فيها فرقًا بين ما بُني[2] لعدم مقتضي الإعراب وبين ما بُني للمانع مِن الإعراب وإذا لقيَ ساكنًا آخرَ حُرِّكَ، فحركةُ ميم ﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ﴾ عندهم لمُلاقاة الساكن الثالث، وإنّما حُرِّكَ بالفتح لبقاء تفخيم لفظة ﴿ٱللَّهُ﴾. وذهب بعضهم إلى أنّها معرَبة، وأنّ سكونها سكونُ وقف، وحركة "الميم" عندهم منقولة مِن "الهمزة".[3]

إذا عرفتَ هذا فنقول: اعلم أنّ المصنِّف[4] بنى الكلام على أنّ[5] السكونَ في "ألف" وفي "لام" في أوّل هذه السورة وفي غيره سكون وقف، فقال: "حقُّ الميم

---

١ ن – لفقدان.

٢ ر – بني.

٣ انظر: معاني القرآن للأخفش، ١/١٩-٢٣؛ ومعاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ١/٦٤-٦٥.

٤ ن ر + رحمه الله.

٥ ن ر – أنّ.

....

أن يُوقَف عليها وأن يُبدأ ما بعدها فيُقرأ بإسكان "الميم" وفتح "الهمزة" مِن ﴿ٱللَّهُ﴾، ونَسَب هذه القراءة إلى عاصم.

ثمّ ذكر أنّ القراءة المشهورة -وهي بفتح الميم- لنقل حركة همزة ﴿ٱللَّهُ﴾؛ لأنّ الحال لمّا كان حالَ وقفٍ كانت "الهمزة" ثابتة غير مُسقَطة في الدَّرْج، فأُلقيت حركتها على "الميم" وحُذفت "الهمزة". وشبَّهه بـ"واحدِ اثنان" بتحريك "الدال" بالكسر لنَقْل حركة "الهمزة" إليها.[١] وذَكَر أنّ حركة "الميم" لا يجوز أن تكون لالتقاء الساكنين؛ لأنّ الحال حال وقفٍ والتقاء الساكنين فيه جائز،[٢] وإلّا لَوَجب تحريك "الميم" مِن "لام" وتحريكُ "الميم" مِن "ميم"، في مثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة ٢/١-٢] ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم ٣٠/١-٢]، إلى غير ذلك، ولَمَا توقَّف على ملاقاة ساكنٍ آخرَ كما في هذه الصورة[٣] على زعمكم.

ثمّ أشار إلى سؤال وهو أن يقال: نحن نُسلِّم أنّ التقاء الساكنين في الوقف جائزٌ، لكن عَرَض هنا أمر آخرُ وهو الساكن الثالث فلذلك حُرِّك، فيكون التحريك لملاقاة سكون "الميم" وسكون لام التعريف. فأجاب بأنّه لو كان التحريك لمُلاقاة الساكن الثالث وامتناع التلفُّظ[٤] لَوَجب ألّا يُحرِّكوا "الدال" في "واحدِ اثنان"؛ لأنّه كان يمكنهم التلفُّظ بـ"واحد اثنان" ساكنةَ "الدال" مع سقوط "الهمزة" بالتقاء الساكنين للوقف، كما وقفوا على "أُصَيْمّ"[٥] و"مُدَيْقّ"[٦] بالتقاء الساكنين بعد حرف اللين، ولمّا لم يُسكِّنوا "الدال"؛[٧] بل[٨] حرَّكوا، دلّ على أنّ الحركة منقولة.

---

١ ن - إليها.

٢ ر: واجب.

٣ في هامش د: أي: ﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ﴾.

٤ ن: التلطف.

٥ تصغير أصمّ.

٦ تصغير مُدُقّ، وهو: ما يُدقُّ به. انظر: الصحاح للجوهري، «دقق».

٧ ن: المال.

٨ ن ر - بل.

....

ثمّ أشار إلى سؤال آخرَ وهو أنّه لو كان الحركة هي المنقولة مِن "الهمزة"، فما وجهُ قراءة مَن قرأ بكسر "الميم"؟[١] فأجاب بأنّها على توهُّم أنّ الحركة فيه لالتقاء الساكنين.

هذا تقرير كلام المصنِّف، وفيه / نظرٌ؛ لأنّ قوله: (**كان يمكنهم أن يقولوا: "واحدْ اثنان" بسكون "الدال" وحذف "الهمزة"**) وتشبيه ذلك بـ(**"أُصَيْمّ" و"مُدَيْقّ"**) غير صحيح؛ لأنّه لو كان وُقف في "واحدْ اثنان" كما يزعمه لَكان على "الدال" لا على "الثاء"، فكيف كان يجوز التقاء الساكنين؟ وتشبيهُهُ غيرُ صحيح؛ لأنّ التقاء ثلاث سواكن جائزٌ فيما إذا كان الأوّل لِينًا والباقيان[٢] مدغمين كما بيَّنه علماء التصريف في تصانيفهم.[٣] وأيضًا لو كان الحال حالَ وقفٍ كما ذَكَره لَكان همزة ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ بها، فلا يجوز تخفيفه بالنقل والحذف. وكذا نقول في "واحد اثنان" لو كان فيه وقفٌ لَكان "اثنان" مبتدأ به، فوجب أن تثبت همزته ولا تُخفَّف بنقل الحركة والحذف؛ لأنّ شرط تخفيف الهمزة أن[٤] لا يكون مبتدأ بها. [٢٤٦ظ]

فالصواب أن نقول: تحريك "الميم" في ﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ﴾ إنّما كان لأنّه لمّا وُصل التقى ساكنان فحرِّك "الميم" بالفتح ولم يحرَّك بالكسر إبقاء على تفخيم لفظة[٥] ﴿ٱللَّهُ﴾.

وقد صرَّح المصنِّف[٦] بأنّ حركة الميم في ﴿الٓمٓ ٱللَّهُ﴾ لالتقاء الساكنين في مواضع، منها قوله في التقاء الساكنين: متى التقى ساكنان في الدَّرْج على غير حدِّهما، وكان الأوّل غير مدّة، فالوجه تحريك الأوّل، نحو ﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ﴾.[٧] فقد صرَّح هنا بأنّ تحريك "الميم" لسكونه وسكون "اللام".

---

١ قراءة شاذّة، مروية عن عمرو بن عُبيد والحسن. **المغني في القراءات** للنُّوْزاوازي، ص ٥٦٥.

٢ ر: والباقين.

٣ انظر: **شرح الرضيّ على الشافية**، ٢/٢١٢.

٤ ن – يثبت همزته ولا تخفَّف بنقل الحركة والحذف لأنّ شرط تخفيف الهمزة أن.

٥ ن ر: لفظ.

٦ ر + رحمه الله.

٧ انظر: **المفصَّل** للزمخشري، ص ٤٩٣.

....

وقال ابن الحاجب[١] في شرحه: ساق المصنِّف ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ﴾ هنا في أنّ حركته لالتقاء الساكنين، وساقه في تفسيره على أنّها[٢] حركةُ "الهمزة" نُقلت إلى "الميم". فهو ههنا في غير هذا الموضع مِن هذا الكتاب مصرِّح بأنّ سكون "الميم" وأشباهِها سكونُ بناء، ولذلك لمّا لاقى ساكنًا آخرَ حَكَم بأنّ[٣] الحركة لالتقاء الساكنين، ولو كان السكون سكونَ وقفٍ لم يستتِبّ[٤] له هذا الحكم.[٥] ثمّ أشار ابن الحاجب إلى أنّ مَن جعل السكون سكون وقفٍ أجرى الوصل في ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ﴾ مجرى الوقف، فتكون "الميم" باقية على نيّة السكون و"الهمزة" باقية[٦] على نيّة الثبات مبتدأً، بها وإذا أجرى الوصل مجرى الوقف جاز أن يُعطى أيضًا أحكام الوصل لفظًا.[٧] ثمّ قال: وفي ذلك تعسُّف؛ لأنّ الأسماء إذا جُرِّدت عن التركيب وجب بناؤها، فيكون السكون في هذه المواضع سكون بناء. وأيضًا فيما ذكروه حَمْل ما اجتمع عليه القرّاء على الوجه الضعيف، لأنّ إجراء الوصل مجرى الوقف ليس بالقويّ في اللغة.[٨]

وأشار الشارح[٩] بقوله: "اجتمع القرّاء" إلى أنّ القراءة بسكون "الميم" وإثبات "الهمزة" نقلًا عن عاصم لم يثبت في السبعة،[١٠] وقال أبو عليّ الفارسيّ في الحجّة:

> قرأوا كلّهم ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ﴾ مفتوحة "الميم" و"الألف" ساقطة إلّا ما نُقل عن يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم أنّه قرأ ﴿الٓمٓ﴾ ثمّ قطع وابتدأ ﴿ٱللَّهُ﴾.

---

١ ن + رحمه الله.

٢ ن: أنّ.

٣ ن ر – سكون الميم وأشباهها سكون بناء ولذلك لما لاقى ساكنًا آخر حكم بأنّ.

٤ ن: يتسبب. | استتبّ الأمر: تهيّأ واستقام. **الصحاح** للجوهري، «تبب».

٥ انظر: **الإيضاح في شرح المفصّل** لابن الحاجب، ٣٥٧/٢-٣٥٨.

٦ ر: فيه.

٧ انظر: **الإيضاح في شرح المفصّل** لابن الحاجب، ٣٥٨/٢.

٨ انظر: **الإيضاح في شرح المفصّل** لابن الحاجب، ٣٥٨/٢.

٩ يعني ابن الحاجب.

١٠ انظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ٢٠٠.

كما تقول: «واحدْ اثنانْ»، وهي قراءةُ عاصم.

ثمّ شكّ[١] فيها وقال: آخرُ ما حفظت ﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ﴾ مثل حمزة. ثمّ قال: والمعروف حفص عن عاصم: ﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ﴾ مفتوحةَ "الميم" غيرَ مهموزة "الألف".[٢]

ثمّ قال أبو عليّ في **الحجّة**:

اتّفاق الجميع على إسقاط "الألف"[٣] الموصولة في اسم الله، وذلك لأنّ "الميم" ساكنة كما أنّ سائر حروف التهجّي[٤] مبنيّة على الوقف، فلمّا التقت "الميم" الساكنة ولام التعريف حُرِّكت "الميم" بالفتح للساكن الثالث الذي هو لام التعريف، والدليل على أنّ التحريك للثالث الساكن،[٥] وهو مذهب سيبويه، أنّ حروف التهجّي[٦] يجتمع فيه ساكنان،[٧] نحو ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم ١/١٩] ﴿حمٓ ۞ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى ٤٢/١-٢]؛ لأنّها مبنيّة على الوقف[٨] كأسماء الأعداد، فحُرِّكت "الميم" للساكن الثالث بالفتح، كما في ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٦١/٢] ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس ٧٢/١٠] ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام ١٤٤/٦]. وأمّا ما رُوي عن عاصم / مِن قَطْعه "الألف" فكأنّه قدّر الوقف على "الميم" [٢٤٧و]
واستأنف ﴿ٱللَّهُ﴾ فقطع "الهمزة" للابتداء بها. والوجهُ ما عليه الجماعة وما وافقهم هو عليه[٩] أيضًا مِن أنّ "الهمزة" تسقط في الوصل، فإذا سقطت لم يجُز أن تُلقى لها حركة على ما قبلها.[١٠]

قوله: **(كما تقول: واحدْ اثنان)، أي: في الأعداد[١١] عند التعداد.**

قوله: **(وهي قراءة عاصم) شاذّة.[١٢]**

---

١ ر: وشكّ.
٢ انظر: **الحجّة للفارسي**، ٣/٥-٦، ٨. وأكثر كلامه في **السبعة** لابن مجاهد، ص ٢٠٠.
٣ ن ر - ثمّ قال أبو علي في الحجّة اتفاق الجميع على إسقاط الألف.
٤ ر: الهجاء.
٥ ر - الثالث الذي هو لام التعريف والدليل على أنّ التحريك للثالث الساكن.
٦ ر: الهجاء.
٧ ر: ساكنين.
٨ ن: المختار.
٩ ر - عليه.
١٠ انظر: **الحجّة للفارسي**، ٣/٨-٩.
١١ ن ر - أي في الأعداد.
١٢ قرأ بها أبو جعفر. وقصد المصنّف ههنا أنّها ليست من السبعة، وروايتها عن عاصم من غير الطريقين المشهورين، فهي مروية عن حمّاد عن عاصم، وعن يحيى عن أبي بكر عن عاصم. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٤٢٥؛ **السبعة** لابن مجاهد، ص ٢٠٠؛ **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٣٨.

وأمّا فتحُهَا فهي حركة الهمزة أُلقِيَتْ عليها حين أُسقطَتْ للتخفيف.

فإن قلتَ: كيف جاز إلقاءُ حركتها عليها وهي همزةُ وصلٍ لا تَثْبُتُ في دَرْج الكلام، فلا تَثْبُت حركتها؛ لأنَّ ثباتَ حركتها كثباتها؟

قلتُ: هذا ليس بدرجٍ؛ لأن "ميم" في حكم الوقف والسكون، والهمزةُ في حكم الثابت، وإنَّما حُذِفت تخفيفًا وأُلقِيَت حركتُها على الساكن قبلها ليدلَّ عليها، ونظيرُه قولهم: «واحدِ اثنان» بإلقاء حركة الهمزة على الدَّال.

فإن قلتَ: هلَّا زعمتَ أنَّها حركةٌ لالتقاء الساكنَين.

قلتُ: لأنَّ التقاءَ الساكنين لا يُبَالَى به في باب الوقف، وذلك قولُك: هذا إبراهيمْ وداودْ وإسحاقْ، ولو كان الْتقاءُ الساكنَين في حال الوقف يُوجِبُ التحريكَ لحُرِّكَ الميمان في "ألف لامْ ميمْ" لالتقاء الساكنين، ولَمَا انتُظِرَ ساكنٌ آخر.

فإن قلتَ: إنَّما لم يُحرِّكوا لالتقاء الساكنين في "ميم" لأنهم أرادوا الوقفَ، وأمكنَهم النطقُ بساكنين، فإذا جاء ساكن ثالثٌ لم يُمكنْ إلَّا التحريكُ فحرَّكوا.

قوله: (**وأمّا فتحها**)، أي: فتح الميم.

قوله: (**حركة الهمزة**)،[١] أي: همزة ﴿ٱللَّهُ﴾.

قوله: (**حركتِها**)، أي: حركة الهمزة.

قوله: (**عليها**)،[٢] أي: على الميم.

قوله: (**في ألف لام ميم**) مِن مثل قولهم: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة ٢/١-٢]، ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم ٣٠/١-٢]، ﴿الٓمٓ ۞ تَنزِيلُ﴾ [السجدة ٣٢/١-٢]، ﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف ٧/١].

قوله: (**ولَما انتُظر ساكن آخرُ**) كما في هذه الصورة.

قوله: (**في ميم**)، أي: مِن قولهم: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة ٢/١-٢]، وشبهه.

---

١ ن ر - حركة الهمزة.

٢ ن + قوله: حركتها عليها، أي: حركة الهمزة على الميم؛ ر + أي: على ﴿الٓمٓ﴾.

قلتُ: الدليل على أنَّ الحركة ليست لملاقاةِ الساكن: أنَّه كان يُمكنهم أن يقولوا: «واحدْ اثنانْ» بسكون الدال مع طرحِ الهمزة، فيجمعوا بين ساكنَين؛ كما قالوا: «أُصَيْمٌّ ومُدَيْقٌّ»، فلمَّا حرّكوا الدال عُلِم أنَّ حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير، وليست لالتقاءِ الساكنَين.

فإن قلتَ: فما وجهُ قراءة عمرِو بنِ عبَيْدٍ رحمه الله بالكسر؟

قلت: هذه القراءةُ على توهُّم التحريك لالتقاءِ الساكنين، وما هي بمقبولة.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾

قوله: **(لملاقاة الساكن)** اللام للعهد، أي: الساكن الثالث.

قوله: **("واحدْ اثنان" بسكون "الدال")** فيه نظر؛ لأنّ الوقف إنّما هو على "الدال" لا على ثاء "اثنين"، فكيف يجوز التقاء الساكنين هنا. وتشبيهه بـ"أُصَيْمّ" و"مُدَيْقّ"، تصغير "أصمّ" و"مُدُق، غير صحيح؛ لأنّ التقاء السواكن جاز فيهما على ما قيل، لاجتماع أمرين وهما الوقف والإدغام مع تقدّم اللين في كلمة،[١] بخلاف "واحد اثنان".

قوله: **(فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر؟)**[٢] ذكر الأخفش أنّ "الميم" لو كُسرت لالتقاء الساكنين جاز،[٣] وهو قراءة عمرو بن عبيد. وهذا غلط عند الزجّاج وغيرِه؛ لأنّ قبل "الميم" ياءً مكسورًا ما قبلها فحقُّها الفتح لثِقل الكسرات.[٤] هذا كلام الزجّاج وغيره. وأقول: فيه فسادٌ مِن وجه آخرَ،[٥] وهو تَرْك تفخيم لفظة ﴿ٱللَّهُ﴾.

---

١ وهو حدّ التقاء الساكنين كما مضى.

٢ قراءة شاذّة، مروية عن عمرو بن عُبيد والحسن. **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٥٦٥.

٣ انظر: **معاني القرآن** للأخفش، ٢٢/١. وكلامه على آية آل عمران في تفسير الآية الأولى مِن سورة البقرة.

٤ انظر: **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٣٧٣/١.

٥ ن – لثقل الكسرات هذا كلام الزجّاج وغيره وأقول فيه فساد مِن وجه آخر.

و"التوراة والإنجيل": اسمان أعجميّان، وتكلُّفُ اشتقاقِهما من الوَرْي والنَّجْلِ، ووزنُهما بتَفْعَلَةَ وإفْعِيلٍ، إنَّما يصحُّ بعد كونهما عربيَّين.

وقرأ الحسن: "الأَنْجِيلُ" بفتح الهمزة، وهو دليلٌ على العجمة؛ لأن أَفْعِيل بفتح الهمزة عديمٌ في أوزان العرب.

فإن قلتَ: لمَ قيل: ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [البقرة ١٧٦/٢] ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾؟

قلتُ: لأن القرآن نَزَل مُنجَّمًا ونَزَل الكتابان جملةً.

وقرأ الأعمش: "نَزَل عليك الكتابُ" بالتخفيف ورفع "الكتابُ".

﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾

قوله: **(وتكلُّف اشتقاقهما)** تكلَّف اشتقاقَهما أهل اللغة، فقال الكوفيون منهم: يصلح أن يكون "تَوْرِيَة" "تَفْعَلَة" مِن "وَرَى الزَّندُ يَري"، مِن حدّ "ضرب" والكسر في الماضي لغة،[١] إذا خرجت ناره.[٢] قُلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، سُمّيت بذلك لأنها سبب للهداية،[٣] كما قال[٤] تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة ٤٤/٥]. وقال البصريون: أصلها "وَوْراة" على "فَوْعَلة"، وهي كثيرة في كلام العرب كـ"الحَوْصَلة"، و"الدَّوْخَلة" وهي: سقيفة تعمل مِن خُوص، قُلبت الواو الأولى تاء كـ"تَولَج" مِن "وَلَج".[٥]

والإنجيل "إفعيل" مِن النَّجْل وهو: الأصل. قاله جميع أهل اللغة.[٦] سُمّي به

---

١ يعني فيه لغتان: وَرَى ووَرِي. انظر: **الصحاح** للجوهري، «وري».

٢ ن: تارة.

٣ ن ر: الهداية.

٤ ن + الله.

٥ لأنّ أصله "وَوْلَج". وانظر الكلام على اشتقاق لفظ التوراة على المذهبين في **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٣٧٤/١-٣٧٥؛ **وسر صناعة الإعراب** لابن جنّي، ١٤٦/١؛ **وشرح الرضي على الشافية**، ٨١/٣-٨٢.

٦ هذا كلام الزجّاج في **معاني القرآن وإعرابه**، ٣٧٥/١. وفيه أقوال أخرى. انظر: **جمهرة اللغة** لابن دريد، ٤٩٢/١ «نجل»؛ **والبسيط** للواحدي، ٢٨/٥ (آل عمران، ٣/٣)؛ **والمُعرَّب** للجواليقي، ص ١٢٣.

﴿هُدَى لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: لقوم موسى وعيسى عليهما السلام، ومَن قال: نحن متعبَّدون بشرائعِ مَن قَبْلَنا، فسَّره على العموم.

فإن قلتَ: ما المراد بـ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾؟

قلت: جنسُ الكتب السماوية؛ لأن كلَّها فرقان يفرِّق بين الحقِّ والباطل، أو الكتبُ التي ذكرها؛ كأنَّه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة: وأنزل ما يَفرِّقُ به بين الحقِّ والباطل من كتبه أو من هذه الكتب، أو أراد الكتابَ الرابعَ وهو الزبورُ؛ كما قال: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء ١٦٣/٤] وهو ظاهرٌ، أو كرَّر ذكر القرآن بما هو نعتٌ له ومدحٌ من كونِه فارقًا بين الحقِّ والباطلِ بعدما ذكَره باسم الجنس؛ تعظيمًا لشأنه وإظهارًا لِفضله.

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ من كتبه المنزَّلة وغيرها.

لأنَّه أصل العلم والحِكَم. ويدلُّ على أنَّهما عربيّان دخول "اللام" عليهما. وردّ المصنِّف قول أهل اللغة بأنَّ قراءة الحسن[١] تدلُّ على أنَّهما أعجميّان.

قوله: **(مُتَعبَّدون)** تعبَّد الله الخلق، أي: استعبدهم. والتعبُّد أيضًا: التنسُّك، وهو المراد ههنا. ويجوز أن يكون المراد المعنى الأوّل. ويقرأ "مُتَعبَّدون" بفتح "الباء"، أي: مأمورون بالعمل بها.

قوله: **(كأنّه قال)**... إلخ، على التفسيرين المذكورَين[٢] للفرقان.

قوله: **(مِن كتبه)**، أي: جنس الكتب والضمير لله تعالى.

قوله: **(أو مِن هذه الكتب)**، أي: التي ذَكَرها.

قوله: **(أو كرّر ذِكر القرآن)** وهذا الوجه في غاية الحسن؛ **لأنّ للقرآن**[٣] تنزيلًا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٤] مِن السماء الدنيا في ثلاث وعشرين سنة، وكذا للقرآن[٥] إنزالًا مِن اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا بمرّة واحدة

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحَسَن. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٢٥.

٢ ر: الأولين.

٣ ر: القرآن.

٤ د: عليه السلام.

٥ ن ر - وكذا للقرآن.

﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: له انتقامٌ شديدٌ لا يقدِر على مِثله منتقِمٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ في العالَم، فَعَبَّر عنه بالسماء والأرض، فهو مطَّلعٌ على كفرِ مَن كَفَر وإيمانِ مَن آمَنَ، وهو مجازِيهم عليه.

﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ مِن الصُّوَر المختلفة المتفاوتة، وقرأ طاوسٌ: "تَصَوَّرَكُم"؛

في ليلة القدر مِن شهر رمضان، فذَكَر تعالى تنزيله على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[١] ثمّ ذكر إنزال باقي الكتب على الأنبياء، وذَكَر بعد ذلك إنزاله القرآن، فيئول المعنى إلى أنّ لكلّ كتاب إنزالًا ولهذا / القرآن إنزالًا وتنزيلًا، لشدّة الاعتناء بشأنه، ولرَفْع شأن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[٢] وقُدّم ذِكر تنزيله؛ لأنّ التنزيل على النبيّ عليه السلام[٣] وهو المقصود بالقصد الأوّل، والإنزال لأجل التنزيل. والله أعلم. [٢٤٧ظ]

قوله: (**انتقامٌ شديد**) يدلُّ عليه تنكير ﴿ٱنتِقَامٍ﴾.

قوله: (**فعبَّر عنه**)، أي: عن العالَم.

قوله: (**بالسماء والأرض**) لاشتمالهما على جميع ما سواهما على مذهب المتكلِّمين.

قوله:[٤] (**فهو مُطَّلع**) عطف على قوله: (﴿لَا يَخْفَىٰ﴾).

قوله: (**عليه**)، أي: على كلّ واحد مِن الكفر والإيمان.

قوله: (**وقرأ طاوس**)... إلخ، يريد أنّ قراءة طاوس[٥] بمعنى الاتّخاذ، نحو "توسَّد الترابَ".

---

[١] د - صلّى الله عليه وسلّم.

[٢] د: عليه السلام.

[٣] ن ر - وقدّم ذكر تنزيله لأنّ التنزيل على النبيّ عليه السلام.

[٤] ن ر - بالسماء والأرض لاشتمالهما على جميع ما سواهما على مذهب المتكلِّمين. قوله.

[٥] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحَسَن. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٢٥-٢٦.

أي: صوَّركم لنفسه ولتعبُّدِهِ؛ كقولك: أَثَلْتُ مالًا، إذا جعَلْته أَثْلَةً؛ أي: أصلًا، وتأثَّلْتُهُ: إذا أَثَلْتَهُ لنفسك.

وعن سعيد بن جُبَيرٍ: هذا حِجَاجٌ على مَن زعَم أنَّ عيسى عليه السلام كان ربًّا؛ كأنَّه نبَّه بكونه مصوَّرًا في الرَّحِم على أنَّه عَبْدٌ كغيره، وكان يخفَى عليه ما لا يخفَى على الله.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾

﴿مُّحۡكَمَٰتٌ﴾: أُحْكِمَتْ عباراتُها بأن حُفِظَتْ منَ الاحتمال والاشتباه.

﴿مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾: مشتَبِهاتٌ محتمِلاتٌ.

﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ أي: أصلُ الكتاب، تُحمَل المتشابهاتُ عليها وتُرَدُّ إليها، ومثالُ ذلك: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام ١٠٣/٦] ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة ٢٣/٧٥] ﴿لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ [الأعراف ٢٨/٧] ﴿أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ [الإسراء ١٦/١٧].

قوله: **(هذا حِجاجٌ)**، أي: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ﴾ [آل عمران ٦/٣].

قوله: **(كان ربًّا)** اسمه ضمير **(عيسى)**.

قوله: **(وكان يخفى)** اسم "كان" إمَّا ضمير "عيسى" وإمَّا ضمير الشأن، أي: الشأنُ يخفى[1] على عيسى **(ما لا يخفى على الله)**.[2]

قوله: **(ومثالُ ذلك)**، أي: المتشابهات والمحكَمات، يريد أنَّ ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام ١٠٣/٦] مُحكَم تُردّ إليه ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة ٢٣/٧٥]. ونحن نقول الأمر بالعكس.[3]

---

[1] ر – اسم كان إمّا ضمير عيسى وإمّا ضمير الشأن، أي: الشأن يخفى.

[2] ن + تعالى.

[3] انظر: **الإرشاد** للجويني، ص ١٦٦.

فإن قلتَ: فهلّا كان القرآنُ كلُّه محكَمًا؟

قلتُ: لو كان كلُّه محكَمًا لتعلَّق النّاسُ به لسهولة مأخذِه؛ ولأعرضوا عمَّا يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمُّل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطَّلوا الطريقَ الذي لا يُتوصل إلى معرفة الله وتوحيدِه إلّا به، ولِمَا في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثّابت على الحقِّ والمتزلزِلِ فيه، ولِمَا في تقادُحِ العلماء وإتعابِهم القرائحَ في استخراج معانيهِ وردِّه إلى المحكَم من الفوائد الجليلةِ والعلوم الجَمَّةِ ونَيلِ الدرجات عند الله، ولأنّ المؤمنَ المعتقِدَ أنْ لا مناقَضةَ في كلام الله تعالى ولا اختلافَ إذا رأى فيه ما يتناقضُ في ظاهره، وأهمَّه

قوله: **(مِن النظر)** بيان **(عمّا)** كأنّه قال: **لأعرضوا** عن النظر الذي يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمُّل.

قوله: **(ولو فعلوا ذلك)**، أي: الإعراض.

قوله: **(لعطّلوا الطريق)** بناء على مذهبه، وهو أنّ معرفة الله[١] لا تحصل إلّا بالنظر.[٢]

قوله: **(ولِما في المتشابه)** عطف على قوله: **(لو كان كلّه مُحكَمًا)** وتقدير الكلام: ما كان كلّه مُحكَمًا، لأنّه لو كان كلّه مُحكَمًا...[٣] إلخ، ولِما في المتشابه.[٤]

قوله: **(الثابت)**، أي: الذي ثبت. وقوله: **(فيه)**، أي: في الحقّ.

قوله: **(معانيه)**، أي: معاني المتشابه. وقوله:[٥] **(وردِّه)**، أي: ردّ المتشابه.

قوله: **(مِن الفوائد)** بيان **(ما)**.

قوله: **(إذا رأى فيه)**... إلخ، "إذا" مع جوابه وهو قوله: **(ازداد)** خبر لـ**(أنّ)**. وضمير **(فيه)** **للقرآن**. وضميرُ **(في ظاهره)** لـ**(ما يتناقص)**. وضميرُ **(أهمّه)**[٦] للمؤمن.

---

[١] ن + تعالى.

[٢] انظر: **الإرشاد** للجويني، ص ٨-٩.

[٣] ر - وتقدير الكلام ما كان كله محكمًا لأنّه لو كان كله محكمًا.

[٤] يعني: إلى آخره.

[٥] ر - فيه أي في الحقّ قوله معانيه أي معاني المتشابه وقوله.

[٦] ر - أهمّه.

طلبُ ما يوفِّق بينه ويُجريهِ على سَنَنٍ واحدٍ، ففكَّر وراجَعَ نفسه وغيرَه، ففتح الله عليه وتبيَّن مطابقةَ المتشابهِ المحكَمَ، ازداد طمأنينةً إلى معتقده وقوَّةً في إيقانه.

﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾: هم أهل البدع.

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾: فيتعلَّقون بالمتشابه الذي يَحتمِلُ ما يَذهب إليه المبتدعُ ممَّا لا يُطابِق المحكَمَ، ويَحتمِلُ ما يطابقُه مِن قولِ أهلِ الحقِّ.

﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾: طلَبَ أن يَفتِنوا الناسَ عن دينهم ويُضلُّوهم.

﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾: وطلَبَ أن يُؤوِّلُوه التأويلَ الذي يَشتهونه.

﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾؛ أي: لا يهتدِي إلى تأويلِه الحقِّ الذي يجب أن يُحمَل عليه إلا الله وعبادُه الذين رسَخوا في العلم؛ أي: ثَبَتوا فيه وتمكَّنوا وعَضُّوا فيه بِضِرْسٍ قاطعٍ.

ومنهم مَن يقفُ على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ويبتدئ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ ويفسِّرون المتشابهَ بما استأثَر الله بعلمه وبمعرفة الحكمةِ فيه من آياته؛ كعدد الزبانيةِ ونحوِه.

والأولُ هو الوجه، و﴿يَقُولُونَ﴾ كلامٌ مستأنَفٌ موضِحٌ لحال الراسخين، بمعنى: هؤلاء العالمون بالتأويل ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: بالمتشابهِ ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾؛ أي: كلُّ واحدٍ منه ومن المحكَم من عندِه أو: بالكتاب كلٌّ من متشابهه ومحكَمِه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقَضُ كلامه ولا يختلِفُ كتابه.

و"أهمَّني الأمر": إذا أقلقك وأحزنك.[١] وضمير **(بينه)** لـ"ما يتناقض". و**(يُجريه)** عطف على **(يوفِّق)**، أي: طلب ما يجريه. وقوله: **(ففكَّر)** عطف على "رأى" أو على "أهمّه". وقوله: "ازداد" جواب لقوله: "إذا رأى".

قوله: **(ممَّا لا يطابق)** بيان **(ما)**.[٢]

قوله: **(كعدد الزبانية)** قال تعالى: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر ٣٠/٧٤].

---

[١] ن ر - وأهمَّني الأمر إذا أقلقك وأحزنك.

[٢] ر - أهمَّه وقوله ازداد جواب لقوله إذا رأى قوله مما لا يطابق بيان ما.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ مدحٌ للراسخين بإلقاءِ الذِّهن وحُسْنِ التأمُّل.

ويجوز أن يكون ﴿يَقُولُونَ﴾ حالًا من الراسخين.

وقرأ عبد الله: "إنْ تأويلُه إلّا عندَ الله"، وقرأ أُبيّ: "ويقولُ الراسخون".

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ٨﴾

﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾: لا تَبلُنا ببلايا تُزيغُ فيها قلوبنا ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ وأرشدْتَنا لِدينك.

أو: لا تَمنعْنا ألطافَك بعد إذ لَطَفْتَ بنا.

﴿مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾: من عندك نعمةً بالتوفيق والمعونة.

وقرئ: "لا تَزِغْ قلوبُنا" بالتاء والياء ورفعِ القلوب.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ٩﴾

قوله: (وقرأ أُبيّ)... إلخ، أي: قرأ أُبيّ:[١] "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ آمَنَّا بِهِ".[٢] وهذه القراءة وقراءة عبد الله[٣] تدلّان على المعنى الثاني. قوله: (لا تَبلُنا[٤] ببلايا تَزيغ) وذلك أنّ القلوب تقلق وتضطرب عند البلايا ولا تطمئن فتَزيغ عن الحقّ. عافانا مِن ذلك بفضله ورحمته، ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به.

قوله: (أو لا تمنعنا)[٥] استأنف في تفسير ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾. فقوله: "أو لا تمنعنا" عطف على قوله: "لا تَبْلُنا".

قوله: (وقرئ: "تَزِغْ")[٦] نهيُ الغائب على تقدير القراءة الأخيرة.

---

١ ر - إلخ، أي قرأ أُبيّ.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب وابن عبّاس. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٥٦٧.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ١٠٧.

٤ ن ر - لا تبلنا.

٥ ن ر + قوله: أو لا تمنعنا. استأنف في تفسير ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾، فقوله.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي واقد الليثي، وعمرو بن فائد، والمَلَطي عن أبي بكر، والجَحدري، والجرّاح وكِرداب. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٥٦٨.

﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾؛ أي: تجمعُهم لحسابِ يومٍ، أو: لجزاءِ يومٍ؛ كقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن ٩/٦٤] وقرئ: "جامعٌ الناسَ" على الأصل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ معناه: أن الإلهيَّةَ تنافي خُلفَ الميعاد؛ كقولك: إن الجوادَ لا يَخِيبُ سائلُه. والمِيعادُ: الموعِد.

قرأ عليٌّ رضي الله عنه: "لن تُغنيْ" بسكون الياء، وهذا من الجِدِّ في استثقالِ الحركة على حروف اللِّين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾

﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ مثلُه في قوله: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس ٣٦/١٠]، والمعنى: لن تغنيَ عنهم من رحمةِ الله أو من طاعة الله ﴿شَيْـًٔا﴾؛ أي: بدَلَ رحمته وطاعته وبَدَلَ الحقِّ، ومنه: «ولا يَنفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»؛ أي: لا ينفعُه جَدُّه ولا حَظُّهُ من الدنيا بَدَلك؛ أي: بدَلَ طاعتك وعبادتك وما عندك، وفي معناه قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ ٣٧/٣٤].

قوله: **(على الأصل)** وهو إعمال اسم الفاعل.

قوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن ٩/٦٤] "اللام" فيه تحتمل أن تكون مثلها في "كتب لخمس مَضَيْن مِن الشهر".

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ تحقيق وتأكيد لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾، فكأنّه قيل: يجمعهم لا محالةَ لأنك وعدتَ ذلك وأنت لا تُخلِف الميعاد.

قوله: **(في استثقال)**[١] استثقله، أي: عدّه ثقيلًا.

[٢٤٨و] قوله: / **(مِثْلُه)**، أي: بمعنى البدل.

---

١ ن: استقبال.

وقرئ: "وُقود" بالضمّ، بمعنى: أهلُ وُقودِها.
والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: مَن كَفَر برسولِ الله صلى الله عليه وسلم.
وعن ابن عباس رضي الله عنه: هم قُرَيظةُ والنَّضير.

قوله تعالى: ﴿لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ اعلم أنّ المعنى المطابقَ لِما[1] ذَكَره المصنِّف ههنا ولقول المُطرِّزي: «يقال: "أَغْنِ عنّي كذا"، أي: نحِّه عنّي».[2] قال الشاعر:

إذا قـال قَـدْني قلتُ بـالله حَلْفَةً   لتُغني عنّي ذا إنـائِـكَ أجمعا[3]

أن تقول:[4] المراد بقوله تعالى: ﴿شَيۡـٔٗا﴾، أي: عذابًا، وبقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾، أي: مِن رحمة الله. فالمعنى: لا تُبعِّد عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئًا، أي: عذابًا حالَ كون أموالهم وأولادهم بدلًا مِن رحمة الله ومِن طاعة الله تعالى في تبعيد العذاب عنهم، أي: إنّما يُبعِّد عنهم العذاب رحمةُ الله[5] وطاعته تعالى، ولا تقوم أموالهم وأولادهم في ذلك مقامَ رحمة الله.[6] فالمصنِّف بيّن معنى ﴿مِنَ﴾ ولم يبيِّن معنى ﴿تُغۡنِيَ﴾. ومعناه هو الذي بيّنّاه ههنا.

وكذا نقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾ [يونس ٣٦/١٠]: المراد بـ﴿شَيۡـًٔا﴾ الأوهام والشكوك والاعتقادات الباطلة، أي: إنّ الظنّ لا يُبعِّد شيئًا مِن الشكوك والشُّبهات والاعتقادات الفاسدة حالَ قيامه مقام الحقّ وهو اليقين الثابت.

قوله: (وقرئ: "وُقُودُ")[7] بالضمّ مصدر.

---

[1] ن ر: ما.
[2] المغرب للمُطرِّزي، «جهد».
[3] ن ر – قال الشاعر: إذا قال قدني قلت بالله حلفة لتغني عني ذا إنائك أجمعا. | البيت لحُريث بن عَنّاب الطائي. وهو بلا نسبة في معاني القرآن للأخفش، ٣٦٢/١؛ والمُفصَّل للزمخشري، ص ١٢٢؛ ومفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٢٨٢؛ وعجزه في المغرب للمُطرِّزي، «جهد». وانظر لتفصيل نسبة البيت وشرحه والكلام عليه خزانة الأدب للبغدادي، ٤٣٤/١١-٤٥٠.
[4] السياق: اعلم أنّ المعنى... أن تقول...
[5] ن + تعالى.
[6] ن ر – وطاعته تعالى ولا تقوم أموالهم وأولادهم في ذلك مقام رحمة الله.
[7] قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة بن مصرِّف وقتادة ومجاهد. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٢٦؛ المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٥٦٩.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾

الدأبُ: مصدر دَأبَ في العمل: إذا كَدَحَ فيه، فوُضع مَوضعَ ما عليه الإنسانُ من شأنه وحالهِ. والكافُ مرفوعُ المحلِّ تقديره: دَأبُ هؤلاء الكفرةِ كدأبِ مَن قبلَهم من آلِ فرعون وغيرهم.

ويجوز أن ينتصِبَ محلُّ الكافِ بـ﴿لَن تُغْنِيَ﴾ أو بالوُقود؛ أي: لن تغنيَ عنهم مثلَ ما لم تُغنِ عن أولئك، أو: تُوقَدُ بهم النارُ كما تُوقَدُ بهم، تقول: إنّك لتَظْلمُ الناس كدَأْب أبيك، تريد: كظُلم أبيك ومثلَ ما كان يَظْلمُهم، ....

قوله: (إذا كَدَح) الكَدْح: العمل والسعي.

قوله: (فوُضِع موضعَ ما عليه الإنسان) فعلى هذا يكون الدأب بمعنى المَدءوب، كما يُستعمل الضرب بمعنى المضروب.

قوله:[١] (بـ﴿لَن تُغْنِيَ﴾ أي:[٢] لن تغني عنهم) عدمَ إغناءٍ مثلَ عدم الإغناءِ عن أولئك، أي: انتفى إغناؤهم مثل انتفاءِ إغناء أولئك.

قوله: (أو تُوقَد بهم النار) في تفسير تعلُّقه بـ"الوقود" يدلُّ على أنّ[٣] قوله: (بـ"الوَقود") ينبغي أن يكون بفتح "الواو"، وكذا قوله في[٤] نظيره: (لَمُحارَف)[٥] يدلّ[٦] على ذلك، فكأنّه قيل: تُوقَد بهم وقدًا مثلَ الوقد[٧] بهم، فإنّ الوَقْد بهم شأنٌ وحالٌ لهم، وكذا التقدير في المثال "إنّه لمُحارَف مثل محارَفة أبيه"، فإنّ محارفة أبيه دأبٌ، أي: شأن وحال[٨] له.

قوله: (تقول: إنّك لتَظلِم) هذا مثل قوله: ﴿لَن تُغْنِيَ﴾... إلخ.

قوله: (تريد "كظلم أبيك") إذ المراد بالدأب: الشأن والحال، وهو يتناول ظلمهم.

---

١ ن + يكن يعني؛ ر + بلن، أي.
٢ ن - أي.
٣ ر - تعلّقه بالوقود يدلُّ على أنّ.
٤ ن + قوله؛ ر - في.
٥ سيأتي تفسيرها في كلامه.
٦ ر + عليه.
٧ ر: التوقد.
٨ ن - لهم وكذا التقدير في المثال إنّه لمحارف مثل محارفة أبيه فإنّ محارفة أبيه دأب، أي: شأن وحال.

وإن فلانًا لَمُحارَفٌ كدأبِ أبيه، تريد: كما حُورِفَ أبوه.

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ تفسيرٌ لدأبهم ممّا فعلوا وفُعل بهم على أنّه جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ عن حالهم.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٢﴾

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هم مشركو مكة: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ يعني: يومَ بدر.

وقيل: هم اليهود، لمّا غلبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدر قالوا: هذا والله النبيُّ الأميُّ الذي بشَّرَنا به موسى، وهمُّوا باتّباعه. فقال بعضُهم: لا تَعْجَلوا حتى ننظُرَ إلى واقعةٍ أخرى! فلما كان يومُ أحدٍ شكُّوا.

وقيل: جَمَعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وَقعةِ بدر في سوق بَني قَيْنُقَاعَ فقال: يا معشر اليهود، احذروا مثلَ ما نزل بقريشٍ، وأسلِموا قبل أن

قوله: (وإنّ فلانًا لمُحارَف) هذا مثل قوله: "أو توقد"... إلخ. وقوله: "لمُحارَف"، أي: محروم عن الحظّ. ويقال للمحروم[١] غيرِ المرزوق: "مُحارَف"؛ لأنّه[٢] يُحرَف مِن الرزق وقد حُورف. وقوله: (كما حُورف أبوه)، أي:[٣] حُرِم وبُعِّد عن رزقه.

قوله: (ممّا[٤] فعلوا)[٥] ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ و"ممّا" بيان دأبهم. وقوله: (فُعل بهم) فأخذهم الله[٦] بذنوبهم.

قوله: (شكُّوا) لأنّهم ظنّوا أنّه لا يظهر أمره، فقالوا: "لو كان هو النبيّ الأميّ المبشَّر به لظهر أمره ولَما انقطع عن قريب"، ولم يعلموا أنّ الله تعالى سينصره ويظهر دينه، ولمّا علموا وتيقّنوا عاندوا.

قوله: (وقيل: جَمَعهم) عطف على قوله: (لمّا غَلَب)، أي: سبب النزول هذا أو ذاك.

---

١ ن + وقوله: حورف أبوه حرم.
٢ ن – غير المرزوق محارف لأنّه.
٣ ن ر – أي.
٤ ن ر: ما.
٥ ر: فعله.
٦ ن – الله.

يَنزلَ بكم ما نزَل بهم، فقد عرفتُم أني نبيٌّ مُرْسَل، فقالوا: لا يغرَّنك أنك لقيتَ قومًا أَغمارًا لا علمَ لهم بالحرب فأصبتَ منهم فُرصةً، لئن قاتَلْتَنا لعلمتَ أنَّا نحن الناسُ، فنزلت.

وقرئ: ﴿سيُغْلَبون ويُحْشَرون﴾ بالياء؛ كقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم﴾ على قُل لهم قولي لك: سيُغلبون.

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين القراءتين من حيثُ المعنى؟

قلتُ: معنى القراءةِ بالتاء: الأمْرُ بأن يُخبرهم بما سيَجري عليهم من الغَلَبة والحشر إلى جهنم، فهو إخبَارٌ بمعنى سيُغلبون ويُحشرون، وهو الكائنُ من نفس المتوعَّد به، والذي يدلُّ عليه اللفظُ.

قوله: (لقيتَ)، أي: حاربتَ.

قوله:[١] (أغمارًا) جمع "غُمر" وهو مِن الرجال مَن لم يُجرِّب الأمور.

قوله: («أنّا نحن الناس»)،[٢] أي: الموصوفون بالشجاعة والشدّة.

قوله: (فنزلت)، أي: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ﴾.

قوله: (**قلتُ: معنى القراءة بـ"التاء"**) حاصل معنى القراءة بـ"التاء" أنّ الله تعالى أخبر النبيّ عليه السلام بأنّ الكفّار سيغلبون ويُحشرون، ثمّ قال للنبيّ عليه السلام أخبرهم عن هذا المعنى فتعيَّن أن يقول لهم: ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾[٣] بـ"التاء"، ومعنى القراءة بـ"الياء"[٤] أنّه تعالى قال للنبيّ عليه السلام: قل لهم قولي لك: سيُغلبون ويُحشرون.[٥]

قوله: (مِن نفس المتوعَد به)[٦] / بيان (الكائن).[٧] وقوله: (والذي) عطف [٢٤٨ظ]

---

١ ر - أي: حاربتَ. قوله.

٢ سنن أبي داود، ٤/٦١٦ (٣٠٠١).

٣ ن ر - ثمّ قال للنبيّ عليه السلام أخبرهم عن هذا المعنى فتعيَّن أن يقول لهم: ستغلبون وتحشرون.

٤ قرأ بالياء حمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون بالتاء. النشر لابن الجزري، ٢/٢٣٨.

٥ ن + بالياء وتحشرون.

٦ ر + وهو.

٧ ن: الكافرين.

ومعنى القراءة بالياء: الأمرُ بأن يَحْكيَ لهم ما أخبره به مِن وعيدهم بلفظه، كأنّه قال: أدِّ إليهم هذا القولَ الذي هو قولي لك: ﴿سيُغلبون ويُحشرون﴾.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ الخطاب لمشركي قُريش ﴿فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ يومَ بَدْرٍ.

﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾؛ أي: يرى المشركون المسلمين مثلَيْ عددِ المشركين قريبًا من ألفَيْن، أو: مثلَيْ عددِ المسلمين ستَّ مئةٍ ونيفًا وعشرين، أراهم الله إيّاهم مع قلّتهم أضعافَهم ليَهابوهم وَيجْبُنوا عن قتالهم، وكان ذلك مددًا لهم من الله كما أمدَّهم بالملائكة، والدليلُ عليه قراءةُ نافع: ﴿تَرونهم﴾ بالتاء؛ أي: تَرَوْن يا مشركي قريشٍ المسلمين مثلَيْ فئتكم الكافرةِ، أو مثلَيْ أنفسِهم.

فإن قلتَ: فهذا مناقضٌ لقوله في سورة الأنفال: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال ٨/٤٤]؟

على قوله: "الكائن" أو على "نفس المتوعَّد". والحاصل أنّ معنى ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ هو نفس المتوعَّد به، وهو الذي يدلُّ عليه لفظ ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾.

قوله: **(ست مئة ونيّفًا وعشرين)** إذ كان عددهم ثلاث مئة وبضعةَ عشرَ، يقال: "نَيْف ونيِّف" كـ"هَيْم وهيِّم".

قوله: **(أضعافَهم)**، أي: أضعافَ[١] المشركين، هذا على التفسير **الأوّل**، أو أضعاف المسلمين هذا على التفسير الثاني.

قوله: **(والدليل عليه قراءة نافع)**،[٢] أي: والدليل على أنّ ضمير الفاعل في ﴿يَرَوْنَهُم﴾ للمشركين لا للمسلمين، وليس المعنى الدليل على أنّ الخطاب لمشركي قريش، كما وقع في بعض **الحواشي**،[٣] إذ لا نزاع فيه، إنّما النزاع فيما ذكرنا،

---

١ ن – أي: أضعاف.

٢ قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب بتاء الخطاب. النشر لابن الجزري، ٢/٢٣٨.

٣ ن ر – كما وقع في بعض الحواشي. | وقع ذلك في فتوح الغيب للطِّيبي، ٤/٣٨ (آل عمران، ٣/١٣).

قلتُ: قُلِّلوا أوّلًا في أعينهم حتى اجْترَؤا عليهم فلمّا لاقَوْهم كُثِّرُوا في أعينهم حتى غُلبوا، فكان التقليلُ والتكثير في حالين مختلفين، ونظيرُه من المحمول على اختلافِ الأحوال قولُه تعالى: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمن ٣٩/٥٥] وقولُه: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ [الصافات ٢٤/٣٧]، وتقليلهم تارةً وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغُ في القدرة وإظهارِ الآية.

وقيل: يَرى المسلمون المشركين مثلَي المسلمين على ما قرّر عليه أمرُهم من مقاومةِ الواحد الاثنين في قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِ﴾ [الأنفال ٦٦/٨] بعد ما كُلِّفوا أن يقاومَ الواحد العشرةَ في قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِ﴾ [الأنفال ٦٥/٨] ولذلك وَصفَ ضِعْفَهم بالقلَّة لأنه قليلٌ بالإضافة إلى عشرةِ الأضعاف، ....

ويدلُّ عليه قراءة نافع، ويخالف المعنى الثاني كما قرّره في **الكتاب**. ويقرُب ما ذكرنا عطف قوله: (**وقيل: يرى المسلمون**) على قوله: (**يرى المشركون**).

قوله: (**لاقُوهم**) صحَ بـ"الفاء"،[١] أي: خالطوهم، مِن اللفّ، وهو: الخلط.[٢]

قوله: "**بعد ما كُلِّفوا**" هو ظرف "**قُرِّر**" في قوله: "**قوله: ولذلك**"، أي: لِما قُرِّر مِن مقاومة الواحد الاثنين بعدما كُلِّفوا مِن مقاومة الواحد العشرةَ. وصَف ضِعفهم بالقلّة؛ لأنّ الضِّعف[٣] قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف.

وقوله: (**وَصَف ضِعفهم بالقلّة**)،[٤] يريد قوله: في سورة الأنفال ﴿إِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا﴾ [الأنفال ٤٤/٨]، لا قوله: ﴿وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ [الأنفال ٤٤/٨]، كما هو في بعض **الحواشي** إذ هو ظاهر الفساد. وقوله: (**إلى عشرة الأضعاف**) وإنّما عرّف "**الأضعاف**" لأنّ المراد المعهود بقوله: ﴿يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِ﴾ [الأنفال ٦٥/٨]. ولو قال: "**تسعة الأضعاف**" أو "**عشرة الأمثال**"

---

١ هو بالقاف في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله.

٢ انظر: **فتوح الغيب للطِّيبي**، ٣٩/٤ (آل عمران، ١٣/٣)، ورجّحه الطِّيبي على "لاقوهم" بالقاف.

٣ ن - كُلِّفوا مِن مقاومة الواحد العشرة وصف ضعفهم بالقلّة؛ لأنّ الضعف.

٤ ر - لأنّ الضعف قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف، وقوله: (وصف ضِعفهم بالقلّة).

وكان الكافرون ثلاثةَ أمثالهم.

وقراءةُ نافعٍ لا تساعِدُ عليه.

وقرأ ابن مُصَرِّف: "يُرَوْنهم" على البناء للمفعول بالياء والتاء؛ أي: يُريهم الله ذلك بقدرته.

وقرئ: "فئةٍ تُقاتل.. وأخرى كافرةٍ" بالجرِّ على البدل من ﴿فِئَتَيْنِ﴾، وبالنصب على الاختصاص، أو على الحال من الضمير في ﴿ٱلْتَقَتَا﴾.

﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ يعني: رؤيةً ظاهرةً مكشوفةً لا لَبْسَ فيها، معايَنةً كسائر المعايَنات.

﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ﴾ كما أيَّدَ أهلَ بدْرٍ بتكثيرهم في عين العدوّ.

بدلَ قوله: "عشرة الأضعاف" لكان أحسن؛ لأنّ العشرة تسعةُ أضعاف الواحد لا عشرةُ أضعافه، وعشرةُ أضعاف الواحد يكون أحدَ عشرَ؛ لأنّ ضعف الواحد اثنان، وضعفا الواحد ثلاثة،[١] وثلاثة أضعافه أربعة، ولهذا صرَّحوا وقالوا: "أربعة أضعاف الشيء خمسة أمثاله"، و"تسعة أضعافه[٢] عشرة أمثاله".[٣] وفيه زيادة بحث لا تَسعه الحواشي.

قوله: **(وكان الكافرون)** عطف على قوله: "يرى" والتقدير: يرى المسلمون المشركين مِثلَي المسلمين، وكان المشركون ثلاثةَ أمثالهم.

قوله: **(وقراءة نافع[٤] لا تساعد عليه)** هذا عطف على قوله: "وقيل: يرى المسلمون المشركين". وقوله: "لا تساعد عليه" إذ لا يستقيم أن يكون المعنى: ترون أيّها المسلمون المشركين مثليهم.

قوله: **(وقرأ ابن مُصرِّف)**[٥] هو طلحة بن مُصرِّف.

قوله: **(يعني: رؤيةً)** يقال: "رأى رأيًا ورُؤية وراءة" مثل "راعَة".[٦]

---

[١] ر + يكون أحد عشر؛ لأنّ ضعف الواحد اثنان وضعفا الواحد ثلاثة.

[٢] ن ر: أمثاله.

[٣] ن ر – أمثاله.

[٤] مضى تخريجها آنفًا.

[٥] قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة بن مصرف والسُّلمي. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٥٧٠.

[٦] ر: زاغة.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ المزيِّنُ هو الله سبحانه للابتلاء؛ كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ [الكهف ٧/١٨] ويدلُّ عليه قراءةُ مجاهد: "زَيَّنَ للناس" على تسمية الفاعل.

وعن الحسن: الشيطانُ واللهِ زيَّنها لهم؛ لأنَّا لا نعلم أحدًا أذمَّ لها من خالقها.

﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ جَعل الأعيان التي ذكرها شهواتٍ مبالَغةً في كونها مشتهاةً محروصًا على الاستمتاع بها، والوجهُ أن يَقصدَ تخسيسَها فيُسمِّيَها شهواتٍ؛ لأن الشهوة مسترذَلةٌ عند الحكماء مَذمومٌ مَن اتَّبعها شَاهِدٌ على نفسه بالبهيميَّة، وقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ثم جاء بالتفسير ليُقرِّرَ أوَّلًا في النفوس أن المزيَّنَ لهم حبُّه ما هو إلَّا شهواتٍ لا غيرُ، ثم يُفسِّرَه بهذه الأجناس، فيكون أقوى لتخسيسِها، وأدلَّ على ذمِّ مَن يستعظِمُها ويتهالكُ عليها ويرجِّح طلبَها على طلَب ما عند الله.

قوله: (زيَّنها)، أي: الشهوات.

قوله: (لها)، أي: للشهوات.

قوله: (مِن خالقها)، أي: خالقِ الشهوات.

قوله: (ما هو إلّا شهواتٌ[1] لا غيرُ) ظاهره أنّه مِن التراكيب التي نفى صاحب المفتاح صحّتها، حيث قال: والطريق الأوّل -يعني العطف بلا-[2] لا يجامع الثاني -يعني الاستثناء- فلا يصحُّ "ما زيد إلّا قائمٌ لا قاعد" ولا "ما يقوم إلّا زيدٌ لا عمرٌو"، والسبب في ذلك هو أنّ "لا"[3] مِن شرط منفيّها ألّا يكون منفيًّا قبلها بغيرها مِن كلمات النفي.[4] ويمكن أن يقال: ليست "لا" في قوله: "لا غيرُ" للعطف؛ بل هو لمجرد النفي. وقوله: "لا غير" صفة لقوله: "شهواتٌ"،

---

[1] ن + قوله: لها، أي: للشهوات.

[2] ر: و.

[3] ن ر + العاطفة.

[4] انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٠٤-٤٠٥.

و"القنطار": المال الكثير، قيل: مِلءُ مَسْكِ ثور.

وعن سعيد بن جبير: مئةُ ألف دينار، ولقد جاء الإسلام يوم جاءَ وبمَكةَ مئةُ رجل قد قَنْطَرُوا.

و"المقَنْطرةُ" مبنيّةٌ من لفظ القنطار للتوكيد؛ كقولهم: ألْفٌ مؤَلَّفةٌ وبَدْرةٌ مُبَدَّرة.

و"المسوَّمةُ": المُعْلَمةُ، من السُّومَةِ وهي العلامةُ، أو: المطَهَّمةُ، أو: المَرْعيّةُ من أسَامَ الدابّةَ وسوَّمها.

و"الأنعامُ": الأزواجُ الثمانيةُ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ ﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾.

﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ﴾ كلامٌ مستأنَفٌ فيه دلالةٌ على بيانِ ما هو خيرٌ من ذلكم؛ كما تقول: هل أدلُّك على رجلٍ عالمٍ؟ ....

[٢٤٩و] / أي: ما هو إلّا شهواتٌ موصوفةٌ بأنّها ليست غيرَ الشهوات، أي: موصوفة بأنّها شهوات صِرفة.

قوله: (ألفٌ مؤلَّفة)، أي: كاملة تامّة.

قوله: (وهي العلامة) ومعنى العلامة هنا: الكيّ في قول المُؤرّج، والبَلَق[1] في قول ابن كَيْسان. والشِّيَه[2] في قول قتادة.[3]

قوله:[4] (أو المُطهَّمة)، أي: حَسَن الخَلْق. المُطهَّم: التامّ كلُّ شيء منه على حِدَته، فهو بارع الجمال.

قوله:[5] (الأزواج الثمانية) هي الإبل والبقر والضان والمعز.

---

[1] في هامش د: سواد وبياض.

[2] ن: السنة.

[3] انظر: لسان العرب لابن منظور، «علم».

[4] ن ر + عندي رجل.

[5] ن ر – (أو المُطهّمة)، أي: حسن الخَلق المُطهَّم التامّ كلُّ شيء منه على حدته فهو بارع الجمال. قوله.

عندي رجلٌ من صفته كيتَ وكيتَ.

ويجوز أن يتعلَّق اللامُ بـ"خيرٍ"، واختَصَّ المتَّقين لأنهم هم المنتفِعون به، وترتفع ﴿جَنَّٰتٌ﴾ على: هو جنَّاتٌ، وتَنصرُه قراءةُ مَن قرأ: "جنَّاتٍ" بالجرِّ على البدل من "خيرٍ".

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ يُثيبُ ويُعاقِبُ على الاستحقاق.

أو: بصيرٌ بالذين اتَّقوا وبأحوالهم فلذلك أعدَّ لهم الجنَّات.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ نصبٌ على المدح، أو رَفْع، ويجوز الجرُّ صفةً للمتقين أو للعباد.

قوله: (عندي رجل) "رجل" مبتدأ و"عندي" خبره.

قوله: (ويرتفع ﴿جَنَّٰتٌ﴾) يعني على هذا الوجه، وأمّا على الوجه الأوّل فقد عُلم أنّه مبتدأ خبره ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾.

قوله: (﴿بِٱلۡعِبَادِ﴾)، أي: على العموم.

قوله: (نصبٌ على المدح)، أي: أعني ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

قوله: (أو رفعٌ)، أي: على المدح، تقديره: هم الذين.

قوله: (لـ"المتقين") يعني ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾، وإذا كان ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ صفة لـ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ يئول الأمر إلى صفة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وهو على ظاهره غير جائز، وإنّما جاز ههنا[1] لأنّ الموصول مع صلته كالكلمة الواحدة، فيكون ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ في معنى "المتّقين"، و﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ في معنى "القائلين"، فكأنّه قيل: "للمتّقين القائلين".[2] ثمّ إنّ قوله: (صفةً) نصب على الحال مِن المحذوف، تقديره: ويجوز جرّه صفةً.

---

[1] ن: هنا.

[2] ر - للمتقين القائلين.

والواوُ المتوسِّطةُ بين الصفات للدلالة على كمالهم في كلٍّ واحدة منها، وقد مرَّ الكلام في ذلك.

وخصَّ الأسْحار لأنهم كانوا يُقدِّمون قيامَ الليل فيَحسُنُ طلبُ الحاجةِ بعده ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر ٣٥/١٠].

وعن الحسن: كانوا يصلُّون في أوّل الليلِ، حتى إذا كان السَّحَرُ أَخذوا في الدعاء والاستغفار، هذا نهارُهم وهذا ليلُهم.

شُبِّهت دلالتُه على وحدانيّته بأفعاله الخاصةِ التي لا يَقدر عليها غيرُه، وبما أَوْحَى من آياته الناطقةِ بالتوحيد -كسورةِ الإخلاص وآيةِ الكرسي وغيرهما-

---

قوله: (للدلالة على كمالهم) إذ كلّ واحدة مِن تلك الصفات مختصّة بهم مميّزة لهم عن غيرهم لا أنّ المجموع مميّز لهم، وإنّما يكون كذلك إذا كان كلّ واحدة[١] مِن تلك الصفات قويّة[٢] فيهم أكثرَ منها في غيرهم وأشدّ، ليكون كلّ واحدة على حِدَتها[٣] مميّزة لهم عن غيرهم.

قوله: (﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر ٣٥/١٠])، أي: يكون العمل الصالح سببًا لصعود الكلم، فيكون قيام أوّل الليل سببًا للمغفرة إذا استغفروا.[٤]

قوله: (الخاصّة)، أي:[٥] المختصّة به بمعنى أنّه لا يمكن أن يفعل غيرُه تعالى مثلَه، فعلى هذا يكون قوله: (التي لا يقدر عليها غيرُه) صفةً[٦] كاشفةً.

قوله: (وبما أوحى) عطف على قوله: (بأفعاله)، يعني: دلّ على وحدانيّته بأفعاله المُحكَمة المتقنة وبالكتب المنزلة. وحاصلُه الدلائل العقليّة والنقليّة.[٧]

---

١ ر + على حدة مميزة لهم.

٢ ن: قرينة.

٣ ر - حدتها.

٤ ن ر - قوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ أي: يكون العمل الصالح سببًا لصعود الكلم فيكون قيام أوّل الليل سببًا للمغفرة إذا استغفروا.

٥ ن: أو.

٦ ن: وصفته.

٧ ر - والنقلية.

بشهادةِ الشاهِدِ في البيان والكشف، وكذلك إقرارُ الملائكةِ وأولي العلمِ بذلك واحتجاجُهم عليه.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾: مقيمًا للعدل فيما يَقْسِم من الأرزاق والآجال ويُثيب ويُعاقب، وما يأمر به عبادَه من إنصافِ بعضهم لبعضٍ والعملِ على السويَّة فيما بينهم، وانتصابُه على أنه حال مؤكِّدة منه كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة ٢/٩١].

قوله: **(بشهادة)** "الباء" متعلِّق بقوله: **(شُبِّهت)**.

قوله: **(في البيان)** وجه التشبيه[1] قوله: **(وكذلك)**، أي: وكذلك شُبِّه إقرار الملائكة بالتوحيد بشهادة الشاهد.

قوله: **(بذلك)**، أي بوحدانيته أو بالتوحيد فـ"الباء" متعلِّق بالإقرار، أي: إقرار الملائكة وأولي العلم واحتجاجهم بذلك شاهدان أيضًا.

قوله: **(مقيمًا للعدل)** فتكون "الباء" للتعدية.[2]

قوله: **(فيما يُقسَم)** يجوز أن يكون "فيما"[3] متعلِّقًا بـ"مقيمًا".

قوله: **(والعمل)** بيانُ الإنصاف؛ لأنّ الإنصاف التسوية.[4] قال في **المُجمل**: «كأنّه -والله أعلم- الرضا بالنَّصْف».[5]

قوله: **(منه)**، أي: مِن فاعل الشهادة وهو الله تعالى. قيل: وهذا غير سديد في حقّ الله تعالى؛ لأنّ في إطلاق هذا على الله تعالى تَرْكَ أدب،

---

[1] ر - التشبيه.
[2] ن - فيكون الباء للتعدية.
[3] ن ر - فيما.
[4] ن: التوبة.
[5] **مجمل اللغة** لابن فارس، ٨٦٩/٢، «نصف».

فإن قلتَ: لـمَ جاز إفرَادُه بنصبِ الحال دون المعطوفَيْن عليه، ولو قلتَ: «جاءني زيد وعمرو راكبًا» لـم يَجُز.

قلتُ: إنَّما جاز هذا لعدمِ الإلباس؛ كما جاز في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء ٧٢/٢١] أن انتصبَ ﴿نَافِلَةً﴾ حالًا عن ﴿وَيَعْقُوبَ﴾، ولو قلتَ: «جاءني زيدٌ وهند راكبًا» جاز؛ لتميُّزه بالذكورة أو على المدح.

فإن قلتَ: أليس مِن حقِّ المنتصِبِ على المدحِ أن يكون معرفةً؛ كقولك: الحمدُ لله الحميدَ، «إنا مَعاشرَ الأنبياء لا نُورَثُ».

إنَّـــا بنـــي نَهْشَـــلٍ لا ندَّعـــي لأبٍ

لأنّه تعالى غيرُ ذي حال. وفيه نظر. ويُعلَم مِن هذا أنّ الحال المؤكِّدة لا يلزم أن تكون مِن جملة اسميّة كما شرط المصنِّف في **المفصَّل**.[1]

قوله: (**لم يجُز**) للإلباس.

قوله: (**أن انتصب**) فاعل لقوله: (**جاز**).

قوله: («**لا نُورَث**») تمام الحديث:[2] «ما[3] تركناه صدقة».[4]

قوله:

(إنَّـــا بنـــي نَهشـــل لا ندَّعـــي لأبٍ)

تمامه:

[٣٤٩ظ] عـنـه ولا هــو[5] بـالأبـنـاء / يَـشـريـنـا[6]

---

١ انظر: **المفصَّل** للزمخشري، ص ٩٢.

٢ ن - الحديث.

٣ في هامش د: الذي.

٤ بلفظ قريب في **صحيح البخاري**، ٧٩/٤ (٣٠٩٣)؛ **وصحيح مسلم**، ١٣٧٧/٣ (١٧٥٧).

٥ ن ر + الذي.

٦ البيت مختلَف في نسبته: فهو لأبي مخزوم النهشلي في **الكامل** للمبرِّد، ١٤٥/١؛ وهو لنَهشل بن حَرِّيّ في **الشعر والشعراء** لابن قتيبة، ص ٦٣٨؛ **وعيار الشِّعر** لابن طباطبا، ص ١٠٦؛ وهو لبشامة بن حَزن النهشلي في **المؤتلف والمختلف** للآمدي، ص ٨٧؛ وهو لبعض بني قيس بن ثعلبة أو لبشامة في **شرح الحماسة** للمرزوقي، ص ١٠٢. ويُنسَب لغيرهم، ذكرهم البغداديّ في **خزانة الأدب** ٣١٢/٨، ورجَّح نسبته لبشامة.

قلتُ: قد جاء نكرةً كما جاء معرفةً، وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرةً قولَ الهذليّ:

ويـــأوي إلـــى نـــســـوةٍ عُـطَّـلِ   وشُعثًا مراضيعَ مثلَ السَّعالي

قوله: (**قلتُ: قد جاء نكرةً**) إشارةٌ مِن المصنِّف واعتراف بأنّ حقَّه ذلك، وإنّما كان حقّه ذلك لأنّ الشيء إذا نُصب على المدح كان المعنى "اذكر الموسومَ والمسمّى بهذا الاسم والموصوفَ بهذه الصفة"، ويكون إشارةً إلى أنّه بهذا الاسم أشهرُ وأعرفُ منه بغيره ممّا هو اسمه وصفته. قال المرزوقيّ: وهذا هو الغرض في كلّ ما انتصب على المدح أو الذمّ.[1]

قوله:

(ويـــأوي إلـــى نـــســـوة عُـطَّـل   وشُعثًا مراضيعَ مثلَ السَّعالي)[2]

جمع سِعلاة، أي: الغِيلان.[3] قبله:

فـــأوردَهـــا مـــرصـــدًا حـافظًا   به ابن الدجى لاطئًا كالطِّحالِ
مـفـيـدًا مـعـيـدًا لأكـل الـقَـنيص   ذا فـاقـةٍ مُـلـحِـمًا لـلـعـيالِ

يعني أورد العَير الأُتنَ مَرْصدًا، أي: مكانًا يرصد به الصائد الوحش حافظًا به ابنَ الدُّجى، يعني الصائدَ. ثمّ[4] أخذ في صفته: لاطئًا كالطحال، أي: ملتصِقًا[5] بالأرض ليختفي عن الصيد. ثمّ وصفه بلزومه الصيد لفقره. "ويأوي"، أي:[6] الصائد.

---

١ انظر: **شرح الحماسة** للمرزوقي، ص ١٠٢-١٠٣.

٢ ن ر – ويأوي إلى نسوة عُطَّل وشعثا مراضيع مثلَ السعالي. | الأبيات لأميّة بن أبي عائذ في **شرح أبيات الهذليّين**، ص ٥٠٧، ورواية البيت الشاهد فيه:

لـه نـسـوة عـاطـلاتُ الـصـدو
ر عُـوجٌ مـراضيعُ مثـلُ السَّعـالي

والبيت له بالرواية ههنا في **كتاب سيبويه**، ٣٩٩/١، ٦٦/٢؛ وهو بلا عزو في **أمالي ابن الحاجب**، ٣٣٢/١، و**شرح الرضيّ على الكافية**، ٣٢٣/٢؛ والأبيات الثلاثة بلا عزو في **الإيضاح في شرح المفصّل** لابن الحاجب، ٢٥٩/١. وتفصيل الكلام عليه في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٤٢٦/٢-٤٣٦.

٣ ن ر + ويأوي إلى نسوة عُطَّل وشعثا مراضيع مثلَ السعالي.

٤ ن ر + وصفه بلزومه الصيد للفقر، ويأوي، أي: الصائد.

٥ ن ر – أخذ في صفته لاطئًا كالطحال، أي: ملتصقًا.

٦ ن ر – أي.

فإن قلتَ: هل يجوز أن يكونَ صفةً للمنفيِّ؛ كأنَّه قيل: لا إلهَ قائمًا بالقسط إلَّا هو؟

قلتُ: لا يَبْعُدُ، فقد رأيناهم يتَّسعون في الفصل بينَ الصفةِ والموصوف.

فإن قلتَ: قد جعلتَه حالًا منَ فاعل ﴿شَهِدَ﴾ **فهل يصحُّ أن ينتصِبَ** حالًا عن ﴿هُوَ﴾ في ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؟

قلتُ: نعم؛ لأنها حالٌ مؤكِّدةٌ، والحال المؤكِّدة **لا تستدعِي** أَنْ يكون في الجملةِ التي **هي** زيادةٌ **في فائدتها** عاملٌ **فيها**، كقولك: أنا عبدُ الله شجاعًا،

والعُطّل جمع عاطل، وهي: المرأة التي خلا جيدها عن الحُليّ. والشُّعث جمع شعثاء، وهي: متفرِّقة شعر الرأس. والمراضيع جمع مِرضاع بكسر "الميم"، وهي صيغة مبالغة مِن "أرضعَت المرأة ولدها". قوله: مُفيدًا، أي: مستفيدًا بمعنى مكتسب. قوله: مُعيدًا، أي: يعيد أكلَ لحم الصيد مرّةً بعد أخرى. قوله: ذا فاقة، أي: اعتاد ذلك للفاقة والحاجة. قوله: "وشُعثًا". اعلم أنّ المراد بقوله: "شُعثًا" هو المراد بـ"نسوة عُطَّل"، لكن نَصَبه بطريق الاختصاص بيانًا لهذه الصفة، لا أنّ الثاني بعضُ الأوّل كما ذَكَره بعضهم. قال ابن الحاجب في **شرح المفصّل**: «وقول بعضهم: "إنّه قَصَد تقسيم النسوة إلى عُطّل وشُعث" يأباه النصب؛ لأنّهما حينئذ في معنى الصفة الواحدة، فلا يستقيم جَرْي إحداهما وقطع الأخرى».[1] قوله: "وشُعثًا"، أي: وأريد بهؤلاء النسوة شُعثًا.

قوله:[2] **(حالًا عن هو)** والعامل فيها التنزيه.

قوله: **(لا تستدعي)**، أي: لا تُوجِب.

قوله: **(هي)**، أي: الحال.

قوله: **(في فائدتها)**، أي: الجملة.

قوله: **(فيها)**، أي: في الحال.

---

[1] **الإيضاح في شرح المفصَّل** لابن الحاجب، ٢٥٩/١. [2] ر - قوله.

وكذلك لو قلتَ: لا رجُلَ إلّا عبدُ الله شجاعًا، وهو أوجَهُ من انتصابه عن فاعلِ ﴿شَهِدَ﴾ وكذلك انتصابُه على المدح.

فإن قلتَ: هل دخل قيامُه بالقسط في حُكم شهادةِ الله والملائكةِ وأولي العلم كما دخلت الوحدانيّة؟

قلتُ: نعم إذا جعَلْته حالًا من ﴿هُوَ﴾ أو نصبًا على المدح منه، أو صفةً للمنفيّ؛ كأنه قيل: شهدَ اللهُ والملائكةُ وأولو العلم أنّه لا إلهَ إلا هو وأنّه قائمٌ بالقسط.

وقرأ عبدُ الله: "القائمُ بالقسط" على أنّه بدلٌ مِن ﴿هُوَ﴾ أو خبرُ مبتدأ محذوف.

وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه: "قيّمًا بالقسط".

﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ صفتان مقرّرتان لِمَا وَصَفَ به ذاتَه من الوحدانيّة والعدل، يعني: أنه العزيز الذي لا يغالبُه إلهٌ آخَرُ، الحكيمُ الذي لا يَعْدِل عن العدلِ في أفعاله.

فإن قلتَ: ما المرادُ بأولي العلم الذين عظّمهم هذا التعظيمَ حيث جَمَعهم معه

قوله:[1] **(لا رجلَ إلّا عبدُ الله شجاعًا)** هو مثل "لا إله إلّا هو قائمًا".

قوله: **(وهو أوجَه)** لِما ذُكر في جواب السائل بعد ذلك.

قوله: "أوجَه"[2] لأنّه يدخل قيامه بالقسط في حُكم شهادة الله والملائكة... إلخ، كما قال.

قوله: **(العزيز الذي لا يُغالبه)** فهو تقرير الوحدانية.

قوله: **(الحكيم الذي لا يعدِل)** فهو تقرير العدل. وقوله: "لا يعدل"، أي: لا يميل، مِن "العُدول".

قوله: **(فإن قلتَ: ما المراد؟)** إنّما قال: "ما المراد؟" ولم يقل: "مَن المراد؟"؛ لأنّ الغرض السؤال عن صفتهم كما يدلّ عليه الجواب.

---

[1] ر + فهو أوجه لما ذكر.

[2] ن ر - قوله: (أوجه).

ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيّته وعَدْله؟

قلت: هم الذين يُثْبِتون وحدانيّته وعدلَه بالحُجَج السَّاطعة والبراهينِ القاطعة، وهم علماءُ العدل والتوحيد.

وقرئ: ﴿أَنَّهُۥ﴾ بالفتح، و﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ بالكسر، على أنّ الفعل واقعٌ على ﴿أَنَّهُۥ﴾ بمعنى: **شهد الله على أنّه**، أو: بأنّه، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ مؤكِّدة للجملة الأولى.

فإن قلتَ: ما فائدةُ هذا التوكيد؟

قلتُ: فائدتُه: أن قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ توحيدٌ، وقولَه: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾ تعديلٌ، فإذا أَرْدفه قولَه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ فقد آذَنَ أن الإسلام هو العدلُ والتوحيد، وهو الدِّين عند الله وما عدَاه فليس عنده في شيءٍ من الدِّين.

قوله: **(وحدانيته)**، أي: إثبات ما يتعلّق بالذات وعدله، أي:[١] إثبات ما يتعلّق بالأفعال.

قوله: **(وقرئ: "أنه")**،[٢] أي: "**شهد الله أنّه**".

قوله: **(على أنّ الفعل)**، أي: ﴿شَهِدَ﴾.

قوله: **(واقعٌ[٣] على "أنه")**، أي:[٤] مُسلَّط على "**أنه**"،[٥] **فيكون مفعولَه**.

قوله: **(قلتُ: فائدته)**، أي: فائدة التوكيد، وأمّا التأنيث فباعتبار قوله: **(جملة مستأنفة)**.

قوله: **(فقد آذن أنّ الإسلام هو العدل والتوحيد)** إثبات الصفات لا يُنافي التوحيد،[٦] وإلّا لزمهم[٧] ما فرّوا عنه، فإنّهم قد أثبتوا الأمور الخمسة، أي: الحيّة والعالِميّة والقادريّة والخالقيّة والألوهيّة، وقالوا: هذه الخامسة علّة للأربع،[٨]

---

[١] ن: أو.

[٢] وهي قراءة الجمهور.

[٣] ر + أي.

[٤] ر – أي.

[٥] ر – على أنّه.

[٦] ر – التوحيد.

[٧] أي: المعتزلة.

[٨] ر: للأربعة.

وفيه: أنَّ مَن ذهب إلى تشبيهٍ، أو إلى ما يؤدّي إليه كإجازةِ الرؤية، أو ذهب إلى الجبر الذي هو محضُ الجَور، لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام، وهذا بيّنٌ جليٌّ كما ترى.

وقُرِئا مفتوحين على أن الثانيَ بدلٌ من الأول، كأنه قيل: شهد الله أن الدِّين عند الله الإسلام، والبدلُ هو المبدَل منه في المعنى، فكان بيانًا صريحًا لأنَّ دِين الله هو التوحيدُ والعدل.

وقرئَ الأولُ بالكسر والثاني بالفتح على أن الفعل واقعٌ على "إنَّ" وما بينهما اعتراضٌ مؤكِّد، وهذا أيضًا شاهدٌ على أن دين الإسلام هو العدلُ والتوحِيد، فتَرى القراءاتِ كلَّها متعاضدةً على ذلك.

وقرأ عبد الله: "أنْ لا إلهَ إلَّا هو".

وقرأ أبيٌّ: "إنَّ الدِّين عند الله للإسلام"، وهي مقوِّيةٌ لقراءةِ مَن فَتَح الأولى وكسر الثانية.

مميّزة / للذات، والعدل ليس هو ما يريده مَن نفى الجبر،[١] لِما سيجيء، فليُدفع الاعتراض به على مذهب أهل السُّنّة والجماعة، زاد الله رفعةَ شأنهم. [٢٥٠و]

قوله: (أو ما يؤدِّي إليه كإجازة الرؤية) لا تُؤدّي الرؤية إلى التشبيه، إذ المراد بها ما أشار إليه صلّى الله عليه وسلّم[٢] بقوله: «ستَرَون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلةَ البدر»،[٣] مِن تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيهِ المرئيّ[٤] بالمرئيّ،[٥] وأمّا الرؤية المؤدِّية إلى التشبيه بأن يكون على وجه المواجهة والمقابلة فأهل السُّنة بريء منها. وهذا واضح ظاهر لمَن لم يفسِّر كلام الله تعالى برأيه، وأمّا مَن يُفسِّره برأيه بأن يصرِف كلام الله عن معناه

---

١ ن: الخير.

٢ د: عليه السلام.

٣ ر – البدر. | الحديث بلفظ قريب في صحيح البخاري، ١٢٧/٩ (٧٤٣٦)؛ والمعجم الكبير للطبراني، ٢٩٦/٢ (٢٢٣٣).

٤ ن: الرائي.

٥ ن: بالرائي.

وقرئ: "شُهداءَ لله" بالنصب على أنه حالٌ من المذكورِين قبله، وبالرفع على: هم شهداءُ لله.

فإن قلتَ: فعلامَ عُطف على هذه القراءة: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾؟

قلتُ: على الضمير في "شهداء"، وجاز لوقوعِ الفاصلِ بينهما.

فإن قلتَ: لمَ كرَّر قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؟

قلتُ: ذكَره أولًا للدلالة على اختصاصه بالوحدانيّة وأنّه لا إلهَ إلّا تلك الذاتُ المتميِّزةُ، ثم ذكَره ثانيًا بعدما قَرَنَ بإثبات الوحدانيّة إثباتَ العدل للدلالة على اختصاصه بالأمرين؛ كأنه قال: لا إلهَ إلّا هذا الموصوفُ بالصفتين، ولذلك قَرَن به قولَه: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ لتضمُّنهما معنى الوحدانيّة والعدل.

ويَحمِله على ما هو هواه فلا يبالي بما يقول، وإن كان اللفظ مِن ذلك المعنى بمنزلة النعامة مِن الأروى.[1]

ثمّ نقول: لا يخفى أنّه ليس في الجبر جَور، فإنّه مالك الملوك يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد، وكأنّه قد حسِب المصنِّف أنّ تصرُّفه تعالى[2] في مخلوقاته ومصنوعاته مِثلُ تصرُّف المخلوقات في معاملة بعضهم مع بعض ومجازاة[3] بعضهم بعضًا، حتّى ألزم الجَور مِن الجبر. ولا عِبرة[4] بهذا[5] الظنّ البيِّن خطؤه؛ بل صاحبه آثمٌ إن لم يعدِل ولم يتُب عنه. ثمّ إنّه لغاية تعصُّبه الرديّ تراه كثيرًا يضل عن الطريق السويّ، ويتعسَّف تعسُّف الضالّ الغويّ، حتّى يكاد يتسفَّل مِن بدعته إلى ما هو أسفل منه. يا ربّ فاغفر ذنبه، والويلُ إن لم تغفر.

قوله: **(مِن المذكورين)** وهم ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾ [البقرة ٢/١٦].

قوله: **(على الضمير)**، أي:[6] المستتر.

---

[1] إشارة إلى قول العرب في المثل: «تكلّم فجمع بين الأروى والنعام»، وذلك لأنّ الأروى تسكن الجبال والنعام تسكن الفيافي فلا يجتمعان. انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ١/١٤٠.

[2] ر: سبحانه.

[3] ن ر – في معاملة بعضهم مع بعض ومجازاة.

[4] ن: غيره.

[5] ن: مِن هذا.

[6] ن ر – أي.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أهلُ الكتاب من اليهود والنصارى، واختلافُهم: أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيدُ والعدل.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أنه الحقُّ الذي لا مَحيدَ عنه، فثَلَّثَتِ النصارى، وقالت اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٣٠/٩] وقالوا: كنّا أحقَّ بأن تكون النبوَّةُ فينا من قريشٍ؛ لأنهم أُمِّيُّونَ ونحن أهلُ الكتاب، وهذا تجويرٌ لله.

﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: ما كان ذلك الاختلافُ وتظاهُرُ هؤلاء بمذهبٍ وهؤلاء بمذهبٍ إلا حسدًا بينهم، وطلبًا منهم للرِّيَاسة وحظوظِ الدنيا واستِتْباعِ كلِّ فريقٍ ناسًا يَطَؤونَ أعقابهُم، لا شُبهةً في الإسلام.

قوله: (**أنّه الحقُّ**) مفعول (**العلم**).

قوله: (**فثلَّثت النصارى وقالت اليهود ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾** [التوبة ٣٠/٩]) بيانُ تركهم التوحيد. وقوله: (**وقالوا: كنّا أحقّ**)... إلخ، بيانُ تركهم العدل، والمجموع بيان قوله: (**تركوا الإسلام**) وفيه لفٌّ ونشر.

قوله: "وقالوا كنّا"، أي: اليهود والنصارى.

قوله: (**تجويرٌ**) التجوير: النسبة إلى الجَور.

قوله: (**وتظاهُر[1] هؤلاء بمذهب**)... إلخ، التظاهُر: التعاون. و"الباء" للملابَسة، أي: عاوَن بعضُ هؤلاء بعضًا ملتبِسين بمذهب، وكذا عاوَن بعض هؤلاء الآخر بعضًا ملتبسين بمذهب آخرَ.

قوله: (**يطئون**) وطئ عَقِبه، أي: اقتدى به.

قوله: (**لا شبهةً**) هذا التركيب أيضًا مثل قولك: "ما زيد إلّا قائمٌ لا قاعد". ويمكن هنا[2] أيضًا أن يقال: "لا" لمجرَّد النفي، "ولا شبهةً" صفةُ (**حسدًا**) على حذف المضاف، أي: ملابِسَ شبهة، أي: ما كان ذلك الاختلاف إلّا لحسد غيرَ مُلابِس بشبهةٍ في الإسلام، أي: إلّا الحسد الصِّرف. والأَولى أن يقول: هو عطف على قوله: (﴿**بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ**﴾)، فكأنّه قال: "بغيًا لا شبهةً". وفيه نظر.

---

[1] ن: وظاهر.

[2] ن: ههنا.

وقيل: هو اختلافُهم في نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم حيث آمَنَ به بعضٌ وكفَرَ بعضٌ.

وقيل: هو اختلافُهم في الإيمان بالأنبياء صلواتُ الله عليهم، فمنهم مَن آمَنَ بموسى عليه السلام ومنهم مَن آمَنَ بعيسى عليه السلام.

وقيل: هم اليهود، واختلافُهم: أن موسى عليه السلام حين احْتُضِر استودَعَ التوراةَ سبعين حَبْرًا من بني إسرائيل وجعَلهم أُمَنَاء عليها، واستخلف يُوشَعَ، فلمّا مضى قَرْنٌ مِن بعد قَرْنٍ اختلَف أَبْناءُ السبعين بعدما جاءهم عِلْمُ التوراة بغيًا بينهم وتحاسُدًا على حظوظ الدنيا والرياسة.

وقيل: هم النصارى واختلافُهم في أمر عيسى بعدما جاءهم العلمُ أنَّه عبدُ الله ورسولُه.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠﴾

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾: أي: فإنْ جادَلوك في الدِّين ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾: أَخْلَصتُ نفسي وجُملتي لله وحدَه، لم أَجْعلْ فيها لغيره شِرْكًا بأنْ أعبُدَه وأدعُوَه إلهًا معه،

قوله: (**وقيل: هم اليهود**)، أي: الذين أوتوا الكتاب.

قوله: (**احتُضر**)، أي: قرُب موته، وحقيقته "احتضره[1] مَلَك الموت". قال في **المُغرب**: حضر المكان واحتضره، أي: شهده. ويقال: فلان مُحتضَر، أي: قريب مِن الموت. ومنه إذا احتُضر الإنسان وُجّه كما يُوجّه في القبر. واحتُضر: مات؛ لأنّ الوفاة احتضرته أو مَلَك الموت.[2]

قوله: (**يُوشَع**) هو يُوشَع بن نون بن إفراييم[3] بن يوسف عليهم[4] السلام.

قوله: (**بأن أعبُده**)، أي: غيرَه. وقوله: (**وادعوه**)، أي: غيرَه.

---

١ ن: احتضر.

٢ انظر: **المغرب** للمُطرِّزي، «حضر».

٣ ن: إبراهيم.

٤ ن ر: عليه.

يعني: إن دِيني دِينُ التوحيد، وهو الدينُ القويمُ الذي ثَبَتَتْ عندكم صحَّتُه كما ثبتَتْ عندي، وما جئتُ بشيءٍ بديعٍ حتى تجادلوني فيه، ونحوُه: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران ٦٤/٣]، فهو دفعٌ للمُحاجَّة بأنَّ ما هو عليه ومَن معه من المؤمنين هو حقُّ اليقينِ الذي لا لبسَ فيه، فما معنى المحاجَّةِ فيه.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ عطفٌ على التاء في ﴿أَسْلَمْتُ﴾، وحَسُنَ للفاصل، ويجوز أن تكون الواو بمعنى "مع" فيكونَ مفعولًا معه.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب:

﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ يعني: أنَّه قد أتاكم من البيِّنات ما يوجِبُ الإسلامَ ويقتضي حصولَه لا محالةَ، فهل أسلمتُم أم أنتم بعدُ على كفركم؟ وهذا كقولك لمن لخَّصتَ له المسألةَ ولم تُبقِ من طرقِ البيان والكشفِ طريقًا إلا سلَكْتَه: هل فهِمتَها لا أمَّ لك؟ ومنه قولُه عزَّ وجل: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة ٩١/٥] بعد ما ذكَر الصوارفَ عن الخمرِ والميسر.

وفي هذا الاستفهامِ استقصارٌ وتَعْييرٌ بالمعانَدةِ وقلَّةِ الإنصاف؛ لأن المنصِفَ إذا تجلَّتْ له الحُجَّةُ لم يتوقَّفْ إذعانُه للحقِّ، وللمعانِدِ بعد تجلِّي الحُجَّة ما يَضرب أسدادًا بينه وبين الإذعان، وكذلك في: هل فهِمتَها؟ توبيخٌ بالبَلَادة وكلَّةِ القريحة، وفي ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ ....

قوله: (الذي ثبتت عندكم)... إلخ، كلاهما "تثبت" / بلفظ المضارع عن نسخة جار الله، والسماع "ثبتَتْ" في اللفظين بصيغة الماضي. [٢٥٠ظ]

قوله: (فهو دفعٌ)، أي: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ﴾ الآية.

قوله: (وفي هذا الاستفهام استقصارٌ)، يعني في هذا الاستفهام نسبة لهم إلى التقصير وتعييرٌ لهم بالمعاندة، لأنَّهم لو كانوا منصِفين لآمنوا بعد تجلّي الحجّة. ولمّا لم يُذعِنوا ولم يؤمنوا ظهر أنَّهم معانِدون.

بالتقاعُدِ عن الانتهاء، والحرصِ الشديد على تعاطي المنهيّ عنه.

﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾: فقد نفعوا أنفسَهم، حيث خرجوا من الضَّلال إلى الهدى، ومن الظُّلمة إلى النور.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ لم يضرُّوك فإنك رسولٌ مُنَبِّهٌ ما عليك إلا أن تُبلِّغَ الرسالةَ وتُنبِّهَ على طريق الهدى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقٍّ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١﴾

قرأ الحسن: "ويُقتِّلون النبيّين".

وقرأ حمزة: ﴿ويقاتلون الذين يأمرون﴾.

وقرأ عبد الله: "وقاتَلوا".

وقرأ أبيٌّ: "يقتلون النبيين والذين يأمرون".

وهم أهل الكتاب، قَتَل أوَّلُوهم الأنبياء عليهم السلام وقَتَلوا أتباعَهم، وهم راضُون بما فعلوا، وكانوا حولَ قتلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمةُ الله.

وعن أبي عُبيدةَ بنِ الجرّاح رضي الله عنه: قلتُ: يا رسولَ الله! أيُّ الناسِ أشدُّ عذابًا يوم القيامة؟ قال: «رجلٌ قتَل نبيًّا أو رجلًا أمر بمعروفٍ ونَهى عن منكَرٍ»

قوله: (بالتقاعد)، أي: توبيخ بالتقاعد وبالحرص.

قوله: (وقرأ أُبيّ)... إلخ، أي: قرأ أُبيّ: "يقتلون النبيين والذين يأمرون"[1] بإثبات واو العطف مع "الذين يأمرون" مِن غير إعادة ﴿يَقْتُلُونَ﴾.

قوله: (لولا عصمةُ الله)، أي: لولا عصمة الله لقتلوه،[2] ويدلُّ على المحذوف قوله: (كانوا حولَ قَتْل رسول الله عليه السلام).[3]

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٥٧٤.

[2] ن ر - لقتلوه.

[3] ن ر - عليه السلام.

ثم قرأها، ثم قال عليه السلام: «يا أبا عبيدةَ، قتلَتْ بنو إسرائيل ثلاثةً وأربعين نبيًّا من أوَّل النهار في ساعةٍ واحدة، فقام مئةٌ واثنا عَشَر رجلًا من عُبَّاد بني إسرائيل فأمَروا قَتَلَتَهُم بالمعروف ونَهَوْهُم عن المنكر، فقُتِلوا جميعًا من آخر النهار».

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَـٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ٢٢﴾

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾: لأن لهم اللعنةَ والخزيَ في الدنيا والعذابَ في الآخرة.

فإن قلتَ: لمَ دخلتِ الفاء في خبر ﴿إِنَّ﴾؟

قلتُ: لتضمُّن اسمِها معنى الجزاء؛ كأنَّه قيل: الذين يكفرون فبشِّرهم، بمعنى: مَن يَكْفُرْ فبشِّرهم، و"إنَّ" لا تُغيِّر معنى الابتداءِ، فكان دخولها كلَا دخولٍ، ولو كان مكانها "ليت" أو "لعل" لامتَنَع إدخالُ الفاء؛ لتغيُّر معنى الابتداء.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾

﴿أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ﴾ يريد أحبارَ اليهود، وأنهم حصَّلوا نصيبًا وافرًا من التوراة، و﴿مِنَ﴾ إما للتبعيض وإما للبيان، ....

قوله: (**معنى الجزاء**) أي: الشرط.

قوله: (**و"إنَّ" لا تُغيِّر**) على مذهب الأخفش أنَّ "إنَّ" إذا دخل على الابتداء لا يُغيِّر معنى الابتداء وعند سيبويه يُغيِّره.[1]

قوله: (**لتغيُّر معنى الابتداء**) لأنَّه انتقل مِن الإخبار إلى الإنشاء.

قوله: (**نصيبًا وافرًا مِن التوراة**) أي: يكون المراد بـ﴿ٱلۡكِتَـٰبِ﴾[2] المعهودَ وهو التوراة.

---

١ ن ر - أنَّ إنَّ إذا دخل على الابتداء لا يغيِّر معنى الابتداء وعند سيبويه يغيِّره. | انظر تفصيل مذهبيهما في شرح المفصَّل لابن يعيش، ١٠١/١.

٢ ن: مِن الكتاب.

أو حصَّلوا من جنس الكتبِ المنزلة أو من اللوح التوراةَ، وهي نصيبٌ عظيم.

﴿يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ وهو التوراةُ ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ وذلك أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخَل مِدْراسَهم فدعاهم، ....

قوله: (مِن جنس الكتب) أي: يكون المراد بـ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾[1] الجنس أو اللوح المحفوظ، وبـ"النصيب" التوراة.

قوله: (مِدْراسهم) في المصابيح: «جئنا بيت المِدْراس».[2] قال شارحه: «المِدْراس: صاحب دراسة كتبهم. و"مِفْعَل" و"مِفعال" مِن أبنية المبالغة في الفعل الذي يشتق منه».[3] وقيل: المِدْراس: الموضع الذي يقرأ فيه اليهود التوراة.[4] وفي المصابيح عن أبي هريرة رضي الله عنه[5] قال: بينا[6] نحن في المسجد خرج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[7] فقال: «انطلقوا إلى يهود»، فخرجنا معه حتّى جئنا بيت المِدْراس، فقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم:[8] «يا معشر يهود[9] أسلموا تسلموا، واعلموا أنّ الأرض لله ولرسوله، وأنّي أريد أنّ أُجليَكم مِن هذه الأرض، فمَن وجد منكم بماله شيئًا فليَبِعه».[10] قوله عليه السلام: "أجليكم"، أي: أُخرِجكم. والإجلاء: الإخراج مِن البيت والوطن. قوله عليه السلام: "فمَن وجد"، أي: فمَن وَجَد[11] شيئًا مِن ماله ممّا لا يتيسّر له نقله مثل الأرض والأشجار فليبعه. وتحقيقه: فمَن وَجَد بسبب ماله شيئًا في نفسه لأنّه لا يُمكنه نقله معه وقلبُه متعلِّق به فليبعه ولينقُل ثمنه معه.

---

[1] ن ر – المعهود وهو التوراة قوله: (مِن جنس الكتب) أي: يكون المراد بالكتاب.

[2] مصابيح السنّة للبغوي، ١١٥/٣ (٣٠٩٠). والعبارة في مسند أحمد، ٥١٢/١٥ (٩٨٢٦)؛ وصحيح البخاري، ٩٩/٤ (٣١٦٧).

[3] الميسر في شرح مصابيح السنّة للتوربشتي، ٩٣١/٣.

[4] انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ١١٣/٢.

[5] د – رضي الله عنه.

[6] ن: بينما.

[7] د: عليه السلام.

[8] د: عليه السلام.

[9] ن ر – يهود.

[10] مصابيح السنّة للبغوي، ١١٥/٣ (٣٠٩٠). وهو بلفظ قريب في مسند أحمد، ٥١٢/١٥ (٩٨٢٦)؛ وصحيح البخاري، ٩٩/٤ (٣١٦٧)؛ وسنن أبي داود، ٦١٧/٤-٦١٨ (٣٠٠٣).

[11] ر – وجد.

فقال له نُعَيمُ بن عمرٍو والحارث بن زيدٍ: على أيِّ دينٍ أنت؟ فقال: «على ملَّةِ إبراهيم»، قالا: إنَّ إبراهيم كان يهوديًّا، قال لهما: «إنَّ بيننا وبينكم التوراةَ فهلمُّوا إليها»، فأَبَيَا.

وقيل: نزلت في الرَّجْم، وقد اختلفوا فيه.

وعن الحسن وقتادة: كتابُ الله القرآنُ؛ لأنهم قد علِموا أنه كتاب الله لم يشكُّوا فيه.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ ....

قوله: («فهلمُّوا إليها»)[١] هذه لغة أهل نجد وأمّا لغة أهل الحجاز فـ"هلمّ إلينا". قال في **الصحاح**: "هلمَّ يا رجلُ" بفتح "الميم" بمعنى تعالَ. قال الخليل: أصله "لُمَّ" مِن قولهم: "لمَّ الله شَعَثك"، أي: جمعه. كأنّه أراد "لُمَّ نفسك إلينا"، أي: اقرُبْ، و"ها" للتنبيه، وإنّما حُذفت ألفها لكثرة الاستعمال، وجُعلا اسمًا واحدًا. يستوي[٢] فيه الجمع والواحد والتأنيث في لغة أهل الحجاز. قال الله[٣] تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب ١٨/٣٣]. وأهل نجد يُصرّفونها فيقولون للاثنين: "هلمَّا"، وللجمع:[٤] "هلمُّوا"، وللمرأة: "هلمّي"، وللنساء: "هلمُمْنَ"، والأوّل أفصح. وقد يُوصَل باللام فيقال: "هلمَّ لك"، و"هلمَّ لكما"، كما قالوا: "هَيْتَ لك". وإذا قيل لك: "هلمّ إلى كذا وكذا"، قلتَ: إلامَ أَهَلُمّ؟ مفتوحة الألف والهاء، كأنّه قلتَ: إلامَ أَلُم؟[٥] وتركتَ "الهاء" على ما كانت عليه، وإذا قيل لك: "هلمَّ كذا كذا"،[٦] قلتَ: "لا أَهَلُمُّه"، أي: لا أُعطيكَه.[٧]

قوله: (**وقد اختلفوا فيه**) أي: اختلف النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٨] واليهود في الرجم، يؤيِّد أنّ / المعنى هذا قولُه بعد ذلك: (**يقتضي أن يكون اختلافًا**

---

[١] **البسيط** للواحدي، ١٣٧/٥ (آل عمران، ٢٣/٣)؛ **معالم التنزيل** للبغوي، ٢٢/٢ (آل عمران، ٢٣/٣).

[٢] ر: يجتمع.

[٣] ر – الله.

[٤] ن: والجمع.

[٥] ن ر – إلم.

[٦] ن: وكذا.

[٧] انظر: **الصحاح** للجوهري، «هلم».

[٨] د: عليه السلام.

استبعادٌ لتولّيهم بعد عِلمهم بأنّ الرجوعَ إلى كتابِ الله تعالى واجبٌ.

﴿وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾؛ أي: وهم قومٌ لا يزال الإعْراض دَيدَنَهم.

وقرئ: ﴿لِيُحۡكَمَ﴾ على البناء للمفعول.

والوجهُ: أن يُراد ما وقع من الاختلافِ والتعادِي بَيْنَ مَن أسلمَ مِن أحْبارهم وبينَ مَن لم يُسلمْ، وأنهم دُعُوا ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ الذي لا اختلافَ بينهم في صحته وهو التوراةُ ﴿لِيَحۡكُمَ﴾ بينَ المحقِّ والمُبْطِلِ منهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنۡهُمۡ﴾ وهم الذين لم يُسلموا، وذلك أن قوله: ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ يقتضي أن يكون اختلافًا واقعًا فيما بينهم، لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ التولِّي والإعْراضُ بسببِ تشهيلِهم على أنفسهم أمرَ العقاب، وطمَعهم في الخروج من النار بعد أيامٍ قلائلَ ....

[٢٥١و] واقعًا فيما بينهم، لا فيما بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم).[١]

قوله: (استبعاد) هذا بيان معنى (﴿ثُمَّ﴾).

قوله: (والوجهُ أن يُراد) عطف على قوله: (وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم).[٢]

قوله:[٣] (وذلك أنّ قوله) أي: إنّما قلنا: الوجهُ أن يُراد... إلخ، "لأنّ قوله: (﴿لِيَحۡكُمَ﴾). ولمَن قال: المرادُ الاختلاف بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٤] أن يقول: إنّ قوله: (﴿يُدۡعَوۡنَ﴾) يدلُّ على الداعي، فكأنّه قيل: ليحكم بين الداعي والمدعوِّين.

قوله: (أن يكون اختلافًا) أي: يكون الاختلاف اختلافًا.

---

١ د: عليه السلام.
٢ د - صلّى الله عليه وسلّم.
٣ ن: قال.
٤ د: عليه السلام.

كما طمِعَتْ المجبِرةُ والحَشْويَّة.

﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ من أنَّ آباءهم الأنبياءَ يَشفعون لهم؛ كما غرَّتْ أولئك شفاعةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في كبائرهم.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾: فكيف يصنعون؟ فكيف تكونُ حالُهم؟ وهو استعظامٌ لِمَا أعَدَّ لهم وتهويلٌ لهم، وأنهم يقعون فيما لا حيلةَ لهم في دفعهِ والمخْلَصِ منه، وأن ما حدَّثوا به أنفسَهم وسهَّلوه عليها تَعلُّلٌ بباطلٍ وتطمُّعٌ بما لا يكون.

وروي أن أوَّلَ رايةٍ تُرفع لأهلِ الموقف من رايات الكفَّار رايَةُ اليهود، فيَفْضحُهم الله على رؤوس الأشهاد ثم يأمُر بهم إلى النَّار.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يرجعُ إلى ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ على المعنى؛ لأنه في معنى: كلُّ الناس؛ كما تقول: ثلاثة أنفسٍ، تريد: ثلاثة أناسيَّ.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

الميم في ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ عوضٌ من "يا" ولذلك لا يجتمعان، وهذا بعض خصائص هذا الاسم؛ كما اختصَّ بالتاء في القسَم، وبدخول حرف النداء عليه

قوله: **(كما طمعتْ)**، **(كما غرَّتْ)** فاسدٌ؛ لأنَّ طمع الكافرين الخروج مِن النار لا يكون كطمع المؤمنين ولا توقعهم الشفاعة كتوقُّعهم، وقد قال عليه السلام: «شفاعتي لأهل الكبائر مِن أمّتي».[1]

قوله: **(يرجع)** أي: الضمير وهو ﴿هُمْ﴾ و"الواو" في ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾.

قوله: **(وهذا)** أي: التعويض مِن حرف النداء. وقوله: **(كما اختُصَّ)** متعلِّق بقوله: **(خصائِص)** مِن حيث المعنى، كأنّه قيل: هذا بعض ما اختصَّ به

---

[1] **مسند أحمد**، ٤٣٩/٢٠ (١٣٢٢٢)؛ **سنن أبي داود**، ١١٩/٧ (٤٧٣٩)؛ **سنن الترمذي**، ٢٠٣/٤ (٢٤٣٦).

وفيه لامُ التعريف، وبقطعِ همزته في «يا أللهُ» وبغيرِ ذلك.

﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾؛ أي: تملكُ جنسَ المُلك فتتصرَّفُ فيه تصرُّفَ الملّاك فيما يَملكون.

﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾: تعطي مَن تشاء النصيبَ الذي قَسمْتَ له واقتضتْه حكمتُك من الملك.

﴿وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾: النصيبَ الذي أعطيتَه منه، فالمُلْكُ الأول عامٌّ شاملٌ، والمُلْكان الآخَران خاصّان بَعْضان من الكلِّ.

رُوي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكّة وعد أُمّتَه

اختصاصًا مثلَ اختصاصه بـ"التاء".

قوله:[١] (وفيه لامُ التعريف) الواو للحال.

قوله: (وبغير ذلك) كتفخيم لامه، وككون حرف التعريف جزءًا.

قوله: (فـ﴿ٱلۡمُلۡكِ﴾ الأوّل) الألف واللام في "المُلك" في[٢] الثلاثة للجنس، إلّا أنّ الأولى للجنس في أمّة المُلك والأخريان للجنس في بعضها. كذا قاله جار الله رحمه الله تعالى.[٣]

قوله: "فـ﴿ٱلۡمُلۡكِ﴾ الأوّل عامّ والآخران خاصّان". وتحقيقه أن نقول: المراد بالأوّل الجنس الحقيقيّ وبالثاني العرفيّ، كما قالوا في الاستغراق: حقيقيّ، نحو: "خَلَقَ الله الخلقَ"،[٤] أي: جميعهم؛ وعرفيّ، نحو "جَمَعَ الأمير الصاغةَ"، أي: صاغة بلده أو مملكته.[٥] أو نقول: المضافُ محذوف في الآخرَين، أي: تُؤتي بعض المُلك وتنزع[٦] بعضَ الملك،[٧] لدلالة القرينة عليه، لِما عُلم مِن أنّه لا يؤتي الجميع ولا ينزع الجميع. وكأنّ[٨] هذا معنى ما نُقل مِن المصنِّف.

---

١ ن – قوله.

٢ ن ر: و.

٣ د – رحمه الله.

٤ ر – الخلق.

٥ انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٣١٨.

٦ ر: وتنزل.

٧ ر – بعض الملك.

٨ ن: فكان.

ملكَ فارسَ والرومِ، فقال المنافقون واليهود: هيهات هيهات! من أين لمحمدٍ ملكُ فارسَ والروم، هم أعزُّ وأمنعُ من ذلك.

ورُوي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا خَطَّ الخَنْدَق عامَ الأحزاب، وقَطَع لكلِّ عشرةٍ أربعين ذراعًا وأخذوا يحفرون، خرج من بطنِ الخندقِ صخرةٌ كالتلِّ العظيم لم تَعمل فيها المَعاوِلُ، فوجَّهوا سلمانَ رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخبِرُه، ....

قوله: (هم أعزّ وأمنَعُ مِن ذلك)[1] قال[2] في **المُغرِب**: «يقال: فلان في عزّ[3] ومَنَعة، أي: في تمنُّع على مَن قَصَده مِن الأعداء».[4] وأنا أقول: قوله: "أعزُّ وأمنع" مأخوذ منهما وليس "مِن" في قوله: "مِن ذلك" "مِن" التي يستعمل فيها[5] "أفعل"؛ بل هي محذوف، أي: مِن جميع الأشياء، فكأنّه قيل: "هم يمتنعون مِن كونهم لمحمّد[6] امتناعًا أشدّ مِن امتناع جميع الأشياء، أي: هم أشدّ عزّة ومَنَعةً مِن جميع الناس، أي: هم يمتنعون ويبعُدون مِن أن تكونوا[7] لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم.[8] وقوله: "مِن ذلك"، أي: مِن أن يكونوا[9] لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم،[10] يدلُّ عليه قوله: (مِن أين).

قوله: (خطّ) أي: أعلَمَ علامة يُعرَف بها الموضع والقدر الذي ينبغي أن يُحفَر.

قوله: (عامَ الأحزاب)، سُمّي أحزابًا لأنّهم تحزّبوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،[11] أي: تجمّعوا، وكانوا عشرة آلاف.

قوله: (خرَج) أي: ظَهَر؛ لأنّ الخروج سبب للظهور.

قوله: (المَعاول) المِعوَل: الفأس العظيمة التي يُنقَر بها الصخر، والجمع المعاول.

---

١ **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٩١/٨ (البقرة، ٢٦/٣).
٢ ن – قال.
٣ ر: غدر.
٤ **المغرب** للمُطرّزي، «منع».
٥ ن: بها؛ ر: به.
٦ ن + عليه السلام.
٧ ر: يكونون.
٨ د: عليه السلام.
٩ ن ر: يكون.
١٠ د: عليه السلام.
١١ د: عليه السلام.

فأَخذ المِعوَلَ من سلمان فضَربها ضربةً صَدعَتها وبَرَقَ منها بَرْقٌ أضاء ما بين لَابَتَيْها لكأنَّ مصباحًا في جوف بيتٍ مظلمٍ، وكبَّر وكبَّر المسلمون، وقال: «أضاءتْ لي منها قُصورُ الحِيرَة كأنَّها أنيابُ الكلاب»، ثم ضربَ الثانيةَ فقال: «أضاءتْ لي منها القصورُ الحُمرُ من أرضِ الروم»، ثم ضربَ الثالثة فقال: «أضاءتْ لي قصورُ صنعَاء، وأخبرني جبريلُ عليه السلام أن أمَّتي ظاهرةٌ على كلِّها فأبْشِروا»، فقال المنافقون: أَلَا تَعْجَبون يُمنِّيكم ويَعدُكم الباطلَ، ويُخبركم أنه يُبْصِرُ من يَثْرِبَ قصورَ الحِيرَةِ ومدائن كسرى، وأنها تُفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندقَ من الفَرَقِ لا تَستطيعون أن تَبرزوا؟! فنزلت.

قوله: (فأَخذَ) "الفاء" في "فأخذ" فاء فصيحة، أي: فمضى سلمانُ فأخبره عليه السلام، فأتى فأخذ المِعول.

قوله: (صدعَتْها) أي: الصخرة.

قوله: (لابتَيها) أي: المدينة. اللُّوبة واللَّابة: الحَرّة، أرض ذات[١] حجارة سُود.[٢] وفي الحديث أنّه «حرّم ما بين لابتي المدينة».[٣] وهما حرّتان تكتنفانها.

قوله: (الحِيْرة) الحِيْرة: مدينة بقرب الكوفة، وهي بسكون "الياء".

قوله: («كأنّها أنياب الكلاب») شبّهها بها لبياضها وصغرها، أو لانضمام بعضِها إلى بعض.[٤]

[٢٥١ظ] قوله: (كِسرى) بالفتح / بَصريٌّ وبالكسر كوفيٌّ.

قوله: (وأنتم) حال.

قوله: (تَبرَّزوا)[٥] التبرُّز: الخروج إلى البَراز للحاجة. يقال: تبرَّز الرجل إذا خرج إلى البَراز لقضاء الحاجة. وإنّما قالوا ذلك لأنّ مَبارزهم كانت خارج المدينة،

---

١ ن - أرض ذات.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «لوب».

٣ ر - اللوبة واللابة: الحرّة، أرض ذات حجارة سود وفي الحديث أنّه حرّم ما بين لابتي المدينة. | والحديث في **مسند أحمد**، ٢٦٦/٢٧ (١٦٧١١)؛ و**صحيح البخاري**، ٢٠/٣ (١٨٦٩).

٤ ن ر - شبّهها بها لبياضها وصغرها أو لانضمام بعضها إلى بعض.

٥ الحديث بمعناه في **المعجم الكبير** للطبراني، ٢١٢/٦ (٦٠٤٠)؛ و**المستدرك** للحاكم، ٦٩١/٣ (٦٥٤١).

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾ فذكَر الخيرَ دون الشرّ؟

قلتُ: لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسُوقه إلى المؤمنين، وهو الذي أنكرَتْه الكفرةُ، فقال: بيدك الخير تُؤتيه أولياءك على رَغْمٍ من أعدائك، ولأن كلَّ أفعالِ الله تعالى من نافعٍ وضارٍّ صادرٌ عن الحكمة والمصلحة، فهو خيرٌ كلُّه كإيتاء المُلْكِ ونزْعه، ثم ذكر قدرته الباهرةَ بذكر حال الليل والنهار في المعاقَبة بينهما، وحالِ الحي والميّت في إخراج أحدهما من الآخر، وعَطَفَ عليه رزقَه بغير حسابٍ دلالةً على أنَّ مَن قَدَر على تلك الأفعال العظيمة المحيّرةِ للأفهام ثم قَدَر أن يَرزق بغير حسابٍ مَن يشاء مِن عباده فهو قادرٌ على أن يَنزعَ المُلك من العجم ويُذِلَّهم ويُؤتيَه العربَ ويعزَّهم.

وفي بعض الكُتب: أنا اللهُ ملكُ الملوك، قلُوبُ الملوك ونواصيْهِم بيدي، فإنِ العبَادُ أطاعوني جعلتُهُم عليهم رحمةً، وإن العبادُ عصَوْني جعلتُهم عليهم عقوبةً، فلا تشتغِلوا بسبِّ الملوك ولكنْ توبوا إليَّ أَعْطِفْهم عليكم.

وهو معنى قولِهِ عليه الصلاةُ والسلام: «كما تكونون يُوَلَّى عليكم».

﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾

نُهوا أن يُوالوا الكافرين لقرابةٍ بينهم أو صداقةٍ قبل الإسلام، أو غيرِ ذلك

أعني الصحارى. قال في **الصحاح**: برز بُرُوزًا، أي: خرج. والبِراز: المُبارزة في الحرب. والبِراز أيضًا كناية عن ثِقَل الغِذاء، وهو: الغائط. والمَبْرَز: المتوضّى. والبَراز بالفتح: الفضاء الواسع. قال الفرّاء: هو الموضع الذي ليس به خَمَر مِن شَجَر وغيره. وتبرّز الرجل إذا خرج إلى البَراز للحاجة.[1]

قوله: («**كما تكونون يولّى عليكم**»)[2] أوّل الحديث: «أعمالكم عُمّالكم».

قوله: (**قبل الإسلام**) صفة (**صداقة**) أو ظرف لها.

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «برز».

٢ بلفظ قريب في **شعب الإيمان** للبيهقي، ٩/٤٩٢ (٧٠٠٦)؛ و**مسند الشهاب**، ١/٣٣٦ (٥٧٧).

من الأسباب التي يَتَصادَقُ بها ويَتعاشَرُ، وقد كرّر ذلك في القرآن: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة ٥١/٥] ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة ٥١/٥] ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ الآية [المجادلة ٢٢/٥٨]، والمحبّةُ في الله والبغضُ في الله بابٌ عظيم وأصلٌ من أصول الإيمان.

﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: إنَّ لكم في موالاةِ المؤمنين مَندوحةً عن موالاةِ الكافرين، فلا تُؤْثِروهم عليهم.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾؛ أي: ومَن يُوالي الكفرةَ فليس من ولايةِ الله في شيءٍ يقعُ عليه اسمُ الولاية، يعني: أنه منْسَلِخٌ من ولايةِ الله رأسًا، وهذا أمرٌ معقول فإنَّ موالاةَ الوليِّ وموالاةَ عدوِّه متنافيان، قال:

تـودُّ عَـــدُوّي ثُـم تَـزْعُـمُ أنّني   صديقُكَ ليس النَّوْكُ عنكَ بعَازِبِ

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾: إلَّا أن تخافوا من جِهَتِهم أمرًا يجب اتِّقاؤه.

قوله: (مندوحةً) المَنْدَح: المكان الواسع. والمَنْدُوحة: السَّعَة.

قوله: (تودّ عدوّي) البيت.[1] وبعده:

فليس أخـي مَـن ودّنـي رأيَ عينهِ   ولكنْ أخي مَن وَدّني[2] في المغائب[3]

"رأيَ" مصدر "رأى"، والمضاف محذوف، أي: وقتَ رؤية عينه إيّاي. والمغائب جمع المَغيبة، وهي: اسم الزمان.

قوله: (مِن جهتهم) هذا تفسير ﴿مِنْهُم﴾، يعني يكون ﴿مِنْهُم﴾ حالًا مِن ﴿تُقَىٰةً﴾ متقدّمة على ذي الحال.

قوله: (أمرًا) هذا تفسير ﴿تُقَىٰةً﴾.

---

[1] ر – البيت.

[2] ن ر – فليس أخي مَن ودّني رأي عينه ولكن أخي مَن ودّي.

[3] البيتان مختلف في نسبتهما: فهما لصالح بن عبد القدوس في حماسة البحتري، ص ٣٦٠؛ وفي ملحق ديوان بشار بن برد، ١٩/٤؛ وللعتابي في ربيع الأبرار للزمخشري، ٣٧١/١؛ وبلا عزو في أمالي القالي، ٨٣/١؛ والصداقة والصديق للتوحيدي، ص ٦٣؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ٤٤٨/٥.

وقرئ: ﴿تقِيَّةً﴾، قيل للمتَّقَى: تُقاةٌ وتَقيّةٌ، كقولهم: ضَرْبُ الأمير، لمضروبه.

رخَّص لهم في موالاتهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالاة: مخالَقةٌ ومعاشرةٌ ظاهرة والقلبُ مطمئنٌّ بالعداوة والبغضاء وانتظارِ زوالِ المانع من قَشْرِ العَصا؛ كقول عيسى عليه الصلاة والسلام: كن وَسطًا وامْشِ جانبًا.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ فلا تتعرَّضوا لسَخَطه بموالاةِ أعدائه، وهذا وعيدٌ شديد.

ويجوز أن يُضمَّنَ ﴿تَتَّقُواْ﴾ معنى: تحذروا وتخافوا، فيُعدَّى بـ"مِن" وينتصبُ ﴿تُقَىٰةً﴾ أو ﴿تقيةً﴾ على المصدر كقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران ١٠٢/٣].

﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾ من ولايةِ الكفَّار أو غيرِها مما لا يُرضي الله.

قوله: (وقُرئ: ﴿تَقِيَّةً﴾)[1] يقال: تَقِيتُه تُقًى وتُقاةً وتَقِيةً.

قوله: (مُخالَقةٌ) المخالَقة: هي المخالطة بالخُلُق. قيل: «خالِص المؤمن وخالِق الفاجر».[2]

قوله: (مِن قَشْر العصا) قَشَر له العصا، أي: أظهر له العداوة فـ"مِن" يتعلّق بـ(المانع).

قوله: (فيُعدّى بـ"مِن") فحينئذٍ يكون ﴿مِنْ﴾ متعلّقًا بـ﴿تَتَّقُواْ﴾، وعلى الأوّل كان متعلّقًا بمحذوف[3] حالًا مِن ﴿تُقَىٰةً﴾.

قوله: (على المصدر) وعلى الأوّل كان مفعولًا به.

---

[1] ن ر – على ذي الحال قوله: (أمرًا) هذا تفسير ﴿تُقَىٰةً﴾ قوله: (وقرئ: ﴿تقيّة﴾. | قرأ بها يعقوب. النشر لابن الجزري، ٢٣٩/٢.

[2] الصحاح للجوهري، «خلق»؛ أساس البلاغة للزمخشري، «خلص».

[3] ن ر – يكون مِن متعلّقًا بتتقوا وعلى الأوّل كان متعلّقًا بمحذوف.

﴿يَعْلَمْهُ﴾ ولم يَخْفَ عليه، ﴿وَ﴾ هو الذي ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لا يَخْفَى عليه منه شيءٌ قط، فلا يَخْفَى عليه سرُّكم وعَلَنُكم.

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو قادرٌ على عقوبتكم.

وهذا بيانٌ لقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ لأن نفسه -وهي ذاتُه المتميِّزةُ من سائر الذواتِ- متَّصفةٌ بعلمٍ ذاتيٍّ لا يختصُّ بمعلومٍ دون معلومٍ، فهي متعلِّقةٌ بالمعلومات كلِّها وبقدرةٍ ذاتيَّةٍ لا تختصُّ بمقدورٍ دون مقدورٍ، فهي قادرةٌ على المقدوراتِ كلِّها، فكان حقُّها أن تُحذَرَ وتُتَّقى فلا يَجسرُ أحدٌ على قبيحٍ ولا يقصر عن واجبٍ، فإنَّ ذلك مُطَّلَعٌ عليه لا محالةَ فلاحِقٌ به العقابُ، ولو عَلم بعضُ عبيدِ السلطان أنَّه أراد الاطِّلاع على أحواله، فوكَّل همَّه بما يُوردُ ويُصْدِرُ، ونَصَب عليه عيونًا وبَثَّ مَن يتجسَّسُ عن بواطنِ أموره، لأخَذ حِذْرهُ وتيقَّظ في أمره، واتَّقى كلَّ ما يَتوقَّعُ فيه الاسترابةَ به، فما بالُ مَن عَلم أنَّ العالمَ الذات الذي يَعلم السرَّ وأَخْفَى مُهَيمنٌ عليه وهو آمِن.

اللَّهم إنَّا نعوذ بك من اغترارنا بسِتْرك.

قوله: (وهذا بيانٌ) أي: قوله: ﴿إِن تُخْفُوا﴾... إلخ.

قوله: (فإنَّ ذلك) هو إشارة إلى القبيح والتقصير، وفيه حذف، أي: فإنَّ ذلك هو (مُطَّلع عليه)، وهو عائد إلى الله تعالى، هذا إذا رُوي بكسر "اللام"، وعلى الفتح لا حاجةَ إلى التقدير.

قوله: "فإنَّ ذلك"، أي: الجسارة والتقصير أو القبيح والواجب. ثمّ اعلم أنَّ الوجه فَتْح "اللام"، إذ لو كُسر لكان صفةً جارية على غير مَن هي له ويجب إبراز الضمير.

قوله: (الاسترابة)[١] مبالغة في الإرابة. يقال: رابه الدهر وأرابه، أي: أقلقه وأصاب به ما جَعَله قَلِقًا مضطَّربًا، واسترابه إذا بالغ في ذلك، فكأنَّه يُريبه ويطلب مِن نفسه الزيادة.

---

[١] ر + وهي.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ منصوبٌ بـ﴿تَوَدُّ﴾، والضمير في ﴿وَبَيْنَهُۥٓ﴾ لليوم؛ أي: يومَ القيامة حين تجدُ كلُّ نفسٍ خيرَها وشرَّها حاضرَيْن تتمنَّى لو أن بينَها وبين ذلك اليوم وهَوْله أَمَدًا بعيدًا.

ويجوز أن ينتصب ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ بمضمرٍ نحو: اذكُر، ويقع على ﴿مَا عَمِلَتْ﴾ وحده، ويرتفع ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾ على الابتداء و﴿تَوَدُّ﴾ خبره؛ أي: والذي عملَتْه من سوءٍ تودُّ هي لو تباعَدَ ما بينها وبينه، ولا يصحُّ أن تكون "ما" شرطيَّةً؛ لارتفاع ﴿تَوَدُّ﴾.

فإن قلتَ: فهل يصحُّ أن تكون شرطيَّةً على قراءةِ عبد الله: "ودَّتْ".

قوله: **(حين تَجِد)**[1] بدل مِن **(يوم القيامة)**.[2]

قوله: **(أمدًا)** الأمد: الغاية، كالمدى.

قوله: **(ويقع على ﴿مَا عَمِلَتْ﴾ وحدَه)** أي: على ما عمِلتَ مِن خير فحسب. وعلى الوجه الأوّل يقع على ما عمِلتْ مِن خير وعلى ما علمت مِن سوء معًا.

قوله: **(ويرتفع ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾)** أي: وما عملت مِن سوء. وعلى هذا الوجه الضمير في ﴿بَيْنَهُۥ﴾ لِـ﴿مَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ كما أشار إليه، لا لـ"اليوم"[3] وإلّا لبقي المبتدأ بلا عائد.

قوله: **(ولا يصحّ)**... إلخ، قيل: وفي قوله: "ولا يصحّ" نظرٌ؛ لأنّه إذا كان الشرط ماضيًا والجزاء مضارعًا يصحّ فيه الجزم والرفع.[4] وجوابه أنّه لو كان[5] لقرأ البعض بالجزم لأنّه المختار. هذا الكلام صحيحٌ، لكن النظر وارد على تعليله. وقوله: **(لارتفاع ﴿تَوَدُّ﴾)** أي: لارتفاع ﴿تَوَدُّ﴾ باتّفاق جميع القرّاء، يعني لو كان ﴿مَا﴾ شرطيّة لقرأ بعضهم بجزم ﴿تَوَدُّ﴾ لأنّه الأفصح، ولا يجوز اتّفاق القرّاء على غير الأفصح.

---

[1] ن ر – (حين تجد).
[2] ن – القيامة.
[3] ن: للقوم.
[4] انظر: التبيان للعكبري، ١/٢٥٢.
[5] في هامش د: أي: للشرط.

استبعادٌ لتولِّيهم بعد عِلمهم بأنَّ الرجوعَ إلى كتابِ الله تعالى واجبٌ.

﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾، أي: وهم قومٌ لا يزال الإعْراضُ دَيدَنَهم.

وقرئ: ﴿لِيُحْكَمَ﴾ على البناء للمفعول.

والوجهُ: أن يُراد ما وقع من الاختلافِ والتعادِي بَيْنَ مَن أسلمَ مِن أحْبارهم وبينَ مَن لم يُسلمْ، وأنهم دُعُوا ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ الذي لا اختلافَ بينهم في صحته وهو التوراةُ ﴿لِيَحْكُمَ﴾ بينَ المحقِّ والمُبْطِلِ منهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين لم يُسلموا، وذلك أن قوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ يقتضي أن يكون اختلافًا واقعًا فيما بينهم، لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ التولِّي والإعْراضُ بسببِ تسْهيلِهم على أنفسهم أمرَ العقاب، وطمَعهم في الخروج من النار بعد أيامٍ قلائلَ ....

[٢٥١و] واقعًا فيما بينهم، لا فيما بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم).[١]

قوله: (**استبعاد**) هذا بيان معنى (﴿ثُمَّ﴾).

قوله: (**والوجهُ أن يُراد**) عطف على قوله: (**وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم**).[٢]

قوله:[٣] (**وذلك أنّ قوله**) أي: إنّما قلنا: الوجهُ أن يُراد... إلخ، "لأنّ قوله: (﴿لِيَحْكُمَ﴾). ولمَن قال: المرادُ الاختلاف بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٤] أن يقول: إنّ قوله: (﴿يُدْعَوْنَ﴾) يدلُّ على الداعي، فكأنّه قيل: ليحكم بين الداعي والمدعوِّين.

قوله: (**أن يكون اختلافًا**) أي: يكون الاختلاف اختلافًا.

---

١ د: عليه السلام.
٢ د – صلّى الله عليه وسلّم.
٣ ن: قال.
٤ د: عليه السلام.

كما طمِعَتْ المجبِرةُ والحَشْويَّة.

﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ من أنَّ آباءهم الأنبياءَ يَشفعون لهم؛ كما غرَّتْ أولئك شفاعةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في كبائرهم.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾: فكيف يصنعون؟ فكيف تكونُ حالُهم؟ وهو استعظامٌ لِمَا أعَدَّ لهم وتهويلٌ لهم، وأنهم يقعون فيما لا حيلةَ لهم في دفعهِ والمخْلَصِ منه، وأن ما حدَّثوا به أنفسَهم وسهَّلوه عليها تَعلُّلٌ بباطلٍ وتطمُّعٌ بما لا يكون.

وروي أن أوَّلَ رايةٍ تُرفع لأهلِ الموقف من رايات الكفَّار رايَةُ اليهود، فيَفْضحُهم الله على رؤوس الأشهاد ثم يأمُر بهم إلى النَّار.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يرجعُ إلى ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ على المعنى؛ لأنه في معنى: كلُّ الناس؛ كما تقول: ثلاثة أنفسٍ، تريد: ثلاثة أَناسيَّ.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

الميم في ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ عوضٌ من "يا" ولذلك لا يجتمعان، وهذا بعضُ خصائص هذا الاسم؛ كما اختصَّ بالتاء في القسَم، وبدخول حرف النداء عليه

قوله: (كما طمعتْ)، (كما غرَّتْ) فاسدٌ؛ لأنَّ طمع الكافرين الخروج مِن النار لا يكون كطمع المؤمنين ولا توقعهم الشفاعة كتوقُّعهم، وقد قال عليه السلام: «شفاعتي لأهل الكبائر مِن أمَّتي».[1]

قوله: (يرجع) أي: الضمير وهو ﴿هُمْ﴾ و"الواو" في ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾.

قوله: (وهذا) أي: التعويض مِن حرف النداء. وقوله: (كما اختصَّ) متعلِّق بقوله: (خصائصِ) مِن حيث المعنى، كأنَّه قيل: هذا بعض ما اختصَّ به

[1] مسند أحمد، ٤٣٩/٢٠ (١٣٢٢٢)؛ سنن أبي داود، ١١٩/٧ (٤٧٣٩)؛ سنن الترمذي، ٢٠٣/٤ (٢٤٣٦).

ورغبتِهم فيها، ومَحبَّةُ الله عبادَه أن يَرْضَى عنهم ويَحْمَد فِعْلَهم، والمعنى: ﴿إِن كُنتُمْ﴾ مريدينَ لعبادة الله على الحقيقة ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ حتى يصحَّ عنكم ما تدَّعونه من إرادةِ عبادته يرضَ عنكم ويغفرْ لكم.

وعن الحسن: زعم أقوامٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبُّون الله، فأراد أن يَجْعلَ لقولهم تصديقًا من عملٍ، فمَن ادَّعى مَحبَّتَه وخالفَ سنَّةَ رسوله فهو كذَّاب، وكتابُ الله يكذِّبُه.

وإذا رأيتَ مَن يذكر محبَّةَ الله ويُصفِّقُ بيَدَيْهِ مع ذكرِه ويَطْرَبُ ويَنْعَرُ ويصعَقُ، فلا تشكَّ في أنه لا يَعرفُ ما اللهُ ولا يدري ما محبَّةُ الله، وما تصْفيقُه وطربُه ونَعْرتُه وصَعْقَتُه إلَّا لأنه تصوَّر في نفسه الخَبيثَةِ صورةً مستَمْلَحة مُعَشَّقَةً فسَمَّاها اللهَ بجَهْلِه ....

قوله: (يرضَ) مجزوم لأنّه جواب الأمر.

قوله: (وعن الحسن) أي: البصري.

قوله: (فأراد) أي: فأراد الله.

قوله: (أن يجعل) أي: يبيِّن.

قوله: (تصديقًا)،[١] أي: برهانًا.

قوله: (فمَن ادّعى) هو مِن كلام المصنِّف.

قوله: (ما الله) أي: ما جلالةُ الله وعظمته، كقوله عليه السلام لذلك الأعرابي: «ويحك أتدري ما الله»...[٢] الحديث.

قوله: (وما تصفيقُه وطربه)... إلخ، قال الإمام: «خاض صاحب الكشّاف في هذا المقام في الطعن في أولياء الله، وكتب ههنا ما لا يليق بالعاقل أن يكتب مثلَه في كُتب الفُحش، فهب أنّه اجترأ على الطعن في أولياء الله فكيف اجترأ

---

[١] جامع البيان للطبري، ٣٢٥/٥ (آل عمران، ٣١/٣)؛ تفسير ابن أبي حاتم، ٦٣٣/٢ (آل عمران، ٣١/٣).

[٢] بلفظ قريب في تفسير ابن أبي حاتم، ٦١/١ (البقرة، ٢٢/٢).

ودَعارته، ثم صَفَّق وطَرِبَ ونَعَر وصعِق على تصوُّرها، وربَّما رأيتَ المنيَّ قد مَلأ إزارَ ذلك المحِبِّ عند صَعْقته، ....

على كَتْبه ذلك الكلام الفاحش في تفسير كلام الله المجيد، ونسأل الله العصمة والهداية».[١] هذا كلام الإمام فخر الدين الرازي[٢] في تفسيره.

ويقول: أضعف عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربردي: لا ينبغي أن يُحمَل هذا الكلام مِن المصنّف على الطعن في أولياء الله، وهم العلماء العاملون المسمَّون بالمشايخ، فإنّه[٣] يذكرهم في كتابه هذا بأفضل ذِكر، ولكنّه طعن فيمَن ذَكَره أوّلًا بأنّه ادّعى محبّة الله[٤] وخالف سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،[٥] فهو كذّاب يكذّبه كتاب الله تعالى. ثمّ ذَكَره ثانيًا بالتصفيق باليدين والطرب والنَّعْرة[٦] والصعق عند ذِكر محبّة الله تعالى، وهؤلاء ليسوا مِن أولياء[٧] الله[٨] في شيء، فإنّهم لا يفعلون شيئًا مِن ذلك. وأمّا ذِكر ذلك الكلام في كتابه فلِيَذكر الفاجرَ بما فيه ليجتنبه الناس ولا يغتروا بهم وبأفعالهم، فإنّهم يُغوون الناس وأيضًا فذِكر هذه الأشياء منهم مثل قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت ٢٩/٢٩] وأشباهه. وقوله: (ما تصفيقه) ابتداء الكلام[٩] وما فيه للنفي والاستثناء / متعلّق به فقوله: (وما تصفيقُه)...[١٠] إلخ، جملة معطوفة على جملة قوله: (وإذا رأيتَ)... إلخ. [٢٥٢ظ]

قوله: (ودَعَارتِه) «الدَّعَر[١١] مصدر قولك: دَعِر العُود يدعَر دَعَرًا فهو عود دَعِرٌ،[١٢] أي: رديء كثير الدخان. ومنه أُخِذت الدَّعارة. ومنه[١٣] الخُبث والفِسق».[١٤]

١ **تفسير الرازي**، ١٩/٨ (آل عمران، ٣١/٣).
٢ ن – الرازي.
٣ ر: فإنّهم.
٤ ن + تعالى.
٥ د: عليه السلام.
٦ النَّعْرة: صوت في الخيشوم. **لسان العرب** لابن منظور، «نعر».
٧ ر: الأولياء.
٨ ن ر – الله.
٩ ن: كلام.
١٠ ر – ابتداء الكلام وما فيه للنفي والاستثناء متعلّق به فقوله: (وما تصفيقه).
١١ ر: الدعارة.
١٢ ن ر – فهو عود دعر.
١٣ في مطبوع **الصحاح**: وهي.
١٤ **الصحاح** للجوهري، «دعر».

وحمقى العامّة حوالَيْه قد ملؤُا أَرْدانَهم بالدمُوعِ لِمَا رَقَّقَهم من حاله.

وقرئ: "تَحِبُّون"، و: "يَحْبِبْكم" و: "يَحِبَّكم" من حَبَّه يَحِبُّه، قال:

أَحِبُّ أَبا ثَـرْوانَ من حبِّ تَمْرِهِ وأَعْلَمُ أن الرِفْقَ بالجارِ أَرْفَقُ

وواللهِ لولا تَمْرُه ما حَبَبْتُه ولا كان أَدْنى من عُبَيْدٍ ومُشرِقِ

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٢ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٣﴾

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ يَحتمِل أن يكون ماضيًا، وأن يكون مضارعًا بمعنى: فإن تَتولَّوا، ويدخل في جملةِ ما يقول الرسول لهم.

"آلُ إبراهيم": إسماعيلُ وإسحاقُ وأولادُهما.

و"آلُ عمران": موسى وهارونُ ابنا عمرانَ بن يَصْهَرَ، وقيل: عيسى ومريمُ بنتُ عمرانَ بن ماثان، وبين العِمرانين ألفٌ وثمان مئة سنةٍ.

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣٥﴾

قوله:

(ولا كان أدنى مِن عُبيد ومُشرِقِ)[1]

فيه الإقواء، وهو مِن عيوب القوافي. و"عُبيد ومُشرِق": أبناء الشاعر. و"أدنى"، أي: أقرب.

قوله: (ويدخل في جملة) أي: على تقدير أن يكون[2] ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ مضارعًا لكونه للخطاب حينئذٍ.

---

[1] الشعر لعَيلان بن شجاع النهشلي في لسان العرب لابن منظور، «حبب»؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي، ١١٧/٦؛ وهو بلا عزو في الألفاظ لابن السكّيت، ص ٣٣٨؛ وشرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ٣٠١؛ والصحاح للجوهري، «حبب»؛ وشرح المفصَّل لابن يعيش، ١٣٨/٧. وقد يرد اسم الشاعر في بعض المطبوعات بالغين المعجمة، وهو تصحيف، وضبطه البغدادي بالعين المهملة ضبط عبارة.

[2] ن + قوله.

و﴿ذُرِّيَّةً﴾ بدلٌ من ﴿آلَ إبراهيم وآلَ عمران﴾.

﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ يعني: أنَّ الآلَيْن ذريَّةٌ واحدةٌ متسلسِلةٌ بعضُها متشعِّبٌ من بعض: موسى وهارونُ مِن عمرانَ، وعِمرانُ مِن يَصْهَرَ، ويَصْهَرُ مِن قاهَثَ، وقاهثُ مِن لاوَى، ولاوَى مِن يعقوبَ، ويعقوبُ مِن إسحاقَ.

وكذلك عيسى بنُ مريم بنتِ عمرانَ بنِ ماثان، وكان من نسل سليمان بن داود بن إيشى بن يهوذَا بن يعقوب بن إسحاق، وقد دخل في "آل إبراهيم" رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: ﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ في الدِّين؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة ٦٧/٩].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: يعلمُ مَن يَصْلُح للاصطفاء، أو يعلمُ أن بعضهم مِن بعضٍ في الدِّين، أو: سميعٌ عليمٌ لقولِ امرأةِ عمران ونيَّتِها، و﴿إِذْ﴾ منصوبٌ به،

قوله: (﴿ذُرِّيَّةً﴾) ذرأ الله الخلقَ يذرأه ذرأً. ومنه الذُّرِّيّة لنسل الثقلين، إلّا أنّ العرب تركتِ "الهمزة" فيه.

قوله: (ماثان بن سليمان) هذه فرجة أوقعها بين "ماثان وسليمان"، وكذلك بين "إيشى ويهوذا" لكثرة الآباء بينهم لم يذكرها، بين ماثان وسليمان قومٌ لم يذكرهم وبين إيشى ويهوذا كذلك، يريد أنّه يتّصل ماثان بسليمان وإيشى بيهوذا. والحاصل أنّه يتّصل نَسَب عيسى أيضًا بيهوذا بن يعقوب بن إسحاق.

قوله: (رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)[١] لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٢] مِن أولاد إسماعيل بن إبراهيم، وقد ذكر أنّ آل إبراهيم إسماعيلُ وإسحاقُ وأولادهما.

قوله: (و﴿إِذْ﴾ منصوب به) أي: منصوب على الظرف، والتقدير: سميعٌ عليم لقول امرأة عمران ﴿إِذْ قَالَتِ﴾، فالمفعول به محذوف مِن قوله تعالى: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وهو قوله: (لقول امرأة عمران)[٣] كما بيّنّا.

---

١ د: عليه السلام.
٢ د: عليه السلام.
٣ ن ر - ﴿إِذْ قَالَتِ﴾ فالمفعول به محذوف مِن قوله تعالى: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وهو قوله لقول امرأة عمران.

وقيل: بإضمار: اذكر.

و﴿ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾: هي امرأة عمران بنِ ماثان أمّ مريم البتُولِ، جدةُ عيسى عليه السلام، وهي حنَّةُ بنتُ فاقوذَ.

وقوله: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾ على إثرِ قوله ﴿وَءَالَ عِمۡرَٰنَ﴾ ممّا يرجِّح أن عمران هو عمرانُ بن ماثان جدُّ عيسى عليه السلام، والقولُ الآخر يُرجِّحه أن موسى يُقْرنُ بإبراهيم كثيرًا في الذِّكر.

فإن قلتَ: كانت لِعمْران بنِ يَصْهَرَ بنتٌ اسْمها مريمُ أكبرُ من موسى وهارون، ولعمران بنَ ماثان مريمُ البتُولُ، فما أَدْراكَ أنَّ عمران هذا هو أبو مريمَ البتولِ دون عمران أبي مريم التي هي أختُ موسى وهارون.

قلتُ: كفى بكفالةِ زكريَّا دليلًا على أنّه عمرانُ أبُو البتولِ؛ لأنَّ زكريا بنَ آذنَ وعِمرانَ بنَ ماثان كانا في عَصْرٍ واحدٍ، وقد تزوَّج زكريا بنْتَه إيشاع أختَ مريم، فكان يحيى وعيسى صلى الله عليهما وسلم ابني خالةٍ.

قوله: (**البتول**)[1] «البتول[2] مِن النساء: العذراء[3] المنقطعة مِن الأزواج. ويقال: هي المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا».[4]

قوله: (**ممّا يُرجِّح**) لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ﴾. وإنّما قلنا: إنّه يرجّحه لأنّ عِمران بن ماثان هو أبو مريم البتول.

قوله: (بنته[5] **إيشاع أخت مريم**) وإيشاع عطف بيان لقوله: (**بنته**). وقوله: (**أخت مريم**) صفة إيشاع. هذا الكلام يدلّ على أنّ إيشاع ومريم بنتا عمران، لكنّ مريم مِن حنّة وإيشاع مِن غيرها، لِما ذُكر أنّ حنّة كانت عاقرًا لم تلد إلى أن عجّزَتْ، وإيشاع كانت أكبر سنًّا مِن مريم لِما سيجيء. ثمّ قال في الصفحة الآتية: (**فقال لهم زكريا: أنا أحقّ بها، عندي خالتها**)، فتكون إيشاع أخت مريم وخالتها،

---

[1] ن: السوال.
[2] ن ر - البتول.
[3] ن: العذر.
[4] الصحاح للجوهري، «بتل».
[5] ن - بنته.

رُوي أنَّها كانت عاقرًا لم تَلِدْ إلى أن عجَّزتْ، ....

وذلك بأن نقول: كان عمران تزوّج أمّ حنّة قبل ذلك فولدت إيشاع، وكانت حنّة ربيبته، ثمّ تزوّج[1] حنّة بعد ذلك بناء على أنّه كان جائزًا في شريعتهم، فولدت مريم، فتكون إيشاع أخت مريم مِن الأب وخالتَها أيضًا، وهذا يُوافق قوله في[2] الورقة الآتية: (**رَغِب في أن يكون له مِن إيشاع ولدٌ مِثل ولد أختها**)، فذَكَر أنّ حنّة أخت إيشاع، فتكون حنّة وإيشاع أختين مِن الأمّ.[3] وكذا يُوافِق قوله: (**فقد كانت أختُها كذلك**).

وفي **نسخة الفاضل شمس الدين المُعزّي** رحمه الله[4] في الورقة الأولى: (**عندي[5] أختها**)[6] بدل "خالتها" وهو ظاهر. وفي الورقة الثانية: (**أمّها**)[7] بدل "أختها" في الموضعين، وهو يقتضي أن تكون حنّة أمّ إيشاع، وهذا يُخالِف ما ذكر مِن أنّها كانت عاقرًا لم تلد إلى أن عجّزت، مع أنّ إيشاع أكبر سنًّا مِن مريم. وإنّما قلنا: إنّها أكبر سنًّا؛ لأنّها كانت تحت زكريا حين / اقترع الأحبار في مريم. [٢٥٣و]

والحاصل أنّ مريم وإيشاع أختان مِن الأب لأنّهما ابنتا عمران وأنّ إيشاع خالة مريم، لأنّ إيشاع وحنّة بنتا امرأة واحدة، لكنّ[8] إيشاع بنتُ عمران وحنّةَ ربيبتُه، ثمّ إنّ حنّة[9] أمّ مريم.

قوله: (**رُوي أنّها كانت عاقرًا**) متعلّق ومرتبط بقوله: (**امرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان**) إلى قوله: (**فاقوذ**)، وباقي الكلام بينهما كالجملة المعترضة. وقوله: "أنّها"، أي: إنّ امرأة عمران.

قوله: (**إلى أنّ عجّزت**) عجّزت[10] المرأة: صارت عجوزًا.

---

[1] ن ر – أمّ حنّة قبل ذلك فولدت إيشاع، وكانت حنّة ربيبته ثمّ تزوّج.
[2] ن ر: من.
[3] ر: الأب.
[4] د – رحمه الله؛ ن + تعالى.
[5] ر: عند.
[6] ن ر – أختها.
[7] ن: أنها.
[8] ر: لأنّ.
[9] ن ر – ثمّ إنّ حنّة.
[10] ن ر – عجّزت.

فبينا هي في ظلِّ شجرة بَصُرَتْ بطائر يُطعِم فرخًا له، فتحركت نفسُها للولد وتمنَّته فقالت: اللَّهُمَّ إنَّ لك عليَّ نذرًا شكرًا إنْ رزقتني ولدًا أن أتصدَّقَ به على بيت المقدس فيكونَ من سَدَنَتِهِ وخدمِهِ، فحملت بمريم وهلكَ عمرانُ وهي حامل.

﴿مُحَرَّرًا﴾؛ أي: مَعْتَقًا لخدمة بيت المقدس، لا يَدَ لي عليه ولا أستخدمُه ولا أشغلُه بشيءٍ، وكان هذا النوعُ من النذر مشروعًا عندهم.

وروي: أنهم كانوا ينذرون هذا النذرَ، فإذا بلغَ الغلامُ خُيِّر بين أن يَفعلَ وأنْ لا يفعل.

وعن الشعبي: ﴿مُحَرَّرًا﴾: مخلَصًا للعبادة.

وما كان التحريرُ إلَّا للغلمان، وإنّما بَنَتِ الأَمْرَ على التقدير، أو طلبتْ أن تُرزقَ ذكرًا.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الضمير لـ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾ وإنما أنّثَ على المعنى؛ لأن ما في بطنها

قوله: (شكرًا) مفعول له. وقوله: (أن أتصدّق) بدل مِن قوله: (نذرًا).

قوله:[1] (مِن سَدَنته) أي: ممّن[2] يخدم بيت المَقدِس. والسادن: خادم الكعبة. قال في الصحاح: «السادن: خادم الكعبة وبيت الأصنام، والجمع السَّدَنة. وقد سدَن يسدُن سدنًا وسدانةً».[3]

قوله: (وإنّما بَنَت الأمرَ) أي: حنّة. وقوله: (على التقدير) أي: على تقدير الذُّكوريّة.

قوله:[4] (الضمير لـ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾) اعلم أنّ الصواب أن يقال: الضمير لِما دلّ عليه قوله: ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾، فكأنّه قيل: "فلمّا وضعَتْ ما في بطنها"، ولو عاد الضمير

---

١ ن ر – (نذرًا) قوله.

٢ ر: مَن.

٣ الصحاح للجوهري، «بتل».

٤ ن ر – (وإنّما بنت الأمرَ) أي: حنّة وقوله: (على التقدير) أي: على تقدير الذكورية. قوله.

كان أنثى في علم الله، أو على تأويل الحَبَلةِ أو النَّفْسِ أو النَّسَمةِ.

فإن قلتَ: كيف جاز انتصابُ ﴿أُنثَىٰ﴾ حالًا من الضمير في ﴿وَضَعْتُهَا﴾ وهو كقولك: وضَعْتُ الأنثى أنثى.

قلتُ: الأصل: وضعتُه أنثى، وإنما أنَّثَ لتأنيث الحال -لأن الحال وذا الحالِ كشيءٍ واحد- كما أُنِثَ الاسم في ﴿ما كانَتْ أُمُّكِ﴾ [مريم ٢٨/١٩] لتأنيثِ الخبر، ونظيرُه قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [النساء ١٧٦/٤]، وأمَّا على تأويل الحبَلة والنَّسمة فهو ظاهرٌ؛ كأنه قيل: إني وضعْتُ الحبَلةَ أو النَّسمة أنثى.

فإن قلتَ: فلِمَ قالت: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ وما أرادَتْ إلى هذا القول؟

إلى ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾ كان المعنى "فلمّا وضعتُ ما في بطني"،[1] ولا يخفى فساد المعنى حينئذٍ.

قوله: (**لتأنيث الخبر**) أي: مِن مذكَّر ومع ذلك أنِّث[2] الاسم لتأنيث الخبر. وعكسه قوله تعالى للشمس: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام ٧٦/٦] لتذكير الخبر.

قوله: (**ونظيره قوله تعالى**:[3] **﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾** [النساء ١٧٦/٤]) لمَا كان الخبر مثنًّى جاز تثنية الاسم، ولم يسبق إلّا المفرد وهو قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾، ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء ١٧٦/٤].

قوله: (**وما أرادتْ**[4] **إلى هذا القول؟**) إذا فعل بعضُهم فِعلًا[5] لا يُعلَم غرضه يقال له: ما أردتَ إلى هذا؟ أي: أيّ شيء وأيّ معنى أدّاك إلى هذا؟ ويجوز أن يكون "إلى" مِن صلة فعل محذوف، أي: ما أرادتْ ذاهبة أو مائلة

---

١ ر - فكأنّه قيل: فلمّا وضعت ما في بطنها ولو عاد الضمير إلى ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾ كان المعنى فلمّا وضعت ما في بطني.

٢ ر: أثبت.

٣ ر - للشمس: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ لتذكير الخبر قوله: ونظيره قوله تعالى.

٤ ر + قوله: وما أرادت.

٥ ن: هذا.

قلتُ: قالته تَحسُّرًا على ما رأت من خَيْبةِ رجائها وعكسِ تقديرها، فتحزَّنَتْ إلى ربّها؛ لأنها كانت ترجو وتقدِّر أن تلد ذكرًا، ولذلك نذرَتْه محرَّرًا للسَّدَانة، ولتكلُّمها بذلك على وجه التحسُّر والتحزُّن قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ تعظيمًا لموضوعها، وتجهيلًا لها بقَدْرِ ما وهب لها منه، ومعناه: والله أعلمُ بالشيء الذي وضعَتْ، وما عَلَّق به من عظائم الأمور، وأن يَجعلَه وولدَه آيةً للعالَمين، وهي جاهلةٌ بذلك لا تَعلم منه شيئًا فلذلك تحسَّرت.

إلى هذا القول.[١] ما أردتَ إلى ما قلتَ، يعني: ما أردتَ بما قلتَ، أي: أيش أنهيتَ مِن إرادتك إلى هذا القول؟[٢]

قوله: (**خَيبةِ رجائها وعكسِ تقديرها**) اعلم أنّه إنّما ذَكَر هذين اللفظين بناء على قوله: "بنتِ الأمر على التقدير أو طلبت أن ترزق ذكرًا".

قوله: (**ولذلك**) أي: لرجائها وتقديرها.

قوله: (**لموضوعها**) الموضوع المولود وهي مريم، والضمير في موضوعها لأمّ مريم وهي حنّة. وقوله: (**وتجهيلًا لها**)،[٣] أي: تجهيلًا لها، أي: لأمّ مريم بقدر موضوعها. وقوله: (**ما وُهِب لها**) أي: لأمّ مريم. وقوله: (**منه**) بيان ما وُهب والضمير في منه يعود إلى الموضوع.[٤]

قوله: (**وما علَّق به**) الضمير العائد إلى "ما" محذوف، والضمير المجرور يعود إلى "الشيء" و"ما" عطفٌ على الشيء، أي: والله أعلم بما علَّقه بالشيء الذي علَّقه. والضمير في "علَّق" يعود إلى الله تعالى.

قوله: (**وأن يجعله**) أي: يجعل الله الموضوع وهو مريم، وولد الموضوع[٥] وهو عيسى عليه السلام.[٦]

---

[١] ن ر + أو ما أردت ذاهبًا أو مائلًا إلى هذا القول. | وهو تعليق في هامش د.

[٢] ر – ما أردت إلى ما قلتَ يعني ما أردت بما قلت، أي أيش أنهيت مِن إرادتك إلى هذا القول.

[٣] ر – لها.

[٤] ن ر – والضمير في منه يعود إلى الموضوع.

[٥] ن ر – وهو مريم وولد الموضوع.

[٦] د – عليه السلام.

وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنه: "والله أعلَمُ بما وضَعْتِ" على خطاب الله لها؛ أي: إنَّكِ لا تعلَمين قَدْرَ هذا المَوْهوبِ وما عَلم الله من عِظم شأنه وعلوِّ قَدْره.

وقرئ: ﴿وضعْتُ﴾، بمعنى: ولعلَّ للهِ فيه سرًّا وحكمةً، ولعلَّ هذه الأُنثى خيرٌ من الذَّكَر؛ تسليةً لنفسها.

فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾؟

قلتُ: هو بيانٌ لِمَا في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ من التعظيمِ للموضوع والرَّفعِ منه، ومعناه: وليس الذكَر الذي طلَبَتْ كالأنثى التي وُهِبَتْ لها، واللام فيهما للعهد.

فإن قلتَ: علام عُطف قوله: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾؟

قلتُ: هو عَطْفٌ على ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ وما بينهما جملتان معترِضتان؛ كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة ٧٦/٥٦].

قوله: **(وقُرئ: ﴿وَضَعْتُ﴾)**[1] في السبعة.

قوله: **(تسليةً) مفعول له لفعل محذوف، أي: قالتْه تسليةً. ويجوز أن يتعلّق بقوله: "معنى"، فكأنّه قال: عنيتُ تسليةً.**

/ قوله: **(ومعناه)**... إلخ، لأنّها طلبتْ ذَكرًا يكون مِن سَدَنة بيت المَقدِس، والله تعالى وهَبها[2] أنثى[3] هي آية للعالمين. [٢٥٣ظ]

قوله: **(واللام فيهما للعهد)** أي: في "الذَّكر" و"الأنثى".

قوله: **(كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة ٧٦/٥٦])**. فقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾... إلخ، جملتان معترضتان بين ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ [الواقعة ٧٥/٥٦] وبين جوابه وهو ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ﴾ [الواقعة ٧٧/٥٦].

---

١ قرأ بها ابن عامر وأبو بكر ويعقوب. السبعة لابن مجاهد، ص ٢٠٤؛ النشر لابن الجزري، ٢٣٩/٢.

٢ ن – وهبها.

٣ ن: انتهى.

فإن قلتَ: فلمَ ذَكَرتْ تسمِيَتَها مريمَ لربِّها؟

قلتُ: لأن المريم في لغتهم بمعنى: العابدة، فأرادت بذلك التقرُّبَ والطلبَ إليه أن يَعصِمَها حتى يكون فعلُها مطابقًا لاسمها، وأن يَصْدُقَ فيها ظنُّها بها، ألا تَرى كيف أتبَعه طلبَ الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه.

وما يُروى من الحديث: «ما مِن مولودٍ يُولد إلَّا والشيطانُ يَمسُّه حين يولدُ فيستهلُّ صَارِخًا من مسِّ الشيطان إيَّاه إلَّا مريمَ وابنها» فالله أعلمُ بصحته، فإن صحَّ فمعناه: ....

قوله:" **(لربِّها)** أي: مع ربِّها.

قوله: **(التقرُّبَ والطلبَ إليه)**... إلخ، التقرُّب والطلب متوجِّهان مِن حيث المعنى إلى[1] قوله: "إليه" وإلى قوله: **(أن يعصمَها)** وفيه لفٌّ ونشر، أي: التقرُّب إليه تعالى والطلب أن يعصمها.

قوله:[2] **(كيف أتبعه)** أي: الله[3] أتبعه[4] طلب أمّ مريم الإعاذة لمريم ولولدها.[5]

قوله: **(فإن صحّ)** واعلم أنّ هذا الحديث صحيح ثبت صحته عند أئمّة الحديث.[6]

قوله: "واستهلالُه تخييلٌ" جوابُ[7] سؤال، وهو أن يقال: إن كان المراد بمسِّ الشيطان ما ذكرتَ فما معنى قوله عليه السلام: «فيستهلّ صارخًا»؟ فأجاب بأنّه تخييل وتصوير... إلخ، يعني أنّ ذلك استعارة تخييليّة، وتقريره أن تقول:[8] الاستعارة التخييليّة تكون تابعة للاستعارة بالكناية،[9] فالمولودُ الذي يطمع الشيطان في إغوائه شُبِّه بمَن يمسّه عدوّه ويضربه بيده، ثمّ ذَكَر المولود وأريدَ الممسوس المضروب بطريق الاستعارة بالكناية، ولا بدّ للاستعارة بالكناية[10] مِن قرينة،

---

[1] ن ر: من.

[2] ن - (أن يعصمها) وفيه لفٌّ ونشر، أي: التقرّب إليه تعالى والطلب أن يعصمها. قوله.

[3] ن - الله.

[4] ر - أي: الله أتبعه.

[5] ن ر: ولدها.

[6] الحديث في **صحيح البخاري**، ١٦٤/٤ (٣٤٣١)؛ و**صحيح مسلم**، ١٨٣٨/٤ (٢٣٦٦).

[7] ن - جواب.

[8] ر: يقال إن.

[9] انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٨٧.

[10] ر - ولا بدّ للاستعارة بالكناية.

أن كلَّ مولود يطمَعُ الشيطان في إغوائه إلَّا مريم وابنها فإنهما كانا معصومَين، وكذلك كلُّ مَن كان في صفتهما؛ كقوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص ٣٨/٨٢-٨٣]، واستهلالُه صارخًا من مسِّه تخييلٌ وتصوير لطمعِهِ فيه؛ كأنَّه يَمسُّه ويضرب بيده عليه ويقول: هذا ممن أُغْويه، ونحوُه من التخييل قولُ ابن الرُّوميّ:

لِمَا تُـؤذِنُ الدنيا بـه من صُروفها ... يكونُ بكاءُ الطِّفلِ ساعَةَ يُولَدُ

وأما حقيقةُ المسِّ والنَّخْس كما يَتوهَّمُ أهلُ الحشو فكلَّا، ولو سُلِّط إبليس على الناس يَنْخَسُهم لَامتلأتِ الدنيا صُراخًا وعِيَاطًا مما يَبْلونا به من نَخْسه.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾

وهي لازمٌ مِن لوازم المشبّه به المختصّة به وهو الاستهلال عند مسّه وضربه لتأذّيه وتألّمه، فقيل: "يستهلّ[1] صارخًا" لتكون قرينة للاستعارة.[2]

قوله:

(لِما تُـؤذِن الدنيا به مِن صروفها ... يكون بكاءُ الطفل ساعةَ يُولَدُ)

بعده:

وإلّا فـمَـا يبكيه[3] منها وإنّـها ... لأوسَــع مـمّـا كـان فيه وأرغَــدُ

إذا أبصـر الـدنـيا استهـلّ كـأنّه ... بما سوف يلقى مِن أذاها يُهـدَّدُ[4]

قوله: (عِياطًا)[5] عوّط:[6] استصرخ، ويقول: أَعَوْناه.

---

١ ن - المختصّة به وهو الاستهلال عند مسّه وضربه لتأذّيه وتألّمه فقيل: يستهلّ.

٢ ن: الاستعارة.

٣ ن: سكبه.

٤ الأبيات لابن الرومي في ديوانه ٢/٥٨٦. والصروف جمع صَرْف، وهي: نوائب الدهر وحدثانه. الصحاح للجوهري، «صرف».

٥ في هامش د: أي: صياحًا؛ ن ر: عياضًا.

٦ ن ر: عوض.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾: فرضي بها في النذر مكان الذَّكَر.

﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون القبولُ اسمَ ما يُقبَل به الشيء؛ كالسَّعُوط واللَّدُود لِمَا يُسْعَط به ويُلَدُّ، وهو اختصاصُه لها بإقامتها مُقام الذَّكر في النَّذر، ولم تُقبَل قبلَها أنثى في ذلك، أو بأنْ تَسلَّمها من أمِّها عقيبَ الولادة قبل أن تَنْشأ وتَصْلُحَ للسِّدانة.

رُوي: أنَّ حنَّة حين وَلدت مريم لَفَّتْها في خرقة وحَملتْها إلى المسجد، ووضعَتْها عند الأحبار أبناءِ هارون، وهم في بيت المقدس كالحَجَبة في الكعبة، فقالت لهم: دونكُم هذه النذيرةَ، فتنافَسوا فيها ....

قوله: (كالسَّعوط واللَّدود) «الأصمعيّ: اللديدان: جانبا الوادي. قال: ومنه أُخذ اللَّدود،[1] وهو: ما يُصبّ مِن الأدوية[2] في أحد شِقّي الفم».[3] و«السَّعوط: الدواء يُصبّ في الأنف. وأسعطتُ الرجل فاستعَطَ هو بنفسه».[4]

قوله: "أو تَسَلَّمها" سلّمت إليه الشيء فتسلّمه، أي: أخذه.

قوله: (رُوي)... إلخ، بيان "تسلّمها".

قوله: (أبناء هارون) هارون كان عابدًا[5] مِن بني إسرائيل. ذكر في الكواشيّ أنّ مريم كانت مِن نسل هارون أخي موسى.[6] وأقول: هذا يُخالف ما ذُكر في الكشّاف مِن أنّ مريم مِن يهوذا بن يعقوب وأنّ هارون مِن لاوى بن يعقوب.[7]

قوله: (كالحَجَبة) جمع "حاجب"، كـ"حرس" في جمع "حارس". قوله:[8] (قربانهم) القربان: البيت الذي تنزِل النار فيه. وصاحب القُربان يطوف حوله رافعين أيديهم.

---

١ ر: اللدود.

٢ ر + وهي.

٣ الصحاح للجوهري، «لدد».

٤ الصحاح للجوهري، «سعط».

٥ في هامش د: زاهدًا. خ [اختصارًا مِن "نسخة"].

٦ ن + عليه السلام. | وما وقفتُ على ما ذكره في تفسير الكواشي ٨٣و؛ بل المذكور فيه في موضع هذه الآية يُطابق المذكور في الكشّاف.

٧ ن + عليه السلام. | مضى آنفًا في تفسير آل عمران، ٣/٣٣.

٨ ن ر – كالحَجَبة جمع حاجب كحرس في جمع حارس. قوله.

لأنّها كانت بنتَ إمامهم وصاحِبِ قُربانهم، وكانت بنو ماثان رؤوسَ بني إسرائيل وأحبارَهم ومُلُوكَهم، فقال لهم زكريا: أنا أحقُّ بها عندي خالتُها، فقالوا: لا، حتى نَقْترعَ عليها، فانطلقوا -وكانوا سبعةً وعشرين- إلى نهرٍ، فألقوا فيه أقلامَهم فارتفعَ قلمُ زكريا عليه السلام فوقَ الماء ورَسَبَتْ أقلامُهم فتكفَّلها.

والثاني: أن يكون مصدرًا على تقديرِ حذف المضاف، بمعنى: فتقبَّلها بذي قبولٍ حسنٍ؛ أي: بأمرٍ ذي قبولٍ حسَنٍ وهو الاختصاصُ.

ويجوز أن يكون معنى ﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾: فاستقبلها؛ كقولك: تعجَّله، بمعنى: استعجله، وتقَصَّاه بمعنى: استقصاه، وهو كثير في كلامهم، ....

قوله: (وكانت بنو ماثان) عطف على جملة قوله: (لأنّها كانت)، فكأنّه قال: ولأنّه كانت بنو ماثان.

قوله: (عندي خالتها) "عندي أختها" في بعض النُّسخ، وفي نسخة جار الله "خالتها".[1] وكتب الصمصام في حاشية كتابه أنّ "خالتها" أصحّ؛ لأنّ إيشاع وحنّة أختان.[2] وإنّما قال: "أصحّ" إشارةً إلى أنّه يصحّ عندي "أختها" أيضًا، لِما عرفتَ قبل. وإنّما كان هذا أصحّ؛ لأنّ "عندي[3] خالتُها" موافقٌ لنسخة المصنّف، ولا فساد فيه، فالمصنّف[4] ذَكَر أوّلًا أنّها أختها وثانيًا أنّها خالتها ليعلم أنّها كانت / أختها وخالتها أيضًا كما مرّ في الحاشية. [٢٥٤و]

قوله: (لا) أي: لا تكون أحقّ حتّى نقترع فتخرج قرعتك.

قوله: (ورسبَت) رَسَب الشيء في الماء رُسوبًا: سَفُل.

قوله: (وهو الاختصاص) اللام للعهد، أي: وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذَّكَر أو بأنْ تسلّمها، فهذا المعنى عائد إلى الأوّل، لكنّ المضاف ههنا محذوف.

قوله: (ويجوز) عطف على قوله: (فرضي بها) عقيب قوله: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾.

---

[1] ر - عندي أختها في بعض النسخ وفي نسخة جار الله خالتها. | ومضى التنبيه على هذا الفرق آنفًا.

[2] ن: أخته.

[3] ر - أختها أيضًا لما عرفت قبل وإنّما كان هذا أصحّ لأنّ عندي.

[4] ر + رحمه الله.

مِن استقبَلَ الأمرَ: إذا أخَذه بأوله وَعُنفوَانه، قال القُطامي:

وخَيْرُ الأمر ما استقبَلْتَ منه   وليس بأنْ تَتَبَّعَه اتِّباعا

ومنه المثَلُ: «خُذ الأمرَ بقَوَابِله»؛ أي: فأخذها في أوَّلِ أمرها حين وَلدتْ بقبولٍ حَسَن.

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ مجازٌ عن التَّربية الحسَنة العائدة عليها بما يُصلِحها في جميع أحوالها.

وقرئ: "وكفِلَها زكريا" بوزن: وعَمِلها.

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بتشديد الفاء ونصب ﴿زَكَرِيَّا﴾، والفعلُ لله تعالى بمعنى:

فالحاصل أنّ المصنّف فسّر قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾ بوجهين: الأوّل "فرضي بها"، والثاني "استقبلها".

قوله: (وخيرُ الأمرِ) البيت،[1] اللام في "الأمر" لاستغراق الجنس، فلذا أضيف "خير" إليه.

وقوله: (ما استقبلتَ) أي: ما استقبلتَه، وهذا الضمير المحذوف هو العائد إلى الموصول، أي: خيرُ الأمور هو الأمر الذي توجّهت إليه في الأوّل وأخذتَه ابتداءً، ثمّ قال: وليس الخير في أنّ تترك الأمر حتّى يولّي ظهره ثمّ[2] تعدو[3] خلفه بعد فَوْته وتطلبه بعد انقضائه. والاستشهاد في أنّ "تتبّعه اتباعًا" بمعنى "تستتبعه استتباعًا".[4]

قوله: (العائدة) أي: النافعة لها. عاد عليه، أي: نفعه. وقوله: (بما يُصلِحها) "الباء" في "بما" للتعدية، أي: أعاد عليها ما يصلحها.

قوله: (وقُرئ: "وَكَفِلَهَا")[5] شاذّ.

وقوله: (﴿وَكَفَّلَهَا﴾)[6] سبعة.

---

١ البيت للقطامي في ديوانه، ص ٢٦٣.

٢ ن ر: و.

٣ ن ر: يقوب و.

٤ ر + بعد انقضائه.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي السمّال. المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٥٧٩.

٦ قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي وخلف. السبعة لابن مجاهد، ص ٢٠٤-٢٠٥؛ النشر لابن الجزري، ٢/٢٣٩.

وضَمَّها إليه وجَعله كافلًا لها وضامنًا لمصالحها، ويؤيِّدُها قراءة أبيّ: "وأَكْفَلها" من قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ [ص ٢٣/٣٨].

وقرأ مجاهد: "فتقبَّلْها ربَّها وأَنْبِتْها... وكفِّلْها" على لفظِ الأَمْرِ في الأفعال الثلاثة ونصبِ "ربَّها" تدعو بذلك؛ أَي: فاقْبَلها يا ربَّها وربِّها واجعَلْ زكريا كافلًا لها.

قيل: بَنى لها زكريا عليه السلام مِحرابًا في المسجد؛ أي: غُرفةً يُصعَدُ إليها بِسُلَّم.

وقيل: المحراب أشرف المجالس ومُقَدَّمُها؛ كأنَّها وُضعَتْ في أشرف موضعٍ من بيت المقدس.

وقيلَ: كانت مساجدُهم تسمَّى: المحاريب.

ورُوي: أنه كان لا يدخل عليها إلّا هو وحده، وكان إذا خرج غَلَّق عليها سَبْعةَ أبواب.

﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا﴾ كان رزقُها ينزل عليها من الجنَّة، ولم تَرْضَعْ ثديًا قط، فكان يجدُ عندها فاكهةَ الشتاءِ في الصيف وفاكهةَ الصيفِ في الشتاء.

﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾: من أين لك هذا الرزقُ الذي لا يُشبه أرزاقَ الدنيا، وهو آتٍ في غيرِ حِينه والأبوابُ مغلَّقةٌ عليك لا سبيلَ للداخل به إليك؟!

﴿قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فلا تَستبْعِد.

قوله: (قراءة أُبيّ: "وَأَكْفَلَهَا")[١] شاذٌ.

قوله:[٢] (﴿أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ [ص ٢٣/٣٨]) أي: اجعلني كافلًا لها وقائمًا بمصالحها.

قوله: (وربِّها) أمر مِن التربية.

قوله: (كأنّها) هذا مبنيّ على أنّ (المحراب أشرفُ المجالس) أي: كأنّ تلك الغرفة بُنيت في أشرف موضع، فلذلك سُمّيت مِحرابًا.

قوله: (للداخل به) "الباء" للتعدية والضمير للرزق.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب. المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٥٧٩.

٢ ن ر - ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ سبعة قوله: (قراءة أُبيّ "وأكفلها") شاذ. قوله.

قيل: تكلّمتْ وهي صغيرةٌ كما تكلّم عيسى وهو في المهد.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: أنه جاع في زمنِ قحطٍ، فأهدَتْ له فاطمةُ عليها السلام رَغيفَيْن وبَضْعَةَ لحمٍ آثَرتْهُ بها، فرجع بها إليها وقال: «هلُمّي يا بُنيّة» فكشفَتْ عن الطَّبق فإذا هو مَمْلوءٌ خبزًا ولحمًا، فَبُهِتَتْ وعلِمتْ أنّها نزلت من عند الله، فقال لها صلى الله عليه وسلم: «أنّى لكِ هذا؟» فقالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فقال عليه الصلاة والسلام: «الحمد لله الذي جعَلكِ شبيهةَ سَيِّدة نساءِ بني إسرائيل»، ثم جمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليَّ بن أبي طالب والحسن والحسين وجميعَ أهلِ بيته عليه، فأكلوا حتى شَبِعوا وبقي الطعام كما هو، فأوسعَتْ فاطمة رضي الله عنها على جيرانها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ﴾ من جُملة كلام مريمَ عليها السلام، أو من كلام ربِّ العزَّة عزَّ مِن قائلٍ.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقديرٍ لكثرته، أو تفضُّلًا بغير محاسبةٍ ومجازاةٍ على عَملٍ بحسبِ الاستحقاق.

قوله: (فرَجَع) أي: فرجع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[١] (بها) أي: بتلك الهدية و"الباء" للتعدية أو المصاحبة،[٢] أي: مصاحبًا بتلك الهدية.

قوله عليه السلام: («هلمّي») أي: تعالَي وأقبلي. وهلمّ على وجهين: متعدِّية كـ"هاتِ"، قال الله تعالى: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام ١٥٠/٦]، وغير متعدِّية بمعنى "تعالَ" و"أقبل"، قال تعالى: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب ١٨/٣٣]. وقد ذكرنا أنّ لغة أهل الحجاز "هلمّ" في جميع الأحوال، أي: للمذكر والمؤنّث والتثنية والجمع، وأمّا التصرُّف فلغة أهل نجد. وكان في[٣] زيادة "الياء"[٤] زيادةُ تقريب فلذلك تكلّم عليه السلام بتلك اللغة ويؤيّده تصغير («بُنيّة»).[٥]

---

١ د: عليه السلام.

٢ ن: للمصاحبة.

٣ ن ر - في.

٤ ن ر: الباء.

٥ الحديث في الكشف والبيان للثعلبي، ٢٧٤/٨ (آل عمران، ٣٧/٣)؛ وتفسير ابن كثير، ٣٦/٢ (آل عمران، ٣٧/٣)؛ والدرّ المنثور للسيوطي، ١٨٦/٢ (آل عمران، ٣٧/٣).

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾

﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكانِ حيث هو قاعدٌ عند مريم في المحراب، أو: في ذلك الوقت، فقد يُستَعار "هنا" و"ثم" و"حيث" للزمان، لمّا رأى حالَ مريم في كرامتها على الله تعالى ومنزلتَها رَغِبَ في أن يكون له من إيشاع ولدٌ مثلُ ولدِ أختها حنَّة في النَّجابةِ والكرامة على الله، وإن كانتْ عاقرًا عجوزًا فقد كانت أختُها كذلك.

وقيل: لمّا رأى الفاكهةَ في غير وقتها انْتَبَه على جواز ولادةِ العاقر.

﴿ذُرِّيَّةً﴾: ولدًا، والذُّريَّةُ يقع على الواحد والجميع.

﴿سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: مُجيبُه.

قوله: **(حيث)** بدل مِن قوله: **(في ذلك المكان)** وهو مضاف إلى **(هو قاعد)**. وقوله: **(عند مريم)** ظرف "قاعدٌ" أو حال مِن الضمير في "قاعد". وقوله: **(في المحراب)** حال مِن "مريم"، أو كلّ واحد مِن هذه الثلاث بدل مِن قوله: "في ذلك المكان" بطريق البيان،[١] فتأمّل فإنّه لطيف، والعامل فيها ﴿دَعَا﴾.

قوله:[٢] **(مثل ولد أختها)** في نسخة جار الله: **(أختها حنّة)**،[٣] وفي نسخة **المُعزّي**: **(أمّها)**. فعلى ما في الأصل يكون قوله: "حنّة" عطف بيان لقوله: "أختها"، والضمير عاد إلى **(إيشاع)**. وعلى نسخة[٤] **المُعزّي** "حنّة" عطف بيان "أمّها"، والضمير لـ"مريم".[٥]

قوله: **(فقد كانت أختُها كذلك)** وفي بعض **النُّسخ**: **(فقد كانت أمّها[٦] كذلك)**، فعلى **الأوّل** الضمير مِن "أختها" يعود إلى إيشاع، فإنّ حنّة أخت إيشاع، وعلى **الثاني** الضمير مِن "أمّها" يعود إلى مريم، فإنّ حنّة أمّ مريم. والحاصل أنّ أخت إيشاع هي أمّ مريم، أعني حنّة.

---

١ ر – البيان.
٢ ر – قوله.
٣ ن: تحته.
٤ ر – جار الله أختها حنّة. وفي نسخة المعزّي (أمّها) فعلى ما في الأصل يكون قوله: (حنّة) عطف بيان لقوله: (أختها) والضمير عاد إلى (إيشاع). وعلى نسخة.
٥ ن: لمن ثم.
٦ في هامش د: معزي.

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾

قرئ: ﴿فناداه الملائكة﴾، وقيل: ناداه جبريل، وإنما قيل: ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾، على قولهم: فلانٌ يركب الخيلَ.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بالفتح على: بأن الله، وبالكسر على إرادة القول، أو لأن النداء نوعٌ من القول.

وقرئ: ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ و"يُبْشِرُكَ" من بشَّره وأَبْشره، و﴿يَبْشُرُكَ﴾ بفتح الياء من بَشَره.

و"يحيى" إن كان أعجميًا وهو الظاهرُ فمنعُ صَرْفه للتَّعْريف والعُجمة كموسى وعيسى، وإن كان عربيًا فللتعريف ووزنِ الفعل كيَعْمَرَ.

﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: مصدِّقًا بعيسى عليه السلام مؤمِنًا به، قيل: هو أوَّلُ مَن آمن به.

وسمِّي عيسى عليه السلامُ كلمةً لأنه لم يُوجد إلَّا بكلمةِ الله وَحْدها، وهي قوله: "كُنْ" من غيرِ سببٍ آخر.

[٢٥٤ظ] / قوله: (وقيل: ناداه جَبرئيل[١] عليه السلام،[٢] وإنّما قيل: الملائكة)...[٣] إلخ، أي: ناداه مِن جنس الملائكة دون غيره مِن الأجناس، كما يقال: "فلان يركب الخيل"، أي: يركب مِن هذا الجنس، أمّا أن يراد جميع الجنس فلا.[٤]

قوله: (على قولهم:[٥] "فلان يركب الخيل")[٦] قال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ﴾ [يوسف ٤٤/١٢]. نقول: "فلان يركب الخيل ويلبس العمائم[٧] الخزّ" لمَن لا يركب إلّا فرسًا واحدًا وما له إلّا عمامة فَرْدة تزيُّدًا[٨] في الوصف، فهؤلاء تزيّدوا أيضًا في وصف الحكم بالبطلان فجعلوه أضغاث أحلام.

---

١ ن ر: جبريل.
٢ ن ر – عليه السلام.
٣ ن: للملائكة.
٤ ر – فلا.
٥ ن ر – على قولهم.
٦ ن ر – الخيل.
٧ ن ر: العمام.
٨ ر: يريد.

وقيل: مصدِّقًا بكلمةٍ من الله مؤمنًا بكتابٍ منه.

وسمِّي الكتاب كلمةً كما قيل: كلمة الحوَيدِرة، لقصيدته.

والسيِّدُ: الذي يَسُودُ قومَه؛ أَي: يَفُوقهُم في الشرف، وكان يحيى عليه السلامُ فائقًا لقومه وفائقًا للناس كلِّهم في أنَّه لم يركَبْ سيئةً قطُّ، ويا لها من سيادة!

والحَصور: الذي لا يَقْربُ النساء حَصْرًا لنفسه؛ أي: منعًا لها من الشهوات.

وقيل: هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسِر، قال الأخطل:

وشاربٍ مُرْبحٍ بالكأس نادَمَني لا بالحَصورِ ولا فيها بسَأَّارِ

قوله: (ويا لها[1] مِن سيادة!) الضمير للسيادة؛ بل الضمير مُبهَم فسّره بقوله: "مِن سيادة"،[2] كما في "رُبَّه رجلًا"، ومثل هذا الضمير في الإبهام ﴿ذَٰلِكَ﴾[3] مِن[4] قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر ٦٦/١٥].

قوله: (حَصْرًا)[5] إنّما قال "حَصْرًا"...[6] إلخ، احترازًا عمّن[7] لا يكون له مَيْل إليهنّ فلا يقربهنّ لذلك، فإنّه لا يُسمّى حصورًا.

قوله:

(وشارب مُرْبِح بالكأس نادَمني لا بالحصور ولا فيها بسآّرِ)[8]

ويروى: "بسوّار"،[9] وهو:[10] المُعربِد، مِن السَّورة وهي الوثبة. يقال: سار، أي: وثب. قوله: "مُرْبِح"، أي: يعطي في الخمر ربحًا. قوله: "لا بالحَصور"،

---

[1] ر: وبالهاء.

[2] د ن ر: السيادة.

[3] د + "يا لها" هي كلمة تعجّب واستحسان. والضمير في "يا لها" للسيادة.

[4] د: في.

[5] ن: حضر.

[6] ن: حضر.

[7] ر: عمّا.

[8] البيت للأخطل في ديوانه، ص ١٢٧؛ وهو له في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٩٢/١؛ وإصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ٢٣٠؛ وجامع البيان للطبري، ٣٧٧/٥ (آل عمران، ٣٩/٣)؛ والمحتسب لابن جنّي، ٢٤١/٢؛ والصحاح للجوهري، «حصر». وفيها جميعًا برواية «سوّار»، وساق الطبري وابن جنّي الروايتين.

[9] قال ابن جنّي في المحتسب، ٢٤١/٢: «وأجود الروايتين: بسوّار».

[10] ن ر + في.

فاستُعير لمن لا يدخلُ في اللعبِ واللَّهو.

وقد رُوي أنَّه مرَّ وهو طِفلٌ بصبيانٍ فدعَوه إلى اللَّعب فقال: ما للَّعبِ خُلِقْتُ.

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ناشئًا من الصالحين؛ لأنَّه كان من أصلابِ الأنبياء عليهم السلام، أو كائنًا من جملة الصالحين كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة ٢/١٣٠].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ استبعادٌ من حيث العادةُ كما قالت مريم.

﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ كقولهم: أدركتْه السنُّ العالية، والمعنى: أثَّر فيَّ الكبرُ وأضعَفني، وكانت له تسعٌ وتسعون سنةً، ولامرأته ثمانٍ وتسعون.

أي: ليس بالحَصور،[١] فأدخَل "الباء" في خبر "لا" بمعنى "ليس". قوله: "لا فيها بسأّار"، أي: لا يبقى مِن الخمر بقيّة في الكأس. وقيل: "المُرْبِح" الذي يشتري الخمر بالربح. قوله: "لا بالحَصور"، يعني" لم يكن بَرَمًا.

قوله: (فاستُعير) يعني أنّ "الحَصور" هو البَرَم الذي لا يدخل في المَيْسر، أي: القمار، فاستُعير في الآية لمَن لا يدخل في اللعب، لأنّ القمار لعب.

قوله: (وقد رُوي)... إلخ، تحقيق لأنّ يكون المراد بالحَصور هنا الذي لا يدخل في اللعب واللهو.

قوله: (أو كائنًا مِن جملة الصالحين)[٢] "مِن" على الأوّل للابتداء وعلى الثاني للتبعيض.

قوله: (كما قالت مريم) هو قولها:[٣] ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ [مريم ١٩/٢٠]، فإنّه أيضًا استبعاد.

---

١ ر - أي: ليس بالحصور.

٢ ر - الصالحين.

٣ ن ر - قولها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبةِ مثلَ ذلك الفعلِ، وهو خَلقُ الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر.

أو ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾ مبتدأٌ وخبر؛ أي: على نحوِ هذه الصفةِ الله، و﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ بيانٌ له؛ أي: يفعل ما يريد من الأفاعيل الخارقة للعادات.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾

﴿ءَايَةً﴾: علامةً أَعْرِفُ بها الحبَل؛ لِأَتلقَّى النعمةَ إذا جاءت بالشكر.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا﴾ تقدِرَ على تكليم الناسِ ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ وإنما خصَّ تكليمَ الناس ليُعْلِمه أنه يحبِس لسانَه عن القدرةِ على تكليمهم خاصَّة، مع إبقاءِ قدرته على التكلُّم بذكر الله، ولذلك قال:

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ يعني: في أيامِ عجزِك عن تكليم الناس، ....

قوله: (**الشيخ الفاني**) الذي فنيَ قواه.

قوله: (**أو ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر**)[1] "كذلك" على[2] **الأوّل** صفة مصدر محذوف،[3] وعلى **الثاني** خبرُ المبتدأ.

قوله: (**الحَبَل**) أي: الحمل.

قوله: (**ألّا تقدر**) في تفسير ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ﴾ إشارة إلى أنّ ذلك مِن قبيل الكناية؛ لأنّ عدم التكليم مِن لوازم عدم القدرة على التكليم.

قوله: (**ولذلك**) يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى الإبقاء، ويجوز أن يكون إشارة إلى[4] الإعلام.

قوله: (**يعني في أيّام**) أي: الأمر بالذِّكر الكثير وبالتسبيح في الوقتين المذكورين

---

[1] ن ر: وخبره.
[2] ن ر: في.
[3] ن – محذوف.
[4] ر – الإبقاء ويجوز أن يكون إشارة إلى.

وهي من الآيات الباهرة.

فإن قلتَ: لِمَ حُبِسَ لسانه عن كلام الناس؟

قلتُ: ليُخْلِصَ المدَّة لذكر الله لا يَشغَل لسانه بغيره؛ توفُّرًا منه على قضاء حقِّ تلك النعمةِ الجسيمةِ، وشكرِها الذي طلَبَ الآيةَ من أَجْله، كأنَّه لمَّا طلَبَ الآيةَ من أجلِ الشكر قيل له: آيتُك أن تَحبس لسانَك إلَّا عن الشكر، وأحسنُ الجواب وأوقعُه ما كان مشتقًّا من السؤال ومنتزَعًا منه.

﴿إِلَّا رَمْزًا﴾: إلا إشارةً بيدٍ أو رأسٍ أو غيرهما، وأصلُه: التحرُّك، يقال: «ارْتَمزَ»: إذا تحرَّك، ومنه قيل للبحر: الرامُوز.

وقرأ يحيى بن وثَّابٍ: "إلَّا رُمُزًا" بضمتين، جمع رَموزٍ كرسولٍ ورُسُل.

وقرئ: "رَمَزًا" بفتحتين، جمعُ رامزٍ كخادمٍ وخدم.

وهو حال منه ومن الناس دفعةً؛ كقوله:

متى ما تَلْقَني فردَيْنِ تَرْجُفْ رَوَانِفُ إِلْيَتَيْكَ وتُستطارا

مختصٌّ بالأيّام الثلاثة التي عَجَز فيها عن التكليم.

قوله: (وهي) أي: قدرته على التكليم بذِكر الله مع حبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصّة.

قوله:

(متى ما[1] تلقني فَرْدين ترجُفْ رَوانِفُ أَلْيتيكَ وتُستطارا)[2]

"ترجف"، أي: تضطرب بشدّة وتتحرّك. والرجفان: الاضطراب الشديد. و"ترجُفْ" مجزوم لأنّه جواب الشرط. والرَّوانف جمع رانفة، وهي أسفل الألْيَة وطرفُها الذي يلي الأرض مِن الإنسان إذا كان قائمًا، والمراد بالجمع هنا التثنية،

---

[1] د ن ر: متيما.

[2] البيت لعنترة في ديوانه، ص ٢٣٤، وفيه «نلتقي» مكان «تلقني»؛ وهو له في المفصَّل للزمخشري، ص ٨٩؛ وشرح التسهيل لابن مالك، ١/٩٠؛ وهو بلا عزو في شرح الرضيّ على الكافية، ٣/٣٥٩.

بمعنى: إلَّا مترَامِزَين، كما يكلِّم الناسُ الأخرسَ بالإشارة ويكلِّمهم.

و"العشيُّ": من حين تزول الشمس إلى أن تغيب.

و"الإبكار": من طلوع الفجر إلى وقت الضحى، وقرئ: "والأَبكار" بفتح الهمزة جمعُ بَكَرٍ كسَحَرٍ وأسحار، يقال: «أتيتُه بَكَرًا» بفتحتين.

فإن قلتَ: الرَّمْز ليس من جنسِ الكلام، فكيف استُثْني منه؟

قلتُ: لمَّا أدَّى مؤدَّى الكلام وفُهِمَ منه ما يُفهَم منه سمِّي كلامًا، ويجوزُ أن يكون استثناءً منقطِعًا.

وهما رانفتا المخاطب. / وقوله: "تستطارا" أصله "تستطارَنْ" قُلِبت "النون" ألفًا للوقف. وقيل: أصله "تُستطاران"، يعني طرفا الألية، ومعناه تتحرَّك وترتعش مِن شدّة الخوف. و"فردين" حال مِن ضميري[1] الفاعل والمفعول في "تلقني"، أعني المستتر والبارز.[2] [٢٥٥و]

قوله: **(الرمزُ[3] ليس مِن جنس الكلام)** توجيه هذا السؤال أن يقال: هذا استثناء مفرّغ؛ لأنّه ليس المستثنى[4] منه مذكورًا والاستثناء المفرّغ لا يكون إلّا[5] مِن الجنس، فكيف[6] جاز هذا الاستثناء مع أنّ الرمز ليس مِن جنس الكلام، **فأجاب عنه بوجهين. وإذا كان استثناء[7] منقطعًا فهو مثل "ما زاد[8] إلّا ما نقص"،[9] فإنّ الاستثناء لا بدّ لصحّته مِن مخالفة في[10] نفي الحُكم، مثل "ما جاء القوم إلّا حمارًا"، أو في أنّ المستثنى حكم آخرُ له مخالفةٌ بوجه مثل "ما زاد إلّا ما[11] نَقَص"**.

قوله: (مؤدّى الكلام) أي: تأديته وصيغة المفعول مِن ذوات الزائد يقوم مقامَ المصدر واسم الزمان والمكان.

---

[1] ر: ضمير.
[2] ن ر – والبارز.
[3] ر: الزمن.
[4] ر + لأنّه ليس المستثنى.
[5] ن – إلا.
[6] ن: قال.
[7] ن ر – مع أنّ الرمز ليس مِن جنس الكلام فأجاب عنه بوجهين وإذا كان استثناء.
[8] ن – ما زاد.
[9] قول للعرب رواه سيبويه عن أبي الخطاب. **كتاب سيبويه**، ٣٢٦/٢.
[10] ر: من.
[11] ن – ما.

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٢﴾

﴿يَٰمَرۡيَمُ﴾ رُوِي أنّهم كلّموها شِفاهًا معجزةً لزكريا عليه الصلاة والسلام، أو إرهاصًا لنبوة عيسى عليه السلام.

﴿ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ أوّلًا حين تقبّلك من أمّك وربّاك واختصّك بالكرامة السَّنِيّة.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾ مما يُستقذَر من الأفعال، ومما قذفَك به اليهود.

﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ﴾ آخِرًا ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بأنْ وهَبَ لك عيسى من غيرِ أبٍ، ولم يكن ذلك لأحدٍ من النساء.

﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾

أُمِرتْ بالصلاةِ بذكرِ القنوت والسجود لكونهما ....

قوله:[١] (رُوِي أنّهم) أي: الملائكة.

قوله: (أو إرهاصًا) الإرهاص في حقّ عيسى[٢] كإظلال الغمام لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٣] في طريق الشام. والإرهاص: التأسيس، كأنّه مِن «الرِّهص بكسر "الراء"، وهو: العِرْق الأسفل مِن الحائط».[٤] أو نقول: هو كرامة لمريم. والمصنّف قَصَره في الوجهين لأنّ المعتزلة ينكرون الكرامة.

قوله تعالى: (﴿ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ أوّلًا) مطلق وثانيًا مقيّد.

قوله: (أُمِرتْ بالصلاة بذِكر القنوت)،[٥] "الباء" في "بالصلاة" صلة "أُمِرت" وفي "بذكر" للآلة؛[٦] كما في "ضربتُ بالسوط". وقوله: (لكونهما) إشارة إلى وجه جَعْل ذِكر القنوت والسجود كذِكر الصلاة، وذلك بطريق إطلاق اسم الجزء على الكلّ. ثمّ إنّ القنوت يكون بمعنى الطاعة والدعاء، فإن كان

---

[١] ن ر – (مؤدّى الكلام) أي: تأديته، وصيغة المفعول مِن ذوات الزائد يقوم مقام المصدر واسم الزمان والمكان. قوله.

[٢] ن + عليه السلام.

[٣] د: عليه السلام.

[٤] الصحاح للجوهري، «رهص».

[٥] ن ر – القنوت.

[٦] ر: الإله.

من هيئات الصّلاة وأركانها، ثم قيل لها: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ بمعنى: ولتكن صلاتُك مع المصلّين؛ أي: في الجماعة، أو: وانْظِمي نفسكِ في جملة المصلين وكوني معهم -أي: في عدادهم- ولا تكوني في عِداد غيرهم.

ويحتمِل أن يكون في زمانها مَن كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع، وفيه مَن يركع، فأُمرتْ بأن تركَع مع الرّاكعين ولا تكونَ مع مَن لا يركع.

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما سبق مِن نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام، يعني: أن ذلك من الغيوب التي لم تَعْرِفها إلّا بالوحي.

فإن قلتَ: لم نُفيتِ المشاهدةُ وانتفاؤها معلومٌ بغيرِ شبهةٍ، وتُرك نفيُ استماعِ الأنباء من حُفّاظها وهو موهوم.

قلتُ: كان معلومًا عندهم عِلمًا يقينًا ....

المراد به ههنا الدعاء[1] مثل قنوتِ الوتر والصبح ففي قوله: (**مِن هيئات الصلاة وأركانها**) لفٌّ ونشر؛ لأنّ القنوت مِن الهيئات والسجود مِن الأركان.

قوله: (**إشارةٌ إلى ما سبق**) إن قيل: لم يسبق ذِكر عيسى فكيف ساقه المصنّف فيما سَبَق ذِكره. قلنا: في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إشارة إلى ذِكر عيسى لِما مرّ أنّه إشارة إلى ولادة عيسى[2] مِن غير أبٍ.

قوله: (**وانتفاؤها معلوم**).[3]

قوله: (**وهو موهوم**) أي: نفيُ الاستماع.

قوله: (**عِلمًا يقينًا**) إنّما وصف العِلم بقوله: "يقينًا" لأنّ العلم يُطلَق على معنى عامّ، وهو: حصول صورة الشيء في الذِّهن أعمّ مِن الظنّ واليقين.

---

[1] ن ر - فإن كان المراد به ههنا الدعاء.

[2] ن + عليه السلام.

[3] كذا ورد في الأصول مِن غير تعليق منه على الموضع.

أنّه ليس من أهل السماع والقراءة، وكانوا منكِرين للوحي، فلم يبقَ إلّا المشاهدةُ وهي في غايةِ الاستبعاد والاستحالة، فنُفيت على سبيل التهكُّم بالمنكِرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماعَ له ولا قراءة، ونحوُه: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ [القصص ٢٨/٤٤] ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ [القصص ٢٨/٤٦] ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ﴾ [يوسف ١٢/١٠٢].

﴿أَقْلَٰمَهُمْ﴾: أزلامَهم، وهي قداحُهم التي طرحوها في النهر مقترِعِينَ.

وقيل: هي الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبرُّكًا بها.

﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأنها تنافسًا في التكفُّل بها.

فإن قلتَ: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ بمَ يتعلَّق؟

قلتُ: بمحذوفٍ دلَّ عليه ﴿يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾؛ كأنه قيل: يُلقونها ينظرون أيُّهم يكفُل، أو: ليعلموا، أو: يقولون.

والثاني[1] بمعنى الاعتقاد الجازم المطابق عن دليل وهو اليقين. وقوله: **(أنّه)** أي: النبيّ عليه السلام.

قوله: **(فلم يبقَ إلّا المشاهَدة)** ويحتمل أن يكون فيه إشارة إلى أنّك تنقل القصص السالفة والأحوال الماضية بلا تغيير ولا تفاوت، كأنّها[2] كانت محسوسة لك مشاهدةً وعِيانًا وما يُتلقّى مِن نَقَلة الأخبار عسى أن يقع فيه التفاوت فلا[3] يتأتّى مِثل هذا النقل إلّا بإعلام عالم الغيب والشهادة.

قوله: **(اختاروها)** أي: الأقلام. وقوله: **(بها)** أي: بالأقلام.

قوله: **(تنافسًا)** أي: رغبة. «وشيء نفيس، أي: حَسَن كريم يُتنافَس فيه ويُرغَب. وهذا أنفَس مالي، أي: أحَبُّه[4] وأكرمه عندي. وأنفسَني فلان / في كذا، أي: رغَّبني».[5] [٢٥٥ظ]

قوله: **(قلتُ: بمحذوف)** وذلك لأنّ التعليق مختصّ بأفعال القلوب.

---

[1] ن ر – والثاني.
[2] ن: كأنّك.
[3] ر: ولا.
[4] ن: أحسنه؛ ر + إليّ.
[5] الصحاح للجوهري، «نفس».

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾

﴿ٱلۡمَسِيحُ﴾ لقبٌ من الألقاب المشرِّفة كالصدِّيق والفاروق، وأصله: «مَشِيحا» بالعبرانية، ومعناهُ: المبارَكُ؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم ٣١/١٩].

وكذلك ﴿عِيسَى﴾ معرَّب من أَيْشُوعَ، ومشتقُّهُما من المسْح والعَيَسِ كالراقم في الماء.

فإن قلتَ: ﴿إِذۡ قَالَتِ﴾ بمَ يتعلَّق؟

ثمّ اعلم أنّ الصواب كان أن يقول المصنّف: "ينظرون ليعلموا أيّهم يكفل" بغير توسيط "أو" بين الفعلين. وأمّا "أو" ثانيًا فصحيحٌ؛ لأنّ مَقول القول يكون جملةً.

قوله: **(ومشتقّهما[١] مِن المَسْح والعَيَس)** اعلم أنّ بعض العلماء قالوا: المسيح مشتقّ مِن المَسْح "فعيل" إمّا بمعنى "مفعول"؛ لأنه مُسِح وطُهِّر مِن الذنوب أو مُسِح بالبركة، أو لأنّه خرج مِن بطن أمّه ممسوحًا بالدُّهن، أو مسحه جَبرئيل عليه السلام[٢] بجناحه فلا[٣] يكون للشيطان عليه سبيل. وإمّا بمعنى "فاعل"؛ لأنّه كان لا يمسح ذا عاهة إلّا برئ. وقال بعضهم: هو مشتقّ مِن "السياحة"؛ لأنّه كان يسيح في الأرض ولا يقيم بمكان. وهذا الوجه لم يذكره المصنّف. ثمّ قال المصنّف: **(كالراقم)** شبَّه مَن يشتقّ "المسيح" مِن المَسْح و"عيسى" مِن العَيَس بمَن[٤] طفِق يرقم بإصبعه على[٥] الماء، في[٦] أنّه[٧] لا يفيد بهذا الاشتقاق شيئًا، كالراقم[٨] على الماء لا يفيد برقمه خطًّا ولا أثرًا ولا علامةً تبقى في الماء. وقوله: "مشتقُّهما" هو اسم فاعل مِن الاشتقاق. والعَيَس: البياض[٩]

---

١ ن ر: ومستقيمًا.
٢ ن – عليه السلام.
٣ ر: ولا.
٤ ر: ثم.
٥ ر: في.
٦ ر – في.
٧ ر: بأنّه.
٨ ر: كالراسم.
٩ ن ر – البياض.

قلتُ: هو بدلٌ من ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾، ويجوز أن يُبدَل من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ على أنّ الاختصامَ والبشارةَ وقعَا في زمانٍ واسعٍ؛ كما تقول: لقيتُه سنةَ كذا.

فإن قلتَ: لِمَ قيل: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ والخطاب لمريم؟

قلتُ: لأن الأبناء يُنسَبون إلى الآباء لا إلى الأمّهات، فأُعلِمَتْ بنسبته إليها أنه يُولد من غيرِ أبٍ، فلا يُنسب إلّا إلى أمّه، وبذلك فُضِّلَت واصْطُفِيَتْ على نساء العالمين.

الذي تعلوه حُمرة. و"الراقم[١] في الماء" هو الذي يفعل ما لا طائلَ تحته، أو يفعل شيئًا لا يقدِر على إثباته وبيانه.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ بدل مِن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران ٤٢/٣]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾[٢] عطف على[٣] ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران ٣٥/٣].

قوله: **(والبِشارة)** أي: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾.

قوله: **(وقعا في زمان واسع)** جميع الزمان الواسع الذي وقع فيه الاختصام والبشارة جُعل زمانَ الاختصام وجُعل أيضًا زمانَ البشارة، كلاهما على طريق (لقِيتُه سنة كذا)، مع أنّه لم يلقَه إلّا في جزء مِن أجزاء السنة، فيكون قوله: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ إشارة إلى جميع ذلك الزمان، وكذا ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ يكون إشارة إلى جميع ذلك الزمان، فيكون الثاني عينَ الأوّل، فيجوز أن يكون بدلًا منه بدلَ الكلّ مِن الكلّ. وأمّا إذا جُعل بدلًا مِن ﴿وَإِذْ قَالَتِ﴾ فظاهر؛ لأنّ زمانهما واحد بالحقيقة. فقوله: **(على أنّ الاختصام)** متعلّق بقوله: **(يجوز)**.

قوله: **(فلا يُنسَب إلّا إلى أمّه)** كأنّه قيل: ولدكِ يُسمّى عيسى بن مريم منتسبًا إليك إذ لا أبَ له.

---

[١] ر: الراقم.

[٢] ر - وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾.

[٣] ن + قوله.

فإن قلتَ: لِمَ ذكَّر ضمير الكلمة؟

قلتُ: لأن المسمَّى بها مذكَّر.

فإن قلتَ: لم قيل: ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ وهذه ثلاثة أشياء: الاسم منها عيسى، وأما المسيحُ والابن فلقبٌ وصفةٌ؟

قلتُ: الاسم للمسمَّى علامةٌ يُعرف بها ويتميَّز من غيره؛ فكأنه قيل: الذي يُعرف به ويتميَّز ممَّن سِواه مجموعُ هذه الثلاثة.

﴿وَجِيهًا﴾ حالٌ من "كلمةٍ" وكذلك قولُه: ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾، ﴿وَيُكَلِّمُ﴾، ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: يبشِّركِ به موصوفًا بهذه الصفات، وصحَّ انتصابُ الحال من النكرة لكونها موصوفةً.

والوجَاهةُ في الدنيا: النبوَّة والتقدُّم على الناس، وفي الآخرة: الشفاعة وعلوُّ الدرجة في الجنَّة.

قوله: (**لِمَ ذُكِّر؟**)[١] في ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ﴾.

قوله: (**بها**) أي: بتلك[٢] العلامة.

قوله: (**مجموعُ هذه الثلاثة**) لأنّه يجوز أن يُوجَد في الدنيا مسيح، أي: مبارَك ولا يكون عيسى، ويجوز أن يُوجَد[٣] عيسى ولا يكون ابن مريم.

قوله: (**﴿وَجِيهًا﴾ حال**) أي: حال مقدَّرة مِن كلمة لأنّها وُصِفت فجاز تأخير الحال عنها كما ذُكر. قال: «وجُه الرجل بالضمّ، أي: صار وجيهًا، أي: ذا وَجْه وقَدْر».[٤]

قوله: (**أي: يُبشِّركِ**) الخطاب لمريم.

قوله: (**موصوفًا بهذه الصفات**) لأنّ الحال في المعنى صفة، وإنّما يتفارقان بالتقييد وعدمه. وقوله: "موصوفًا" حال مقدَّرة؛ لأنّه عند البشارة لم يكن موصوفًا بهذه الصفات.

---

[١] ن ر: يذكر.

[٢] ر – بتلك.

[٣] ن ر – في الدنيا مسيح، أي: مبارك ولا يكون عيسى ويجوز أن يوجد.

[٤] الصحاح للجوهري، «وجه».

وكونه ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: رفعُه إلى السماء، وصحبتُه للملائكة.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

"المهدُ": ما يُمَهَّدُ للصبيّ من مَضْجَعه سمّي بالمصدر.

و﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ في محلِّ النصبِ على الحال ﴿وَكَهْلًا﴾ عطفٌ عليه، بمعنى: ويكلِّم الناسَ طفلًا وكهلًا، ومعناه: ويكلِّم الناسَ في هاتين الحالتين كلامَ الأنبياء عليهم السلام من غيرِ تفاوتٍ بين حال الطفولة وحالِ الكهولة التي يَستحكِمُ فيها العقل ويُستنبأ فيها الأنبياء عليهم السلام.

ومِن بِدَع التفاسير أن قولها: ﴿رَبِّ﴾ نداءٌ لجبريل عليه السلام بمعنى: يا سيدي.

قوله: (و﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ في محلّ النصب على الحال) فيكون قوله: ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ مِن الأحوال المتداخلة، وكذا ﴿كَهْلًا﴾.

قوله: (ويُستنبأ) استُنبئ[1] الرجل: جُعل نبيًّا، كـ"استُقضي": جُعل قاضيًا.

[٢٥٦و] قوله: (مِن بِدَع التفاسير أنّ قولها: ﴿رَبِّ﴾ / نداء لجَبرئيل[2] عليه السلام)[3] وأنا أقول: ردُّ المصنّف هذا الوجهَ، وهو ليس ببعيد. ويؤيّده قوله تعالى بعد ذلك: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ﴾ إذ هذا جواب سؤال، فكأنّها لمّا قالت لجَبرئيل: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ﴾ توجّه لسائل أن يسأل فيقول: ماذا قال جَبرئيل؟[4] فقيل: قال جَبرئيل: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ﴾، فإنّه لو كان المعنى قالت: "يا إلهي أنّى يكون لي ولد، قال جَبرئيل[5] عليه السلام:[6] ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ﴾" لا يلتئم الكلام كما ينبغي.

---

١ ن ر – ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ مِن الأحوال المتداخلة وكذا كهلًا قوله: (ويُستنبأ) استنبئ.
٢ ر: لجبريل.
٣ ن ر – عليه السلام.
٤ ر: جبريل.
٥ ر: جبريل.
٦ ن ر – عليه السلام.

﴿ونُعلِّمه﴾ عطفٌ على ﴿يُبَشِّرُكِ﴾، أو على ﴿وَجِيهًا﴾، أو على ﴿يَخْلُقُ﴾، أو هو كلام مبتدأ، وقرأ عاصمٌ ونافعٌ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالياء.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾

فإن قلتَ: علامَ تَحمل: ﴿وَرَسُولًا﴾ ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ ....

وأيضًا يؤيِّد ما اخترناه ما تقدّم مِن أنّ المراد بالملائكة جَبرئيل.[١] فتأمّل جميع ذلك، وسَلْ منه تعالى إلهامَ الحقّ والصواب.

قوله: (﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ **عطف على** ﴿يُبَشِّرُكِ﴾) هذا على القراءة بـ"الياء" في ﴿يُعَلِّمُهُ﴾ ظاهر، وأمّا على القراءة بـ"النون" فمُشكِل؛ لأنّه يصير التقدير "إنّ الله نعلّمه" لكن سُوِّغ[٢] لأنّه يجوز في التقدير ما لا يجوز صريحًا، فكأنّه قيل: إنّا[٣] نبشّرك[٤] ونعلّمه،[٥] وكذا العطف على قوله: ﴿يَخْلُقُ﴾ في قوله: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾، فكأنّه قيل: "كذلك[٦] نحن نخلق ما نشاء ونعلّمه"، وذلك لأنّ معنى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾: "إنّا نُبشِّرك"؛[٧] لأنّ الملائكة إنّما كانوا يُبلِّغون كلام الله تعالى، فيكون كأنّ الله تعالى قال: "إنّ الله يُبشِّرك" على وجه الالتفات والملائكة بلّغوا هذا الكلام، أو كأنّ الله تعالى قال: "إنّا نبشِّرك" والملائكة بلّغوا[٨] معنى هذا الكلام ومؤدّاه.

قوله: (**علامَ تحمِل؟**) قال رضي الله عنه:[٩] المنصوبات قبلهما في حُكم الغَيبة وهما في حُكم التكلُّم، لتعلّق قوله: ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾ و﴿لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾ بهما،

---

١ ر: جبريل.
٢ ر: يسوغ.
٣ ن: إنّما.
٤ في هامش د: قيل إنّا نعلمه. خ [اختصارًا مِن "نسخة"]؛ ن: فعله؛ ر - نبشرك.
٥ ن - ونعلمه؛ ر: نعلمه.
٦ ن ر - كذلك.
٧ ر - ﴿إنّا نبشرك﴾.
٨ ر - بلغوا.
٩ د: رحمه الله.

من المنصوبات المتقدِّمة، وقولُه: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾ و﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ يأبى حملَه عليها؟

قلت: هو من المضائق، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يُضمَر له: «وأُرْسِلْتُ» على إرادةِ القول، تقديرُه: ونُعلِّمه الكتابَ والحكمةَ ويقول: أُرْسِلتُ رسولًا بأنّي قد جئتكم، ومصدِّقًا لِمَا بين يديَّ.

والثاني: أن الرسول والمصدِّق فيهما معنى النطق؛ فكأنه قيل: وناطقًا بأنّي قد جئتكم وناطقًا بأنّي أُصدِّق ما بين يَدَيَّ.

فلم يصحَّ العطف، لأنّك لا تقول: "بعث الله عيسى مصدِّقًا أنا"، ولكن "مصدِّقًا هو". وقوله: (مِن المنصوبات) كالبيان لـ"ما" في قوله: "علامَ[١] تحمل؟"، أي: تعطف، فكأنّه قال: على أيِّ منصوب مِن المنصوبات المتقدِّمة وهي ﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾ و﴿وَجِيهًا﴾ و﴿كَهْلًا﴾ و﴿يُعَلِّمُهُ﴾ تحمله؟ أي:[٢] تعطِفه. أو هو للتبعيض، وهو الوجه.

قوله: (ويقول: أُرسِلت رسولًا) فيكون قوله: ﴿وَرَسُولًا﴾ و﴿مُصَدِّقًا﴾ منصوبين بفعلٍ وهو مقول القول المحذوف المعطوف على[٣] ﴿يُعَلِّمُهُ﴾، أي: يُعلِّمه الكتاب والحكمة، ويقول: أُرسِلت رسولًا.[٤]

قوله: (فيهما معنى النطق) اعلم أنّه إذا ضُمِّنا معنى النطق استقام قولك: "ناطقًا بأنّي" في معنى "رسولًا أنّي"، لكنَّ هذا المعنى في ﴿مُصَدِّقًا﴾ مشكِل، فإنّه إذا كان مصدِّقًا في معنى[٥] ناطقًا كيف يكون المعنى "ناطقًا بأنّي أصدِّق". ووجهُ دَفْع الإشكال أنّ "اللام" في ﴿لِمَا﴾ للاختصاص صلة ﴿مُصَدِّقًا﴾، فكأنّه قيل: "أنطق وأتكلّم لأجل ما بين يديَّ حال كوني مصدِّقًا"، فيئول المعنى إلى "ناطقًا بأنّي أصدِّق".[٦] فذَكَر المصنِّف ما يئول إليه المعنى، فيكون ﴿وَرَسُولًا﴾ عطفًا على ﴿وَجِيهًا﴾.

---

[١] ن: فلا.

[٢] ن: أو.

[٣] ن – على.

[٤] ر – فيكون قوله: ﴿وَرَسُولًا﴾ ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ منصوبين بفعل وهو مقول القول المحذوف المعطوف على يُعلِّمه، أي: يعلِّمه الكتاب والحكمة ويقول: أُرسلت رسولًا.

[٥] ن ر – (رسولًا أنّي) لكنّ هذا المعنى في ﴿مُصَدِّقًا﴾ مشكل فإنّه إذا كان مصدّقًا في معنى.

[٦] ن ر: أنطق.

وقرأ اليزيديُّ: "ورسولٍ" عطفًا على "كلمةٍ".

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾ أصله: أُرسلتُ بأني قد جئتُكم، فحُذف الجارُّ وانتصب بالفعل.

و﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ﴾ نصبٌ بدلٌ من ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾، أو جرٌّ بدلٌ من "آيةٍ"، أو رَفعٌ على: هي أني أخلقُ لكم. وقرئ: ﴿إِنِّي﴾ بالكسر على الاستئناف.

أي: أُقدِّر ﴿لَكُم﴾ شيئًا مثلَ صورةِ الطير ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف؛ أي: في ذلك الشيءِ المماثِلِ لهيئةِ الطير ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾: فيصيرُ طيرًا كسائر الطيور حَيًّا طَيَّارًا.

وقرأ عبد الله: "فَأَنْفُخُها"؛ قال:

كالهِبْرِقِيِّ تَنَحَّى يَنْفُخُ الفَحَمَا

قوله: (وقرأ اليزيدي)[1] اليزيدي هو أبو[2] محمّد بن المبارك العدوي، بصريٌّ يسكن بغداد. عُرف باليزيدي لصحبته يزيدَ بن منصور خالَ المَهدي. قرأ على أبي عمرو البصري، واشتهر بقراءته وتقدّم على أصحابه. ولمّا قام اليزيدي بقراءة أبي عمرو بعده أخذها عنه جماعة كثيرة منهم أبو عمر الدُّوري وأبو شعيب السوسي. الدُّور: موضع ببغداد، والسُّوس: موضع بالأهواز.

قوله: (على الاستئناف) فإنّه إذا قال: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾ فكأنّه سُئل عن الآية فقيل / في الجواب: هي ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾. [٢٥٦ظ]

قوله: (وقرأ عبد الله: "فأنفُخها")[3] وعلى قراءة عبد الله[4] "فأنفُخها" الضمير أيضًا يعود إلى "الكاف"، وإنّما أنّث، لأنّ مثلَ الهيئة هيئةٌ.

قوله:

(كالهِبْرِقِيِّ تنحّى ينفخ الفَحَما)[5]

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن اليزيدي. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٥٨٥.

[2] ن + عد.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٥٨٦.

[4] ر - عبد الله.

[5] البيت للنابغة في ديوانه، ص ٦٦، وفيه «رَوقيه» مكان «قرنيه»، وهما بمعنًى؛ وهو له في إصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ٩٧؛ والصحاح للجوهري، «هبرق»؛ ومجمع الأمثال للميداني، ٢/٣٠٦.

وقيل: لم يخلق غيرَ الخُفَّاش.

﴿ٱلۡأَكۡمَهَ﴾: الذي وُلِدَ أعمى، وقيل: هو الممسوحُ العين، ويقال: لم يكن في هذه الأمّة أكمهُ غيرُ قتادةَ بنِ دعامة السَّدُوسيِّ صاحبِ التفسير.

ورُوِي: أنّه ربما اجتمع عليه خمسون ألفًا من المرضى، مَن أطاق منهم أتاه ومَن لم يُطِق أتاه عيسى عليه السلام، وما كانت مداواتُه إلّا بالدعاء وَحْده.

وكرَّر ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ دفعًا لوَهْم مَن تَوَهَّم فيه اللاهُوتيّة.

ورُوِي: أنه أحيا سَامَ بنَ نوح عليه السلام وهم ينظرون، فقالوا: هذا سحرٌ فأرِنا آيةً، فقال: يا فلانُ أكلتَ كذا، ويا فلان خُبِئَ لك كذا.

أوّله:

مُــوَلِّــيَ الــريــح قــرنَــيْــه وجَـبْـهـتَـه

الشِّعر نظير "فأنفُخها" في عدم الصلة،[١] أي: الجارّ. الهِبرقيّ: الحدّاد والصائغ. البيت للنابغة يصف ثورًا. يقول: أكبّ هذا الثور في كِناسه يحتفر[٢] أصل الشجر، كالصائغ إذا[٣] تحرّك[٤] ينفخ الفحم.[٥]

قوله: (أكمَهُ) بمعنى ممسوح العين.

قوله: (وكرّر ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾) أي: هذا اللفظ.

قوله: (اللاهوتيّة) اللاهوت عبرانيّ، يقولون لله:[٦] لاهوت، وللإنسان:[٧] ناسوت.

قوله: (أحيا سام بن نوح) قيل: الصواب كعب بن حام، وفي هذا الاعتراض نظرٌ؛ لأنّه سيجيء أنّه أحيا أربعة نفر، وأيضًا في آخر سورة المائدة أنّه أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية.

---

١ يعني أن الفعل "ينفخ" تعدّى في بيت النابغة من غير حرف جرّ، كما وقع في قراءة ابن مسعود.

٢ في هامش د: يحفر. خ [اختصارًا من "نسخة"].

٣ ن ر: أو.

٤ في مطبوع **الصحاح**: تحرّف.

٥ من قوله الهِبرقيّ إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «هبرق».

٦ ر: الله.

٧ ر: الإنسان.

وقرئ: "تَذْخَرون" بالذال والتخفيف.

﴿وَلِأُحِلَّ﴾ ردٌّ على قوله: ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ أي: قد جئتُكم بآيةٍ من ربِّكم ولأُحِلَّ لكم.

ويجوز أن يكون "مصدِّقًا" مردودًا عليه أيضًا؛ أي: جئتُكم بآيةٍ وجئتُكم مصدِّقًا.

وما حَرَّم الله عليهم في شريعة موسى: الشحومُ، والثُّرُوب، ولحومُ الإبل والسمكِ، وكلُّ ذي ظفُر، فأَحَلَّ لهم عيسى عليه السلامُ بعضَ ذلك.

قيل: أحلَّ لهم من السمكِ والطيرِ ما لا صِيصِيَةَ له، واختلفوا في إحلاله لهم السبت.

وقرئ: "حَرَّم عليكم" على تسمية الفاعل، وهو: "ما بين يديَّ من التوراة"، أو اللهُ عزَّ وجلَّ، أو موسى عليه السلام؛ لأنَّ ذِكر التوراة ....

قوله: (ردٌّ) أي: مردود[١] متعلِّق به معطوف عليه، أي: ولأعلِّمكم ما أحلّ الله وما حرّم؛ لأنّه ليس بمخلوق تحليل الحرام وتحريم الحلال.

قوله: (مردودًا عليه) أي: مردودًا عليه مِن حيث المعنى ومتعلِّق به.

قوله: (وما حرّم الله) مبتدأ. وقوله: (الشحومُ) خبره.

قوله: (والثُرُوب) جمع "ثَرْب" وهو شحم رقيق قد غشيَ الكِراش والأمعاء.

قوله: (وكلّ ذي ظُفُر) كالإبل.

قوله: (صِيصية) الصِّيصية: ما يدفع به السمك عن نفسه أو[٢] الطير.[٣] وقيل: شوكة الحائك التي تُسوّي السَّداة واللُّحمة. ومنه صِيصية الديك التي في رجله،[٤] وتكون في رجل الديك.[٥]

قوله: (أو موسى) وإن لم يُذكَر في الآية (لأنّ ذِكر التوراة).[٦]

---

١ ن ر - مردود.

٢ ن ر - أو.

٣ ن: والطين؛ ر: والطير.

٤ ن ر + جعل القول.

٥ من قوله: "شوكة" إلى هنا في الصحاح للجوهري، «شوك».

٦ يعني: إلى آخر الكلام.

دلَّ عليه، ولأنّه كان معلومًا عندهم.

وقرئ: "حَرُم" بوزن كرُم.

﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ شاهدةٍ على صحّة رسالتي، وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾؛ لأنّ جميعَ الرسل عليهم السلامُ كانوا على هذا القولِ لم يختلِفوا فيه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

وقُرئ بالفتح على البدل من "آيةٍ"، وقولُه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ اعتراضٌ.

فإن قلتَ: كيف جعَل هذا القول آيةً من ربِّه؟

قلتُ: لأن الله تعالى جعلَه له علامةً يُعرف بها أنه رسولٌ كسائر الرسل، حيث هداه للنظر في أدلَّة العقل والاستدلال.

ويجوز أن يكون تكريرًا لقوله: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ ....

قوله:[١] (عليه) أي: على موسى.[٢]

قوله: (ولأنّه) أي: موسى.[٣]

قوله: (لأنّ جميع) يعني: إذا قال ما اتفق عليه الأنبياء كان ذلك دليل نبوّته.

قوله: (جَعَله له)،[٤] أي: جعل القول[٥] لعيسى.

قوله: (ويجوز أن يكون)... إلخ، اعلم أنّه ذَكَر لقوله: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وجهين: **الأوّل** أن يكون المراد بهذا غيرَ ما تقدّم قبله مِن الآيات، فيكون المراد هو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾، **الوجه الثاني** أن يكون هذا تكريرًا لقوله فيما تقدّم: ﴿جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾. ثمّ[٦] بنى المصنّف التفسير على الوجه الأوّل،

---

١ ن ر – أو موسى وإن لم يُذكر في الآية لأنّ ذكر التوراة. قوله.
٢ ن + عليه السلام.
٣ ن + عليه السلام.
٤ ر – له.
٥ ن ر – جعل القول.
٦ ن ر – ثم.

أي: جئتُكم بآيةٍ بعد أخرى مما ذكرتُ لكم مِن خَلْقِ الطير والإبراءِ والإحياءِ والإنباء بالخفيّات، وبغيره من ولادتي بغيرِ أبٍ، ومن كلامي في المهد، ومن سائر ذلك.

وقرأ عبد الله: "وجئتُكم بآياتٍ من ربكم" ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ لِمَا جئتُكم به من الآيات ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه، ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾.

حيث قال: (**أي: جئتكم بآية بعد أخرى**)... إلخ، فإنّه مناسب للوجه الأوّل لا للوجه الثاني، يُعرَف بالتأمّل.

واعلموا أنّا تأمّلنا في هذه **الحاشية** فوجدناها فاسدة. والصواب أن نقول: معنى الوجه **الأوّل** أن يكون المراد بالآية هو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾، وبيَّنه على تقدير كسر ﴿إِنَّ﴾ وفتحها، ومعنى الوجه **الثاني** أن يكون هذا تكريرًا لقوله: ﴿جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي: بالمعجزات الدالّة على نبوّتي ممّا ذَكَرت وممّا لم أذكُر، فيكون هذا تكريرًا لِما مرّ، لأنّه كرّر به الإشارة إلى معجزاته، وأمّا على الوجه الأوّل فلم يكن كذلك؛ لأنّ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ وإن قلنا: "إنّه شاهِدُ رسالته" لكن لا شكّ في أنّه ليس معجزةً. ثمّ أكّد هذا الوجه الثاني بقراءة عبد الله بلفظ الجمع،[1] فإنّها تدلّ[2] على أنّ المراد به الآية بعد الأخرى، أي: **المعجزات** المتعدّدة. وأشار إلى أنّ قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ لا يكون اعتراضًا على هذا الوجه؛ لأنّ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ غير متعلّق بما قبله؛ بل إن قُرئ بالكسر فابتداء كلام أو بالفتح[3] فالتقدير "لأنّ" / مثل ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ [قريش ١٠٦/١]، إلّا إذا قيل: على تقدير الفتح: التقدير "بآية[4] على أنّ الله تعالى"،[5] فيكون ﴿فَٱتَّقُواْ﴾ اعتراضًا. [٢٥٧و]

قوله: (**وبغيره**) أي: وبغير ما ذكرتُ لكم.

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود ومجاهد. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٢٧؛ **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ١١٣.

[2] د ر: دلّ.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن الأخفش. **شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٢٧.

[4] ن: بأنه.

[5] ر: فاتقوا.

ومعنى قراءةِ مَن فتح: ولأنّ الله ربي وربُّكم فاعبدوه؛ كقوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ... فَلْيَعْبُدُوا﴾.

ويجوز أن يكون المعنى: وجئتُكم بآيةٍ على أنّ الله ربي وربُّكم، وما بينهما اعتراضٌ.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾: فلمّا علِم منهم ﴿ٱلْكُفْرَ﴾ عِلمًا لا شبهةَ فيه كعِلْم ما يُدرَك بالحواسّ.

قوله: (ولأنّ الله) واعلم أنّ المصنّف[١] أتى بـ"الواو" في قوله: "ولأنّ" للإشارة إلى أنّ قوله: "إنّ الله" غير متعلّق بما قبله بالبدليّة، أو بكونه خبرَ مبتدأ محذوف، أي: "هو قولي: إنّ الله"، وإلّا لم يكن حاجة إلى الإتيان بهذا الوجه، إذ ليس "الواو" هنا في لفظ القرآن ولا إليه احتياج[٢] في التفسير.

قوله: (ويجوز) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (ومعنى قراءة مَن فتح)... إلخ، و"اللام" في قوله: (أن يكون المعنى) لامُ العهد، أي: يجوز[٣] أن[٤] يكون معنى قراءة مَن فتح.

قوله: (فلمّا عَلِم منهم الكفر علمًا لا شُبهة فيه) يريد أنّ الكفر ليس شيئًا يُدرَك بالحاسّة؛ بل شبّه عِلمه بكفرهم بإدراك الحاسّة، ثمّ ذَكَر ﴿أَحَسَّ﴾ وأُريدَ عَلِم بطريق الاستعارة التبعيّة، وذلك للمبالغة في وَصْف العِلم[٥] بأنّه بعيد عن وقوع الاشتباه فيه. والضمير في قوله تعالى: ﴿مِنْهُمُ﴾ لكفّار بني إسرائيل الذين قصدوا قتله.[٦]

---

[١] ر + رحمه الله.
[٢] ن: احتاج.
[٣] ر - أي: يجوز.
[٤] ن - يجوز أن؛ ر: أو.
[٥] ر + به.
[٦] ر: قبله.

و﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ مِن صلةِ ﴿أَنصَارِى﴾ مضمَّنًا معنى الإضافة؛ كأنّه قيل: مَن الذين يُضيفون أنفسَهم إلى الله، يَنصرونني كما يَنصُرُني الله، أو يتعلَّقُ بمحذوفٍ حالًا من الياء؛ أي: مَن أنصاري ذاهبًا إلى الله تعالى ملتجِئًا إليه.

﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أنصارُ دِينه ورسوله.

وحواريُّ الرجل: صَفْوتُه وخالِصَتُه، ومنه قيل للحضريَّات: الحواريَّاتُ؛ لخُلوصِ ألوانهنَّ ونظافتهِنَّ، قال أبو جَلْدةَ:

فقُلْ للحَوَاريَّات يَبْكِينَ غيرَنا ولا تَبْكِنا إلَّا الكلابُ النَّوابِحُ

قوله: (مضمَّنًا) حال مِن ﴿أَنصَارِى﴾ لأنّه في معنى المفعول، أي: وُصل ﴿أَنصَارِى﴾ بـ﴿إِلَى﴾ مضمَّنًا.

قوله: (ملتجِئًا) تفسير (ذاهبًا) قال في الوسيط: وذلك[1] أنّهم أرادوا قتله فاستنصر عليهم وقال ﴿مَنۡ أَنصَارِى﴾ جمع "نصير" نحو "شريف وأشراف". وقوله: "ذاهبًا إليه" أي: إلى ما أمر الله به وإلى عبادته؛ بل المعنى ملتجِئًا إلى الله كما ذكر.

قوله:

(فقل للحَواريّات[2] يبكينَ غيرنَا)...[3] البيت

أي: لا نُريد بكاء النساء، ولكن نريد الذِّكر وحُسن الثناء. وقيل: معناه: قل للنساء الحضريّات يبكينَ على غيرنا، فلسنا ممّن يموت بالحَضَر على الفراش؛ بل نحن مِن أهل البدو والمحاربة، ولا يبكي علينا إلّا الكلابُ النوابح اللاتي نشأنَ معنا[4] في البدو والصيد، أو الكلابُ اللاتي جرتْ عادتهّن أن يأكلن قتلانا في المحاربة بعد أن يفقدنَ[5] أكلهنّ عند موتنا.

---

[1] ر + أنّ قوله.

[2] د: الحوريّات.

[3] البيت لأبي جَلدة اليشكري في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٩٥/١؛ والوحشيّات لأبي تمّام، ص ٢٩؛ وجامع البيان للطبري، ٤٤٤/٥ (آل عمران، ٥٢/٣)؛ والصحاح للجوهري، «حور»؛ وأمالي ابن الحاجب، ٦٥٠/٢؛ وهو بلا عزو في البسيط للواحدي، ٢٩٦/٥ (آل عمران، ٥٢/٣).

[4] ن: معناه.

[5] ن: يتقدر.

وفي وزنه الحَوَاليُّ وهو الكثير الحِيلة، وإنما طلبوا شهادتَه بإسلامهم تأكيدًا لإيمانهم؛ لأن الرسل يشهدون يومَ القيامة لقومهم وعليهم.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾

﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: مع الأنبياءِ الذين يَشهدون لأممهم، أو: مع الذين يَشْهدون بالوَحْدانيّة.

وقيل: مع أمّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم شهداءُ على الناسِ.

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾

﴿وَمَكَرُواْ﴾ الواو لكفّار بني إسرائيل الذين أحسَّ عيسى منهم الكفرَ، ومكرُهم أنهم وَكّلوا به مَن يقتله غِيلةً.

﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ أنْ رفَع عيسى عليه السلام إلى السماء وألقى شَبَهه على مَن أراد اغْتياله حتى قُتل.

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾: أقواهم مكرًا، وأنفذُهم كيدًا، وأقدرُهم على العقاب من حيث لا يَشعر المعاقَب.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٥٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٧﴾

قوله: **(شهادتَه)** أي: شهادة عيسى عليه السلام.[١] وقوله: **(غِيلةً)** الغِيلة بالكسر: الاغتيال. يقال: قَتله غِيلة، وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قَتله.

---

١ د – عليه السلام.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ﴾ ظرفٌ لـ﴿خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ أو لـ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾.

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾؛ أي: مُستَوفي أجلَك، ومعناه: إني عاصمُك من أن يقتُلَكَ الكفَّارُ ومؤخِّرُك إلى أجلٍ كتبْتُهُ لك، ومُمِيتُك حتفَ أنفكَ لا قتلًا بأيديهم.

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾: إلى سمائي ومَقرِّ ملائكتي.

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: من سوءِ جِوارهم وخُبْثِ صُحْبتِهم.

وقيل: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾: قابضُك من الأرض، مِن تَوَفَّيتُ مالي على فلانٍ: إذا استَوْفيتَه.

وقيل: مُميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعُك الآن.

وقيل: متوفي نفسِك بالنوم؛ من قوله: ﴿وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر ٣٩/٤٢] ورافعُك وأنت نائمٌ حتى لا يلحقَك خوفٌ وتستيقظَ وأنت في السماء آمنٌ مقرَّب.

قوله: **(مستوفي أجلِك)**...[١] إلخ، لمّا فسّر[٢] المصنّف قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ بقوله:[٣] "مستوفي أجلك، ومعناه: عاصمك"... إلخ، وبقوله[٤] ثانيًا: **(قابضك مِن الأرض)** ظَهَر وجه تأخير ﴿وَرَافِعُكَ﴾ عن ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، ولمّا فسّره بقوله: **(مُميتك)** قال: التقدير **(رافعُك الآن)**. ثم اعلم أنّ المضاف محذوف مِن ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ كما ذكر. والمراد بالأجل تمامُ مدّة العمر في قوله: "مستوفي أجلِك"، والجزءُ الأخير في قوله: **(مؤخِّرك إلى أجل)**، فتأمّل.

قوله: **(لا قتلًا)** عطف على **(حَتْفَ أنفِك)** وهما نصبٌ على المصدر مِن "مميتك". وفيه إشارة إلى أنّه سواء مات حتفَ أنفه أو قُتل بأيديهم فإنّه بإماتة الله تعالى.

قوله: **(ما لي[٥] على فلان)** "ما" بمعنى الذي، أي: الذي لي على فلان.

قوله: **(بعد نزولك مِن السماء)** فيكون مِن القلب، أي: رافعك[٦] إليّ ومتوفيك. أو نقول: لا حاجةَ إلى تقدير القلب؛ لأنّ "الواو" لا يفيد الترتيب.

---

١ ن: أجله.
٢ ن: فسره.
٣ ر: بقولك.
٤ ر: وبقولك.
٥ ن – لي.
٦ ن: أرفعك.

﴿فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾: يَعْلُونهم بالحجّة، وفي أكثر الأحوال بها وبالسيف، ومتَّبِعُوه هم المسلمون لأنهم متَّبِعوه في أصل الإسلام وإنِ اختلَفت الشرائعُ، دون الذين كذَّبوه وكذَبوا عليه من اليهود والنصارى.

﴿فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ تفسيرُ الحكم قوله: ﴿فأُعذِّبهم... فنُوفِّيهم أجورهم﴾.

وقرئ: ﴿فَيُوَفِّيهِمۡ﴾ بالياء.

﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما سبق من نبأ عيسى عليه السلام وغيرِه، وهو مبتدأ وخبرُه ﴿نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ﴾، و﴿مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ خبرٌ بعد خبرٍ، أو خبرُ مبتدأ محذوف.

ويجوز أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى «الذي» و﴿نَتۡلُوهُ﴾ صلته، و﴿مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الخبرَ.

قوله: (يعلُونهم بالحجّة)... إلخ، أي: يعلوا الذين اتّبعوك الذين كفروا،[1] أي: / يعلونهم دائمًا بالحجّة، و"يعلونهم في أكثر الأحوال بالحجّة وبالسيف". [٢٥٧ظ]

قوله: (دونَ الذين كذّبوه)... إلخ، فيه لفٌّ ونشرٌ.

قوله: (﴿فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾) في نسخة المُعزّي وهكذا في المصحف، وفي بعض النُّسخ "فأحكم بينهم".

قوله: (أو خبر مبتدأ محذوف) أي: هذه مِن الآيات، أو تلك مِن الآيات، أو[2] هو مِن الآيات، يعني[3] العلامات الدالّة على نبوّتك، لأنّها أخبار لا يعلمها إلّا قارئ أو شاهد أو مَن يوحى إليه وأنت لم تشهدها ولست بقارئ، فبان أنّه وحي سماويّ.

قوله: (بمعنى الذي) «لم يُثبت سيبويهِ "ذا" بمعنى "الذي" إلّا في قولهم: "ماذا"، وقد أثبته الكوفيّون، وأنشدوا:

---

[1] ر + إلى آخره فيه لف ونشر.
[2] ن – أو.
[3] ن ر: فمعنى.

ويجوز أن يَنتصِبَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمضمَرٍ يُفسِّره ﴿نَتْلُوهُ﴾.

﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾: القرآنُ، وُصِفَ بصفةِ مَن هو مِن سَببه، أو كأنه ينطقُ بالحكمةِ لكثرةِ حِكَمِه.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾: ....

عَدَسْ ما لعَبّاد عليك إمارةٌ أمِنتِ وهذا تحملينَ طليقُ[1]

وهذا شاذٌّ عند البصريين».[2]

قوله: (**ويجوز أن ينتصب ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمضمر**) أي: نتلو ذلك نتلوه.

قوله: (**بصفة مَن هو**) أي: بصفة مُنزله، أي: "الحكيم مُنزِله"، فـ"مَن" عبارة عمّن أنزله وهو الله تعالى، وهو عائد إلى "مَن"، والمراد بالسبب الضمير الذي هو الرابط و"مَن" للاتصال[3] كما في قولهم: "أنا منك فرسخين"،[4] أي: أنا مُلابسك مسافة فرسخين.[5] والمراد بالاتّصال بالضمير هو إضافته إليه، إذ الأصل "الحكيمُ مُنزِله"، حُذف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقامه.

قوله تعالى: (﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾) سبب النزول أنّ وفد نَجْران قالوا له عليه السلام: لِمَ تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول؟ قالوا: تقول: إنّه عبد الله. قال: أجلْ إنّه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى عذراء البتول، فغضبوا وقالوا:

---

١ البيت ليزيد بن مفرِّغ الحميري في ديوانه، ص ١٧٠؛ وهو له في **الصحاح** للجوهري، «عدس»؛ و**أمالي ابن الشجري**، ٤٤٣/٢؛ و**الإنصاف في مسائل الخلاف** لأبي البركات الأنباري، ٧١٧/٢؛ وهو بلا عزو في **المفصَّل** للزمخشري، ص ١٩٠؛ و**شرح الرضيّ على الكافية**، ٢٣/٣، ١٢٢. وعبّاد المذكور في البيت هو عبّاد بن زياد بن أبيه أمير سجستان، وكان عبّاد حبسه لهجائه إيّاه، ثمّ أطلقه، فركب بغلة وأنشد هذا البيت. انظر تفصيل ذلك في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٣٢٥/٤-٣٣٥.

٢ **المفصَّل** للزمخشري، ص ١٩٠. وانظر: **كتاب سيبويه**، ٤١٦/٢-٤١٧.

٣ ر: الاتصال.

٤ ن ر: مِن سخين.

٥ ن: مِن سخين.

إنَّ شأنَ عيسى وحالَه الغريبةَ كشأنِ آدم.

وقولُه: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ جملةٌ مفسِّرةٌ لِمَا له شُبِّه عيسى عليه السلام بآدمَ عليه السلام؛ أي: خلَق آدمَ عليه السلامُ من ترابٍ ولم يكن ثَمَّ أبٌ ولا أمٌّ، وكذلك حالُ عيسى عليه السلام.

فإن قلتَ: كيف شُبِّه به وقد وُجد هو بغيرِ أبٍ ووُجِد آدمُ عليه السلامُ بغيرِ أبٍ وأمٍّ؟

قلتُ: هو مَثِيلُه في أحد الطرفين، فلا يَمنعُ اختصاصُه دونه بالطَّرف الآخر من تشبيهه به؛ ....

هل رأيت إنسانًا قطّ مِن غير أب، فإن كنت صادقًا فأرِنا مثلَه، فنزلت.[١]

قوله: **(إنّ شأن عيسى)** يريد أنّ المراد بالمثل هنا الصفة العجيبة الشأن، فإنّ المِثل والمَثل والمثيل بمعنى الشِّبه والشَّبه والشبيه، ثمّ يُطلَق مجازًا على الكلام السائر الممثَّل مَضرِبه بمَورِده، ثمّ يُطلَق ويراد به الصفة العجيبة الشأن.

قوله: **(لِما له شُبِّه)** أي: للذي لأجله شُبِّه.

قوله: **(فكذلك حال عيسى)** فيه دليل على جواز القياس، وهو ردّ فرع إلى أصل لشَبَه ما، لأنّ عيسى رُدّ إلى آدم لشَبَه بينهما.

قوله:[٢] **(قلتُ: هو مثيله)** حاصل الجواب **الأوّل**[٣] أنّه شُبِّه به في الخلق بغير أب، وهذا المعنى موجود فيهما، فوجه الشَّبه شامل للطرفين،[٤] ولا يضرُّ اختصاص المشبَّه به بأمر آخرَ غيرِ وجه الشَّبه. وحاصلُ الوجه **الثاني** أنّه أوجده[٥] بالوجود الخارج عن العادة في إيجاد الأناسي، وهذا معنى شامل للطرفين.[٦]

---

١ ن ر - قوله تعالى... فنزلت. | وسبب النزول بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٤٥٩/٥ (آل عمران، ٥٩/٣)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٤٧/٢ (آل عمران، ٥٩/٣).

٢ ن ر - (لما له شُبّه) أي: للذي لأجله شبّه. قوله: (فكذلك) حال عيسى فيه دليل على جواز القياس وهو ردّ فرع إلى أصل لشبه ما لأنّ عيسى رُدّ إلى آدم لشبه بينهما. قوله.

٣ ر - الأول.

٤ ن ر: الطرفين.

٥ ن: أوجه.

٦ ن ر: الطرفين.

لأنّ المماثَلةَ مشارَكةٌ في بعض الأوصاف، ولأنه شُبِّه به في أنه وُجد وجودًا خارجًا عن العادةِ المستمرَّة، وهما في ذلك نظيران، ولأنّ الوجود من غيرِ أبٍ وأمٍّ أَغْربُ وأخرقُ للعادة من الوجود من غيرِ أبٍ، فشبّه الغريبُ بالأغرب ليكون أقطعَ للخصم وأَحْسَمَ لمادَّة شُبْهتِه إذا نظر فيما هو أغربُ مما استغربَه.

وعن بعض العلماء: أنَّه أُسِرَ بالروم فقال لهم: لـمَ تعبدون عيسى عليه السلام؟! قالوا: لأنه لا أبَ له، قال: فآدمُ أَوْلَى لأنه لا أَبوين له، قالوا: كان يُحيِي الموتى، قال: فحِزْقيلُ أولى لأن عيسى عليه السلام أحيا أربعةَ نَفَرٍ،

قوله: (لأنّ المماثلة) قيل: المماثلة[١] جنس تحته أربعة أنواع: المشابهة والمضاهاة والمشاكلة والمساواة. فالمشابهة: في[٢] نوع مِن[٣] الكيفيّات كالمناسبة في[٤] الألوان، والمضاهاة: في نوع مِن الإضافة كاشتراك زيد وعمرو في النسبة إلى خالد إذا كان أبًا لهما، والمشاكلة: في نوع مِن الجواهر على رتبة واحدة كثوبَي قطن وثوبَي كَتان، والمساواة: هي في[٥] نوع مِن الكميّة كثوبين كلّ واحد منهما عشرة أذرع.[٦] وهي، أي: المماثلة إنّما تثبت بأعمّ الأوصاف كما هو مذهب أهل السُّنة، وبأخصّ الأوصاف عند المعتزلة.[٧] وعند أهل التحقيق المماثلة: اشتراك في الماهيّة، فإنّ الفرس وإن كان كيِّسًا[٨] لا يكون مماثلًا للإنسان.[٩] ليس في هذه **الحاشية** / زيادة تحقيق، وكأنّه اصطلح على ذلك بعضهم. [٢٥٨و]

قوله: (**ولأنّ الوجود**) اللام في "لأن" متعلّق بقوله: (**فشُبِّه**)[١٠] كما في ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ [قريش ١٠٦/١]. وهذا الكلام إشارة إلى زيادة الفائدة في هذا التشبيه على الوجهين المذكورين.

---

١ ن ر – المماثلة قيل المماثلة.
٢ ر: من.
٣ ر – من.
٤ ر: و.
٥ ر – في.
٦ من قوله: "قيل: المماثلة" إلى هنا منقول بلفظ قريب في تبصرة **الأدلّة** للنسفي، ص ١٩٧-١٩٨.
٧ مذاهب أهل السّنة والمعتزلة في هذه المسألة أوسع ممّا ذكر. انظر تفصيل ذلك في تبصرة **الأدلّة** للنسفي، ص ١٨٨-٢٠٤.
٨ ن – كيسًا.
٩ ر: الإنسان.
١٠ ن: فتشبه.

وأَحْيا حِزقِيلُ عليه السلام ثمانيةَ آلافٍ، فقالوا: كان يُبرئُ الأكمَهَ والأبرصَ، قال: فجِرْجيسُ عليه السلام أولَى لأنه طُبِخ وأُحْرِقَ ثم قام سالمًا.

﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾: قدَّره جسدًا من طين.

﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾؛ أي: أَنْشأه بشرًا؛ كقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون ١٤/٢٣].

﴿فَيَكُونُ﴾ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ.

﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝٦٠﴾

﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: هو الحقُّ؛ كقول أهلِ خيبر: محمدٌ والخميسُ.

ونهيُه عن الامتراء -وجَلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مُمتريًا- من باب التهييج؛ لزيادةِ الثباتِ والطمأنينةِ، وأن يكون لطفًا لغيره.

﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾

قوله: (**قام سالمًا**) أي: قام سالمًا وما بَرِص؛ لأنّ الإنسان إذا طُبِخ صار أبرصَ.

قوله: (**ف﴿يَكُونُ﴾ حكايةُ**) أي: لفظة "يكون".

قوله: (**محمّدٌ والخميس**) أي: هذا محمّد. والخميس: جيش له خمسة أركان المَيمنة والمَيسرة وهما الجناحان والقلب والساقة والطليعة. والمراد بالساقة آخر الجيش وبالطليعة المتقدِّمون. وهذا الكلام قاله أهل خيبر حين رأوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[١] مع الجيش قريبًا مِن خيبر.

قوله: (**ونهيُه**) أي: نهيُ محمّد، أي: ﴿فَلَا تَكُن﴾.

قوله:[٢] (**وجلّ**) "الواو" للحال.

---

١ د: عليه السلام.

٢ ر + (ونهيه) أي: نهي محمّد، أي: فلا تكن. قوله.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾ من النصارى ﴿فِيهِ﴾: في عيسى ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾؛ أي: من البيّنات الموجِبةِ للعلم.

﴿تَعَالَوْا۟﴾: هلُمُّوا، والمرادُ: المجيءُ بالرأي والعزمِ؛ كما تقول: تعالَ نفكِّرْ في هذه المسألة.

﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾؛ أي: يَدْعُ كلٌّ منّي ومنكم أبناءَه ونساءَه ونفسَه إلى المباهَلة.

﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾: ثم نتباهَلْ، بأنْ نقولَ: بَهْلَةُ الله على الكاذب منّا ومنكم، والبَهْلة بالفتح والضمّ: اللعْنَةُ، وبَهَله اللهُ: لعنه الله وأَبْعَدَه من رحمته؛ من قولك: أَبْهَلَه: إذا أَهْمَلَه، وناقةٌ باهِلٌ: لا صِرارَ عليها، وأصلُ الابتهال هذا ثم استُعمل في كلِّ دعاءٍ يُجتَهَد فيه وإن لم يكن الْتِعانًا.

رُوي: أنه لمّا دعاهم إلى المباهَلة قالوا: حتى نَرجعَ ونَنظُرَ، فلمّا تَخالَوْا قالوا للعَاقب وكان ذا رأيهم: يا عبدَ المسيح! ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتُم يا معشرَ النصارى أنَّ محمدًا صلى الله وعليه وسلم نبيٌّ مُرْسَلٌ، ولقد جاءكم بالفَصْل من أمرِ صاحبكم، واللهِ ما باهَلَ قومٌ نبيًّا قطُّ فعاش كبيرُهم ولا نبتَ صغيرُهم، ولئن فعلتُم لتَهْلِكُنَّ، فإن أَبَيْتُم إلا إِلْفَ دِينِكم والإقامةَ على ما أنتم عليه

قوله: (**لا صِرار[١] عليها**) «صررتُ[٢] الناقة شددتُ عليها الصِّرار،[٣] وهو: خيط يُشدّ فوق الخِلْف[٤] والتَّوْدية لئلّا يرضعها ولدها».[٥] والتَّوْدية واحدة التوادي، وهي: الخشبات التي على خِلْف الناقة.[٦]

قوله: (**فلمّا تخالَوا**)،[٧] أي: خلا بعضهم ببعض.

قوله: (**للعاقب**) العاقب مَن يخلف السيِّد بعده.

---

١ ن ر: ضرار.

٢ ن ر: ضررت.

٣ ن ر: الضرار.

٤ في هامش د: الخِلف بالكسر: حلمة ضرع الناقة القادمان والآخران. **صحاح**.

٥ **الصحاح** للجوهري، «صرر».

٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ودي».

٧ ن: تخالوا.

فوادِعوا الرجُلَ وانصرِفوا إلى بلادكم، فأتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد غَدا مُحتَضِنًا الحسَيْنَ آخذًا بيد الحسنِ، وفاطمةُ تمشي خَلْفَه وعليٌّ خلفَها، وهو يقول: «إذا أنا دعَوْتُ فأمِّنُوا»، فقال أُسْقُفُ نجران: يا معشرَ النصارى! إني لَأَرَى وجوهًا لو شاءَ الله أن يُزيلَ جَبَلًا من مكانه لأزاله بها، فلا تُباهِلوا فتَهْلِكوا ولا يَبْقَ على وجه الأرض نصرانيٌّ إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم! رَأَينا أن لا نُباهلَك وأنْ نُقرَّكَ على دِينك ونَثْبتَ على ديننا، قال: «فإذا أبَيتُم المباهَلةَ فأسْلِموا

قوله: **(فوادِعوا)** أي: صالِحوا.

قوله: **(محتضِنًا)**،[1] أي: أخذه في حِضنه، وهو: ما دون الإبط.

قوله: **(«فأمِّنوا»)** هو أمر مِن التأمين، أي: قولوا: آمين.

قوله" **(أُسقُفّ)** «السَّقَف[2] بالتحريك: طول في[3] انحناء[4] يقال: رجل أسقَف بيّن السَّقَف.[5] قال ابن السكّيت: ومنه اشتُقّ أُسقُفّ النصارى، لأنّه[6] يتخاشع، وهو رئيس مِن رؤسائهم في الدِّين».[7]

قوله: **(ولا يبقَ على وجه الأرض نصرانيٌّ)** "ولا يبقَ" بغير ياء في نسخة **جار الله**. قيل: والصواب[8] "ولا يبقى" بإثبات "الياء"، لأنّ **(فتهلكوا)** معطوف عليه وهو منصوب وليس بمجزوم، لأنّ "الفاء" في جواب النهي فتنصِب.[9] وأنا أقول: يمكن أن يكون مِن قبيل قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون ١٠/٦٣]، أعني هو في مقام كان يجوز فيه ألّا يُؤتى بـ"الفاء" ويُجزَم، فمحلُّه جزمٌ بهذا الاعتبار، فاعتُبر ذلك وجُزِم المعطوف. ثمّ اعلم أنّ هنا بحثًا وهو أنّ "لا تُباهلوا فتهلكوا" مثل "إن لا تكفرْ تدخل النار". فتأمّل.

---

١ ن: مختضًا.
٢ ن: السقيف.
٣ ن – في.
٤ ن: الحيا.
٥ ر – بالتحريك طول في انحناء يقال: رجل أسقف بيّن السقف.
٦ ر: لا.
٧ الصحاح للجوهري، «سقف».
٨ ر: الصلوات.
٩ ن ر: فنصب.

يكنْ لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم»، فأبَوْا، قال: «فإنِّي أُناجزُكم»، فقالوا: ما لنا بحربِ العرب طاقةٌ، ولكنْ نُصالحُك على أن لا تَغْزوَنا ولا تُخيفَنَا ولا تردَّنا عن ديننا على أن نُؤدِّيَ إليك كلَّ عامٍ ألفي حُلَّةٍ: ألفٌ في صَفَرٍ وألفٌ في رَجبٍ، وثلاثين درعًا عاديَّة من حديد، فصالحَهم على ذلك، وقال: «والذي نفسي بيدِه إن الهلاك قد تَدَلَّى على أهلِ نجران، ولو لاعَنُوا لمُسخوا قردةً وخنازيرَ، ولاضْطَرَم عليهم الوادي نارًا، ....

قوله: («أناجزكم») «المناجَزة في الحرب: المبارزة والمقاتلة. وفي المثل 'المحاجزة قبل المناجزة'».[١] ويقال: «حجزه، أي: منعه. والمحاجزة: الممانعة. وفي المثل 'إن أردتَ المحاجزة[٢] فقبل المناجزة'».[٣]

قوله: (على ألّا تغزونا) مِن صلة الصلح. يقال: صالح عليه. وأمّا[٤] قوله: (على أن[٥] نُؤدّي) فمتعلّق بمحذوف، أي: مستقرّين أو مقرَّرين على أن نؤدّي، ويجوز أن يقال: على أن نؤدّي بدل مِن "على ألّا تغزونا"؛ لأنّ هذا الثاني أيضًا ممّا صُولح عليه؛ بل التحقيق أنّ الإتيان بواو العطف هنا كان أولى؛ لأنّ المصالحة كانت على المجموع، وهو أن يزعهم[٦] النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم[٧] عن القتال ولا يُكرههم على الإسلام، وأن يعطوا هذا المشروط.

قوله: (في صفرٍ) و(رجبٍ) عن نسخة جار الله "صفرَ" و"رجبَ".

قوله: (عاديّة) أي: قديمة هي منسوبة إلى عاد وإرم، وهم العاد الأولى، كما قالوا: داوديّة، أي: مُحكَمة قويّة.

قوله: («قد تدلّى») أي: تعلّق.

قوله: («ولاضطرم»)،[٨] أي: التهب.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «نجز». والمثل في **مجمع الأمثال** للميداني، ١/٤٠، ١٣٦، ٢/٢٨٩.

٢ ن ر - قبل المناجزة ويقال: حجزه، أي: منعه والمحاجزة الممانعة، وفي المثل: إن أردت المحاجزة.

٣ **الصحاح** للجوهري، «حجز». والمثل في **مجمع الأمثال** للميداني، ١/٤٠.

٤ ن ر - وأمّا.

٥ ر + لا.

٦ د ن ر: يدعهم.

٧ د: عليه السلام.

٨ **البسيط** للواحدي، ٥/٣٢٠ (آل عمران، ٣/٥٩)؛ **معالم التنزيل** للبغوي، ٢/٤٨ (آل عمران، ٣/٥٩).

ولاستَأْصَلَ اللهُ نجرانَ وأهلَه حتى الطيرَ على رؤوسِ الشجرِ، ولَمَا حال الحولُ على النصارَى كلِّهم حتى يَهْلِكوا».

وعن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مِرْطٌ مُرحَّلٌ من شَعر أسود، فجاء الحَسنُ فأَدخَله، ثم جاء الحُسينُ فأدخله، ثم فاطمةُ ثم عليٌّ رضوان الله عليهم، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾.

فإن قلتَ: ما كان دُعاؤه إلى المباهَلة إلَّا ليتبيَّن الكاذبُ منه ومِن خصمه، وذلك أمرٌ يختصُّ به وبمَن يُكاذِبُه، فما معنى ضمّ الأبناء والنساء.

قلتُ: ذلك آكَدُ في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصِدقه، حيثُ اسْتَجْرأَ

[٢٥٨ظ] قوله: (مِرْط مرحَّل)[١] «المِرْط بالكسر: واحد المروط، / وهي أكسية[٢] مِن صوف أو[٣] خزّ،[٤] كان يُؤتزر بها».[٥] والمرحّل بالحاء المهملة، هو: المَوشيّ، سُمّي مُرحَّلًا؛ لأنّ عليه تصاوير الرِّحال.[٦] هذا قول أصحاب غريب الحديث. وذكر الجوهريّ أنّه إزارُ خزّ فيه عَلَم.[٧] قال الإمام التُّوربِشتيّ في **شرح المصابيح**:

> ولعلّهم ذهبوا في هذه التسمية إلى اختلاف الألوان والخطوط التي فيه، فإنّ الأرحَل[٨] مِن الخيل هو الأبيض الظهر، ومن الغنم الأسود الظهر. ويُسمّون الطنافس الحِيريّة الرِّحالَ. فالأشبه فيه أنّ يُفسَّر بأنه كان كالمَوشيّ[٩] للخطوط التي فيه ليُوافق النظائر التي ذكرناها، وهي الأولى أن يُقدَّر في لباس لبِسه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[١٠]

قوله: (**استجرأ**) مِن الجرأة.

---

١ **صحيح مسلم**، ١٦٤٩/٣ (٢٠٨١)؛ **سنن أبي داود**، ١٤٥/٦ (٤٠٣٢)؛ **معالم التنزيل** للبغوي، ٣٥٠/٦ (الأحزاب، ٣٣/٣٣).

٢ ن: السهة.

٣ ن – أو.

٤ ن: أخر.

٥ **الصحاح** للجوهري، «مرط».

٦ ر: الرجال. | انظر: **الغريبين** للهروي، ٧٢٨/٣؛ **والنهاية في غريب الحديث** لابن الأثير، ٢١٠/٢.

٧ **الصحاح** للجوهري، «رحل».

٨ ر: الأرجل.

٩ ر: كالمواشي.

١٠ د: عليه السلام. | **الميسر في شرح المصابيح** للتُّوربِشتي، ٩٧٣/٣.

على تعريض أعزَّته وأفْلاذِ كبدِه وأحبِّ الناس إليه لذلك، ولم يَقتصِرْ على تعريضِ نفسه له، وعلى ثِقَتِه بكذبِ خصمه حتى يَهْلِكَ خصمُه مع أحبَّته وأعزَّته هلاكَ الاستئصال إنْ تمَّتِ المباهَلةُ.

وخصَّ الأبناءَ والنساءَ لأنهم أعزُّ الأهل وألصقُهُم بالقلوب، وربَّما فَدَاهم الرجلُ بنَفْسه وحارَبَ دونهم حتى يُقْتَل، ومِن ثَمَّ كانوا يسوقون مع أنفسِهم الظَّعَائنَ في الحروب لتَمْنعَهم من الهرب ويُسَمُّون الذَّادَةَ عنها بأرواحهم: حُماةَ الحقائق.

وقدَّمهم في الذِّكر على الأنفُس لِيُنبِّهَ على لُطْفِ مكانهم وقُرْبِ منزلتِهم، وليُؤْذِنَ بأنَّهم مقدَّمون على الأنفُس مُفَدَّوْنَ بها.

قوله: **(لذلك)** اللام متعلّق بقوله: **(تعريضِ)** وذلك إشارة إلى المباهلة.

قوله: **(لم يقتصر)** عطف على "استجرأ".

قوله: **(الظعائنَ)** جمع الظعينة، وهي: المرأة ما دامت في الهودج، فإذا لم تكن في الهودج فليست بظعينة، والظعينة أيضًا: الهودج،[١] كانت فيه امرأة أو لم تكن.[٢]

قوله: **(الذادة)**[٣] الذَّود والذِّياد:[٤] الطرد والدفع. تقول: ذُدته عن كذا، أي: دفعته عنه. ورجل ذائد وذوّاد، أي: حامي[٥] الحقيقة.[٦] يعني: يدفع الأعداء عن أهله وحَرَمه. وجمع الذائد الذادة،[٧] على "فَعَلة" مثل "فاسق وفَسَقة" و"فاجر وفَجَرة"، ومثل ذلك[٨] كثير.

قوله: **(حُماةَ الحقائق)** الحقيقة: ما يحِقّ على الرجل أن يحميَه، أي: يجب عليه أن يحفظه. يقال: فلان حامي[٩] الحقيقة.[١٠]

---

١ د - فإذا لم تكن في الهودج فليست بظعينة، والظعينة أيضًا الهودج.
٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ضعن».
٣ ر: للذاذة.
٤ ن: الذياد.
٥ ن ر: جاء في.
٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ذود».
٧ ر: الذودة.
٨ ر: لذلك.
٩ ن: جاء في.
١٠ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حقق».

وفيه دليلٌ لا شيءَ أقوى منه على فضل أصحابِ الكساء عليهم السلام.

وفيه بُرهان واضحٌ على صحَّة نبوَّة النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لم يَرْوِ أَحَدٌ من موافقٍ ولا مخالفٍ أنّهم أجابوا إلى ذلك.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي قُصَّ عليك من نبأ عيسى ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ قُرئَ بتحريكِ الهاء على الأصل، وبالسكونِ لأن اللامَ تُنزَّل مِن ﴿هُوَ﴾ منزلةَ بعضه فخُفِّف كما خُفِّف «عَضُدٌ»، وهو إمّا فَصْلٌ بين اسم ﴿إِنَّ﴾ وخبرِها، وإمَّا مبتدأٌ و﴿ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ خبرُه، والجملة خبرُ ﴿إِنَّ﴾.

فإن قلتَ: لِمَ جاز دخولُ اللامِ على الفصل؟

قلتُ: إذا جاز دخولُها على الخبر كان دخولُها على الفصل أجوزَ؛ لأنه أقربُ إلى المبتدأ منه، وأصلُها أن تدخل على المبتدأ.

و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بمنزلةِ البناء على الفتح في «لا إله إلا الله» في إفادةِ معنى الاستغراق، والمراد الردُّ على النصارى في تثليثهم.

قوله: (**لا شيءَ أقوى منه**) صفة (**دليل**).

قوله: (**أصحاب الكساء**) يعني عليًّا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله[1] عنهم، وهم الذين أدخلهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[2] في مِرطه المُرحَّل حين أراد المباهلة، كما مرّ عن قريب.

قوله: (**إلى ذلك**) أي: المباهلة.[3]

قوله: (**في إفادة معنى الاستغراق**) إشارة إلى أنّ معنى الاستغراق إنّما ينشأ مِن لفظة "مِن" أو تقديرها، فلا يكون "ما جاء رجل إلّا زيد"[4] استثناء[5] متّصلًا

---

١ ن + تعالى.

٢ د: عليه السلام.

٣ ر – كما مرّ عن قريب قوله: (إلى ذلك) أي: المباهلة.

٤ ر: زيدًا.

٥ ر + منه.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٦٣﴾

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وعيدٌ لهم بالعذاب المذكور في قوله: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل ١٦/٨٨].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: هم أهلُ الكتابين، وقيل: وَفْدُ نجران، وقيل: يهود المدينة.

﴿سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: مستويةٍ بيننا وبينكم لا يختلِفُ فيها القرآنُ والتوراةُ والإنجيل، وتفسيرُ الكلمة قولُه: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: تعالَوا إليها حتى لا نقولَ: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٩/٣٠] ولا: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٩/٣٠]؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما بعضُنا بشرٌ مثلُنا، ولا نطيعَ أَحْبارَنا فيما أَحدثوا من التحريم والتحليل من غيرِ رجوعٍ إلى ما شَرَعَ الله؛ كقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة ٩/٣١].

وعن عديِّ بنِ حاتم: ما كنَّا نعبدُهم يا رسول الله! قال: «أليس كانوا يُحِلُّون لكم ويحرِّمون فتأخذُون بقولهم؟»، قال: نعم، قال: «هو ذاك».

لعدم العموم، وهذا هو السرّ في أنّ قولهم: "لا رجلَ في الدار" بالفتح[١] يفيد العموم، بخلاف "لا رجلٌ"[٢] بالتنوين.

قوله: (وقيل: وَفْدُ) «وَفَد فلان على الأمير، أي: ورد رسولًا، فهو وافد والجمع "وَفْد" مثل صاحب وصَحْب».[٣]

قوله: (حاتم) أي: الطائي.

١ ن ر: في الفتح.
٢ ن: رجلًا.
٣ الصحاح للجوهري، «وفد».

وعن الفُضَيْل: لا أُبالي أَطعتُ مَخلوقًا في معصية الخالق أو صلَّيتُ لغيرِ القبلة.

وقرئ: "كَلْمةٍ" بسكون اللام.

وقرأ الحسن: "سواءً" بالنصب، بمعنى: استوَتِ استواءً.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن التوحيد.

﴿فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: لَزِمَتْكم الحجَّة فوجَبَ عليكم أن تعترِفوا وتُسلِّموا بأنَّا مسلمون دونكم، كما يقول الغالب للمغلوب في جدالٍ أو صِرَاعٍ أو غيرِهما: اعترِفْ بأني أنا الغالبُ وسلِّم إليَّ الغلبة.

ويجوز أن يكون من باب التعريض، ومعناه: اشهَدوا واعترِفوا بأنكم كافرون حيث تولَّيتُم عن الحق بعد ظهوره.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٥﴾

زعم كلُّ فريقٍ من اليهود والنصارى أنَّ إبراهيم عليه السلام كان منهم، وجادَلُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه، فقيل لهم: إن اليهوديةَ إنما حدَثت بعد نزول التوراة والنصرانيَّةَ بعد نزول الإنجيل، وبين إبراهيم وموسى عليهما السلام ألفُ سنةٍ، وبينه وبين عيسى عليه السلام ألفان، فكيفَ يكون إبراهيم عليه السلام على دينٍ لم يَحدث إلّا بعد عهده بأزمنةٍ متطاوِلة؟

قوله: **(في معصية الخالق)**... إلخ، معناه أنّ طاعة المخلوق في معصيته والصلاة لغير القبلة متساويتان في الإثم.

قوله:[١] **(ويجوز)** عطف على قوله: **(لزمَتْكم الحجّة)**.

قوله: **(وبينه وبين عيسى عليه السلام[٢] ألفان)** قال المصنّف فيما مرّ عن قريب:

---

[١] ن - (حاتم) أي: الطائي قوله: (في معصية الخالق)... إلخ، معناه أنّ طاعة المخلوق في معصيته والصلاة لغير القبلة متساويتان في الإثم. قوله؛ ر- (في معصية الخالق)... إلخ، معناه أنّ طاعة المخلوق في معصيته والصلاة لغير القبلة متساويتان في الإثم. قوله.

[٢] ن ر - عليه السلام.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ حتى لا تجادلوا مثلَ هذا الجدالِ المحال.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٦٦﴾

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ "ها" للتنبيه، و﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأٌ و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ خبرُه، و﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ جملةٌ مستأنَفةٌ مبيِّنةٌ للجملة الأولى، يعني: أنتم هؤلاء الأشخاصُ الحَمقَى، وبيانُ حَماقتِكم وقلَّةِ عقولِكم أنكم جادَلْتم ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مما نَطق به التوراةُ والإنجيل ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ولا ذِكْرَ له في كتابَيْكم؛ من دِين إبراهيم عليه السلام.

وعن الأخفش: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ هو: «أأنتم» على الاستفهام، فقُلبت الهمزة هاءً، ومعنى الاستفهام: التعجُّبُ من حماقتهم.

وقيل: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بمعنى «الذين»، و﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ صلتُه.

موسى بن عمران ابن يَصهَر وعيسى بن مريم بنت عمران ابن ماثان، وبين العمرانَين ألف وثمان مئة[١] سنة.

قوله: (**"ها" للتنبيه**)... إلخ، أشار بقوله: "ها للتنبيه" و(**﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ خبره**) إلى أنّ "ها" دخلت[٢] الجملة لا[٣] المفرد الذي هو "أنتم"[٤] وكذا (**أنتم[٥] هؤلاء الأشخاص**).

قوله: (**كتابَيكم**)،[٦] أي: **التوراة والإنجيل**. وقوله: (**مِن دين**) بيان (**ما**).

قوله: (**وعن الأخفش:[٧] ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ هو**) "هو" ضمير فصل وقع في كلام الأخفش بين "﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾" وبين تفسيره.

قوله: (**وقيل: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بمعنى "الذين"**) هذا على مذهب الكوفيين.[٨]

---

١ ن ر - ابن يصهر وعيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانَين ألف وثمان مئة.
٢ ر + على.
٣ ن: إلى.
٤ ن: اسم.
٥ ن ر - وكذا أنتم.
٦ ر: كاتبكم.
٧ ما وقفتُ عليه فيما عدتُ إليه من مظانّه.
٨ بسط أبو البركات الأنباري الكلام على هذه المسألة في **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ٧١٧/٢-٧٢٢.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ عِلْمَ ما حاجَجْتُم فيه ﴿أَنتُمْ﴾ جاهلون به.

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾

ثم أعْلمهم بأنّه بَريءٌ من دينكم، وما كان إلا ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كما لم يكن منكم، وأرادَ بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيرًا والمسيحَ عليهما السلام.

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٨﴾

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾: إن أخصَّهم به وأقربَهم منه، مِن الوَلْيِ وهو القُرْبُ.

﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه وبعدَه ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ خصوصًا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من أمَّته.

وقرئ: "وهذا النبيَّ" بالنصب عطفًا على الهاء في ﴿ٱتَّبَعُوهُ﴾؛ أي: اتَّبَعوه واتَّبَعوا هذا النبيَّ، وبالجرِّ عطفًا على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾.

قوله:[١] (﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ عِلَم ما حاججتُم) يقال: "فلان يعلم عِلمَ كذا"، أي: يعلم كيفيّته وحقيقته، وأصله "يعلم كذا علمًا"، ثمّ قُدِّم المصدر وأضيف.

قوله: (خصوصًا) إشارة إلى أنّ هذا النبيّ والذين آمنوا داخلٌ[٢] في عموم / قوله:[٣] ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾، لكن خُصّوا بالذِّكر تشريفًا[٤] وتأكيدًا كقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة ٢/٩٨]. [٢٥٩و]

قوله: (وبالجرِّ[٥] عطفًا على "إبراهيم") فيه بحث؛ لأنّ العطف على المجرور مع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بأجنبيّ[٦] لا يجوز، ولذلك تمسّك المصنّف

---

[١] ن ر - (وقيل: هؤلاء بمعنى الذين) هذا على مذهب الكوفيين. قوله.

[٢] ن: دخل.

[٣] ر - خصوصًا، إشارة إلى أنّ هذا النبيّ والذين آمنوا داخل في عموم قوله.

[٤] ن: تشويقًا.

[٥] قراءة شاذّة، غير منسوبة. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٢٧.

[٦] ن ر: بأجنبيين.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٦٩﴾

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ﴾: هم اليهود، دعَوْا حُذيفة وعمَّارًا ومعاذًا إلى اليهودية.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾: وما يعود وَبالُ الإضلال إلَّا عليهم؛ لأن العذاب يضاعَفُ لهم بضلالهم وإضلالهم، أو: وما يقدرون على إضلال المسلمين، وإنما يُضلُّون أَمثالهم من أشياعِهم.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠﴾

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: بالتوراة والإنجيل، وكفرُهم بها: أنهم لا يؤمنون بما نطقَتْ به من صحةِ نبوَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرِها. وشهادتُهم: اعترافُهم بأنها آياتُ الله.

على حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه على إعرابه بقوله:[١] "ما مثل عبد الله يقول ذاك ولا أخيه" بناء على أنّه لا يجوز أن يكون "أخيه" عطفًا على "عبد الله" هكذا ذَكَره في **المفصّل**.[٢] وقال ابن الحاجب في **شرح المفصّل**: استدلّ سيبويهِ على أنّه يُحذف المضاف ويُترك المضاف إليه على إعرابه بقولهم: "ما مثل عبد الله يقول ذاك ولا أخيه"، فإنّه[٣] لا يصحّ أن يكون "أخيه" عطفًا على عبد الله؛[٤] لأنّ المخفوض[٥] المعطوف لا يُفصَل بينه وبين ما عُطف عليه بالأجنبيّ، فلا يقال: غلامُ زيد ضاربٌ وعمرٍو.[٦]

قوله: (وما يعود وبال) وإذا عاد وبال الإضلال إليهم فكأنّهم يُضلّون أنفسَهم.

قوله: (﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بالتوراة) الحاصل أنّ المراد بآيات الله إمّا **التوراة والإنجيل** وإمّا **القرآن** وإمّا جميع آيات الله تعالى.[٧]

---

١ ن ر: بقولهم.
٢ انظر: **المفصّل** للزمخشري، ص ١٣٨.
٣ ن ر – فإنّه.
٤ ر: أخيه.
٥ ر – المخفوض.
٦ انظر: **الإيضاح في شرح المفصّل** لابن الحاجب، ١/٤٠٠-٤٠١. وانظر كلام سيبويه في **الكتاب**، ١/٦٦.
٧ ر – تعالى.

أو: ﴿تَكْفُرُونَ﴾ بالقرآن ودلائلِ نبوّة الرسول ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ نعته في الكتابَيْن.
أو: ﴿تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ جميعًا ﴿وَأَنتُمْ﴾ تعلمون أنها حقٌّ.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾

قرئ: "تُلَبِّسون" بالتشديد.

وقرأ يحيى بن وثَّابٍ: "تَلْبَسون" بفتح الباء؛ أي: تكتَسون الحقَّ مع الباطل، كقوله: «كلابس ثَوْبَي زُورٍ»، وقوله:

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ بكسر "الباء" بمعنى تخلطون، وذَكَر تمام المعنى فيما مرّ، وبالتشديد[1] بمعناه، وبفتح "الباء" مِن اللُّبس بمعنى "تكتسون" مجازًا كما في الحديث والبيت، وذلك بطريق تشبيه المعقول بالمحسوس. اللُّبس بالضمّ مصدر قولك: لبِست الثوب ألبَس، واللَّبس بالفتح مصدر قولك: "لبَستُ عليه الأمر ألبِسُه"، أي: خلطتُ، مِن قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام ٩/٦]، واللِّبس بالكسر: ما يُلبس، وكذا اللباس والمَلْبَس.

قوله: («كلابس ثوبَي زُور»)[2] أورد المصنّف الحديث للدلالة على أنّ اللُّبس بالضمّ يُستعمَل في أمثال هذه المعاني، ويؤيِّد هذا البيت أيضًا أوّل الحديث: «المتشبّع بما لا يملك كلابس»، و«المتشبّع: هو الذي يُري أنّه شبعان وليس به. والمراد هنا الكاذب[3] المتصلِّف[4] بما ليس[5] عنده كلابس ثوبَي زور. قال أبو عبيد:[6] هو المرائي يلبَس ثياب الزُّهّاد ليُظنّ زاهدًا وليس به. وقيل: هو أن يلبس قميصًا يصِل بكمّيه كمَّين آخرين يُرى أنّه لابس قميصين. وقيل: كأن يكون في الحيّ الرجل له[7] هيئة وصورة حسنة فإذا احتيج إلى شهادة زور شهِد فلا يردّ لأجل حُسن[8] ثوبه».[9]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي مِجلز. **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٥٩٢.
٢ **صحيح البخاري**، ٣٥/٧ (٥٢١٩)؛ **صحيح مسلم**، ١٦٨١/٣ (٢١٢٩).
٣ ن: كالكاذب.
٤ ن: التكلف.
٥ ن ر - ليس.
٦ ن: عبيدة.
٧ ن ر - له.
٨ ر - حسن.
٩ **المُغرِب** للمُطرِّزي، «شبع».

إذَا هُـو بـالـمجـدِ ارتَـــدَى وتَـــأَزَّرا

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾

﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾: أوَّلَه، قال:

مَـن كـان مَـسْـرورًا بمَقْتلِ مالكٍ فـلـيـأتِ نِـسْـوتَـنـا بـوَجْـهِ نـهـارِ

وَالمعنى: أَظهِرُوا الإيمانَ بما أُنزل على المسلمين في أوَّل النهار ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ﴾ به في آخره لعلَّهم يَشكُّون في دينهم ويقولون: ما رجَعوا وهم أهلُ كتابٍ وعلمٍ إلَّا لأمرٍ قد تبيَّن لهم! فيَرجعون برجوعكم.

قوله:

(إذا هـو بـالـمجـد[١] ارتـــدى وتـــأزَّرا)[٢]

أوّله:

فلا أبَ وابنًا مثلُ مـروانَ وابنـه إذا هو

قوله:

(مَـن كـان مـسـرورًا بمقتل مالكٍ فـلـيـأتِ نـسـوتـنـا بـوجـه نـهـارِ)

بعده:

يـجـدِ الـنـسـاء حـواسـرًا[٣] ينـدبـنـهُ[٤] قـد قـمـنَ قـبـل تـبـلّـج الأسـحـارِ[٥]

---

١ ن: المجد.

٢ ما عرفتُ قائله. وهو بلا عزو في **كتاب سيبويه**، ٢٨٥/٢؛ و**شرح الرضيّ على الكافية**، ١٦٨/٢. وذكر البغداديُّ أنّه من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يُعرف قائلها، وانظر له تفصيلًا على البيت في **خزانة الأدب**، ٦٧/٤-٦٩. ومروان المذكور في البيت هو مروان بن الحكم، وابنه هو عبد الملك بن مروان، وجعلهما لشهرة مجدهما كاللابسين له المرتدين به. انظر: **خزانة الأدب** للبغدادي، ٦٩/٤.

٣ ن: حواسبن؛ ر: حواسيرًا.

٤ ر: يندبه.

٥ البيتان للربيع بن زياد العبسي في **شرح الحماسة** للمرزوقي، ٩٩٥/٢؛ و**التذكرة الحمدونية** لابن حمدون، ٢٠٦/٤؛ و**خزانة الأدب** للبغدادي، ٣٨٨/٧. وأوّلهما له في **سِفر السعادة** للسخاوي، ٩٦٣/٢. وهما في رثاء مالك بن زهير العبسي.

وقيل: تواطَأ اثنا عشرَ من أحبارِ يهودِ خيبر وقال بعضُهم لبعضٍ: ادْخلوا في دينِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم أوَّلَ النهار من غيرِ اعتقادٍ واكفُروا به آخِرَ النهار، وقولوا: إنَّا نظرنا في كتبنا وشاوَرْنا علماءَنا فوجدنا محمَّدًا ليس بذلك المنعوتِ، فظهر لنا كذبُه وبُطْلانُ دينه، فإذا فعلتُم ذلك شكَّ أصحابُه في دينهم.

وقيل: هذا في شأنِ القبلة؛ لمّا صُرِفَتْ إلى الكَعْبةِ قال كعب بن الأشْرف لأَصْحابه: آمِنُوا بما أُنزل عليهم من الصَّلاة إلى الكعَبةِ وصلُّوا إليها في أوَّل النَّهار، ثم اكفروا به في آخِره وَصَلُّوا إلى الصَّخْرةِ، لعلهم يقولون: هم أَعْلمُ منَّا وقد رجَعوا، فيَرجعون.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾

﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾ متعلِّقٌ بقوله: ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ﴾ وما بينهما اعتراضٌ؛ أي: ولا تُظهِروا إيمانَكم بأن يُؤتَى أحدٌ مثلَ ما أُوتيتُم إلَّا لأهلِ دينكم دون غيرِهم، أرادوا: أَسِرُّوا تصديقَكم بأن المسلمين قد أُوتوا من كتبِ الله مثلَ ما أُوتيم ولا تُفْشُوه إلَّا إلى أشياعِكم وَحْدَهم، ....

قوله: (تواطَأ) أي: توافق.

قوله: (بذاك المنعوت) أي: النعت.

قوله: (إلى الصخرة) هم يقولون في هذه الصخرة: "يمين الله"؛ لأنّها تُباس كما تُباس يمين الملك، ويقولون: إنّ إسرافيلَ عليه السلام يقوم عليها حين ينفخ في الصور، وأنّ عيسى عليه السلام ينزل عليها مِن السماء. أو إشارة إلى قوله عليه السلام: «الحجرُ الأسود يمين الله يُصالح به مَن يشاء مِن عباده».[١]

---

١ أخبار مكّة للأزرقي، ١/٣٢٥؛ الدرّ المنثور للسيوطي، ١/٣٢٤ (البقرة، ٢/١٢٧).

دون المسلمين لئلا يزيدَهم ثبَاتًا، ودون المشركين لئلا يدعُوَهم إلى الإسلام.

﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ عطفٌ على ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ﴾ والضمير في ﴿يُحَآجُّوكُمۡ﴾ لـ﴿أَحَدٌ﴾؛ لأنّه في معنى الجمع، بمعنى: ولا تُؤمِنُوا لغيرِ أتباعكم، أن المسلمين يحاجُّونكم يومَ القيامة بالحق ويغالِبونكم عند الله تعالى بالحجة.

فإن قلتَ: فما معنى الاعتراض؟

قلتُ: معناه: ﴿إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾: مَن شاء أن يَلْطُفَ به حتّى يُسْلِمَ، أو يزيدَ ثباتَه على الإسلام، كان ذلك ....

قوله: **(لئلّا يزيدهم)**... إلخ، "يزيد" و"يدعو" / بعده ضمير عائد إلى "التصديق" و"الإفشاء". [٢٥٩ظ]

قوله: **(لـ﴿أَحَدٌ﴾[1] لأنّه في معنى الجمع)**[2] "أحد" هو اسم لمَن يصلح أن يُخاطب، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث، قال الله تعالى: ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب ٣٢/٣٣]، وقال: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة ٤٧/٦٩].

قوله:[3] **(فما معنى الاعتراض؟)**،[4] أي: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾.

قوله: **(مَن شاء)** أي: شاء الله.

قوله: **(حتّى يُسلِم أو يزيدَ ثباته)** إشارة إلى قوله[5] من قبل: **(دون المسلمين لئلّا يزيدهم ثباتًا،[6] ودون المشركين لئلّا يدعوهم إلى الإسلام)**.

قوله: **(كان ذلك)** جزاء الشرط و"كان" تامّة وذلك فاعله وهو إشارة إلى اللطف أو الإسلام،[7] أي:[8] مَن شاء أن يلطف به حصَل اللطف به وإسلامه.[9]

---

١ ن ر - (لئلّا يزيدهم)... إلخ، يزيد ويدعو بعده ضمير عائد إلى التصديق والإفشاء. قوله: لأحد.
٢ ن: الجميع.
٣ ن ر + لئلا يزيدهم... إلخ، فاعل يزيد ويدعوا بعده ضمير عائد إلى التصديق والإفشاء. قوله.
٤ ر: الإعراض.
٥ ن ر - قوله: (من شاء) أي: شاء الله قوله: (حتّى يُسلِم أو يزيد ثباته) إشارة إلى قوله.
٦ ن ر: بيانًا.
٧ ن ر: للإسلام.
٨ ر: أن.
٩ ر: وأسلافه.

ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيُّكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين، وكذلك قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ يريد: الهدايةَ والتوفيقَ.

أو يتمُّ الكلامُ عند قوله: ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ على معنى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ هذا الإيمانَ الظاهرَ -وهو إيمانُهم وَجْهَ النهار- ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: إلَّا لمن كانوا تابعِينَ لدينكم ممن أَسْلَموا منكم؛ لأنَّ رجُوعَهم كان أَرْجَى عندهم من رجوع مَن سِواهم، ولأن إسلامَهم كان أَغْيظَ لهم، وقولُه: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾

قوله: (وزيُّكم) أي:[١] منعُكم وإخفاؤكم. وقوله: (تصديقكم) مفعول "زَيُّكم".

قوله:[٢] (على معنى: ولا تؤمنوا)... إلخ، أي: لا تفعلوا هذا الإيمان ولا تحدثوه إلَّا لأجل الذين دخلوا في الإسلام منكم لكي يكون ذلك سببًا في خروجهم عن الإسلام. قال:[٣] القولان أعني ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ داخلان في حيّز ﴿قُلْ﴾، كأنّه قيل: قل لهم هذين القولين، ومعناه: أكّد عليهم أنَّ الهدى ما فعل الله مِن إيتاء الكتاب غيركم[٤] وأنكِر عليهم أن يمتعضوا مِن[٥] أن يؤتى أحد مثل ما أُوتوا ويَكيدوا بما كادوا به. كأنّه قيل: قلْ إنَّ الهدى هدى الله وقلْ لأن[٦] يؤتى أحد مثلَ ما أوتيتم قلتُم ما قلتُم وكِدتُم ما كِدتُم.

قوله: (لأنَّ رجوعهم) متعلّق بقولٍ محذوف، أي: قالوا ذلك وخصّوا تابعي دينهم لأن رجوعهم عن الإسلام كان أرجى. ولأنَّ قوله: (عندهم) أي: عند طائفة مِن أهل الكتاب.

قوله: (أغيَظ لهم) أي: لأهل الكتاب.

قوله: (وقوله:[٧] ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾) هذا عطف على قوله: (يتمّ الكلام).

---

[١] ن + مِن.
[٢] ن ر - (تصديقكم) مفعول "زيّكم" قوله.
[٣] ن ر + رضي الله تعالى عنه.
[٤] ن - غيركم؛ ن: عنكم.
[٥] ر - مِن.
[٦] ر: أن.
[٧] ن: وقولوا.

معناه: لِأَنْ يُؤتَى أحدٌ ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ قلتُم ذلك ودبَّرتموه لا لشيءٍ آخَرَ، يعني: أنَّ ما بكم من الحسدِ والبغي أَنْ يُؤتى أحدٌ مثل ما أُوتيتُم من فضلِ العِلم والكتاب دعاكم إلى أَنْ قُلتُم ما قُلتُم، والدليل عليه قراءةُ ابن كثيرٍ: ﴿ءَأَنْ يؤتَى أحد﴾ بزيادةِ همزةِ الاستفهام للتقرير والتوبيخ، بمعنى: أَلِأَنْ يُؤتَى أحدٌ.

فإنْ قلتَ: فما معنى قوله: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ على هذا؟

قلت: معناه: دبَّرتُم ما دبَّرتُم لأنْ يؤتَى أحد مثلَ ما أُوتيتم ولِمَا يتَّصل به عند كفركم به من محاجَّتهم لكم عند ربكم.

قوله: **(معناه: لأن يُؤتى)**... إلخ، فيكون الفعل المعلّل محذوفًا وهو قوله: **(قلتم)** و"دبّرتم".

قوله: **(مِن الحسد والبغي أن يُؤتى)** قوله: "الحسد والبغي" متوجّهان إلى قوله: "أن يؤتى"، أي: "على أن يُؤتى" أو "لأن يُؤتى".

قوله: **(دعاكم)** خبرُ **(أنّ)**.

قوله: **(على هذا)** أي: على أن يكون تمام الكلام عند قوله: ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، فإنّه على الوجه الأوّل كان معطوفًا على ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ وكان مِن جملة كلام اليهود.

قوله:[1] **(ولِما يتّصل به عند كفركم به مِن محاجّتهم)** الضمير مِن "به" في الموضعين[2] يعود إلى ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾. وقوله: "مِن محاجّتهم" بيانُ "ما يتّصل". والحاصل أنّه لمّا أوتيَ المسلمونَ مثلَ ما أُوتي اليهود اتّصل بهذا الإيتاء عند كفر اليهود بالإيتاء محاجّة المسلمين لليهود عند الله.

قوله: **(فيقرعوا باطلكم بحقّهم)** كأنّه استفاد مِن قوله تعالى: ﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾[3] [الأنبياء ١٨/٢١]. ﴿أَوْ﴾ على هذا الوجه بمعنى "حتّى أن".

---

[1] ن ر – (على هذا) أي: على أن يكون تمام الكلام عند قوله: ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ فإنّه على الوجه الأوّل كان معطوفًا على ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ وكان مِن جملة كلام اليهود. قوله.

[2] ن ر – في الموضعين.

[3] ن ر – قوله: فيقرعوا باطلهم بحقّهم كأنّه استفاد مِن قوله تعالى: ﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾.

ويجوز أن يكون ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ بدلًا من ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾، و﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾ خبرُ ﴿أَنَّ﴾ على معنى: قل: إن هدى الله ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾: حتى يحاجُّوكم ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ فيقرعوا باطلكم بحقِّهم ويُدْحِضوا حُجَّتكم.

وقرئ: "إِنْ يؤتَى أحَدٌ"، على «إنْ» النافية، وهو متَّصل بكلامِ أهلِ الكتاب؛ أي: ولا تُؤمِنوا إلّا لمن تَبِعَ دينكم، وقولوا لهم: ما يؤتَى أحدٌ مثلَ ما أُوتيتم حتى يحاجُّوكم عند ربكم، يعني: ما يُؤتَوْنَ مثلَه فلا يحاجُّونكم.

ويجوز أن ينتصب ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ بفعلٍ مضمَرٍ يدلُّ عليه قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ كأنه قيل: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ فلا تُنكِروا ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾؛ لأن قولهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ إنكارٌ لأنْ يؤتَى أحدٌ مثلَ ما أوتوا.

قوله: (﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ حتَّى يحاجّوكم) يعني "حتّى" يحتمل أن يكون بمعنى "إلى" وهو الظاهر، ويحتمل أن يكون بمعنى "كي" ويكون مِن قبيل ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٨/٢٨]، تأمّل. وعبارةُ المصنّف تُشعِر بأنّ ﴿أَوْ﴾ للعطف على ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ ويكون على طريقة ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾.

[٢٦٠و] قوله:[١] (أي: ولا تؤمنوا) / هذا[٢] التفسير الثاني، وهو أن يتمّ الكلام عند قوله: ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، أي: لا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر إلّا لمَن تبع دينكم، وقولوا لهم: "ما يُؤتى أحد مثلَ ما أوتيتم"، "فإن يؤتى" بالكسر مقول "قولوا" محذوفًا، والمجموع مِن كلامهم فهو مَقول ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ﴾.

قوله: (ويجوز أن ينتصب ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾)... إلخ، فإنّ إظهار الإيمان أوّل النهار والكفرَ[٣] آخره لأجل مَن تبع دينهم وتَرْكه وأسلَم إنّما هو لبيان أنّ الإسلام ليس بحقّ؛ بل هو باطل، وهذا إنكار لأنّ يؤتى أحد مثل ما أوتوا فيدلّ على الإنكار، فقيل لهم: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾، أي: لا تُنكروا أن يؤتى أحد مثلَ ما أوتيتُم. فهذا[٤] أيضًا على التفسير الثاني.

---

١ ن ر - ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾... قوله.
٢ ن ر - هذا.
٣ ر + إلى.
٤ ن ر - فهذا.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ هو عبدُ الله بنُ سلَامٍ استَوْدَعَه رجلٌ من قريشٍ ألفًا ومئتي أوقيَّةٍ ذَهبًا فأدَّاه إليه، و﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ﴾ فِنْحاص بن عازوراءَ، استودعَه رجل من قريشٍ دينارًا فَجَحده وخانه.

وقيل: المأمونون على الكثير النصارى لغلَبةِ الأمانةِ عليهم، والخائنون في القليلِ اليهودُ لغلَبة الخيانة عليهم.

﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾: إلّا مدَّة دوامِكَ عليه يا صاحب الحقّ قائمًا على رأسه، متوكِّلًا عليه بالمطالبة والتَّعنيف، أو بالرفع إلى الحاكم وإقامةِ البيّنة عليه.

قوله: (ابن عازورا) مقصور.

قوله: (استودَعه) يقال: لا يَدَعه، أي: لا يتركه. ومنه المُوادَعة: المصالحة؛[١] لأنّها متارَكة. والوديعة[٢] لأنّها شيء يُترك عند الأمين. يقال: أودَعتُ زيدًا مالًا واستودعته، أي: دفعتُه ليكون عنده، فأنا مودِع ومستودِع بالكسر، وزيدٌ مودَع ومستودَع بالفتح، والمالُ مودَع ومستودَع بالفتح أيضًا، أي: وديعة.[٣]

قوله: (أوقيّة) الأوقيّة بالتشديد: أربعون درهمًا، وهي "أُفعولَة" مِن الوقاية لأنّها تقي صاحبها. وقيل: "فُعليّة"[٤] مِن الأَوْق وهو الثقل، والجمع "الأواقي" بالتشديد والتخفيف.

قوله: (وقيل) عطف على قوله: (عن ابن عبّاس) فعلى القول الأوّل كلاهما مِن اليهود، وعلى القول الثاني المؤتمَن على القنطار هم النصارى والخائنون في القليل اليهود.

---

١ ن ر: الصالحة.
٢ ن ر: الوديعة.
٣ انظر: الصحاح للجوهري، «ودع».
٤ ر: فعيلة.

وقرئ: ﴿يُؤَدِّهِۦ﴾ بكسر الهاء والوصل، وبكسرها بغيرِ وصلٍ، وبسكونها.

وقرأ يحيى بن وثاب: "تِيمَنْه" بكسر التاء، و: "دِمْتَ" بكسر الدال من دَامَ يدَامُ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى تركِ الأداء الذي دلَّ عليه ﴿لَا يُؤَدِّهِۦ﴾، أي: تَرْكُهم أداءَ الحقوقِ بسبب قولهم:

﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾، أي: لا يتطرَّقُ علينا عتابٌ وذمٌّ في شأنِ الأمّيّين -يعنون: الذين ليسوا من أهل الكتاب- وما فَعَلْنا بهم من حَبْسِ أموالهم والإضْرارِ بهم لأنهم ليسوا على دِيننا، وكانوا يستحلُّون ظلْمَ مَن خالفهم ويقولون: لم تُجعل لهم في كتابنا حُرمةٌ.

وقيل: بايَعَ اليهود رجالًا من قريشٍ، فلما أسلموا تقاضَوْهم، فقالوا: ليس لكم علينا حقٌّ حيث تركتُم دينكم، وادَّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم.

قوله: (**والوصل**) أي: بالإشباع.

قوله: (**بغير وصل**) أي: بغير إشباع.

قوله: (**وبسكونها**) إجراءً للوصل مجرى الوقف.

قوله: ("**تِئْمَنْهُ**"[١] بكسر "**التاء**") يشذّ في "الياء" ويغلب في "التاء".

قوله: (**وما فعلنا**) عطف على قوله: (**شأنِ الأميّين**) إن قيل: كيف جاز ذلك والفصل بين المعطوف والمعطوف عليه لا يجوز في المجرور. قلتُ: إنّما جاز ذلك ههنا[٢] لأنّ قوله: (**يعنون**)... إلخ، ليس بأجنبيّ؛ بل هو مِن حيث المعنى كصفة "الأمّيّين"، كأنّه قال: في شأن الأمّيّين الذين ليسوا مِن أهل الكتاب.

قوله: (**بايَع**) هو مِن البيع.

قوله: (**أسلموا**) أي: رجال مِن[٣] قريش.

قوله: (**تقاضَوهم**) أي: تقاضى المسلمون اليهود.

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن أبيّ بن كعب والأشهب ويحيى بن وثّاب. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٥٩٣. | وفي مطبوع **الكشّاف** بتسهيل الهمز، وأثبتّ ما في كتب القراءات وأصول **الكشّاف**.

[٢] ن: هنا.

[٣] ن ر - رجال مِن.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال عند نزولها: «كَذَبَ أعْداءُ الله، ما من شيءٍ في الجاهليَّة إلَّا وهو تحت قدميَّ، إلَّا الأمانةَ فإنَّها مؤدَّاةٌ إلى البَرِّ والفاجر».

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنه سأله رجلٌ فقال: إنَّا نُصيبُ في الغَزو من أموالِ أهل الذمَّة الدَّجاجةَ والشاةَ، قال: فتقولون ماذا؟ قال: نقول ليس علينا في ذلك بأسٌ، قال: هذا كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾، إنَّهم إذا أدَّوا الجزيةَ لم يَحِلَّ أكلُ أموالهم إلَّا بطِيبةِ أنفسِهم.

قوله: («ما مِن شيء في الجاهليّة إلّا وهو[1] تحت قدمي») أي: جميع أديان الجاهليّة منسوخ مقموع متروك إلّا الأمانة.

قوله عليه السلام: («إلّا[2] الأمانة»)[3] أراد به جميعَ ما يجب أداؤه إلى صاحبه مثل ثمنِ المبيع وعِوضِ القرض والوديعة، فسمّى الدَّين أمانة[4] لاعتماد[5] صاحب المال فيه على المديون، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة ٢٨٣/٢]، فإنّ المراد به القرض الذي لم يأخذ فيه صاحب المال رهنًا لاعتماده على المستقرض. (قال: فتقولون) أي: قال ابن عبّاس.

قوله: (ماذا؟) يعني بأيّ تأويل وبأيّ معنى وسبب تأخذون ذلك مِن أهل الذمّة؟[6] واعلم أنّ قوله: "ماذا" ليس معمولًا لقوله: "تقولون"، لأنّ "ماذا"[7] للاستفهام[8] وله / صدر الكلام؛ بل في الكلام حذفٌ تقديره: "فتقولون كلامًا في ذلك"، ثمّ قال: "ماذا"، أي: ماذا[9] تقولون. [٢٦٠ظ]

قوله:[10] (هذا) أي:[11] قال ابن عبّاس.[12] قوله: (إنّهم)... إلخ،[13] مِن كلام ابن عبّاس.[14]

---

١ ن: هو.
٢ ن ر - إلّا.
٣ جامع البيان للطبري، ٥١١/٥ (آل عمران، ٧٥/٣)؛ تفسير ابن أبي حاتم، ٦٨٤/٢ (آل عمران، ٧٥/٣)؛ البسيط للواحدي، ٣٦٨/٥ (آل عمران، ٧٥/٣).
٤ ن ر: الأمانة.
٥ ر: الاعتماد.
٦ ن: الدية.
٧ ن ر - ليس معمولًا لقوله: "تقولون"، لأنّ "ماذا".
٨ ر: الاستفهام.
٩ ن ر - أي: ماذا.
١٠ ر + قال.
١١ ن - أي.
١٢ ن + رضي الله عنه.
١٣ جامع البيان للطبري، ٥١٣/٥ (آل عمران، ٧٥/٣).
١٤ ن + رضي الله عنه.

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بادّعائهم أنَّ ذلك في كتابهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّهم كاذبون.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧٦﴾

﴿بَلَىٰ﴾ إثباتٌ لِمَا نَفَوْه من السبيل عليهم في الأُمِّيِّين؛ أي: بلى عليهم سبيلٌ فيهم.

وقوله: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ جملةٌ مستأنَفةٌ مقرِّرةٌ للجملةِ التي سَدَّتْ ﴿بَلَىٰ﴾ مَسَدَّها، والضمير في ﴿بِعَهْدِهِۦ﴾ راجعٌ إلى ﴿مَنْ أَوْفَىٰ﴾ على أن كلَّ مَن أوفى بما عاهَدَ عليه واتَّقى الله في تركِ الخيانةِ والغَدْرِ فإن الله يُحبُّه.

فإن قلتَ: فهذا عامٌّ يُخيِّل أنه لو وَفَى أهلُ الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبَّة الله.

قلتُ: أجَلْ؛ لأنهم إذا وفَوا بالعهود وفَوْا أوَّلَ شيء بالعهد الأعظم، وهو ما أُخذ عليهم في كتابهم من الإيمان برسولٍ مُصدِّقٍ لِمَا معهم، ولو اتَّقوا الله في تركِ الخيانة لاتَّقَوْه في تركِ الكذب على الله وتحريفِ كَلِمه.

قوله: (**جملة مستأنفة**) أي: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾... إلخ، جملة، و﴿مَنْ﴾ شرطٌ مبتدأ ﴿أَوْفَىٰ﴾ خبره، وجواب الشرط ﴿فَإِنَّ﴾.

قوله: (**للجملة التي سدَّت ﴿بَلَىٰ﴾**) وهي قوله: (**عليهم سبيل[١] فيهم**).[٢]

قوله: (**ولو اتّقوا الله**)... إلخ، عطف على قوله: (**إذا وفَوا**).

قوله: (**ويدخل في ذلك**) أي:[٣] الوفاء بعهد الله.

قوله: (**عموم ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾**) أي: في ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.[٤]

---

١ ن: سبيلهم.

٢ د - قوله: (الجملة التي سدّت مسدها) تلي وهي قوله: (عليهم سبيل فيهم)؛ ر + قوله: ويجوز عطف على قوله: والضمير في بعهده. | والزيادة التي من ن ر جاءت تعليقًا في هامش د.

٣ ر + في.

٤ ن - (ولو اتقوا الله)... إلخ، عطف على قوله: (إذا وفوا) قوله: (ويدخل في ذلك) أي: الوفاء بعهد الله قوله: (عموم المتقين) أي: في ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

ويجوز أن يرجع الضميرُ إلى الله تعالى على معنى: أن كلَّ مَن وفَى بعهد الله واتَّقاه فإن الله يحبُّه، ويَدخل في ذلك الإيمانُ وغيرُه من الصالحات، وما وجبَ اتِّقاؤه من الكفر وأعمالِ السُّوء.

فإن قلتَ: فأين الضميرُ الراجعُ من الجزاء إلى ﴿مَنۡ﴾؟

قلتُ: عمومُ ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ قامَ مقامَ رجوع الضمير.

وعَن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في عبد الله بن سلام وبحَيْرَا الرَاهِبِ ونُظَرائهما من مُسلِمةِ أهل الكتاب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾

﴿يَشۡتَرُونَ﴾: يَستبدِلون ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾: بما عاهدوهُ عليه من الإيمانِ بالرَّسول المصدِّق لِمَا معهم.

﴿وَأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: وبما حَلَفوا به ....

قوله: (ويجوز) عطف على قوله: (**والضميرُ في ﴿بِعَهۡدِهِۦ﴾**).[1]

قوله: (نزلت) يعني قوله تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ﴾... إلخ.

قوله: (وبحيرا) وقيل: المشهور بحيراء، جاء بحيرا على صيغة المكبّر مقصورًا وعلى صيغة المصغّر ممدودًا.

قوله: (مِن مُسلِمة) أي: الجماعة المسلمة،[2] كقولك:[3] وتلك أمّة مسلمة.

قوله: (**بما عاهدوه عليه**) أشار المصنّف إلى أنّ المراد بـ"العهد" المعهود عليه وبـ"الأيمان" ما حلفوا به.

قوله: (**وبما حلفوا به**)[4] اعلم أنّ المصنّف لمّا فسّر قوله تعالى: ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾

---

[1] ن + (ولو اتقوا الله)... إلخ، عطف على قوله: (إذا وفوا) قوله: (ويدخل في ذلك) أي: الوفاء بعهد الله قوله: (عموم المتقين)؛ ر - أي: في ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ قوله: (ويجوز) عطف على قوله: (والضمير في ﴿بِعَهۡدِهِۦ﴾).

[2] ن - المسلمة.

[3] د ر: كقوله.

[4] ر - قوله: (وبما حلفوا به).

من قولهم: والله لَنؤمننّ به ولَننصرنّه.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: متاعَ الدنيا من التَّرَؤُّس والارتشاءِ ونحوِ ذلك.

وقيل: نزلت في أبي رافعٍ ولُبابَةَ بن أبي الحُقَيق وحُيَيّ بنِ أخطبَ، حرَّفوا التوراةَ وبدَّلوا صفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا الرِّشوة على ذلك.

وقيل: جَاءَتْ جماعةٌ من اليهود إلى كعب بن الأشرف في سَنَةٍ أصابتهم مُمتارِين، فقال لهم: هل تعلمون أن هذا الرجل رسولُ الله؟ قالوا: نعم، قال: قد هَمَمْتُ أنْ أَمِيرَكم وأكسُوَكم فحَرَمَكم الله خيرًا كثيرًا، فقالوا: لعلّه شُبِّه علينا

بـ"ما عاهدوا عليه" وهو المعهود عليه كان تفسير قوله تعالى: بـ﴿أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ بـ"ما حلفوا عليه" وهو المحلوف عليه أحسنَ طباقًا للمعنى مِن تفسيره بقوله:[١] "بما حلفوا به"، وهو قولهم: (والله لنؤمننّ به)،[٢] فتأمّل، فإنّهم تركوا الإيمان وهو المُعاهَد عليه والمحلوف عليه واختاروا الترؤّس والارتشاء، ولا معنى لاختيار المحلوف[٣] به وأيضًا تفسيره[٤] قولَه: "بما حلفوا به" بقولهم: "والله لنؤمننّ" غيرُ صحيح، فإنّ القسم مع جوابه ليس عينَ ما حلفوا به، اللّهمّ إلّا أن يقال ليس (مِن) للبيان فحينئذٍ يندفع الاعتراض الثاني.

قوله: (مِن الترؤّس) أي: طلب الرياسة.

قوله: (والارتشاءِ) أي: أَخْذ الرشوة.

قوله: (وقيل: نزلتْ) عطف على مقدَّر، كأنّه قال: "نزلتْ في أهل الكتاب مطلقًا، وقيل: في كذا". وصرّح بهذا المقدّر في الأخر.

قوله: (في سَنة) أي: في قَحْط.

قوله: (ممتارين) أي: طالبين المِيرة، وهي: الطعام يمتاره الإنسان.

قوله: (شُبِّه) أي: اشتبه.

---

[١] ر - بقوله.

[٢] في مطبوع الكشّاف: والله لنؤمنن لك ولنرسلن. | وهو تغيير عجيب، وأثبتّ ما في حاشية الجاربردي وما راجعته من أصول الكشّاف.

[٣] ن ر - عليه واختاروا الترؤّس والارتشاء ولا معنى لاختيار المحلوف.

[٤] ن: تفسير.

فرُويدًا حتى نلقاه، فانطلقوا فكتبوا صفةً غيرَ صفتِه ثم رجعوا إليه وقالوا: قد غلِطْنا، وليس هو بالنعت الذي نُعِتَ لنا، ففَرِحَ ومَارَهم.

وعن الأشعث بن قيسٍ: نزلت فيَّ؛ كانت بيني وبين رجلٍ خصومةٌ في بئرٍ، فاختصَمْنا إلى رَسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «شاهِدَاك أو يمينُه» فقلتُ: إذَنْ يحلفُ ولا يُبالي! فقال: «مَن حلفَ على يمينٍ يَستحِقُّ بها مالًا هو فيها فاجرٌ لَقي الله وهو عليه غَضْبانُ».

وقيل: نزلت في رجل أقام سِلعةً في السوق فحلفَ لقد أَعطي بها ما لم يُعْطِه.

قوله: (ليس هو بالنعت) أي: ليس محمّد منعوتًا بالنعت الذي نُعت لنا، أي: ذُكر في التوراة. قوله: "ليس هو بالنعت"[١] يجوز أن يكون هو عائدًا[٢] إلى (الرجل) ويكون الباء متعلّقًا بمحذوف، أي: ليس هو منعوتًا وموصوفًا بالنعت. ويجوز أن يكون[٣] "هو" عائدًا إلى "النعت" لدلالة الكلام عليه، وتكون "الباء" زائدة، أي: ليس نعته بالنعت الذي.[٤]

قوله: (ومارَهم)[٥] «المِيرة: الطعام يمتاره الإنسان، وقد مار[٦] أهله[٧] يَميرهم مَيرًا. ومنه قولهم: ما عنده خَير ولا مَير».[٨]

قوله: (« شاهِداك أو يمينُه») أي:[٩] عليك شاهِداك أو عليه يمينُه، أو نقول: الحجّة شاهداك أو يمينه. قوله عليه السلام: (« يستحق»)[١٠] يريد به الاستحقاق بحسب ظاهر الشرع لا في نفس الأمر لأنّ التقدير أنّ يمينه فاجرة.

قوله: (فحلف لقد أُعطيَ)،[١١] أي: حَلَفَ أنّ تلك السلعة طُلِبت منه بكذا،

---

١ ر - أي: ليس محمّد منعوتًا بالنعت الذي نُعت لنا، أي: ذكر في التوراة. قوله: "ليس هو بالنعت".

٢ ن: عائد؛ ر + قوله: (ليس هو بالنعت) أي: ليس محمّد منعوتًا بالنعت الذي نُعت لنا، أي: ذكر في التوراة. قوله: "ليس هو بالنعت" يجوز أن يكون هو عائد.

٣ ن - أن يكون.

٤ أي: إلى آخر الكلام.

٥ الكشف والبيان للثعلبي، ٨/٤٣٨-٤٣٩ (آل عمران، ٣/٧٧).

٦ ن: ما.

٧ ر: أهلهم.

٨ الصحاح للجوهري، «مير».

٩ ن ر: أو.

١٠ صحيح البخاري، ٣/١٤٣ (٢٥١٥)؛ صحيح مسلم، ١/١٢٣ (١٣٨)؛ جامع البيان للطبري، ٥/٥١٩ (آل عمران، ٣/٧٧).

١١ بلفظ قريب في الإيمان لابن منده، ٢/٦٥٢ (٦٢٤)؛ والأحاديث المختارة للمقدسي، ١٣/١٠٥ (١٧٣).

والوجه: أن نزولَها في أهل الكتاب.

وقوله: ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ يُقوّي رجوع الضمير في ﴿بِعَهْدِهِۦ﴾ إلى الله.

﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ مَجازٌ عن الاستهانة بهم والسَّخطِ عليهم، تقول: فلان لا يَنظرُ إلى فلان، تُريد نفيَ اعتداده به وإحسانِه إليه.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: ولا يُثني عليهم.

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين استعماله فيمَن يجوز عليه النظر وفيمَن لا يجوز عليه؟

قلتُ: أصله فيمَن يجوز عليه النظرُ الكنايةُ؛ لأن مَن اعتدَّ بالإنسان التفتَ إليه وأعاره نَظَر عينيه، ثم كثر حتى صار عبارةً عن الاعتدادِ والإحسان وإن لم يكن ثَمَّ نظرٌ، ثم جاء فيمَن لا يجوز عليه النظرُ مجرَّدًا لمعنى الإحسان مجازًا عما وقع كنايةً عنه فيمَن يجوز عليه النظر.

وكان كاذبًا في ذلك الحلِف.

قوله: (**مجاز**)[1] لأنّ عدم النظر ملزوم للاستهانة فأطلق الملزوم وأراد اللازم، فيكون مجازًا، ولم يجعله[2] مِن باب الكناية بأن يقال: / الاستهانة ملزوم لعدم النظر، [٢٦١و] فيكون مِن باب إطلاق اللازم وإرادة المجاز،[3] لأنّ المجاز ينافي الحقيقة والكنايةُ لا تنافيها، وههنا لا يصحّ إرادة الحقيقة، فالحمل على المجاز أولى؛ بل هو متعيِّن.

قوله: (**أيُّ فرق؟**) أي: في علم البيان. وقوله: (**بين[4] استعماله**)، يعني استعمال "النظر" في معنى الإكرام[5] و(**الاعتداد والإحسان**). والنظر: تقليب الحدقة نحو المرئيّ التماسًا لرؤيته.

قوله: (**وإن لم يكن ثمّةَ[6] نظرٌ**) فإنّه يكون كناية عن الاعتداد والإحسان؛ لأنّ الكناية لا تنافي الحقيقة، وإمّا في حقّ مَن لا يجوز عليه النظر فيكون مجازًا،

---

[1] د ن: مجازًا.

[2] ن ر - ملزوم للاستهانة فأطلق الملزوم وأراد اللازم فيكون مجازًا ولم يجعله.

[3] في هامش د: الملزوم. خ [اختصارًا مِن "نسخة"]؛ ن: الملزوم.

[4] ن ر: من.

[5] ر: الإلزام.

[6] ن ر: ثم.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٨﴾

﴿لَفَرِيقًا﴾ هم كعب بن الأشرف ومَالك بن الصَّيف وحُيَيُّ بن أَخطب وغيرهم.

﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾: يَفْتِلونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرَّف.

وقرأ أهلُ المدينة: "يُلَوُّون" بالتشديد؛ كقوله: ﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ [المنافقون ٦٣/٥].

وعن مجاهدٍ وابنِ كثير: "يَلُونَ"، ووجهه: أنهما قَلبَا الواوَ المضمومةَ همزةً ثمّ خفَّفوها بحذفها وإلقاءِ حركتها على الساكنِ قبلها.

فإن قلتَ: إلامَ يرجعُ الضمير في ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾؟

قلتُ: إلى ما دلَّ عليه ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو المحرَّف.

ويجوز أن يراد: يَعْطِفون ألسنتَهم بشَبَه الكتاب لتحسِبوا ذلك الشَّبَه من الكتاب.

لأنَّ المجاز ينافي الحقيقة[1] دون الكناية[2] لِما مرّ. وفي بعض **النُّسخ**: "وإن يكن ثمّة[3] نظرٌ" بدون "لم". والظاهر أنّه سهو مِن الناسخ.

قوله: **(الصَّيف)** صحّ بالصاد غيرِ المُعجَمة.

قوله: **(يفتِلونها)**[4] الضمير في "يفتلونها"[5] لـ﴿أَلْسِنَتَهُم﴾ يقال: «فَتَله[6] عن وجهه فانفتل، أي: صَرَفه فانصرف».[7]

قوله: **(ثمّ خفّفوها)** وفي **نسخة المُعزّي**:[8] "خفّفاها".[9] وهو أصحّ.

قوله: **(على الساكن قبلها)** وهو اللام.

قوله: **(بشَبَه الكتاب)**، يعني: يريدون شَبه الكتاب، فيكون الضمير راجعًا

---

[1] ن ر – وإمّا في حقّ مَن لا يجوز عليه النظر فيكون مجازًا لأنّ المجاز ينافي الحقيقة.
[2] ن – الكناية.
[3] ن ر: ثم.
[4] ر: تقتلونها.
[5] ر: تقتلونها.
[6] ر: قتله.
[7] **الصحاح** للجوهري، «فتل».
[8] ن ر: المغربي.
[9] ن: خفافاها.

وقرئ: "ليَحْسبُوه" بالياء بمعنى: يفعلون ذلك ليحسبَه المسلمون من الكتاب.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تأكيدٌ لقوله: "هو من الكتاب"، وزيادةُ تشْنيعٍ عليهم وتسجيلٍ بالكذب، ودلالةٌ على أنَّهم لا يُعَرِّضون ولا يُوَرُّون، وإنما يُصرِّحون بأنَّه في التوراة هكذا وقد أنزله الله تعالى على موسى كذلك؛ لفَرْط جُرْأتِهم على الله وقساوةِ قلوبهم ويأسِهم من الآخرة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم اليهود الذين قَدِمُوا على كعب بن الأشرف، غيَّروا التوراةَ وكتبوا كتابًا بدَّلوا فيه صفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أخذت قريظةُ ما كتبوه فخلَطوه بالكتاب الذي عندهم.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ تكذيبٌ لمن اعتقَد عبادةَ عيسى عليه السلام.

وقيل: إن أبا رافع القُرظيَّ والسيِّدَ من نصارَى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتريدُ أن نعبدَك ونتَّخِذك ربًّا؟ قال: «معاذَ الله أَنْ نَعْبدَ غيرَ الله أو أَنْ نأْمُرَ بغير عبادة الله! فما بذلك بعثَني ولا بذلكَ أمرني» فنزلت.

إلى المضاف المحذوف.

قوله: (لا[١] يُورّون) أي: لا يَكْنُون، والمراد الستر.

قوله: (أو أن نأمر بغير عبادة الله)[٢] قال رضي الله[٣] عنه:[٤] "نأمر بعبادة غير الله" أحسن طباقًا لِما سبقه مِن المتن؛ لأنّ الكلام لم يقع في نفيهم عن أنفسهم الأمرَ بغير عبادة الله؛ بل بعبادة غير الله وهو النبيّ عليه السلام، ألا يرى إلى قوله: (أن نعبد غيرَ الله) ولم يقل: "أن نفعل[٥] غيرَ عبادة الله".[٦] قيل: هذه الحاشية

---

١ ن ر: ولا.

٢ انظر: جامع البيان للطبري، ٥/٥٣٤ (آل عمران، ٣/٧٩).

٣ ن + تعالى.

٤ د: رحمه الله.

٥ ن ر – أن نفعل.

٦ ن ر + بل بعبادة غير الله وهو النبيّ عليه السلام.

وقيل: قال رجلٌ: يا رسول الله! نُسلِّم عليك كما يُسلِّم بعضُنا على بعضٍ، أفلا نسجدُ لك؟ قال: «لا ينبغي أن يُسجَدَ لأحَدٍ من دونِ الله، ولكنْ أكرِموا نبيَّكم واعْرِفوا الحقَّ لأهله».

﴿وَٱلْحُكْمَ﴾: والحكمةَ، وهي السُّنَّة.

﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾: ولكن يقول: كونوا، والربَّاني: منسوبٌ إلى الربِّ بزيادة الألف والنون؛ كما يقال: رَقَبانِيٌّ ولِحْيانيٌّ، وهو الشديدُ التمسُّك بِدِين الله وطاعته.

وعن محمد بن الحنفيَّة: أنَّه قال حين مات ابن عباسٍ رضي الله عنهما: اليومَ مات ربانيُّ هذه الأمة.

وعن الحسن: ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾: فقهاءَ علماء.

وقيل: علماء معلِّمين، وكانوا يقولون: الشارعُ الربانيُّ: العالم العامل المُعلِّم.

تدلّ على أنّ رواية الحديث هكذا: "أن نأمر بغير عبادة الله"، والمصنّف يقول: "أن نأمر بعبادة غير الله" أحسنُ طباقًا. ونحن نقول: المعنى مِن الحاشية المنقولة عن المصنّف أنّه قد ورد الحديث بروايتين وإحداهما أحسن طباقًا.

قوله: (رَقبانيّ) منسوب إلى الرقبة، يقال: «رجل أرقَب بيِّن الرَّقَب، أي: غليظ الرقبة، ورَقبانيّ أيضًا على غير قياس».[١] «ورجل لَحيانيّ:[٢] عظيم اللحية».[٣]

قوله: (وقيل: علماء معلِّمين) ذَكَر في شرح السنّة أنّ الربانيّ هو الذي يربي الناس حتّى يجعلهم علماء بعد أن كانوا جُهّالًا.[٤] وأقول: هذا المنقول عن شرح السنّة هو معنى ما قيل: علماء معلِّمين. وكذا معنى قوله: (العالم العامل المعلِّم).

قوله: (الشارع) الذي[٥] يشرع الشرائع، أي: يعلّمها.

---

١ الصحاح للجوهري، «رقب».
٢ ن: الحيل في؛ ر: اللحياني.
٣ الصحاح للجوهري، «لحي».
٤ انظر: شرح السنّة للبغوي، ١/٢٨٣.
٥ ن ر: أي.

﴿بِمَا كُنتُمْ﴾: بسببِ كونكم عَالِمينَ وبسببِ كونكم دارِسِينَ للعلم، أوجَبَ أن تكون الربَّانيةُ التي هي قوّةُ التمسُّك بطاعة الله مسبَّبةً عن العلم والدِّراسَة، وكفى به دليلًا على خَيْبةِ سَعْيِ مَن جَهدَ نفسَه وكدَّ رُوحَه في جَمْع العِلْم ثم لم يجعَلْه ذريعةً إلى العمل، فكان مثَلُه مَثَلَ مَن غرَس شجرةً حَسْناء تُونِقُه بمنظرِها ولا تَنْفعُه بثمرها.

وقرئ: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ من التعليم، و: "تَعلَّمون" من التعلُّم.

﴿تَدْرُسُونَ﴾: تقرؤون، وقرئ: "تُدرِّسون" من التدريس، و: "تُدْرِسُون" على أنَّ أَدْرسَ بمعنى دَرَّس؛ كأَكْرَم وكرَّم، وأَنزَلَ ونزَّل.

و: "تَدَرَّسون" من التدرُّس، ويجوز أن يكون معناه ومعنى ﴿تَدْرُسُونَ﴾ بالتخفيف: تَدْرسونه على الناس؛ كقوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ فيكون معناهما معنى "تُدرِّسون" من التدريس.

وفيه: أنَّ مَن علِم ودرَّس العِلْم ولم يَعْملْ به فليس من الله في شيء، وأنَّ السَّبب بينه وبين ربِّه مُنقطِعٌ حيث لم يُثبتِ النسبةَ إليه إلَّا للمتمسِّكين بطاعته.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: (﴿بِمَا كُنتُمْ﴾) الباء في ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ تتعلّق بالأمر وهو قوله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾.

قوله: (بسبب كونهم[١] عالِمين) اعلم أنّ هذا المعنى على القراءة بسكون العين مِن "تَعْلَمُون".[٢]

قوله: (أوجَبَ) أي: الرسول هو المُوجِب هنا، لأنّه يقول: ﴿كُونُواْ﴾ وأخبر الله تعالى عن ذلك.

---

[١] ر: كونكم.

[٢] قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢/٢٤٠.

قرئ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالنصب عطفًا على ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: أن تُجْعل "لا" مزيدةً لتأكيد معنى النفي في قوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ والمعنى: ما كان لبشر أن يَسْتنبئهُ الله ويَنصبهُ للدُّعاء إلى اختصاص اللهِ بالعبادة وتركِ الأنداد ثم يأمرَ الناسَ بأن يكونوا عبادًا له ويأمرَكم ﴿أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾، كما تقول: ما كان لزيد أن أُكرِمَه ثم يُهينَني ولا يَسْتخفَّ بي.

والثاني: أن تُجْعل "لا" غيرَ مزيدة، والمعنى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهَى قُريشًا عن عبادة الملائكة، واليهودَ والنصارَى عن عبادة عُزيرٍ والمسيح عليهما السلام، فلمَّا قالوا له: أنتَّخِذُك ربًا؟ قيل لهم: ما كان لبشرٍ أن يَسْتَنْبئَه الله ثم يأمرَ الناسَ بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء عليهم السلام.

والقراءةُ بالرفع على ابتداءِ الكلام أظهرُ، وتَنْصرُها قراءة عبد الله: "ولن يأمرَكم".

والضمير في ﴿ولا يأمُركم﴾ و﴿أَيَأْمُرُكُم﴾ للبشر، وقيل: لله.

والهمزة في ﴿أَيَأْمُرُكُم﴾ للإنكار.

قوله: (ولا يستخفَّ بي) "لا" زائدة.

قوله: (عن عبادة عُزير) قال في الصحاح: «اسم ينصرف لخفّته وإن كان أعجميًا مثل نوح ولوط لأنّه تصغير عَزْر».[1]

قوله: (بعبادته) أي: بعبادة نفسه.

قوله: (وينهاكم) هو معنى لا[2] يأمركم.

قوله: (وتنصرُها) لأنّه / لا يمكن أن يكون "لَنْ يَأْمُرَكُمْ"[3] عطفًا على ﴿يَقُولَ﴾ لامتناع دخول "أن" الناصبة على "لن".[4] [٢٦١ظ]

قوله: (والضميرُ) أي: على هذه القراءة.

---

[1] ر: عزير. | الصحاح للجوهري، «عزر».

[2] د – لا.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وطلحة. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٥٩٧.

[4] ن: أن.

﴿بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ دليلٌ على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له.

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾

﴿مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فيه غيرُ وجهٍ:

أحدها: أن يكون على ظاهره من أخذِ الميثاقِ على النبيين بذلك.

والثاني: أن يضيفَ الميثاقَ إلى النبيين إضافته إلى الموَثِّق لا إلى الموثَّق عليه؛ كما تقول: ميثاقُ الله وعهد الله؛ كأنه قيل: وإذْ أخذ الله الميثاقَ الذي وثَّقَهُ الأنبياءُ عليهم السلام على أُمَمهم.

والثالثُ: أن يراد: ميثاقُ أولادِ النبيين -وهم بنو إسرائيل- على حَذف المضاف.

والرابع: أن يراد أهلُ الكتاب، وأن يَردَ على زعمهم تهكُّمًا بهم؛ لأنهم كانوا يقولون: نحن أولى بالنبوَّة من محمدٍ صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّا أهلُ الكتاب

قوله: (**دليل**) إن صحّ بغير تنوين. قال رحمه الله:[١] قراءتي وسماعي دليلٌ على أنّ.[٢]

قوله: (**مِن أَخذ الميثاق على النبيّين بذلك**) وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أَولى. والمراد بـ﴿رَسُولٞ﴾ محمّد صلّى الله عليه وسلّم.[٣] عن عليّ رضي الله عنه:[٤] لم يبعث الله نبيًّا آدمَ ومَن بعده إلّا أخذ عليه الميثاق في أمر محمّد لتُؤمِنُنّ به، ولئن بُعث وهم أحياء لينصُرُنّه وأممُهم تَبَع في ذلك.[٥] هذا على الوجه الأوّل. وأمّا على باقي الوجوه فظاهر. وقوله: "بذلك"، أي: بما في الآية.

---

١ ن ر: رضي الله عنه.

٢ أي: إلى آخر الكلام.

٣ د: عليه السلام.

٤ د - رضي الله عنه.

٥ بلفظ قريب في **معالم التنزيل** للبغوي، ٦٢/٢ (آل عمران، ٨١/٣).

ومنّا كان النبيُّون، وتَدلُّ عليه قراءةُ أبيٍّ وابن مسعود: "وإذْ أخَذَ اللهُ ميثاقَ الذين أوتوا الكتاب".

واللام في ﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾ لامُ التوطِئة؛ لأن أَخذَ الميثاق في معنى الاستحلافِ، وفي ﴿لتؤمِنُنَ﴾ لامُ جواب القَسَم، و"ما" يَحتمِلُ أن تكونَ المتضمِّنةَ لمعنى الشرط و﴿لَتُؤۡمِنُنَّ﴾ سادٌّ مسدَّ جواب القسَم والشرط جميعًا، وأن تكون موصولةً بمعنى: لَلَّذي آتَيْتُكموه لتؤمنُنَّ به.

وقرئ: ﴿لَمَاآتيناكم﴾.

وقرأ حمزةُ: ﴿لِمَاآتيتُكم﴾ بكسر اللام، ومعناه: لِأجْل إيتائي إياكم بعضَ الكتاب والحكمةِ ثم لمجيءِ رسولٍ مصدِّقٍ لِمَا معكم لتؤمنُنَّ به، على أنَّ "ما" مصدرية والفعلان معها -أعْنيَ: ﴿ءَاتَيۡتُكُم﴾ و﴿جَآءَكُمۡ﴾- في معنى المصدرين، واللامُ داخلةٌ للتعليل على معنى: أخَذ الله ميثاقَهم لَتؤمنُنَّ بالرسول

قوله: **(لام التوطئة)** التوطئة: كثرة الوطئ، وهو الرياضة، كقولك: وطّأ الفرس ووطّأ المركب. وهذه اللام وطّأت طريق جواب القسم، أي: سهّلت تفهيم الجواب على السامع، والمراد بالموطِّئة للقسم هي "اللام" التي تدخل على الشرط بعد تقدُّم القسم لفظًا أو تقديرًا لتُؤذِن أنّ الجواب له لا للشرط، فهذا معنى توطئتها، وليست جواب القسم، وإنّما الجواب يأتي بعد الشرط.[1]

قوله: **(المتضمِّنة)** أي: الشرطية.

قوله: **(وأن تكون موصولة)** واعلم أنّه إذا كانت "ما" موصولة لا تكون "اللام" في ﴿لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم﴾ لام التوطئة، لأنّ اللام الموطّئة للقسم هي التي تدخل على الشرط بعد تقدُّم القسم، إلّا أن يقال: هو ملحَق بالشرط في دخول لام التوطئة عليه كما هو ملحق به في دخول[2] الفاء في الجزاء. والله أعلم.

---

[1] ن ر - قوله: (لام التوطئة)... بعد الشرط. [صحّ في هامش د].
[2] ن ر - لام التوطئة عليه كما هو ملحق به في دخول.

ولتنصرنَّه لأَجْلِ أنّي آتيتُكم الحكمةَ وأنَّ الرسول الذي آمُرُكم بالإيمان به ونُصرتهِ موافقٌ لكم غيرُ مخالِف.

ويجوز أن تكون "ما" موصولةً.

فإن قلتَ: كيف يجوزُ ذلك والعطفُ على ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ -وهو قوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾- لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصلة؛ لأنّك لا تقول: لِلّذي جاءكم رسولٌ مصدِّق لِمَا معكم؟

قلتُ: بلى؛ لأن "ما مَعَكم" في معنى "ما آتيتُكم"؛ فكأنه قيل: لِلّذي آتيتُكموه وجاءكم رسولٌ مصدِّقٌ له.

وقرأ سعيد بن جُبيْر: "لمّا" بالتشديد، بمعنى: حين آتيتُكم بعضَ الكتاب والحكمةِ ثم جاءكُم رسولٌ مصدِّقٌ له وجَب عليكم الإيمانُ به ونُصْرتُه.

وقيل: أصله: «لَمِنْ ما» فاستثقلوا اجتماعَ ثلاثِ ميمات -وهي الميمان

قوله: (**ويجوز أن تكون "ما" موصولة**) أي: على قراءة حمزة،[1] تقديره: للذي.

قوله: (**والعطفُ**) أي: المعطوفُ مبتدأ خبرُه (**لا يجوز**).

قوله: (**لأنّك لا تقول: للذي**)... إلخ، لأنّه لا بدّ مِن الضمير الراجع إلى الموصول.

قوله: (**قلتُ: بلى**) كأنّه قال[2] في السؤال: "لا يجوز ذلك"، ولذلك أجاب بقوله: "بلى"، أو لقوله: (**لا يجوز أن يدخل**).

قوله: (**وجاءكم رسول مصدق له**) فيكون التقدير: مصدقًا لِما آتيتكموه، فيرجع الضمير إلى الموصول. في هذه **الحاشية** بحث.[3] والأَولى أن نقول: معنى كلام المصنّف أن قوله: ﴿لِمَا مَعَكُمْ﴾ موضوع موضعَ قوله: "له"،[4] فهو مِن وضع الظاهر موضع الضمير.

---

١ قرأ حمزة بكسر اللام. النشر لابن الجزري، ٢٤١/٢.
٢ ن ر - قال.
٣ ر - بحث.
٤ ن ر - له.

والنونُ المنقلبةُ ميمًا بإدغامها في الميم- فحذفوا إحداها فصارت "لمّا"، ومعناه: لمَنْ أَجْلِ ما آتيتُكم لتُؤمنُنَّ به، وهذا نحوٌ من قراءةِ حمزةَ في المعنى.

﴿إِصْرِى﴾: عهدي، وقرئ: "أُصْرِي" بالضم.

وسمي إِصْرًا لأنه مما يُؤصَرُ؛ أي: يُشَدُّ ويُعْقَدُ، ومنه: الإِصَارُ الذي يُعْقَد به، ويجوز أن يكون المضمومُ لغةً في إصْر كعِبْرٍ وعُبْرٍ، وأن يكون جمعَ إِصَارٍ.

﴿فَٱشْهَدُواْ﴾: فَلْيَشهدْ بعضُكم على بعضٍ بالإقرار وأنا على ذلكم من إقرارِكم وتشاهُدِكم ﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ وهذا توكيدٌ عليهم وتحذيرٌ من الرجوعِ إذا علِموا بشهادةِ الله وشهادةِ بعضِهم على بعضٍ.

وقيل: الخطابُ للملائكة.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله: (كـ"عِبر"[١] و"عُبر")[٢] «جملٌ عُبْرُ أسفار، وجِمالٌ عُبْرُ أسفار، وناقةٌ عُبْرُ[٣] أسفار، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنّث[٤] والمذكّر، مثل "الفُلْك"، أي: لا يزال يُسافَر عليها، وكذلك "عِبْر أسفار" بالكسر».[٥]

قوله: (وأنا على ذلكم مِن إقراركم). قيل: الصواب ﴿أَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، وإنّما هذا تفسير لِما في سورة ﴿ٱقْتَرَبَ﴾ مِن قوله: ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء ٥٦/٢١]. وهذا الإيراد فيه نظر؛ لأنّه يجوز أن يكون[٦] تفسير هذه الآية موافقًا لتلك، وإن كان في اللفظ اختلاف، وليس مراد المصنّف بقوله: "وأنا على ذلكم" إيراد لفظ القرآن؛ بل تفسير الآية.

قوله: (وقيل: الخطاب) أي: في ﴿فَٱشْهَدُواْ﴾.

---

١ ن: بعير.
٢ ر + يقال.
٣ ن: غير.
٤ ن ر: المؤنث.
٥ الصحاح للجوهري، «عبر».
٦ ن - أن يكون.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاقِ والتوكيدِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾؛ أي: المتمرِّدون من الكفّار.

دخلت همزةُ الإنكارِ على الفاء العاطفةِ جملةً على جملةٍ، والمعنى: فأولئك هم الفاسقون فغيرَ دين الله يبغون، ثم توسَّطتِ الهمزةُ بينهما.

ويجوز أن يُعطف على محذوف تقديره: أيَتولَّون فغيرَ دين الله يبغون.

وقدَّم المفعولَ -الذي هو "غيرَ دينِ الله"- على فعله لأنَّه أهمُّ من حيث إنَّ الإنكار الذي هو معنى الهمزةِ متوجِّهٌ إلى المعبود بالباطل.

وروي: أن أهل الكتاب اختصَموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين إبراهيم عليه السلام، وكلُّ واحدٍ من الفريقين ادَّعى أنه أَوْلَى به، فقال صلى الله عليه وسلم: «كِلَا الفريقين بريءٌ من دِينِ إبراهيمَ عليه السلام» فقالوا: ما نرضَى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فنزلت.

وقرئ: ﴿يَبۡغُونَ﴾ بالياء، و: ﴿تُرجَعون﴾ بالتاء، وهي قراءة أبي عمرو؛ لأنَّ الباغين هم المتولُّون والراجعون جميعُ الناس، وقُرِئا بالياء معًا وبالتاء معًا.

قوله: (العاطفةِ جملةً) فكأنّه قال:[١] يفسقون فيبغون غير دين الله، ثمَّ دخلت الهمزة.

قوله: (تقديره: أيتولَّون) أي: أيُعرِضون.[٢]

قوله: (ورُوي) سبب النزول.

قوله: (فنزلت) أي: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾.

قوله:[٣] (لأنّ الباغين) يريد أنّ المراد بالباغين هو المراد بقوله: ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾ فكان ﴿يَبۡغُون﴾[٤] بالياء المنقوطة مِن تحت مناسبًا ليرجعَ إليهم الضمير، وأمّا قوله تعالى:

---

[١] ر: قيل.

[٢] ر: يعرضون.

[٣] ن ر - فنزلت، أي: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾ قوله.

[٤] قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي وحمزة وأبو بكر وأبو جعفر وخلف. النشر لابن الجزري، ٢/٢٤١.

﴿طَوْعًا﴾ بالنظر في الأدلة والإنصافِ من نفسه ﴿وَكَرْهًا﴾ بالسيف، أو بمُعايَنةِ ما يَلجئُ إلى الإسلام؛ كنَتْقِ الجبل على بني إسرائيل، وإدراك الغَرَق فرعونَ، والإشْفاءِ على الموت: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر ٨٤/٤٠].

وانتصب ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ على الحال بمعنى: طائعين ومُكرَهين.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾

أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يُخبرَ عن نفسه وعَمَّنْ معَه بالإيمان فلذلك وُحِّد الضمير في ﴿قُلْ﴾ وجُمع في ﴿ءَامَنَّا﴾، ....

﴿تُرْجَعُون﴾[١] فخطاب لجميع الناس، فالتاء المنقوطة مِن فوق مناسب.

قوله: (كنَتْقِ الجبل) «النَّتق: الزعزعة والنفض. قال أبو عبيدة في قوله تعالى: / ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾[٢] ﴿فَوْقَهُمْ﴾ [الأعراف ١٧١/٧]، أي: زعزعناه».[٣] [٢٦٢و]

قوله: (فرعون) مفعول لـ(إدراك).[٤]

قوله: (والإشفاء) أشفى على الشيء أشرف عليه وأشفى المريض على الموت والإيمان حينئذٍ لا يكون مقبولًا.

قوله: (﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ [غافر ٨٤/٤٠]) استشهاد.

قوله: (فلذلك) أي: لأنّ المأمور هو الرسول صلّى الله عليه وسلّم،[٥] والمخبَر عنه هو والمؤمنون.[٦]

---

١ قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وحمزة وأبو بكر وأبو جعفر وخلف. **النشر** لابن الجزري، ٢٤١/٢.

٢ ن ر - النتق الزعزعة والنفض. قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾.

٣ **الصحاح** للجوهري، «نتق». وهذا المعنى منسوب لابن قتيبة في **الوسيط** للواحدي، ٤٣٩/٩ (الأعراف، ١٧١/٧). المذكور في **مجاز القرآن** لأبي عبيدة، ٢٣٢/١ «أنّ نتقنا معناه: رفعنا».

٤ ر: الإدراك.

٥ د: عليه السلام.

٦ ن ر: المنون.

ويجوز أن يُؤمر بأنْ يتكلّم عن نفسه كما يتكلّم الملوك إجلالًا من الله لقَدْر نبيّهِ صلى الله عليه وسلم.

فإن قلتَ: لم عُدِّي ﴿أُنزِلَ﴾ في هذا الآية بحرفِ الاستعلاء وفيما تقدَّم من مِثْلها بحرف الانتهاء؟

قلتُ: لوجود المعنيَين جميعًا؛ لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل، فجاء تارةً بأحد المعنيين وأخرى بالآخر.

ومَن قال: إنما قيل: ﴿عَلَيۡنَا﴾ لقوله: ﴿قُلۡ﴾، و﴿إِلَيۡنَا﴾ لقوله: ﴿قُولُوٓاْ﴾؛ تفرقةً بين قول الرسول والمؤمنين؛ لأن الرسول يأتيه الوحيُ على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء= فقد تَعسَّف، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [النساء ٦٠/٤] ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [المائدة ٤٨/٥]، وإلى قوله: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران ٧٢/٣].

﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾: موحِّدُون مُخلِصون أنفُسَنا له، لا نجعَلُ له شريكًا في عبادتها.

قوله: (ويجوز أن يُؤمَر) فيكون الأمر بالإخبار عن نفسه فقط.

قوله: (إجلالًا) مفعول له مِن قوله: "يؤمر". وإنّما جاز ذلك مع أنّ "إجلالًا" ليس فعلًا لفاعل الفعل المعلَّل، إذ الفاعل،[1] أي: مفعول[2] ما لم يُسمّ فاعله لـ"يؤمر" ضميرُ النبيّ، والإجلالُ فعل الله تعالى، لأنّ أصل هذا التركيب هو المبنيّ للفاعل، بأن يقال: يأمر الله النبيّ فيكون الإجلال فعلًا لفاعل الفعل المعلّل.

قوله: (فجاء)، يعني باعتبار إنزاله مِن فوق جاء "على" وباعتبار انتهائه إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[3] جاء "إلى".

قوله: (في عبادتها) أي: في عبادة أنفسنا له.

---

١ ن: الفاعلي.
٢ ن ر: المفعول.
٣ د: عليه السلام.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

ثم قال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ يعني: التوحيدَ وإسلامَ الوَجْه لله ﴿دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: من الذين وقعوا في الخسران مطلقًا من غيرِ تقييدٍ للشِّياع.

وقرئ: ﴿ومن يبتَغْ غير الإسلام﴾ بالإدغام.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا﴾: كيف يَلْطُفُ بهم وليسوا من أهلِ اللُّطف؛ لِمَا عَلِم الله من تصميمِهم على كفرهم، ودلَّ على تصميمِهم بأنهم ﴿كفروا بعد إيمانهم و﴾ بعدما ﴿شهدوا﴾ بـ﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾، وبعد ما جاءتهم البياناتُ الشواهدُ من القرآن وسائر المعجزات التي تَثْبُتُ بمِثْلها النبوَّةُ، وهم اليهودُ كفروا بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا مؤمنين به، وذلك حين عايَنوا ما يوجب قوَّةَ إيمانهم من البيِّنات.

قوله:[١] (دلّ على تصميمهم)[٢] "دلّ" ضميره عائد إلى الله تعالى، يعني: أشار الله تعالى إلى تصميمهم بقوله: ﴿كَفَرُوا۟﴾، والتصميم على الأمر: المضيّ فيه، وهو لازم، يقال: "سيف مصمِّم" بكسر الميم.

قوله: (وذلك)... إلخ، فسّر قوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بقوله:[٣] (بعد أن كانوا مؤمنين) ثمّ بيّن أنّ المراد بكونهم مؤمنين أنّهم عاينوا ما يُوجِب قوّة إيمانهم، فكأنّهم كفروا بعد أن آمنوا.[٤]

---

١ د: قول.

٢ ن ر – قوله: (في عبادتها) أي: في عبادة أنفسنا له. قوله: دلّ على تصميمهم.

٣ ر – ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بقوله.

٤ ر – ما يوجب قوة إيمانهم فكأنّهم كفروا بعد أن آمنوا.

وقيل: نزلت في رهطٍ كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، منهم طُعْمَةُ بن أُبَيْرِقَ ووَحْوَحُ بنُ الأَسْلت والحارثُ بن سويد بن الصَّامِتِ.

فإن قلتَ: علام عُطف قوله ﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾؟

قلتُ: فيه وجهان: أن يعطف على ما في ﴿إِيمَٰنِهِمْ﴾ من معنى الفعل؛ لأن معناه: بعد أن آمنوا؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون ٦٣/١٠]، وقولِ الشاعر:

ليسوا مُصْلِحينَ عشيرةً ولا ناعبٍ

قوله: (**وقيل: نزلت**) فعلى هذا يكون المراد بقوله: ﴿إِيمَٰنِهِمْ﴾ دخولهم في الإيمان بالحقيقة لا معاينةَ ما يُوجِب قوّة الإيمان.

قوله: (**طُعْمة**) في نسخة الصغاني "طِعْمة" بكسر الطاء.

قوله: (**كقوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون ٦٣/١٠]**) موضعه جزم، ولهذا صحّ عطف قوله: ﴿وَأَكُن﴾ عليه. سأل سيبويهِ الخليلَ عن قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾، قال الخليل: جُزم[١] ﴿وَأَكُن﴾؛ لأنّ الفعل الأوّل يكون مجزومًا حين لا فاء فيه، والفعلُ الأوّل[٢] موضع دخول الفاء وسقوطِه، و﴿لَوْلَآ﴾ للتحضيض، فكأنّه قيل: أخِرني إلى أجل قريب أصّدّقْ وأكنْ مِن الصالحين.[٣]

قوله:

مشائيمُ[٤] (**ليسوا مصلحين عشيرةً ولا ناعبٍ**) إلّا ببَيْنٍ غرابُها[٥]

قوله: "مصلحين" في حكم "بمصلحين"؛ لأنّ "الباء" تدخل في خبر "ليس"، فعطف على ذلك المحلّ.

---

١ ن: أجزم.

٢ ن – الأول.

٣ انظر: **كتاب سيبويه**، ٣/١٠٠-١٠١.

٤ ر: مشاهم.

٥ البيت للأخوص الرِّياحي في **كتاب سيبويه**، ١/١٦٥، ١/٣٠٦، و**خزانة الأدب** للبغدادي، ٤/١٥٨، و**شرح أبيات المغني** للبغدادي، ٧/٥٦؛ وهو لأبي الأخوص الرياحي في **البيان والتبيين** للجاحظ، ٢/٢٦١. ونسبه سيبويه للفرزدق في موضع آخر من **الكتاب**، ٣/٢٩.

ويجوز أن تكون الواوُ للحال بإضمارِ «قد» بمعنى: كفروا وقد شَهِدوا أن الرسول حقٌّ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي﴾: لا يَلْطُف بالقوم ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المعانِدين الذين علِم أن اللُّطف لا يَنفعُهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ الكفرِ العظيم والارتدادِ ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ ما أفسَدوا، أو دخلوا في الصلاح.

قيل: نزلت في الحارثِ بن سويدٍ حين نَدِمَ على رِدَّتِه، فأرسل إلى قومه: أنْ سَلُوا: هل لي من توبةٍ؟ فأرسل إليه أخوه الجُلَاسُ بالآية، فأقبلَ إلى المدينة فتاب وقَبِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم توبتَه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٩١﴾

﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾ هم اليهودُ كفروا بعيسى والإنجيلِ بعد إيمانهم بموسى والتوراة، ثم ازدادوا كفرًا بكفرهم بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم والقرآن، أو كفروا برسولِ الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبلَ مَبْعَثِه، ثم ازدادوا كفرًا بإصْرارهم على ذلك

قوله: (أو ودخلوا)[1] يعني يجوز أن تكون الهمزة في ﴿أَصۡلَحُواْ﴾ للتعدية ويكون مفعوله محذوفًا. ويجوز أن يكون للصيرورة.

قوله: (أن سَلُوا) أي: النبيّ عليه السلام.[2]

قوله: (الجُلَاس) عطف بيان قال صاحب الكشّاف: الجُلَاس بالتخفيف. وقيل: بالتشديد.

---

[1] في مطبوع الكشّاف: «أو دخلوا». | وما أثبتّه هو الذي في حاشية الجاربردي وما راجعته من أصول الكشّاف.

[2] ن ر - عليه السلام.

وطعنِهم فيه في كلِّ وقتٍ وعداوتِهم له، ونقضِهم ميثاقَهم، وفتنتِهم للمؤمنين، وصدِّهم عن الإيمان به، وسخريَتهم بكلِّ آيةٍ تَنزِلُ.

وقيل: نزلت في الذين ارتدُّوا ولَحِقوا بمكةَ، وازديادُهم الكفرَ أن قالوا: نقيمُ بمكة نتربَّصُ بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم رَيْبَ المنون، وإن أرَدْنا الرَّجْعة نافَقْنا بإظهار التوبة.

فإن قلتَ: قد عُلم أن المرتدَّ كيف ما ازدادَ كفرًا فإنَّه مقبولُ التوبة إذا تاب، فما معنى ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾؟

قلتُ: جُعلت عبارةً عن الموت على الكفر؛ لأن الذي لا تُقبل توبتُه من الكفار هو الذي يموت على الكفر؛ كأنَّه قيل: إن اليهود أو المرتدِّين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة مَن لا تُقْبَل توبَتُهم.

قوله: (**ريبَ المنون**) أي: حوادثَ الدهر، وهو مِن قولهم: رابَه الدهر وأرابه، أي: أقلقه، فهو بمعنى الرائب. و"المنون": الدهر. وإن أردنا الرجعة أرادوا الرجعة إلى المدينة.

قوله: (**جُعلَت**) عبارة الضمير مِن "جُعلت" يعود إلى عدم قبول التوبة لأنّ ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ يدلّ عليه، وأنّث باعتبار قوله: (**عبارةً**). أو يعود إلى ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ على تأويل الكلمة.

قوله: (**معنى ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ بمعنى الموت**) عبارة عجيبة غيرُ مفصحة عن المراد،[١] إذ المراد أنّ ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ بمعنى الموت على / الكفر، فالوجهُ [٢٦٢ظ] حذف "معنى" مِن الأوّل كما ذكرنا، أو حذف "بمعنى" مِن الثاني، هكذا "معنى ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ الموت على الكفر". وتوجيهُ كلامه على ما ذكر[٢] أنّ "الباء" متعلّق بمحذوف، فكأنّه قال: "معنى ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ مرتبطٌ ومتعلِّق أو ملتبس بمعنى الموت على الكفر"، إذ المراد بالأوّل هو الثاني. وهذا هو التحقيق؛ لأنّ ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ ليس معناه الحقيقيّ الموت على الكفر.

---

[١] ر + وذلك.

[٢] ر: ذكرنا.

فإن قلتَ: فلم قيل في إحدى الآيتين: ﴿لَن تُقۡبَلَ﴾ بغير فاء، وفي الأخرى ﴿فَلَن يُقۡبَلَ﴾؟

قلت: قد أُوذن بالفاء أن الكلام بُني على الشرط والجزاء، وأن سببَ امتناع قبولِ الفدية هو الموتُ على الكفر، وبتركِ الفاء أن الكلام مبتدأ وخبرٌ، ولا دليل فيه على التسبُّب، كما تقول: الذي جاءني له درهم، لم تجعل المجيءَ سببًا في استحقاقِ الدرهم، بخلاف قولك: فله درهمٌ.

فإن قلتَ: فحين كان معنى ﴿لَن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ بمعنى الموت على الكفر، فهلَّا جُعل الموت على الكفر مسبَّبًا عن ارتدادهم وازديادهم الكفرَ؛ لِمَا في ذلك من قساوةِ القلوب وركوبِ الرَّيْن وجرِّه إلى الموت على الكفر.

قلتُ: لأنه كم مِن مرتدٍّ مزدادٍ للكفر يرجعُ إلى الإسلام ولا يموتُ على الكفر.

فإن قلتَ: فأيُّ فائدةٍ في هذه الكناية؟ أعني: أنْ كُنِيَ عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة.

قلتُ: الفائدةُ فيها جَليلةٌ، وهي التغليظُ في شأن أولئك الفريقِ من الكفَّار،

قوله: (**لِما في ذلك مِن قساوة القلوب**) "مِن" بيان "ما"، وذلك إشارة إلى ارتدادهم وازديادهم الكفر، فأشار به إلى المثنّى[1] باعتبار المذكور، كما في قوله تعالى: ﴿لَا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة ٦٨/٢]. وكذا الضمير مِن (جرِّه) يعود إلى "القساوة" و"الركوب"، كما في قول الشاعر:

فيها خطوطٌ مِن سواد وبَلَق   كأنه في الجلد توليعُ البَهَق[2]

قوله: (**الفائدةُ فيها جليلة**) حاصل الجواب أنّ في قوله: ﴿لَن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾

---

[1] ن ر: المبنى.

[2] الرجز لرؤبة بن العجّاج في ديوانه، ص ١٠٤. وأنشده الجاربردي منسوبًا في سورة البقرة، ٦٨/٢، وشرحه ثمّة. وراجع أبو عبيدة رؤبةَ في هذا البيت في خبر نقله في مجاز القرآن، ٤٤/١، فقال: «قال أبو عبيدة فقلتُ لرؤبة: إن كانت خطوطٌ فقل: "كأنها"، وإن كانت سودٌ وبُلقٌ فقلْ: "كأنهما"، فقال: كأنّ ذلك ويلك توليعُ البهَق». وهذا الخبر يبيّن محلّ الاستشهاد بالرجز.

وإبرازُ حالهم في صورةِ حالةِ الآيسينَ من الرحمة التي هي أغلظُ الأحوال وأشدُّها، ألَا تَرى أن الموت على الكفر إنما يُخاف لأجلِ اليأس من الرحمة.

﴿ذَهَبًا﴾ نصبٌ على التمييز، وقرأ الأعمش: "ذهَبٌ" بالرفع رَدًّا على ﴿مِلْءُ﴾ كما يقال: عندي عشرون نفسًا رجالٌ.

فإن قلتَ: كيف موقعُ قوله: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦ﴾؟

قلتُ: هو كلامٌ محمول على المعنى، كأنّه قيل: فلن تُقبل من أحدهم فديةٌ ولو افتدَى بملءِ الأرض ذَهَبًا.

ويجوز أن يراد: ولو افتدى بمثله؛ كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ [الزمر ٣٩/٤٧] والمِثْلُ يُحذف كثيرًا في كلامهم؛ كقولك: ضربتُه ضربَ زيد، تُريد: مثلَ ضربه، وأبو يوسف أبو حنيفةَ تريد: مثله، و:

لا هَيْثَمَ الليلَةَ للمَطِيِّ

تصريحًا باليأس عن الرحمة،[١] وليس قوله: "يموتون على الكفر" كذلك فلذلك عدل إلى الكناية.

قوله: (ردًّا على ﴿مِلْءُ﴾) أي: بدلًا مِن ﴿مِلْءُ﴾.

قوله:

(لا هيثَمَ الليلَةَ للمَطيِّ)

تمامه:

ولا فتًى مِثْلَ ابنِ خيبريّ[٢]

---

[١] ن ر: الوجه.

[٢] ما عرفتُ صاحب هذا الرجز. وأولهما بلا عزو في كتاب سيبويه، ٢/٢٩٦؛ والحلبيات للفارسي، ص ٢٠٤، ٣١١؛ والمستقصى في الأمثال للزمخشري، ٢/٨٩؛ والمفصَّل للزمخشري، ص ١٠٦؛ وأمالي ابن الشجري، ١/٣٦٥. وانظر تفصيل الكلام عليه في خزانة الأدب للبغدادي، ٤/٥٧-٦١، وفيها: أنّ هذا الرجز مِن أبيات سيبويه التي لا يُعرف قائلها؛ وأنّ هيثم المذكور هو هيثم بن الأشتر، وكان مشهورًا بين العرب بحُسن الصوت في حُدائه الإبل، وكان أعرف أهل زمانه بالبيداء والفلوات وسَوق الإبل؛ وفيها أنّ ابن خيبري هو جميل بثينة.

و: قضيةٌ ولا أبا حسنٍ لها، تريد: ولا مثلَ هَيْثمٍ، ولا مثلَ أبي حسن، كما أنّه يُزاد في نحو قولهم: مِثْلُك لا يفعلُ كذا، تريد: أنت. وذلك أنَّ المِثْلَين يَسُدُّ أحدهما مسدَّ الآخر فكانا في حُكْمِ شيءٍ واحد.

وأن يراد: فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهبًا كان قد تَصدَّقَ به، ولو افتدى به أيضًا لم يُقْبَلْ منه.

وقرئ: "فلن يَقبلَ من أحدهم ملءَ الأرض" على البناء للفاعل -وهو اللهُ عزَّ وعلا- ونَصْبِ "مِلءَ".

و: "مِلُ لَرْضِ" بتخفيف الهمزتين.

وفي "لا هيثمَ" وجهان: أحدُهما وعليه النحويّون معناه "لا مثلَ هيثم"،[١] و"مثل" لا يتعرّف بالإضافة مذكورًا فلأن لا يتعرّف محذوفًا أجدرُ. والثاني أنّ العَلَم متى اشتهر لمعنى مِن المعاني يُنزَّل منزلة الجنس الدالّ[٢] على ذلك المعنى، كما في قولهم: «لكلّ فرعون موسى»،[٣] فمعنى "لا هيثم" لا راعيَ جيِّد الرعي. وكذا قولهم: «قضيّة ولا أبا حسن»،[٤] أي: قضيةٌ ولا عالمَ لها. لأنّ "هيثم" مشهور[٥] بالرعي، وعليًّا رضي الله عنه بالعِلم، فلهذا[٦] جاز دخول "لا" عليها.

قوله: (و"مِلُ لَرْضِ"[٧] بتخفيف الهمزتين) أصله ﴿مِلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾ ألقيت حركة همزة "أرض" على لام التعريف حين خفّفت، كما في "الخَبء" و"مَسألة"، وحُذفت همزتها فصار[٨] "مِلءُ لَرضِ"، لأنّ[٩] همزة[١٠] الوصل حُذفت على[١١] القياس،[١٢] ثمّ حُذفت همزة "ملء" بعد إلقاء حركتها على اللام فصار "مِلُ لَرْضِ".

---

١ ر + وفي لا هيثم.
٢ ن: بالدال.
٣ شرح الرضيّ على الكافية، ٣٣/٢، ١٦٧، ٢٥٧، ٢٥٧/٣.
٤ كتاب سيبويه، ٢٩٧/٢. وذكروا أنّه من كلام معاوية أو عمر رضي الله عنهما. انظر: غريب الحديث للخطابي، ١٩٩/٢؛ والغريبين للهروي، ١٢٩٢/٤؛ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٢٥٤/٣، ولسان العرب لابن منظور، «عضل».
٥ ر: مشهورًا.
٦ ر: فكذا.
٧ قرأ بها ورش من طريق الأصبهاني وابن وردان عن أبي جعفر، في أحد الوجهين عنهما. النشر لابن الجزري، ٤١٤/١.
٨ د ن ر: صار.
٩ ر - لأنّ.
١٠ ن: الهمزة.
١١ ن ر - على.
١٢ ن: للقياس.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾: لن تَبْلُغوا حقيقةَ البِرِّ ولن تكونوا أَبْرارًا.

وقيل: لن تنالوا برَّ الله وهو ثوابُه.

﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: حتى تكونَ نفقتُكم من أموالكم التي تحبُّونها وتُؤْثِرونها؛ كقوله: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ [البقرة ٢/٢٦٧]، وكان السَّلَف رحمهم الله إذا أحبُّوا شيئًا جعَلوه لله.

ورُوِي: أنها لمَّا نزلت جاء أبو طلحة فقالَ: يا رسول الله، إنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بَيْرَحَى، فضَعْها يا رسول الله حيث أَرَاكَ الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قوله: (ولن تكونوا أبرارًا) إذا كان معناه "لن تكونوا أبرارًا" يكون مِن قبيل الكناية، لأنّ نيلهم البرّ، أي: وصولهم إلى البرّ يكون بقيام البرّ لهم على هذا الوجه، لأنّ البرّ[١] لا يكون قائمًا بنفسه، فهو قريب مِن قول الشاعر:

إنّ السماحة والمروءة والندى   في قبّة ضُربت على ابن الحَشرجِ[٢]

وقول المصنّف: "لن تكونوا أبرارًا" بيان لقوله: (لن تبلغوا حقيقة البرّ).

قوله: (بيرحا) بيرحا بالألف: اسم ضيعة. قال صاحب **الكشّاف**: شيوخ مكّة يروونها بكسر الباء[٣] "بِيرحا"،[٤] فإن صحّ فهو مضاف إلى "حا"، وحا[٥] قبيلة. قال المطرّزي في **المُغرِب**:

> بيرحا فَيعلى مِن "بَرِح[٦] المكانَ" إذا زال[٧] منه، وهو بستان لأبي طلحة الأنصاري بالمدينة مُستقبِلَ مسجد[٨] رسول الله عليه السلام.[٩] كان عليه السلام[١٠] يدخله ويشرب مِن ماء فيه طيّب، وحين نزل قوله تعالى:

---

١ ن ر – أي: وصولهم إلى البرّ يكون بقيام البرّ لهم على هذا الوجه لأنّ البرّ.

٢ البيت لزياد الأعجم. ومضى بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٢/٤.

٣ د – بكسر الباء. | وهو تعليق في هامش د.

٤ سيأتي كلامه فيما نقله عنه المطرّزي.

٥ ن ر: حا.

٦ ر: يبرح.

٧ ن ر: نزل.

٨ ن – مسجد.

٩ ر: صلّى الله عليه وسلّم.

١٠ ن: صلّى الله عليه وسلّم كان عليه.

....

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم:[١] أحبّ أموالي إليّ بيرحا، وإنّها صدقة لله تعالى أرجو برّها وذخرها عند الله تعالى، فقال عليه السلام:[٢] «ذلك مال رابح»،[٣] أي: ذو / ربح. ويروى «رائح»، أي: قريب المسافة يروح خيره ولا يعزُب. [٢٦٣و]
وعن شيخنا[٤] أنّه قال: رأيت مُحدِّثي مكّة يَروونها "بيرحاء" و"حاء" اسم رجل أضيف البئر إليه. قال: والصواب الرواية الأولى.[٥]

وقول أبي طلحة: «ضَعْها يا رسول الله حيث أراك الله» مِن الرأي بمعنى القياس. قال ابن الحاجب في **أصوله** لبيان أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٦] كان متعبّدًا بالاجتهاد: «استدلّ أبو يوسف[٧] بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء ١٠٥/٤]، وقرّره الفارسيّ».[٨] هذا كلام ابن الحاجب. يعني[٩] أنّ أبا عليّ الفارسيّ قرّره بأنّه لا يجوز أن يكون مِن رؤية البصر، وهو ظاهر، ولا مِن الرؤية بمعنى العِلم؛ لأنّ المفعول الأوّل مذكور وهو "الكاف"، والثاني أيضًا وهو العائد إلى "ما"، فإنّ العائد المحذوف في حكم المذكور، فلو كان بمعنى العلم لزِم ذِكر المفعولين دون الثالث، وهو غير جائز، فثبت أنّ معنى ﴿أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ جعله لك[١٠] رأيًا، أي: جعلك ظانًّا له بالرأي، وهو القياس.

---

١ د: عليه السلام.

٢ ن: صلّى الله عليه وسلّم.

٣ **صحيح البخاري**، ١١٩/٢ (١٤٦١)؛ **صحيح مسلم**، ٦٩٣/٢ (٩٩٨).

٤ يعني الزمخشري، مع أنّ المطرّزي تُوفي في السنة التي ولد فيها الزمخشري، تراه يسمّيه في **المُغرِب** "شيخنا"، في جملة من المواضع، وذلك اعتدادًا به وتعظيمًا له.

٥ انظر: **المُغرِب** للمطرّزي، «عضل». ونقل ياقوت الحمَوي ما ذُكر فيه من اللغات فقال: بئر حاء بالحاء المهملة، ويقال: بَيرحا بفتح الحاء بغير همزة، وبَيرحاء بالمدّ، وبَيرَحا بفتح الباء والراء والقصر، وبَرِيحا بفتح الباء وكسر الراء وياء ساكنة وحاء مقصورة. كلُّ ذلك قد رُوي في اسم هذا الموضع. وهو أرض كانت لأبي طلحة بالمدينة قرب المسجد، ويُعرف بقصر جديلة. **معجم البلدان** للحموي، ٢٩٩/١.

٦ د: عليه السلام.

٧ ن ر + رحمه الله.

٨ **المختصر** لابن الحاجب، ١٢٠٩/٢.

٩ ن ر: بمعنى.

١٠ ن – لك؛ ر: ذلك.

«بَخٍ بَخٍ ذاكَ مالٌ رابحٌ، أو: مال رائحٌ وإني أرى أنْ تجعلَها في الأقربِينَ» فقال أبو طلحة: أفعلُ يا رسولَ الله، فقَسَمها في أقاربه.

وجاء زيد بن حارثة بفرسٍ له كان يحبُّها فقال: هذه في سبيل الله، فحَمَل عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسامةَ بنَ زيدٍ، فكأنَّ زيدًا وجَدَ في نفسه، وقال: إنَّما أردتُ أن أتصدَّق به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمَا إنَّ الله تعالى قد قبِلَها منك».

واعلم أنَّ فيما نقله ابن الحاجب عن أبي يوسفَ في تفسير قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ وتصويبِ أبي عليّ نظرًا؛ إذ يلزم على هذا أنّ يكون معنى الآية أنّ الغرض مِن إنزال[١] الله تعالى القرآنَ حكمُ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[٢] بما جعله رأيًا للنبيّ[٣] صلّى الله عليه وسلّم،[٤] أي: عمله بالقياس، وهذا المعنى ظاهر الفساد. وأمّا التقسيم الذي ذَكَره أبو عليّ في تقرير كلام أبي يوسف فغير حاصر، لجواز أن يكون معنى ﴿أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾: عرَّفك الله، كما ذكره المصنّف عند تفسير هذه الآية، فيستقيم المعنى مِن غير إشكال فيه.

وقوله عليه السلام: («بخ») كلمة تُقال عند المدح والرضا بالشيء، ويُكرّر للمبالغة فيقال: "بخْ بخْ"، فإن وصلتَ خفضتَ[٥] ونوّنتَ فقلت: "بخٍ بخٍ"، وربّما شدِّدت. وقوله عليه السلام: («أو مال رائح»)، أي: قريبة مِن المصر، يروح منفعتها وغلّتها وثمرتها. وقيل: أي: يروح ثوابه إليه.

قوله: (فحمل عليها) أي: وَهَبها. وقوله: (أسامة بن زيد) وهو ابن زيد بن حارثة، فهذا مثل قوله عليه السلام: «أرى أن تجعلها في الأقربين».

قوله: (فكأنّ زيدًا وَجَد) أي: حَزِن، يقال: وَجَد، أي: حَزِن وَجْدًا بفتح "الواو". ويقال: وَجِد[٦] مَوْجِدة ووِجدانا، أي: غضب.[٧] وإنّما حزن زيد لأنّه

---

١ ر: أنزل.
٢ د: عليه السلام.
٣ ن: النبي.
٤ د: عليه السلام.
٥ ر: خففت.
٦ ن: وجدًا.
٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عبر».

وكتب عُمرُ رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعريّ أن يَبتاعَ له جاريةً من سَبْي جَلُولَاء يومَ فُتحت مدائنُ كِسْرَى، فلمّا جاءت أعجبَتْه فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فأعْتَقَها.

ونزل بأبي ذرٍّ ضيفٌ، فقال للراعي: ائْتِني بخيرِ إبِلي، فجاء بناقةٍ مهزولة، فقال: خُنْتَني، قال: وجَدْتُ خيرَ الإبل فحْلَها فذكرتُ يومَ حاجتكم إليه، فقال: إن يومَ حاجتي إليه لَيَوْمَ أُوضَعُ في حُفْرتي.

وقرأ عبد الله: "حتى تُنْفِقوا بعضَ ما تحبُّون"، وهذا دليلٌ على أنَّ "مِن" في ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ للتبعيض، ونحوُه: أخذتُ من المال.

و"مِن" في ﴿مِن شَيْءٍ﴾ لتبيينِ "ما تنفقوا"؛ أي: من أيِّ شيءٍ كان: طيِّبٍ تحبُّونه، أو خبيثٍ تكرهونه.

لمّا حمل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[1] أسامة بن زيد على تلك الفرس ظنّ زيد[2] ألّا يقع ذلك موقع الصدقة لأنّه ابنه، فلذلك قال: «أردت أن أتصدّق[3] به»،[4] فأعلمه رسول الله عليه السلام[5] أنّ الله[6] قَبِلها منه صدقة.

قوله: **(جَلولاء)** أرض بقرب فارس، ويوم جلولاء[7] **(يوم فُتحت مدائن كسرى)** في قتال سعد بن أبي وقّاص. و"كسرى" لقب ملوك الفرس كـ"قيصر" لمَلِك الروم، و"تُبّع" لملوك اليمن، و"خاقان" لملوك الصين. و"كَسرى" بالفتح أفصح.

قوله: **(للتبعيض)** أي: لا ابتدائيّة.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ الضمير مِن ﴿بِهِۦ﴾ عائد إلى ﴿مَا﴾ وإنّما فسّره المصنّف بقوله: **(بكلّ[8] شيء)** إشارة إلى أنّ المراد بـ"شيء" العموم،[9] كما قال: "مِن أيّ شيء كان طيّبٍ أو خبيثٍ".

---

١ د: عليه السلام.
٢ ر – زيد.
٣ ن: تصدق.
٤ **جامع البيان** للطبري، ٥/٥٧٧ (آل عمران، ٣/٩٢).
٥ ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٦ د + تعالى.
٧ ن: جلول.
٨ ن ر: لكل.
٩ ن ر – العموم.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ بكلِّ شيءٍ تنفقونه فمجازيكم بحَسَبه.

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾: كلُّ المطعومات، أو: كلُّ أنواعِ الطعام.

والحِلُّ مصدر، يقال: حَلَّ الشيءُ حِلًّا، كقولك: ذَلَّتِ الدابَّةُ ذِلًّا، وعَزَّ الرَّجُلُ عِزًّا، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: كنتُ أطيِّبُه لحِلِّه وحُرْمِه. ولذلك استوى

قوله: (﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾ كلّ المطعومات)... إلخ، "الطعام" اسم لِما يؤكل، كـ"الشراب" / اسم لِما يُشرَب، فهو اسم جنس صالح للإطلاق على القليل [٢٦٣ظ] والكثير، فإمّا أن يراد به المطعومات على إرادة الكثير، أو يراد به الجنس ويكون المضاف محذوفًا.

قوله:[١] (كنتُ أطيّبه) أي: أطيِّب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٢] عند إرادته الإحرام.

قوله: (لحلِّه وحُرْمِه)،[٣] أي: وقت صيرورته حلالًا ومُحرِمًا بالحجّ.[٤] و"الحُرْم" بالضمّ: الإحرام. والحديث في المصابيح هكذا: «كنتُ[٥] أطيّب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٦] لإحرامه قبل أن يحرم ولِحِلّه قبل أن يطوف بالبيت»،[٧] تعني: يجوز الطِّيب قبل الإحرام وإن بقي الأثر بعده. و"الحِلّ": الخروج مِن الإحرام. يعني إذا رمى المُحرِم يوم العيد سبع حَصيات بجمرة العقبة جاز أن يُطيِّب بما شاء مِن الطِّيب قبل أن يطوف طوافَ الفرض.

قوله: (ولذلك) أي: لأنّه مصدر.

---

١ ن – قوله.

٢ د: عليه السلام.

٣ بلفظ قريب في صحيح البخاري، ١٣٦/٢ (١٥٣٩)؛ وصحيح مسلم، ٨٤٦/٢ (١١٨٩).

٤ ر: للحج.

٥ ن – كنت.

٦ د: عليه السلام.

٧ مصابيح السنّة للبغوي، ٢٣٢/٢ (١٨٢٨)، ٢٧٠/٢ (١٩٢٢).

في الوصفِ به المذكَّرُ والمؤنَّث والواحدُ والجمع، قال الله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [الممتحنة ١٠/٦٠].

والذي حرَّم إسرائيلُ -وهو يعقوبُ عليه السلام- على نفسه لحومُ الإبل وألْبانُها.

وقيل: العروقُ، كان به عِرْقُ النَّسَا، فنَذَرَ إنْ شُفي أنْ يُحرِّمَ على نفسه أحبَّ الطَّعام إليه، وكان ذلك أحبَّه إليه فحرَّمه.

وقيل: أشَارَت عليه الأَطِبَّاءُ باجتنابه، ففعل ذلك بإذنٍ من الله فهو كتحريمِ الله ابتداءً.

والمعنى: أن المطاعم كلَّها لم تَزَلْ حلالًا لبني إسرائيل من قبلِ إنزالِ التوراة،

قوله: (وقيل: العروق) أوحى الله تعالى إلى إسرائيل: «لا تأكل العروق فإنّها مجرى كلّ[1] نفْس»،[2] أي: دم.

قوله: (عِرق النَّسا) مِن إضافة العامّ إلى الخاصّ، نحو قولهم: "شجرُ أراكٍ" الظاهر أنّ المضاف محذوف، أي: وجعُ عِرق النَّسا أو داءُ عِرق النَّسا. قال في **الصحاح**:

> الأصمعيّ: النَّسا بالفتح مقصور: عِرق[3] يخرج مِن الوَرِك فيستبطن الفخذين، ثمّ يمرّ بالعرقوب[4] حتّى يبلغ الحافر، فإذا سمِنت الدابّة انفلقت فخِذاها بلحمتين عظيمتين،[5] وجرى النَّسا بينهما واستبان، وإذا هُزِلت الدابّة اضطربت الفخذان وماجتِ الرَّبلتان[6] وخفيَ النَّسا. وإنّما يقال: "مُنشَقّ النَّسا" يريد موضع النسا. وإذا قالوا: "إنّه لشديد النَّسا" فإنّما[7] يراد به النَّسا نفسه.[8]

---

١ ن ر: لكل.

٢ ما وقفتُ عليه فيما بين يدي من المظانّ.

٣ ن – عرق.

٤ عرقوب الدابّة في رجلها بمنزلة الرُّكبة في يدها. **الصحاح** للجوهري، «عرقب».

٥ ن – عظيمتين.

٦ الرَّبلة: باطن الفخذ. تُسكّن باؤه وتُحرّك. **الصحاح** للجوهري، «ربل».

٧ ن ر – يقال: مُنشقّ النسا يريد موضع النسا وإذا قالوا إنّه لشديد النسا فإنّما.

٨ انظر: **الصحاح** للجوهري، «نسا».

وتحريمُ ما حُرِّم عليهم منها لظُلمهم وبَغْيهم، لم يُحرَّم منها شيءٌ قبل ذلك غيرُ المطعوم الواحد الذي حَرَّمه أبوهم إسرائيلُ على نفسه فتَبِعوه على تحريمه، وهو ردٌّ على اليهود وتكذيبٌ لهم حيثُ أرادوا براءةَ ساحتهم مما نُعِيَ عليهم في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء ٤/١٦٠] إلى قوله تعالى: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء ٤/١٦١] وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ [الأنعام ٦/١٤٦] وجُحُودَ ما غَاظَهم واشمأَزُّوا منه وامتعضُوا ممّا نطَق به القرآنُ من تحريم الطيّبات عليهم لبَغْيِهم وظُلْمهم، ....

قوله: (وتحريم) مبتدأ خبرُه (لظلمهم). وقوله: (لم يُحرَّم)... إلخ، بيان لهذه الجملة.

قوله: (حيث) متعلِّق بقوله: (ردٌّ) و(تكذيبٌ) على وجه العِلّة، فإنّ علّة ردّ الله تعالى عليهم وتكذيبهم هو أنّهم أرادوا براءتهم وجحودَهم كلام الله تعالى.[١]

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء ٤/١٦٠-١٦١].

قوله: ﴿شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم﴾ [الأنعام ٦/١٤٦].

قوله: (وجحودَ) عطف على (براءةَ) أي: أرادوا حجوده.

قوله:[٢] (واشمأزّوا) أي: انقبضوا.

قوله: (وامتعضوا) امتعضتُ منه إذا غضبتَ وشقّ عليك، أي: غضبوا.

قوله: (ممّا نطق) بيان (ما).

قوله: (مِن تحريم) بيان "ما نطق".

---

[١] ر - تعالى.

[٢] د - وجحود عطف على براءة، أي: أرادوا جحوده. قوله. | بعض هذه الزيادة جاء تعليقًا في هامش د.

فقالوا: لسنا بأوَّلِ مَن حُرِّمت عليه، وما هو إلّا تحريمٌ قديمٌ، كانت محرَّمة على نوحٍ وعلى إبراهيم ومَن بعده من بني إسرائيل وهلمَّ جَرًّا إلى أنِ انتهى التحريمُ إلينا، فحرِّمت علينا كما حرِّمت على مَن قبلَنا، وغرضُهم تكذيبُ شهادة الله عليهم بالبغي والظلم، والصَّدِّ عن سبيل الله، وأكلِ الربا، وأخذِ أموال الناس بالباطل، وما عَدَّد من مَسَاوئهم التي كلما ارتكبوا منها كَبيرةً حُرِّم عليهم نوعٌ من الطيّبات عقوبةً لهم.

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَا﴾ أُمِر بأن يحاجَّهم بكتابهم ويُبَكِّتَهم بما هو ناطقٌ به من أنّ تحريم ما حُرِّم عليهم تحريمٌ حادثٌ بسبب ظلمهم وبغيهم، لا تحريمٌ قديمٌ كما يدَّعونه، فرُوِي أنَّهم لم يَجْسروا على إخراجِ التوراة وبُهِتوا وانقلبوا صاغرين، وفي ذلك الحجةُ البيِّنةُ على صدقِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وعلى جواز النسخ الذي يُنكرونه.

قوله: **(فقالوا)** عطف على قوله: **(أرادوا)** أي: حيث أرادوا براءة ساحتهم[١] فقالوا.

قوله: **(إلى أن انتهى)** متعلّق بقوله: **(مُحرَّمة)**. وقوله: **(هلُمّ جرًّا)** جملة معترِضة، كأنّه قال تعالى: جُرّ أمرَ التحريم جرًّا. وقوله: **(فحُرِّمت)** كالنتيجة لِما تقدّمه.

قوله: **(وغَرَضهم)** أي: مِن قولهم: **(لسنا بأوّل)**.

قوله: **(ويبكِّتهم)** «التبكيت كالتقريع والتعنيف. وبكّته بالحجة، أي: ألزمه».[٢]

قوله: **(مِن أن تحريم)** بيان **(ما هو)**.

قوله: **(وعلى جواز النَّسخ)** أي: بتحريم ما كان حلالًا عليهم، فيه نظرٌ؛ لأنّ تحريم حلالِ الأصل ليس بنسخ، إلّا أن يقال: / كان ورد نصّ[٣] في تحليله في كتابهم أو في الكتب المتقدّمة ثمّ رُفع ذلك. [٢٦٤و]

---

١ ن: مباحثهم.

٢ الصحاح للجوهري، «بكت». وفيه: «غلبه» مكان «ألزمه».

٣ ر - نص.

فقالوا: لسنا بأوَّلِ مَن حُرِّمت عليه، وما هو إلّا تحريمٌ قديمٌ، كانت محرَّمة على نوحٍ وعلى إبراهيم ومَن بعده من بني إسرائيل وهلمَّ جَرًّا إلى أنِ انتهى التحريمُ إلينا، فحرِّمت علينا كما حرِّمت على مَن قبلَنا، وغرضُهم تكذيبُ شهادة الله عليهم بالبغي والظلم، والصَّدِّ عن سبيل الله، وأكلِ الربا، وأخذِ أموال الناس بالباطل، وما عَدَّد من مَسَاوئهم التي كلما ارتكبوا منها كَبيرةً حُرِّم عليهم نوعٌ من الطيِّبات عقوبةً لهم.

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَا﴾ أُمِر بأن يحاجَّهم بكتابهم ويُبَكِّتَهم بما هو ناطقٌ به من أنّ تحريم ما حُرِّم عليهم تحريمٌ حادثٌ بسبب ظلمهم وبغيهم، لا تحريمٌ قديمٌ كما يدَّعونه، فرُوي أنَّهم لم يَجْسروا على إخراجِ التوراة وبُهِتوا وانقلبوا صاغرين، وفي ذلك الحجةُ البيِّنةُ على صدقِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وعلى جواز النسخ الذي يُنكرونه.

قوله: (**فقالوا**) عطف على قوله: (**أرادوا**) أي: حيث أرادوا براءة ساحتهم[١] فقالوا.

قوله: (**إلى أن انتهى**) متعلّق بقوله: (**مُحرَّمة**). وقوله: (**هلُمّ جرًّا**) جملة معترِضة، كأنّه قال تعالى: جُرّ أمرَ التحريم جرًّا. وقوله: (**فحُرِّمت**) كالنتيجة لِما تقدّمه.

قوله: (**وغَرَضهم**) أي: مِن قولهم: (**لسنا بأوّل**).

قوله: (**ويبكِّتهم**) «التبكيت كالتقريع والتعنيف. وبكّته بالحجة، أي: ألزمه».[٢]

قوله: (**مِن أن تحريم**) بيان (**ما هو**).

قوله: (**وعلى جواز النَّسخ**) أي: بتحريم ما كان حلالًا عليهم، فيه نظرٌ؛ لأنّ تحريم حلالِ الأصل ليس بنسخ، إلّا أن يقال: / كان ورد نصّ[٣] في تحليله في [٢٦٤و]
كتابهم أو في الكتب المتقدّمة ثمّ رُفع ذلك.

---

١ ن: مباحثهم.

٢ **الصحاح** للجوهري، «بكت». وفيه: «غلبه» مكان «ألزمه».

٣ ر - نص.

فكأنَّه قال: إن أوَّل متعبَّدٍ للنَّاس الكَعْبةُ.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه سُئل عن أوَّل مَسْجدٍ وضع للناس فقال: «المسجدُ الحرامُ ثم بيتُ المقدس» وسُئل كم بينهما، قال: «أربعون سنةً».

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّ رجلًا قال له: أهو أوَّلُ بيتٍ؟ قال: لا، قد كان قبله بيوتٌ، ولكنَّه أوَّلُ بَيتٍ وُضع للناس مباركًا فيه الهُدَى والرَّحْمةُ والبَركة، وأوَّلُ مَن بناهُ إبراهيمُ عليه السلام، ثم بناه قومٌ من العرب من جُرْهُم، ثم هُدِمَ فبَنَتْه العمالقة، ثم هُدم فبناه قريش.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو أوَّل بيتٍ حُجَّ بعد الطوفان.

وقيل: هو أوَّل بيتٍ ظهر على وَجْه الماء عند خَلْقِ السماء والأرض، خلَقَه قبْل الأرض بألفي عامٍ، وكانَ زَبَدةً بَيضاء على وجه الماء فدُحيَت الأرضُ تحتَه.

وقيل: هو أوَّل بيت بناه آدم عليه السلام في الأرض.

عبادتهم واشتغالهم بمناسك الحجّ.

قوله: (أوَّلُ بيت وُضع)،[١] أي: وُضع متعبَّدًا للناس.

قوله: (مِن جُرهمَ) وفي نسخة المُعزّي[٢] جُرهمٍ، جُرهم:[٣] حيّ مِن اليمن، وهم أصهار[٤] إسماعيل عليه السلام.

قوله: (العمالقة) العماليق والعمالقة: قوم مِن ولد عمليق بن لاوذَ بن إرم بن سام بن نوح،[٥] وهم أمَم تفرّقوا في البلاد.

قوله: (قبل الأرض) أي: قبل دَحْو الأرض، وحينئذٍ كانت الأرض[٦] خُشْعة[٧] على الماء،[٨] وهي المراد بالأرض[٩] في قوله: (عند خَلْق السماء والأرض).

---

١ ر: موضع.

٢ ن ر: المغربي.

٣ ر - جرهم.

٤ ر + أصهار.

٥ ن + عليه السلام.

٦ ن - وحينئذٍ كانت الأرض.

٧ خُشْعة، أي: مغبرّة لا منزل فيها. الصحاح للجوهري، «خشع».

٨ وفي حديث أورده الواحدي في البسيط، ٤٥٥/٢ (البقرة، ٤٥/٢): «كانت الكعبة خُشعة على الماء».

٩ ن ر: في الأرض.

وقيل: لمّا أُهبط آدم عليه السلام قالت له الملائكة: طُفْ حول هذا البيت فلقد طُفْنا قبلك بألفي عام.

وكان في موضعه قبلَ آدم بيتٌ يقال له: الضُّراحُ، فرُفع في الطوفان إلى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السماوات.

﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾: لَلْبيتُ الذي ببكّة، وهي عَلَمٌ للبلد الحرام، ومكّةُ وبَكّةُ لغتان فيه؛ نحو قولهم: النُّبَيْط والنُّمَيْط في اسم موضع بالدَّهْناء، ونحوُه من الاعْتِقاب: أَمْرٌ راتِبٌ وراتم، وحُمَّى مُغْمِطة ومُغْبِطة.

وقيل: مكة البلدُ، وبكّة: موضع المسجدِ.

وقيل: اشتقاقُها من بكّه: إذا زَحَمه؛ لازدحام الناس فيها.

وعن قتادة: يبكُّ النَّاسُ بعضُهم بعضًا، الرجالُ والنساء يُصلِّي بعضهُم بين يدَيْ بعضٍ، لا يَصلُح ذلك إلّا بمكّة. كأنّها سمِّيت ببكّة وهي الزَحْمة، قال:

إذا الشَّريبُ أخذَتْه الأكّه ... فَخلِّه حتى يَبُكَّ بَكّه

قوله:[١] (الضُّراح) بالحاء غير المعجمة وضمّ الضاد المعجمة:[٢] بيت في السماء، وهو البيت المعمور عن ابن عبّاس.[٣]

قوله: (فيه) أي: في العَلم.

قوله: (بالدهنا) مقصور.

قوله: (أمر راتب) أي: دارٌ ثابت.

قوله: (ومُغبِطة) أغبطت عليه الحمى، أي: دامت.

قوله:

(إذا الشريب أخذته الأكّه ... فخلّه حتّى يَبُكَّ بَكّه)[٤]

---

١ ن - عند خلق السماء والأرض قوله.

٢ ن ر - وضمّ الضاد المعجمة.

٣ عن ابن عبّاس رضي الله عنه في معالم التنزيل للبغوي، ١/١٥٠ (البقرة، ٢/١٢٨)؛ وهو عن عليّ رضي الله عنه في جامع البيان للطبري، ٢١/٥٦٣ (الطور، ٥٢/٤).

٤ الرجز لعامان بن كعب بن عمرو في السيرة النبوية لابن هشام، ١/١١٤؛ وبلا عزو في النوادر لأبي زيد، ›

وقيل: تَبُكُّ أَعْنَاقَ الجبابرة؛ أي: تدُقُّها، لم يقصِدْها جَبَّارٌ إلَّا قَصَمه الله تعالى.

﴿مُبَارَكًا﴾: كثيرَ الخَير لِمَا يحصُل لمَن حجَّه واعْتَمَره وعَكَفَ عنده وطاف حَوله من الثواب وتكفيرِ الذنوب، وانتصابُه على الحال من المستكنّ في الظَّرف؛ لأن التقدير: «للَّذي ببكَّة هو» والعامل فيه: المقدَّرُ في الظرف من فعلِ الاستقرار.

﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ لأنه قِبلتُهم ومتَعبَّدُهم.

﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾

﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطفُ بيانٍ لقوله: ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾.

"شَريبك": الذي يُشاركك ويُورِد إبله مع إبلك.[1] وهو فعيل بمعنى مُفاعِل،[2] مثل "نديم" و"أكيل". يقول: إذا الشريب أخذه سوء الخلق فدَعْه يبُكّ إبله يخلّيها إلى الماء فتزدَحم عليه. الأكّه: شدّة الحرّ، مثل الأجّه. وبكّ فلان يبُكّ[3] بكّةً: زحم. يقول: إذا ضجِر الذي يورد إبله مع إبلك لشدّة الحرّ انتظارًا فخلّه حتّى يُزاحِمك.

قوله تعالى: (﴿مُبَارَكًا﴾) المبارَك اسم مفعول مِن المبارَكة، وهو: وضع[4] البركة، أي الخير الكثير في الشيء. يقال: بارك لك وفيك وعليك وباركك. قال تعالى: ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل ٨/٢٧]، وقال تعالى: ﴿بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾.[5]

قوله: (**لمَن حجّه**) اللام متعلّق بـ(**يحصل**).

قوله: (**مِن الثواب**) بيان (**ما**).

< ص ٣٨٩؛ و**جمهرة اللغة** لابن دريد، ٣١١/١، «شرب»؛ و**الصحاح** للجوهري، «شرب»، «أكك»، «بكك». وفيها جميعًا: "أكّه" مكان "الأكّه".

١ ر – مع إبلك.

٢ ن: فاعل؛ ر: فعيل.

٣ ن ر – إبله يخلّيها إلى الماء فتزدحم عليه، الأكّه: شدّة الحرّ مثل الأجّه، وبكّ فلان يبكّ.

٤ ن ر: موضع.

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «برك».

فإن قلتَ: كيف صحّ بيانُ الجماعة بالواحد؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يُجعل وَحْدَه بمنزلة آياتٍ كثيرةٍ؛ لظهورِ شأنه وقوّة دلالته على قدرةِ الله ونُبوّة إبراهيم عليه الصلاة والسلام من تأثيرِ قدَمه في حجرٍ صَلدٍ؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النحل ١٢٠/١٦].

والثاني: اشتمالُه على آياتٍ؛ لأن أثرَ القَدم في الصخرةِ الصَّمَّاء آيةٌ، وغَوْصَه فيها إلى الكعبين آيةٌ، وإِلَانَةَ بعضِ الصخرة دون بعضٍ آيةٌ، وإبقاؤهُ دون سائر آياتِ الأنبياء عليهم السلام آيةٌ لإبراهيم خاصةً، وحفظُه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهلِ الكتاب والملاحِدةِ ألوفَ سَنةٍ آيةٌ.

ويجوز أن يراد: فيه آياتٌ بيّنات مقامُ إبراهيم وأَمْنُ مَن دخَله؛ لأن الاثنين نوعٌ من الجمع كالثلاثة والأربعة.

ويجوز أن تُذكَر هَاتان الآيتان ويُطوَى ذكرُ غيرهما دلالةً على تكاثر الآيات؛ كأنّه قيل: فيه آياتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيم وأَمْنُ مَن دخله وكثيرٌ سواهما، ونحوُه في طَيّ الذِّكر قول جرير:

كـانَـتْ حَـنيـفـةُ أثـلاثًـا فثُلْثُـهُـم   مـن العـبيـدِ وثُـلْـثٌ مـن مَـوَالِـيـهـا

قوله: (**مِن تأثير قَدَمه**) تفسير لقوله: (**ظهور**)، أو هو لابتداء الغاية، وهذا هو الصواب، فإنّ ظهور شأن المقام ابتدأ مِن تأثير قَدَمه.

قوله: (**لأنّ أثر القَدَم**) واعلم أنّ الأثر في قوله: "أثر القدم" اسم جامد وليس بمصدر، وهو بالفارسيّة "نشان". وقوله: (**في الصخرة**) حال منه. قال في **الصحاح**: «الأثر بالتحريك: ما بقيَ مِن رَسْم الشيء وضربةِ السيف».[١]

قوله:

(**كـانـتْ حـنيـفـةُ أثـلاثًـا**)[٢] البيت

---

١ **الصحاح** للجوهري، «أثر».

٢ البيت لجرير في **ديوانه**، ٥٤٥/٢، وفيه: "صارت" مكان "كانت"؛ وهو له في **الموازنة** للآمدي، ٨١/٣.

ومنه قولُه عليه الصلاة والسلام: «حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاثٌ: الطِّيبُ والنساءُ وقرَّةُ عيني في الصلاة».

وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وأبيٌّ ومجاهدٌ وأبو جعفرٍ المدنيُّ في روايةِ قُتيبَة: "آيةٌ بيّنةٌ" على التوحيد، وفيها دليلٌ على أن ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ واقعٌ وحده عطفَ بيانٍ.

فإن قلتَ: كيف أجزتَ أن يكون مقامُ إبراهيم والأَمْنُ عطفَ بيانٍ للآيات، وقولُه: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ جملةٌ مستأنفةٌ إمَّا ابتدائيةٌ وإمَّا شرطيَّةٌ؟

قلتُ: أجزتُ ذلك من حيث المعنى؛ لأن قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ دلَّ على أَمْنِ داخله، فكأنَّه قيل: فيه آياتٌ بينات: مقامُ إبراهيم وأَمْنُ داخله، ألا ترَى أنك لو قلتَ: «فيه آيةٌ بيّنةٌ مَن دخله كان آمنًا» صحَّ؛ لأنه في معنى قولكَ: فيهِ آيةٌ بيّنةٌ أَمْنُ مَن دخله.

ولم يذكر الثلث[١] الصميم منهم؛ لأنّه[٢] هجاهم[٣] فكَرِه أن يذكر الخالص منهم. قوله عليه السلام:[٤] «وقرّة[٥] عيني في الصلاة»،[٦] ليس بمعطوف على المذكورَين الأوّلَين، وإنّما هو ابتداء كلام، كأنّه لمّا ذَكَر الأوّلين سُقط في يده فقال: "ما لي وللدنيا" فأعَرَض، فذَكَر مِن الثلاث اثنين وتَرَك الثالث.

قوله: **(وقوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾)** الواو للحال.

قوله: **(مِن حيث المعنى)** ويرِد في خاطر أضعف عباد الله أحمد بن الحسن الجاربردي أنّه يجوز أن يكون / على هذا الوجه ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾ عطفًا على ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطفَ المفردِ على المفرد بحذف المضاف، أي:[٧] وآمن مَن دخله، ويكون قوله تعالى: ﴿كَانَ ءَامِنًا﴾ جملة مبيّنة،[٨] أي: كان الداخل آمنًا. [٢٦٤ظ]

---

١ ر: الثلاث.
٢ ن ر: لا.
٣ ن ر: هجامهم.
٤ ن + وجعلت.
٥ ن: قرّة.
٦ مسند أحمد، ٣٠٥/١٩ (١٢٢٩٣)؛ المعجم الكبير للطبراني، ٤٢٠/٢٠ (١٠١٢)؛ المستدرك للحاكم، ١٧٤/٢ (٢٦٧٦).
٧ ر + ومن دخله.
٨ د: مبنيّة.

فإن قلتَ: كيف كان سببُ هذا الأثر؟

قلتُ: فيه قولان:

أحدهما: أنّه لمّا ارتفع بنيانُ الكعبة وضعُفَ إبراهيم عن رفعِ الحجارة قام على هذا الحجر، فغاصَتْ فيهِ قدماه.

وقيل: إنه جاء زائرًا من الشام إلى مكّة، فقالَتْ له امرأةُ إسماعيل عليه السلام: انزل حتى يُغسلَ رأسُك، فلم ينزل، فجاءتْه بهذا الحجر فوضعَتْه على شقِّه الأيمنِ فوضع قدمَه عليه حتى غسلَتْ شقَّ رأسه، ثم حوَّلَتْهُ إلى شقِّه الأيسرِ حتى غسَلت الشقَّ الآخَر، فبقي أثر قدمَيْه عليه.

ومعنى ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ معنى قولِه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت ٦٧/٢٩]، وذلك بدعوةِ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم ٣٥/١٤]، وكان الرجلُ لو جرَّ كلَّ جريرةٍ ثم لجأَ إلى الحرم لم يُطْلَب.

وعن عمرَ رضي الله عنه: لو ظَفِرْتُ فيه بقاتلِ الخطَّاب ما مَسِسْتُه حتَّى يخرج منه.

وعند أبي حنيفة رحمه الله: مَن لَزِمَه القتلُ في الحلِّ بقِصاصٍ أو ردَّةٍ، أو زنًى فالتجأ إلى الحرم، لم يُتعرَّضْ له، إلا أنّه لا يُؤوَى ولا يُطعَمُ ولا يُسقَى ولا يُبايَعُ حتى يُضطرَّ إلى الخُروج.

قوله: **(هذا الأثر)** أي: أثر القدم.

قوله: **(فلم ينزل)** لأنّ سارة رضي الله عنها شرطت على إبراهيم ألّا ينزل غَيرةً على هاجر أمِّ[1] إسماعيل عليه السلام.

قوله: **(على شِقّه)** أي: شقّ إبراهيمَ.

قوله: **(فوَضع)** أي: إبراهيم.

---

[1] ن – أم.

وقيل: آمنًا من النار، وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَن ماتَ في أحدِ الحرمين بُعثَ يوم القيامة آمنًا».

وعنه عليه الصلاة والسلام: «الحَجُونُ والبقيعُ يؤخذُ بأطرافهما ويُنْثَران في الجنَّة»، وهما مَقبرتا مكةَ والمدينة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: وقف رسولُ اللهِ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم على ثَنيَّة الحَجُون وليس بها يومئذٍ مَقبرةٌ فقال: «يَبعثُ الله من هذه البقعةِ ومِن هذا الحرم كلِّه سبعين ألفًا وجوهُهم كالقمر ليلةَ البدر يدخلون الجنَّة بغير حساب، يُشفَّع كلُّ واحدٍ منهم في سَبعين ألفًا وجوهُهم كالقمر ليلة البدر».

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَن صَبَرَ على حَرِّ مكة ساعةً من نهار تباعَدَتْ منه جهنم مَسِيرةَ مئتي عام».

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلنَّاسِ﴾، وروي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسَّر الاستطاعة بالزاد والراحلة، وكذا عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم، وعَليه أكثرُ العلماء.

قوله: "جرّ عليهم جريرةً"، أي: جنى عليهم جنايةً.

قوله: (**«الحرمين»**)[١] حرم مكّة وحرم مدينة.[٢]

قوله: (**«الحَجون»**) الحَجون: اسم موضع بمكّة. و(**«البقيع»**)[٣] مقبرة بالمدينة.[٤]

قوله: (**«يُشفَّع»**)[٥] التشفيع قبول الشفاعة.

قوله: (**فسَّر الاستطاعة**)[٦] اللام فيه للعهد، أي: فسَر استطاعة السبيل باستطاعة الزاد والراحلة، وذلك لِما سيجيء أنّ كل مأتًى إلى الشيء فهو سبيل إليه.

---

١ بلفظ قريب في **المعجم الكبير** للطبراني، ٢٤٠/٦ (٦١٠٤)؛ و**شعب الإيمان** للبيهقي، ٤٦/٦ (٣٨٥٥).

٢ ر: المدينة.

٣ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٢٤/٩ (آل عمران، ٩٧/٣). وقال الزَّيلعي في **تخريج أحاديث الكشّاف**، ١٩٩/١: «غريب جدًّا».

٤ ر: المدينة.

٥ ن: ليشفع. | الحديث بلفظ قريب في **أخبار مكّة** للفاكهي، ٢٧/٤ (٢٣٧٠)؛ و**الكشف والبيان** للثعلبي، ٢٦/٩ (آل عمران، ٩٧/٣).

٦ من حديث عمر بن الخطاب وابن عبّاس وغيرهما في **جامع البيان** للطبري، ٦١٠/٥ (آل عمران، ٩٧/٣).

وعن ابن الزبير: هو على قَدْر القوة.

ومذهب مالكٍ رحمه الله: أنَّ الرجل إذا وَثِق بقوَّته لزمه.

وعنه أيضًا رحمه الله: ذلك على قَدْرِ الطَّاقة، وقد يجد الزادَ والراحلةَ مَن لا يقدر على السفر، وقد يقدر عليه مَن لا راحلةَ له ولا زاد.

وعن الضحّاك: إذا قَدَر أن يُؤَجِر نفسَه فهو مستطيع، فقيل له في ذلك، فقال: إن كان لبعضهم ميراثٌ بمكّة أكان يتركُه؟ ....

فمعنى ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾ مَن استطاع الزاد والراحلة، أي: قدر عليهما ولا[1] يكون عاجزًا عنهما. والاستطاعة:[2] الإطاقة.

قوله: (هو[3] على قَدْر القوّة) يعني: لو كان له قوّة المشي لا يُشترط في حقّه وجدان الراحلة كما في السفر القصير مثلًا، وكذا لا يشترط في حقّ الكاسب في يومٍ كفايةَ أيّام وجدانُ الزاد في السفر القصير.

قوله: (مَن[4] لا يقدِر على السفر) بأن[5] يستمسك على الراحلة أو لا يتحمّل متاعب السفر.

قوله: (وقد يقدِر عليه[6] مَن لا راحلةَ له) بأن يقوى على المشي[7] والسفرُ قصير.

قوله: (ولا زادَ) بأن يكون كاسبًا في يوم كفايةَ أيّام والسفرُ قصير أيضًا.

قوله: (وقيل له في ذلك) أي: بحث الناس مع الضحّاك في ذلك الكلام الذي ذَكَره مِن وجوب إيجارِه نفسَه، وقالوا: كيف يجب عليه إيجار نفسه وفيه مشقّة وتعب، فأجاب الضحّاك[8] بما معناه أنّ الشخص يتحمّل لأدنى فائدة دنيويّة أصعب مِن هذا فالأمر الدينيّ الذي هو ركن مِن أركان الإسلام أولى.

---

[1] ر + يجوز.
[2] ن: الاستطاع.
[3] ن ر – هو.
[4] ن ر – مَن.
[5] ن ر + لا.
[6] ن ر – وقد يقدِر عليه.
[7] ن: الشي.
[8] ما وقفت على كلامه في مظانّه.

بل كان ينطلقُ إليه ولو حَبْوًا، فكذلك يجب عليه الحج.

والضميرُ في ﴿إِلَيْهِ﴾ للبيت أو للحج، وكلُّ مَأتًى إلى الشيء فهو سبيلٌ إليه، وفي هذا الكلام أنواعٌ من التوكيد والتشديد:

منها: قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ يعني: أنه حقٌّ واجبٌ لله في رقابِ الناس لا يَنْفكُّون عن أدائهِ والخروجِ عن عهدته.

ومنها: أنه ذَكر ﴿الناس﴾ ثم أَبدلَ عنه ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، وفيه ضَربانِ من التأكيد:

أحدهما: أن الإِبْدالَ تثنيةٌ للمراد وتكريرٌ له.

والثاني: أنّ الإيضاحَ بعد الإبهامِ والتفصيلَ بعد الإجمالِ إيرادٌ له في صورتين مختلفتين.

ومنها: قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإنه ذكَر ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ مكان: «ومَن لم يحج» تغليظًا على تارك الحج، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن ماتَ ولم يحجَّ فليمُت إن شاء يهوديًّا أو نصرانيًّا»

قوله: (ولو حَبوًا) هذا منه بطريق المبالغة، فإنّه متّفق على أنّه لا يجب على[1] مثل ذلك الشخص أن يمشيَ حَبوًا. والحاصل أنّ الله تعالى لا يكلِّف العباد بذلَ غايةِ جهدهم وطاقتهم، وإن كانوا يبذلونها في طلب الدنيا لحرصهم. حبا[2] الصبي على استه حبوًا إذا زحف، أي: مشى.

قوله: (وكلّ مأتًى إلى الشيء فهو سبيل) أي: كلّ ما تأتي به إلى الشيء مِن الأسباب فهو سبيل، يريد أنّ الزاد[3] والراحلة وغيرهما ممّا يتوقف إتيانُ البيت عليه، سُمّيت سبيلًا لأنّها سببُ[4] الإتيان إلى البيت، فسُمّيت لذلك سبيلًا.

قوله: (ولذلك) أي: وللتغليظ. ويجوز أن يكون المعنى: ولأنّ الله تعالى غلّظ.

---

١ ر – على.

٢ ن: هو؛ ر: حتى.

٣ ن: المراد.

٤ ن – والراحلة وغيرهما مما يتوقف إتيان البيت عليه سُمّيت سبيلًا لأنّها سبب.

ونحوُه من التغليط: «مَن ترك الصلاةَ متعمِّدًا فقد كَفَر».

ومنها: ذكرُ الاستغناءِ عنه، وذاكَ مما يدلُّ على المقتِ والسخط والخذلان.

ومنها: قوله: ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وأَنْ لم يقُل: «عنه»، وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببُرهانٍ؛ لأنّه إذا استغْنَى عن العالمين تناوَلَهُ الاستغناءُ لا محالةَ، ولأنه يدلُّ على الاستغناءِ الكامل فكان أدلَّ على عِظَم السخطِ الذي وقع عبارةً عنه.

وعن سعيد بن المسيِّب: نزلت في اليهود فإنهم قالوا: الحجُّ إلى مكّة غير واجب.

ورُوي: أنه لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ جَمَع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الأديان كلِّهم فخَطبَهم فقال: «إنَّ الله كتَب عليكم الحجَّ فحُجُّوا» فآمنت به مِلَّةٌ واحدةٌ وهم المسلمون وكفرت به خمسُ مِللٍ، قالوا: لا نُؤمن به ولا نُصلي إليه ولا نحُجُّه، فنزل: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «حُجُّوا قبل أن لا تحجُّوا، فإنَّه قد هُدم البيت مرتين ويُرفَع في الثالثة».

ورُوي: «حُجُّوا قبل أن لا تحجُّوا، حُجُّوا قبل أن يمنع البَرُّ جَانِبَه».

قوله: (وذلك) أي: ذِكر الاستغناء.

قوله: (وأن لم يقل: "عنه") مخفّفة مِن الثقيلة.

قوله: (ولأنّه) أي: قوله: (﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾).

قوله: (فكان أدلّ) أي: مِن قوله: "غنيّ عنه".

قوله: (وقع) أي: وقع قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قوله: (خمسُ مِلَل) الخمس هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ [الحج ١٧/٢٢].

[٢٦٥و] قوله: («قبل أن يمنع البَرُّ جانبَه»)،[١] أي: قبل أن / يتعذّر عليكم قطعُ البَرّ إلى مكّة إمّا لعدم الأمن أو لغيره.

---

١ ما وجدته في مظانّه، ولا في التفاسير السابقة على **الكشّاف**.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: حجُّوا هذا البيتَ قبل أَنْ تَنْبتَ في الباديةِ شجرةٌ لا تأكلُ منها دابَّةٌ إلَّا نَفَقَتْ.

وعن عمر رضي الله عنه: لو ترك الناس الحجَّ عامًا واحدًا ما نُوظِرُوا.

وقرئ: ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ بالكسر.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ الواو للحال، والمعنى: لمَ تكفرون بآيات الله التي دلَّتكم على صدقِ محمَّد صلى الله عليه وسلم والحالُ أنّ الله شهيدٌ على أعمالكم فمجازِيكم عليها، وهذه الحالُ تُوجب أن لا تَجسُروا على الكفر بآياته.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾

قرأ الحسن: "تُصِدُّون" من أصَدَّه.

قوله: (نفقَتْ)،[1] أي: سقطتْ وماتت.

قوله: (ما نُوظِروا)[2] تركُ[3] المناظرة[4] عبارة عن الإعجال بالعقوبة، وليس مِن النظر، أي: أُعجِلوا بالعقوبة، أي: كأنّهم خرجوا عن الملّة الحنيفيّة فلا يؤمرون بالحجّ الذي هو مِن أركان الإسلام.

قوله: (وهذه الحال) الواو فيه للعطف على جملة قوله: (والحال)... إلخ، ولا يبعُد[5] أن يكون للعطف على[6] اسم (أنّ) وخبرها، فكأنّه قال: والحال أنّ هذه الحال تُوجب. وعلى كلا[7] الوجهين يكون الحال الثاني بمعنى آخر،

---

١ ن ر: ما يفطر. | الكشف والبيان للثعلبي، ٥٥/٩ (آل عمران، ٩٧/٣).

٢ أخبار مكّة للفاكهي، ٣٨٣/١ (٨١١).

٣ ن ر: وأنزل

٤ ر: المناظر.

٥ ن: يفعل.

٦ ر - جملة قوله: (والحال)... إلخ، ولا يبعُد أن يكون للعطف على.

٧ ر + الأمرين.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن دينٍ حقٍّ عُلم أنّه سبيلُ الله التي أمَرَ بسلوكها وهو الإسلام، وكانوا يَفْتِنون المؤمنين ويحتالون لصدِّهم عنه، ويمنعون مَن أراد الدخولَ فيه بجَهْدِهم.

وقيل: أتَتِ اليهودُ الأوْسَ والخزرَجَ فذكَّروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لِمثْلِه.

﴿تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾: تَطْلبون لها اعوجَاجًا ومَيْلًا عن القَصد والاستقامة.

فإن قلتَ: كيف يَبْغونها عِوَجًا وهو محالٌ؟

قلتُ: فيه معنيان:

أي: لا بمعنى الحال الأوّل، يظهر[١] بالتأمُّل، أي: هذا المعنى وهذا الأمر وهو[٢] كون الحال كذا يُوجِب. ولا يخفى عليك أنّه[٣] يكون[٤] هذه الحال منصوبًا على الوجه الثاني.

قوله: **(وقيل: أتتْ)** عطف[٥] على قوله: **(كانوا)**[٦] فالمصنّف ذكر وجهين لسبب النزول.

قوله تعالى: **(﴿تَبۡغُونَهَا﴾)** أي: السبيل.

قوله: **(تطلبون لها)** يعني هو منصوب بنزع الخافض وإيصالِ[٧] الفعل.

قوله: **(فإن قلتَ: كيف يبغونها)**.... إلخ، وجه السؤال أنّهم كانوا يعلمون أنّه حقّ مستقيم لا عِوَج فيه بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُ﴾، وإذا علموا أن[٨] لا عوج فيه فكيف يطلبون ما لا وجود له أصلًا مع علمهم بذلك؟ وأجاب عنه بوجهين: **الأوّل** أنّهم ما كانوا يطلبون[٩] الاعوجاج في نفس ذلك السبيل؛

---

١ ر + وكذا يوجب ولا يخفى.

٢ ر + الكون وهو.

٣ ر: أنّ.

٤ ر – يكون.

٥ ن ر – عطف.

٦ انظر: **جامع البيان للطبري**، ٥/٦٢٧ (آل عمران، ٣/٩٩).

٧ ر: وأيضًا.

٨ ن ر – أن.

٩ ر – ما لا وجود له أصلًا مع علمهم بذلك وأجاب عنه بوجهين: الأوّل أنّهم ما كانوا يطلبون.

أحدهما: أنكم تُلبِّسُون على الناس حتى تُوهمُوهم أنَّ فيها عِوجًا بقولكم: إنَّ شريعةَ موسى لا تُنسَخُ، وبتَغْييركم صِفَةَ رسول الله صلى الله عليه سلم عن وجهها، ونحوِ ذلك.

والثاني: أنكم تُتْعِبون أنفسكم في إخفاء الحقِّ وابتغاءِ ما لا يتأتّى لكم من وجود العِوَج فيما هو أقومُ من كلِّ مستقيم.

﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أنها سبيلُ الله التي لا يَصُدُّ عنها إلَّا ضالٌّ مُضِلٌّ، أو: وأنتم شهداء بين أهل دينكم عدولٌ يثِقُون بأقوالكم ويَستشهِدونكم في عظائم أمورهم، وهم الأَحْبار.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾ وعيدٌ.

ومحلُّ ﴿تَبْغُونَهَا﴾ نصبٌ على الحال.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

بل كانوا يقولون أشياءَ يتوهّم[١] الناس منها أنّها ليست بحقّ،[٢] كقولهم: "شريعة موسى لا تُنسَخ"، وكقولهم: "صفته عليه السلام في **التوراة** ليست على ما نراه عليه". **والثاني** أنّهم مع علمهم بكونها حقًّا لا عِوَج فيها يتعبون أنفسهم في إخفاء ما هو حقّ منها ودعوى أنّها باطل كآية الرجم والتحوُّل إلى الكعبة، وفي[٣] الطعن[٤] في البعض بأنّه غير حقّ، كما فعل النضر بن الحارث مِن كفّار قريش بالطعن[٥] في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء ٩٨/٢١]، حيث أورد النقض بعيسى والملائكة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء ١٠١/٢١] في جوابه، وهذا المعنى قريب مِن معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ [الجاثية ٩/٤٥].

---

١ ر + منها.
٢ ن: نحن؛ ر + على ما نراه عليه، والثاني.
٣ ر – في.
٤ ر: بالطعن.
٥ ر: في الطعن.

قيل: مَرَّ شَأسُ بنُ قيسٍ اليهوديُّ -وكان عظيمَ الكفر شديدَ الطعن على المسلمين شديدَ الحسد لهم- على نفرٍ من الأنصار من الأَوْس والخزرج في مجلسٍ لهم يتحدَّثون، فغاظه ذلك حيث تألَّفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، وقال: ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرارٍ، فأمَرَ شابًّا من اليهود أن يجلس إليهم ويُذكِّرَهم يومَ بُعَاثَ وينشدَهم بعضَ ما قيل فيه من الأشعار، وكان يومًا اقتَتلتْ فيه الأوسُ وَالخزرج، وكان الظَّفَر فيه للأَوْس، ففعل، فتنازع القوم عند ذلك وتفاخَروا وتغاضبوا وقالوا: السِّلاحَ السِّلاحَ، فبلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمَن معه من المهاجرين والأنصار، فقال: «أتدَّعون الجاهليَّة وأنا بيْنَ أَظهُركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطَع به عنكم أَمْرَ الجاهليَّة وألَّفَ بينكم؟!»، فعَرَفَ القومُ أنها نَزْغةٌ من الشيطان وكيدٌ من عدوِّهم،

قوله: **(فغاظه)**،[١] أي: غاظه مجالستهم وتحدُّثهم.[٢]

قوله: **(يوم بُعاث)** "بُعاث" هو ما أخطأ[٣] فيه الليث[٤] في **كتابه**[٥] فجاء به في الغين المعجَمة.[٦] يوم بُعاث: يوم بين الأوس والخزرج. وقيل: البُعاث: اسم موضع، و"اليوم" عبارة عن اللقاء فيه.

قوله: **(«أتدّعون الجاهلية»)**[٧] أراد تدّعون[٨] دعوة الجاهليّة، وهي قولهم: "يا لَفلان" عند الاستصراخ.

---

١ د ن ر: غاظهم. | وأثبتُّ ما في أصول الكشّاف، وهو الموافق للسياق.

٢ ن: وتحدّيهم.

٣ ن: أعطا.

٤ ن: الكتب.

٥ يعني كتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي، لأنّ الليث هو مَن حشا الكتاب، وسمّى لسانه الخليل، فكان يعزو إليه. ففي نسبة الخطأ والكتاب إلى الليث دقّة من الجاربردي.

٦ انظر: **العين** المنسوب للخليل، ٤٠٢/٤ «بغث». وفي هذا يقول الأزهريُّ: «وذكر ابن المظفَّر هذا في كتاب الغين، فجعله يوم بُغاث وصحّفه، وما كان الخليل رحمه الله يخفى عليه يوم بُعاث؛ لأنّه من مشاهير أيّام العرب، وإنّما صحّفه الليث وعزاه إلى الخليل نفسه، وهو لسانه». **تهذيب اللغة**، ٣٣٤/٢ «بعث». ويقول ياقوت الحمَوي: وحكاه صاحب كتاب العين بالغين المعجمة، ولم يُسمع في غيره. **معجم البلدان**، ٤٥١/١.

٧ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٦٢٧/٥ (آل عمران، ٩٩/٣)؛ و**تخريج أحاديث الكشّاف** للزيلعي، ٢٠٨/١.

٨ ن ر - الجاهليّة أراد تدّعون.

فألقوا السلاح وبَكَوْا وعانَق بعضهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما كان يومٌ أقبح أوّلًا وأحْسَن آخِرًا من ذلك اليَوْم.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ معنى الاستفهام فيه الإنكارُ والتعجيبُ، والمعنى: من أين يتطرَّقُ إليكم الكُفْرُ والحالُ أن آيات الله وهي القرآنُ المعجزُ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم غَضَّةً طَرِيَّةً، وبَيْنَ أَظهُركم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُنَبِّهُكم ويَعِظُكم ويُزِيحُ شُبَهَكم.

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾: ومَن يتمسَّكْ بدينه. ويجوز أن يكون حثًّا لهم على الالتجاء إليه في دفعِ شرورِ الكفَّار ومكائدهم.

﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: فقد حصَل له الهدَى لا محالةَ؛ كما تقول: إذا جئتَ فلانًا فقد أفلَحْتَ، كأنَّ الهُدى قد حصَل له فهو يُخبر عنه حاصلًا، ومعنى التوقُّعِ في "قد" ظاهرٌ؛ لأن المُعتصِمَ بالله متوقِّعٌ للهُدى كما أنَّ قاصدَ الكريم متَوقِّعٌ للفلاح عنده.

قوله: (فما كان يومٌ أقبحُ)[١] "أقبح" و(أحسنُ) بالضمّ صفة لـ"يوم" فـ"كان" تامّة. وفي نسخة المُعزّي بالنصب فتكون ناقصة.

قوله: (كأنَّ الهدى قد حَصَل) وذلك لمجيء الفعل الماضي مع "قد" فيدلّ على أنّه واقع، ولو لم يُؤتَ بـ"قد" لم يُحتج إلى "الفاء" وقيل: "ومَن يعتصم بالله هُدِي"، وكان حينئذٍ المعنى الاستقبالَ، لكن لمّا أتى بـ"قد" كان الماضي محقّقًا[٢] وأفاد ما ذكر مِن المعنى، ثمّ مَن كان متوقِّعًا لشيء وقد حصل ذلك المتوقَّع[٣] يقال / معه: "قد حصل"، كما يقال لمَن كان[٤] متوقِّعًا[٥] لمجيء زيد وقتَ مجيء زيد: [٢٦٥ظ]

---

١ ضُبطت الحاء في د بالضمّة والفتحة، وكُتب فوقها معًا.
٢ ر: مخففًا.
٣ ن: التوقع.
٤ ن ر - كان.
٥ ن: يتوقع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: وَاجبَ تَقْواهُ وما يحِقُّ منها، وهو القِيامُ بالمواجب واجتنابُ المحارم، ونحوُه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن ١٦/٦٤]، يريد: بَالِغُوا في التقوى حتى لا تَتركوا من المستطاعِ منها شيئًا.

وعن عبد الله: هو أن يُطاع فلا يُعْصَى، ويُشكَرَ فلا يُكْفَرَ، ويُذْكرَ فلا يُنْسى، وروي مرفوعًا.

وقيل: هو أن لا يأخذَه في الله لومَةُ لائم، ويقومَ بالقِسْط ولو على نفسِه أو ابنه أو أبيه.

وقيل: لا يتَّقِي اللهَ عَبْدٌ حقَّ تُقاته حتى يَخْزُنَ لسانَه.

والتُّقاةُ من اتَّقى كالتُّؤَدَةِ مِن اتَّأَدَ.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾ معناه: ولا تكونُنَّ على حالٍ سوى حالِ الإسلام إذا أدركَكُم الموتُ؛

"قد جاء زيد"، فكذا هنا لمّا كان المستعصِم منتظرًا للهدى وقد حصل الهدى قيل له: "فقد هدي".[١]

قوله: (وما يحِقّ) حقّ يحِقّ، أي: ثبت[٢] ووجب، أي: الذي ثبت ووجب[٣] مِن التُّقاة.[٤] فـ"مِن" في (منها) بيان "ما يحقّ"، أي: اتّقوا الله التُّقاةَ التي تجب.

قوله: (مرفوعًا) أي:[٥] إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[٦]

قوله: (لومةُ لائم) اللوم: العذل.

قوله: (مِن "اتّقى") اتّقى تُقاة وتَقيّةً.

قوله: (مِن "اتّأد") يقال: "اتّأد في مشيه"[٧] افتعل مِن "التُّؤدة"، وأصل التاء في "اتّأد" واو. يقال: "اتّئد في أمرك"، أي: تثبّت.

---

[١] ر + قيل.
[٢] ن: يثبت.
[٣] ن ر - أي: الذي ثبت ووجب.
[٤] ر: البغاة.
[٥] ن - أي.
[٦] د: عليه السلام.
[٧] ر: مشيته.

كما تقول لمن تستعينُ به على لقاءِ العدوّ: لا تأتِني إلا وأنتَ على حصَانٍ، فلا تَنْهاه عن الإتيان ولكنَّك تَنْهاه عن خلافِ الحال التي شرَطْتَ عليه في وقتِ الإتيان.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

قولهم: اعتصمتُ بحبله: يجوز أن يكون تمثيلًا لاستظهاره به ووثوقهِ بحمايته بامتساكِ المتدلِّي من مكانٍ مرتفعٍ بحبلٍ وثيقٍ يَأمَنُ انقطاعَه، ....

قوله: **(على حصان)** هو الفرس الذَّكَر.

قوله: **(قولهم: اعتصمتُ)**... إلخ، بنى[١] المصنِّف التشبيه الذي[٢] في هذه الآية على تقرير معنى كلام الناس في "اعتصمتُ بحبل فلان"، فقال: هذا الكلام يجوز أن يكون مِن التشبيه المركّب والمفرّق، فإن كان تشبيهًا مركَّبًا فالمعنى: مَن استظهر به ووثِق بجانبه فقد نجا نجاةً ليس وراءها نجاةٌ بأن صوّر حاله بصورة امتساك المتدلي مِن مكان مرتفع بحبل وثيق، وإن كان مفرَّقًا فيكون الحبل مستعارًا[٣] للعهد بعد تشبيه العهد به، وكذا يكون الاعتصام مستعارًا[٤] للوثوق أو ترشيحًا لهذه الاستعارة،[٥] ثمّ بنى تفسير الآية على الوجهين كما كتبنا فوق. وقوله: "قولهم"، أي: قول[٦] كلّ واحد مِن الناس. **(بحبله)** بحبل فلان لاستظهار القائل بفلان. وقوله: **(تمثيلًا)** لمّا كان هذا تشبيهًا لمجموع بمجموع[٧] جَعَله تمثيلًا.

قوله: **(لاستظهاره به)**... إلخ، الباء في "به" متعلّق بـ"استظهار"، وفي **(بحمايته)** متعلّق بـ**(وثوقِه)**، وفي **(بامتساك)** متعلِّق بـ**(تمثيلًا)**. يقال: "أمسكتُ بالشيء وتمسّكتُ به واستمسكتُ به وامتسكتُ به"، كلّه بمعنى اعتصمتُ به.

---

١ ن: هي.
٢ ن ر: التي.
٣ ر + للحبل.
٤ ن ر: استعارًا.
٥ الاستعارة المرشَّحة: هي التي قُرنت بما يلائم المستعار منه. **الإيضاح** للقزويني، ص ٤٣٣.
٦ ن: أقول.
٧ ن ر – بمجموع.

وأن يكونَ الحبلُ استعارةً لعهده والاعتصامُ لوثوقه بالعهد، أو ترشيحًا لاستعارةِ الحبل بما يناسبُه.

والمعنى: واجْتمِعوا على استعانتِكم بالله ووثوقِكم به ولا تفرَّقوا عنه، أو: واجْتَمِعوا على التمسُّك بعهده إلى عباده وهو الإيمانُ والطاعة، أو بكتابه

و"المتدلِّي" اسم فاعل مِن "تدلَّى". يقال: "دلَّاه مِن سطح بحبل"، أي: أرسله فتدلَّى. ومنه حديث ابن المغفَّل:[١] دلَّى عليَّ جرابٌ[٢] مِن شحم مِن بعض حصون[٣] خيبر.[٤]

قوله: (والاعتصام) عطف على (الحبلُ)،[٥] أي:[٦] وأن[٧] يكون الاعتصام استعارة لوثوقه. والباء في (بالعهد) متعلِّق بـ"وثوقه".

قوله: (أو ترشيحًا) معطوف على "استعارة" مقدَّرة بعد "الاعتصام"، أي: يجوز أن يكون الاعتصام[٨] ترشيحًا لاستعارة الحبل بما يُناسب الحبلَ، والباء مِن (بما يُناسبه) متعلِّق بالترشيح، والضمير المستتر يعود إلى "ما"، والبارز إلى "الحبل".

قوله: (والمعنى: واجتمعوا) هذا[٩] مبنيّ على الوجه الأوّل، وهو أن يكون تمثيلًا. وقوله: (أو واجتمعوا) مبنيّ على الثاني، وهو أن يكون الحبل استعارة. وقوله: (أو بكتابه) مبنيّ على وجه[١٠] قريب مِن الثاني وهو أن يكون الحبل استعارة[١١] للكتاب والاعتصامُ لوثوقه أو العملِ به أو ترشيحًا، فكأنّه قال: "هذا الوجه"، ثمّ قال: والمعنى اجتمعوا على التمسّك بالكتاب.

قوله: (وهو الإيمان) أي: العهد الإيمان.

---

١ ن: المعقل.

٢ ن: جواب.

٣ ن ر: حضور.

٤ مسند أحمد، ٣٤٧/٢٧ (١٦٧٩١)؛ سنن أبي داود، ٣٣٨/٤ (٢٧٠٢). والرواية فيهما: «دُلِّيَ جِراب من شحم يوم خيبر».

٥ ن – عطف على (الحبلُ).

٦ ن + يجوز.

٧ ن: أن.

٨ ن – (أو ترشيحًا) معطوف على استعارة مقدَّرة بعد الاعتصام، أي: يجوز أن يكون الاعتصام.

٩ ر – هذا.

١٠ ن: الوجه.

١١ ر – وقوله: (أو بكتابه) مبنى على وجه قريب مِن الثاني وهو أن يكون الحبل استعارة.

لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «القرآنُ حبلُ الله المتينُ لا تنقضِي عجائبُه ولا يخلَقُ عن كثرة الرَّدِّ، مَن قال به صَدَقَ، ومَن عَمِلَ به رَشَدَ، ومَن اعتَصَم به هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم».

﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾: ولا تتفرَّقوا عن الحقِّ بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفتِ اليهود والنصارى، أو كما كنتم متفرِّقين في الجاهليَّة متدابِرين يُعادِي بعضُكم بعضًا ويُحارِبه، أو: ولا تُحْدِثُوا ما يكون عنه التفرُّق، ويزولُ معه الاجتماعُ والألْفَةُ التي أنتم عليها ممَّا يأباه جامعُكم والمؤلِّفُ بينكم، وهو اتباعُ الحقِّ والتمسُّكُ بالإسلام.

كانوا في الجاهلية بينهم الإِحَنُ والعداواتُ والحروبُ المتواصِلَةُ، فألَّفَ الله بين قلوبهم بالإسلام، وقَذَفَ فيها المحبَّةَ، فتحابُّوا وتوافَقوا وصاروا إخوانًا

قوله: (لقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم)...[١] إلخ، أي: هذا الحديث يدلّ على أنّه يقال لكتاب الله: الحبل.

قوله: («ولا يُخلِق») أي: لا يبلى القرآن. و"أخلق" يتعدّى ولا يتعدّى، يقال:[٢] "أخلق الثوب" و"أخلقتُه / أنا". و(«الردّ»)[٣] التكرار[٤] والترديد في القراءة. [٢٦٦و]

قوله:[٥] (متدابرين) تدابَر القوم، أي: تقاطعوا. وفي الحديث: «لا تدابروا».[٦]

قوله: (ولا تتفرقوا)،[٧] أي: حذف إحدى التاءين.

قوله: (ما يكون عنه التفرُّق) وهو المعاداة والمخاصمة.

قوله: (ممّا يأباه) بيان "ما يكون".[٨]

قوله: (الإِحَن) الإِحْنَة: الحقد، والجمع إِحَنٌ. و"الحِنَة" لغة ضعيفة.[٩]

---

١ د: عليه السلام.

٢ ن ر: ويقال.

٣ المصنَّف لابن أبي شيبة، ١٢٥/٦ (٣٠٠٠٧)؛ سنن الترمذي، ٢٢/٥ (٢٩٠٦).

٤ ن: والتكرار.

٥ ن - قوله.

٦ صحيح البخاري، ١٩/٨ (٦٠٦٤)؛ صحيح مسلم، ١٩٨٣/٤ (٢٥٥٨).

٧ ن: تنفروا.

٨ ر - يكون.

٩ انظر: الصحاح للجوهري، «أحن».

متراحمين متناصِحين مجتمِعين على أمرٍ واحدٍ قد نَظَم بينهم وأزال الاختلاف وهو الأخوَّةُ في الله.

وقيل: هم الأوْس والخزرج، كانا أخوين لأبٍ وأمّ فوقعت بينهم العداوةُ وتطاولت الحروبُ مئةً وعشرين سنةً، إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام، وألَّف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: وكنتم مُشْفِينَ على أنْ تقَعوا في نار جهنم لِمَا كنتم عليه من الكفر.

﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بالإسلام، والضمير في ﴿مِنْهَا﴾ للحُفرة، أو للنار، أو للشَّفا وإنما أُنِّثَ لإضافته إلى الحُفرة وهو منها؛ كما قال:

قوله: (قد[١] نظم) صفة (أمر).

قوله: (وهو الأخوَة) أي: ذلك الأمر.

قوله: (وقيل: هم الأوس) عطف على محذوف، أي: المراد بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ هم المسلمون جميعًا وقيل: هم الأوس والخَزرج. وإنّما[٢] حُذف لظهور أوّل الآية فيه وهو قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ شفا كلّ شيء: حرفه. قال الأخفش: لمّا لم تَجْرِ[٣] فيه الإمالة عُرف أنّه مِن الواو[٤] وتثنيته "شفوان".[٥]

قوله: (مُشفِين) أي: مُشرِفين عليه. يقال: أشفى على الشيء، أي: أشرف عليه.

قوله: (وهو منها) إنّما ذكره لبيان اكتساء التأنيث، فإنّه قيل: المضاف لا يكتسي مِن المضاف إليه التأنيث إلّا إذا كان بعضًا منه، نحو "تلتقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارةِ" [يوسف ١٠/١٢]،[٦] أو فِعلَه نحو: "أعجبني مشيُ هند"، أو صفتَه نحو "أعجبتني حسنُ هند". ولا يجوز أن يقال: "أعجبتني غلامُ هند".

---

١ ر: وقد.

٢ ن ر: وأنّه.

٣ ن ر: يجز.

٤ ن: الواوي.

٥ انظر: معاني القرآن للأخفش، ٢٢٨/٢.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وقتادة، وابن كِيسة عن حمزة، وزائدة عن الأعمش، وابن أبي عبلة. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٠١٤.

كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَناةِ من الدَّمِ

وشَفَا الحُفرةِ وشَفَتُها: حَرفُها، بالتذكير والتأنيث، ولامُها واوٌ إلَّا أنّها في المذكَّر مقلوبةٌ وفي المؤنَّث محذوفةٌ، ونحوُ الشَّفَا والشفةِ: الجانبُ والجانبةُ.

فإن قلتَ: كيف جُعلوا على حَرْفِ حُفْرة من النار؟

قلتُ: لو ماتوا على ما كانوا عليه وقَعوا في النَّار، فمُثِّلَتْ حياتُهم التي يُتوقَّعُ بعدها الوقوعُ في النار بالقعود على حرفها مُشْفِين على الوقوع فيها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ ذلك البيانِ البليغ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إرادةَ أن تزدادوا هُدًى.

قوله:

(كما شَرِقتْ صدرُ القناة مِن الدم)[1]

أوّله:

وتَشْرَقَ[2] بالقول الذي قد أذعتَهُ

شرِق بريقه، أي: غُصّ به. يقال: "شَرِقت[3] بالماء"، كما يقال: "غصِصت باللقمة". وأذعته، أي: أفشيته. يخاطب مِذياعًا ويقول له: تشرق بالقول الذي أفشيتَه ورميتَه وأظهرتَه للناس، كما أنّ القناة عند الطعن تَشرَق بالدمّ ولا تشربه.

قوله: **(إلّا أنّها)** أي: الواو. وقوله:[4] **(ونحو "الشَّفا")** أي: في المعنى.

قوله: **(بعدها)** أي: بعد الحياة.

قوله: **(على حرفها)** أي: حرفِ النار.

قوله: **(البيانِ البليغ)** استفيد مِن **(ذلك)** لأنّه للبعيد.

قوله: **(إرادةَ أن تزدادوا هدى)** فسّر "لعلّ" بالإرادة لاستحالة الترجّي على الله تعالى، وفسّر ﴿تَهْتَدُونَ﴾ بازدياد الهدى لأنّهم كانوا مهتدين، إذ الخطاب

---

١ البيت للأعشى في ديوانه، ص ٢٢٣؛ وهو له في **كتاب سيبويه**، ٥٢/١؛ **والمذكَّر والمؤنَّث** لابن الأنباري، ١٨٥/٢؛ **الصحاح** للجوهري، «صدر».

٢ ن ر – وتشرق.

٣ ر: أشرقت.

٤ د – إلا أنّها، أي: الواو وقوله.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ "مِن" للتبعيض؛ لأنَّ الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكرِ من فروضِ الكفايات، ولأنه لا يَصلُح له إلّا مَن عَلِمَ المعروفَ والمنكرَ، وعَلم كيف يُرتِّبُ الأَمْرُ في إقامته وكيف يباشَر، فإن الجاهل ربَّما نَهى عن معروفٍ وأمَرَ بمنكَرٍ وربَّما عرفَ الحُكمَ في مَذهبه وجَهِلَه في مَذهبِ صاحبه فنهاه عن غيرِ منكر، وقد يَغْلُظ في موضعِ اللِّين ويَلينُ في موضع الغِلظة، ويُنكِر على مَن لا يزيده إنكارُه إلّا تماديًا، أو على مَن الإنكارُ عليه عَبَثٌ؛ كالإنكار على أصحاب المآصِرِ والجلّادين وأَضْرابهم.

مع المؤمنين، فوجب أن يُحمَل على زيادة الاهتداء.

قوله: (لأنّ الأمر) متعلِّق بمحذوف، أي: إنّما أتى بـ"مِن" التبعيضيّة ههنا لأنّ.[١] ولا يجوز أن يكون متعلِّقًا بالجارّ والمجرور. يُعرَف بالتأمّل.

قوله: (لا يصلح له) أي: للأمر بالمعروف.

قوله:[٢] (يرتِّب الأمر) اعلم أنّ هذا "الأمر" واحد "الأمور"، بخلافه في قوله: (الأمرَ بالمعروف)[٣] فإنّه واحد "الأوامر". والضمير مِن (إقامته) يعود إلى "الأمر" في قوله: "الأمر بالمعروف" لا إلى الأمر في قوله: "يرتِّب الأمر". وأمّا الضمير في (يُباشَر) فيحتملهما، فتأمّل.

قوله: (إنكارُه) أي: إنكار المنكِر، وهو الشخص الذي يُنكِر، أو إنكار المُنكَر، وهو الفعل. ولا يجوز أن يعود إلى (مَن) لأنّ الإنكار لا يتعدّى إليه إلّا بحرف الجرّ، اللّٰهمّ إلّا أن يقال: حذف الجارّ وأوصل الفعل.

قوله: (على أصحاب المآصِر) وهم الذين يقومون على بعض الطرق[٤] يأخذون مِن الناس عشور أموالهم مثلًا. آصَره يأصره أصرًا: حبسه، / والموضع [٢٦٦ظ]

---

١ أي: إلى آخره.

٢ ن ر - (لا يصلح له) أي: للأمر بالمعروف. قوله.

٣ ر - بالمعروف.

٤ ن ر: الطريق.

وقيل: "مِن" للتبيين بمعنى: وكونوا أُمَّةً تأمرونَ؛ كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران ٣/١١٠].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: هم الأَخِصَّاءُ بالفلاح دون غيرهم، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنه سُئل وهو على المنبر: مَن خيرُ الناس؟ قال: «آمَرُهم بالمعروف وأنْهاهُم عن المنكَر، وأتقاهُم لله، وأَوْصلُهم».

وعنه عليه الصلاة والسلام: «مَن أمَرَ بالمعروف ونَهَى عن المنكَر فهو خَلِيفةُ الله في أرضه وخليفةُ رسوله وخليفةُ كتابه».

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أفضلُ الجهاد الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكَر، ومَن شَنِئَ الفاسقين وغضِبَ لله غضِبَ الله له.

مأصِر ومأصَر، والجمع مآصِر. وكانت السلسلة تُمدّ على نهر أو[1] طريق[2] تُحبَس بها السفن أو السابلة لتؤخذ منهم العشور،[3] وتسمّى "المآصِر".

قوله: (وقيل: "مِن" للتبيين) ووجهُ ذلك أن فرض الكفاية يجب على الجميع ويسقط بالبعض، حتّى لو تُرك الجميع أثِم الجميع، فهنا أيضًا الأمر بالمعروف يجب على جميع الناس حتّى لو[4] تركوا أثِم الجميع، فكما يأثَم العالم بالمعروف والمنكر إذا تَرَك الأمر والنهي يأثَم الجاهل لأنّه كان عليه أن يتعلّم[5] فيعلم ثمّ يأمُر وينهى.

قوله: (هم الأخِصّاء) لأن تعريف الخبر وتوسيط الفصل أفاد الاختصاص.

قوله: («آمَرُهم») هو اسم التفضيل المستعمل بالإضافة.

قوله: («وأوصَلُهم»)،[6] أي: للرحم.

قوله: («ومَن شنئ»)،[7] أي: أبغض.

---

[1] ر – أو.

[2] ر: وطريق.

[3] ن: العشر.

[4] ن ر – ترك الجميع إثم الجميع فهنا أيضًا الأمر بالمعروف يجب على جميع الناس حتّى لو.

[5] ر: يتكلّم.

[6] بلفظ قريب في المصنَّف لابن أبي شيبة، ٢١٨/٥ (٢٥٣٩٧)؛ مسند أحمد، ٤٢١/٤٥ (٢٧٤٣٤).

[7] بلفظ قريب في حلية الأولياء لأبي نعيم، ٧٤/١، في ترجمة عليّ بن أبي طالب؛ والكشف والبيان للثعلبي، ١٢٩/٩ (آل عمران، ١٠٤/٣). وانظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٢١٣/١.

وعن حُذيفَةَ رضي الله عنه: يأتي على الناس زَمانٌ تكون فيهم جيفَةُ الحمار أحبَّ إليهم من مؤمنٍ يأمرُهم بالمعروف ويَنْهاهم عن المنكَر.

وعن سفيان الثوريّ رضي الله عنه: إذا كان الرجل محبَّبًا في جيرانه محمودًا عند إخوانه فاعلم أنه مُداهِن.

والأمر بالمعروف تابعٌ للمأمور به: إن كان واجبًا فواجبٌ، وإن كان ندبًا فنَدْبٌ، وأما النهي عن المنكر فواجبٌ كلُّه؛ لأن جميع المنكَر تركهُ واجِبٌ لاتِّصافه بالقُبح.

فإن قلتَ: ما طريق الوجوب؟

قلتُ: قد اختَلف فيه الشيخان رحمهما الله، فعند أبي علي: السمعُ والعقلُ، وعند أبي هاشم: السمعُ وحده.

فإن قلتَ: ما شرائطُ النهي؟

قلتُ: أن يَعلم الناهي أن ما يُنكره قبيحٌ؛ لأنه إذا لم يَعْلم لم يأمَنْ أن يُنكِر الحسَنَ وأن لا يكونَ ما يَنهَى عنه واقعًا؛ لأن الواقع لا يَحْسُنُ النهيُ عنه، وإنما يَحْسُن الذمُّ عليه والنهيُ عن أمْثاله، وأن لا يَغلِبَ على ظنِّه أن المنهيَّ يزيدُ في منكَراته، وأَنْ لا يَغلبَ على ظنِّه أن نهيه لا يؤثِّر لأنه عبَثٌ.

قوله: («مُداهِن»)[1] والمُداهَنة كالمصانعة، والإدهان مثله. قال:[2] داهنتُ بمعنى داريتُ.[3]

قوله: (ما طريقُ الوجوب؟) أي: أهو عقليّ أم شرعيّ.

قوله: (**قلتُ: أن يعلم الناهي**) وقيل: أن ينهى إذا قصد إعزاز الإسلام وأن يكون لُطفًا[4] لغيره.

قوله: (**والنهيُ عن أمثاله**) أي: ويحسُن النهيُ عن أمثال المنكر الواقع.

قوله: (**عبثٌ**) أي: حينئذٍ.

---

١ **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٣٠/٩ (آل عمران، ١٠٤/٣).

٢ في مطبوع **الصحاح**: «قال قوم».

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «دهن». وفي مطبوعه «واريت» مكان «داريت».

٤ ن ر: لفظًا.

فإن قلتَ: فما شروطُ الوجوب؟

قلتُ: أن يَغلِبَ على ظنِّه وقوعُ المعصية؛ نحوَ أن يَرى الشاربَ قد تهيَّأ لشرب الخمر بإعداد آلاته، وأن لا يَغلبَ على ظنِّه أنه إنْ أنكَر لَحِقَتْه مَضرَّةٌ عظيمةٌ.

فإن قلتَ: كيف يُباشرُ الإنكارَ؟

قلتُ: يبتدِئ بالسهل، فإن لم ينفع تَرَقَّى إلى الصَّعْب؛ لأن الغرضَ كفُّ المنكر، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات ٩/٤٩] ثم قال: ﴿فَقَـٰتِلُواْ﴾ [النساء ٧٦/٤].

فإن قلتَ: فمَن يُباشِرُه؟

قلتُ: كلُّ مسلمٍ تمكَّن منه واختَصَّ بشرائطه، وقد أجمعوا على أن مَن رأى غيرَه تاركًا للصلاةِ وجَبَ عليه الإنكارُ؛ لأنه معلومٌ قُبحُه لكلِّ أحدٍ، وأمَّا الإنكارُ الذي بالقتال فالإمامُ وخلفاؤه أولى به لأنهم أعلمُ بالسياسة ومعهم عُدَّتُها.

فإن قلتَ: فمَن يُؤمَر ويُنْهَى؟

قلتُ: كلُّ مكلَّفٍ، وغيرُ المكلَّف إذا هَمَّ بِضررِ غيره مُنع؛ كالصبيان والمجانين، ويُنْهَى الصبيانُ عن المحرَّمات حتى لا يتعَوَّدُوها كما يُؤخذون بالصلاة ليَمْرُنُوا عليها.

فإن قلتَ: هل يجبُ على مرتكبِ المنكَر أَنْ يَنْهَى عما يَرتكبُه؟

قلتُ: نعم، يجب عليه؛ لأن ترك ارتكابه وإنكارَهُ واجبان عليه، فبِتَرْكه أحدَ الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر.

قوله: (قال الله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُواْ﴾) ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحجرات ٩/٤٩].

قوله: (فمَن يُباشِره؟) استفهاميّة.

قوله: (واختصّ) صحّ بفتح "التاء" عن نسخة الأصل.

قوله: (ليَمرُنوا) المُرون والمَرانة: التعوُّد.

وعن السلف: مُرُوا بالخير وإن لم تفعلوا.

وعن الحسن: أنه سَمِع مُطرِّفَ بنَ عبد الله يقول: لا أقولُ ما لا أَفْعل، فقال: وأيُّنا يَفْعلُ ما يقول، ودَّ الشَّيْطانُ لو ظَفِر بهذه منكم فلا يأمرَ أحدٌ بمعروفٍ ولا يَنْهى عن مُنْكرٍ.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؟

قلتُ: الدعاء إلى الخير عامٌّ في التكاليف من الأفعال والتُّروك، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكَر خاصٌّ، فجيء بالعام ثم عُطف عليه الخاصُّ إيذانًا بفَضْله؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة ٢/٢٣٨].

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾ وهم اليهود والنصارى.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الموجبةُ للاتِّفاق على كلمةٍ واحدةٍ وهي كلمةُ الحقّ.

وقيل: هم مُبْتدِعو هذه الأمّة، وهم المشبِّهةُ والمُجْبِرةُ والحَشْوِيَّةُ وأشباهُهم.

قوله: (**مُطرِّف**) قيل: هو أعقَل أهل البصرة.

قوله: (**ودّ الشيطان**) من تمام قول الحسن.[1]

قوله:[2] (**فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿يَدْعُونَ﴾**) أي: لِمَ قدّم الدعاء إلى الخير وأخّر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والصواب أن نقول: معنى السؤال أنّه كيف جمع بين قوله: ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ وقوله: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؟ فإنّ معناهما واحد.

قوله: (**والحَشَويّة**): هم طائفة يجوّزون[3] أن يخاطبنا الله تعالى بالمُهمَل. والضمير في قوله: (**وأشباههم**) إن كان عائدًا إلى "الحَشَوية" فالمراد[4] به[5] المرجئة:

---

[1] ما وقفتُ على قوله في مظانّه، ولا فيما سبق **الكشّاف** من التفاسير.

[2] د - (ود الشيطان) من تمام قول الحسن. قوله.

[3] ر: يجوز.

[4] ر: والمراد.

[5] ر: بهم.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ١٠٦﴾

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ نصْبٌ بالظرف وهو ﴿لَهُمْ﴾، أو بإضمار: اذكر.

وهم الذين يجوّزون أن[١] يعني مِن النصوص خلاف[٢] الظاهر مِن غير بيان. ومذهبهم قريب مِن مذهب الحَشَويّة؛ لأنّ اللفظ بالنسبة إلى المعنى الغير الظاهر مِن غير بيان مهمل، وإن كان الضمير[٣] عائدًا[٤] إلى جميع المذكورين فالمراد سائر أهل البدع كالروافض والخوارج والجَهْميّة إلى غيرهم. والجَهْميّة:[٥] هي فرقة منسوبة إلى جَهْم بن صفوان شايعته على مذهبه، وهو القول بأنّ الجنّة والنار تفنيان، وأنّ الإيمان هو المعرفة فقط دون الإقرار ودون سائر الطاعات، وأنّه لا فعلَ لأحد في الحقيقة إلّا لله،[٦] والعباد فيما ينسب إليهم مِن الأفعال كالشجرة يُحرّكها الريح،[٧] والإنسان عنده لا يقدِر على شيء إنّما هو مجبَر في أفعاله لا قدرةَ له ولا إرادةَ ولا اختيارَ. والمُرجِئة: هم الذين لا يقطعون على أهل الكبائر بشيء مِن عَفْو أو عقوبة؛ بل يُرجئون الحكم في ذلك، أي: يؤخّرونه إلى يوم القيامة ويقولون: يجوز أن يعني مِن النصّ غير ظاهره، يقال: أرجيتُ الأمر وأرجأتُه بالياء أو[٨] الهمز[٩] إذا أخّرته. ومقاتل بن سليمان مِن المرجئة، وقد تفرّد منهم بأن الله لا يدخل أحد النار بارتكاب الكبائر وأنّه يغفر لِما دون الكفر لا محالةَ وأنّ المؤمن العاصي يعذَّب يوم القيامة على الصراط / على متن جهنّم [٢٦٧و] يصيبه لَفْح النار فيتألّم بذلك على قدر المعصية ثمّ يدخل الجنّة. ويقال لمَن تبعه في مذهبه: المقاتليّ.

قوله: (وهو ﴿لَهُمْ﴾) أي: في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

---

١ ر – أن.
٢ ر: فلان.
٣ ر: العائد.
٤ ر: الضمير.
٥ ن – إلى غيرهم والجهميّة.
٦ ر + تعالى.
٧ ر – الريح.
٨ ر – أو.
٩ ن ر: الهمزة.

وقرئ: "تِبْيَضُّ.. وتِسْودُّ" بكسر حرف المضارعة، و: "تَبْياضُّ.. وتَسْوادُّ".

والبياضُ من النور والسوادُ من الظلمةِ، فمَن كان من أهل نورِ الحقّ وُسِمَ ببياض اللون وإسفارِه وإشراقِه، وابْيضَّتْ صحيفَتُه وأشرقَتْ، وسَعَى النورُ بينَ يديه وبيمينه، ومَن كان من أهل ظُلمة الباطل وُسِمَ بسواد اللون وكُسُوفه وكَمَدِهِ، واسودَّتْ صحيفتُه وأظلَمَتْ، وأحاطَتْ به الظلمةُ من كلِّ جانب، نعوذُ بالله وبسعةِ رحمتهِ من ظلماتِ الباطلِ وأهله.

﴿أَكَفَرْتُم﴾ فيقال لهم: أكفرتم، والهمزةُ للتوبيخ والتعجيبِ من حالهم، والظاهرُ أنهم أهلُ الكتاب، وكفرُهم بعدَ الإيمان تكذيبُهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه.

وعن عطاء: تبيضُّ وجوه المهاجرين والأنصارِ، وتسودُّ وجوهُ بني قريظة والنضير.

وقيل: هم المرتدون.

وقيل: هم أهلُ البدع والأَهْواء.

وعن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه: هم الخوارجُ، ولمّا رَآهم على دَرَج دِمَشْقَ دَمعَتْ عيناه ثم قال: كلابُ النار، هؤلاء شرُّ قَتْلَى تحت أديم السماء، وخيرُ قَتْلَى تحت أديمِ السماء الذين قتلَهم هؤلاء، فقال له أبو غالبٍ: أشيءٌ تقوله برأيك أم شيء سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بل سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرَ مرَّة، قال: فما شأنك دمعَتْ عيناك؟ قال:

قوله: (عن عطاء) ما ذَكَر عطاء يدلّ على أنّ المراد أهل الكتاب.

قوله: (على دَرَج) الدرَج جمع دَرجة، وهي: الطريق المرتفع.

قوله: (عيناه) أي: عينا أبي أُمامة.

قوله: («هؤلاء شرّ قتلى») مبتدأ وخبر. وقوله: («وخيرُ قتلى») مبتدأ خبره («الذين»).[1]

---

[1] حديث أبي أمامة بلفظ قريب في مسند أحمد، ٤٦٩/٣٦ (٢٢١٥١)؛ وسنن ابن ماجه، ١٢١/١-١٢٢ (١٧٦)؛ وسنن الترمذي، ٧٦/٥ (٣٠٠٠).

رحمةً لهم، كانوا من أهل الإسلام فكفروا، ثم قرأ هذه الآية، ثم أخذ بيده فقال: إنَّ بأرضك منهم كثيرًا، فأعاذكَ الله منهم.

وقيل: هم جميع الكفَّار؛ لإعْراضهم عما أَوجبَهُ الإقرارُ حين أشهَدَهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف ١٧٢/٧].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾

﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: ففي نعمته وهي الثوابُ المخلَّد.

فإن قلتَ: كيف موقعُ قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ بعد قوله: ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾؟

قلتُ: موقعُ الاستئناف؛ كأنَّه قيل: كيف يكونون فيها؟ فقيل: هم فيها خالدون لا يَظعنون عنها ولا يموتون.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ الواردةُ في الوَعْدِ والوعيد ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ مُلْتبِسةً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ والعَدْلِ؛ من جزاء المحْسِن والمُسِيء بما يَستوجبانِه.

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾ فيأخُذَ أحدًا بغيرِ جُرْمٍ، أو يزيدَ في عقابِ مُجْرِم، أو يَنقُصَ من ثوابِ مُحْسِنٍ، ونكَّر ﴿ظُلْمًا﴾ وقال: ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ على معنى: ما يريدُ شيئًا من الظلمِ لأحدٍ مِن خَلْقه، فسبحان مَن يَحْلُمُ ....

قوله:[1] (**حين أشهَدهم**) أي: حين أشهدهم[2] الله[3] قائلًا ﴿أَلَسْتُ﴾ [الأعراف ١٧٢/٧].

قوله: (**لا يظعنون**)،[4] أي: لا يسيرون.

قوله: (**فسبحان مَن يحلُم**)...[5] إلخ، فإنَّ قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾ يدلّ[6] على نفي القبائح، يريد المصنّف بهذا الكلام الطعن في أهل السنّة القائلين

---

١ ن - (عيناه) أي: عينا أبي أُمامة قوله: (هؤلاء شرّ قتلى) مبتدأ وخبر، وقوله: (وخير قتلى) مبتدأ خبره (الذين). قوله.

٢ ر - أي: حين أشهدهم.

٣ ن + تعالى.

٤ ن: يطيعون.

٥ ر: يحكم.

٦ ر - يدل.

عمَّن يصِفهُ بإرادةِ القبائح والرِّضى بها!

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

"كان" عبارةٌ عن وجود الشيء في زمانٍ ماضٍ على سبيل الإبهام، وليس فيه دليلٌ على عدمٍ سابقٍ، ولا على انقطاعٍ طارئٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء ٩٦/٤] ومنه قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ كأنّه قيل: وُجِدْتُم خيرَ أمّةٍ.

وقيل: ﴿كُنتُمْ﴾ في علم الله ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾.

بأنّ جميع الأشياء مِن الكفر والإيمان والطاعة والعصيان بإرادة الله تعالى، فحسِب المصنّف أنّ قبح الأشياء لذاتها، وغلِط في ذلك، فإنّ الحُسن ما حسّنه الله تعالى بأن أَمَر به والقبيح ما قبّحه الله تعالى بنهيه عنه. ثمّ إنّ قوله: (والرضا بها) غلطٌ آخرُ حيث توهّم أنّ الرضا بمعنى الإرادة، وليس كذلك، فالرضا في صفاته تعالى إرادةُ الثواب. وقوله: "والرضا" مقصور.

قوله: (على سبيل الإبهام) يجوز أن يكون المراد به ما أشار إليه بقوله: (وليس فيه)... إلخ، ويجوز أن يكون المراد أنّ "كان" لا يدلّ على ذلك الشيء الثابت في الزمان الماضي؛ بل إنّما يعلم ذلك مِن الخبر، كما قالوا: «الأفعال الناقصة: ما وُضع لتقرير الفاعل على صفة».[1]

قوله: (ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء ٩٦/٤])، يعني أنّ "كان" يدلّ على وجود الشيء في زمان ماضٍ على سبيل الإبهام، وليس له دلالة على عدمٍ سابق ولا انقطاع لاحق، وإذا كان الأمر على هذا جاز ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ لأنّه تعالى موصوف بذلك في[2] الأزمنة[3] الماضية كما هو موصوف به

---

١ الكافية لابن الحاجب، ص ٤٧.
٢ ن ر - في.
٣ ن ر: بالأزمنة.

وقيل: كنتُم في الأمم قبلَكم مذكورين بأنكم خيرُ أمَّة موصوفين به.

﴿أُخْرِجَتْ﴾: أُظهرَتْ.

وقوله: ﴿تَأْمُرُونَ﴾ كلامٌ مستأنَفٌ بُيِّنَ به كونُهم خيرَ أُمَّةٍ؛ كما تقول: زيدٌ كريم يُطْعِمُ الناسَ ويكسوهم ويقُوم بما يُصْلحهم.

في الحال والاستقبال. وأمّا "صار" فلا يجوز فيه ذلك لأنّك إذا قلت: "صار زيد غنيًا" فهذا يدلّ على أنّه لم يكن كذلك في الزمان السابق وإنّما يحكم بذلك في الزمان الثاني، فلا[1] يجوز "صار الله غفورًا"،[2] فإنّ صفات الله تعالى متعالية عن التغيُّر ومنزَّهة[3] ومُبرّأة عن الحدوث.

قوله: (**موصوفين به**) أي: بأنّكم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ وفسّر المصنّف قوله[4] تعالى: ﴿أُخْرِجَتْ﴾ بقوله:[5] (**أُظهِرت**)، وذلك لأنّ الخروج سبب للظهور. قال المطرِّزيّ في **المُغرِب**:

> أصل الظهور خلاف الخفاء، وقد يعبَّر به عن الخروج والبروز لأنّه يردَف ذلك، وعليه حديث عائشةَ رضي الله عنها:[6] «أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[7] يصلي العصر والشمسُ في حجرتها قبل أن تظهَر»،[8] وتصديقه في الرواية الأخرى: «والشمس لم تخرج».[9] وأمّا ما رُوي «لم يظهر الفيء مِن حجرتها»[10] أو «والشمس طالعة في حجرتي لم يظهر الفيء بعد»[11] فعلى الكناية.[12]

هكذا ذكر في **المُغرِب**. وأنا أقول: وذلك لأنّ ظهور الفيء فيها مِن لوازم خروج الشمس عليها.

---

١ ن: ولا.

٢ ر + رحيمًا.

٣ ر: ومبرهنة.

٤ ر - (موصوفين به) أي: بأنكم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ وفسّر المصنّف قوله.

٥ ر - بقوله.

٦ د - رضي الله عنها.

٧ د: عليه السلام.

٨ صحيح البخاري، ١/١١٠ (٥٢٢)؛ صحيح مسلم، ١/٤٢٦ (٦١١).

٩ صحيح البخاري، ١/١١٤ (٥٤٤).

١٠ صحيح البخاري، ١/١١٤ (٥٤٥).

١١ صحيح البخاري، ١/١١٤ (٥٤٦).

١٢ المغرب للمطرّزي، «ظهر».

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ جعلَ الإيمان بكلِّ ما يجِب الإيمانُ به إيمانًا بالله؛ لأنَّ مَن آمَنَ ببعضِ ما يجبُ الإيمانُ به من رسولٍ أو كتاب، أو بَعْثٍ أو حساب، أو عقابٍ أو ثواب، أو غيرِ ذلك، لم يُعتَدَّ بإيمانه فكأنَّه غيرُ مؤمنٍ بالله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء ٤/١٥٠-١٥١].

والدليل عليه قوله: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مع إيمانهم بالله ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾: لكان الإيمانُ خيرًا لهم مما هم عليه؛ لأنهم إنما آثَرُوا دينَهم على دِينِ الإسلام حبًّا للرِّيَاسة واستتباعِ العوامِّ، ولو آمنوا لكان لهم من الرِّيَاسة والأَتْباعِ وحظوظِ الدنيا ما هو خيرٌ مما آثروا دينَ الباطل لأَجْله، مع الفوز بما وُعِدُوه على الإيمان من إيتاء الأَجْر مرَّتَين.

﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلَامٍ وأصحابه.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: المتمرِّدون في الكُفر.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١١١﴾

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾: إلا ضَرَرًا مقتصِرًا على أذًى بقولٍ مِن طَعْنٍ في الدِّين أو تهديدٍ أو نحوِ ذلك.

﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ مُنهزِمينَ، ولا يَضرُّوكم بقَتْلٍ أو أَسْرٍ.

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: ثم لا يكونُ لهم نَصْرٌ من أحدٍ، ....

قوله: (جُعل الإيمان)، يعني لذلك[١] لم يقل: وملائكته ورسله إلى غير ذلك.

قوله: (﴿وَيَقُولُونَ﴾ [النساء ٤/١٥٠]) استشهاد.

قوله: (والدليل عليه) أي: على أنّ جَعل الإيمانَ بكلّ ما يجب الإيمان[٢] به إيمانًا بالله، أو على أن[٣] مَن آمن ببعض لم يُعتدّ[٤] بإيمانه.

---

١ ر: ذلك.
٢ ر – بكلّ ما يجب الإيمان.
٣ ن ر – أن.
٤ ر: يتعد.

ولا يُمْنَعون منكم، وفيه تثبيتٌ لمَن أسلَم منهم؛ لأنهم كانوا يُؤذنونهم بالتلهّي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بأنّهم لا يقدرون أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضررٍ يُبالَى به، مع أنَّه وعدهم الغلبةَ عليهم والانتقامَ منهم، وأنَّ عاقبة أمرهم الخذلانُ والذُّلُّ.

فإن قلت: هلَّا جُزِمَ المعطوفُ في قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾؟

قلتُ: عُدِلَ به عن حُكمِ الجزاء إلى حُكم الإخبار ابتداءً؛ كأنَّه قيل: ثم أُخبِرُكم أنهم لا ينصرون.

فإن قلتَ: فأيُّ فرقٍ بين رَفْعِه وجَزْمِه في المعنى؟

قلتُ: لو جُزم لكان نفيُ النَّصْر مقيَّدًا بمقاتَلتهم كتوليةِ الأَدْبار، وحين رُفع كان نفيُ النصر وعدًا مطلقًا؛ كأنَّه قال: ثم شأنُهم وقصَّتُهم التي أُخبِرُكم عنها

قوله: **(ولا يُمنَعون)** أي: لا يحفظون.

قوله:[١] **(بالتلهّي)**[٢] / أي: بالسخرية. [٢٦٧ظ]

قوله: **(وتوبيخهم)**... إلخ، في **نسخة المُعزّي**[٣] "وتوبيخُهم" بالرفع[٤] عطفًا على **(وفيه تثبيتٌ)**، وفي **نسخة الصمصام** بالجرّ ويكون عطفًا على "التلهّي". والضمير مِن **(توبيخهم وتضليلهم وتهديدهم)** عائد إلى **(مَن أسلم)**. والباء في **(بأنّهم)** متعلّق بقوله: "تثبيتٌ" وهذا هو الصواب. وعلى تقدير[٥] الرفع الضمير في الثلاثة للكفّار، والباء متعلّق بقوله: "تهديدهم"، والتضليل هو النسبة إلى الضلال. والجرّ أولى؛ لأنّ جميع ذلك إضرار وإيذاء بالقول لا غيرُ، ولِما في الرفع مِن فكّ التركيب يعود الضمير مِن[٦] **(يؤذونهم)** إلى "مَن أسلم" ومِن[٧] البواقي إلى الكفّار.

---

١ ن ر - (ولا يُمنعون) أي: لا يحفظون. قوله.
٢ ن ر: بالتمكين.
٣ ن ر: المغربي.
٤ ن ر - بالرفع.
٥ ر - تقدير.
٦ ن ر: في.
٧ ن ر: من.

وأُبشِّرُكم بها بعد التَّوْلِيةِ أنَّهم مخذولون مُنْتَفٍ عنهم النَّصر والقُوَّة، لا ينهضون بعدها بجناحٍ، ولا يستقيم لهم أَمْرٌ، وكان كما أَخْبَر من حال بني قُرَيظةَ والنَّضير وبني قَيْنُقاعَ ويهودِ خَيْبَر.

فإن قلتَ: فما الذي عُطف عليه هذا الخبر؟

قلتُ: جملةُ الشرط والجزاء، كأنَّه قيل: أُخبِرُكم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا، ثم أُخبِرُكم أنهم لا يُنصرون.

فإن قلتَ: فما معنى التراخي في ﴿ثُمَّ﴾؟

قلتُ: التراخي في المرتبة؛ لأنَّ الإخبارَ بتسليطِ الخذلان عليهم أعظمُ من الإخبارِ بتوليتِهم الأدبارَ.

فإنْ قلتَ: ما موقعُ الجملتين، أعني: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ و﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾؟

قلت: هما كلامان واردان على طريقِ الاستطراد عند إجراءِ ذكرِ أهلِ الكِتاب؛

قوله: (لأنَّ الإخبار بتسليط) والأولى أن يقال: لأنَّ الإخبار بتسليط الخذلان عليهم مطلقًا غيرَ مقيَّد بشرط أعظمُ مِن الإخبار بتولِّيهم الأدبار على تقدير مقاتلتهم.

قوله: (ما موقع الجملتين؟) إحدى الجملتين قوله: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، والجملة الأخرى ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾، والمصنِّف ذكر ﴿مِّنْهُمُ﴾ وترك ﴿وَأَكْثَرُهُمُ﴾ لكونه عطفًا عليه فحكمُه[١] حكمُه، وكذا[٢] ﴿لَن﴾ و﴿إِن﴾، وأيضًا فكلٌّ مِن الأخيرين مِن تتمَّة ما يليه.[٣]

قوله: (على طريق الاستطراد) قال رضي الله عنه:[٤] أصل الاستطراد مِن فعل الصائد يُطارِد بعضَ الصيود، فيتلقَّاه صيد آخر فيصطاد لا على سبيل القصد.

---

[١] ر: فحكم.

[٢] ر: وكذلك.

[٣] ن: عليه.

[٤] د: رحمه الله. | الظاهر أنَّه يريد به الزمخشري، إذ عبَّر بهذه الطريقة عمَّا نقله من الفائق للزمخشري في موضع يأتي في سورة آل عمران، ١٥٨/٣. ولم أقف على هذا الكلام فيما بين يدي من كتب الزمخشري.

كما يقول القائل: وعلى ذكرِ فلانٍ فإنَّ من شأنه كيتَ وكيتَ، ولذلك جاءا من غير عاطفٍ.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في محلِّ النصبِ على الحال بتقدير: إلَّا معتصِمين، أو متمسِّكين، أو ملْتَبِسين بحبلٍ من الله، وهو استثناءٌ من أعمِّ عامِّ الأحوال.

والمعنى: ضُربت عليهم الذلةُ في عامَّة الأحوال إلا في حالِ اعتصامهم بحَبْلِ الله وحَبْلِ الناس، يعني: ذمَّةَ الله وذمَّةَ المسلمين؛ أي: لا عزَّ لهم قطُّ إلا هذه الواحدةُ، وهي التجاؤهم إلى الذمَّةِ لِمَا قَبِلوه من الجزية.

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: استوجَبُوه.

ثمّ استُعير لِما يقع مِن مثل ذلك في علم البيان، كما إذا كان شخص في حكاية زيد بأنّه[1] يصلح له أن يفعل كذا، ثمّ سَنَح له كلام آخرُ لزيد فقال: "وعلى ذِكر زيد فإن مِن شأنه كيت وكيت". والطَّرَد بالتحريك: مزاولةُ الصيد.

قوله: **(كما يقول القائل: وعلى ذِكر فلان)** وفي نسخة المُعزّي:[2] وعلى ذِكر[3] فلان، كما إذا كان في حكاية زيد بأنّه يصلح له أن يفعل كذا، ثمّ سنح له كلام آخر لزيد فقال: وعلى ذِكر زيد فإنّ مِن شأنه كيت وكيت.[4]

قوله: **(وهو استثناء مِن أعمّ عامّ الأحوال)** قال رضي الله عنه:[5] الاستثناء مِن أعمّ العامّ في نحو قولك: "ما رأيت إلّا زيدًا"، والمراد بأعمّ العامّ: ما لا أعمّ منه وهو "الشيء"، كأنّك قلتَ: "ما رأيتُ شيئًا إلّا زيدًا"، وهذا الاستثناء يقع[6]

---

[1] ر: أنّه.
[2] ن ر: المغربي.
[3] ر: ذلك.
[4] د - كما إذا كان في حكاية زيد بأنّه يصلح له أن يفعل كذا، ثمّ سنح له كلام آخر لزيد فقال: وعلى ذكر زيد فإن مِن شأنه كيت وكيت.
[5] د: رحمه الله.
[6] ر: نفي.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ كما يُضرَب البيتُ على أهله، فهم ساكنون في المسكَنة غيرُ ظاعِنين عنها، وهم اليهود عليهم لعنةُ الله وغضبُه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكر من ضربِ الذِّلَّة والمسكَنة والبَوَاءِ بغضبِ الله؛ أي: ذلك كائنٌ بسببِ كفرهم بآياتِ الله وقتلِهم الأنبياءَ.

في جميع مقتضيات الفعل، أعني فاعله ومفاعيله وما شُبِّه[1] بها، فقولك: "إلّا زيدًا" مستثنى مِن أعمِّ عامِّ المفعول به، وكذلك[2] "ما لقيتُه إلّا راكبًا" استثناء مِن أعمِّ عامِّ أحواله،[3] و"ما ضربتُه إلّا تأديبًا" مِن أعمِّ عامِّ أغراضه. وهذه الإضافة كإضافة "حبّ رمانِه" إلى مَن لا رُمانَ له، وإنّما أردتَ إضافة الحبِّ وهو حبٌّ مخصوص فأضفتَ الحبَّ إلى ما[4] يُخصِّصه،[5] ولا طريق إلى ذلك إلّا بذِكر المضاف والمضاف[6] إليه جميعًا.

قوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة ٦١/٢] مِن الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف، كما قال:

إنّ السماحة والمروءة والندى   في قبة ضُربتْ على ابن الحَشْرجِ[7]

فإنّه حين أراد ألّا يُصرِّح بتخصيص السماحة والمروءة والندى[8] بابن الحشرج فيقول: "السماحة لابن الحشرج والمروءة له والندى[9] له"، جَمَع[10] السماحة والمروءة والندى في قبّة تنبيهًا بذلك أنّ محلّها محلٌّ ذو قبّة محاولًا بذلك اختصاصها بابن الحَشْرج، / ثمّ لمّا رأى غرضه ما كان يتمّ بذلك لوجود ذوي [٣٦٨و]
قِباب في الدنيا كثيرة جعَل القبّة مضروبة على ابن الحَشْرج حتّى تمّ غرضه.[11]

---

[1] ن: أشبه.
[2] ن ر: كذلك.
[3] ن ر: أحوال.
[4] ر - ما.
[5] ر: تخصيصه.
[6] ن ر - والمضاف.
[7] البيت لزياد الأعجم. ومضى بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٤/٢.
[8] ر - في قبة ضربت على ابن الحشرج، فإنّه حين أراد ألّا يصرّح بتخصيص السماحة والمروءة والندى.
[9] ن ر - بابن الحشرج فيقول: السماحة لابن الحشرج والمروءة له والندى.
[10] السياق: فإنّه حين أراد... جمع...
[11] من قوله: "فإنّه حين" إلى هنا بلفظ قريب في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٥١٧-٥١٨.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾؛ أي: ذلك كائنٌ بسببِ عِصيانهم لله واعتدائهم لحدوده؛ ليُعلَم أن الكفرَ وَحْدَه ليس بسببٍ في استحقاقِ سَخَطِ الله، وأنَّ سَخَطَ الله يُسْتَحقُّ بركوب المعاصي كما يُستحقُّ بالكفر، ونحوُه: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾ [نوح ٧١/٢٥] ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ [النساء ٤/١٦١].

﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾

الضميرُ في ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ لأهل الكتاب؛ أي: ليس أهلُ الكتاب مستوِينَ.

وقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ كلامٌ مستأنفٌ لبيانِ قوله: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ كما وقع قولُه: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بيانًا لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾.

﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾: مستقيمةٌ عادلةٌ، من قولكَ: أقمتُ العُود فقام، بمعنى: استقام، وهم الذين أسلموا منهم، وعبَّر عن تهجُّدهم بتلاوةِ القرآن في ساعات الليلِ مع السُّجود؛ لأنه أَبْيَنُ لِمَا يفعلون وأدلُّ على حُسْنِ صورةِ أمرهم.

فكذلك في الآية لمّا أراد ألّا يصرّح بتخصيص الذلّة والمسكنة باليهود فيقول: "الذلة والمسكنة[١] لهم" جَعَلَ الذلة والمسكنة[٢] في خيمة[٣] تنبيهًا على أنّ محلّها ذوو خيام[٤] طالبًا بذلك اختصاصهما بهم، ثمّ كان لا يتمّ مطلوبه لوجود ذوي[٥] خيام كثيرة في الدنيا[٦] جَعَلَ الخيمة[٧] مضروبة عليهم. فيه موضع نظر، إذ آخرها ما لا يُلائم أوّلها؛ بل لا ينطبق على الآية أصلًا.

قوله: (﴿وَأَخْذِهِمُ﴾ [النساء ٤/١٦١]) إشارة إلى آية أخرى فاستشهد بآيتين.

قوله: (لأنه) أي: لأنّ المذكور مِن التلاوة مع السجود.

---

١ ن - باليهود فيقول: الذلة والمسكنة.
٢ ر - لهم جعل الذلة والمسكنة.
٣ ر: خيمته.
٤ ن ر - ذوو خيام.
٥ ن: ذي.
٦ ن + ما.
٧ ر: الجنة.

وقيل: عنى صلاةَ العشاء لأنّ أهلَ الكتابِ لا يصلُّونها.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أخَّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاةَ العشاء ثم خرج إلى المسجدِ، فإذا الناس ينتظِرون الصلاةَ فقال: «أمَا إنه ليس من أهلِ الأديان أحدٌ يذكُر اللهَ تعالى في هذه الساعة غيرَكم»، وقرأ هذه الآية.

وقوله: ﴿يَتْلُونَ﴾ و﴿يُؤْمِنُونَ﴾ في محلِّ الرفع صفتان لـ﴿أُمَّةٌ﴾، أي: أمّةٌ قائمةٌ تالُون مؤمنون، وصَفَهم بخصائصَ ما كانت في اليهود: من تلاوةِ آيات الله بالليل ساجدين، ومن الإيمان بالله لأنّ إيمانَهم به كَلا إيمانٍ؛ لإشراكهم به عزيرًا وكفرِهم ببعضِ الكتب والرسل دون بعضٍ، ومن الإيمان باليوم الآخر؛ لأنّهم

قوله: (وقيل: عنى) عطف على قوله: (عبَّر).[1]

قوله: (وعن ابن مسعود)... إلخ، ما رُوي عن ابن مسعود يؤيّد[2] قوله: "عنى"... إلخ.

قوله:[3] («أحدٌ») اسم («ليس»). وقوله: («يذكر الله») صفة "أحد". وقوله: («غيرَكم») خبر "ليس".

قوله: (ما كانت) "ما" نافية.

قوله: (مِن تلاوة) بيان (خصائص)، ولم يذكر المصنّف اختصاص المؤمنين بالتلاوة ساجدين لأنه[4] عُلم حيث قال: («لم يذكُر الله هذه الساعة»).[5]

قوله: (ومِن الإيمان بالله) أي: إيمان المؤمنين.

قوله: (لأنّ إيمانهم) أي: إيمان اليهود.

قوله: (كلا إيمان) "لا" في "كلا إيمان" ليست بنافية للجنس؛ بل هي اسم؛ لأنّها لو كانت نافية للجنس لَما تمّ الكلام بهذا القدر. فيه نظر.

قوله: (لأنّهم) أي: اليهود.

---

[1] ر: غير.

[2] ر: تويه.

[3] ن ر - (عنى)... إلخ، قوله.

[4] ن ر: لا.

[5] بلفظ قريب في مسند أبي يعلى، ٩/٢٠٦ (٥٣٠٦)؛ وصحيح ابن حبّان، ٤/٣٩٧ (١٥٣٠).

يَصِفونه بخلافِ صفته، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهم كانوا مُداهِنينَ، ومن المسارَعة في الخيرات؛ لأنهم كانوا متباطِئينَ عنها غيرَ راغبينَ فيها، والمسارعةُ في الخير: فَرْطُ الرَّغبةِ فيه؛ لأنَّ مَن رغِب في الأمر سارعَ في تولِّيه والقيامِ به، وآثَرَ الفَوْرَ على التراخي.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما وُصفوا به ﴿مِنَ﴾ جُملة ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين صَلُحت أحوالُهم عند الله ورَضِيَهم واستحقُّوا ثناءهُ عليهم، ويجوز أن يريد بـ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: المسلمين.

﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ١١٥﴾

﴿فلن تُكْفَروه﴾ لمّا جاءَ وَصْفُ الله عزَّ وعلا بالشكر في قوله: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ في معنى توفيةِ الثواب، نُفي عنه نقيضُ ذلك.

قوله: (متباطئين) أي: ماكثين.[١]

قوله:[٢] (والمسارعة في الخير: فَرْط الرغبة)... إلخ، فيكون كناية.

قوله: (في تولّيه) تولّى به، أي: قام[٣] به.

قوله: (واستحقّوا) وعند أهل السنّة: واستأهلوا.

قوله: (﴿فَلَنْ تُكْفَرُوه﴾)[٤] قال رضي الله عنه:[٥] ﴿فلن تكفروه﴾ تعريضٌ بكفرانهم نعمته وأنّه لا يفعل مثلَ فعلهم. وجيء به على لفظ المبنيّ للمفعول لأمرين: لتنزيهه[٦] عن إسناد الكفران إليه كقوله: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن ٧٢/١٠]، أو[٧] ليأتي[٨] به على لفظ الكبرياء والعظمة. وقوله:[٩] (عنه) أي: عن الله. وقوله: (ذلك) أي: الشكر.

---

١ ن: ما ليس.

٢ د – متباطئين، أي: ماكثين. قوله.

٣ ن ر: أقام.

٤ قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر، وأبو عمرو بخلاف عنه، وأبو بكر وأبو جعفر ويعقوب. النشر لابن الجزري، ٢/١٤٢.

٥ د: رحمه الله.

٦ ن: لتبيين به.

٧ ن – أو.

٨ ن: وليأتي.

٩ ر: قوله.

فإن قلتَ: لِم عُدِّيَ إلى مفعولين، و«شَكَر» و«كفَر» لا يتعدَّيان إلّا إلى واحدٍ؛ تقول: شَكرَ النعمةَ وكَفَرَها؟

قلتُ: ضُمِّنَ معنى الحرمان؛ فكأنّه قيل: فلن تُحرمُوه، بمعنى: فلن تُحْرموا جزاءَهُ.

وقرئ: ﴿يَفْعَلُواْ﴾ و﴿يُكْفَرُوهُ﴾ بالياء والتاء.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ بشارةٌ للمتّقين بجزيلِ الثواب، ودلالةٌ على أنّه لا يفوزُ عنده إلّا أهلُ التقوى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

"الصِّرّ": الريحُ الباردة، نحو: الصَّرْصَرِ، قال:

لا تَعْدِلَنَّ أَتَاوِيّينَ تَضْرِبُهم   نَكْباءُ صِرٌّ بأصحابِ المُحِلَّاتِ

قوله: (قلتُ: ضُمّن) قال رضي الله عنه:[1] وفي هذا التضمين زيادةُ تنزيه وهو أن لا يُنسب إليه معنى الكفران.

قوله: (بِشارةٌ للمتقين) هو بكسر "الباء". قال في **الصحاح**: «بشَرتُ الرجل أبشُره بالضمّ بَشْرًا وبُشورًا[2] مِن البشرى، وكذلك الإبشار والتبشير، ثلاث لغات. والاسم البِشارة والبُشارة بالكسر والضمّ».[3]

قوله:

(لا تَعدِلَنّ أتاويّينَ تضرِبهم   نكباءُ صِرٌّ بأصحاب المُحِلّاتِ)[4]

---

١ د: رحمه الله.

٢ ن: أو بشورًا.

٣ **الصحاح** للجوهري، «بشر».

٤ ما عرفتُ قائله. وهو بلا عزو في **إصلاح المنطق** لابن السكّيت، ص ٣٩٨؛ **والبيان والتبيين** للجاحظ، ٤٣/٣؛ **والحجّة** للفارسي، ٣٧/١، ٤١٣/٥؛ **والصحاح** للجوهري، «حلل»، «أتى».

....

"عَدَله بكذا": سوّاه به.[١] و"الأتاويّ": الغريب.[٢] و"النكباء": «الريح الناكبة التي تنكُب عن مهابّ الريح القُوَّم».[٣] قال أبو يوسف المُحِلّتان: القِدر والرَّحى. قال: وإذا قيل: المُحِلّات فهي: القِدر والرحى والدلو والشفرة[٤] والفأس، أي: مَن كان عنده هذه الأدوات حلّ حيث شاء، وإلّا فلا بدّ له مِن أن يُجاوِر الناس ليستعيرَ منهم بعضَ هذه الأشياء.[٥] وأورد الجوهريّ في **الصحاح**: "لا يَعدِلنّ" بالياء للغيبة،[٦] و"أتاويّون" بالواو مرفوعًا. وقال: تقديره "لا يَعدِلنّ أتاويّون أحدًا بأصحاب المُحِلّات، فحَذَف المفعول وهو مراد.[٧] وقال:[٨] ويروى[٩] "ولا يُعدَلنّ" على / ما لم يُسمّ فاعله، أي: لا ينبغي أن يُعدَل الأتاويُّ بأصحاب المُحِلّات.[١٠] قال أبو عليّ الفارسيّ في **الحجّة** في بحث[١١] قراءة مَن قرأ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[١٢] [الفاتحة ١/٤]، هكذا قال، يعني ممّا حُذف منه المفعول[١٣] به في الشعر قولُ[١٤] الآخر:[١٥] [٢٦٨ظ]

لا يَعدِلنّ أتاويّون تضربهم نكباءُ صرٌّ[١٦] بأصحاب المُحِلّاتِ[١٧]

أي:[١٨] لا[١٩] يَعدِلنّ بهم أحدًا، والمعنى: لا يَعدِلنّ مجاورتَهم بمجاورة[٢٠] أحد.[٢١]

اعلم أنّه ذَكَر في أحد البيتين "الصِّرّ"[٢٢] وفي الآخر "الصرصر".

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عدل».
٢ **الصحاح** للجوهري، «أتى».
٣ ن ر: القوّم. | **الصحاح** للجوهري، «نكب».
٤ د: الشُفرة؛ ن ر: السفر. | وأثبتُّ ما في **الصحاح** وغيره من معجمات العربيّة.
٥ من قوله: "قال أبو يوسف" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «حلل». وفيه زيادة على ما ذكر من المُحِلّات: «القدّاحة والقربة».
٦ ن: الغيبة.
٧ ن: إذ.
٨ ن ر: قال.
٩ ن: ويرمى.
١٠ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حلل».
١١ ن: البحث.
١٢ قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو جعفر. **النشر** لابن الجزري، ١/٢٧١.
١٣ ر + منه المفعول.
١٤ ر: قوله.
١٥ ر: لآخر.
١٦ ن: بصر؛ ر: تضن.
١٧ مضى تخريجه آنفًا
١٨ ن: إن.
١٩ ر - لا.
٢٠ ن: لمجاورة.
٢١ انظر: **الحجّة** للفارسي، ١/٣٧.
٢٢ ر: الضرّ.

كما قالت لَيلى الأَخيَلِيَّةُ:

ولـم يَغْلِبِ الخصمَ الأَلَـدَّ ويَمْلأُ الْـ ـجِفانَ سَدِيفًا يومَ نكبَاءَ صَرْصَرِ

فإن قلتَ: فما معنى قولِه: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾؟

قلتُ: فيه أوجهٌ:

أحدها: أن الصِرَّ في صفةِ الريح بمعنى الباردة، فوُصف بها القِرَّةُ بمعنى: فيها قِرَّةٌ صِرٌّ؛ كما تقول: بَرْدٌ باردٌ على المبالغة.

والثاني: أن يكون الصِّرُّ مصدرًا في الأصل بمعنى البَرد، فجيء به على أصله.

والثالث: أن يكون من قوله تعالى: ....

قوله:

(ولـم تـغـلِـب الـخـصـم الألـدَّ)[1]

البيت ترثي بها ليلى الأخيليّة صاحبها تَوْبة بن الحُميّر. وقيل: الصواب "يغلب" و"يملأ" بـ"الياء"، لأنّ ما قبله:

كـأنّ فتى الفتيانِ تَـوْبـةُ لـم يُنخ بنجدٍ ولـم يطلع مع الـمُـتـغـوِّرِ[2]

والجواب أنّ "التاء" أبلغُ للالتفات.[3] و"السديف": السَّنام.

قوله: (**فإن قلتَ: فما معنى؟**) يعني: إذا كان الصرّ بمعنى الريح الباردة فكيف معنى قوله: ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾؟ إذ يصير هكذا "ريح فيها ريحٌ[4] باردة".

قوله: (**القِرّة**) القِرّة بكسر "القاف": البرد. يقال: «أشدّ العطش حِرّةٌ على قِرّة».[5]

قوله: (**بمعنى فيها**) أي:[6] في الريح.[7] (**والثالث أن يكون مِن قوله تعالى:**

---

[1] في ديوان ليلى الأخيلية، ص ٤٧، وفيه «الضَّجاج» مكان «الألدّ»؛ وهو لها في الكامل للمبرد، ٩٥٣/٣؛ والفائق للزمخشري، ١١٦/١.

[2] في ديوان ليلى الأخيلية، ص ٤٦، وفيه: «لم يسر» مكان «لم يُنخ»؛ وهو لها في الكامل للمبرد، ٩٥٣/٣، وفيه: «لم يبت» مكان «لم يُنخ».

[3] من قوله: "وقيل" إلى هنا بلفظه في فتوح الغيب للطِّيبي، ٢٢٧/٤.

[4] ن ر - فيها ريح.

[5] **الصحاح** للجوهري، «حرر».

[6] ر: الباء.

[7] ر + قوله.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب ٢١/٣٣]، ومن قولك: إن ضَيَّعَني فلانٌ ففي الله كافٍ وكافلٌ، قال:

وفــي الـرَّحــمــن لـلـضُّـعَـفـاء كــافِ

وكما يقال: رأيت فيك أسدًا؛ أي: أنت أسد، والمراد به المبالغة.

شُبِّهَ ما كانوا يُنفقون من أموالهم في المكارم والمفاخِر وكسبِ الثَّناءِ وحُسْنِ الذكر بَيْن الناس لا يبتغُون به وَجْهَ الله بالزَّرع الذي حَسَّه البردُ فذهب حُطامًا.

وقيل: هو ما كانوا يتقرَّبون به إلى الله مع كُفْرهم.

وقيل: ما أنفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَضَاعَ عنهم؛ لأنهم لم يَبْلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله.

وشُبِّه بحَرْثِ قوم ظلموا أنفسهم فأُهْلك عقوبةً لهم على معاصيهم؛

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب ٢١/٣٣]) أي: لكم[١] رسول الله أسوةٌ حسنة. وكما يقال: "رأيتُ فيك أسدًا"، أي: أنت أسد، والمراد به المبالغة. وتقديره على الوجه الثالث "كمثل ريحٍ صرٍّ"، أي: بارد.

قوله: (حَسَّه)،[٢] أي: أحرقه.[٣]

قوله: (حُطامًا) «الحُطام: ما تكسَّر مِن اليُبس».[٤]

قوله: (وقيل: ما أنفقوا) أي: هو ما أنفقوا.

قوله: (فضاع) ضاع الشيء يضيع ضَيعةً وضَياعًا بالفتح، أي: هَلَك. والضَّيعة: العَقار، والجمع ضِياع بالكسر.[٥]

قوله: (ما أنفقوه) مفعول (لم يبلغوا).

قوله: (فأُهلِك) أي: الحرث.

---

١ ن ر + في.

٢ ن ر: حسنة.

٣ ن ر: أقر حرفة.

٤ الصحاح للجوهري، «حطم». وفي مطبوعه: «اليبيس» مكان «اليُبس».

٥ انظر: الصحاح للجوهري، «ضيع».

لأن الإهلاك عن سَخطٍ أشدُّ وأبلغُ.

[فإن قلتَ: فلِمَ قال: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ **ولم يقتصرْ بقوله: أصابت الحرث، أو: أصابَتْ حرثَ قومٍ؟**

قلتُ: **لأن الغرض تَشْبيهُ ما ينفقون بشيءٍ يَذْهَبُ على الكليَّة حتى لا يبقى منه شيءٌ، وحرثُ الكافرين الظالمين هو الذي يذهب على الكليَّة لا منفعةَ لهم فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة، فأما حرثُ المسلم المؤمن فلا يذهب على الكليّة؛ لأنه وإن كان يذهب صورةً إلَّا أنه لا يذهب معنًى؛ لِمَا فيه من حصول الأَعْواض لهم في الآخرة، والثوابِ بالصبر على الذهاب]**.

فإن قلتَ: **الغَرضُ تشبيهُ ما أنفقوا في قلَّةِ جَدْوَاه وضَيَاعهِ بالحرث الذي ضرَبَتْه الصرُّ، والكلام غيرُ مطابقٍ للغرض حيث جُعل ما يُنفقون ممثَّلًا بالريح؟**

قلتُ: **هو من التشبيه المركَّب الذي مرَّ في تفسير قوله**: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة ٢/١٧].

ويجوز أن يراد: مَثَلُ إهلاكِ ما ينفقون ....

قوله: (**في قلّة جدواه**) أي: عدم نفعه. فإن قلتَ: فلِمَ قال: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ ولم يقتصر على قوله: "أصابت الحرثَ" أو[1] ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾. قلت:[2] لأنّ الغرض تشبيه ما يُنفقون بشيء يذهب بالكليّة حتّى لا يبقى منه شيء، وحرثُ الكافرين الظالمين هو الذي يذهب على الكلّيّة لا منفعةَ لهم فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة، فأمّا حرث المسلم[3] المؤمن فلا يذهب على الكلّيّة، لأنّه وإن كان يذهب صورةً فلا يذهب معنىً لِما فيه مِن حصول الأعواض لهم في الآخرة والثواب بالصبر بالذهاب وهو معنى قوله: (**أشدُّ وأبلغ**).

قوله: (**مَثَل إهلاك ما ينفقون**) "إهلاك" مضاف إلى المفعول، أي: إهلاك الله[4] ما ينفقون، أو[5] إهلاك كفرهم.

---

١ ن ر – "أصابت الحرثَ" أو.
٢ ر – قلت.
٣ ن ر – المسلم.
٤ ن + تعالى.
٥ ن: و.

كمَثَلِ إِهْلاكِ ريحٍ، أو: مثَلُ ما ينفقون كمَثَلِ مُهْلَكِ ريح وهو الحرث.

وقرئ: "تُنْفِقون" بالتاء.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الضميرُ للمنفِقين على معنى: وما ظلمَهم اللهُ بأنْ لم يَقْبَل نفقاتِهم ولكنهم ظلموا أنفسَهم حيث لم يأتوا بها مستحِقَّة للقبول. أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسَهم؛ أي: وما ظلمهمُ الله بإهْلاك حرثِهم؛ ولكن ظلموا أنفسهم بارتكابِ ما استَحقوا به العقوبةَ.

وقرئ: "ولكنَّ" بالتشديد، بمعنى: ولكنَّ أنفسَهم يظلمونها هم، ولا يجوز أن يراد: «ولكنَّه أنفسَهم يظلمون» على إسقاط ضميرِ الشأن؛ لأنه إنما في الشعر يجوز.

قوله: (كمَثَل مُهلَك ريحٍ) واعلم أنَّ الإضافة في "مُهلَك ريح" بمعنى "اللام" إضافة معنويّة.

قوله: (وقُرئ: "وَلَكِنَّ"[١] بالتشديد) إذا قُرئ "لكنّ" بالتشديد[٢] يكون "أنفسَهم" اسم "لكنّ" و﴿يَظْلِمُونَ﴾ خبرها، ومفعول ﴿يَظْلِمُونَ﴾ محذوف،[٣] والتقدير ما قاله المصنّف. وقوله:[٤] (هم) للتأكيد ويُمكن في القراءة الأولى. وقوله: (ولا يجوز أن يراد "ولكنّه") أي: لا يجوز أن يكون اسم لكنّ محذوفًا على أنّه ضمير الشأن،[٥] لأنّه لا يجوز حذفُ ضمير الشأن[٦] في "لكنّ" وأخواتها إلّا في الشعر، كقوله:

إنّ مَـن لام فـي بنـي بنـت / حسّـا نَ[٧] أَلُـمْـه وأَعْـصِـه فـي الـخطـوبِ[٨] [٢٦٩و]

تقديره: إنّه مِن لام. وقوله: "أَلُمه" جزاء الشرط، وهو مع الشرط خبر "إنّ"، واسمُها ضمير الشأن.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن عمر الثقفي. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ١١٩.

٢ ن ر - إذا قُرئ "لكنّ" بالتشديد.

٣ ن ر - ومفعول ﴿يَظْلِمُونَ﴾ محذوف.

٤ ن ر: وقولهم.

٥ ر: البيان.

٦ ر: البيان.

٧ ن: حسنة إن.

٨ البيت للأعشى في **ديوانه**، ص ٣٣٥، وفيه «على بني ابنة» مكان «في بني بنت»؛ وهو له بروايته هنا في **كتاب سيبويه**، ٧٢/٣؛ وبلا عزو في **ما يجوز للشاعر في الضرورة** للقزّاز القيرواني، ص ٣٤٥؛ و**شرح الرضيّ على الكافية**، ٤٦٨/٢، ١٠٥/٤، ٣٧٥. وانظر تفصيل الكلام عليه في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٤٢٠/٥-٤٢٥.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ١١٨﴾

بِطانَةُ الرجل ووَلِيجَتُه: خَصِيصُه وصَفِيُّه الذي يُفْضي إليه بشُقُوره ثِقَةً به، شبِّهَ ببِطانةِ الثوبِ؛ كما يقال: فلانٌ شِعاري، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «الأنصارُ شِعارٌ والناس دِثارٌ».

وكقول الشاعر:

ولـكـنّ مَـن يـبـصر جـفـونـكِ يـعشـقِ[1]

قوله: (يُفضي إليه) يقال: أفضيتُ إلى فلان بسِرّي.

قوله: (بشُقوره) أي: بأموره. «الشُّقور: الحاجات.[2] يقال: 'أخبرتُه بشُقوري'،[3] كما يقال: 'أفضيتُ إليه بعُجَري وبُجَري'.[4] وكان الأصمعي يقوله بفتح الشين. وقال أبو عبيد: الضمّ أصحّ، لأنّ الشُّقور بالضمّ[5] بمعنى الأمور اللاصقة بالقلب المُهمّة له،[6] الواحدة[7] شَقْر. والشَّقور بالفتح بمعنى النعت».[8]

قوله: (وعن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:[9] «الأنصار شِعار والناس دِثار»)[10] «الشِّعار: ما يلي الجسد مِن الثياب».[11] و«الدِّثار: ما كان مِن الثياب[12] فوق الشعار».[13] يريد أنّهم أصدقائي وبطانتي وأقربُ الناس إليّ.

---

[1] عجز بيت لأبي الطيب، صدره:

وما كنتُ ممّن يدخل العشقُ قلبَه

وهو في ديوانه، ص ٣٣٥. وأراد الجاربردي به التمثيل لا الاستشهاد. ومثّل به ابن الشجري في أماليه، ١٩/٢؛ وابن هشام في مغني اللبيب، ٢٩١/١، ٦٠٥/٢.

[2] ن ر: الحاجة.

[3] مجمع الأمثال للميداني، ٧١/٢؛ المستقصى للزمخشري، ٢٧٣/١، وفيهما: «أفضيت إليه» مكان «أخبرته».

[4] مجمع الأمثال للميداني، ٢٣٧/١. وفيه: «أخبرته» مكان «أفضيت إليه».

[5] ر + أصح.

[6] ن ر - المُهمّة له.

[7] ن ر: الواحد.

[8] الصحاح للجوهري، «شقر».

[9] د: عليه السلام.

[10] طرف حديث في صحيح البخاري، ١٥٧/٥ (٤٣٣٠)؛ وصحيح مسلم، ٧٣٢/٢ (١٠٦١).

[11] الصحاح للجوهري، «شعر».

[12] ر + من.

[13] الصحاح للجوهري، «دثر».

﴿مِن دُونِكُمْ﴾: من دون أبناءِ جنسِكم وهم المسلمون، ويجوز تعلُّقُه بـ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾ وبـ﴿بِطَانَةً﴾ على الوصف؛ أي: بطانةً كائنةً من دونكم مجاوِزةً لكم.

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ يقال: أَلَى في الأمر يَأْلُو: إذا قصَّر فيه، ثم استُعمل معدًّى إلى مفعولين في قولهم: لا آلوك نُصْحًا، و: لا آلوك جَهْدًا، على التضمين، والمعنى: لا أمنعُك نُصحًا ولا أَنْقُصُكَه.

والخبالُ: الفساد.

﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾: ودُّوا عَنَتَكم، على أنَّ ﴿مَا﴾ مصدريةٌ، والعَنَتُ: شدَّةُ الضَّررِ والمشقَّةِ، وأصله: انهياضُ العَظْم بعد جَبْره؛ أي: تمنَّوْا أن يضرُّوكم في دينكم ودُنياكم أشدَّ الضرر وأَبْلغَه.

﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ لأنهم لا يتمالكون مع ضَبْطِهم أنفسَهم وتحامُلِهم عليها أَنْ يَنْفلِتَ من ألسنتهم ما يُعلم به بُغْضُهم للمسلمين.

قوله: (ويجوز تعلّقه بـ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾)... إلخ، ﴿مِن دُونِكُمْ﴾ إذا كان متعلّقًا بـ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾ يكون مفعولًا.

قوله: (والمعنى "لا أمنعك نُصحًا") أي: لا أمنعك نصحًا آلِيًا.[1] هكذا يقتضي التضمين.

قوله تعالى: (﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ﴾) ذكر المصنّف وجهين لتفسير ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ﴾،[2] والأوّلُ وهو قوله: (لا يتمالكون)[3] ألطفُ وأحسن ملاءمة لقوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ ممّا نُقل عن[4] قتادة. يُعرَف ذلك بالذوق والتأمُّل، إن شاء الله تعالى[5] العزيز.[6] وقوله: "لا يتمالكون"، أي: لا يتماسكون. وقوله: (وتحامُلِهم) تحاملتُ على نفسي إذا تكلّفتَ الشيء على مشقّة.

---

١ في هامش د: أي: مقصِّرًا.
٢ ن ر – ذكر المصنّف وجهين لتفسير ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ﴾.
٣ ن ر: يتمالكونه.
٤ ن ر + ابن.
٥ ن – تعالى.
٦ ر – العزيز.

وعن قتادة: قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار؛ لإطّلاع بعضهم بعضًا على ذلك.

وفي قراءة عبد الله: "قد بدا البغضاء".

﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الدالَّةَ على وجوبِ الإخلاص في الدِّين ومُوَالاةِ أولياء اللهِ ومعاداةِ أَعْدائه ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ ما بُيِّن لكم فعمِلْتُم به.

فإن قلتَ: كيف موقعُ هذه الجمل؟

قلتُ: يجوز أن يكون ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ﴾ صفةً للبطانة، وكذلك ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ﴾؛ كأنه قيل: بطانةً غيرَ آلِيكُم خبالًا باديةً بغضاؤُهم، وأمّا ﴿قَدۡ بَيَّنَّا﴾ فكلامٌ مبتدأ.

وأحسنُ منه وأبلغُ أن تكون مُسْتأنَفاتٍ كلّها على وجه التعليل للنهي عن اتّخاذهم بطانةً.

قوله: (**كيف موقعُ هذه الجُمل؟**) الجُمل: ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ﴾ ﴿قَدۡ بَدَتِ﴾ ﴿قَدۡ بَيَّنَّا﴾.

قوله: (غيرَ آلِيكم) هو جمع "آلٍ" والياء للجمع، أي: غيرَ مانعيكم.

قوله: (**أن تكون مستأنفاتٍ كلّها**)،[١] أي: أن تكون الجمل مستأنفاتٍ.[٢] بيانُ الاستئناف كأنّه قيل: لِمَ لا نتّخذهم بطانةً؟ فقال: لأنّهم لا يُقصِّرون في إفساد أمركم. فقيل: ولِمَ يفعلون ذلك؟ فقال:[٣] لأنّهم يُبغضونكم.[٤] ولو[٥] صرّح بهذا لم يكن فصيحًا. فيه نظرٌ. والأَولى أن يكون الكلّ جوابًا عن السؤال عن[٦] النهي، فإنّ ذلك مُطابق للفظ الكتاب، وكان كلّ واحد منها علّة مستقلّة[٧] في المنع عن اتّخاذ البطانة. ويُعرَف ممّا مرّ في قوله تعالى:[٨] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ [آل عمران ١١٢/٣] وتركِ العطف ليدلّ على استقلال كلّ واحد، ولو عُطف لتُوهِّم أنّ الجميع علّة واحدة.

---

١ ن ر – كلها.
٢ ن + أن تكون الجمل مستأنفات.
٣ ن: قال.
٤ ن: يبغضونك.
٥ ر: ولم.
٦ ن – السؤال عن.
٧ ر: مستأنفة.
٨ ن + ذلك بأنّهم.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾

﴿ها﴾ للتنبيه، و﴿أنتم﴾ مبتدأ، و﴿أُوْلَآءِ﴾ خبرُه؛ أي: أنتم أولاء الخاطئون في موالاةِ منافقي أهل الكتاب، وقوله: ﴿تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾ بيانٌ لخطئهم في موالاتهم حيثُ يَبْذُلون محبَّتهم لأهل البغضاء.

وقيل: ﴿أُوْلَآءِ﴾ موصولٌ ﴿تُحِبُّونَهُمۡ﴾ صلتُهُ.

والواوُ في ﴿وَتُؤۡمِنُونَ﴾ للحال، وانتصابُها من ﴿لا يحبُّونكم﴾؛ أي: لا يحبونكم والحالُ أنكم تؤمنون بكتابهم كلِّه وهم مع ذلك يُبغضونكم، فما بالُكم تحبُّونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم؟

وفيه توبيخٌ شديد بأنهم في باطلهم أَصْلبُ منكم في حقِّكم، ونحوُه: ﴿فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ﴾ [النساء ٤/١٠٤].

ويوصَفُ المغتاظُ والنادمُ بعضِّ الأنامل والبنانِ والإبهام، قال الحارثُ بن ظالم المُرِّيُّ:

قوله: **(خاطئون)** أي: آثمون مذنبون، وليس معناه معنى "مُخطِئون". يقال: خطِئ، أي: أَثِم وقَصَد الذنب، أي: فعله عامدًا. وأمّا "أخطأ" فخلافُ[1] "عَمَد".[2]

قوله: **(وقيل: "هؤلاء" موصول)** هو قول الكوفيّين.[3] وفي **نسخة المُعزّي**[4] "أولاء"، وهو الصواب.

قوله: **(والواو في ﴿وَتُؤۡمِنُونَ﴾ للحال)** فيكون التقدير "وأنتم تؤمنون" لتكون الجملة اسميّة،[5] إذ لا يجوز دخول الواو في الحال إذا كان مضارعًا مثبتًا.

قوله: **(مع ذلك)** أي: مع أنكم تؤمنون.

---

١ د ن ر: خلاف.
٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «خطأ».
٣ انظر المسألة في **الإنصاف في مسائل الخلاف** لأبي البركات الأنباري، ٢/٧١٧.
٤ ن ر: المغربي.
٥ ر: اسم.

فـأَقْـتُـلُ أَقْـوامًـا لِـئَـامًـا أَذِلَّـةً   يعضُّـونَ مـن غيـظٍ رؤوسَ الأباهـم

﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ دعاءٌ عليهم بأنْ يَزْدادَ غَيْظُهم حتى يَهْلِكوا به، والمراد بزيادةِ الغيظ: زيادةُ ما يَغيظهم من قوة الإسلام وعزِّ أهله، وما لهم في ذلك من الذُّل والخِزْيِ والتَّبارِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فهو يعلمُ ما في صدورِ المنافقين من الحَنَقِ

قوله:

(فـأقـتـل[١] أقـوامًـا لـيـامًـا أذلّـةً   يَعَضُّـون مِـن غيـظ رءوسَ الأباهِـمِ)[٢]

"ليامًا" بالياء[٣] عن نسخة جار الله. وقوله:[٤] "الأباهم" أصله "الأباهيم"، فحُذف[٥] كما زِيد في قوله:[٦]

[٢٦٩ظ] تنفي يداها الحصى / في كلّ هاجرةٍ   نفيَ الدراهيم[٧] تَنقادُ الصياريفِ[٨]

زِيدت "الياء" في "الدراهم"[٩] و"الألف" في "تَنْقُد".[١٠]

قوله: (دعاءٌ عليهم بأن يزداد غيظهم) هو مِن قبيل الكناية؛ لأنّ زيادة الغيظ مستلزم للموت بالغيظ،[١١] فذُكر اللازم وأُريد الملزوم، فيكون كناية.

قوله: (مِن قوّة الإسلام) بيان (ما يَغيظهم).

قوله: (مِن الذلّ) بيان (ما).

قوله تعالى:[١٢] (﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾) هو مِن إضافة المظروف إلى الظرف،

---

١ ن ر: فأقبل.

٢ البيت للحارث بن ظالم المري في **الأغاني** للأصفهاني، ٧١/١١، وفيه: «أصول» مكان «رءوس».

٣ ن - بالياء.

٤ ن: وقولهم.

٥ ن ر: محذوف.

٦ ن ر: قولهم.

٧ ن ر: الدراهم.

٨ البيت للفرزدق في ديوانه، ٥٧٠/٢. وهو له في **كتاب سيبويه**، ٢٨/١؛ و**المسائل الحلبيّات** للفارسي، ص ١١٥؛ و**سرّ صناعة الإعراب** لابن جنّي، ٢٥/١، ٧٦٩/٢؛ و**ضرائر الشعر** لابن عصفور، ص ٣٦؛ وبلا عزو في **الصحاح** للجوهري، «صرف»، «دهم»؛ و**ما يجوز للشاعر في الضرورة** للقزّاز القيرواني، ص ٢١٣.

٩ د: الدراهيم.

١٠ ن: شد.

١١ ن - بالغيظ؛ ر: للغيظ.

١٢ ر - تعالى.

والبغضاء، وما يكونُ منهم في حالِ خلوّ بعضِهم ببعضٍ، وهو كلامٌ داخلٌ في جملةِ المقول أو خارجٌ منها.

فإن قلتَ: فكيف معناه على الوجهين؟

قلتُ: إذا كان داخلًا في جُملةِ المقول فمعناه: أخبِرْهم بما يُسرُّونه من عضِّهم الأناملَ غيْظًا إذا خَلَوا، وقل لهم: إن الله عليمٌ بما هو أَخْفَى مما تُسرُّونه بينكم وهو مضمَراتُ الصدور، فلا تظنُّوا أنَّ شيئًا من أسراركم يَخفَى عليه.

وإذا كان خارجًا فمعناه: قُل لهم ذلك يا محمد، ولا تتعجَّبْ من إطْلاعِي إيَّاك على ما يُسرُّون فإني أعلمُ ما هو أخفَى من ذلك، وهو ما أَضْمَروه في صدورهم لم يُظْهِروه بألسنتهم.

ويجوز أنْ لا يكون ثَمَّ قولٌ، وأن يكون قولُه: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ أمرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطِيبِ النفس وقوَّةِ الرَّجاء، والاستبشارِ بوعدِ الله أن يَهْلِكوا غيظًا بإعزازِ الإسلام وإذلالهم به؛ كأنَّه قيل: حدِّثْ نفسَك بذلك.

جُعل ما في الصدور صاحبَها، كقوله:

إذا قال قَدْني قلتُ بالله حلفةً لتُغنيَ عني ذا إنائك أجمعا[١]

قوله: (وهو كلام) أي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

قوله: (بما يُسرُّونه) مِن الإسرار.

قوله: (قل لهم ذلك) أي: ﴿مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾.

قوله: (وأن يكون) ليس هذا وجهًا آخرَ؛ بل هو تتمّة قوله: (ألّا يكون).

قوله:[٢] (غيظًا) مفعول له.[٣]

---

١ البيت لحُريث بن عَنّاب الطائي. ومضى بتخريجه وشرحه في سورة البقرة، ١٩/٢.

٢ ر - (ألّا يكون). قوله.

٣ ن ر - له.

﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾

"الحسنةُ": الرخاءُ والخِصْبُ، والنصرةُ والغنيمةُ، ونحوُها من المنافِع، و"السيّئةُ": ما كان ضدَّ ذلك، وهذا بيانٌ لفَرْطِ معاداتهم حيث يحسُدونهم على ما نالَهم من الخير، ويشْمَتُون بهم فيما أصَابَهم من الشدَّة.

فإن قلتَ: كيف وُصفَتِ الحسنةُ بالمسّ والسيّئةُ بالإصابة؟

قلتُ: المسُّ مستعارٌ لمعنى الإصابةِ فكان المعنى واحدًا، ألَا ترى إلى قوله: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ﴾ [التوبة ٥٠/٩] ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ [النساء ٧٩/٤] ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج ٧٠/٢٠-٢١].

﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ على عداوتهم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ ما نُهيتُم عنه من مُوالاتهم، أو ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ على تكاليف الدِّين ومَشاقِهِ ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الله في اجتنابكم محارمَه، كنتُم في كَنَف الله فـ﴿لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ﴾.

وقرئ: ﴿لا يَضِرْكم﴾ من ضارَه يَضِيرُه، و﴿يَضُرُّكُمْ﴾ على أن ضمَّة الراء

قوله: (الرَّخاء) سَعة[١] الحال. يقال: رجل رخيُّ البال، أي: واسع[٢] الحال بيِّن الرخاء، ممدودًا.[٣]

قوله: (مستعارٌ لمعنى الإصابة)[٤] وإنّما قال: "مستعار" لأنّ أصل المماسّة في الأجسام.

قوله: (فكان المعنى واحدًا) قال رضي الله عنه:[٥] وإنّما جمع المسّ والإصابة لافتنان الكلام؛ لأنّه أفصح وأحسن. قال: وقد جمع الله في كلامه[٦] الفصيح والأفصح لهذا.

---

١ ر: صفة.
٢ ر: أوسع.
٣ انظر: الصحاح للجوهري، «رخا».
٤ ر: الإضافة.
٥ د: رحمه الله.
٦ ن ر: كلام.

لإتباع ضمَّة الضاد؛ كقولك: مُدُّ يا هذا.

وروى المفضَّلُ عن عاصمٍ: "لا يضُرَّكم" بفتحِ الراء.

وهذا تعليمٌ من الله وإرشادٌ إلى أنْ يُستعانَ على كيدِ العدوِّ بالصبرِ والتقوى، وقد قالت الحكماء: إذا أردتَ أن تكبتَ مَن يحسدُك فازدَدْ فضلًا في نَفْسِك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من الصبر والتقوى وغيرهما ﴿مُحِيطٌ﴾ ففاعلٌ بكم ما أنتم أهلُه.

وقرئ بالياء بمعنى: أنَّه عالمٌ بما يَعملون في عداوتكم فمعاقِبُهم عليه.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ بالمدينة، وهو غُدُوُّهُ إلى أُحُدٍ من حجرةِ عائشةَ رضي الله عنها.

روي: أن المشركين نزلوا بأحُدٍ يوم الأَرْبعاء، فاستشار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه ودَعا عبدَ الله بنَ أبيٍّ ابنَ سَلُولَ -ولم يَدْعُه قطُّ قبلَها- فاستَشاره، فقال عبدُ الله وأكثرُ الأنصار: يا رسول الله أقِمْ بالمدينة ولا تخرجْ إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ قطُّ إلَّا أصَابَ منا، ولا دَخلَها علينا إلَّا أصَبْنا منه، فكيف وأنت فينا؟ فدعْهم فإن أقاموا أقاموا بِشَرِّ مَحْبِسٍ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورَماهم النساء والصبيان بالحجارة، وإن رجعوا رجعوا خائبين.

وقال بعضُهم: يا رسول الله أخرجْ بنا إلى هؤلاء الأَكْلُبِ لا يُرَوْن أَنا قد جَبُنَّا عنهم.

قوله: (وأنت فينا) حالٌ عامله محذوف، أي: كيف لا نصيب مِن العدوّ إذا دخل علينا وأنت فينا.

قوله: (لا يُرَون) أي: لا يَظنّون.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إني قد رأيتُ في منامي بقرًا مُذَبحَةً حَوْلِي فأوَّلْتُها خيرًا، ورأيتُ في ذُباب سيفي ثَلْمًا فأوَّلتهُ هزيمةً، ورأيتُ كأنّي أدخلْتُ يدي في دِرْعٍ حَصِينةٍ فأوَّلتُها المدينةَ، فإن رأيتُم أن تُقيموا بالمدينة وتَدَعُوهم»، فقال رجالٌ من المسلمين قد فاتَتْهم بَدْرٌ -وأكرمَهم الله بالشهادة يوم أُحد-: أُخرُج بنا إلى أعدائنا، فلم يزالوا به حتى دخل فلبسَ لَأْمَتَه، فلما رأوه قد لبس لأمَتَه نَدِموا وقالوا: بئسما صنعنا، نُشِير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحيُ يأتيه، وقالوا: اِصنَعْ يا رسول الله ما رأيتَ، فقال: «لا ينبغي لنبيٍّ أن يلبَس لأمتَه فيضَعها حتى يقاتل» فخرجَ يومَ الجمعة بعد صلاة الجمعة، وأصبح بالشِّعب من أحُدٍ يومَ السبت للنصف من شوَّال، فمشى على رجلَيْه فجعل يَصُفُّ أصحابَه للقتال كأنّما يُقَوِّمُ بهم القِدْحَ، إن رأى صدرًا خارجًا قال:

قوله: («بقرًا») أي:[١] قطيعًا مِن البقر.

قوله: («في ذُباب سيفي») ذُباب السيف: طرفه الذي يُضرَب به. وكان تأويل هذه الرؤيا ما كان هناك مِن قتل حمزةَ رضي الله عنه، لأنّه سيف الله.

قوله: («فإن رأيتم») جوابه محذوف، أي: فافعلوا، أي: فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتَدَعوهم فافعلوا.

قوله: (قد فاتتهم) صفة (رجال).

قوله: (نشير على رسول الله عليه السلام)[٢] أشار إليه باليد: أومأ. وأشار عليه بالرأي.

قوله: (بالشِّعب) الشِعب بالكسر: الطريق في الجبل.

قوله:[٣] (كأنّما يقوِّم بهم) أي: كأنّما يقوّم بصفهم، أي: بسبب أن يجعلهم صفًا، أي: يقوِّمهم[٤] تقويمَ السهم.

---

١ ن ر – أي.

٢ ن: صلّى الله عليه وسلّم.

٣ ر – (نشير على رسول الله عليه السلام) أشار إليه باليد: أومأ. وأشار عليه بالرأي. قوله: (بالشِّعب) الشِعب بالكسر: الطريق في الجبل.

٤ ن ر: يقوم.

«تأخَّرْ»، وكان نزوله في عُدْوةِ الوادي، وجعل ظهرَه وعسكرَه إلى أحُدٍ، وأمَّرَ عبدَ الله بن جبيرٍ على الرُّمَاة وقال لهم: «انضَحُوا عنَّا بالنَّبل لا يأتونا مِن ورائنا».

﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: تُنْزِلهم. وقرأ عبد الله: "للمؤمنين" بمعنى: تُسَوِّي لهم وتُهَيِّئُ.

﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾: مواطنَ ومواقفَ، وقد اتُّسِع في قعد ....

قوله: (عبد الله بن جبير) بن نعمان الأنصاري شهد العقبة ثمّ شهد بدرًا ثم قتل في أُحد وكان يومئذٍ أميرًا على الرُّماة. والجُبَير بضم الجيم وفتح الباء. مِن جامع الأصول.[١]

قوله: («انضحوا»)[٢] نَضَح الرجل عن نفسه إذا دَفع عنها بحجّة.

قوله: (وقرأ عبد الله)،[٣] أي: ابن مسعود.

قوله تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ يقال: "بوّأنا فلانًا منزلًا" فهو متعدّ إلى مفعولين، قال تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت ٥٨/٢٩]. فالمفعول الأوّل ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والثاني ﴿مَقَٰعِدَ﴾، وكذا في الآية المستشهد بها المفعولُ الأوّل[٤] الضمير المنصوب والثاني ﴿غُرَفًا﴾. وقال أبو عليّ الفارسي: ﴿تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [يونس ٨٧/١٠] فعل متعدّ إلى مفعولين مثل "بوّأ"، واللام في ﴿لِقَوْمِكُمَا﴾ كالتي في قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل ٧٢/٢٧]، ويقوّي ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج ٢٦/٢٢].[٥] وهذا الكلام لأبي[٦] عليّ[٧] يدلّ على أنّ اللام في "للمُؤمِنينَ"[٨] زائدة. وظاهر كلام المصنِّف على تضمين معنى التسوية.

قوله: (وقد اتُّسع) يريد أنّه ليس المراد / بالمقاعد مواضع القعود الذي هو ضدّ القيام؛ بل المراد الموطن. [٢٧٠و]

---

١ انظر: جامع الأصول لابن الأثير، ٥٦٦/١٢.

٢ ر + على. | بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ١٠/٦ (آل عمران، ١٢١/٣)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٩٧/٢ (آل عمران، ١٢١/٣).

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٦٠٨.

٤ ن ر - ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والثاني ﴿مَقَٰعِدَ﴾ وكذا في الآية المستشهد بها. المفعول الأوّل.

٥ انظر: الحجّة للفارسي، ٣٠٩/٤.

٦ ن ر: الذي.

٧ ر - عليّ.

٨ أي: في قراءة ابن مسعود.

وقام حتّى أُجْرِيَا مُجرى صارَ، واستُعمل المَقْعَدُ والمقامُ في معنى المكان، ومنه قولُه تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر ٥٤/٥٥] ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل ٢٧/٣٩]: من مَجْلسك وموضعِ حُكمك.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتكم وضمائركم.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿إِذْ هَمَّت﴾ بدلٌ من ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾ أو عمِل فيه معنَى ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

و"الطائفتان": حَيَّان من الأنصار: بنو سَلِمَة من الخزرَج، وبنو حارِثَة من الأَوْس، وهما الجناحَان، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أَلْفٍ -وقيل: في تسع مئةٍ وخمسين- والمشركون في ثلاثةِ آلافٍ، ووعَدَهم الفتحَ إن صبروا، فانخزل عبدُ الله بنُ أُبيّ بثُلُث الناس، وقال: يا قوم! عَلَامَ نَقتلُ أنفُسَنا وأولادَنا؟ فتبعَهم عمرو بن حزم الأنصاريُّ، ....

قوله: (حتّى أُجريا مُجرى "صار") قال تعالى: ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء ١٧/٢٢].

قوله:[١] (﴿مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل ٢٧/٣٩]) الخطاب لسليمان عليه السلام.

قوله: (أو عَمِل فيه معنى ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾) قال معنى ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢] ولم يقل عَمِل فيه ﴿سَمِيعٌ﴾ أو[٣] ﴿عَلِيمٌ﴾ مثلًا، لأنّ المعنى "سمع وعلم وقت ذلك"، وإنّما قدّر ذلك[٤] لأنّ ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ صفة مشبّهة دالّة على الاستمرار، فلا تُقيّد بوقت مخصوص.

قوله: (وهما الجناحان) أي: جانبان[٥] مِن العسكر.

قوله: (فانخزل) أي: انقطع.

قوله: (فتبِعهم[٦] عمرو بن حَزْم) ويدعوهم ليرجِعوا.

---

١ ن ر – (حتّى أُجريا مجرى صار) قال تعالى: ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾. قوله.
٢ ر – قال معنى ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.
٣ ن – أو.
٤ ر: كذلك.
٥ ن: الجانبان.
٦ ن: فنفعهم.

فقال: أَنْشُدكُم الله في نبيّكم وأنفسِكم، فقال عبدُ الله: لو نعلمُ قِتالًا لاتَّبَعْناكم، فَهَمَّ الحَيَّان باتِّباع عبدِ الله، فعصَمهم اللهُ فمضَوْا معَ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «أَضْمَروا أن يَرجعوا، فعزَمَ اللهُ لهم على الرشدِ فثبتوا».

والظاهرُ أنها ما كانت إلَّا هَمَّةً وحديثَ نَفْسٍ، كما لا تخلو النفسُ عند الشدَّة من بعضِ الهلَع ثم يردُّها صاحبُها إلى الثَّبات والصَّبر ويُوطِّنُها على احتمالِ المكروه؛ كما قال عمرُو بن الإطْنابةِ:

قوله: **(فقال)** أي: عمرو بن حَزْم.

قوله: **(فقال عبد الله)** أي: عبد الله بن أُبيّ.

قوله: **(أنشدُكم الله تعالى)**[1] «يقال:[2] نشَدتُ فلانًا أنشُده نَشْدًا إذا قلتَ له: نشَدتُك الله، أي: سألتُك بالله. كأنّك ذكّرته إيّاه».[3]

قوله: **(لو نعلم قتالًا)** أي: ما هذا بقتال، وإنّما هو[4] إلقاء النفس إلى التهلُكة.

قوله: **(فعزم الله تعالى[5] لهم على الرُّشد)** أي: عزم الله على الرُّشد لأجلهم، أي: أمرهم وألهمهم وأرشدهم، كأنّه قال:[6] "جعلهم عازمين"، واللام للتعدية هنا. ولا يجوز أن يكون المراد[7] بقوله: "عزم الله لهم" نسبةَ العزم إلى الله تعالى؛ لأنّه لا يقال: "عزم الله" لأنّ العزم جَزْم الإرادةِ بعد التردُّد، وهو على الله تعالى[8] محال.

قوله: **(وكما لا تخلو النفس)** أي: ما كانت إلّا مثل عدمِ خلوّ النفس، يعني مثل أن تتّصف النفس بالهلع ثمّ يردّها صاحبها إلى الثبات،[9] كما أشار الشاعر

---

[1] د - تعالى.
[2] ر - يقال.
[3] **الصحاح** للجوهري، «نشد».
[4] ر - هو.
[5] د - تعالى.
[6] ر - قال.
[7] ر + هنا.
[8] د - تعالى.
[9] ن: الشباب.

أَقُـولُ لـها إذا جَـشَـأَتْ وجاشَتْ مكـانَـكِ تُـحْـمَـدِي أو تَـسْتَريحي

حتّى قال معاويةُ: عليكم بحفظ الشِّعْر فقد كدْتُ أَضَعُ رِجْلي في الركاب يومَ صِفِّينَ، فما ثَبَّتَ مني إلّا قولُ عمرو بن الإِطْنابة.

ولو كانت عزيمةً لَمَا ثبتت معها الولايَةُ، والله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

ويجوز أن يراد: واللهُ ناصرُهما ومتولِّي أمرِهما، فما لهما تفشلان ولا تتوكّلان عليه؟

فإن قلتَ: ما معنى ما رُوِيَ من قول بعضهم عند نزول الآية: ....

بهذا المعنى بقوله: (أقول لها)... البيت.[١]

ثمّ حقّق المصنّف أنّ قول الشاعر إشارةٌ إلى هذا المعنى بقوله: (حتّى[٢] قال معاوية).[٣] والهَلَع: الجُبن[٤] وأفحَشُ[٥] الجَزَع. وقوله: "أقول لها" يخاطب نفسه. وقوله: (إذا جشأت وجاشَت)[٦] «جشأتْ نفسي جُشوءًا إذا نهضتْ إليك وجاشَتْ مِن حزن أو فَزَع».[٧] «وجاشت نفسي، أي: غثَت. ويقال: دارت للغثيان».[٨]

قولـه: (يـوم صفّيـن)[٩] صفّيـن: موضـع كانـت بـه وقعـة معاويـة مـع عليّ رضـي الله عنهمـا.[١٠]

قوله: (ولو كانت عزيمة) أي: قَصْدًا جزمًا.

قوله: (ويجوز أن يُراد) فيكون عزيمة.

قوله: (فإن قلتَ: فما[١١] معنى؟) السؤال متعلّق بالوجه الثاني، وهو قوله:[١٢]

---

١ البيت لعمرو بن الإطنابة في الوحشيّات لأبي تمّام، ص ٧٧؛ وحماسة البحتري، ص ٣٩، والأشباه والنظائر للخالديين، ١/١٨، ومعجم الشعراء للمرزباني، ص ٢٠٤، وديوان المعاني للعسكري، ١/١١٤، ومجمع الأمثال للميداني، ٢/٨٧، والرواية فيها جميعًا: «وقولي كلّما» مكان «أقول لها».

٢ ن ر – حتى.

٣ ر + الهلع.

٤ ر – الجبن.

٥ ن ر: أفحش.

٦ ن ر – وجاشت.

٧ ن: أقرع. | الصحاح للجوهري، «جشأ».

٨ الصحاح للجوهري، «جيش».

٩ ما وقفتُ عليه في مظانّه السابقة على الكشّاف. وهو في مجالس ثعلب، ١/٦٦.

١٠ د – رضي الله عنهما.

١١ ن ر + قوله.

١٢ ر – قوله.

واللهِ ما يَسُرُّنا أَنَّا لم نَهُمَّ بالذي هَمَمْنَا به وقد أَخْبرنا اللهُ بأنَّه وليُّنا.

قلتُ: معنى ذلك: فَرْطُ الاستبشَارِ بما حصَل لهم من الشَّرفِ بِثَناءِ اللهِ وإنزاله فيهم آيةً ناطقةً بصحَّة الولايةِ، وأَنَّ تلك الهَمَّةَ غيرَ المأخوذِ بها لأنها لم تكن عن عزيمةٍ وتصميمٍ كانت سببًا لنزولها.

والفَشَلُ: الجُبْنُ والخَورُ.

وقرأ عبد الله: "والله وليُّهم"؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ [الحجرات ٩/٤٩].

أمَرَهم بأنْ لا يتوكَّلوا إلَّا عليه، ولا يفوِّضوا أمورهم إلَّا إليه، ثم ذكَّرهم ما يوجب عليهم التوكُّلَ ممّا يَسَّرَ لهم من الفتح يومَ بدرٍ وهم في حالةِ قلَّةٍ وذلَّة.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

و"الأَذِلَّةُ": جمعُ قِلَّة، والذُّلَّانُ: جمعُ الكثرة.

وجاء بجمع القلَّة ليدلَّ على أنهم على ذلَّتهم كانوا قليلًا:

وذلَّتُهم: ما كان بهم من ضَعْفِ الحال وقلَّةِ السلاح والمال والمركوب، وذلك أنهم خرجوا على النواضح يَعتَقِبُ النَّفَرُ منهم على البعير الواحد،

"ويجوز[١] أن يراد"... إلخ. فيه نظرٌ.

قوله: (غيرَ المأخوذ) بدلٌ مِن **(تلك الهمّة)**، أو نصب على الحال. ولا يجوز أن يكون صفة "تلك"؛ لأنّه لا يوصف اسم الإشارة إلّا بذي اللام.

قوله: (التوكُّل) أي: عليه.

قوله: (ممّا[٢] يسّر)،[٣] أي: الله.

قوله: (ما كان) أي: الذي كان.

قوله: (على النواضح) أي: النُّوق.

---

١ ن ر: ما يجوز.
٢ ن ر: ما.
٣ ن ر: بشر.

وما كان معهم إلّا فرسٌ واحدٌ.

وقلّتُهم: أنهم كانوا ثلاث مئة وبِضْعةَ عشر، وكان عدوُّهم في حالِ كَثْرةٍ زُهَاءَ ألفِ مُقاتلٍ، ومعهم مئة فرس، والشِّكَّةُ والشَّوْكةُ.

وبدر: اسمُ ماءٍ بين مكّة والمدينةِ كان لرجلٍ يسمّى بدرًا فسُمِّي به.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الثبات مع رسوله.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ بتقواكم ما أنعمَ به عليكم من نُصرتهِ، أو: لعلكم يُنْعِمُ الله عليكم نِعمةً أخرى تشكرونها، فوُضع الشكر موضعَ الإنعام لأنّه سبَبٌ له.

﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾

﴿إِذۡ تَقُولُ﴾ ظرفٌ لـ﴿نَصَرَكُمُ﴾ على أن يقولَ لهم ذلك يومَ بدر، أو بدلٌ ثانٍ من ﴿إِذۡ غَدَوۡتَ﴾ على أنْ يقوله لهم يومَ أُحُدٍ.

فإن قلتَ: كيف يصحُّ أن يقوله لهم يومَ أُحُدٍ ولم تنزل فيه الملائكةُ؟

قلتُ: قاله لهم مع اشتراطِ الصبر والتقوى عليهم، ....

قوله: (إلّا فرسٌ) كان الفرس[١] لمقداد بن الأسود.

قوله: (زهاءَ ألفِ[٢] مقاتل) أي: قَدْرَ ألف. وفي بعض النُّسخ "ألفِ مُقاتل".[٣]

قوله: (والشِّكّة والشَّوكة) الشَّوكة:[٤] شدّة البأس والحدّ في السلاح. والشِّكّة بالكسر: السلاح.

قوله: (مِن نُصرته) بيان (ما) أي: مِن نُصرة الله تعالى إيّاكم.

قوله:[٥] (أو بدل ثانٍ) والأوّل ﴿إِذۡ هَمَّت﴾.

---

[١] ر: الأفراس.
[٢] ن ر: الألف.
[٣] ر – مقاتل.
[٤] ن ر – الشوكة.
[٥] ر: وقوله.

فلم يصبروا عن الغنائم، ولم يتّقوا حيثُ خالفوا أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلذلك لم تنزل الملائكةُ، ولو تَمُّوا على ما شَرَط عليهم لنزلت، وإنَّما قُدِّم لهم الوعدُ بنزول الملائكة لتقوَى قلوبُهم ويَعزموا على الثبات ويَثِقُوا بنصر الله.

ومعنى ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ إنكارُ أن لا يكفيَهم الإمْدادُ بثلاثةِ آلافٍ من الملائكة، وإنما جيءَ بـ"لن" -الذي هو لتأكيدِ النفي- للإشعار بأنهم كانوا لقلّتهم وضعفِهم وكثرةِ عدوِّهم وشَوْكتهِ كالآيسين من النَّصْر.

و﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجابٌ لِمَا بعد "لن" يعني: بلَى يكفيكم الإمْدادُ بهم، فأوجبَ الكفايةَ ثمَّ قال: ﴿إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ يُمدِدْكم بأكثرَ من ذلك العدد مُسوِّمين للقتال.

﴿وَيَأْتُوكُم﴾ يعني: المشركين ﴿مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ من قولك: قَفَلَ من غَزْوَته وخرجَ من فَوْره إلى غَزْوةٍ أخرى، وجاء فلانٌ ورجع من فوره، ومنه قولُ أبي حنيفة رحمه الله: ....

قوله: (فلم يصبروا عن الغنائم) هم عبد الله بن جُبير مع الرُّماة. أخلَّ الرُّماة بالموقف / الذي أمرهم بلزومه، واشتغلوا بأخذ غنائم الكفّار، فأتى النبيَّ عليه [٢٧٠ظ]
السلام[١] وأصحابَه الكفّارُ مِن خلفهم، فلذلك لم تنزل الملائكة، (ولو تمّوا على ما شُرط عليهم لنزلت).[٢]

قوله: "ولو تمّوا"، أي: استمروا[٣] ومضَوا.[٤] تمّ على الأمر، أي: استمرّ عليه. قال عليه السلام: «تِمّ على صومك»،[٥] أي: أمضه، أي: لو تمّوا ثابتين مستقرّين على ما شُرط. وحاصل المعنى "لو ثبتوا على ذلك". وإنّما عَدَل إلى هذه العبارة إشارةً إلى أن مَن لم يثبت على الشرط ليس بتمام؛ بل هو ناقص.

قوله: (﴿مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾) ﴿هَٰذَا﴾ صفة ﴿فَوْرِهِمْ﴾.

---

١ ن: صلّى الله عليه وسلّم؛ ر - عليه السلام.
٢ ن: لتركت.
٣ ن ر - استمروا.
٤ ن ر: مضوا.
٥ نصب الراية للزيلعي، ٤٤٥/٢. وهو بمعناه في صحيح البخاري، ٣١/٣ (١٩٣٣).

الأمرُ على الفور لا على التراخي، وهو مصدر من: فارت القِدرُ: إذا غلَتْ، فاستُعير للسُّرعة ثم سمِّيت به الحالةُ التي لا ريثَ فيها ولا تعريجَ على شيء من صاحبها، فقيل: خرج من فوره؛ كما تقول: خرج من ساعته لم يَلبَثْ.

والمعنى: أنهم إنْ يأتوكم من ساعتِهم هذه ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم﴾ بالملائكة في حالِ إتيانهم لا يتأخَّرُ نزولُهم عن إتيانهم، يريد: أن الله يعجِّل نُصرتكم ويُيَسِّرُ فتحَكم إن صبرتُم واتَّقيتُم.

وقرئ: ﴿منزَّلين﴾ بالتشديد، و: "مُنزِلين" بكسر الزاي، بمعنى: مُنزلينَ النصرَ.

و﴿مُسوِّمين﴾ بفتح الواو وكسرها، بمعنى: مُعْلَمين، ومُعْلِمين أنفسَهم أو خَيْلَهم.

قال الكلبيُّ: مُعْلَمين بعمائمَ صُفْرٍ مُرخاةٍ على أكتافِهم.

وعن الضحَّاك: مُعْلَمين بالصوف الأبيض في نواصي الدوابِّ وأَذْنابها.

وعن مجاهد: مَجْزُوزَةً أذنابُ خيلهم.

قوله: **(الأمر على[1] الفور)** أي: محمول على الفور.

قوله: **(لا ريثَ[2] فيها)** أي: لا مُكثَ[3] ولا بطءَ. «راث عليّ خبرك يريث ريثًا، أي: أبطأ. وفي المثل 'ربّ عجلةٍ وهبت ريثًا'. ويُروى 'تهَب ريثًا'،[4] والمعنى واحد مِن الهِبة».[5] وقوله: **(ولا تعريج على شيء مِن صاحبها)** التعريج على الشيء: الإقامة عليه. "مِن صاحبها" متعلّق بـ"تعريج".

قوله: **(مرخاة)**،[6] أي: مسدولة.

قوله: **(مَجزوزةٌ)**[7] الجزّ: القطع.

---

١ ن ر - بل هو ناقص. قوله: ﴿مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾ ﴿هَٰذَا﴾ صفة ﴿فَوۡرِهِمۡ﴾. قوله: (الأمر على.

٢ ن: ريب.

٣ ر - لا مكث.

٤ **مجمع الأمثال** للميداني، ٢٩٤/١.

٥ **الصحاح** للجوهري، «ريث».

٦ **معالم التنزيل** للبغوي، ١٠١/٢ (آل عمران، ١٢٥/٣).

٧ **جامع البيان** للطبري، ٣٤/٦ (آل عمران، ١٢٥/٣).

وعن قتادةَ: كانوا على خيلٍ بُلقٍ.

وعن عُروةَ بن الزبير: كانَت عِمامةُ الزُّبير يومَ بدرٍ صفراءَ فنزلتِ الملائكةُ كذلك.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه: «تسوَّموا فإنَّ الملائكةَ قد تسوَّمَتْ».

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ١٢٦﴾

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ الهاء لـ**﴿أَن يُمِدَّكُمْ﴾**؛ أي: وما جعلَ الله إِمْدادَكم بالملائكة إلَّا بشارةً لكم بأنكم تُنصرون.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ كما كانت السَّكِينةُ لبني إسرائيل بشارةً بالنصر وطمأنينةً لقلوبهم.

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لا مِن عند المُقاتِلة إذا تكاثَروا، ولا من عند الملائكةِ والسَّكينة، ولكنَّ ذلك مما يقوِّي به اللهُ رجاءَ النُّصرة والطمعَ في الرحمة، ويَرْبِطُ به على قلوب المجاهدين.

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: الذي لا يُغالَب في حكمه.

﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ الذي يُعطِي النصرَ ويمنعُه لِمَا يَرَى من المصلحة.

قوله: (لا مِن عند[1] المقاتِلة) إن كان عطفًا على "مِن عند" فهو تركيب غير صحيح، مثل "ما جاء إلّا زيد لا عمرٌو"، وإن كان[2] عطف جملة على جملة، أي: "ليس النصر مِن عند المقاتِلة" فصحيحٌ.

قوله:[3] (إذا تكاثر) أُعمل[4] فيه معنى الفعل في "مِن عند".

---

[1] ر – عند.

[2] ن ر – عطفًا على "مِن عند" فهو تركيب غير صحيح مثل "ما جاء إلّا زيد لا عمرو"، وإن كان.

[3] ن – قوله.

[4] ن: على.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: ليُهلك طائفةً منهم بالقَتْل والأَسْر، وهو ما كان يومَ بدر من قَتْلِ سَبْعين وأَسْر سبعين من رؤساء قريشٍ وصناديدهم.

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: أو يُخزيَهم ويَغيظَهم بالهزيمة.

﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾ غيرَ ظافرين بمبتغاهم، ونحوُه: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ [الأحزاب ٣٣/٢٥]، ويقال: كَبَتَه بمعنى: كَبَده، إذا ضرب كبِدَه بالغيظ والحُرقة.

وقيل في قول أبي الطَّيِّب:

لأَكْبِتَ حاسدًا وأَرِي عدوًّا

قوله تعالى: (﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾) وتخصيص القطع بالطرف مِن حيث إنّ الأطراف مِن الشيء تتوصّل إلى توهينه وإزالته، وعلى ذلك قال: ﴿نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد ١٣/٤١]، وقال: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة ٩/١٢٣]. وقيل: بأطراف أعيانهم.

قوله: (سبعين) أي: مِن الكفّار.

قوله: (بالهزيمة) الباء في "بالهزيمة" متعلّق بـ(يُخزيهم أو يغيظهم).

قوله: (ويقال: كَبَته)... إلخ، قال الواحدي في **الوسيط**: الكَبْت في اللغة: صَرْع الشيء على وجهه. يقال: كبتّه فانكبت. ثمّ[1] يُذكَر والمرادُ به الإخزاء والإهلاك واللعن والهزيمة والإذلال، وكلّ ذلك ذَكَره المفسّرون.[2] وأنا أقول: قول صاحب **الوسيط** يدلّ على أنّ ما قاله المصنّف بطريق المجاز؛ لأنّ صَرْع الشيء على الوجه مستلزم للخزي والغيظ.

قوله:

(لأكبِتَ[3] حاسدًا وأَرِي عدوًّا)

---

[1] ن ر – الوسيط: الكبت في اللغة: صرع الشيء على وجهه. يقال: كبتّه فانكبت، ثم.

[2] انظر: **الوسيط** للواحدي، ١/٤٩٠ (آل عمران، ٣/١٢٧).

[3] ن ر: لا كنت.

هو من الكَبِد والرِّئةِ.

واللام متعلِّقةٌ بقوله: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أو بقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٢٨﴾

تمامه:

كأنّهما وداعُك والرحيلُ[١]

أوّله:

رُويدَك أيّها المَلِك الجليلُ[٢] تأنَّ[٣] وعُدَّه ممّا تُنيلُ
وَجُودك بالمقام ولو قليلًا فما فيما تجود به قليلُ[٤]

قوله: "رُويدَك" يخاطب الممدوح وقتَ الرحلة والمفارقة ويقول: أَرْوِدْ إروادًا، أي: أَمهِل في هذه المفارقة، وتأنَّ فيها، وعُدّ إمهالَك وتَرْكَ معاجلتك مِن جملة إنعامك وإحسانك وعطاياك. فقوله: "تأنَّ" أمرٌ مِن "تأنّى[٥] يتأنّى". والضمير[٦] مِن "عُدَّه" يعود إلى التأنّي لدلالة[٧] "تأنَّ" عليه، أي: جُدْ بالمقام جُودَك لأكبِتَ[٨] مَن يحسدني قربَك. ثمّ شبّه الحاسد والعدوّ[٩] بوداعه وارتحاله[١٠] لأنّهما يُوجعانه. وقوله: فما فيما تجود... إلخ، أي: ليس فيما تجود به شيءٌ قليل، أي: جميع ما تجود به كثيرٌ. وقوله: "وأَري"[١١] بياء خالصة.

قوله: (واللام) في ﴿لِيَقۡطَعَ﴾.

---

[١] ر: الرحيل. | البيت لأبي الطيّب في ديوانه، ص ٢٥٢. ونقل ابن جنّي في الفسر، ٢/٦٦٣، عن صاحبه المتنبي تفسير هذا البيت، فقال: «سألته وقت القراءة عن معنى هذا البيت، فقال: "أَري" من الوري وهو داء في الجوف. قال: وشبّهت الحاسد والعدوّ بالرحيل والوداع لقبحهما عندي، وإنّني أُبغضهما كما أُبغض الوداع والرحيل».

[٢] ن: الخليل.

[٣] ن: بأنَّ.

[٤] في ديوان المتنبّي، ص ٢٥١-٢٥٢.

[٥] ن: يتأنى.

[٦] ر + في.

[٧] ن: لدلالته.

[٨] ن ر: لا كنت.

[٩] ن: العدو.

[١٠] ن ر: والحالة.

[١١] ن ر – وأري.

﴿أَوۡ يَتُوبَ﴾ عطفٌ على ما قبله، و﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ اعتراضٌ، والمعنى: أن الله مالكُ أمرِهم، فإما أن يُهلكَهم، أو يهْزِمَهم، أو يتوبَ عليهم إن أسلموا، أو يعذِّبَهم إن أصرُّوا على الكُفر، وليس لك من أمرهم شيءٌ إنما أنت عَبْدٌ مَبْعوثٌ لإنذارهم ومجاهَدتهم.

وقيل: إنَّ ﴿يَتُوبَ﴾ منصوبٌ بإضمارِ "أنْ"، و"أنْ يتوبَ" في حكم اسمٍ معطوفٍ بـ"أَوْ" على ﴿ٱلۡأَمۡرِ﴾ أو على ﴿شَيۡءٌ﴾؛ أي: ليس لك من أمرِهم شيءٌ، أو من التوبةِ عليهم، أو من تعذيبِهم. أو: ليس لك من أمرهم شيءٌ، أو التوبةُ عليهم، أو تعذيبُهم.

وقيل: ﴿أَوۡ﴾ بمعنى: «إلّا أَنْ» كقولك: «لألْزمنَّك أو تُعطيَني حَقِّي»، على معنى: ليس لك من أمرهم شيءٌ إلّا أن يتوب الله عليهم فتفرحَ بحالهم أو يعذِّبهم فتتشفَّى منهم.

وقيل: شَجَّهُ عُتبةُ بن أبي وقَّاصٍ يومَ أحُدٍ وكسر رَبَاعِيَتَه، ....

قوله:[١] (﴿أَوۡ يَتُوبَ﴾) عطف على ما قبله يعني ﴿لِيَقۡطَعَ﴾.

[٢٧١و] قوله: / (أي: ليس لك)... إلخ، على تقدير العطف على ﴿ٱلۡأَمۡرِ﴾.

قوله: (أو ليس لك)... إلخ، هذا على تقدير العطف على[٢] ﴿شَيۡءٌ﴾.

قوله: (فتتشفّى منهم) يقال: تشفّيتُ مِن غيظي.

قوله: (شجّه عتبة بن[٣] أبي[٤] وقّاص) أي: شجّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم.[٥] ذكر بعد ذلك بورقتين "رمى عبد الله بن قميئة الحارثيّ رسول الله[٦] بحجر فكسر رباعيته وشجّ وجهه"، وذكر هنا أنّه فعل ذلك عتبة.[٧] ففيه وجهان.[٨]

---

١ د – واللام في ﴿لِيَقۡطَعَ﴾. قوله. | وهو تعليق في هامش د.

٢ ر + قوله.

٣ ن: أبي.

٤ ن: ابن.

٥ د: عليه السلام.

٦ ن ر – ذكر بعد ذلك بورقتين "رمى عبد الله بن قميئة الحارثيّ رسول الله.

٧ سيذكره عند تفسير آل عمران، ١٤٣/٣.

٨ والوجهان مذكوران في الكشف والبيان للثعلبي، ٢٣٩/٩ (آل عمران، ١٢٨/٣).

فجعل يَمْسَحُ الدَّم عن وجهه وسالمٌ مولى أبي حُذيْفةَ يغسِل عن وجهه الدمَ وهو يقول: «كيف يُفلح قومٌ خضَبوا وجهَ نبيِّهم بالدَّم وهو يدعُوهم إلى ربِّهم»، فنزلت.

وقيل: أراد أن يدعُوَ عليهم فنهاه الله تعالى لعِلْمِه أن فيهم مَن يؤمِنُ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٢٩﴾

وعن الحسن رحمه الله: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ بالتوبة، ولا يشاء أن يغفر إلَّا للتَّائبين، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ ولا يشاءُ أن يعذِّب إلا المستوجِبين للعذاب.

قوله: (فجعل) أي: النبيّ عليه السلام.[1] وقوله:[2] (وهو يقول) أي: الرسول.

قوله: («كيف يُفلِح») المراد به الدعاء على طريق المبالغة. وأصل هذا التركيب "لا يفلحوا" مجزومًا. ثمّ عَدَل منه إلى "لا يفلحون" بطريق[3] الإخبار عن عدم فلاحهم، فكأنّه وقع فهو يخبر[4] عنه، ثمّ عَدَل عنه[5] إلى "كيف يفلحون" لزيادة المبالغة في عدم فلاحهم، فكأنّ فلاحهم أمر مستحيل.

قوله: («وهو يدعوهم»)[6] حال.

قوله: (فنزلت) أي: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

قوله:[7] (عن الحسن)... إلخ، إنّما فسّر الحسن[8] بذلك لأنّ الآية في الكفّار وأمّا المؤمنون فيغفر لمن يشاء بلا توبة.

---

[1] ر – عليه السلام.

[2] ن – عليه السلام وقوله.

[3] ر – المبالغة. وأصل هذا التركيب "لا يفلحوا" مجزومًا ثمّ عدل منه إلى "لا يفلحون" بطريق.

[4] ن: مخبر.

[5] ن – ثمّ عدل عنه.

[6] بلفظ قريب في صحيح البخاري، ٩٩/٥ (في ترجمة الباب)؛ وصحيح مسلم، ١٤١٧/٣ (١٧٩١)، وجامع البيان للطبري، ٤٣/٦ (آل عمران، ١٢٨/٣).

[7] ن ر – (فنزلت) أي: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. قوله.

[8] ما وقفت على قوله فيما سبق الكشّاف من المظانّ.

وعن عطاءٍ: يغفر لمن يتوبُ إليه ويعذِّب مَن لَقِيَه ظالمًا.

وإتْباعُه قولَه: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ تفسير بيِّنٌ لـ﴿مَن يَشَآءُ﴾ وأنّهم المتوبُ عليهم أو الظالمون؛ ولكنَّ أهل الأهْواء والبِدَع يتصامُّون ويتعامَوْن عن آيات الله، فيَخْبِطون خَبْطَ عشواءَ، ويُطيِّبون أنفسَهم بما يَفترُون على ابن عباس رضي الله عنه من قولهم: يَهَبُ الذَّنْبَ الكبير لمن يشاء ويعذِّب مَن يشاء على الذنب الصغير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٣٠﴾

﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ نهيٌ عن الربا ....

قوله: (وإتباعُه) أي: إتباع لله[١] تعالى.[٢] وقوله: (﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾) مفعول أوّل، وقوله:[٣] (﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾) مفعول ثانٍ، يعني: لمّا ذَكَر الله تعالى قوله: ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ بعد قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ عَلَم[٤] أنّه ما المراد بقوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾، فإنّه لمّا جعل تعالى قوله:[٥] ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قسيمًا لقوله: ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ دلّ على أنّ مَن لم يتب يُعذَّب البتّة.

قوله: (وأنّهم) عطف على (مَن) مِن حيث المعنى، أي: وموضح أنّ ﴿مَن يَشَآءُ﴾ هم المَتوب[٦] عليهم أو الظالمون، فيكون غير التائبين معذَّبين.

قوله: (ولكنّ أهل الأهواء)... إلخ، هذا الذي ذَكَره حسن، لكن لا يتعلّق بمذهب أهل السنّة، لأنّ الآية في حقّ الكافرين، ولا[٧] نزاعَ[٨] في أنّ الكافر[٩] لا يُغفَر[١٠] مِن غير توبة ورجوع عن كفره.[١١]

قوله تعالى: (﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾)[١٢] ﴿أَضْعَٰفًا﴾ حال مِن ﴿ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾، و﴿مُّضَٰعَفَةً﴾

---

١ ر: الله.
٢ ن + قوله.
٣ ن + لو بعدهم مفعول أول وقوله.
٤ ن: على.
٥ ن - قوله.
٦ ن ر: التوب.
٧ ر - ولا.
٨ ر: والأنواع.
٩ ن ر: الكافرين.
١٠ ر + لهم.
١١ ر: كفرهم.
١٢ ن + من.

مع توبيخٍ بما كانوا عليه من تضعيفه؛ كانَ الرجل منهم إذا بلغ الدَّينُ مَحِلَّه زاد في الأَجَل فاستغرقَ بالشيء الطَّفيفِ مالَ المديُون.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ كان أبو حنيفة رحمه الله يقولُ: هي أخوفُ آيةٍ في القرآن، حيث أَوْعَدَ الله المؤمنين بالنار المعدَّة للكافرين إن لم يتَّقوه في اجتناب محارمه.

وقد أَمَدَّ ذلك بما أَتْبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفُّرهم على طاعته وطاعةِ رسوله صلى الله عليه وسلم، ومَن تأمَّل هذه الآيات وأمثالَها لم يحدِّث نفسه بالأطماع الفارغة والتمنِّي على الله.

وفي ذكره تعالى "لعلَّ" و"عسى" في نحو هذه المواضع -وإن قال الناس ما قالوا- ....

صفة ﴿أَضۡعَٰفٗا﴾، فيكون معنى ﴿أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ﴾ ستةَ أمثال الشيء؛ لأنّ الأضعاف ثلاثة الأمثال، فإذا ضُوعِفت تصير ستةَ أمثال، هذا هو[1] معناها اللغويّ، والمراد هنا الكثرة.[2] وعلى قول مَن يقول: "ضِعف الشيء: مثلاه، وضعفاه: ثلاثة أمثاله، وثلاثة أضعافه: أربعة أمثاله" يكون معنى ﴿أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ﴾ ثمانية أمثاله، هذا أيضًا بحسب اللغة، والمراد هنا الكثرة كما ذكرنا.

قوله: (مع توبيخ) إشارة إلى أنّ الآية وردت لتوبيخهم على فعلهم مع نهيهم عن الربا، فإنّهم لمّا كانوا يُبالغون في أخذ الزيادات في الربا ذكر فعلهم الشنيع ووبّخهم على ذلك، وإلّا فالربا حرام وإن كان[3] شيئًا قليلًا.

قوله: (بما أَتبعه) أي: بما أَتبَعه إيّاه فحذف المفعول الثاني وهو عائد إلى ذلك.

قوله: (وإن قال الناس ما قالوا)[4] مِن ذِكر رحمة الله تعالى[5] وفضله وأنّ[6] الله

---

[1] ر – هو.
[2] ن: الكثر.
[3] ن: كانت.
[4] ن ر: قالوه.
[5] د ر – تعالى.
[6] ن ر: أنّ.

ما لا يخفى على العارِف الفَطِن من دقَّة مَسْلكِ التقوى وصُعوبةِ إصابة رِضا الله وعِزَّةِ التوصُّل إلى رحمته وثوابه.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

في مصاحف أهل المدينة والشام: ﴿سَارِعُوا﴾ بغيرِ واوٍ، وقرأ الباقون بالواو، وتَنصرُه قراءةُ أبيّ وعبد الله: "وسابقوا".

ومعنى المسارعةِ إلى المغفرة والجنَّة: الإقبالُ على ما تُستحقَّان به.

﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: عرضُها عرضُ السماوات والأرض؛ كقوله: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد ٢١/٥٧]، والمراد وصفُها بالسَّعة والبَسْطة، فشُبِّهت بأوسعِ ما عَلِمه الناس من خَلْقه وأَبْسطِه، ....

يغفر مِن غير[١] توبة، يعني: كما يقوله أهل السنّة. وقوله: **(ما لا يخفى)** مبتدأ وخبره **(في ذِكره تعالى)** مقدّمًا عليه.

[٢٧١ظ] قوله: / **(وصعوبةِ إصابة رضا الله)** جلّ جَناب الحقّ عن أن يكون شريعة لكلّ وارد وأن يصِل إليه إلّا واحد بعد واحد.

قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ أي: سارعوا الناسَ، مفعوله محذوف.

قوله: **(على ما تُستحقّان به)** الضمير في "تستحقان" يعود إلى **(المغفرة والجنّة)**. و"به" يعود إلى "ما".

قوله:[٢] **(أي: عرضُها عرضُ السماوات)** فيه أيضًا حذف؛ لأنّ عرضها لا يكون[٣] عينَ[٤] عرضها؛ بل التقدير "عرضُها كعرض السماوات"، وإليه أشار بقوله:[٥] **(كقوله تعالى)**.

قوله: **(مِن خلقه)** بيان (ما) أي: بأوسع مخلوقاته.

---

[١] ن - غير.
[٢] ر + عرضها.
[٣] ن ر - لا يكون.
[٤] ن ر: غير.
[٥] د ر + تعالى.

وخُصَّ العرضُ؛ لأنّه في العادة أدنى من الطول للمبالغة؛ كقوله: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن ٥٥/٥٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنه: كسبعِ سماواتٍ وسبعِ أرضينَ لو وُصِل بعضُها ببعض.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: في حال الرخاء واليُسر وحالِ الضِّيقة والعُسْر، لا يُخلُّون بأنْ يُنفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من قليلٍ أو كثيرٍ، كما يُحكى عن بعض السلف: أنّه ربَّما تصدَّق ببصَلَة.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدَّقتِ بحبَّةِ عِنَبٍ.

أو في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حالِ مَسرَّةٍ ومَضرَّةٍ؛ لا تمنعُهم حالُ فرحٍ وسرورٍ ولا حالُ محنةٍ وبلاءٍ من المعروف، وسواءٌ عليهم كان الواحدُ منهم في عُرْسٍ أو في حَبْسٍ فإنَّه لا يَدَعُ الإحسان.

قوله: (وخُصّ العَرْض) لأنّ كلّ ما له طول وعرض فإنّ عرضه أقلّ مِن طوله، فإذا وُصف عرضه بالبسطة[١] عُرف أنّ طوله أبسط وأمدّ.

قوله: (لأنّه في العادة)... إلخ، ولذا قالوا:[٢] العرض: أقصر الامتدادين. وقوله:[٣] "في العادة"، أي: غالبًا. وكأنّه احترز به عن المربَّع، فإنّ طوله وعرضه سواء.

قوله: (﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾) هو الديباج الثخين. وإذا[٤] كانت البطائن مِن ذلك فما ظنّك بالظهائر.

قوله: (في كلتا الحالين) إعراب "كلتا" ههنا[٥] تقديريّ، لإضافتها إلى الظاهر،[٦] وهو الظاهر.

---

١ ن: بالبسط.
٢ ن ر: قال.
٣ ر: قوله.
٤ ن ر: وإن.
٥ ن ر – ههنا.
٦ ر: الظهائر.

واقتتح بذكر الإنفاق؛ لأنه أشقُّ شيءٍ على النفس وأدلُّه على الإخلاص؛ ولأنه كان في ذلك الوقتِ أعظمَ الأعمال؛ للحاجة إليه في مجاهَدةِ العدوّ ومواساةِ فُقراء المسلمين.

"كَظَمَ القِرْبَةَ": إذا ملأها وشدَّ فاها، وكظَمَ البعيرُ: إذا لم يجترَّ، ومنه كَظْمُ الغيظِ: وهو أن يُمسِكَ على ما في نفسه منه بالصبرِ ولا يُظْهِرَ له أثرًا.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَن كظَمَ غيظًا وهو يَقدرُ على إنفاذه مَلأَ الله قلبَه أمْنًا وإيمانًا».

وعن عائشة رضي الله عنها: أن خادمًا لها غاظها، فقالت: للهِ درُّ التَّقْوى ما تركَتْ لذي غيظٍ شفاءً.

﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ إذا جنَى عليهم أحدٌ لم يُؤاخِذوه.

ورُوي: ينادي منادٍ يومَ القيامة: أين الذين كانت أجورُهم على الله؟ فلا يقومُ إلَّا مَن عفا.

وعن ابن عُيَيْنَةَ: أنه رواه للرشيد وقد غضِب على رجلٍ فخلَّاه.

قوله: (ومواساةِ فقراء المسلمين) أي: الإحسان إليهم.[١] يقال: آسيته بمالي مؤاساة، أي: جعلته إسوتي[٢] فيه.

قوله: (إذا لم يجترّ) اجترّ البعير مِن "الجِرّة"، وكلّ ذي كَرِش يجترّ.[٣] والجِرّة بالكسر: ما يُخرجه البعير للاجترار.

قوله: («ما تركتْ لذي غيظ شفاءً»)[٤] فيه مبالغة عظيمة وفصاحة بليغة، حيث لم يبق لصاحب غيظ مجال للتشفّي.

قوله: (وعن ابن عُيينة)[٥] يريد أن ابن عيينة[٦] روى عند[٧] الرشيد هذا الحديث

---

[١] ن - إليهم.

[٢] ن: استوفى. | الإسوة بكسر الهمزة وضمها لغتان. **الصحاح** للجوهري، «أسا». | وضُبطت في د بالكسر.

[٣] ن ر: اجتر.

[٤] انظر: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزيلعي، ١/٢٢٦.

[٥] ر: عتية.

[٦] ر: عتية.

[٧] ر: عن.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ هؤلاء في أمّتي قليل إلّا مَن عصَم الله، وقد كانوا كثيرًا في الأمم التي مضَتْ».

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يجوز أن تكونَ اللام للجنس فيتناولَ كلَّ محسِنٍ ويدخلُ تحته هؤلاء المذكورون، وأن تكون للعهد فتكونَ إشارةً إلى هؤلاء.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطفٌ على "المتَّقين"؛ أي: أُعدَّت للمتقين وللتائبين، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الفريقين.

ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأً خبرُه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

﴿فَٰحِشَةً﴾: فَعْلَةً متزايدة القُبح.

﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: أَذْنَبوا أيَّ ذنب كان مما يؤاخَذون به.

وقيل: الفاحشةُ الزنا، وظُلْمُ النفس ما دونه من القُبلة واللمسة ونحوهما.

وقيل: الفاحشةُ الكبيرةُ، وظُلْمُ النفسِ الصغيرة.

﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾: تذكَّروا عقابَه، أو وعيدَه، أو نهيَه، أو حقَّه العظيمَ وجلالَه المُوجِبَ للخشية والحياءِ منه.

حين غضب الرشيد فخلّى الرشيد ذلك الرجل.

قوله: («إنّ هؤلاء») أي: العافين. وقوله: («قليل»)[١] الوجه أن[٢] يكون "قليل" بمعنى العدم ليكون الاستثناء صحيحًا.

قوله: (وقيل: "الفاحشة" الزنا) مِن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ [الإسراء ٣٢/١٧].

---

١ تفسير ابن أبي حاتم، ٧٦٣/٣ (آل عمران، ١٣٤/٣)؛ الكشف والبيان للثعلبي، ٢٦٦/٩ (آل عمران، ١٣٤/٣).

٢ ن ر - أن.

﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾: فتابوا عنها لقُبْحِها نادِمِين عازمين.

﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وصفٌ لذاته بِسَعةِ الرحمةِ وقُربِ المغفرة، وأنَّ التائب من الذنب عنده كمَن لا ذنبَ له، وأنه لا مَفْزَعَ للمُذْنِبين إلا فضلُه وكرمُه، وأن عدلَه يُوجب المغفرةَ للتائب؛ لأن العبدَ إذا جاء في الاعتذار والتَّنَصُّلِ بأقصى ما يَقدر عليه وجَب العفوُ والتجاوُز، وفيه تطييبٌ لنفوس العباد، وتَنْشيطٌ للتوبة وبَعْثٌ عليها، وردعٌ عن اليأس والقنوط، وأن الذنوبَ وإن جلَّتْ فإنَّ عفوَه أجلُّ وكرمَه أعظم، والمعنى: أنه تعالى وحده معه مصحِّحات المغفرةِ، وهذه جملةٌ معترِضةٌ بين المعطوفِ والمعطوف عليه.

﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾: ولم يُقيموا على قبيحِ فِعْلِهم غيرَ مستغفِرين، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «ما أَصَرَّ مَن استغفر وإنْ عاد في اليومِ سبعينَ مرةً».

قوله: (نادمين) أي: على ما مضى.

قوله: (عازمين) أي: على خلافها فيما يأتي مِن الزمان.

قوله: (والتنصُّل) هو التبرّؤ مِن الذنب. يقال: تنصّل فلان مِن ذنبه، أي: تبرّأ.

قوله: (وجب) الوجوب مذهب المعتزلة، وعند أهل السنّة لا يجب على الله تعالى شيء البتّة.[1]

قوله: (والمعنى أنّه وحده) أنّه، أي: الله تعالى[2] وحده، أي: متوحِّدًا ليس معه غيره.

قوله: (معه) أي: مع الله تعالى.

قوله: (وهذه جملة) أي: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

قوله: (بين المعطوف) أي: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾.

قوله: (والمعطوف عليه) أي: ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ﴾.

قوله: (ولم يُقيموا)، يعني: لم يتكرّر ذلك منهم مِن غير تخلّل الاستغفار،

---

[1] انظر تفصيل المذهبين في الإرشاد للجويني، ص ٤٠٣. [2] ن ر - تعالى.

ورُوي: «لا كبيرةَ مع الاستغفارِ ولا صغيرةَ مع الإصرار».

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حالٌ مِن فعلِ الإصرار، وحرفُ النفي منْصبٌّ عليهما معًا.

والمعنى: وليسوا ممن يُصرُّون على الذنوب وهم عالمون بقُبحها وبالنَّهي عنها والوعيدِ عليها؛ لأنه قد يُعذر مَن لا يَعلم قُبحَ القبيح.

وفي هذه الآيات بيانٌ قاطعٌ أنّ الذين آمنوا على ثلاثِ طبقاتٍ: متّقون وتائبون ومصرُّون، وأن الجنَّة للمتَّقين والتائبين منهم دون المصرِّين، ومَن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاندَ ربَّه.

فإنّه إن تخلّل الاستغفار بين الذنوب لا يكون المذنِب مصِرًّا على الذنب، كما دلّ عليه الحديث.

قوله: (وحرف النفي منصبٌّ عليهما) أي: على ﴿يُصِرُّوا﴾ وعلى ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، إذا قلتَ: "ما جاءني زيد وهو راكب" فقد نفيت[١] الأمرين:[٢] المجيء والحال جميعًا،[٣] ويحتمل أن يكون هذا الكلام نفيًا للحال فحسب، ولكن ههنا نفي الأمرين، / لأنّ الموضع موضع مدح. [٢٧٢و]

قوله: (أنّ الذين آمنوا على ثلاث طبقات) لأنّه تعالى[٤] قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

قوله: (ومَن خالف[٥] ذلك) يريد أنّه[٦] لا يمكن أن ينقطع عذاب المصرّين على الذنب ولا أن يدخلوا الجنّة،[٧] بدلالة هذه الآية، حيث يدلّ على أنّ الجنّة للمتّقين والتائبين، فوجب ألّا يمكن دخول غيرهم الجنّة. ويقول أضعف عباد الله تعالى[٨] أحمد بن الحسن الجاربردي: الجواب عمّا قاله المصنّف مِن وجهين: الأوّل أنّ هذين الفريقين لمّا استحقّوا الجنّة بتقواهم وبتوبتهم قال[٩] تعالى:

---

١ ر: نصبت.
٢ ر: للأمرين.
٣ ر: جميعها.
٤ ن ر – تعالى.
٥ في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله + في.
٦ ن ر: أن.
٧ ن ر – الجنة.
٨ د – تعالى.
٩ ن ر + الله.

وقال ﴿أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ بعد قوله: ﴿جَزَآؤُهُم﴾؛ لأنهما في معنًى واحدٍ، وإنما خالَفَ بين اللفظين لزيادةِ التنبيه على أن ذلك جزاءٌ واجبٌ على عملٍ وأجرٌ مستحَقٌّ عليه، لا كما يقول المبطِلون.

ورُوي: أن الله عزَّ وجلَّ أَوْحَى إلى موسى عليه السلام: ما أَقَلَّ حَياءَ مَن يطمَع في جنّتي بغير عمل، كيف أَجُود برحمتي على مَن يَبخَلُ بطاعتي؟

وعن شَهْر بن حَوْشَبٍ: طلبُ الجنةِ بلا عملٍ ذَنْبٌ من الذنوب، وانتظارُ الشفاعةِ بلا سببٍ نوعٌ من الغرور، وارتجاءُ الرحمة ممَّن لا يطاعُ حُمقٌ وجهالةٌ.

وعن الحسن رضي الله عنه: يقول الله تعالى يومَ القيامة: جُوزوا الصِّراطَ

"أعدت الجنة لهم"، فلا يدلّ على أنّ غيرهم لا يدخلها وإن لم يفعل ما يستحق به الدخول، لجواز أن يدخله بفضله. وأيضًا قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ﴾ يدلّ على أنّهم يدخلونها مِن غير توقُّف على شيء كالعذاب ومناقشة الحساب، كالشيء المعدّ للشخص فإنّه يأخذه مِن غير توقُّف، وأما غيرهم فيجوز أن يدخلوا[1] بعد تعب إذ ذلك ليس معدًّا لهم. تأمّل فيه، فإنّه معنًى لطيف.

قوله: (لا كما يقول المُبطِلون)[2] يريد بذلك ردّ ما يقول أهل السنّة والجماعة مِن أنّ كلّ ذلك بفضل الله تعالى[3] ورحمته. ولو تأمّلت ظهر لك أنّ المُبطِل مَن يقول بوجوب الشيء على الله تعالى،[4] كيف وجميع طاعات العباد لا يكافئ أقلّ[5] نعمة أنعمها الله تعالى على العبد، فكيف يجب عليه تعالى[6] بسبب طاعة العبد ثواب، مع أنّ الطاعة قصُرت قصورًا ظاهرًا عن مكافأة أقلّ نعمة مِن نِعَمه تعالى، تعالى[7] الله عمّا يقول المُبطِلون، فإنّه الحاكم ولا حاكم عليه، وهو المعطي المانع يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

قوله: (ما أقلّ حياء مَن يطمع).[8]

---

[1] ن: يدخلوها.

[2] ر: المطلوب.

[3] د ر - تعالى.

[4] يعني المعتزلة، ومضى آنفًا تخريج مذهبهم.

[5] ر: أهل.

[6] ن - تعالى.

[7] ن ر - تعالى.

[8] كذا جاء في ن ر؛ وفي هامش د لحق لم أتبيّنه.

بعَفْوي، وادخلوا الجنةَ برحمتي، واقتَسِموها بأعمالكم.

وعن رابعةَ البصريَّةِ أنها كانت تُنشِدُ:

ترجو النجاةَ ولـم تَسلُكْ مَسالكَها   إنَّ السـفينةَ لا تجـري علـى اليَبَـس

والمخصوصُ بالمدح محذوف تقديره: ونِعْمَ أجرُ العاملين ذلك، يعني: المغفرة والجنات.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ١٣٨﴾

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ يريد: ما سنَّهُ الله في الأمم المكذِّبين من وقائعه؛ كقوله: ﴿وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ۞ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ [الأحزاب ٣٣/٦١-٦٢] ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح ٤٨/٢٢-٢٣].

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾: ....

قوله تعالى: (﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾) إن لم يجعل قوله:[١] ﴿قَدْ خَلَتْ﴾... إلخ، معترضًا؛ بل يكون ذِكره مقصودًا بالذات كالكلام المتقدِّم، فيكونَ قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ﴾ إشارة إلى ما فيه[٢] مِن المعنى، ويكون المراد حثَّهم على النظر في عواقب المكذِّبين. وإن جعل قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ اعتراضًا يكون قوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ﴾ إشارة إلى ما لخَص[٣] الله وبيّن مِن أمر هذه الطوائف الثلاث، أي: المتّقين والتائبين والمصرّين: فإنّه بيّن حالَ المتّقين[٤] بقوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾... إلخ، وحالَ التائبين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ﴾، ولمّا خصّهما بالذِّكر عُلم حُكم المصرّين. أو نقول: أشار إلى المصرّين بقوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾. وحاصل الوجهين أنّ قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾: إمّا[٥] أن يتمّ عند قوله تعالى: ﴿أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾، ويكون قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ ابتداءَ كلام يتمّ عند قوله ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وهذا هو الوجه **الأوّل**.

---

١ ن ر: قله.

٢ ن: في قولهم.

٣ ن ر: يخصّ.

٤ ن + والتائبين والمصرّين فإنّه بيّن حال المتقين.

٥ ر - إما.

إيضاحٌ لسوءِ عاقبةِ ما هم عليه من التكذيب، يعني: حَثُّهم على النظر في سوء عواقبِ المكذِّبين قبلَهم، والاعتبارِ بما يُعاينون من آثار هلاكهم.

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعني: أنه مع كونه بيانًا وتنبيهًا للمكذِّبين، فهو زيادةُ تثبيتٍ وموعظةٍ للَّذين اتقَوا من المؤمنين.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ جملةً معترضةً للبعث على الإيمان وما يُستَحَقُّ به ما ذُكر من أجر العاملين، ويكون قوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ﴾ إشارةً إلى ما لَخَّصَ وبَيَّنَ من أمر المتقين والتائبين والمصرِّين.

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ تسليةٌ من الله لرسولِهِ صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين عمَّا أصابهم يومَ أُحدٍ، وتقويةٌ من قلوبهم، يعني: ولا تَضْعُفوا عن الجهاد لِمَا أصابكم؛ أي: لا يُورِثْكم ذلك وَهْنًا وجُبْنًا، ولا تُبالوا به، ولا تحزنوا على مَن قُتل منكم وجُرِحَ.

وإمّا أن[1] يتمّ قوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ عند قوله: ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، ويكون ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ جملة معترضة.

قوله: (**إيضاحٌ**) يعني "البيان" هنا بمعنى التبيين، كـ"السلام" بمعنى التسليم، و"الكلام" بمعنى التكليم.

قوله: (**مِن التكذيب**) بيان (**ما**).

قوله: (**يعني حثُّهم**) أي: يريد بقوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ حثَّهم على النظر بقوله: ﴿فَٱنظُرُواْ﴾.

قوله: (**بيانًا وتنبيهًا للمكذبين**) يدلّ على أنّ المراد بـ"الناس" المكذّبون في تفسيره، وقد بيّنه بقوله: (**ما هم عليه مِن التكذيب**). قوله: (**مِن قلوبهم**) "مِن" فيه للتبعيض، ومعنى التبعيض / فيه أنّه تقوية للقلوب مِن بعض الوجوه. [٢٧٢ظ]

---

[1] ن ر: من.

﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: وحالُكم أنكم أَعْلى منهم وأغلبُ؛ لأنكم أَصبتُم منهم يومَ بدرٍ أكثر ممَّا أصابوا منكم يوم أحد.

أو: وأنتم الأعلون شأنًا؛ لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته، وقتالَهم للشيطان ولإعلاء كلمةِ الكفر، ولأن قتلاكم في الجنَّة وقتلاهم في النَّار.

أو هي بشارةٌ لهم بالعلوِّ والغلبة؛ أي: وأنتم الأعلون في العاقبة: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات ٣٧/١٧٣].

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ متعلِّق بالنهي بمعنى: ولا تَهِنوا إن صحَّ إيمانُكم، على أنّ صحَّة الإيمان توجبُ قوةَ القلب والثقةَ بصنع الله وقلَّةَ المبالاة بأعدائه.

أو بـ﴿ٱلْأَعْلَوْنَ﴾؛ أي: إن كنتم مصدِّقين بما يَعِدُكم الله ويُبشِّركم به من الغَلَبة.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

قرئ ﴿قَرْحٌ﴾ بفتح القاف وضمِّها، وهما لغتان كالضَّعْف والضُّعْف.

وقيل: هو بالفَتْح الجراحُ وبالضمِّ أَلَمُهَا.

وقرأ أبو السَّمَّال: "قَرَحٌ" بفتحتين، وقيل: القَرْح والقَرَحُ كالطَّرْدِ والطَّرَد.

والمعنى: إن نالوا منكم يوم أُحُد فقد نِلتم منهم قَبْلَه يوم بدر ....

قوله: (على أنّ صحّة) أي: بناء على أنّ صحّة.

قوله: (أي: إن كنتم مصدِّقين) أي: ﴿أَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ بشرط الإيمان لا بالإطلاق.

قوله: (الجِراح) جمع جِراحة بالكسر.

قوله: (وقرأ أبو السمّال)[1] باللام. وابن[2] السمّاك بالكاف.

قوله: (والمعنى: إن نالوا) نال مِن عدوّه، أي: أضرّ به. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ [التوبة ٩/١٢٠].

---

١ ن: السماك وأبو السماك؛ ر: السماك. | قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي السمّال. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٢٨.

٢ ن: وأبو.

ثم لم يُضْعِف ذلك قلوبَهم ولم يُثبِّطْهم عن معاودتكم بالقتال، فأنتم أولى أن لا تَضْعفوا، ونحوُه: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ وقيل: كان ذلك يومَ أُحُد فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن قلتَ: فكيف قيل: ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ وما كان قرحُهم يومَ أحدٍ مثلَ قرحِ المشركين؟

قلتُ: بل كان مثلَه، ولقد قُتل يومئذ خَلْقٌ من الكفار، ألَا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران ٣/١٥٢]؟

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ و﴿الْأَيَّامُ﴾ صفتُه و﴿نُدَاوِلُهَا﴾ خبرُه.

ويجوز أن يكون ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ مبتدأً وخبرًا؛ كما تقول: هي الأيَّام تُبْلِي كلَّ جديد.

والمراد بالأيّام: أوقاتُ الظَّفَر والغلبة ﴿نُدَاوِلُهَا﴾: نُصَرِّفُها ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾: نُديل تارةً لهؤلاء، وتارةً لهؤلاء؛ كقوله -وهو من أبيات الكتاب-:

قوله: (**وقيل: كان ذلك**) أي: نيلهم مِن الكفّار.

قوله: (**فإن قلتَ: فكيف قيل؟**) هذا السؤال واردٌ[١] على أنّ ذلك كان يوم أُحد.

قوله: (**وما كان قرحُهم**)... إلخ، لأنّ المشركين غلبوا على المسلمين يوم أُحد.

قوله: (**﴿تَحُسُّونَهُم﴾**) أي: تقتلونهم.[٢] وقوله: (**﴿مَا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران ٣/١٥٢]**) أي: الغنيمة.

قوله: (**كما تقول: هي الأيّام**) "هي" ضمير مبهَم بُيِّن وفُسِّر، مِثله في[٣] قوله: «ربّه رجلًا»،[٤] وليس ضمير الشأن، وإلّا لا يصحّ الاستشهاد به هنا، وفي قوله:

---

[١] ر: ذكره.
[٢] ن: تصلونهم.
[٣] ر + في.
[٤] كتاب سيبويه، ٢/١٧٦.

فَيـومًـا علـينـا ويـومًـا لنـا ويـومًـا نُـسـاء ويـومًـا نُـسَـرّ
وفي أمثالهم: الحربُ سِجالٌ، وعن أبي سفيان: أنه صَعِدَ الجبلَ يومَ أحدٍ

هي النفس ما[1] حمّلتها تتحمل وللدهر[2] أيام تجور وتعدِلُ[3]
قوله:

(فيومًـا علينـا ويومًـا لنـا ويومًـا نُساء ويومًـا نُسَرّ)[4]

قوله: "فيومًا علينا" يومًا[5] منصوب بمعنى الفعل الذي في "علينا" و"لنا"، أي: يثبت ويقع الأمر علينا في يوم ويثبت ويقع لنا في يوم. وأمّا قوله: "يومًا نُساء ويومًا نُسرّ" فنصبهما بالفعل المذكور بعدهما، وهو ظاهر. وقوله: "نُساء" فعل مضارع مجهول مِن "ساءه" نقيض "سرّه"، سِيء[6] فلان: أصيبَ بسوء، أي: حزن. ومنه قوله: ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الملك ٢٧/٦٧].

قوله تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ﴾... إلخ، اعلم أنّ قوله تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ﴾ إلى ﴿مِّثۡلُهُۥ﴾ تحريض للمؤمنين على الجهاد كما ذكر المصنّف، وقوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ﴾ إلى ﴿ٱلنَّاسِ﴾ تحريض آخر ومَنْع عن الوهن والحزن، فكأنّه قيل: هذه أيّام الدنيا تكون تارة لكم وتارة لهم، وأمّا الآخرة فهي التي للمؤمنين خاصّة، ليس فيها للكافرين نصيب.

قوله: (وفي أمثالهم **«الحرب سِجال»**)[7] «المُساجَلة: المفاخَرة، بأن تصنع مثل صنعه مِن[8] جَرْيٍ أو سَقْيٍ،[9] وأصله مِن "الدلو". وقال الفضل بن العبّاس[10] بن عُتبة بن أبي لهب:

---

[1] ن ر: وما.
[2] ن ر: والدهر.
[3] البيت مطلع قصيدة لعليّ بن الجهم في ديوانه، ص ١٦٢؛ وهو له في شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي، ٦٨/٧.
[4] البيت للنمر بن تَوْلب في ديوانه، ص ٥٧؛ وهو له في كتاب سيبويه، ٨٦/١؛ والتمثيل والمحاضرة للثعالبي، ص ٥٦؛ وبلا عزو في مجمع الأمثال للميداني، ٣٧٠/١، والرواية فيها برفع المنصوبات الأربعة.
[5] ن - علينا يومًا.
[6] ن ر: شيء.
[7] مجمع الأمثال للميداني، ٢١٤/١.
[8] ن ر + في.
[9] ر: شقي.
[10] د: العيّاش. | وهو خطأ، والمثبت موافق لِما في مطبوع الصحاح.

فمكَثَ ساعةً ثم قال: أين ابنُ أبي كبشةَ، أين ابنُ أبي قُحافةَ، أين ابنُ الخطّاب؟ فقال عمر: هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وهذا أبو بكر، وها أنا عمر، فقال أبو سفيان: يومٌ بيومٍ والأيّامُ دَولٌ والحربُ سِجَال، فقال عمر رضي الله عنه: لا سَواءً، قتلانا في الجنَّة وقتلاكم في النَّار، فقال: إنكم تزعُمون ذلك، فقدْ خِبْنا إذنْ وخسِرْنا.

مَن يُساجِلْني يُساجِلْ ماجِدًا يملأ الدلوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ[1]

ومنه قولهم: "الحرب سجال".[2] وهي تحتمل أن تكون جمع سَجْل، وهو: الدلو الملأى ماءً، أي: سَجْل لهذا وسَجْل لهذا.[3] ويجوز أن يكون مصدر "ساجَلَه". والكَرَب: الحبل الذي يُشدّ في وسط العَراقيّ ثمّ يثنّى ثمّ يثلّث ليكون هذا الذي يلي الماء، فلا يعفَن الحبل الكبير. والعَرقوة بفتح العين مفرد، والعَرقوتان: الخشبتان اللتان تُعرضان على الدلو كالصليب، والجمع العَراقيّ.[4]

قوله: (ابن أبي كَبْشة) أي: رسول الله عليه السلام.[5] قال رضي الله عنه:[6] هو رجل مِن قريش كان يعبد الشِّعرى العَبُور، وكان ذلك منكرًا عندهم، فشبّهوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[7] به[8] لمخالفته دينهم، وكان هذا الرجل قد فارق قريشًا في عبادة الأوثان.

قوله: (فقد خِبنا)،[9] أي: إن كان الأمر كما زعمتم فقد خبنا.[10] هذا تهكُّم[11] منه واستهزاء.[12]

---

١ ن: الركوب. | البيت للفضل بن العبّاس بن عتبة بن أبي لهب في جمهرة اللغة لابن دريد، ٤٧٥/١، «سجل»؛ وغريب الحديث للخطابي، ٤٣٣/١؛ والصحاح للجوهري، «سجل»؛ ومجمع الأمثال للميداني، ٢١٤/١؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ٣٩٣/٩.

٢ الصحاح للجوهري، «سجل».

٣ ن ر – وسَجْل لهذا.

٤ من قوله: "والكرب" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «كرب».

٥ ن: صلّى الله عليه وسلّم؛ ر – عليه السلام.

٦ د: رحمه الله.

٧ د: عليه السلام.

٨ ر – به.

٩ ن ر: جئنا.

١٠ ن: خبناه؛ ر: جئنا.

١١ ن: تكم؛ ر: هدايتكم.

١٢ ن ر: واشتهر.

والمداولةُ مثلُ المعاوَرَة، قال:

يَرِدُ المياهَ فلا يزال مُداوَلًا ... في الناس بين تَمثُّلٍ وسماعِ

يقال: داوَلْتُ بينهم الشيءَ فتَداوَلوه.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المعلَّلُ محذوفًا معناه: وليتميَّزَ الثابتون على الإيمان من الذين على حَرْفٍ فعَلْنا ذلك، وهو من باب التمثيل بمعنى: فعَلْنا ذلك فِعْلَ مَن يريد أَنْ يَعلم مَن الثابِتُ على الإيمان منكم مِن غيرِ الثابت، وإلَّا فاللهُ عزَّ وجل لم يزل عالمًا بالأشياء قبل كونها.

وقيل: معناه: وليعلمَهم علمًا يتعلَّق به الجزاءُ، وهو أن يعلمَهم موجودًا منهم الثباتُ.

والثاني: أن تكون العلَّةُ محذوفةً وهذا عطفٌ عليه، معناه: وفعَلْنا ذلك ليكون كيتَ كيتَ وليَعْلَمَ الله، وإنما حُذف للإيذان بأن المصلحةَ فيما فَعَل

قوله:

(يَرِدُ المياهَ)...[١] البيت

يصف شِعره. وأراد بالمياه مياهَ العرب، أي: بلغ القبائل كلَّها شعري، لأنَّهم كانوا / ينزلون عند المياه. [٢٧٣و]

قوله: **(وهذا عطف عليه)** أي: على المحذوف.

قوله: **(وفعلنا ذلك)** "ذلك" إشارة إلى قوله: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾، فيكون المعلَّل مذكورًا وإحدى العِلَل محذوفة عكس الأوّل. وقول المصنِّف: **(كيت وكيت)** إشارةٌ إلى أنّ تلك العلّة مبهمة غيرُ معلومة عندنا لا يعلمها إلّا الله تعالى.

---

١ البيت بهذه الرواية بلا عزو في **مجمع الأمثال** للميداني، ١/٣٥٤؛ و**المستقصى** للزمخشري، ١/١٧٥؛ وهو للمسيب بن عَلَس في **المفضّليات** للضبّي، ص ٦٢؛ و**الدرّ الفريد** لابن أيدمر، ١/٤٨٧، والرواية فيهما:

تـرِد المـياهَ فـلا تـزال غريبـةً
في القـوم بيـن تمـثُّل وسـماعِ

ليست بواحدة، ليسلّيهم عما جرى عليهم، وليبصّرهم أن العبد يشوءه ما يجري عليه من المصائب، ولا يشعرُ أن لله في ذلك من المصالح ما هو غافلٌ عنه.

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾: وليكرمَ ناسًا منكم بالشهادة، يريد: المستشهَدِين يوم أُحد.

أو: وليتخذ منكم مَن يصلُح للشهادة على الأُمم يومَ القيامة بما يَبتلي به صبرَكم من الشدائد، من قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة ٢/١٤٣].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ اعتراضٌ بين بعض التعليل وبعضٍ، ومعناه: والله لا يحبُّ مَن ليس مِن هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدِين في سبيل الله الممَحَّصِين من الذنوب.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

والتمحيص: التطهيرُ والتصفيةُ.

قوله: (يريد المستشهَدِين) فعلى هذا يكون "الشهداء" جمع شهيد، وعلى الثاني جمع "شاهد".

قوله: (من قوله تعالى) يريد أنّ هذا المعنى وهو قوله: (أو وليتخذ) مأخوذ مِن قوله تعالى:[١] ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة ٢/١٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أظنّ والله أعلم أنّ معناه أنّ المصلحة فيما فعل كثيرة كما ذكر، وليس جعْل الغلبة للكافرين في هذه الصورة للعناية بهم، ولا[٢] لأنّ[٣] الله تعالى يحبّهم، فذكر الله تعالى لغَلَبة[٤] الكافرين[٥] مصلحتين للمسلمين،[٦] ثمّ ذكر أنّ تلك ليست لمحبّة الكافرين، ثمّ ذكر مصلحةً أخرى وهو التمحيص،

---

[١] ن ر - يريد أنّ هذا المعنى وهو قوله: (أو وليتخذ) مأخوذ مِن قوله تعالى.
[٢] ر - لا.
[٣] ن: أنّ.
[٤] ر: الغلبة.
[٥] ر: للكافرين.
[٦] ن - للمسلمين.

﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: ويُهلكهم، يعني: إن كانتِ الدولةُ على المؤمنين فللتَّمييز والاستشهادِ والتَّمحيص وغيرِ ذلك مما هو أصلحُ لهم، وإن كانت على الكافرين فلِمَحْقِهم ومَحْوِ آثارهم.

﴿أَمْ﴾ هذه منقطعةٌ، ومعنى الهمزة فيها الإنكارُ.

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ يعني: ولمّا تُجاهدوا؛ لأن العلم متعلِّقٌ بالمعلوم، فنُزِّلَ نفيُ العلم منزلةَ نفي متعلَّقه؛ لأنه مُنْتَفٍ بانتفائه، يقول الرجل: ما علم الله في فلانٍ خيرًا، يريد: ما فيه خيرٌ حتَّى يعلمه.

و"لمّا" بمعنى: "لم" إلَّا أن فيها ضَرْبًا من التوقُّع، فدلَّ على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقُّعه فيما يُستقبل، وتقول: وعَدَني أن يفعل كذا ولمَّا، تُريد: ولم يفعَل وأنا أتوقَّعُ فعْلَه.

وقرئ: "ولمَّا يَعْلَمَ الله" بفتح الميم، وقيل: أراد النون الخفيفة: «ولمّا يَعلمَنْ» فحَذَفها.

ثمّ ذَكَر أنّ الغَلَبة إذا كانت للمؤمنين فتلك لمَحْق الكافرين. زادنا الله تعالى[1] توفيقًا للاطِّلاع على معاني تنزيله وحقائق تأويله.

قوله: (ومعنى الهمزة فيها) أي: في "أم" المنقطعة.

قوله: (و"لمّا" تُريد "ولم يفعل")، يعني:[2] يجوز أن تحذف الفعل وتقول: "لمّا"، ومرادك: لم يفعل وأنا أتوقع أن يفعل.

قوله: (وقيل: أراد) عطف على قوله: (وقرئ) وهو مِن تتمّته.

قوله: (ولمّا يعلمَنْ) فيه حذف، أي: تقديره أو أصله "لمّا يعلمَنْ". ويجوز أن يكون قوله: "ولمّا يعلمن" بدلًا مِن قوله: (النون الخفيفة)، كأنّه قال: أراد[3] "ولمّا يعلمَنْ". وفي كونه بدلًا نظرٌ؛ لأنّه لو كان بدلًا لَكان بدل[4] الاشتمال، ولا يستقيم هنا، إذ لا ضميرَ فيه يعود إلى المبدل منه. وقوله: (فحذفها) قال الشاعر:

---

[1] د - تعالى.
[2] ر - يعني.
[3] ر: أرادوا.
[4] ر: يدلّ على.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ نصبٌ بإضمار "أنْ"، والواوُ بمعنى الجمع؛ كقولك: لا تأكلِ السَّمكَ وتشربَ اللَّبَنَ.

وقرأ الحسن بالجزم على العطف، وروى عبدُ الوارث عن أبي عمرو: "ويعلمُ" بالرفع على أنَّ الواو للحال؛ كأنَّه قيل: ولمّا تُجاهدوا وأنتم صابرون.

لا تُهينَ[1] الفقيرَ علَّك أن تركع يومًا والدهر قد رفعَهْ[2]

ومنه قول آخر:

إذا قال قَدْنِي قلتُ بالله حلفةً لَتُغنِيَ عنّي ذا إنائك أجمعا[3]

على رواية مَن روى "لَتُغنيَ" بفتح "اللام" و"الياء". وقيل: إنّ الرواية بفتح "اللام" مِن لَتغنيَ غيرُ صحيحة؛ بل الرواية بكسر "اللام" هو الصحيح، إذ لا تُحذَف "النون" الخفيفة مِن مثله إلّا بشرط ملاقاة الساكن. والصواب أنّه جاء الرواية بفتح "اللام" أيضًا،[4] وأنّه جاء حذف "النون" الخفيفة مِن غير ملاقاة الساكن، كقول الشاعر:

اضربْ عنك الهمومَ طارقَها[5] ضربَك بالسيف قَونَسَ الفرسِ[6]

أصله "اضربَنْ" حُذفت "النون" الخفيفة وأبقيت فتحة "الباء".

قوله: (نصبٌ) هذا على القراءة المشهورة في ﴿لَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾، وأمّا على حذف "النون" فيه فكذا ههنا.

قوله: (والواو بمعنى الجمع) والتقدير: أتحسبون دخول الجنّة والحال أنّه اجتمع عدم عِلم الله بالمجاهدين وعدم عِلمه بالصابرين منكم.

قوله: (على أنّ الواو للحال) ولا بدّ هنا مِن تقدير مبتدأ، أي: "وهو يعلم"؛ لأنّ[7] المضارع المثبت بالضمير وحدَه، ولذا قال المصنّف: (وأنتم صابرون).

---

[1] ن: تهن.

[2] البيت للأضبط بن قُريع السعدي في **الشعر والشعراء** لابن قتيبة، ٣٧١/١؛ **وخزانة الأدب** للبغدادي، ٤٥٢/١١؛ وهو بلا عزو في **الكافي في شرح الهادي** للزنجاني، ١٧١٦/٣.

[3] البيت لحُريث بن عَنّاب الطائيّ. ومضى بتخريجه وشرحه في سورة البقرة، ١٩/٢.

[4] ن ر: وأيضًا.

[5] ن ر: طارقًا.

[6] البيت لطرفة في ملحق ديوانه، ص ١٦٥؛ وهو له في **النوادر** لأبي زيد، ص ١٦٥؛ **والصحاح** للجوهري، «قنس»؛ وبلا عزو في **الكافي في شرح الهادي** للزنجاني، ١٧١٧/٣.

[7] ر + لأنّ.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝١٤٣﴾

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ خُوطب به الذين لم يَشهدوا بدرًا وكانوا يتمنَّون أن يَحضروا مشهدًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداءُ بدرٍ، وهم الذين أَلَحُّوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى المشركين وكان رأيُه في الإقامة بالمدينة، يعني: وكنتم تمنَّون الموتَ قبل أن تُشاهدوه وتعرِفوا شدَّته وصعوبةَ مقاساته.

﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾؛ أي: رأيتُموه مُعايِنين مشاهِدِين له حين قُتِل بين أيديكُم مَن قُتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتُم أن تُقتَلوا، وهذا توبيخٌ لهم على تمنِّيهم الموتَ وعلى ما تسبَّبوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بإلحاحهم عليه ثم انهزامِهم عنه وقلَّةِ ثباتهم عنده.

فإن قلتَ: كيف يجوزُ تمنِّي الشهادةِ وفي تمنِّيها تمنِّي غلَبةِ الكافرِ المسلمَ؟

قلتُ: قصدُ متمنِّي الشهادةِ إلى نَيلِ كرامةِ الشهداء لا غير، ولا يذهبُ وهَمُه إلى ذلك المتضمَّن؛ كما أنَّ مَن يَشْربُ دواءَ الطبيب النصرانيِّ قاصدٌ إلى حصول المأمول من الشِّفاء، ولا يخطر بباله أنَّ فيه جرَّ منفعةٍ وإحسانٍ إلى عدوِّ الله وتنفيقًا

قوله: **(مشهدًا)**[١] المشهَد:[٢] مَحضَر الناس.

قوله: **(معاينين)** فسّر المصنِّف قوله تعالى: / ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ بقوله: "معاينين مشاهدين"، إشارة إلى أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[٣] هو تأكيد الرؤية وبيانُ أنّ الرؤية هي الرؤية[٤] بالبصر هنا لا الرؤية بمعنى العلم ولا المعرفة مِن جهة السماع، كما يقال: رأيتُه بعيني. [٢٧٣ظ]

قوله: **(قاصدٌ)** صحّ بالرفع على أنّه خبر **(أنّ)**.

قوله: **(وتنفيقًا)** مِن نَفاق السلعة وهو رَواجها.

---

[١] ن: مشهد؛ ر: شهداء.

[٢] ر: الشهداء.

[٣] ر - (معاينين مشاهدين) إشارة إلى أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

[٤] ن - هي الرؤية.

لصناعته، ولقد قال عبد الله بن رَوَاحَة رضي الله عنه حين نَهض إلى مُؤتَة، وقيل له: ردكم الله:

لكنَّني أسألُ الرحمنَ مغفرةً وضربةً ذاتَ فَرْغٍ تقذفُ الزَّبَدَا
أو طعنةً بيدَيْ حرّانَ مُجْهِزَةً بحَرْبةٍ تنفُذُ الأحشاءَ والكَبِدَا
حتى يقولوا إذا مرُّوا على جَدَثي أَرْشدكَ اللهُ من غازٍ وقد رَشَدا

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

لمّا رَمَى عبدُ الله بن قَمِئَةَ الحارثيُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بحجرٍ فكَسَر رَباعيَتَه وشجَّ وجهَه، أقبل يُريد قتْلَه فذبَّ عنه مُصْعبُ بن عُمَيْرٍ

قوله: (إلى مؤتة) بالهمز:[١] اسم أرض قُتل فيها جعفر بن أبي طالب.[٢]
وقوله: (ردكم الله) دعاء له.

قوله:

(لكنّني أسألُ الرحمنَ مغفرةً وضربةً ذات فَرْغ تقذِف الزَّبدا[٣]
أو طعنةً بيدي حرّان مُجهِزةً[٤] بحَرْبة تنفُذ الأحشاءَ والكَبِدا)[٥]

"ضربة فريغ": واسعة. والطعنة الفرغاء: ذات الفَرْغ، وهو: السَّعة. و"الحرّان":[٦] العطشان. والحرّان: ذو الحُرقة. وأجهزتُ[٧] على الجريح[٨] إذا أسرعتَ قتله.

قوله: (لمّا رمى عبد الله) ذكر قبل ذلك بورقتين أنّ الذي رمى وشجّ هو عتبة بن أبي وقّاص.[٩]

---

١ ن: بالهمزة.
٢ ر + رضي الله عنه. | انظر: معجم البلدان للحموي، ٢١٩/٥-٢٢٠.
٣ ن ر - الزبدا.
٤ ن ر - مجهزة.
٥ البيتان لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه في ديوانه، ص ١٤٧؛ وهما له في التذكرة الحمدونية لابن حمدون، ٤٧٥/٢؛ ونهاية الأرب للنويري، ٢٧٨/١٧.
٦ ن + أن؛ ر: الحسران.
٧ ر: واحمرت.
٨ ن ر: الجرح.
٩ ذكره عند تفسير آل عمران، ١٢٨/٣.

-وهو صاحبُ الراية يوم بدرٍ ويوم أحُدٍ- حتى قتله ابن قمِئة وهو يُرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: قد قتلتُ محمدًا، وصَرَخَ صارخٌ: ألا إنَّ محمدًا قد قُتل -وقيل: كان الصارخ الشيطان-، ففشا في النَّاس خبرُ قَتْله فانكفؤوا، وجَعَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدعو: «إليَّ عبادَ الله» حتى انحازتْ إليه طائفةٌ من أصحابه، فلَامَهم على هَرَبِهم فقالوا: يا رسولَ الله، فديناك بآبائنا وأمَّهاتنا، أتانا خبر قتلك فرُعِبَتْ قلوبنا فولَّينا مُدبرينَ، فنزلت.

ورُوي: أنه لمَّا صرخَ الصارخ قال بعض المسلمين: ليتَ عبدَ الله بنَ أبيّ يأخذُ لنا أمانًا من أبي سُفيان، فقال ناسٌ من المنافقين: لو كان نبيًّا لما قُتل، ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم، فقال أنس بن النَّضْر عَمُّ أنس بن مالك: يا قوم، إن كان قُتل محمدٌ فإنَّ ربَّ محمَّد حيٌّ لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتِلوا على ما قاتَلَ عليه، ومُوتوا على ما مات عليه، ثم قال: اللَّهم إني أعتذرُ إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأُ إليك مما جاء به هؤلاء، ثم شدَّ بسيفه فقاتل حتى قُتل.

وعن بعض المهاجرين: أنَّه مرَّ بأنصاريٍّ يتشحَّط في دمه، فقال: يا فلان، أشعَرْتَ أَنَّ محمدًا قد قُتل؟ فقال: إن كان قُتل فقد بَلَّغَ، قاتِلوا على دينكم.

والمعنى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ فسيَخْلو كما خلَوْا،

قوله: (فانكفئوا)،[1] أي: انهزموا. "انكفأ" مطاوع "كفأ"، إذا قلعها.[2]

قوله: («إليّ»)،[3] أي: انتهوا إليّ.

قوله: (شدّ) الشدّة بالفتح: الحملة.

قوله: (يتشحّط) تشحّط المقتول بدمه، أي:[4] اضطرب فيه.

قوله: (﴿خَلَتْ﴾) أي: مضت.

---

[1] ر: فانكفأ.

[2] لم يتّجه لي الكلام.

[3] جامع البيان للطبري، ٩٩/٦ (آل عمران، ١٤٤/٣)؛ معالم التنزيل للبغوي، ١١٣/٢ (آل عمران، ١٤٤/٣).

[4] ر - أي.

وكما أن أَتْباعَهم بَقُوا متمسِّكين بِدِينهم بعد خُلوِّهم فعليكم أن تتمسَّكوا بدينه بعد خلوّه؛ لأن الغرض من بَعثةِ الرسل تبليغُ الرسالة وإلزامُ الحجة، لا وجُودُه بين أظهُرِ قومه.

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ الفاء معلِّقةٌ للجملة الشّرطيّة بالجملة قبلها على معنى التسبيب، والهمزةُ لإنكارِ أنْ يَجْعلوا خُلوَّ الرسُل صلى الله عليهم وسلم قبله سببًا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموتٍ أو قتلٍ، مع علمهم أن خلوَّ الرسُل قبله وبقاءَ دينهم متمسَّكًا به يجب أن يُجعل سببًا للتمسُّك بدين محمدٍ صلى الله عليه وسلم لا للانقلابِ عنه.

فإن قلتَ: لِمَ ذكر القتلَ وقد عَلم أنه لا يُقتل؟

قلتُ: لكونه مجوَّزًا عند المخاطَبين.

فإن قلتَ: أَمَا عَلِموه من ناحيةِ قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة ٦٧/٥]؟

قلتُ: هذا مما يختصُّ بالعلماء منهم وذوي البصيرة، ألَا ترى أنهم سمِعُوا بخبر قتله فهَرَبُوا، على أنّه يَحتمِل العِصْمة من فتنةِ الناس وإضلالهم.

والانقلابُ على الأَعْقاب: الإِدْبارُ عمّا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من أمر الجهاد وغيره.

وقيل: الارتدادُ، وما ارتدَّ أحدٌ من المسلمين ذلك اليومَ إلّا ما كان من قولِ المنافقين.

قوله: (وما ارتدّ أحد) هذا إشارة إلى ضعف هذا القول، وهو أن يكون المراد بالانقلاب[1] الارتداد.

قوله: (إلّا ما كان مِن قول المنافقين) أي: ما ارتدّ أحد،[2] لكن قال المنافقون ما قالوا، فهو استثناء منقطع. فـ"ما" موصولة، و"كان" تامّة، و"مِن" بيان، والخبر محذوف، فكأنّه قيل: لكنّ قول المنافقين وَقَع وحصل. ويجوز أن تكون "ما كان"

[1] ر: من الانقلاب.

[2] ن - هذا إشارة إلى ضعف هذا القول وهو أن يكون المراد بالانقلاب الارتداد قوله: (إلّا ما كان مِن قول المنافقين) أي: ما ارتدّ أحدٌ.

ويجوز أن يكونَ على وجه التغليظِ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإسلامه.

﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ يعني: فما ضرَّ إلّا نفسه؛ لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضارُّ والمنافع.

﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الذين لم ينقلبوا؛ كأنس بن النَّضْر رضي الله عنه وأَضْرابه، وسمَّاهم شاكرين؛ لأنهم شكَروا نعمة الإسلام فيما فعَلوا.

اسم "إلّا"، والخبر قوله: "من قول المنافقين"، و"مِن" للتبعيض، أي: لكنّ الذي وَقَع بعضُ قول المنافقين. وتحقيق معنى الاستثناء ههنا[١] أن نقول: لا بدّ لصحّة المستثنى المنقطع مِن مخالفة المستثنى للمستثنى منه في[٢] نفي[٣] الحكم الذي ثبت للأوّل،[٤] نحو "جاء القوم إلّا حمارًا"، أو في أنّ للمستثنى[٥] حُكمًا[٦] آخرَ غير حكم المستثنى منه، نحو "ما زاد إلّا ما نقص"، فـ"ما" مصدريّة هي مع ما بعدها في موضع نصب على أنّه[٧] اسم "لكنّ"، وفي "زاد" ضمير عائد إلى مقدّم، ومفعوله محذوف،[٨] أي:[٩] ما زاد شيئًا لكنّ النقصان حصل.

قوله: **(عليهم)** أي: على المسلمين.

قوله: **(والانكشاف)** عبارة عن الهزيمة.

قوله:[١٠] **(وإسلامِه)** أي: خذلانه وإهماله، وهو معطوف على "الانكشاف" لا على "رسول الله عليه السلام."[١١] يقال:[١٢] أسلمه، أي: خَذَله، والمصدر مضاف إلى المفعول.

---

١ ن: هنا.
٢ ن - في.
٣ ن: ونفي.
٤ ر: الأول.
٥ د ن: المستثنى.
٦ د ن: حكم.
٧ ر: أنّ.
٨ ن ر: مفعول.
٩ ن ر: إلا.
١٠ ن ر - (عليهم) أي: على المسلمين قوله: (والانكشاف) عبارة عن الهزيمة. قوله.
١١ ن ر - عليه السلام.
١٢ ن ر: قال.

المعنى: أن موتَ الأنفس محالٌ أن يكون إلّا بمشيئة الله، فأَخْرجَه مُخرجَ فِعلٍ لا يَنبغي لأحدٍ أن يُقدِمَ عليه إلّا أن يأذنَ الله تعالى له فيه تمثيلًا؛ ولأنّ ملَك الموت هو الموكَّلُ بذلك فليس له أن يقبِض نفسًا إلّا بإذنٍ من الله. وهو على مَعْنيين:

أحدهما: تحريضُهم على الجهاد وتشجيعُهم على لقاءِ العدوّ بإعْلامهم أن الحذر لا ينفعُ، وأَنَّ أحدًا لا يموتُ قبلَ بلوغِ أجله وإنْ خوَّض المهالكَ واقتحم المعارك.

والثاني: ذكرُ ما صنع الله برسوله صلى الله عليه وسلم -عند غَلَبةِ العدوِّ والتفافِهم عليه، وإسلامِ قومه له نُهْزَةً للمختلِس- ....

قوله: (المعنى: أنّ موت الأنفس)... إلخ، يعني لو كان[1] الإماتة مقدورة للنفس فلا[2] يتأتّى مِن النفس الإماتة إلّا بإذن الله ومشيئته، ولا سيّما إذا لم تكن مقدورة كيف يتأتّى منها الإماتة بدون إذن الله.[3]

قوله: (ولأنّ مَلَك الموت) عطف على قوله: (فأخرجه)... إلخ، مِن حيث المعنى، فكأنّه قال المصنّف: قال الله تعالى: "بإذن الله"[4] للتمثيل، ولأنّ قوله: (وهو على معنيين)، يعني يحتمل معنيين،[5] أي: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ﴾ مستقرّ على معنيين، يعني:[6] يحتمل معنيين.

قوله: (خوّض) شُدّد للمبالغة.

قوله: (وإسلامِ قومه)،[7] أي: تَرْكِ قومه.

[٢٧٤و] قوله: / (نُهزةً) مفعول له مِن المصدر وهو "الإسلام"، أو حال عن ضمير النبيّ عليه السلام.[8] والنُّهزة: الفرصة. واختلستُ، أي: سلبتُ. كلأه الله كِلاءة بالكسر: حَفِظه وحَرَسه. يقال: اذهب في كلاءة الله.

---

١ ن: كانت.
٢ ن ر: ولا.
٣ ن ر - بدون إذن الله.
٤ ن + تعالى.
٥ د ن - يعني يحتمل معنيين.
٦ ر - يعني.
٧ ن: قوله.
٨ ن - عليه السلام.

من الحفظ والكِلاءة وتأخير الأجل.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿كِتَٰبًا﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ؛ لأن المعنى: كتَبَ الموتَ كتابًا.

﴿مُّؤَجَّلًا﴾: مُوقَّتًا له أجلٌ معلومٌ لا يتقدَّم ولا يتأخَّر.

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ تعريضٌ بالذين شَغَلتهُم الغنائمُ يوم أحُدٍ.

﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾؛ أي: من ثوابها.

﴿وَسَنَجْزِى﴾ الجزاءَ المبهَمَ الذين شكروا نعمة الله فلَمْ يَشْغَلْهم شيءٌ عن الجهاد.

وقرئ: "يُؤتهِ" "وسيجزي" بالياء فيهما.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

قرئ: ﴿قَٰتَلَ﴾ و﴿قُتِلَ﴾، و"قُتِّلَ" بالتشديد، والفاعل ﴿رِبِّيُّونَ﴾، أو ضميرُ النبيِّ و﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ حال عنه، ....

قوله: (وتأخيرِ الأجل) أي: أخَّر الله[١] أجله عليه السلام، أو الأجل مطلقًا.

قوله: (﴿كِتَٰبًا﴾ مصدر مؤكِّد) أي: مصدر مؤكِّد لنفسه.

قوله: (﴿مُّؤَجَّلًا﴾) حال مِن "الموت"، وهو مفعول الفعل المحذوف، أو صفة.

قوله: (الجزاءَ المبهَم) لأنَّه لم يُذكَر مفعول ﴿سَنَجْزِى﴾.

قوله: (و﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾) حال أي: على الوجه الثاني. وقوله: (عنه) أي: عن ضمير النبيِّ عليه السلام.[٢]

---

[١] ن + تعالى.

[٢] ن ر - عليه السلام.

بمعنى: قُتل كائنًا معه ربيُّون، والقراءةُ بالتشديد تَنصُر الوجهَ الأوّلَ.

وعن سعيد بن جبير رحمه الله: ما سَمِعنا بنبيٍّ قُتل في القتال.

والربيُّون: الرَّبَّانيُّون، وقرئ بالحركات الثلاث، فالفتح على القياس، والضمُّ والكسر من تغييرات النَّسَب.

وقرئ: "فما وَهِنُوا" بكسر الهاء.

والمعنى: فما وَهَنوا عند قتل النبيّ ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ عن الجهاد بعده ﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ﴾ للعدوّ، وهذا تعريضٌ بما أصابهم من الوَهْن والانكسارِ عند الإرْجاف

قوله: (كائنًا معه رِبّيون) يُدفع به سؤال مَن يسأل فيقول: ﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ جملة اسميّة، فكيف يصحّ وقوعه حالًا مِن غير واو؟ فأجاب بأنّه ليس جملة اسميّة؛ بل التقدير[١] "كائنًا معه ربّيون"، فيكون ﴿رِبِّيُّونَ﴾ فاعل الظرف لاعتماده على الضمير في ﴿قُتِلَ﴾.[٢] وهذا الكلام مثل قوله في **المفصّل**: إن كانت الحالُ جملة اسميّة فالواو، وأمّا[٣] "لقيته عليه جُبّةُ وَشْي" فمعناه مستقرّة عليه جُبّةُ وَشْي.[٤]

قوله: (تنصُر الوجهَ الأوّل) لأنّه يدلّ على الكثرة. والوجه الأوّل هو إسناد الفعل إلى ﴿رِبِّيُّونَ﴾.

قوله: (فالفتح على القياس) لأنّه منسوب إلى الربّ، فأُلحق الباء وأبقيَ الفتح على ما هو القياس.

قوله: (مِن تغييرات النسب) كما يقال في "بَصري": "بُصري" بضمّ الباء.[٥]

قال رضي الله عنه:[٦] التغيير في النسب كالتكسير في الجمع.

قوله: (عند الإرجاف) الإرجاف واحد أراجيف[٧] الأخبار.

---

١ ر: المصدر.

٢ قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب. النشر لابن الجزري، ٢/٢٤٢.

٣ ن: أما.

٤ انظر: **المفصَّل** للزمخشري، ص ٩٢.

٥ د - كما يقال في بصري بصري بضم الباء. | وهو تعليق في هامش د.

٦ د: رحمه الله.

٧ ر: أن أخيف.

بقتلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبِضَعْفِهم عند ذلك عن مجاهدةِ المشركين واستكانتِهم لهم، حتى أرادوا أن يعتضِدوا بالمنافق عبدِ الله بن أبيٍّ في طلب الأمان من أبي سفيان.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ﴾ هذا القولَ، وهو إضافةُ الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيِّين؛ هَضْمًا لها واستقصارًا، والدعاءُ بالاستغفار منها مقدَّمًا على طلبِ تثبيت الأَقدام في مواطن الحرب والنُّصرةِ على العدوِّ ليكون طلبُهم إلى ربهم عن زكاةٍ وطهارةٍ وخضوعٍ أَقْربَ إلى الاستجابة.

قوله: **(أقربُ إلى الاستجابة)** إذا قُرئ "أقربُ" بالرفع يكون **(الدعاء)** مبتدأ و"أقرب" خبره، ويكون **(ليكون)** متعلّقًا بالدعاء، وإذا قرئ بالنصب يكون "الدعاء" مبتدأ و"ليكون" خبره[1] و"أقربَ" خبرُ[2] "يكون". وهذا الثاني هو الصواب؛ إذ المعنى أنّه إنّما قدّم الدعاء بالاستغفار على طلب تثبيت الأقدام ليكون طلب تثبيت الأقدام[3] أقربَ إلى[4] الإجابة. وقيل: إنّ الأوّل أَولى؛ إذ لا شبهةَ أنّ الطلب الذي يكون بعد الزكاء والطهارة أقربُ إلى الإجابة، سواءٌ قُدّم الدعاء ليكون الطلب عن طهارة، أو أُخِّر فلا يكون عن طهارة، فإنّ الطلب عن الطهارة[5] أقرب إلى الإجابة، فلا يحسن أن يقال: "قدّم الدعاء ليلزم منه أنّ الطلب عن الطهارة أقربُ"؛ بل الوجه أن يقال: "قدّم الدعاء بالاستغفار المقدّم على طلب التثبيت الذي يكون الغرض مِن تقديمه أن يكون الطلب[6] بعد الطهارة هو أقربَ إلى الإجابة"، لكن يلزم مِن هذا التقدير أن يكون[7] الدعاء أقربَ إلى الإجابة، والمقصودُ أن يكون الطلب أقربَ إلى الإجابة.

---

١ ر - و﴿ليكون﴾ خبره.
٢ ر: خبره.
٣ ن ر - ليكون طلب تثبيت الأقدام.
٤ ن ر - إلى.
٥ ر: طهارة.
٦ ن: طلب.
٧ ن ر - بعد الطهارة هو أقرب إلى الإجابة لكن يلزم مِن هذا التقرير أن يكون.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ من النُّصرة والغنيمة والعزِّ وطِيب الذكر، وخصَّ ثوابَ الآخرة بالحُسن دلالةً على فضله وتقدُّمِهِ، وأنَّه هو المعتدُّ به عنده: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [الأنفال ٦٧/٨].

﴿إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال عليٌّ رضي الله عنه: نزلت في قولِ المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم.

وعن الحسن رضي الله عنه: إنْ تَستَنْصِحوا اليهودَ والنصارى وتقْبَلوا منهم؛ لأنَّهم كانوا يستَغْوونهم ويُوقِعون لهم الشُّبَهَ في الدين، ويقولون: لو كان نبيًّا حقًّا لَمَا غُلب ولَمَا أصابه وأصحابَه ما أصابهم، وإنما هو رجلٌ حالُه كحالِ غيره من الناس يومًا له ويومًا عليه.

وعن السُّدِّي: إنْ تَسْتكينوا لأبي سفيان وأصحابه وتستأمِنُوهم.

﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ إلى دِينهم.

وقيل: هو عامٌّ في جميع الكفَّار، وأنَّ على المؤمنين أن يُجانبوهم ولا يُطيعوهم في شيء، ولا يَنزلوا على حُكْمهم وعلى مَشُورتِهم حتَّى لا يَستجِرُّوهم إلى مُوافَقتهم.

قوله: (﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال ٦٧/٨]) هذا استشهاد على أنَّه هو المعتدّ به.

قوله: (إن تستنصحوا) استنصحه: عدّه نصيحًا، أو طَلَب منه النصيحة.

قوله: (لأنَّهم) متعلّق بمحذوف، أي: "إنّما قال الحسن: المراد اليهود والنصارى لأنّهم"، أو "إنّما قال تعالى ذلك لأنّهم".[1]

قوله: (وتستأمنوهم) أي: تطلبوا منهم الأمان.

قوله: (وأنّ) عطف على قوله: (عامّ) أي: وهو بيان "أنّ".

---

[1] ر: بأنّهم.

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾؛ أي: ناصرُكم، لا تحتاجون معه إلى نصرةِ أحد وولايتِه.

وقرئ بالنصب على معنى: بل أطيعوا اللهَ مولاكم.

﴿سَنُلۡقِي﴾ قرئ بالنون والياء، و﴿ٱلرُّعۡبَ﴾ بسكون العين وضمِّها.

قيل: قذَفَ الله في قلوب المشركين الخوفَ يومَ أحد، فانهزموا إلى مكَّة من غيرِ سببٍ ولهم القوَّةُ والغلَبة.

وقيل: ذهبوا إلى مكَّة، فلمَّا كانوا ببعض الطريق قالوا: ما صنعْنا شيئًا، قتَلْنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون، ارجعوا فاستأصِلوهم، فلما عزَموا على ذلك ألقَى اللهُ الرُّعب في قلوبهم فأمسكوا.

﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ﴾: بسبب إشراكهم؛ أي: كان السببُ في إلقاء الله الرعبَ في قلوبهم إشراكَهم به ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾: آلهةً لم يُنزل اللهُ بإشراكها حجَّةً.

فإن قلتَ: كأن هناك حجَّةً حتَّى يُنزلها اللهُ فيصحَّ لهم الإشراك.

قوله: (وقُرئ بالنصب) أي: "بَلِ اللهَ".[1]

قوله: (قتلنا)[2] بيان (ما صنعنا) بطريق الإنكار.

قوله: (فأمسَكوا) أي: امتنعوا.

قوله: (كأنَّ هناك حجَّة[3] حتَّى)، يعني: كأنَّ[4] هناك، / أي: في نفس الأمر [٢٧٤ظ] وعند الله تعالى حجَّة على الإشراك، ليلزم منه أنَّه تعالى إن أنزله يصحّ معه الإشراك، ففي "حتَّى" هذه معنى السببيّة. سمَّى الحجَّة سلطانًا لتسلّطها على القلوب.[5]

---

١ ن: بالله. | قراءة شاذّة، مرويّة عن إبراهيم النخَعي ونُعيم بن ميسرة، والنُّويري في اختياره، وعيسى بن عمر. **المغني في القراءات** للنُّوزاوازي، ص ٦١٧.

٢ ن: قلنا.

٣ ن ر - كان هناك حجّة.

٤ ر: كانا.

٥ د - سمى الحجّة سلطانًا لتسلّطها على القلوب.

قلتُ: لم يَعْنِ أنَّ هناك حجَّةً إلَّا أنَّها لم تُنزل عليهم؛ لأن الشرك لا يستقيمُ أن يقوم عليه حجَّةٌ، وإنما المراد نفيُ الحجَّة ونزولها جميعًا؛ كقوله:

ولا تَرى الضَّبَّ بها يَنْجَحِر

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ وعَدَهم الله النَّصر بشرط الصبر والتقوى في قوله: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ﴾ [آل عمران ١٢٥/٣].

ويجوز أن يكون الوَعْدُ قولَه تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران ١٥١/٣] فلما فشِلُوا وتنازعوا لم يَرْعَبْهم.

قوله:

(ولا ترى الضبَّ[١] بها ينجحر)[٢]

أوّله:

لا تُفزع الأرنبَ أهوالُها

أي: ليس بها أهوال فتُفزع الأرنب، أو ليس بها أرنبٌ فتُفزعه الأهوال.

قوله تعالى: ﴿وَعْدَهُۥٓ﴾، أي: "في وعده"، على حذف الجارّ وإيصال الفعل، كقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف ١٥٥/٧].

قوله: (لم يُرعِبهم) أي: لم يُرعبهم الله،[٣] والضمير الفاعل لله والضمير[٤] المنصوب للكفّار، تقول: رعَبْتُه[٥] فهو مرعوب[٦] إذا أفزعتَه، ولا تقل: أرعبتُه.

---

١ ن ر: النصب.

٢ البيت لابن أحمر في ديوانه، ص ٦٧؛ وهو له في شرح المفضّليّات للأنباري، ص ٥٩، ٨٧٩؛ والتكملة والذيل والصلة للصغاني، «فلت»؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ١٩٢/١٠؛ وهو بلا عزو في شرح الرضيّ على الكافية، ٣٢٦/٤.

٣ ن + تعالى.

٤ ن ر – الفاعل لله والضمير.

٥ ن ر: رغبة.

٦ ن: مرغوب.

وقيل: لمّا رجعوا إلى المدينة قال ناسٌ من المؤمنين: من أين أصابنا هذا وقد وعَدَنا الله النصرَ؟! فنزلت.

وذلك أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أُحُدًا خَلْفَ ظهره واستقبل المدينة، وأقام الرُّماةَ عند الجبل وأمرهم أَنْ يَثْبتوا في مكانهم ولا يَبرَحوا كانت الدولةُ للمسلمين أو عليهم، فلمّا أقبل المشركون جعل الرماةُ يَرْشقون خَيْلَهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتّى انهزموا، والمسلمون على آثارهم يَحسُّونهم؛ أي: يقتلونهم قَتْلًا ذَرِيعًا، حتَّى إذا فشلوا -والفشلُ: الجُبن وضعفُ الرأي- وتنازعوا فقال بعضُهم: ....

قوله: (**وقيل: لمّا رجعوا**)[1] سبب النزول.

قوله: (**وذلك**) إشارة إلى الأمر والحالِ الواقع.

قوله: (**كانت الدولة**) حال.

قوله: (**فلمّا أقبل**)... إلخ، عطف على جملة قوله: (**وذلك أنّ رسول الله**)... إلخ، والأَولى أن يكون عطفًا على خبره وهو "أنّ"... إلخ.[2]

قوله: (**حتّى انهزموا**) متعلّق بقوله:[3] (**جعل**).

قوله: (**والمسلمون**) حال.

قوله: (**يحسُّونهم**) خبر بعد خبر للمسلمين،[4] أو حال.

قوله: (**ذريعًا**) أي: سريعًا.[5] قَتْل ذريع، أي: سريع. يقال: قتلوهم أذرعَ قتل.

قوله: (**حتّى إذا فشلوا**) "حتّى" حرف جرّ، أو ابتدائيّة، لا عاطفة لِما سيجيء، وهو متعلّق بقوله: (**انهزموا**).

قوله:[6] (**فقال بعضهم**) كالتفصيل للتنازع.

---

١ **البسيط** للواحدي، ٦٩/٦ (آل عمران، ١٥٢/٣)؛ **معالم التنزيل** للبغوي، ١١٨/٢ (آل عمران، ١٥٢/٣).

٢ ن ر - والأولى أن يكون عطفًا على خبره وهو أنّ... إلخ.

٣ ر + ما.

٤ ر: للمسلمون.

٥ ر - أي: سريعًا.

٦ ن: فقوله.

قد انهزم المشركون فما موقفُنا هاهنا؟ وقال بعضهم: لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فممَّن ثبت مكانه عبدُ الله بن جُبيرٍ أميرُ الرُّماة في نفرٍ دون العشرة، وهم المَعْنِيُّون بقوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾، ونَفَر **أعْقابُهم** يَنْهَبُون وهم الذين أرادوا الدنيا، فكرَّ المشركون على الرُّماة وقَتلوا عبد الله بن جُبير رضي الله عنه، وأقبلوا على المسلمين **وحالت** الريحُ **دَبُورًا وكانت صَبًا** حتى هزمُوهم وقتلوا مَن قتلوا، وهو قولُه: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ لِمَا عَلِمَ من نَدَمِكم على ما فَرَط منكم من عصيانِ أمرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يتفضَّل عليهم بالعفو، أو هو يتفضَّل عليهم

قوله: (**فما موقفنا؟**)[1] استفهاميّة بمعنى الإنكار، فكأنّهم قالوا: أيّ شيء موقفنا أحسن؟ أو[2] قبيح بمعنى هو قبيح وليس بحسن فلا[3] نقف. والموقف هنا بمعنى الوقوف.

قوله: (**فممّن ثبت**) الفاء[4] فصيحة، فكأنّه قال: فثبت بعضهم ونفر بعضهم فممّن ثبت.

قوله: (**عبد الله بن جُبَير**) بضمّ الجيم وفتح الباء.

قوله: (**في نفر**) أي: في ثمانية مِن الرُّماة.[5]

قوله: (**أعقابهم**) أي: بقاياهم.

قوله: (**وحالت**) أي: انقلبت.

قوله: (**دَبورًا وكانت صَبا**) الصَّبا مِن المشرق، والدبور مِن المغرب، والشَّمال مِن القطب، والجنوب مقابله.

---

١ ما وقفتُ عليه فيما سبق **الكشّاف** من المظانّ.
٢ ن: أي.
٣ ن: ولا.
٤ ر: للفاء.
٥ ن ر + مطلع.

في جميع الأحوال سواءٌ أُدِيلَ لهم أو أُديلَ عليهم؛ لأن الابتلاء رحمةٌ كما أن النُّصرة رحمةٌ.

فإن قلتَ: أين متعلَّق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾؟

قلتُ: محذوفٌ تقديره: حتى إذا فشلتُم مَنَعَكم نَصْرَه.

قوله: (**فإن قلتَ: أين متعلَّق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾؟**) "حتّى" قد يكون حرف جرّ بمنزلة "إلى" في انتهاء الغاية، نحو "أكلتُ السمكة حتّى رأسِها"، أي: "إلى رأسِها"، وقد يكون حرف[١] عطف، نحو[٢] "أكلتُ السمكة حتّى رأسَها"، أي: "ورأسَها"، وقد يكون حرف ابتداء يُستأنف[٣] بها[٤] الكلام، نحو "أكلتُ السمكة حتّى رأسُها"، أي: حتّى رأسُها[٥] مأكول. قال:

فما زالتِ القتلى تمجّ دماءها بدجلةَ حتّى ماء دجلةَ أشكَلُ[٦]

إذا عرفت ذلك فنقول: "حتّى" هذه لا يجوز أن تكون عاطفة؛ لأنّ "حتّى" العاطفة تجمع بين الأوّل والثاني في الحكم الذي ثبت للأول،[٧] وهي مثل "ثمّ" في الترتيب والمهلة، ويكون معطوفها جزءًا مِن متبوعها ليفيد قوّة أو ضعفًا، وذلك[٨] هنا متعذِّر. فإمّا أن يكون حرف جرّ، أو حرفَ[٩] ابتداء، فإن كان حرف ابتداء فلا بدّ أن تكون ﴿إِذَا﴾ شرطيّة ويكونَ[١٠] جوابها محذوفًا، وهو متعلّق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾، ليكون الواقع بعد "حتّى" الابتدائيّة[١١] جملة، وإن كان حرف جرّ فتكون ﴿إِذَا﴾[١٢] ظرفيّة مجرورة بها كما ذكر، ولا يحتاج ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ إلى[١٣] متعلّق،

---

١ ن ر - جرّ بمنزلة إلى في انتهاء الغاية نحو: أكلت السمة حتّى رأسِها، أي: إلى رأسها وقد يكون حرف.
٢ ر - نحو.
٣ ن: المستأنف.
٤ ن: بهذا.
٥ ن - أي: حتّى رأسها.
٦ البيت لجرير في ديوانه، ١/١٤٣؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «حت»؛ ومغني اللبيب لابن هشام، ٢/٢٨٧.
٧ ر: الأول.
٨ ن ر: ذلك.
٩ ن ر - أو حرف.
١٠ ن: فيكون.
١١ ن ر: للابتداء.
١٢ د - إذا.
١٣ ن ر - إلى.

ويجوز أن يكون المعنى: صدَقكم الله وعده إلى وقتِ فشلكم.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ نصبٌ بـ﴿صَرَفَكُمْ﴾، أو بقوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾، أو بإضمار: اذكر.

[٢٧٥و] ولا بُعد في[1] وقوع "إذا" مجرورًا / كما وقع مجرورًا في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل ١/٩٢]، فإنّ أهل التحقيق على أنّ ﴿إِذَا﴾ فيه ظرفية بدل مِن ﴿وَٱلَّيْلِ﴾، وكما وقع مرفوعًا في قولهم: "أخطبُ ما يكون الأمير[2] إذا كان قائمًا"، على ما سيجيء عن قريب في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ [آل عمران ١٦٤/٣]، وكذا في قراءة مَن قرأ: "لَمِن مَنِّ الله عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ".[3] ودم أشكَلُ: إذا كان فيه بياض وحمرة.

قوله: (**ويجوز أن يكونَ[4] المعنى**)... إلخ، فمعنى ﴿صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ نَصَركم، فيكون كناية؛ لأنّ النصر مستلزم للصدق.

قوله: (**أو بإضمار "اذكر"**) هذا مشكل، إذ يصير المعنى "اذكر يا محمّد إذ تُصعِدون أيّها المُصعِدون"، وهم الذين تركوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[5] فإمّا أن نقول: "اذكروا" ويكون مِن "الذُّكر" بضم الذال لا بالكسر، لكنّ المصنّف أشار إلى العامل ولم يصرّح بالمعنى لوضوحه، أو نقول: المعنى "اذكر وقت صعودهم وقل: إذ تُصعِدون"، ويكون مِن "الذِّكر" بكسر الذال. والصواب أن نقول: قوله: "بإضمار اذكر" مختصّ[6] بالقراءة بالياء[7] في[8] "يُصْعِدُون" و"يَلْوُونَ"،[9] على ما سيجيء.

---

[1] ر – في.

[2] ن ر: الأمر.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن سليمان. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٦٢٣.

[4] ن ر + الحمرة.

[5] د: عليه السلام.

[6] ر: لخص.

[7] ن ر – بالياء.

[8] ر + إذ.

[9] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي يزيد عن ابن مُحيصن، وابن عُيينة عن ابن كثير. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٦١٨.

والإِصْعادُ: الذهابُ في الأرض والإبْعادُ فيه، يقال: صَعِد في الجبل وأَصعد في الأرض، يقال: أصعَدْنا من مكّة إلى المدينة.

وقرأ الحسن رضي الله عنه: "تَصْعَدون" يعني: في الجبل.

وتَعضدُ الأولى قراءةُ أبيّ: "إذ تُصْعِدون في الوادي".

وقرأ أبو حيوة: "تَصَعَّدون" بفتح التاء وتشديد العين من تصعَّد في السُّلَّم.

وقرأ الحسن رضي الله عنه: "تَلُونَ" بواوٍ واحدة، وقد ذكرنا وجهها.

وقرئ: "يُصْعدون" و: "يَلوون" بالياء.

﴿وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ﴾ كان يقول: «إليَّ عبادَ الله، إليَّ عبادَ الله، أنا رسولُ الله، مَن يَكرُّ فله الجنَّة».

﴿فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾: في ساقتكم وجماعتكم الأُخرى، وهي المتأخِّرة، يقال: جئتُ في آخر الناس وأُخراهم؛ كما تقول: في أوَّلهم وأُولاهم، بتأويل: مُقدِّمَتهم وجماعَتهم الأولى.

قوله: **(والإبعاد فيه)** أي: في الذهاب.

قوله: **(مِن مكّة إلى المدينة)** ومكّة في أرفع موضع مِن المدينة.

قوله: **(وتعضُد[1] الأولى قراءة أُبيّ)**... إلخ، فدلّ قراءة أُبيّ على أنّه ليس المراد الصعود في الجبل؛ لأنّه صرّح في قراءته[2] بقوله: **("في الوَادِي")**،[3] وقراءة أبي حَيْوَة[4] تؤيّد قراءة الحسن.[5]

قوله: **(وقد ذكرنا وجهها)** وهو أنّ الواو المضمومة قُلِبت همزة ثمّ خفّف بنقل الحركة والحذف.

قوله تعالى: (﴿فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾) حال. وقوله: **(في[6] ساقتكم)** ساقة الجيش: آخره.[7]

---

١ ن ر: وتصعد.

٢ ن ر: قراءة.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ١٢٣.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيْوَة ونوح القارئ وأبي البَرَهسم. **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٦١٨.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٦١٨.

٦ ر – في.

٧ ن: آخر.

﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ عطفٌ على ﴿صَرَفَكُمْ﴾؛ أي: فجازاكم الله ﴿غَمًّا﴾ حين صرَفكم عنهم وابتلاكم ﴿بِ﴾سببِ ﴿غَمٍّ﴾ أذقْتُموه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له.

أو: غمًّا مضاعفًا؛ غمًّا بعد غمّ؛ وغمًّا متَّصلًا بغمّ، من الاغتمام بما أُرجف به مِن قتلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، والجَرْحِ والقتل، وظفَرِ المشركين وفَوْتِ الغنيمة والنَّصْر.

﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ﴾: لتتمرَّنوا على تجرُّع الغموم وتَضْرَوْا باحتمال الشدائد، فلا تحزنوا فيما بَعدُ على فائتٍ من المنافع ولا على مُصيب من المَضارّ.

ويجوز أن يكون الضمير في ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ لـ"الرسول"؛ أي: فأثابكم الرسولُ

قوله: (مِن الاغتمام)[1] بيان (غمًّا مضاعَفًا).

قوله: (بما أُرجِف[2] به) "أُرجِف" مسند إلى "به"، أي: بما وقع الاضطراب في الناس بسببه، يقال: رجفت الأرض وأرجف الناس في الشيء، أي: خاضوا فيه واضطربوا. والأراجيف مِن ذا، واحدها إرجاف.[3]

قوله: (وظَفَرِ[4] المشركين) لو قال:[5] "وغلبة المشركين" كان أحسن؛ لأنّ الظفَر للمؤمنين لا لهم.

قوله:[6] (وتَضْرَوا)[7] ضَرِيَ بكذا، أي:[8] غَرِي به.

قوله: (ويجوز أن يكون الضمير) أي: ضمير الفاعل في ﴿أَثَٰبَكُمْ﴾ للرسول، فيكون عطفًا على ﴿يَدْعُوكُمْ﴾.

قوله: (أي: فأثابكم) يقال:[9] آسيته بمالي مؤاساة، أي: جعلته إسوةً[10] أقتدي به ويقتدي هو[11] بي.[12]

---

١ ن: الاهتمام.
٢ ن: أجف.
٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «رجف».
٤ ن ر: فظفر.
٥ ن: قالا.
٦ ر – قوله.
٧ ر: تضرئوا.
٨ ن ر – أي.
٩ ر + أسلته.
١٠ الإسوة بكسر الهمزة وضمّها لغتان. **الصحاح** للجوهري، «أسا». | وضُبطت في د بالكسر.
١١ ن ر – هو.
١٢ ن ر: موتي.

فآساكم في الاغتمام، وكما غمَّكم ما نزل به مِن كسر الرَّباعيَة والشجَّة وغيرِهما غمَّهُ ما نزل بكم، فأثابكم غمًّا اغتمَّه لأَجْلكم بسببِ غمٍّ اغتَمَمْتُمُوه لأَجْله، ولم يثرِّبْكم على عصيانكم ومخالفتِكم لأمره، وإنما فعل ذلك ليُسلِّيَكم ويُنَفِّسَ عنكم؛ لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصرِ الله ولا على ما أصابكم من غلبةِ العدوّ.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

ثم أنزل الله الأمنَ على المؤمنين وأزال عنهم الخوفَ الذي كان بهم حتى نَعَسوا وغلبهم النومُ.

عن أبي طلحة رضي الله عنه: غشيَنا النعاسُ ونحن في مَصَافِّنا، فكان السيفُ يسقطُ من يدِ أحدِنا فيأخذُه، ثم يسقط فيأخذه، وما أحدٌ إلَّا ويميلُ تحت حَجَفتهِ.

قوله: (غمّه ما نزل بكم) أي: غمّ الرسول.

قوله: (ولم يُثرِّبكم) «التثريب:[١] كالتأنيب والتعيير والاستقصاء في اللوم. يقال: "لا تثريبَ عليك"، وهو مِن الثَّرْب».[٢]

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ قال المفسِّرون: إنّ المشركين لمّا انصرفوا يوم أُحد كانوا يتوعّدون المسلمين بالرجوع، ولم يأمن المسلمون كرّتهم، وكانوا تحت الحَجَفة متأهِّبين للقتال، فأنزل الله عليهم دون ذلك أمَنَة، فأخذهم[٣] النعاس، وإنّما ينعس مَن يأمن. والحَجَفة: تُرس صغير.

---

١ ن – التثريب.

٢ الصحاح للجوهري، «ثرب».

٣ ن ر: وأخذهم.

وعن الزُّبَيْر رضي الله عنه: لقد رأيتُني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتدَّ علينا الخوفُ فأرسل الله علينا النومَ، واللهِ إني لَأسمع قولَ مُعَتِّب بن قُشَيْر والنُّعاسُ يَغْشاني يقول: لو كان لنا من الأمر شيءٌ ما قُتلْنا هاهنا.

والأَمَنةُ: الأَمْنُ، وقرئ: "أَمْنةً" بسكون الميم، كأنها المرةُ من الأمْن.

و﴿نُعَاسًا﴾ بدلٌ من ﴿أَمَنَةً﴾، ويجوز أن يكون هو المفعولَ و﴿أَمَنَةً﴾ حالًا منه مقدَّمةً عليه؛ كقولك: رأيتُ راكبًا رجلًا، ....

قوله: (وعن ابن الزُّبير) وفي بعض النُّسخ "الزُّبير"،[١] وفي متن كتاب صدر الأئمّة:[٢] «وعن ابن الزُّبير»، وفي حاشيته قال الصدر[٣] ضياء الدين أخطب الخطباء:[٤] «الصواب الزُّبير».[٥] هكذا صحّ عند / أصحاب التواريخ وأرباب [٢٧٥ظ] المغازي؛ لأنّ ابن الزُّبير في رواية القُتَبي[٦] عن الواقدي وُلد بعد عشرين شهرًا مِن الهجرة، وفي رواية غير الواقديّ في السنة الأولى مِن الهجرة،[٧] وغزوة أُحد كانت[٨] في شوال سنة ثلاث مِن الهجرة. وهكذا وُجد بخطّ صاحب الكشّاف.[٩]

قوله: و﴿نُعَاسًا﴾ بدل[١٠] ﴿أَمَنَةً﴾ وهو بدل الكل مِن الكل[١١] بحذف المضاف، أي: ذا نعاس، أو جُعل النعاس عين الأمنة لأنّه تولّد منها، فكأنّه عينها، وإذا جعل ﴿أَمَنَةً﴾ حالًا منه[١٢] فالتقدير "ذا أمنة"، أو جعلت عينه.

قوله: (ويجوز أن يكون[١٣] هو) أي: نعاسًا.

قوله: (و﴿أَمَنَةً﴾ حالًا منه) واعلم أنّه إذا جعل ﴿أَمَنَةً﴾ حالًا مِن ﴿نُعَاسًا﴾

---

١ ضُبطت الزاي في د بالفتحة.
٢ هو الموفّق بن أحمد المكي، من أبرز تلامذة الزمخشري، والظاهر مِن السياق أنّ الجاربردي يريد بما ذكر ههنا نسخة الموفّق مِن الكشّاف.
٣ ن ر - الصدر.
٤ ما عرفته.
٥ ضُبطت الزاي في د بالفتحة.
٦ هو ابن قتيبة.
٧ انظر: المعارف لابن قتيبة، ص ٢٢٤-٢٢٥.
٨ ر - كانت.
٩ في هامش د: في نسخة الكتاب.
١٠ ن + من.
١١ ر: البعض.
١٢ ر + واعلم أنّه إذا جعل ﴿أَمَنَةً﴾ حالًا منه.
١٣ ن ر - ويجوز أن يكون.

أو مفعولًا له بمعنى: نعَسْتُم أَمَنَةً.

ويجوز أن يكون حالًا من المخاطَبين بمعنى: ذوي أَمَنَةٍ، أو على أنه جمعُ آمنٍ كبَارٍّ وبَرَرةٍ.

﴿يَغْشَىٰ﴾ قرئ بالياء والتاء؛ ردًّا على النعاس أو على الأَمَنة.

﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾: هم أهلُ الصدق واليقين.

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ هم المنافقون ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ما بهم إلا همُّ أنفسهم، لا هَمُّ الدِّين، ولا همُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين.

أو: قد أوْقَعَتْهُم أنفسهم وما حلَّ بهم في الهموم والأشجان فهم في التشاكي والتباثِّ.

﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ في حكمِ المصدر، ....

يكون المعنى "ذا أمن"، فقد يُوصَف النوم بالأمن مجازًا كما يُوصَف بالخوف مجازًا، قال:

يهاب النوم أن يغشى عيونًا تهابك فهو نقَّار شَرودُ[1]

وقوله: "حالًا[2] منه" أي: مِن ﴿نُعَاسًا﴾.

قوله: (بمعنى نعَستم) فيكون فعلًا لفاعل الفعل المُعلَّل.

قوله: (ويجوز أن يكون حالًا) أي: تكون[3] أمَنَة.

قوله: (﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾) أهمّني الأمر إذا أقلقك وأحزنك.[4]

قوله: (﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾) في حكم المصدر. قال ابن الحاجب في **شرح المفصّل**: ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ و﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ مصدران أحدهما للتشبيه[5] والآخر توكيد لغيره،

---

[1] البيت بلا عزو في **الكشّاف** للزمخشري، (الأنفال، ١١/٨)؛ و**الدرّ المصون** للسمين الحلبي، ٥٧٦/٥ (الأنفال، ١١/٨). وقال الطِّيبي عن هذا البيت في **فتوح الغيب**، ٤٠/٧: «قيل: إنّه للمصنِّف»، يعني الزمخشري، وليس في ديوانه.

[2] ن ر: جاه.

[3] ن – تكون.

[4] ن ر: وحزنك.

[5] ن ر: للتسمية.

ومعناه: يظنُّون بالله غيرَ الظنِّ الحقِّ الذي يجب أن يُظَنَّ به، و﴿ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ بدلٌ منه.

ويجوز أن يكون المعنى: يظنُّون بالله ظَنَّ الجاهلية، و﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ تأكيدٌ لـ﴿يَظُنُّونَ﴾؛ كقولك: هذا القولُ غيرَ ما تقولُ، و: هذا القولُ لا قولَكَ.

وظنُّ الجاهليّة كقولك: حاتمُ الجُودِ، ورجلُ صِدْقٍ، يريد: الظنَّ المختصَّ بالملَّة الجاهليَّة، ويجوز أن يراد: ظَنَّ أهلِ الجاهليَّة؛ أي: لا يَظنُّ مثلَ ذلك الظنِّ إلَّا أهلُ الشركِ الجاهلون بالله.

والمفعولان للظنّ محذوفان،[1] أي: يظنّون[2] إخلاف[3] وعده حاصلًا.[4]

قوله: (أن يُظنّ[5] به) الضمير في "به" يعود إلى الله تعالى، كما يقال: "ظننتُ بزيد" إذا جعلتَه موضع ظنّك مثل ظننتُ في الدار.

قوله: (و﴿ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾) هو إبطال النبوّات والشرائع.

قوله:[6] (هذا القول غيرَ ما تقول)... إلخ، وهذا ممّا يسمّى توكيدًا لغيره، أي: "هذا القول أقول غيرَ ما تقول"،[7] و"هذا القول لا أقول قولك"، فـ"هذا" مبتدأ و"القول" خبره و"غيرَ" نصب بفعل مقدّر.

قوله: (وظنُّ الجاهليّة كقولك) مبتدأ وخبر.

قوله: (ورجلُ صدقٍ) ومنه:

وفتيانِ صِدق لستُ مُطلِعَ بعضهم   على سرّ بعضٍ غيرَ[8] أنّي جِماعها[9]

---

١ ن ر: محذوف.
٢ ن ر - يظنون.
٣ ن: وعدها؛ ر: وحدها.
٤ **الإيضاح في شرح المفصَّل** لابن الحاجب، ٦٢/٢.
٥ ن: يطر.
٦ ن - وظنّ الجاهليّة هو إبطال النبوّات والشرائع. قوله.
٧ ر - وظنّ الجاهليّة هو إبطال النبوّات والشرائع قوله: (هذا القول غير ما تقول)... إلخ، وهذا ممّا يسمّى توكيدًا لغيره، أي: هذا القول أقول غير ما تقول.
٨ ن: نحو.
٩ البيت لمسكين الدارمي في **ديوانه**، ص ٥٢؛ وهو له في **رسائل الجاحظ**، ١٥٢/١؛ **والتذكرة الحمدونية** لابن حمدون، ١٥٢/٣؛ **والاقتضاب** للبطليوسي، ١١٥/٢.

﴿يَقُولُونَ﴾ لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖ﴾ معناه: هل لنا مَعَاشِرَ المسلمين من أمر الله نصيبٌ قطّ؟ يعنون: النصرَ والإظهارَ على العدوّ.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ ولأوليائه المؤمنين، وهو النصر والغلبة: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة ٢١/٥٨] ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات ١٧٣/٣٧].

﴿يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَ﴾ معناه: يقولون لك فيما يُظهِرون: هل لنا من الأمر من شيء؟ سؤالَ المؤمنين المسترشِدين، وهم فيما يُبْطِنون على النِّفاق ﴿يَقُولُونَ﴾ في أنفسهم -أو بعضُهم لبعضٍ- منكِرين لقولك لهم: ﴿إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ﴾؛ أي: لو كان الأمرُ كما قال محمد: "إن الأمر كلَّه لله ولأوليائه" و"إنهم الغالبون" لَمَا غُلِبْنا قطُّ، ولَمَا قُتل من المسلمين مَن قُتل في هذه المعركة.

﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ﴾ يعني: مَن عَلِم الله منه أنّه يُقتَل ويُصرعُ في هذه المصارع وكَتَب ذلك في اللَّوح ....

قوله: (معاشر المسلمين) يريد أنّ المنافقين أظهروا أنّهم مسلمون، فقالوا: ﴿هَل لَّنَا﴾ وأرادوا هل للمسلمين، ولذلك أجاب الله تعالى بقوله: ﴿ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾، أي: للمؤمنين ولم يقل: لكم.

قوله: تعالى: (﴿كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾) الرفع على الابتداء والنصب على التأكيد.

قوله: (ولأوليائه) مِن العطف للبيان.

قوله: (المعركة) عركتُ الشيء دلكتُه، وعركتُ القوم في الحرب عركًا. والمَعرَك والمعركة: موضع الحرب، وكذلك المَعرُكة بالضمّ.[١]

قوله:[٢] (وكتب ذلك في اللوح) عطف على قوله: (عَلِم الله منه أنّه يقتل) وهو صلة (مَن)، وإنّما جاز ذلك مع أنّه ليس فيه ضمير يعود إلى "مَن" لأنّ[٣] ذلك[٤] إشارة إلى أنّه يُقتل، فقام مقام الضمير لكونه إشارة إلى ما فيه ضمير.

---

١ انظر: الصحاح للجوهري، «عرك».
٢ ن - قوله.
٣ ن: لأنك.
٤ ن - ذلك.

لـم يكن بدٌّ من وجوده، فلو قعدتُم في بيوتكم ﴿لَبَرَزَ﴾ من بينكم ﴿ٱلَّذِينَ﴾ عَلم الله أنهـم يُقتلون ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ وهي مَصَارعُهـم؛ ليكونَ ما عَلِم أنّه يكـونُ.

والمعنى: أن الله كتب في اللَّوح قَتْلَ مَن يُقتل من المؤمنين، وكتَبَ مع ذلك أنَّهم الغالبون؛ لعلمه أن العاقبةَ في الغلبة لهم، وأن دينَ الإسلام يَظْهر على الدِّين كلِّه، وأن ما يُنْكَبُون به في بعض الأوقات تمحِيصٌ لهم وترغِيبٌ في الشهادة، وحِرْصُهم على الشهادة مما يحرِّضهم على الجهاد فتحصلُ الغلبةُ.

قوله:[١] (بُدّ[٢] مِن وجوده) أي: مِن وجود أنّه يقتل. ويجوز أن يكون الضمير عائدًا إلى "مَن" على حذف المضاف، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف ٥٨/٧] مِن أنّ في الكلام حذفًا تقديره "لا يخرج نباتُه إلّا نكدًا"، فحُذف "نبات" لدلالة المذكور عليه، ونُقل / الضمير المتصل إلى ﴿يَخْرُجُ﴾. [٢٧٦و]

قوله: (ليكون ما عَلِم) أي: ليقع.

قوله: (أنّهم الغالبون) أي: أنّ المؤمنين.

قوله: (ما يُنكَبون) مِن النكبة، وهي واحدة نكبات الدهر، تقول: أصابته نكبة.

قوله: (وحرصُهم) عطف على قوله: "ما يُنكبون". وحاصل المعنى أنّ الله تعالى[٣] كَتَب قَتْل مَن يُقتل، ومع كتابته كَتَب أنّهم الغالبون لعلمه بأنّ العاقبة لهم، وأنّ الإسلام يظهر على سائر الأديان، وعِلمِه أنّ ما يُنكَبون به يُمحِّصهم ويُرغِّبهم في الشهادة، وعِلمِه أنّ حرصهم على الشهادة يبعثهم على الجهاد فيُجاهدون ويُغلَبون، فلذلك كَتَب أنّ المؤمنين الغالبون، مع كَتْبه أنّ هؤلاء يُقتلون. ويدلّ على ما ذكره المصنّف "مِن أنّه تعالى كتب أنّهم الغالبون"... إلخ، قولُه[٤] تعالى ههنا: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾.

قوله: (تمحيصٌ لهم) التمحيص: التطهير مِن الذنوب؛ لأنّهم إذا رأوا مَن يُنكَب مِن إخوانهم وقُتِل شهيدًا وسمعوا ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران ١٦٩/٣]

---

١ ن – قوله.
٢ ر: يد.
٣ ن ر – تعالى.
٤ السياق: ويدلّ... قوله...

وقيل: معناه: هل لنا مِن التدبير مِن شيء، يَعْنون: لم نملك شيئًا مِن التدبير حيثُ خرجنا من المدينة إلى أُحد، وكان علينا أن نُقيمَ ولا نبرحَ، كما كان رأيُ عبد الله بن أبيّ وغيرِه، ولو مَلَكْنا من التدبير شيئًا لَمَا قُتلنا في هذه المعركة ﴿قُلْ إِنَّ﴾ التدبير ﴿كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ يريد: أن الله عزّ وجل قد دبَّر الأمرَ كما جرى، ولو أقمتُم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لَمَا نجا من القتل مَن قُتل منكم.

وقرئ: "كُتب عليهم القتال".

و: "كتَبَ عليهم القتلَ" على البناء للفاعل.

و: "لبُرِّزَ" بالتشديد وضمّ الباء.

﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ﴾: وليَمْتَحِنَ ما في صدورِ المؤمنين من الإخلاص، ويُمحِّص

رغبوا في القتل والجهاد وازداد حرصهم في الشهادة كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾، فكان النَّكْب حينئذٍ سببًا لرغبتهم في الشهادة كما هو سببٌ للتمحيص.

قوله: **(مِن التدبير)** التدبير: النظر في عاقبة الأمر.

قوله: **(وليمتحن ما في صدور المؤمنين)** أي: ليعلمه مشاهدة كما يعلمه غيبًا، لأنّ المجازاة تقع على ما عَلِمه مشاهَدة.

قوله: **(مِن الإخلاص)** بيان "ما".

قوله: **(ويُمحِّص)** قال قتادة: «أي: ليطهّرها مِن الشكّ والارتياب بما يُريكم مِن عجائب صنعه في إلقاء الأمَنَة وصرفِ العدو وإعلانِ[١] سرائر المنافقين، وهذا التمحيص خاصّ بالمؤمنين».[٢] يقال: محّصته[٣] مَحْصًا: خلّصته مِن كلّ عيب. ومحّص الله جلّ[٤] ثناؤه العبدَ مِن الذنب إذا طهّره. ويقال: التمحيص: البلاء والاختبار. ومحّصتُ الذهب بالنار إذا خلّصتَه ممّا يشوبه.[٥] ومنه قوله تعالى:

---

١ ر: وإعلال.
٢ **الوسيط** للواحدي، ١/٥٠٩ (آل عمران، ٣/١٥٤).
٣ ن ر: محصه.
٤ ن: كل.
٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «محص».

ما في قلوبهم من وساوس الشيطان، فَعَلَ ذلك.

أو: فعَل ذلك لمصالحَ جمَّةٍ وللابتلاء والتمحيص.

فإن قلتَ: كيف مواقعُ الجمل التي بعد قوله: ﴿وَطَآيِفَةٌ﴾؟

قلتُ: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾ صفةٌ لـ"طائفةٌ"، و﴿يَظُنُّونَ﴾ صفةٌ أخرى، أو حالٌ بمعنى: قد أهمَّتهم أنفسهم ظانِّين، ....

﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ أي: ليطهِّر[١] الاعتقاداتِ[٢] والآراء التي في قلوبكم. فـ"مِن" في قوله: (مِن وساوس) ليس بيانًا لـ(ما)؛ بل هو متعلّق بقوله: "يُمحّص". ولو جُعل التمحيص هنا بمعنى الابتلاء والاختبار كان "مِن"[٣] بيانًا. والأوّل أولى.

قوله: (فعل ذلك، أو[٤] فعل)... إلخ، يعني يجوز أن يكون المعلَّل محذوفًا، أي: ليمتحِن ويُمحّص فعل ما فعل، وأن يكون ﴿لِيَبْتَلِيَ﴾ عطفًا على علّة محذوفة، وقد مرّ مثل ذلك عن قريب.

قوله: (قلتُ: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾)... إلخ، على ما ذُكر مِن مواقع الجمل لم يبقَ لـ﴿طَآيِفَةٌ﴾ خبر، والوجه على التقدير الذي ذكر المصنّف أن يكون الخبر محذوفًا، أي: "ومنهم طائفة".[٥] وهو الوجه عندي، وفيه حُسن يُعرَف بالذوق بعد التأمُّل. قال الزجّاج: «قال سيبويه: المعنى "إذ طائفة[٦] قد أهمَّتهم أنفسهم"، وهذه واو الحال»،[٧] والعامل ﴿يَغْشَىٰ﴾، وخبر ﴿طَآيِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾ كـ"شرٌّ أهرّ[٨] ذا ناب". ويجوز أن يكون ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾ نعتًا لـ﴿طَآيِفَةٌ﴾ والخبر ﴿يَظُنُّونَ﴾.

قوله: (أو حالٌ) أي: مِن[٩] "هم".[١٠]

---

١ ن: ليظهر.

٢ ر: الاعتقاد.

٣ ن ر – من.

٤ ر: أي.

٥ ن ر – خبر والوجه على التقرير الذي ذكر المصنّف أن يكون الخبر محذوفًا، أي: ومنهم طائفة.

٦ د ن ر: وطائفة. | وأثبتُّ ما في مطبوع معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، وهو المناسب لسياق الكلام.

٧ معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٤٧٩/١-٤٨٠.

٨ ر – أهر.

٩ ن ر: منهم.

١٠ ن ر – هم.

أو استئنافٌ على وجه البيان للجملة قبلها، و﴿يَقُولُونَ﴾ بدلٌ من ﴿يَظُنُّونَ﴾.

فإن قلتَ: كيف صحَّ أن يقع ما هو مسألةٌ عن الأمر بدلًا من الإخبار بالظنّ؟

قلتُ: كانت مسألتُهم صادرةً عن الظنّ، فلذلك جاز إبدالُه منه.

و﴿يُخْفُونَ﴾ حالٌ من ﴿يَقُولُونَ﴾، و﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ اعتراضٌ بين الحال وذي الحال، و﴿يَقُولُونَ﴾ بدلٌ من ﴿يُخْفُونَ﴾، والأجودُ أن يكون استئنافًا.

قوله: **(أو استئناف)** لأنّ قوله: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ موقع للسؤال، وهو أن يقال: لِمَ أهمّتهم؟ أو كيف أهمتهم؟ فيقال: يظنون.

قوله: / **(فإن قلتَ: كيف صحّ؟)**[١] تنقيح السؤال: كيف صحّ أن يكون ما هو الإخبار عن المسألة عن[٢] الأمر بدلًا؟ وقوله: "كيف صحّ"...[٣] إلخ، موضع نظر،[٤] إذ لم تقع المسألة عن الأمر بدلًا مِن الإخبار[٥] بالظنّ؛ بل وقع الإخبار عن المسألة بدلًا عن الإخبار بالظنّ،[٦] إذ ﴿يَقُولُونَ﴾ بدل[٧] عن ﴿يَظُنُّونَ﴾. [٢٧٦ظ]

قوله:[٨] **(حال مِن ﴿يَقُولُونَ﴾)** أي: يقولون:[٩] ﴿هَل لَّنَا﴾.

قوله: **(وذي الحال)** أي: الواو في ﴿يَقُولُونَ﴾.

قوله: **(و﴿يَقُولُونَ﴾ بدل)** أي: ﴿يَقُولُونَ﴾ لو كان بدل مِن ﴿يُخْفُونَ﴾، لأنّ المراد القول النفسيّ.

قوله: **(أن يكون)** أي: ﴿يَقُولُونَ﴾، أي: لو كان استئنافًا لا يصحّ أن تقول: "أخبرني زيد قال لي". لا يذهب فيه لو قال: "نهاني قال لي: اضرب"، أو "أمرني قال لي: لا".[١٠] وقوله: **(استئنافًا)** لأنّ قوله: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ موضع أن يُسأل فيقال:

---

[١] ن: يصح.
[٢] ن - عن.
[٣] ر - أن يكون ما هو الإخبار عن المسألة عن الأمر بدلًا وقوله: (كيف صحّ).
[٤] ر + أن يكون ما هو الإخبار عن المسألة عن الأمر بدلًا وقوله: (كيف صحّ)... إلخ، موضع نظر.
[٥] ن: الاختيار.
[٦] ن: الظن.
[٧] ن ر: بدلًا.
[٨] ن - قوله.
[٩] ن - أي: يقولون.
[١٠] د - قوله: (أن يكون) أي: ﴿يَقُولُونَ﴾، أي: لو كان استئنافًا لا يصحّ أن يقول: "أخبرني زيد قال لي". لا تذهب فيه لو قال: "نهاني قال لي: اضرب"، أو "أمرني قال لي: لا".

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾: طلَب منهم الزَّلَل ودعاهم إليه ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ من ذنوبهم.

ومعناه: إنَّ الذين انهزموا يومَ أحدٍ كان السبب في تولِّيهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطانَ فاقترفوا ذنوبًا، فلذلك منَعتْهم التأييدَ وتقويةَ القلوب حتَّى تولَّوا.

وقيل: استزلالُ الشيطان إياهم هو التولِّي، وإنَّما دعاهم إليه بذنوبٍ قد تقدَّمت لهم؛ لأن الذَّنْب يجرُّ إلى الذَّنْب كما أن الطاعة تجرُّ إلى الطاعة وتكون لطفًا فيها.

أيّ شيء الذي يخفون في أنفسهم؟ فقيل: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ﴾.

قوله: (﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾) «زَلَلتَ يا فلان تَزِلّ زليلًا، إذا زَلَلت في طين أو منطق. وقال الفرّاء: زَلِلتَ بالكسر تزَلّ زَلَلًا، والاسم الزَّلّة. واستزلّه غيره».[١]

قوله: (**أطاعوا الشيطان**) أي: فيما مضى.

قوله: (**فاقترفوا ذنوبًا**) أي: فيما تقدّم، فقوله: ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ الباء قريب مِن باء الآلة، فتأمّل.

قوله: (**فلذلك منعَتْهم**) أي: لأجل أنّهم أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبًا منعَتْهم التأييد جزاءً لهم على طاعة الشيطان. وقوله: "فلذلك"... إلخ، محذوف مِن لفظ **القرآن** مراد معنىً، وإنّما حُذف لأنّه يدلّ عليه السياق.[٢]

قوله: (**هو التولّي**) وكان المراد بالاستزلال في الوجه الأوّل طاعتهم له في الذنوب المتقدّمة.[٣]

قوله: (**وإنّما دعاهم**[٤] **إليه بذنوب تقدّمت**)،[٥] أي: ببعض ما كسبوا.

قوله:[٦] (**وتكون لطفًا فيها**) أي: تكون الطاعة الأولى لطفًا في الطاعة الثانية، أي: مقرِّبة إليها.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «زلل».
٢ ن ر – مراد معنىً وإنّما حذف لأنّه يدلّ عليه السياق.
٣ ن ر + بذنوب تقدمت.
٤ ر: دعا.
٥ ن ر – بذنوب تقدمت.
٦ ن: وقوله.

وقال الحسن رضي الله عنه: استزلَّهم بقبول ما زيَّن لهم من الهزيمة.

وقيل: "بعض ما كسبوا" هو تَرْكُهم المركزَ الذي أمَرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه، فجرَّهم ذلك إلى الهزيمة.

وقيل: ذكَّرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاءَ الله معها، فأخَّروا الجهاد حتى يُصلحوا أمرَهم ويُجاهدوا على حالٍ مَرْضيَّة.

فإن قلتَ: لمَ قيل ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾؟

قلتُ: هو كقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة ١٥/٥].

﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم واعتذارهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يُعاجلُ بالعقوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾

﴿وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾؛ أي: لأجْل إخوانهم؛ ....

قوله: **(وقال الحسن: استزلّهم)** وعلى هذا أيضًا المراد بالاستزلال التولّي. وقوله: **(بقبول)**،[1] أي: ببعض ما كسبوا. **(وقيل: "بعض[2] ما كسبوا"[3] هو تركهم المركز)**، على هذا أيضًا المراد بالاستزلال التولّي.

قوله: **(وقيل: ذكّرهم[4] تلك الخطايا)** أي: ذكّرهم الشيطان، وعلى هذا أيضًا[5] المراد بـ"الاستزلال" التولّي وبـ"بعض ما كسبوا" الخطايا التي ذكروها.

قوله: **(هو[6] كقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة ١٥/٥])** أي: الله تعالى يعفو عن بعض الذنوب كما تدلّ عليه الآية.

---

١ بلفظ قريب في الكشف والبيان للثعلبي، ٣٤٨/٩ (آل عمران، ١٥٥/٣)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٢٢/٢ (آل عمران، ١٥٥/٣).
٢ ن – بعض.
٣ ر – وقيل: بعض ما كسبوا.
٤ ن ر: ذكر.
٥ ر – أيضًا.
٦ ن ر – هو.

كقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [الأحقاف ١١/٤٦] ومعنى الأخوَّة: اتِّفاقُ الجنس، أو النَّسبُ.

﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: إذا سافَروا فيها وأَبعدوا للتِّجارة أو غيرها.

﴿أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى﴾: جمعُ غازٍ؛ كعَافٍ وعُفًّى؛ كقوله:

عُـــفًّـــى الـــحِـــيَـــاضِ أُجُـــــونُ

وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غُزاةٍ.

قوله:

(عُــفًّــى[1] الــحِــيــاضِ أُجــــونُ)[2]

عُفّى، أي: دارسات.[3] والأُجون: المياه المتغيّرة، والأُجون جمع آجن. يصف طريقًا درسَت حياضها وأَجَن ماؤها. عفى الشيء، أي: درس. والآجن: الماء المتغيّر.

قوله: (على حذف التاء مِن "غُزاة") جمع "غازٍ" شبّه التنوين بالمضاف إليه لتآخيهما وتناوبهما في قولك: "عندي راقودٌ خلًّا، وراقودُ خلٍّ"، فحذف التاء مع التنوين كما حذف مع المضاف إليه في قوله:

وأخـلـفـوك عِـدَ الأمـرِ الـذي وعـدوا[4]

والأصل: عِدَةَ الأمر.

---

[1] ن: على.

[2] طرف بيت، تمامه:
ومغبرَّةِ الآفـاق خاشعةِ الصُّوى
لها قُلُب عُفّى الحِياض أُجونُ
وهو لامرئ القيس وقيل: لبشامة البجلي في ملحقات ديوان امرئ القيس، ص ٢٨٣، وفيه: «عفٌّ» مكان «عُفّى»؛ وهو لسلامة العجلي في ضرائر الشعر لابن عصفور، ص ٣٠٢؛ وبلا عزو في غريب الحديث لأبي عبيد، ١٧٦/١؛ وسرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، ٢٨٧/١؛ ومقاييس اللغة لابن فارس، ٢٢٤/٢، «خنف»، وصدره فيها «على كالخنيف السَّحق يدعو به الصدى»؛ والفائق للزمخشري، ٣٢٠/٢، وفيه «ودوّية غبراء» مكان «ومغبرّة الآفاق».

[3] ن: دراسات.

[4] عجز بيت مختلف في نسبته، أوّله:
إنّ الخليط أجَدُّوا البَيْن فانجرَدوا
ومضى بتخريجه في تفسير البقرة، ٢٨١/٢.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿إِذَا ضَرَبُواْ﴾ مع ﴿وَقَالُواْ﴾؟

قلتُ: هو على حكايةِ الحال الماضيَة؛ كقولك: حين يضربون في الأرض.

فإن قلتَ: ما متعلَّقُ ﴿لِيَجْعَلَ﴾؟

قلتُ: ﴿وَقَالُواْ﴾؛ أي: قالوا ذلك واعتقَدوه ليكون ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ على أن اللام مثلُها في ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٨/٢٨]، أو ﴿لَا تَكُونُواْ﴾ بمعنى: لا تكونوا مثلَهم في النُّطق بذلك القول واعتقاده؛ ليجعله اللهُ حسرةً في قلوبهم خاصَّةً ويَصونَ منه قلوبَكم.

فإن قلتَ: ما معنى إسنادِ الفعل إلى الله تعالى؟

قلتُ: معناه: أن الله عزَّ وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقَدَ الفاسدَ يضعُ الغَمَّ والحسرةَ في قلوبهم ويُضيِّق صدورَهم عقوبةً، فاعتقادُه فعلُهم، وما يكون عنده

قوله: (**كيف قيل**:[١] ﴿إِذَا ضَرَبُواْ﴾) والقياس "إذ"؛ لأنّ "إذا" للاستقبال.[٢]

قوله: (**هو**[٣] **على حكاية الحال الماضية**) كان الضرب مستقبلًا وقت قولهم، وهذا على حكاية الحال الماضية.[٤] **في الحاشية نظر؛ بل معنى كلام المصنّف** أنّ "إذا" هنا جُرِّد لمعنى الزمان، وهو حكاية الحال الماضية، فيكون معناه "حين يضربون"، والتقدير "إذا ضربوا فماتوا، أو كانوا غُزّى فقتلوا"، والدليل على هذا الإدراج قوله: ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾.

قوله: (**على أنّ اللام مثلها في** ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٨/٢٨]) لمّا كان إيقاع الحسرة مترتِّبًا على قولهم مِن غير أن يكون الثاني مطلوبًا بالأوّل شُبّه بأمر / يترتّب على أمر يكون الأوّل غرضًا في الثاني ومطلوبًا بالأوّل منهما [٢٧٧و]
الثاني، ثم استعار لترتُّب المشبّه كلمة الترتيب المشبّه به، وهي[٥] اللام كما في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾.

---

١ ر – قيل.
٢ ن ر: لاستقبال.
٣ ن ر – هو.
٤ ر – كان الضرب مستقبلًا وقت قولهم وهذا على حكاية الحال الماضية.
٥ ر: وهو.

من الغمِّ والحسرة وضيقِ الصدور فعلُ الله عزَّ وجلَّ؛ كقوله: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام ٦/١٢٥].

ويجوز أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةً إلى ما دَلَّ عليه النهيُ؛ أي: لا تكونوا مثلهم ليجعلَ الله انتفاءَ كونكم مثلَهم حسرةً في قلوبهم؛ لأنّ مخالفتَهم فيما يقولون ويعتقدون ومُضادَّتَهم ممَّا يَغمُّهم ويَغيظهم.

﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ ردٌّ لقولهم؛ أي: الأمر بيده، قد يُحيي المسافرَ والغازيَ ويميتُ المقيم والقاعد، كما يشاء.

وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنّه قال عند موته: ما فيَّ موضعُ شِبْرٍ إلّا وفيه ضَربةٌ أَوْ طعنة، وها أنا ذا أموت كما يموتُ العَيْر، فلا نامَتْ أعيُنُ الجُبنَاءِ.

قوله: (ويجوز أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: لفظ ﴿ذَٰلِكَ﴾.

قوله: (لأنّ مخالفتهم) أي: مخالفة المؤمنين.

قوله: (وعن خالد بن الوليد) حُكي أنّ خالد بن الوليد رضي الله عنه[1] قال لعمرَ رضي الله عنه:[2] أنا سيفك المسلول وَجِّهني حيث شئت، فقال عمر رضي الله عنه:[3] نصرةُ الله دينَه بطُّرَتْ[4] خالد بن الوليد.[5]

قوله: (كما يموت العَير) وذلك لأنّه لا صنعَ لأحد في هلاكه غالبًا؛ بل يموت بطبعه وأجله.

قوله: (فلا نامَت)[6] دعاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ إلى ﴿تُحْشَرُونَ﴾ انظر إلى تقديم[7] القتل على الموت فيما[8] كان فيه سياق المغفرة والرحمة، لِما أنّ السيف محّاء للذنوب.

---

١ د - رضي الله عنه.

٢ د - رضي الله عنه.

٣ د - رضي الله عنه.

٤ ن: بطرف.

٥ ما وقفتُ على هذا الخبر فيما بين يديَّ من المصادر، وفيه غرابة لا تخفى.

٦ بلفظ قريب في **الأمثال** لأبي عبيد، ص ٣١٧؛ و**المعارف** لابن قتيبة، ص ٢٦٧؛ و**الاستيعاب** لابن عبد البرّ، ٤٣٠/٢؛ و**مجمع الأمثال** للميداني، ٢٦٦/٢؛ و**مختصر تاريخ دمشق** لابن منظور، ٢٦/٨.

٧ ن: تقدم.

٨ ن: فلما.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ فلا تكونوا مثلَهم، وقرئ بالياء، يعني: الذين كفروا.

﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ١٥٨﴾

﴿لَمَغۡفِرَةٞ﴾ جوابُ القسم، وهو سادٌّ مسدَّ جواب الشرط، وكذلك: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾ كذَّبَ الكافرين أوّلًا في زَعمهم أن مَن سافَر من إخوانهم أو غَزَا لو كان بالمدينة لَمَا مات، ونَهَى المسلمين عن ذلك لأنه سببُ التقاعُدِ عن الجهاد، ثم قال لهم: ولئن تمَّ عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خيرٌ مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: خيرٌ من طِلاعِ الأرض ذَهَبَةً حَمْراء.

وقرئ بالياء؛ أي: يَجمعُ الكفَّارُ.

﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ﴾: لإلى الرحيم الواسع الرحمةِ المثيبِ العظيم الثواب تُحشرون، ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقعَ مع تقديمه وإدخالِ اللام على الحرف المتَّصل به شأنٌ ليس بالخفيّ.

وتقديمُ الموت على القتل فيما كان سياق الحشر؛ لأنَّ الميّت المحشور أكثر مِن الذي قُتل ثمّ حُشر.

قوله: (مِن طِلاع الأرض ذَهَبةً) طِلاع الشيء: مِلؤه. قال الحسن: «لأن أعلمَ أنّي بريء مِن النفاق أحبّ إليّ مِن طِلاع الأرض ذهبًا».[١] قال رضي الله عنه:[٢] «الذهب مونّثة.[٣] يقال: ذهب حمراء. وروى الفرّاء: تذكيرها».[٤] و"الذَّهَب والذَّهَبة" كـ"الأَنَف والأَنَفة".

---

١ السنّة لأبي بكر الخلّال، ٧٦/٥ (١٦٦١)؛ الإبانة الكبرى لابن بطّة، ٧٥٨/٢ (١٠٥٩).
٢ د: رحمه الله.
٣ ن: مؤنث.
٤ الفائق للزمخشري، ١٤٦/١.

وقرئ: ﴿مِتُّم﴾ بضم الميم وكسرها، من مات يموت ومات يَمات.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

"ما" مزيدةٌ للتوكيد والدلالةِ على أنَّ لِينَه لهم ما كان إلَّا برحمةٍ من الله، ونحوُه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [المائدة ٥/١٣]، ومعنى الرحمة: رَبْطُه على جأشِه، وتوفيقُه للرِّفْق والتلطُّفِ بهم حتى أثابهم غمًّا بغمٍّ ....

قوله: (ومات يمات) قال في **الصحاح**: «الموت: ضدّ الحياة. وقد مات يموت ويَمات. قال الراجز:

بُـنـيّـتـي سـيّـدةَ الـبـنـاتِ عيشـي ولا نأمـن أن تَماتـي»[1]

قوله: (ومعنى الرحمة ربطُه على جأشه)،[2] أي: رَبْط[3] الله تعالى على جاش النبيّ عليه السلام.[4] قالوا: يحتمل أن تكون هذه الرحمة عليه عليه[5] السلام، ويحتمل على الخلق كلّهم، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠٧]، لكنّ قول المصنّف و(توفيقُه) يدلّ على أنّ الرحمة عليه، وكذا قوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾. والجأش: جأش القلب، وهو رُواعه إذا اضطرب عند الفزع. يقال: فلان رابط الجأش وربيط الجأش، أي: شديد[6] القلب، كأنّه يربط نفسَه عن الفرار لشجاعته.[7] وأظنّ أن الأَولى أن يقال: الضمير في "ربطُه" لله تعالى وفي "جأشِه" للنبيّ عليه السلام، وهو ظاهر. وأمّا ما قُيّد في النُّسخ بغير ذلك فسهو لا[8] اعتدادَ[9] به.

---

١ ن: تأتي. | **الصحاح** للجوهري، «موت». وما عرفت قائل هذا الشعر. وهو بلا عزو في **شرح الرضيّ على الشافية**، ١/١٣٧.

٢ ن ر: حاشية.

٣ ن ر: ربطه.

٤ ن ر – عليه السلام.

٥ ن ر – عليه.

٦ ن: شد.

٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «جأش».

٨ ر – لا.

٩ ر: الاعتداد.

وآساهم بالمُبَاثَّةِ بعد ما خالفوه وعَصَوْا أمرَهُ وانهزموا وتركوهُ.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: جافيًا ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾: قاسِيَه ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾: لتفرَّقُوا عنك حتى لا يبقَى حولك أحدٌ منهم.

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختصُّ بك ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما يختصُّ بحقِّ الله إتْمامًا للشفقة عليهم.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ يعني: في أمر الحرب ونحوِه ممَّا لم يُنزَل عليك فيه وَحْيٌ؛ لتَستظهِر برأيهم، ولِمَا فيه من تطييبِ نفوسهم والرَّفعِ من أقدارهم.

وعن الحسن رضي الله عنه: قد عَلِم الله أنَّه ما به إليهم حاجةٌ، ولكنَّه أراد أن يَسْتَنَّ به مَن بعده.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما تشاوَرَ قومٌ قطُّ إلا هُدُوا لأَرشدِ أمرهم».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: ما رأيتُ أَحَدًا أكثر مشاورةً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: كان ساداتُ العرب إذا لم يُشاوَروا في الأمر شقَّ عليهم، فأمر اللهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه لئلا يَثْقُلَ عليهم استبدادُه بالرأي دونهم.

قوله: (بالمباثّة)[١] البثّ: الحال والحزن. يقال: أبثثتُك، أي: أظهرتُ لك بثّي.[٢] قال الله تعالى: ﴿أَشْكُواْ بَثِّى﴾ [يوسف ٨٦/١٢].

قوله: (أنّه[٣] ما به) الضمير في "أنّه" يجوز أن يكون ضمير الشأن وأن يكون ضمير النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[٤] وأمّا[٥] الضمير في "به" فللنبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[٦]

---

١ ن ر: والمبانة.
٢ انظر: الصحاح للجوهري، «بثث».
٣ ن ر: ما.
٤ د: عليه السلام.
٥ ر: وما.
٦ د: عليه السلام.

وقرئ: "وشاوِرْهم في بعض الأمر".

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: فإذا قطعتَ الرأيَ على شيءٍ بعد الشُّورى.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في إمضاءِ أمرِك على الأرشد الأصلح، فإن ما هو أصلحُ لك لا يعلمُه إلّا الله، لا أنت ولا مَن تُشاوِر.

وقرئ: "فإذا عزمتُ" بضمِّ التاء، بمعنى: فإذا عزمتُ لك على شيءٍ وأَرْشدتُك إليه فتوكَّلْ عليَّ ولا تشاوِرْ بعدَ ذلك أحدًا.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾ كما نصرَكم يوم بدرٍ فلا أحدَ يَغْلِبُكم ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ كما خذَلكم يوم أحد ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم﴾.

وهذا تنبيهٌ على أن الأمر كلَّه لله، وعلى وجوب التوكُّل عليه، ونحوُه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر ٣٥/٢].

﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد خذلانه، أو هو من قولك: ليس لك مَن يُحسِن إليك مِن بعدِ فلانٍ، تريد: إذا جاوزتَه.

وقرأ عُبيد بن عُمَير: "وإن يُخْذِلْكم" مِن أَخْذَله: إذا جعله مخذولًا.

قوله: (الشُّورى) اسم المشورة.[1]

قوله: (لا أنت) هذا التركيب مما ردّه العلماء،[2] فإنّ العطف بـ"لا" بعد النفي والاستثناء غير سائغ.

قوله: (مِن بعد خذلانه) بعد اسم للوقت. وتقول: "جئت مِن بعد فلان وبعد فلان" بمعنى واحد، ولكن إذا جئت بـ"مِن" كأنّك تتعرض للمبتدأ، أي: موضع ابتداء المجيء.

---

[1] ن: السورة.
[2] ن ر – العلماء.

وفيه ترغيبٌ في الطاعة وفيما يَستحِقُّون به النصرَ من الله تعالى والتأييدَ، وتحذيرٌ من المعصية ومما يستوجِبون به العقوبةَ بالخذلان.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾: ولْيخُصَّ المؤمِنُونَ ربَّهم بالتوكُّل والتفويضِ إليه؛ لعِلْمِهم أنه لا ناصرَ لهم سواه، ولأن إيمانَهم يوجب ذلك ويقتضيه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾

يقال: غَلَّ شيئًا من المَغْنَم غُلُولًا، وأَغَلَّ إغْلالًا: إذا أخَذه في خُفْيةٍ، يقال: أغَلَّ الجازِرُ، إذا سرَقَ من اللحم شيئًا مع الجِلدِ، والغِلُّ: الحِقدُ الكامنُ في الصدر.

ومنه قولُه صلى الله عليه وسلم: «مَن بَعثناه على عملٍ فغلَّ شيئًا جاء يوم القيامة يَحْملُه على عُنُقه».

وقوله: «هدايَا الولاة غلُولٌ».

وعنه: «ليس على المستعيرِ غيرِ المغِلِّ ضمانٌ».

وعنه: «لا إِغْلالَ ولا إِسْلال».

قوله: **(وفيه ترغيبٌ)** أي: في قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ﴾... إلخ.

قوله: **(في خفية)** يقال: أخفيتُه إذا سترتَه، وهو في خُفية.[1] فقوله: "في خُفية" حال مِن الضمير المنصوب في **(أَخَذه)**.

قوله: **(مع الجلد)** أي: بواسطة[2] الجلد.

قوله: **(«غُلول»)**،[3] أي: سرقة.

قوله: **(وعنه صلّى الله عليه وسلّم:[4] «لا إغلال ولا إسلال»)**[5] السَّلة: السرقة. يقال: في بني فلان سلّة، أي: سرقة. ويقال: الخِلّة تدعو / إلى السَّلّة. [٢٧٧ظ]

---

[1] انظر: **مقاييس اللغة** لابن فارس، ٢/٢٠٢، «خفي».

[2] ر: تواسط.

[3] ما وقفتُ عليه فيما بين يدي من المظانّ، ولا فيما سبق **الكشّاف** من التفاسير.

[4] د: عليه السلام.

[5] طرف حديث في **المصنَّف** لابن أبي شيبة، ٣٨١/٧ (٣٦٨٣٩)؛ و**الأموال** لابن زنجويه، ص ٣٩٣ (٦٥٣).

ويقال: أغلَّه: إذا وجده غالًّا؛ كقولك: أبخَلْتُه وأفحَمتُه.

ومعنى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: وما صحَّ له ذلك، يعني: أن النبوَّة تُنافي الغلولَ، وكذلك مَن قرأ على البناء للمفعول فهو راجعٌ إلى معنى الأول؛ لأنَّ معناه: وما صحَّ له أن يُوجد غالًّا، ولا يوجدُ غالًّا إلَّا إذا كان غالًّا، وفيه وجهان:

أحدهما: أنْ يُبَرَّأَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ويُنَزَّهَ وينبَّه على عصمته بأن النبوَّة والغلولَ متنافيان؛ لئلا يَظنَّ به ظانٌّ شيئًا منه، وأن لا يستريبَ به أحدٌ، كما روي: ....

قوله: (كقولك: أبخلتُه)... إلخ، أبخلتُه: وجدتُه بخيلًا. ويقال: «"فَحَم الصبيّ" بالفتح يفحَم[١] فُحومًا إذا بكى حتّى ينقطع صوته. وكلّمتُه[٢] حتّى[٣] أفحمتُه إذا أسكتُّه في خصومة أو غيرها. وأفحمتُه: وجدتُه مُفحَمًا لا يقول الشعر. قال: هاجيناكم فما[٤] أفحمناكم».[٥]

قوله:[٦] (لأنّ معناه "وما صحّ")، يعني: هو كناية.

قوله: (مِن ذلك) أي: مِن الغلول.

قوله: (وألّا يستريب) أي: لا يرى منه أحدٌ ما يكرهه، يعني مِن حيث الدين والمروءة، وفيه حذف، أي: لبيان ألّا يستريب، أي: لبيان ألّا يرى منه أحد ما يَريبه ويكرهه. يقال: رابني[٧] فلان إذا رأيتَ منه ما يَريبك وتكرهه، واسترِبتُ به[٨] إذا رأيتَ منه ما يَريبك وتكرهه.

قوله: (كما رُوي) متعلّق بقوله: (لئلا يظنّ) أي: لئلّا يُظنّ[٩] به ظنٌّ مثلَ[١٠] ظَنّ ما رُوي،[١١] فإنّ الظنّ كان واقعًا في هذه الصورة فأضيف إليها. و"ما" موصولة أو مصدريّة.

---

[١] ر: فحم.
[٢] ن - وكلمته.
[٣] ر - وكلمته حتّى.
[٤] ر - فما.
[٥] ر: فحمناكم. | **الصحاح** للجوهري، «فحم».
[٦] ن - قوله.
[٧] ر: أرابني.
[٨] ن - به.
[٩] ن - أي: لئلّا يُظنّ.
[١٠] ر + ما.
[١١] ر - ما روي.

أَنَّ قطيفةً حَمراء فُقدت يوم بدرٍ، فقال بعضُ المنافقين: لعلَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخذها.

وروي: أنها نزلت في غنائم أُحُدٍ حين ترك الرماةُ المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا: نخشى أن يقولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَن أخذ شيئًا فهو له، وأن لا يقسمَ الغنائم كما لم يَقسم يومَ بدر، فقال لهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «ألم أَعْهَدْ إليكم أن لا تتركوا المركزَ حتى يأتيَكم أَمْري؟» فقالوا: تركنا بقيَّةَ إخواننا وقوفًا، فقال صلى الله عليه وسلم: «بل ظننتُم أنَّا نَغلُّ ولا نَقْسِمُ لكم».

والثاني: أن يكون مبالغةً في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما رُوي: أنَّه بَعَثَ طلائع فَغَنِمَتْ غنائمَ، فقَسَمها ولم يقسِمْ للطلائع، فنزلت.

يعني: وما كان لنبيٍّ أن يُعطيَ قومًا ويمنعَ آخرين، بل عليه أن يَقسِم بالسويَّة، وسمِّي حرمانُ بعض الغزاة غلولًا تغليظًا وتقبيحًا لصورة الأمر،

قوله: (قَطيفة)[١] القطيفة: دثارٌ مُخْمَل.

قوله: (ورُوي) عطف على (رُوي) مِن حيث المعنى؛ لأنَّه في معنى "نزلت في قطيفة". ثمّ اعلم أنّ قوله: "كما رُوي"... إلخ، متعلّق بقوله: "لئلا يظنّ"... إلخ، وقوله: "ورُوي"... إلخ، متعلّق بقوله: "وألّا يستريب"... إلخ، ففيه لفٌّ ونشر لطيف، فتأمّل.

قوله: («بل ظننتُم أنّا نغُلّ»)[٢] فسمّى عليه السلام تَرْك القسمة غُلولًا.

قوله: (طلائعَ)[٣] طليعة الجيش مَن يُبعث ليطّلع طِلع العدوّ، أي: حقيقة أمرهم وهي ضدّ الساقة.

---

١ بلفظ قريب في سنن أبي داود، ٦/١٠٠ (٣٩٧١)؛ وجامع البيان للطبري، ٦/١٩٤ (آل عمران، ٣/١٦١)؛ والمعجم الكبير للطبراني، ١١/٣٦٤ (١٢٠٢٨)؛ والبسيط للواحدي، ٦/١٢٨ (آل عمران، ٣/١٦١).

٢ ن: فعل. | الكشف والبيان للثعلبي، ٩/٣٧٨ (آل عمران، ٣/١٦١)؛ البسيط للواحدي، ٦/١٢٩ (آل عمران، ٣/١٦١)؛ معالم التنزيل للبغوي، ٢/١٢٦ (آل عمران، ٣/١٦١).

٣ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٦/١٩٥ (آل عمران، ٣/١٦١)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٩/٣٧٨ (آل عمران، ٣/١٦١).

ولو قرئ: «أن يُغِلَّ» من «أغلَّ» بمعنى «غَلَّ» لجاز.

﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: يأتِ بالشيء الذي غلَّه بعينه يَحمِلُه؛ كما جاء في الحديث: «جاء يوم القيامة يحملُه على عنقه».

وروي: «ألَا لا أعرفنَّ أحدَكم يأتي ببعيرٍ له رُغَاءٌ وببقرةٍ لها خوارٌ وبشاةٍ لها ثُغَاءٌ، فينادي: يا محمد يا محمدُ، فأقول: لا أَملك لك من الله شيئًا فقد بلَّغتُك».

وعن بعض جُفَاةِ الأعراب أنه سرَق نافِجَةَ مِسْكٍ، فتُليت عليه الآية، فقال: إذًا أَحملَها طيِّبَةَ الرِّيح خفيفةَ المحمل.

قوله: (ولو قُرئ: "أن يُغِلَّ")[1] أي: لورود القراءة به لَكان له وجه مِن حيث اللغة، لكنّه لم يَرِد.

قوله: («ألا لا[2] أعرفن[3] أحدَكم»)[4] نهى نفسه أن يعرف، كقوله: "لا أرينّك"، ويجوز أن يكون دعاء كقولك: لا يرحمه الله.

قوله: (وعن بعض جُفاة)[5] الجُفاة جمع الجافي، وهو: الغليظ الأخرق. يقال: الجفاء غالب على أهل البدو، وهو الغِلَظ[6] في العِشرة والخُرق[7] في المعاملة[8] وتَرْكُ الرِّفق. وأصلُ الجفاء البُعد. يقال: جفا جنبه عن الفراش، أي: نبا وارتفع. وجفاه[9] صاحبه وجافاه.[10] ومنه «جافى عضُديه عن جنبيه»:[11] باعدهما[12] عنهما.

قوله: (فقال: إذن أحملها)[13] يريد أنّ بعض الغواة لا ينفع فيهم الوعظ ولا يُجدي عليهم التذكير؛ بل ينهمكون في غَوايتهم ويزيدون في لجاجهم.

---

١ ن: فعل.

٢ ر - لا.

٣ ر: لأعرفن.

٤ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٢٠٣/٦ (آل عمران، ١٦١/٣)؛ وتفسير ابن كثير، ١٥٢/٢ (آل عمران، ١٦١/٣).

٥ ن: الجفاة.

٦ ن: اللفظ؛ ر: اللغط.

٧ ن: والحرف؛ ر: المعاملة.

٨ ر: الخرق.

٩ ن ر: وجفا.

١٠ انظر: **الصحاح** للجوهري، «جفا».

١١ طرف حديث يرد في كتب الفقه. انظر: **سنن أبي داود**، ١٧١/٢ (٩٠٠)؛ **والمستدرك** للحاكم، ٤٨٦/٣ (٥٨١٧)؛ **والسنن الكبرى** للبيهقي، ٥٨٦/٣ (٢٧٤٣)؛ **والمجموع** للنووي، ٤٢٩/٣.

١٢ ن: بأحدهما.

١٣ خبر هذا الأعرابيّ الجافي في **البيان والتبيين** للجاحظ، ١٠٢/٢.

ويجوز أن يراد: يأتي بما احتمَل من وَباله وتَبِعَتِه وإثمه.

فإن قلتَ: هلا قيل: ثم يُوَفَّى ما كَسَب؛ ليتَّصل به؟

قلتُ: جيءَ بعامٍّ دخل تحته كلُّ كاسبٍ من الغالِّ وغيره فاتَّصل به من حيث المعنى، وهو أبلغُ وأثبت؛ لأنَّه إذا عَلم الغالُّ أن كلَّ كاسبٍ خيرًا أو شرًّا مَجْزيٌّ فموفًّى جزاءَه عَلِم أنَّه غيرُ مُتخلِّصٍ من بينِهم مع عِظم ما اكتَسَب.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: يُعْدَل بينهم في الجزاء كلٌّ جزاؤه على قَدْر كَسْبه.

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾؛ أي: هم متفاوتون كما تتفاوتُ الدرجاتُ؛ كقوله:

أنَصْبٌ للمنيَّة تَعْتريهمْ رجالي أم هُمُ دَرَجُ السُّيُولِ

وقيل: ذوُو درجات، ....

والظاهر أنّ مراد المصنّف مِن إيراد حكاية هذا البعض الجافي بيانُ أنّ معنى الآية هو الإتيان بعين ذلك المغلول[1] كما فهمه[2] هذا الأعرابيّ، لا احتمال[3] وباله وعقوبته كما هو الوجه الثاني. فالحاصل أنّ هذه الحكاية تؤيّد التفسير الأوّل.

قوله تعالى: (﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾) هو مِن التشبيه بحذف حرف التشبيه، أي: هم كدرجات في التفاوت، بمعنى أنّهم متفاوتون تفاوت[4] الدرجات،[5] فوجه التشبيه هو[6] التفاوت.

قوله:

(أنَصْبٌ للمنيّة تعتريهم)[7] البيت

---

١ ن: الغلول.

٢ ن ر: فهم.

٣ ن ر - لا احتمال.

٤ ن: كتفاوت.

٥ ر + فوجه التفاوت.

٦ د: هم.

٧ البيت لإبراهيم بن هرمة في ديوانه، ص ١٩٢؛ وهو له في كتاب سيبويه، ٤١٥/١؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «درج»؛ وهو بلا عزو في المحكم لابن سِيده، ٢٢٦/٧، «درج».

والمعنى: تَفاوُتُ منازِلِ المُثابِينَ منهم ومنازِلِ المعاقَبِين، أو التفاوتُ بين الثواب والعقاب.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾: عالمٌ بأعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حَسَبها.

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: على مَن آمَنَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه، وخصَّ المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفِعُون بمَبْعَثه.

﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾: من جنسِهم عربيًّا مثلَهم، وقيل: من ولد إسماعيل عليه السلام

أي: كأنّهم غَرَض لكثرة ما يموتون أم هم طريق السيول. والنَّصب والنُّصب:[١] الهدف. قوله: "تعتريهم": تُصيبهم. يقال: اعتراه، أي: أصابه.

قوله: (والمعنى) يعني سواء قلنا: التقدير "هم كدرجات"، أو قلنا: "التقدير ذوو درجات"، / فإنّه يجوز أن يكون المعنى "تفاوت منازلهم"، ويجوز أن يكون المعنى "التفاوت بين الثواب والعقاب". [٣٧٨و]

قوله: (وخصّ المؤمنين[٢] منهم) أي: خصّ المؤمنين[٣] مِن قومه وتَرَك[٤] الكافرين منهم، ولم يُرد "خصّ المؤمنين منهم[٥] دون المؤمنين مِن غيرهم"، يدلّ عليه قوله: (لأنّهم).

قوله: (﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾: مِن جنسهم) فسّر قوله تعالى: ﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ بقوله: "من جنسهم"، ثمّ ذكر أنّ المراد بالجنس أن يكون عربيًّا.[٦]

قوله: (مثلَهم) أي:[٧] قرشيًّا.[٨] وقوله: (مِن ولد إسماعيلَ) يشمل جميع العرب، قرشيًّا كان أو غير قرشيّ.

---

١ ر – والنصب.

٢ ر: المؤمنون.

٣ ر: المؤمنون.

٤ ر: دون.

٥ ن – ولم يُرد "خصّ المؤمنين منهم.

٦ ن: غريبًا.

٧ د: أو.

٨ ر: قريشًا.

كما أنّهم من ولده.

فإن قلتَ: فما وجهُ المنَّة عليهم في أنْ كان مِن أنفُسهم؟

قلتُ: إذا كان منهم كان اللسانُ واحدًا، فَسهُلَ أخذُ ما يجب عليهم أخذُه عنه، وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة، فكان ذلك أقربَ لهم إلى تصديقه والوثوق به، وفي كونه من أنفسهم شرفٌ لهم كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف ٤٣/٤٤].

وفي قراءةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءةِ فاطمةَ رضي الله عنها: "من أَنْفَسِهم"؛ أي: مِن أشرَفِهم؛ لأن عَدْنانَ ذِرْوةُ ولدِ إسماعيلَ، ومُضَرُ ذِرْوَةُ نِزَارِ بن مَعَدِّ بنِ عَدْنان، وخِنْدفُ ذروةُ مُضَر، ومُدْرِكةُ ذِرْوةُ خِنْدِفَ، وقريشٌ ذروةُ مُدْركةَ، وذِروةُ قريشٍ محمدٌ صلى الله عليه وسلم.

قوله: **(اللسان)** أي: اللغة.[1]

قوله: **(فسهُل أَخْذ ما يجب عليهم أخذه عنه)** اعلم أنّ قوله:[2] "عنه" متعلّق[3] بقوله: "أَخْذ ما يجب" لا بقوله: "أَخْذه"، فتأمّل، فإنّ المعنى لا يستقيم إلّا على هذا الوجه. ثمّ اعلم أنّ قوله: **(فكان)** مسبَّب عن قوله: **(كانوا)**، كما أنّ قوله: "فسهُل" مسبَّب عن قوله: **(كان اللسان)** ومرتَّب عليه. وقوله: **(وفي كونه)**... إلخ، عطف على جملة قوله: **(إذا كان)**. **والأوّل** بيان سهولة المتابعة والإيمان به مِن وجهين، **والثاني** بيان الشرف لهم في ذلك والرِّفعة.

قوله: **(كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ [الزخرف ٤٣/٤٤])** أراد بالذِّكر الشرف والنباهة، كقوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص ٣٨/١].

قوله: **(وذِروة قريش محمّد صلّى الله عليه وسلّم)**[4] ولم يقل: "ومحمّد ذروة قريش" على سَنن ما تقدّم؛ لأنّ بيانَ كونه مِن أنفسهم بفتح الفاء قد تمّ بقوله: **(ذِروة مُدرِكة)**. وقوله: "ذِروة قريش محمّد عليه السلام"[5] فائدةٌ أخرى

---

[1] ن ر – أي: اللغة.
[2] ن ر + أي: اللغة.
[3] ن – "عنه" متعلّق؛ ر – متعلّق.
[4] د: عليه السلام.
[5] ن ر – عليه السلام.

وفيما خطب به أبو طالبٍ في تزويج خديجةَ رضي الله عنها وقد حضَر معه بنو هاشم ورؤساء مُضَرَ: الحمد لله الذي جَعَلنا من ذرّية إبراهيم، وزَرْعِ إسماعيل، وضِئْضِئ مَعَدٍّ، وعُنْصُرِ مُضَر، وجعَلَنا حَضَنَةَ بيته وسُوَّاسَ حَرَمِهِ، وجَعَل لنا بيتًا محجوجًا وحرمًا آمِنًا، وجعلَنا الحُكَّامَ على الناس، ثم إنَّ ابنَ أخي هذا محمدَ بنَ عبد الله مَن لا يُوزَنُ به فتًى من قريشٍ إلّا رَجَحَ به، وهو والله بعد هذا له نبأٌ عظيم وخَطرٌ جليل.

وقرئ: "لَمِنْ مَنِّ الله على المؤمنينَ إذ بعثَ فيهم"، وفيه وجهان: أن يرادَ: لمِنْ مَنِّ الله على المؤمنين مَنُّهُ أو بَعْثُه إذ بعث فيهم، فحُذف

خارجة عن الغرض، فعدل بعبارته[١] عمّا تقدّمه، تأمّل فيه فإنّه لطيف. وذُرى الشيء بالضمّ: أعاليه،[٢] والواحد ذِروة.

قوله: (وضِئْضِئ مَعَدّ)،[٣] أي أصل معدّ.

قوله: (وسُوّاس)[٤] جمع سائس، مِن "سُستُ الرعية سياسيةً". ويقال: "سُوِّس الرجل أمورَ الناس"، على ما لم يُسمّ فاعله، أي: مُلِّك أمرهم، كـ"جاهل وجُهّال"[٥] و"حاكم وحُكّام".

قوله: (محجوجًا) أي: مقصودًا.

قوله: (إلّا[٦] رجح) تمامه في كتاب معرفة[٧] النبيّ:[٨] فإن كان في المال قُلٌّ فالمال ظلٌّ زائل ولهوٌ جائل، ومحمّد مَن قد عرفتُم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل[٩] لها[١٠] مِن الصَداق ما عاجله وآجله مِن مالي، وهو والله... إلخ.

---

١ ن: لعبارته.
٢ ن ر – أعاليه.
٣ ن ر – معد.
٤ ن – (وسُوّاس).
٥ ن: جهان.
٦ ر: وإلا.
٧ ن – معرفة.
٨ ر + صلّى الله عليه وسلّم. | ما عرفت هذا الكتاب.
٩ ن: وبذلها.
١٠ ن – لها.

لقيام الدلالة.

أو يكون ﴿إِذْ﴾ في محلِّ الرفع؛ كـ"إذا" في قولك: أَخْطَبُ ما يكون الأميرُ إذا كان قائمًا، بمعنى: لمِن مَنِّ الله على المؤمنين وقتُ بَعْثِهِ.

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ بعد ما كانوا أهلَ جاهليَّة لم يَطرُقْ أسماعَهم شيءٌ من الوَحْي.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: ويطهِّرهم من دَنَس القلوب بالكفر، ونجاسةِ سائر الجوارح بملابَسة المحرَّمات وسائرِ الخبائث.

وقيل: ويأخذ منهم الزكاةَ.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: القرآنَ والسنَّة بعدما كانوا أَجْهلَ الناس وأَبْعدَهم من دراسة العلوم.

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ من قَبْلِ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ﴾.

"إنْ" هي المخفَّفة من الثقيلة، واللامُ هي الفارقةُ بينها وبين النافية، وتقديره: وإن الشأنُ والحديثُ كانوا من قبلُ في ضلال.

قوله: **(لقيام الدلالة)** فإنّ قوله: (لمِن مَنّ الله) يدلّ على منّه. و**(إذ بعث)** يدلّ على بعثه. ثمّ إنّهما تنازعا في "إذ بعث".

قوله: **(أخطبُ ما يكون الأمير إذا كان قائمًا)**،[1] أي: أخطبُ أوقات الأمير وقتُ قيامه، فإذا جعل أوقاته خطيبًا فقد جعل الرجل خطيبًا، كقولك: «نهارُه صائم وليلُه قائم».[2] اعلم أنّ هذا المثال ممّا يجب فيه حذف الخبر، فالمصنّف أشار إلى أصله، فكأنّه يقول: ذلك المقدّر في محلّ الرفع، ومع ذلك فيه بحثٌ؛ لأنّ التقدير "أخطبُ ما يكون الأمير حاصلٌ إذا كان قائمًا"، فـ"إذا" يكون منصوبًا لا مرفوعًا، ولو فُرض حذف "حاصل" وإبقاء الباقي[3] لكان المجموع، أي:[4] "إذا كان قائمًا"، في محلّ الرفع، لا "إذا" فقط. ووجهه أن نقول: هذا الذي ذكره المصنّف

---

١ ر - قائمًا.
٢ كتاب سيبويه، ١/١٦٠.
٣ ن ر: الثاني.
٤ ر - أي.

﴿مُبِينٍ﴾: ظاهرٍ لا شبهةَ فيه.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾

﴿أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ يريد: ما أصابَهم يومَ أُحُدٍ من قتل سبعين منهم.

﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ يوم بدرٍ من قتلِ سبعين وأَسْرِ سبعين.

و﴿لَمَّا﴾ نَصْبٌ بـ﴿قُلۡتُمۡ﴾، و﴿أَصَٰبَتۡكُم﴾ في محلِّ الجرِّ بإضافة "لمَّا" إليه، وتقديره: أقُلْتُم حين أصابتكم، و﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ نصبٌ لأنه مقولٌ، والهمزةُ للتقرير والتقريع.

مذهب بعض النحويّين، فإنّ بعضهم زعموا أنّ "ما" يجوز أن يكون ظرفيّة، فيكون "أخطب" زمانًا ضرورة أنّ "أفعل" لا يضاف إلّا[1] إلى ما هو بعضٌ له، ويكون الخبر نفس "إذا"[2] المقدّرة مِن غير متعلّق، لأنّها هي المخبَر بها عنها، كما لو قلتَ: / «أخطبُ ما يكون الأمير يومُ الجمعة»[3] بالرفع، ولو قيل هذا [٢٧٨ظ] المذهبُ في جميع المسائل[4] لاستقام على تقدير حذف مضاف، وتقديره "زمان[5] ضربي زيدًا"، فلا يحتاج إلى "حاصل" على هذا، وإنّما خصّوه بما فيه "ما" لكثرة وقوع "ما" المصدريّة ظرفًا، ولم يُجروه في غيره لقلّة وقوع المصدر نفسه ظرفًا.[6]

قوله: (ظاهرٍ)[7] يُشير به إلى أنّ قوله: (﴿مُبِينٍ﴾) ههنا[8] بمعنى بان وظهر لا بمعنى أظهر.

قوله تعالى: (﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾) ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ و﴿أَنَّىٰ﴾ خبره.

قوله: (والهمزة) في ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم﴾.

---

١ ر – إلا.

٢ ر: إذ.

٣ كتاب سيبويه، ١/٤٠٣، ٤١٥.

٤ ن ر – المسائل.

٥ ن ر + في.

٦ انظر: شرح الرضيّ على الكافية، ١/٢٨١.

٧ ن: ظرفًا.

٨ ن: هنا.

فإن قلتَ: علام عَطَفتِ الواوُ هذه الجملة؟

قلتُ: على ما مضى من قصة أُحُدٍ من قوله: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾ [آل عمران ١٥٢/٣]، ويجوز أن تكون معطوفةً على محذوف؛ كأنَّه قيل: أفعَلْتُم كذا وقلتُم حينئذٍ كذا.

﴿أَنَّىٰ هَٰذَا﴾: من أين هذا؟ كقوله: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران ٣٧/٣]؛ لقوله: ﴿مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾، وقولِهِ: ﴿مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾، والمعنى: أنتم السببُ فيما أصابكم لاختيارِكم الخروجَ من المدينة أو لتَخْلِيَتِكم المَرْكز.

قوله: (**عطَفَت الواو**) أي: في ﴿أَوَلَمَّآ﴾.

قوله: (**أفعلتم كذا**) مِن الفشل والتنازع والعصيان، أو[1] عبارة عن اختيارهم الخروج عن[2] المدينة وإلحاحهم في ذلك على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم)[3] كما مرّ الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران ١٤٣/٣]. وقوله: (**وقلتم حينئذٍ**) أي: حين أصابتكم... إلخ.

قوله: (**مِن أين هذا؟**) لا كيف هذا؟ لِما ذُكر. اعلم أنّ "أنّى" يكون بمعنى "كيف" وبمعنى "أين" إذا كان "أنّى" للاستفهام وأمّا إذا جُوزِي بها فكانت بمعنى "أين"[4] لا غير،[5] ثمّ ينبغي أن تعلم أنّها لا تتصرَّف تصرُّف "أين" في حقيقة المكان، لا تقول: "أنّى زيد؟" كما تقول: "أين زيد؟"،[6] وإنّما تجد فيها معنى المكان على وجه خاصّ مثل "مِن أيّ وجه نلتَ ما نلتَ؟"،[7] و"مِن أين وصلت إلى هذا؟"، و"مِن أيّ موضع لك هذا؟" لا تُريد الموضع على الظاهر، ولكنّه على ضرب مِن المجاز، كقولهم: "فلان في موضع رفيع" في أنّه لا يراد المكان ولا جنس البقاع، وإلى هذا المعنى أشار المصنّف بقوله: (**وأنتم السبب**)... إلخ، فتأمّل.

---

[1] ر + هو.

[2] ن ر: إلى.

[3] د: عليه السلام.

[4] ن ر – إذا كان "أنّى" للاستفهام، وأمّا إذا جُوزي بها فكانت بمعنى "أين".

[5] ن ر: الأعر.

[6] ن – زيد.

[7] ن ر – ما نلت.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: لِأَخْذكم الفداء من أُسارى بدرٍ قبل أن يُؤذَن لكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ فهو قادر على النَّصر وعلى مَنعه، وعلى أن يصيب بكم تارةً ويصيبَ منكم أخرى.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ﴾ يومَ أحدٍ ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾: جَمعُكم وجمعُ المشركين، ﴿فَـ﴾هو كائنٌ ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بتَخْليَته، استعارَ الإذن لتَخلِيَته الكفَّارَ، وأنَّه لم يمنعْهم منهم ليَبتليَهم؛ لأن الآذن مُخَلٍّ بين المأذون له وبين مرادِهِ.

﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾: وهو كائنٌ ليتميَّز المؤمنُونَ والمنافقون، وليَظهر إيمانُ هؤلاء ونفاقُ هؤلاء.

﴿وَقِيلَ لَهُمۡ﴾ من جملةِ الصلة عطفٌ على ﴿نَافَقُواْ﴾.

قوله:[١] (يصيبَ بكم) أي: يُصيب بكم العدوّ، مِن قوله تعالى: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [يونس ١٠/١٠٧]، والمعنى: ينصركم على العدوّ.

قوله: (ويُصيبَ منكم) أصاب منه، أي: هزمه، أو قتله، أو غير ذلك.

قوله: (وأنّه لم يمنعهم منهم ليبتليَهم) أي: لم يمنع الكفّار مِن المؤمنين ليبتليَ المؤمنين.

قوله: (وهو كائن) أي: ما أصابكم كائن ليتميّز، فاللام في ﴿لِيَعۡلَمَ﴾ متعلّق بمحذوف تعلّق به الباء في ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾.[٢]

قوله: (و﴿قِيلَ لَهُمۡ﴾) أي: لفظ "قيل لهم" ﴿قَالُواْ﴾.

---

[١] ر - قوله.

[٢] د - قوله: (و﴿قِيلَ لَهُمۡ﴾) أي: لفظ "قيل لهم" ﴿قَالُواْ﴾؛ ر - أي: لفظ قيل لهم.

وإنَّما لـم يُقَلْ: «فقالوا»؛ لأنه جوابٌ لسؤالٍ اقتضاه دعاءُ المؤمنين لهم إلى القتال؛ كأنَّه قيل: فماذا قالوا لهم؟ فقيل: ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ﴾.

ويجوز أن تقتصِرَ الصلةُ على ﴿نَافَقُواْ﴾، ويكونَ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ كلامًا مبتدأً.

قُسِمَ الأمرُ عليهم بين أن يُقاتلوا للآخرة كما يُقاتِلِ المؤمنون، وبين أن يقاتلوا -إن لم يكن بهم غمُّ الآخرة- دفعًا عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم، فأبَوْا القتالَ وجَحدوا القدرةَ عليه رأسًا؛ لنفاقهم ودَغَلهم، وذلك ما روي أن عبد الله بن أبيٍّ انْخَزَل مع حُلفائه فقيل له فقال ذلك.

وقيل: ﴿أَوِ ٱدْفَعُواْ﴾ العدوَّ بتكثيركم سوادَ المجاهدين وإن لم تقاتلوا؛ لأن كثرة السَّواد مما يَرُوعُ العدوَّ ويَكسرُ منه.

وعن سهل بن سعد الساعديِّ وقد كُفَّ بَصَره: لو أمكنَني لبِعْتُ داري وَلحقت بثغرٍ من ثغور المسلمين فكنتُ بينهم وبين عدوِّهم، قيل: وكيف وقد ذَهَب بَصَرك؟! قال: لقوله: ﴿أَوِ ٱدْفَعُواْ﴾. أراد: أُكَثِّرُ سَوادَهم.

ووجهٌ آخر: وهو أن يكون معنى قولهم: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا﴾: لو نعلمُ ما يَصحُّ

قوله: (وإنَّما لم يقل: فقالوا)،[١] يعني: في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا﴾، أي: لم يؤتَ بالفاء ليكون عطفًا على قوله: ﴿قِيلَ﴾.

قوله (دعاءُ المؤمنين) وهو ﴿قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ﴾.

قوله: (فماذا قالوا؟) أي: المنافقون.[٢] وقوله: (لهم) أي: للمؤمنين.[٣]

قوله: (ودغَلِهم) أي: فسادهم.

قوله: (انخزل مع حُلفائه) انخزل الشيء: انقطع. والحلفاء: جمع حليف، وهم الذين حلفوا معه وعاهدوه.

قوله: (بثغْرٍ) الثغر: موضع المخافة مِن فروج البلدان.

---

[١] ن ر: وقالوا.

[٢] ر: المنافقين.

[٣] ر: المؤمنين.

أن يسمَّى قتالًا ﴿لَّاتَّبَعْنَٰكُمْ﴾، يَعْنون: أنَّ ما أنتم فيه -لخَطَإِ رأيكم وزَلَلِكم عن الصَّواب- ليس بشيء، ولا يقال لمثله: قتالٌ، إنما هو إلقاءٌ بالأنفس إلى الهَلَكة؛ لأنَّ رأيَ عبد الله كان في الإقامة بالمدينة وما كان يَسْتصوِبُ الخروج.

﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ يعني: أنهم قبل ذلك اليومِ كانوا يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أمارةٌ تؤذِنُ بكفرهم، فلمَّا انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا، تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنونِ بهم واقتربوا من الكفر.

وقيل: هم لأهل الكفر أقربُ نصرةً منهم لأهل الإيمان؛ لأن تقليلَهم سوادَ المسلمين بالانخزال تقويةٌ للمشركين.

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ لا يتجاوزُ إيمانُهم أفواهَهم ومخارجَ الحروف منهم، ولا تَعي قلوبُهم منه شيئًا، وذكرُ الأفواه مع القلوب تصويرٌ لنفاقهم، وأن إيمانهم موجودٌ في أفواههم معدومٌ في قلوبهم، خلافَ صفة المؤمنين في مُواطأة قلوبهم لأفواههم.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق، وبما يُجْرِي بعضُهم مع بعضٍ من ذمِّ المؤمنين وتجهيلهم وتخطئةِ رأيهم والشماتةِ بهم وغيرِ ذلك؛ لأنكم تعلمون بعضَ ذلك علمًا مُجملًا بأماراتٍ وأنا أعلمُ كلَّه عِلمَ إحاطةٍ بتفاصيله وكيفيَّاته.

قوله: **(لأنّ رأي عبد الله)** متعلّق بمحذوف، أي: قال ذلك لأنّ.[١]

قوله:[٢] **(وما كان)** "ما" نافية.

قوله: **(وما ظهرَت)** نافية.

قوله: **(نصرةً)** نصب على التميز مِن نسبة **(أقرب)** إلى ضمير الأهل.

قوله: **(لا يتجاوز)**... إلخ، يعني أنّ ما في قوله تعالى: ﴿مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾

[٢٧٩و] عبارة عن كلمة الشهادة / التي يجرونها على ألسنتهم.

---

١ أي: إلى آخر الكلام.

٢ ن - (لأنّ رأى عبد الله) متعلّق بمحذوف، أي: قال ذلك لأنّ. قوله.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٦٨﴾

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾ في إعرابه أوجهٌ:

أن يكون نصبًا على الذمِّ، أو على الرَّدِّ على ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾.

أو رفعًا على: هم الذين قالوا، أو على الإبدال من واوِ ﴿يَكۡتُمُونَ﴾.

ويجوز أن يكون مجرورًا بدلًا من الضمير في ﴿بِأَفۡوَٰهِهِم﴾ أو ﴿قُلُوبِهِمۡ﴾؛ كقوله:

على حالةٍ لو أن في القومِ حاتمًا على جُودِه لضَنَّ بالماءِ حاتمُ

قوله: (أو على الردّ على ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾)[١] والمراد بالردّ أنّه أُتبع إعرابُه إعرابَ ذلك على البدلية.[٢]

قوله: (هم الذين نافقوا) وفي نسخة المُعزّي[٣] "الذين قالوا" والقرآن يطابق[٤] هذا، وهو الأصحّ.

قوله: (مِن واو ﴿يَكۡتُمُونَ﴾) تقديره: والله أعلم بما يكتم الذين قالوا لإخوانهم.

قوله:

(على جُودِهِ لَضَنّ[٥] بالماء حاتمِ)[٦]

أوّله:[٧]

على حالةٍ لو أنّ في القوم حاتمًا

قوله: "على جوده" حال مِن الضمير المستتر في في"القوم"، أي: مع كمال جوده. الاستشهاد[٨] في أنّ "حاتم" بدل مِن الضمير في "جوده".

---

١ في الآية السالفة.

٢ ن ر: البدل.

٣ ن ر: المغربي.

٤ ن ر: طابق.

٥ ن: أضن؛ ر – لضنّ.

٦ البيت للفرزدق في ديوانه، ٨٤٢/٢؛ وهو له في المذكّر والمؤنث لابن الأنباري، ٧/٢؛ واللُّمَع لابن جنّي، ص ١٩٢؛ والصحاح للجوهري، «حتم»؛ وسِفر السعادة للسخاوي، ٩١٠/٢؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي، ١١٦٠/٢.

٧ ن ر + أو.

٨ ر: للاستشهاد.

﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: لأَجْلِ إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يومَ أحدٍ، أو إخوانِهم في النسب وفي سُكْنى الدار.

﴿وَقَعَدُواْ﴾؛ أي: قالوا وقد قعدوا عن القتال: لو أطاعنا إخوانُنا فيما أمرْناهم به من القعود ووافقونا فيه لَمَا قتِلوا كما لم نُقْتَل.

﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ معناه: قل: إن كنتُم صادقين في أنكم وجدتُم إلى دفع القَتْل سبيلًا وهو القعود عن القتال، فجِدُوا إلى دفع الموت سبيلًا، يعني: أنَّ ذلك الدفعَ غيرُ مُغنٍ عنكم؛ لأنكم إن دفعتُم القتلَ الذي هو أحدُ أسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثةِ، ولا بدَّ لكم من أن يتعلَّق بكم بعضُها.

ورُوي: أنه مات يومَ قالوا هذه المقالةَ سبعون منافقًا.

فإن قلتَ: فقد كانوا صادقينَ في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود، فما معنى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟

قلتُ: معناه: أن النجاة من القتل يجوزُ أن يكون سببُها القعودَ عن القتال وأن يكون غيرَه؛ لأن أسباب النجاة كثيرةٌ، وقد يكون قتالُ الرجل سببَ نجاته، ولو لم يقاتلْ لقُتل، فما يُدْريكم أن سببَ نجاتكم القعودُ، وأنكم صادقون في مقالتِكم، وما أنكرتُم أن يكون السببُ غيرَه؟

قوله: **(في النسب)** فيجوز أن يكونوا مؤمنين.

قوله: **(وقد قعدوا)** يعني: هو حال.

قوله: **(فجِدُوا)** أمرٌ مِن "وَجَد يجِد".

قوله: **(قلتُ: معناه)**... إلخ، حاصل الجواب منعُ صدقهم.

قوله: **(وما أنكرتم؟)** أي: فيما أنكرتموه مِن أن يكون، فحذف مفعول "أنكرتم" و"مِن" بيان لِما حذفه؛ لأنّ حذف حرف الجرّ مع "أن" و"أنّ" قياس مستمرّ، وعلى هذا التقدير إنّما يستقيم المعنى إذا قُدّر مضاف محذوف، أي: "في إنكار ما أنكرتموه". وخير منه أن يقال: "ما" مصدريّة، و**(أن يكون)** مفعول "أنكرتم"،

ووجهٌ آخر: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم: لو أطاعونا وقعدوا ما قُتلوا، يعني: أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقُتلوا قاعدينَ كما قُتلوا مقاتلينَ، وقوله: ﴿فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ استهزاءٌ بهم؛ أي: إنْ كنتم رجالًا دفَّاعين لأسباب الموت فادرؤوا جميعَ أسبابه حتى لا تَمُوتوا.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ الخطابُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكلِّ أحدٍ، وقرئ بالياء على: «ولا يَحْسَبنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم»، أو: «ولا يحسَبنَّ حاسبٌ».

ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ فاعلًا، ويكونَ التقدير: ولا يَحسبنَّهم الذين قُتلوا أمواتًا؛ أي: ولا يحسبن الذين قُتلوا أنفسَهم أمواتًا.

أي: في إنكاركم كونَ السبب غيرَه، أي: غيرَ القعود. وهذا هو الوجه. ويجوز أن تكون "ما" استفهاميّة، وقوله: "أن يكون" مفعول به لـ"أنكرتم"، و"ما" الاستفهاميّة في محلّ المفعول المطلق لـ"أنكرتم" والجملة معطوفة على (ما يُدريكم)... إلخ، فكأنّه قيل: كيف علمتم أنّ سبب نجاتكم القعود؟ وكيف أنكرتم كونَ السبب غيرَه؟

قوله: **(وقرئ بالياء على: "وَلَا يَحْسِبَنَّ"[١] رسول الله عليه السلام)**...[٢] إلخ اعلم أنّه لمّا ذكر في القراءة بالتاء أنّه يجوز أن يكونَ **(الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم،[٣] أو لكلّ أحد)** كذا، ذكر بالياء أنّه يجوز أن[٤] يكون الضمير فيه للرسول أو لكلّ أحد، وهو المراد بقوله: **(حاسِبٌ)**.

قوله: **(أي: ولا يحسِبنّ الذين قتلوا أنفسَهم)** يقول: أضعف عباد الله تعالى

---

[١] قراءة شاذّة غير منسوبة. وهي بفتح السين أحد وجهين صحيحين عن هشام. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٦٢٣؛ **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٤٤.

[٢] ن ر – عليه السلام.

[٣] د: عليه السلام.

[٤] ر – أن.

فإن قلتَ: كيف جاز حذفُ المفعول الأول؟

قلتُ: هو في الأصل مبتدأ، فحُذف كما حُذف المبتدأ في قوله: ﴿أَحْيَآءٌ﴾ والمعنى: هم أحياءٌ؛ لدلالة الكلام عليهما.

أحمد بن الحسن الجاربردي: تحقيق معنى "لا يَحسِبن الذي قتلوا أنفسَهم أمواتًا" على وجهين: **الأوّل** أن يكون النهي في معنى النفي، فكأنّه قيل: "هم لا يَحسِبون أنفسهم أمواتًا؛ بل يعلمون أنّهم أحياء مكرّمون مُنعّمون"، وهذا يكون بطريق التأكيد لحياتهم،[١] ويكون كناية؛ لأن عدم حُسبانهم أنفسَهم أمواتًا مِن لوازم كونهم أحياء. **والثاني** أن يكون المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ "الذين سيُقتلون ويُستشهَدون"، ويكون المراد به التحريض على الجهاد، أي: لا يَحسبنّ الذين يقصدون الجهاد ويُعرِّضون أنفسهم للشهادة أنّهم يصيرون بالشهادة أمواتًا؛ بل يكونون أحياء مقرّبين مكرَّمين. وهذان المعنيان سنح[٢] لنا، ونرجو أن يكون صوابًا[٣] إلهامًا مِن الله تعالى، وأن يزيدنا مِن أمثاله بفضله وتوفيقه.

قوله: **(فحُذف)** حذفُ أحد[٤] المفعولين في باب الحسبان[٥] مذهب الأخفش خلافًا لسيبويه.[٦] وقوله: **(كما حُذف المبتدأ في قوله)** أي ههنا.

قوله: **(عليهما)** أي: على المفعول الأوّل والمبتدأ، أو على **(هم)** و"أنفسَهم". واللام في قوله: **(لدلالة)** متعلّق مِن حيث المعنى بالقولين،[٧] أي: بحذف / مرّتين، فكأنّه قيل: حُذِفا لدلالة الكلام عليهما. ولا يجوز أن يكون متعلّقًا بأحدهما بطريق التنازع، فتأمّل. والتحقيق أنّه متعلّق بمحذوف. [٣٧٩ظ]

---

١ ر: يحبونهم.

٢ د: سبح.

٣ ن ر - صوابًا.

٤ ن - أحد.

٥ ر: الحسنات.

٦ انظر تفصيل المسألة في شرح الرضيّ على الكافية، ١٧٢/٤؛ وارتشاف الضرَب لأبي حيّان الأندلسي، ٢٠٩٨/٤.

٧ ن: باليوات؛ ر: بالنون.

وقرئ: ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ بفتح السين، و: ﴿قُتِّلوا﴾ بالتشديد، و: "أحياءً" بالنصب على معنى: بل احْسَبْهم أحياءً.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: مقرَّبون عنده ذوو زُلْفى؛ كقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [فصلت ٣٨/٤١].

﴿يُرْزَقُونَ﴾ مثلَ ما يُرزَقُ سائرُ الأحياء يأكلون ويشربون، وهو تأكيدٌ لكونهم أحياءً، ووَصْفٌ لحالهم التي هم عليها من التَّنعُّمِ برزق الله.

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وهو التوفيقُ في الشهادة وما ساق إليهم الكرامة، والتفضيلُ على غيرهم من كونهم أحياءً مقرَّبين مُعَجَّلًا لهم رزقُ الجنَّة ونعيمُها، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لمَّا أُصيبَ إخوانكم بأُحُدٍ جعَل الله

قوله: (وقُرئ: ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ بفتح السين)[1] وفي بعض النسخ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ كما هو في المصحف.

قوله: (بل احسِبْهم)[2] صحّ على لفظ الأمر.

قوله: (ذوو زُلفى) الخليل يكتب[3] بالألف[4] عند[5] ضمير الجماعة فرقًا بينه وبين سائر الواوات، وغيره لا يكتبها[6] جريًا على القياس، فإنّ الخطّ مع اللفظ، وليس في اللفظ ألف.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾) ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ [الأعراف ٢٠٦/٧].

قوله: (عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:[7] لمّا أُصيبَ إخوانكم بأُحُد جعل الله

---

[1] قرأ بها ابن عامر وحمزة وعاصم وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢٤٤/٢.
[2] ن: احسبتم.
[3] ن ر: يثبت.
[4] ن ر: الألف.
[5] ن: عند.
[6] ر: يثبتها.
[7] د: عليه السلام.

أرواحَهم في أجوافِ طيرٍ خُضْر تدور في أنهار الجنَّة وتأكلُ من ثمارها وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ معلَّقةٍ في ظلِّ العرش».

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِـ﴾ إخوانهم المجاهدين ﴿الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم﴾؛ أي: لم يُقتَلوا فيَلْحَقوا بهم.

﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يريد: الذين مِن خَلفهم قد بَقُوا بعدهم وهم قد تقدَّموهم.

وقيل: ﴿لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم﴾: لم يُدركوا فضلَهم ومنزلتهم.

﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بدلٌ من "الذين".

والمعنى: ويستبشِرون بما تبيَّن لهم من حالِ مَن ترَكوا خلفَهم من المؤمنين،

أرواحهم في أجواف طير خضر).[١] اعلم أنّ الحديث في **صحيح مسلم** هكذا:[٢] «أرواحهم كطير خضر».[٣] روى الواحدي في **الوسيط** بإسناده[٤] «عن مسروق، قال:[٥] سألت عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ فقال: أما إنّا قد سألنا عن ذلك: أرواحهم[٦] كطير خضر تسرح في الجنّة في أيّها[٧] شاءت، ثمّ تأوي إلى قناديل معلّقة بالعرش».[٨] وقوله: "في أجواف" في[٩] بعض النُّسخ "في حواصل". الحَوْصلة: واحدة حواصل الطير، وهي مَعِدته.

قوله: (ويستبشرون بإخوانهم) أي: الذين قُتلوا.

قوله: (فيلحقوا) جواب (لم يُقتلوا)، فهو منصوب لأنّه جواب النفي بالفاء، أو هو عطف على "يُقتلوا"[١٠] فيكون مجزومًا، أي: لم يُقتلوا فلم يلحقوا.

---

١ مسند أحمد، ٢١٨/٤ (٢٣٨٨)؛ سنن أبي داود، ١٧٤/٤ (٢٥٢٠)؛ المستدرك للحاكم، ٩٧/٢ (٢٤٤٤).

٢ ر: كذا.

٣ صحيح مسلم، ١٥٠٢/٣ (١٨٨٧)، والرّواية فيه: «أرواحهم في جوف طير خضر».

٤ ن: بإسناد.

٥ ن: قالت.

٦ ن: أزواجهم.

٧ ن ر: أنّها.

٨ الوسيط للواحدي، ٥٢٠/١ (آل عمران، ١٦٩/٣). وهو بلفظ قريب في صحيح مسلم، ١٥٠٢/٣ (١٨٨٧)؛ وسنن ابن ماجه، ٨٣/٤ (٢٨٠١)؛ وسنن الترمذي، ٨١/٥ (٣٠١١).

٩ ن ر - في.

١٠ ن ر - فهو منصوب لأنّه جواب النفي بالفاء، أو هو عطف على "يُقتلوا".

وهو أنهم يُبعثون آمنين يوم القيامة، بشَّرَهم الله بذلك فهم مستبشِرون به.

وفي ذكرِ حال الشهداء واستبشارِهم بمَن خلْفَهم بعثٌ للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة، والجِدِّ في الجهاد، والرغبةِ في نيلِ منازل الشهداء وإصابةِ فضلهم، وإِحْمادٌ لحالِ مَن يَرى نفسَه في خيرٍ فيتمنَّى مثلَه لإخوانه في الله، وبُشْرَى للمؤمنين بالفوز في المآب.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٧١﴾

وكرِّر ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ليُعلَّق به ما هو بيانٌ لقوله: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ مِن ذكر النعمة والفضل، وأن ذلك أجرٌ لهم على إيمانهم يجبُ في عَدْل الله وحكمته أن يُحصَّلَ لهم ولا يُضيَّعَ.

وقرئ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ بالفتح عطفًا على النعمةِ والفضل، وبالكسر على الابتداء وعلى أنَّ الجملة اعتراضٌ، وهي قراءة الكسائي، وتعضدُها قراءةُ عبد الله: "واللهُ لا يُضِيعُ".

قوله: (بشّرهم الله) جواب سؤال مقدّر، وهو أن يقال: كيف علموا حال الذين لم يلحقوا بهم حتّى استبشروا بذلك؟ فقال: "بشّرهم الله تعالى".

قوله: (وإحمادٌ) الهمزة فيه للصيرورة، أي: كنسبة فعلهم إلى الحمد، بمعنى يستحقّ أن يحمد؛ بل[1] الأولى أن يقال: هي للوجود، نحو[2] "أحمدته": وجدته محمودًا.

قوله: (يجب) هو على مذهبه.[3]

قوله: (عطفًا على النعمة) أي: يستبشرون بأن الله تعالى[4] لا يضيع أجر المؤمنين.

قوله: (وهي قراءة الكسائي)،[5] أي: القراءة بالكسر.

قوله: (وتعضُدها) أي: تعضد القراءة بالكسر.

---

[1] ر + الدلالة بل.

[2] ن ر – نحو.

[3] وعند أهل السنّة لا يجب على الله تعالى شيء البتّة. انظر تفصيل المذهبين في الإرشاد للجويني، ص ٤٠٣.

[4] ر – تعالى.

[5] قرأ بها الكسائي. النشر لابن الجزري، ٢/٢٤٤.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾ مبتدأٌ خبرُه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾، أو صفةٌ لـ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أو نصبٌ على المدح، روي: أن أبا سفيان وأصحابَه لمَّا انصرفوا من أحدٍ فبَلغُوا الرَّوْحاءَ نَدِمُوا وهمُّوا بالرجوع، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فأراد أن يُرْهِبَهم ويُرِيَهم من نفسه وأصحابه قوَّةً، فندب أصحابَه للخروج في طلب أبي سفيان، وقال: «لا يخرجنَّ معنا أحدٌ إلا مَن حضَر يومَنا بالأمس»، فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعةٍ حتى بلغوا حَمْراءَ الأسَدِ وهي من المدينة على ثمانيةِ أميال، وكان بأصحابه القَرْحُ، فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتَهم الأَجْرُ، وألقى الله الرُّعْبَ في قلوب المشركين فذهبوا، فنزلت.

قوله:[١] (﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾ مبتدأ)... إلخ، أي: ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ مبتدأ خبره ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾، وهذه[٢] الجملة خبر ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾، تقديره "الذين[٣] استجابوا لهم أجرٌ عظيم". أو ﴿لِلَّذِينَ﴾ خبر و﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فاعل ﴿لِلَّذِينَ﴾ لاعتماد الظرف على ما قبله.

قوله: (رُوي)[٤] سبب النزول لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ﴾.

قوله: (الرَّوحاء) موضع بين[٥] مكّة والمدينة.

قوله: (فأراد) أي: الرسول.

قوله: (يُرهبَهم)،[٦] أي: أبا سفيان وأصحابه. وقوله: (مِن نفسه) أي: الرسول.

قوله: (يومَنا) يريد وقعتنا وحربنا، مِن قولهم: "أيّام العرب" لوقائعهم.[٧] ومنه قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم ١٤/٥]، يريد وقائعه بالأمم المتقدّمة.

قوله: (فتحاملوا)[٨] تحاملتُ على نفسي إذا تكلّفتَ الشيء على مشقّة.

---

[١] ر - قوله.
[٢] ر + وهذه.
[٣] ن ر: للذين.
[٤] د ن: وروي. [وأثبتُّ ما في مطبوع **الكشّاف** ومخطوط آيا صوفيا (٢٤٦).
[٥] ن: من.
[٦] ن: يرهبم؛ ر: إبراهيم.
[٧] ن: لوفاتهم؛ ر: لوقايتهم.
[٨] بلفظ قريب في **جامع البيان** للطبري، ٢٤١/٦ (آل عمران، ١٧٢/٣)؛ و**معالم التنزيل** للبغوي، ١٣٦/٢ (آل عمران، ١٧٢/٣).

و"مِن" في ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ﴾ للتبيين، مثلُها في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الفتح ٢٩/٤٨]؛ لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلُّهم واتَّقَوْا، لا بعضهم.

وعن عروةَ بن الزبير قال: قالت لي عائشةُ رضي الله عنها: إنَّ أبويك لَمِنَ الذين استجابوا لله والرسول: تعني: أبا بكر والزبيرَ رضي الله عنهما.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ روي: أن أبا سفيان نادَى عند انصرافه من أحُدٍ: يا محمد، موعدُنا موسِمُ بدرٍ لِقابلٍ إن شئتَ، ....

قوله:[1] **(للتبيين)** لا للتبعيض.

قوله: **(إنّ أبويك)**[2] كانت أسماء بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنها[3] زوجَ الزُّبير، فكأنّها قالت: إن طرفيك، فإنّ الزبير أبوه وأبا بكر أبو أمّه، فسمّت أبا أمّه أباه،[4] فالمراد بقولها: "أبويك" أبوه وأبو أمه.

قوله: **(رُوي[5] أنّ[6] أبا[7] سفيان)** سبب نزول.

قوله: **(﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾)**.

قوله: **(موسم بدر)** بدر: موضع يُذكّر ويُؤنّث، وهو اسم ماء. / قال الشعبيّ: بدر بئر كانت لرجل يدعى بدرًا. [٢٨٠و]

قوله: **(لقابل)**،[8] أي: لعام قابل، يعني للسنة الآتية، وهو السنة الثانية. و"اللام" فيه كما في قولهم: "كُتب لخمس مضين مِن الشهر".

---

١ ن ر - (فتحاملوا) تحاملت على نفسي إذا تكلّفتُ الشيء على مشقّة. قوله.

٢ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٢٤٤/٦ (آل عمران، ١٧٢/٣)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٣٦/٢ (آل عمران، ١٧٢/٣).

٣ د - رضي الله عنها.

٤ ر: أبوه.

٥ ن: وروي.

٦ ن ر - أنّ.

٧ ر: أبو.

٨ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٢٤٨/٦ (آل عمران، ١٧٣/٣).

فقال صلى الله عليه وسلم: «إن شاء الله»، فلمّا كان القابلُ خرجَ أبو سفيان في أهل مكّةَ حتى نزل مَرَّ الظَّهْرَانِ، فَأَلْقَى الله الرُّعبَ في قلبه فبدا له أن يرجع، فلقي نُعَيْمَ بْنَ مسعود الأشجعيَّ وقد قدم مُعتمِرًا، فقال: يا نُعيمُ، إني واعدتُ محمدًا أن نلتقي بموسم بدرٍ، وإن هذا عامُ جَدبٍ ولا يُصْلِحُنا إلّا عامٌ نَرْعَى فيه الشجر ونشربُ فيه اللبنَ، وقد بدا لي ولكنْ إن خرج محمد ولم أخرجْ زاده ذلك جُرأةً، فالْحَقْ بالمدينة فَثَبِّطْهم ولك عندي عشرٌ من الإبل، فخرج نعيمٌ فوجد المسلمين يتجهَّزون، فقال لهم: ما هذا بالرأي، أتَوْكم في دياركم وقراركم فلم يُفْلِتْ منكم أحدٌ إلّا شريدٌ، ....

قوله: (فلمّا كان) تامّة.

قوله:[1] (مرّ الظهران) اسم موضع، ويسمّيه أهل مكّة وادِ مرّ.

قوله: (فلقيَ نُعيم) أي: فلقيه بمرّ الظهران، وكان نُعيم رجع مِن مكّة إلى مقامه، وهو[2] مرّ[3] الظهران، فلذلك قال: (وقد قدِم). والقدوم: هو الرجوع مِن السفر إلى الوطن.

قوله: (معتمِرًا) يريد أنّ إتيانه مكّة كان للعمرة، فلمّا فرغ مِن العمرة رجع إلى وطنه، وهو معنى قوله: "قدِم معتمرًا".

قوله: (بموسم بدر) موسم الحاجّ مَجمَعهم، سمّي بذلك لأنّه معلوم يجتمع إليه، والمراد بموسم بدر الوقت المعيّن الذي كان الناس يجتمعون فيه للمعاملة والمبايعات في كلّ سنة.

قوله: (فثبّطهم) ثبّطه عن الأمر تثبيطًا شغله عنه.

قوله: (وقرارِكم) أي: مستقرّكم ومقامكم الذي تسكنون فيه، يعني المدينة. والقرار: المستقرّ، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المرسلات ٢١/٧٧]، يعني الرحم.

قوله: (فلم يُفلِت) أي: لم ينج (إلّا شريد) أي: إلّا الذين فرّوا. و"الشريد": الطريد.

---

[1] ن ر – فلمّا كان تامّة قوله.

[2] ن ر – بمرّ الظهران، وكان نُعيم رجع مِن مكّة إلى مقامه وهو.

[3] ن: ثمّ.

أفتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم؟ فوالله لا يَفْلِتُ منكم أحدٌ -وقيل: مَرَّ بأبي سفيان رَكْبٌ من عبد القيس يريدون المدينة للمِيرَةِ، فجعل لهم حِملَ بعيرٍ من زَبيبٍ إن ثبَّطوهم- فكَرِهَ المسلمون الخروج، فقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لأَخْرُجنَّ ولو لم يَخرجْ معي أحدٌ» فخرج في سبعين راكبًا وهم يقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل -وقيل: هي الكلمةُ التي قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار- حتى وافَوْا بدرًا وأقاموا بها ثماني ليالٍ، وكان معهم تجاراتٌ فباعوها وأصابوا خيرًا ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، ورجع أبو سفيان إلى مكَّة، فسمَّى أهلُ مكَّة حينئذٍ جَيْشَه: جيشَ السَّويق، قالوا: إنما خرجتُم لتشربوا السَّويق.

فالناس الأوَّلون: المثبِّطون، والآخرون: أبُو سفيان وأصحابه.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ إن كان نُعَيْمٌ هو المُثبِّطَ وحده؟

قوله: **(عند الموسم)** اللام في "الموسم" للعهد، أي: موسم بدر.

قوله: **(للمِيرة)** أي: الطعام.

قوله: **(وافَوا[١] بدرًا)** هذه هي بدر الصغرى.

قوله: **(تجاراتٌ)** المراد بالتجارات ما يتَّجر فيه، كقوله: ﴿تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ [البقرة ٢/٢٨٢].

قوله: **(وأصابوا خيرًا)** أي: مالًا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات ١٠٠/٨]، أي: إنّ الإنسان لِحبِّ المال لَبخيل.

قوله: **(جيشَه)** أي: جيش أبي سفيان.

قوله: **(فالناس الأوّلون)**،[٢] أي: قال لهم الناس.

قوله: **(والآخَرون)** أي: أنّ الناس قد جمعوا.[٣] قال رضي الله عنه:[٤] الآخِر: بعد الأوّل، والآخَر: نقيض الأوّل.

---

[١] ن: دأبوا.
[٢] ن ر: والألون.
[٣] ر + لكم.
[٤] د: رحمه الله.

قلتُ: قيل ذلك لأنه من جنس الناس؛ كما يقال: فلانٌ يركب الخيلَ ويلبس البُرُودَ، وما له إلا فرسٌ واحد وبُرْدٌ فردٌ، أو لأنه حينَ قال ذلك لم يَخْلُ من ناسٍ من أهل المدينة يُضامُّونه ويَصِلُون جناحَ كلامه ويُثبِّطون مثلَ تثبيطِه.

فإن قلتَ: إلام رجع المستكنُّ في ﴿فَزَادَهُمْ﴾؟

قلتُ: إلى المقولِ الذي هو ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ كأنه قيل: قالوا لهم هذا الكلام فزادهم إيمانًا، أو إلى مصدر "قالوا" كقولك: من صَدَقَ كان خيرًا له، أو إلى الناس إذا أريد به نعيمٌ وحده.

فإن قلتَ: كيف زادهم نُعَيم أو مقولُه إيمانًا؟

قلتُ: لمَّا لم يسمعوا قولَه، وأخلصوا عنده النيّةَ والعزمَ على الجهاد، وأظهروا حَمِيَّةَ الإسلام، كان ذلك أثبتَ ليقينهم وأقوى لاعتقادهم؛ كما يزدادُ الإيقان

قوله: (**قلتُ: قيل**[١] **ذلك**)... إلخ، ذكر الأصوليّون أنّ تخصيص العامّ جائز إلى أن يبقى واحد،[٢] واستدلّوا عليه بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾، والمراد به نُعيم بن مسعود. ولم يذكر المصنّف هذا الوجه، كأنّه لا يجوّز تخصيص العامّ إلى الواحد، ويجوز أن يكون معنى كلام المصنّف أنّه خصّص لأنّه مِن الناس، فذُكر "الناس" وأُريد نعيم لأنّه مِن الناس، فيكون تخصيصًا إلى الواحد.

قوله: (**يضامُّونه**) أي:[٣] ينضمون إليه.

قوله: (**كان خيرًا له**)،[٤] أي: كان الصدق خيرًا له.

قوله: (**أثبتَ ليقينهم**) أي: أشدّ إثباتًا ليقينهم وأشدّ تقوية لاعتقادهم، فهما اسما التفضيل مبنيّان مِن الإثبات والتقوية بحذف الزوائد.

وقوله: (**كما يزداد**) نصب على المصدر، أي: ازداد الإيقان[٥] بذلك كما يزداد. وهذا الجواب مبنيّ على أنّ الإيمان عبارة عن التصديق، كما يدلّ عليه

---

١ ن ر: قبل.
٢ انظر: **قواطع الأدلّة** للسمعاني، ١/١٨١.
٣ ر + يضامون.
٤ ر: لهم.
٥ ر: الإنفاق.

بتناصُرِ الحُجج، ولأنّ خروجَهم على أثر تثبيطِه إلى وِجْهةِ العدوّ طاعةٌ عظيمةٌ، والطاعاتُ من جملةِ الإيمان؛ لأن الإيمان اعتقادٌ وإقرارٌ وعمل.

وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما: قلنا: يا رسول الله: إن الإيمان يزيدُ وينقص؟ قال: «نعم، يزيدُ حتى يُدْخِلَ صاحبَه الجنَّةَ، وينقصُ حتى يُدْخِلَ صاحبَه النارَ».

وعن عمر رضي الله عنه: أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول: قم بنا نَزْدَدْ إيمانًا.

وعنه: لو وُزن إيمانُ أبي بكر رضي الله عنه بإيمان هذه الأمّة لرجَح به.

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾: مُحْسِبُنا الله؛ أي: كافينا، يقال: أَحْسَبه الشيء: إذا كفاه، والدَّليل على أنه بمعنى المُحْسِب أنك تقول: هذا رجلٌ حَسْبُك، فتصفُ به النكرةَ؛ لأن إضافته -لكونه في معنى اسم الفاعل- غيرُ حقيقيّة.

﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: ونعمَ الموكولُ إليه هو.

حديثُ عمر وأبي هريرةَ رضي الله[١] عنهما[٢] في أوّل **المصابيح**.[٣] وقوله: **(ولأنّ خروجهم)**... إلخ، جواب آخر، وهو مبنيّ على أنّ[٤] الإيمان عبارة عن القول والعمل والاعتقاد. وحاصل الجواب أن الإيمان يقبل الزيادة سواءٌ كان عبارة عن التصديق فقط أو عن المجموع.

قوله: **(لرجح به)**[٥] رجح الميزان يرجَح ويرجِح، أي: مال. والضمير مِن "رجح" يعود إلى إيمان / أبي بكر. والباء في "به" للتعدية. وضميره يعود إلى إيمان هذه الأمّة. [٢٨٠ظ]

قوله: **(ونعمَ الموكول إليه هو)** يشير بقوله: "هو" إلى أنّ المخصوص بالمدح محذوف.

قوله: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: لا جناح على الحاجّ إذا خرج لحجّته أن يكون معه أشياءُ يتّجر فيها ويربح، فيريد بالفضل في هذه الآية الربح.

---

١ ن + تعالى.

٢ د - رضي الله عنهما.

٣ انظر: **مصابيح السنّة** للبغوي، ١/١١٢-١١٣ (١، ٣).

٤ ر - أنّ.

٥ **فضائل الصحابة** للإمام أحمد، ١/٤١٨ (٦٥٣)؛ **شعب الإيمان** للبيهقي، ١/١٤٣ (٣٥)؛ **مسند الفاروق** لابن كثير، ٣/١٠٠ (٩٧٥).

﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾

﴿فَانقَلَبُوا﴾: فرجعوا من بدرٍ ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ وهي السلامةُ وحذرُ العدوّ منهم.

﴿وَفَضْلٍ﴾ وهو الربح في التجارة؛ كقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة ١٩٨/٢].

﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾: لم يَلْقَوْا ما يَسُوؤهم من كيدِ عدوّ.

﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بجُرأتهم وخروجهم ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ قد تفضّل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا، وفي ذلك تحسيرٌ لمَن تخلّف عنهم، وإظهارٌ لخطأ رأيهم حيث حَرَموا أنفسَهم ما فاز به هؤلاء.

ورُوي أنهم قالوا: هل يكون هذا غَزوًا؟ فأعطاهم الله ثوابَ الغزو ورضي عنهم.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿الشَّيْطَانُ﴾ خبرُ ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ بمعنى: إنّما ذلكم المثبِّطُ هو الشيطان، و﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾: جملة مستأنفة بيانٌ لشَيْطَنته. أو ﴿الشَّيْطَانُ﴾ صفةٌ لاسم الإشارة، و﴿يُخَوِّفُ﴾ الخبر.

والمراد بالشيطان نُعيمٌ أو أبو سفيانُ.

قوله: (إنّما ذلكم المثبط) يريد بالمثبط القائل: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، ويدلّ[1] عليه قوله: (والمراد بالشيطان نُعيم)، وكذا قوله: (أو[2] أبو سفيان)[3] يدلّ عليه،[4] لِما مرّ أنّ أبا[5] سفيان قال لنُعيم: "فثبِّطهم".[6] فأبو سفيان هو الحامل على التثبّط،[7] فهو المثبِّط.[8]

[1] ن ر: يدل.
[2] ن ر - أو.
[3] ر + هو الحامل على التثبيط فهو.
[4] ر -يدل عليه.
[5] ر: أبو.
[6] ر: ثبطهم.
[7] ن ر: المتثبط.
[8] ر: أبو.

ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف؛ بمعنى: إنما ذلكم قولُ الشيطان؛ أي: قولُ إبليس -لعنه الله- ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾: يخوِّفكم أولياءَه الذين هم أبو سفيانَ وأصحابه، وتدلُّ عليه قراءةُ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: "يخوِّفكم أولياءَه"، وقولُه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾.

وقيل: يخوِّف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن قلتَ: فإلامَ رجع الضَّمير في ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ على هذا التفسير؟

قلتُ: إلى ﴿ٱلنَّاسَ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ فتقعدوا عن القتال وتجبُنوا ﴿وَخَافُونِ﴾ فجاهدوا مع رسولي وسارِعوا إلى ما يأمركم به ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني: أن الإيمان يقتضي أن تُؤْثِروا خوفَ الله على خوف الناس: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب ٣٣/٣٩].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾

قوله: (**وتدلّ**[1] **عليه**) أي: على أنّ المعنى: يخوّفكم أولياءَه.

قوله: (**وقيل: يخوّف أولياءه القاعدين**)... إلخ، فيكون مفعوله الثاني محذوفًا، أي: يخوّف أولياءه الناسَ، أي: أبا سفيان وأصحابه. وقوله: (**عن الخروج**) متعلّق بـ"القاعدين". وقوله: (**مع**) متعلّق بـ(**الخروج**). والقاعد: هو الذي لا يخرج مع الإمام للقتال، والجمع قَعَد مثل "حارس وحَرَس".

قوله: (**فتقعدوا**) يجوز أن يكون مجزومًا عطفًا على (**تخافوهم**) أي: فلا[2] تقعدوا ولا تجبُنوا. ويجوز أن يكون منصوبًا جوابًا للنهي. والأوّل أولى بدليل قوله بعد ذلك: "﴿وَخَافُونِ﴾ فجاهدوا وسارعوا" حيث عطف الأمر على الأمر، فدلّ على أنّه في الأوّل عطف النهي على النهي.

قوله: (﴿**وَلَا يَخْشَوْنَ**﴾ [الأحزاب ٣٣/٣٩]) للاستشهاد.

---

[1] ر: فيدل.

[2] ن ر: لا.

﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾: يقعون فيه سريعًا، ويرغبون فيه أشدَّ رغبةٍ، وهم الذين نافقوا منَ المتخلِّفين، وقيل: هم قومٌ ارتدُّوا عن الإسلام.

فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ ومِن حقِّ الرسول أن يحزنَ لنفاقِ مَن نافقَ وارتدادِ مَن ارتدَّ؟

قلتُ: معناه: لا يحزنوك لخوفِ أنْ يضرُّوك ويُعِينوا عليك، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ يعني: إنهم لا يضرُّون بمسارعتهم في الكفر غيرَ أنفسهم، وما وَبَالُ ذلك عائدًا على غيرهم، ثم بيَّن كيف يعود وَباله عليهم بقوله:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ أي: نصيبًا من الثَّواب.

﴿وَلَهُمْ﴾ بَدَل الثواب ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وذلك أبلغُ ما ضَرَّ به الإنسانُ نفسَه.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: لا يجعل الله لهم حظًّا في الآخرة، وأيُّ فائدةٍ في ذكرِ الإرادة؟

قلتُ: فائدتُه: الإشعار بأن الداعيَ إلى حِرْمانهم وتعذيبهم قد خَلص خلوصًا لم يبقَ معه صارفٌ قطُّ حين سارَعوا في الكفر؛ تنبيهًا على تمادِيهم في الطغيان وبلوغِهم الغايةَ فيه حتى إنَّ أرحمَ الراحمين مُرِيدٌ أنْ لا يرحمهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ إمَّا أن يكون تكريرًا لذكرهم للتأكيد والتسجيلِ عليهم بما أَضاف إليهم، وإمَّا أن يكون عامًّا للكفَّار والأولُ خاصًّا فيمَن نافق من المتخلِّفين أو ارتدَّ عن الإسلام، أو على العكس.

و﴿شَيْـًٔا﴾ نصب على المصدر؛ لأن المعنى: شيئًا من الضرر، وبعضَ الضرر.

قوله: (بدلَ الثواب) أي: مكان الثواب.

قوله: (وذلك) أي: أن يكون بدلَ الثواب عذاب عظيم.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٧٨﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فيمَن قرأ بالتاء نصبٌ، و﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ بدلٌ منه؛ أي: ولا تحسبنَّ أنَّ ما نملي للكافرين خيرٌ لهم، و"أنَّ" مع ما في حيّزه ينوب عن المفعولين؛ كقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ [الفرقان ٢٥/٤٤]، و"ما" مصدرية بمعنى: ولا تحسبنَّ أن إِمْلاءَنا خيرٌ، وكان حقُّها في قياسِ عِلْم الخطِّ أن تُكتب مفصولةً، ولكنَّها وقعتْ في الإمام متَّصلةً فلا يُخالَف وتُتَّبعُ سُنَّةُ الإمام في خطِّ المصاحف.

فإن قلتَ: كيف صحَّ مجيءُ البدل ولم يُذكَرْ إلَّا أحدُ المفعولين، ولا يجوز الاقتصارُ بفعل الحُسْبان على مفعولٍ واحد؟

قوله: (**بدل منه**) وإنّما لم يجعله مفعولًا ثانيًا،[1] لأنّه حينئذٍ في تقدير كون الإملاءِ خيرًا لهم، ولا يصحّ حمله على الذين كفروا، إذ لا يصحّ أن يقال: "الذين كفروا كون الإملاء خيرًا لهم" على الابتداء والخبر، اللّٰهمّ إلّا أن يُقدّر المضاف في أحد الطرفين فيصحّ حينئذٍ، كما سيجيء ذكره بعد ذلك.

قوله: (**و"ما" مصدريّة**) لا كافّة، ولذلك رُفع ﴿خَيْرٌ﴾.

قوله: (**إملاءَنا**) أي: إمهالَنا.

قوله: (**كيف صحّ؟**) معنى السؤال أنّ المفعول هو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، وأمّا قوله: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾... إلخ، فمن توابعه، فيلزم[2] الاقتصار في باب "حسبت" على مفعول واحد مِن غير اشتماله على المسند والمسند إليه حتّى يقوم مقام المفعولين، فكيف صحّ ذلك؟ فأجاب بأنّ البدل لمّا كان هو المقصود وإن كان تابعًا كان المفعول بالحقيقة هو ﴿أَنَّمَا نُمْلِي﴾... إلخ، فسدّ مسدّ المفعولين. ثمّ قرّر كون البدل هو المقصود دون المبدل منه بالمثال الذي ذكره، فإنّ قوله:

---

[1] ر: ثابتًا.

[2] ن: فيكرم؛ ر: مستلزم.

قلتُ: صحَّ ذلك من حيث إنَّ التعويل على البدلِ، والمبدلُ منه في حُكمِ المنحَّى، ألَا تراكَ تقول: جعلتُ متاعَكَ بعضَه فوق بعضٍ، مع امتناعِ سكوتك على «متاعَك».

ويجوز أن يقدَّر مضافٌ محذوفٌ على: ولا تحسبنَّ الذين كفروا أصحابَ أنَّ الإمْلاءَ خيرٌ لأنفسهم، أو: ولا تحسبنَ حالَ الذين كفروا أن الإملاء خيرٌ لأنفسهم.

وهو فيمَن قرأ بالياء رفعٌ، والفعل متعلِّقٌ بـ﴿أَنَّ﴾ وما في حيِّزه.

والإملاءُ لهم: تَخْلِيَتُهم وشأنَهم، مستعارٌ من أَمْلَى لفرسه: إذا أرخَى له الطِّوَلَ ليَرْعَى كيف شاء.

وقيل: هو إمْهالُهم وإطالةُ عُمرهم.

والمعنى: ولا يَحسَبُنَّ أن الإمْلاء خيرٌ لهم مِن مَنْعهم أو قطْع آجالهم.

(بعضَه) لمّا كان بدلًا اعتمد بالكلام عليه، فكأنّك قلتَ: "جعلتُ بعضَ[١] متاعك فوق بعض"، فلذلك صحّ التركيب، ولو لم تذكر البدل وقلتَ: "جعلتُ متاعَك فوق بعض" لم يَسدّ كلامك، وهو المعني بقوله: **(مع امتناع سكوتك على متاعك)** أي: بأن لا يذكر بعضَه.

قوله: **(ويجوز أن يقدّر مضاف)** فيكون[٢] ﴿أَنَّمَا نُمْلِي﴾ مفعولًا ثانيًا.

قوله: **(رفعٌ)** لأنّه فاعل﴿تَحْسَبَنَّ﴾.

قوله: **(الطِّوَل)** الطِّوَل بكسر الطاء وفتح الواو: الحبل الذي يُطوَّل للدابّة فترعى فيه.

قوله: **(مِن منعهم)** هذا على تقدير أن يكون المراد بالإملاء تخليتَهم وشأنَهم.

[٢٨١و] وقوله: **(أو قطعِ)** / على تقدير أن يكون المراد الإمهالَ وإطالةَ العمر. هذا بناء على مذهبه إنّ الميّت مقطوع الأجل. واعلم أنّ هذه **الحاشية** ليست منقّحة؛

---

[١] ر – بعض.
[٢] ن ر: ويكون.

﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾: "ما" هذه حقُّها أن تُكتبَ متصلةً؛ لأنها كافَّةٌ دون الأولى، وهذه جملةٌ مستأنَفةٌ تعليلٌ للجملة قبلها؛ كأنّه قيل: ما بالُهم لا يَحْسبون الإمْلاء خيرًا لهم؟ فقيل: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾.

فإن قلتَ: كيف جاز أن يكون ازديادُ الإثم غَرضًا لله تعالى في إملائه لهم؟

قلتُ: هو علةٌ للإملاء، وما كلُّ علةٍ بغرضٍ، ألَا تراكَ تقول: قعدتُ عن الغزو للعجز والفاقة، و: خرجتُ من البلد لمخافةِ الشرِّ، وليس شيءٌ منها بغرضٍ لك، وإنما هي عللٌ وأسبابٌ، فكذلك ازديادُ الإثم جُعل علةً للإمْهال وسببًا فيه.

فإن قلتَ: كيف يكون ازديادُ الإثم علَّةً للإملاء كما كان العجزُ علَّةً للقعود عن الحرب؟

قلتُ: لمّا كان في علم الله المحيطِ بكلِّ شيء أنهم مُزدادون إثمًا، فكأنَّ الإملاء وقَع من أجله وبسببه على طريق المجاز.

بل الوجه أنّه لف ونشر. فقوله: "مِن منعهم" متعلّق بالتفسير الأوّل للإملاء[١] والثاني بالثاني.

قوله: **(دون الأولى)** وإلّا لم يكن لرفع ﴿خَيْرٌ﴾ وجه.

قوله: **(لمّا كان في عِلم الله المحيط)**... إلخ، عِلمُ الله بأنّهم يزدادون إثمًا علّةُ[٢] الإملاء؛ لأنّه تعالى لمّا عَلِم الازدياد لزِم الإملاء ليقع المعلوم، فيكون العلم بالازدياد[٣] علّة[٤] الإملاء[٥] بالحقيقة، فجعل متعلّقه وهو الازدياد علّة مجازًا. واعلم أنّ هذا التكلُّف[٦] مِن المصنّف لترويج مذهبه، وهو أنّه لا يجوز أن يقال: "أملى الله تعالى لهم ليحصل لهم ازدياد الإثم"، بناءً على مسألة الحسن والقبح، وأمّا عند أهل السنّة فلا حاجةَ إلى هذا، لأنّ ذلك يجوز عندهم، يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد.[٧]

---

١ ن ر: الإملاء.
٢ ن: عليه؛ ر: على.
٣ ن ر: بازدياد.
٤ ن ر: علمه.
٥ ر: للإملاء.
٦ ر: التكليف.
٧ انظر تفصيل هذه المسألة عند الفريقين في الإرشاد للجويني، ص ٢٥٨-٢٦٧.

وقرأ يحيى بن وَثّاب: بكسر الأولى وفتح الثانية، "ولا يحسبن" بالياء، على معنى: ولا يحسبن الذين كفروا أنَّ إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون، وإنما هو ليتوبُوا ويَدخلوا في الإيمان، وقوله: "إنَّ ما نُملي لهم خيرٌ لأنفسهم" اعتراضٌ بين الفعل ومعموله، ومعناه: إنَّ إملاءنا خيرٌ لأنفسهم إنْ عملوا فيه وعرفوا إنعامَ الله عليهم بتفسيح المدَّة وتركِ المعاجَلة بالعقوبة.

فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ على هذه القراءة؟

قلتُ: معناه: ولا تحسبُوا أنَّ إملاءنا لزيادةِ الإثم وللتعذيب، والواوُ للحال؛ كأنه قيل: ليزدادوا إثمًا مُعدًّا لهم عذابٌ مهين.

﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾

اللام لتأكيد النفي ﴿عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المؤمنين الخُلَّصِ والمنافقين.

قوله: "لمَا كان"... إلخ، اعلم أنّ معنى هذا الجواب أنّ ازدياد الإثم ليس علّة للإملاء[١] بطريق الحقيقة؛ بل هو على سبيل المجاز، وذلك لأنّه تعالى أملى لهم مع عِلمه تعالى بأنّهم مزدادون[٢] إثمًا، فكأنّه تعالى أملى لهم[٣] للازدياد.[٤] وهذا[٥] هو المعنى، لا[٦] ما كُتب في **الحاشية** مِن الجانب الآخر.[٧] واعتُرض[٨] عليه.

قوله: (ومعناه: إنّ إملاءنا)[٩] فتكون على هذا[١٠] أيضًا "ما"[١١] مصدرية.

قوله: (**اللام لتأكيد النفي**) أي: اللام في ﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾.

---

١ ن: الإملاء.

٢ ن: يزدادون.

٣ ر - مع علمه تعالى بأنّهم مزدادون إثمًا فكأنّه تعالى أملى لهم.

٤ ن: الازدياد.

٥ ن: هذا.

٦ ن: إلا.

٧ هذا الموضع وأمثاله دليل على أنّ الجاربردي لم يحرّر هذا الجزء من كتابه، وإنّما حرّره تلميذه، كما مرّ.

٨ ن ر: وأعرض.

٩ ن ر: ملانا.

١٠ ن ر - هذا.

١١ ر - ما.

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ حتى يَعْزِلَ المنافقَ عن المخلِص.

وقرئ: ﴿يُمَيِّزَ﴾ من مَيَّزَ، وفي روايةٍ عن ابن كثير: "يُمِيز" من أماز بمعنى: مَيَّزَ.

فإن قلتَ: لمن الخطاب في ﴿أَنتُمْ﴾؟

قلتُ: للمصدِّقين جميعًا من أهلِ الإخلاص والنِّفاق؛ كأنَّه قيل: ما كان اللهُ ليَذَرَ المُخلِصين منكم على الحَال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعضٍ، وأنه لا يُعرَفُ مُخلصُكم من منافقكم -لاتِّفاقكم على التصديق جميعًا- حتى يُميِّزهم منكم بالوَحْي إلى نبيِّهِ وإخبارِه بأحوالكم، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: وما كان الله ليُؤتِيَ أحدًا منكم علمَ الغيوب، فلا تتوهَّموا عند إخبار الرسول عليه الصلاة والسلام بنفاقِ الرجل وإخلاص الآخَر أنَّه يَطَّلع على ما في القلوب اطِّلاعَ الله فيُخبرُ عن كُفرها وإيمانها ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ يُرْسِلُ الرسولَ فيُوحي إليه ويخبرُه بأنَّ في الغيب كذا، وأن فلانًا في قلبه النِّفاقُ وفلانًا في قلبه الإخلاص، فيَعلمُ الرسولُ ذلك من جهةِ إخبار الله لا من جهة اطِّلاعه على المغيَّبات.

ويجوز أن يراد: لا يَتْرُكُكم مختلِطِينَ حتى يميزَ الخبيثَ من الطيِّب بأنْ يُكلِّفَكم التكاليفَ الصَّعْبَةَ التي لا يصبر عليها إلا الخُلَّصُ الذين امتَحن الله قلوبَهم،

قوله:[1] (﴿يَمِيزَ﴾)[2] هو مِن "مِزتُ الشيء أميز[3] ميزًا": عزلته.

قوله: (**المخلِصين منكم**) أي: أيّها المصدِّقون (**مِن أهل الإخلاص**[4] **والنفاق**).[5]

قوله: (**وإخبارِه**) عطف على (**الوحي**). والضمير للنبي صلّى الله عليه وسلّم،[6] أي: يَميز بأن يُوحي إلى نبيّه ويخبركم النبيّ عليه السلام[7] بأحوالكم.

قوله: (**أي: وما كان الله ليؤتيَ أحدًا**)... إلخ، فيكون الخطاب في قوله تعالى: ﴿لِيُطْلِعَكُمْ﴾ شاملًا لجميع الخلائق مِن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم[8] وغيره.

---

[1] ن ر + المخلصون منكم.
[2] ن ر + من.
[3] ن ر: وأميز.
[4] ر: النفاق.
[5] ر: والإخلاص.
[6] د: عليه السلام.
[7] ن ر - عليه السلام.
[8] د: عليه السلام.

كبَذْل الأَرْواح في الجهاد، وإنفاقِ الأموال في سبيل الله، فيَجعلَ ذلك عِيَارًا على عقائدكم وشاهدًا بضمائركم، حتى يعلمَ بعضُكم ما في قلبِ بعضٍ من طريقِ الاستدلال، لا من جهةِ الوقوفِ على ذات الصدور والاطِّلاع عليها فإن ذلك مما استأثر الله به، وما كان الله ليُطْلِعَ أحدًا منكم على الغيب ومضمَرات القلوب حتى يَعرِفَ صحيحَها من فاسدها مُطَّلِعًا عليها.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فيُخبرُه ببعضِ المغيَّبات.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأنْ تَقْدِروه حقَّ قَدْره، وتَعْلموه وَحْدَه مُطَّلِعًا على الغيوب، وأَنْ تنْزلُوهم منازلَهم بأنْ تعلموهم عبادًا مجتَبَيْن لا يعلمون إلَّا ما علَّمهم الله، ولا يخبرون إلَّا بما أخبرهم الله به من الغيوب، وليسوا من علمِ الغيب في شيء.

وعن السدِّيّ: قال الكافرون: إن كان محمد صادقًا فليُخْبِرْنا مَن يؤمِنُ منا ومَن يكفرُ، فنزلت.

قوله: (عِيارًا) «العِيار: المعيار الذي يقاس به غيره ويُسوّى. وعِيار الدراهم والدنانير: ما جُعل فيها مِن الفضّة الخالصة والذهب الخالص».[1]

قوله: (صحيحَها) أي: صحيح القلوب أو مضمرات القلوب.

قوله:[2] (مطّلِعًا عليها) حال مِن ضمير (أحد) في (يعرف).

قوله: (تقدُروه) أي: تعرِفوه فيه لفّ ونشر.

قوله: (مُطّلِعًا) مفعول ثانٍ لـ(تعلموه).

قوله:[3] (فنزلت) هذه[4] الآية.

---

[1] المُغرِب للمطرِّزي، «عير».

[2] ن ر - (عيارًا) العيار المعيار الذي يقاس به غيره ويسوى، وعيار الدراهم والدنانير ما جعل فيها مِن الفضة الخالصة والذهب الخالص. قوله: (صحيحها) أي: صحيح القلوب أو مضمرات القلوب. قوله.

[3] ر + (مطلعًا) مفعول ثان لتعلموه. قوله.

[4] ر: أي.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٨٠﴾

﴿ولا تحسبن﴾ مَن قرأ بالتاء قدَّر مضافًا محذوفًا؛ أي: ﴿ولا تحسبنَّ﴾ بُخْلَ ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ... هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾، وكذلك مَن قرأ بالياء وجعَل فاعلَ ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ ضميرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ضمير أحد، ومَن جعَل فاعلَه ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ كان المفعولُ الأول عنده محذوفًا تقديره: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بُخْلَهم ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾، والذي سوَّغ حذفَه دلالةُ ﴿يَبْخَلُونَ﴾ عليه.

و﴿هُوَ﴾ فَصْلٌ، وقرأ الأعمش بغير ﴿هُوَ﴾.

قوله: (والذي سوّغ) اعلم أنّ المصنّف ذَكَر في مواضع كثيرة مِن هذا الكتاب أنّه حُذف أحد مفعولي "حسبت"، ثمّ[١] ذكر في سورة النور أنّ ذلك إنّما[٢] جاز إذا كان فاعل "حسب" ومفعولاه شيئًا واحدًا في المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ[٣] أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران ١٦٩/٣]، على القراءة بالياء، أي: "لا يحسبنّهم"، أي: أنفسَهم أمواتًا. وإنّما حُذف في مثله لقوّة الدلالة عليه في الكلام، وأمّا في هذه الآية التي[٤] نحن فيها فليس كذلك؛ لأنّ فاعل الحسبان[٥] ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ ومفعولاه "البخلَ[٦] خيرًا"، لأنّ التقدير "ولا يحسبنّ الذين يبخلون البخلَ هو خيرًا لهم". فكان هذا كالوارد على ذلك الكلام، فأجاب المصنّف عنه بأنّ فاعله ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ موصول مبهَم
صلته ﴿يَبْخَلُونَ﴾، وإذا كان / كذلك فكان فاعله مشتملًا على معنى البخل، [٢٨١ظ]
فكان الجميع، أي: الفاعل والمفعولان، في معنى واحد، فلذلك حُذف، فإنّ قوّة الدلالة حاصلة.

قوله: (و﴿هُوَ﴾ فَصْل) أي: لفظة ﴿هُوَ﴾.

---

١ ن ر: كما.
٢ ر + كان.
٣ ر - واحدًا في المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.
٤ ن ر - التي.
٥ ر: الحساب.
٦ ر - البخل.

﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ تفسيرٌ لقوله: ﴿هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾؛ أي: سَيُلزَمون وبالَ ما بَخِلوا به إلزامَ الطَّوق، وفي أمثالهم: «تَقَلَّدَها طَوْقَ الحمامةِ»، إذا جاءَ بهَنَةٍ يُسَبُّ بها ويُذَمّ.

وقيل: يُجعل ما بَخِل به من الزكاة حيَّةً يُطوَّقُها في عُنقه يومَ القيامة تَنْهَشُه من قَرْنه إلى قدمِه، وتَنْقُرُ رأسَه وتقول: أنا مالُكَ.

قوله: («تقلَّدها طوقَ[1] الحمامة»)[2] أصله "تقلّدها تقلُّدًا مثلَ تقلُّد طوقِ الحمامة"، حُذف "تقلدًا" بقيَ "تقلَّدها مثلَ تقلُّد طوقِ الحمامة"، حُذف "مثل" بقيَ "تقلَّدها[3] تقلُّدَ طوقِ الحمامة"،[4] ثمَ حُذف "تقلُّدَ" بقيَ "تقلَّدَها طوقَ الحمامة". وهو[5] كقول امرئ القيس:

إذا قامَتا تضوَّعَ المِسكُ منهما   نسيمَ الصبا جاءت بريّا القَرنفُلِ[6]

أصل قوله: "نسيمَ الصبا": "تضوُّعًا مثلَ تضوُّعِ نسيمِ الصبا"، حُذف "تضوُّعًا" بقيَ "مثلَ[7] تضوُّعِ[8] نسيمِ الصبا"، حُذف "مثلَ" بقيَ "تضوُّعَ نسيمِ الصبا"، حُذف "تضوُّع" بقيَ "نسيم الصبا".[9]

قوله: (إذا جاء) عامله محذوف، أي: يقولونه، أو يمثّلونه.

قوله: (تنهشه)[10] نهش بالشين المعجمة: للحيّة خاصّة، وبالسين غير المعجمة: عامّ لها ولغيرها مِن العقرب والكلب.

قوله: (وتنقر) يقال: نقرتُ الشيء: ثقبته بالمِنقار.

قوله: (مِن قَرْنه) القَرْن: جانب الرأس.

---

[1] ر: طريق.

[2] مجمع الأمثال للميداني، ١/١٤٥.

[3] ن - طوق الحمامة أصله "تقلّدها تقلّدًا مثل تقلّد طوق الحمامة"، حذف "تقلدًا" بقي "تقلدها مثل تقلّد طوق الحمامة" حذف "مثل" بقي "تقلّدها.

[4] ر - أصله "تقلّدها تقلّدًا مثلَ تقلّد طوقِ الحمامة"، حُذف "تقلدًا" بقيَ "تقلَّدها مثلَ تقلُّد طوقِ الحمامة"، حُذف "مثل" بقيَ "تقلَّدها تقلُّدَ طوقِ الحمامة".

[5] ر: ويكون.

[6] ر: بالقرنفل. | البيت مِن معلّقته المشهورة. وهو في ديوانه، ص ١١٠؛ وشرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ٢٩.

[7] ن ر - مثل.

[8] ر - تضوع.

[9] ر - حُذف "مثلَ" بقيَ "تضوُّعَ نسيمِ الصبا"، حُذف "تضوُّع" بقيَ "نسيم الصبا".

[10] د: تنهسه.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة: «يطوَّق بشجاعٍ أقرعَ».

ورُوي «بشجاعٍ أسودَ».

وعن النخعي: سيطوَّقون بطوقٍ من نار.

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: وله ما فيهما مما يَتوارَثُه أهلُهما من مالٍ وغيره، فما لهم يَبْخلون عليه بمِلْكه ولا ينفقونه في سبيله؟ ونحوُه قولُه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد ٧/٥٧].

وقرئ ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء، فالتاءُ على طريقةِ الالتفات وهي أبلغُ في الوعيد، والياءُ على الظاهر.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾

قال ذلك اليهودُ حين سمعوا قولَ الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة ٢٤٥/٢]، فلا يخلو: إمَّا أن يقولوه عن اعتقادٍ لذلك، أو عن استهزاء بالقرآن، وأيُّهما كان فالكلمةُ عظيمةٌ لا تَصْدُر إلا عن متمرِّدِين في كفرهم، ....

قوله: («بشجاع أقرعَ»)[١] «الحيّة[٢] الأقرع: إنّما يتمعّط شعر رأسه -زعموا- لجمعه السمّ فيه».[٣] «امتعط شعره وتمعّط، أي: تساقط مِن داء وغيره».[٤]

قوله: (قال ذلك) أي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران ١٨١/٣].

قوله: (وأيّهما كان) الرفع على أنّ "كان" تامّة والنصب على أنّها ناقصة، والاسم مضمر فيها، كقولهم: "إيًّا كان" و"أيًّا ما كان"، أي: ذلك أو المذكور.

---

[١] بلفظ قريب في صحيح البخاري، ١٠٦/٢ (١٤٠٣)؛ وصحيح مسلم، ٦٨٤/٢ (٩٨٨). وانظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٢٤٩/١.

[٢] ر: للحية.

[٣] الصحاح للجوهري، «قرع».

[٤] الصحاح للجوهري، «معط».

ومعنى سماعِ الله له: أنه لم يَخْفَ عليه، وأنّه أعدَّ له كِفَاءهُ من العقاب.

﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾ في صحائفِ الحَفَظة، أو: سنحفظه ونُثبِتُه في عِلْمنا لا نَنساه كما يُثْبَت المكتوب.

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ ثم قال: ﴿سَنَكۡتُبُ﴾، وهلّا قيل: ولقد كتبنا؟

قلتُ: ذكر وجودَ السماع أوّلًا مؤكّدًا بالقسَم ثم قال: ﴿سَنَكۡتُبُ﴾ على جهة الوعيد، بمعنى: لن يَفوتَنا أبدًا إثباتُه وتَدْوينُه كما لن يَفوتَنا قتلُهم الأنبياءَ، وجعَل قتلَهم الأنبياء قرينةً له إيذانًا بأنهما في العِظَم أَخَوانِ، وبأن هذا ليس بأوّل ما رَكِبوه من العظائم، وأنهم أُصَلاءُ في الكفر ولهم فيه سوابقُ، وأن مَن قَتل الأنبياءَ لم يُستَبْعَدْ منه الاجتراءُ على مثلِ هذا القول.

وروي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبَ مع أبي بكر رضي الله عنه إلى يهودِ بني قَيْنُقاعَ يدعوهم إلى الإسلام، وإلى إقام الصلاة وإيتاءِ الزكاة، وأن يُقرِضوا الله قرضًا حسنًا، فقال فِنحاص اليهوديُّ: إن الله فقيرٌ حين سألنا القرضَ، فلَطَمه أبو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال: لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربتُ عنقكَ، فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجَحَد ما قاله، فنزلت، ونحوُه قولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ [المائدة ٥/٦٤].

قوله: (ومعنى[١] سماع الله)... إلخ،[٢] فسّر قوله تعالى: ﴿سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ بأنّه لم يخفَ عليه، وكأنّ هذا بناءً على مذهبه، فإنّهم لا يُثبتون[٣] السمع والبصر في صفات الله تعالى، وأمّا عند أهل السنّة والجماعة فهو سميع بصير، وسمعه وبصره زائدان على ذاته تعالى مغايران للعِلم[٤] والقدرة.[٥]

قوله: (وجَعَل قتلهم الأنبياءَ[٦] قرينةً له)،[٧] أي: لقولهم، ومعناه: ضمّ قتلَهم الأنبياء بقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾.

---

١ ن ر: والمعنى.

٢ ر + فسره قوله: ومعنى سماع الله إلى آخره.

٣ ن ر: ينسبون.

٤ ر: العلم.

٥ تفصيل المسألة عند الفريقين في الإرشاد للجويني، ص ٧٢-٧٦.

٦ ر: للأنبياء.

٧ ر: لهم.

﴿وَنَقُولُ﴾ لهم: ﴿ذُوقُواْ﴾: وننْتَقم منهم بأنْ نقولَ لهم يوم القيامة: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ كما أذقتُم المسلمين الغَصَصَ، يقال للمنتقَم منه: أُحْسُ وذُقْ، وقال أبو سفيان لحمزةَ رضي الله عنه: ذُقْ عُقَق.

وقرأ حمزةُ: ﴿سيُكْتَبُ﴾ بالياء على البناء للمفعول ﴿ويَقولُ﴾ بالياء.

وقرأ الحسن رضي الله عنه والأعْرج: "سيَكتب" بالياء وتسمية الفاعل.

وقرأ ابن مسعود: "ويقال ذُوقوا".

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ١٨٢﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّم من عقابهم، وذَكر الأيدي؛ لأن أكثرَ الأَعْمال تُزاوَلُ بهنَّ، فجُعل كلُّ عملٍ كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب.

فإن قلتَ: فلمَ عُطف قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ على ﴿مَاقَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، وكيف جُعل كونه غيرَ ظلَّام للعبيد شريكًا لاجتراحهم السيِّئات

قوله: (**بأن نقول لهم**)... إلخ، يريد أنّ هذا القول انتقام منهم، حيث يزيد في غيظهم وحسرتهم.

قوله: (﴿ٱلْحَرِيقِ﴾) الحريق: النار الملتهبة، وهو بمعنى المُحرِق.

قوله: (**منه "احْسُ"**) مِن حسوتُ المَرَق حَسْوًا.

قوله: (**عُقَق**)،[١] أي: يا عاقّ، «عقّ والده يعُقّ عُقوقًا ومَعَقّةً فهو عاقّ وعُقَقٌ،[٢] مثل عامر وعُمَر، والجمع عَقَقة مثل كَفَرة. وفي الحديث 'ذُق عُقَق'،[٣] أي: ذُق جزاءَ فعلك يا عاقّ».[٤] "قاله أبو سفيان لحمزة"، وهو مقتول يوم الأُحد.[٥]

قوله: (**وقرأ حمزة**)[٦] مِن القرّاء.

---

١ ن: عق.

٢ ن ر: وعقوق.

٣ ما وقفتُ عليه في مظانّه، وهو في الروض الأنف للسهيلي، ١٧/٦؛ والكامل لابن الأثير، ٤٩/٢؛ والبداية والنهاية لابن كثير، ٤٢٠/٥.

٤ الصحاح للجوهري، «عقق».

٥ في الصحاح للجوهري، «عقق»: «قاله بعضهم لحمزة رضي الله عنه وهو مقتول». ونصَّت المصادر المذكورة في التخريج على أنّ القائل أبو سفيان.

٦ انظر: النشر لابن الجزري، ٢٤٥/٢.

في استحقاقِ التعذيب؟

قلتُ: معنى كونه غيرَ ظلَّام للعبيد: أنه عادلٌ عليهم، ومنَ العدل أن يُعاقِبَ المسيءَ منهم ويُثيبَ المُحسنَ.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾

﴿عَهِدَ إِلَيۡنَا﴾: أمَرنا في التوراةِ وأوْصانا بـ﴿أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا﴾ بهذه الآية الخاصّة، وهي: أنْ يُرِيَنا قُرْبانًا تنزِل نارٌ من السماء فتأكلُه كما كان أنبياءُ بني إسرائيل تلك آيتَهم؛ كان يُقرَّبُ بالقربان فيقوم النبيُّ فيدعو فتنزلُ نارٌ من السماء فتأكلُه، وهذه دعوى باطلةٌ وافتراءٌ على الله؛ لأن أكل النّارِ القُربانَ لم يُوجِب الإيمان للرسول الآتي به إلّا لكونه آيةً ومُعجزةً، فهو إذن وسائرُ الآياتِ سواءٌ، فلا يجوز أن يُعيِّنَه الله تعالى من بين الآيات، وقد ألْزمَهم الله أن أنبياءَهم

قوله: (في استحقاق التكذيب)، أي: في استحقاقهم التعذيب، يعني: في استحقاقهم أن يعذّبهم الله تعالى.

قوله: (﴿عَهِدَ إِلَيۡنَا﴾) «العهد: الوصية. يقال: عهد إليه إذا أوصاه، وفي حديث سُويد بن غَفَلة: 'عهدي أن لا[1] آخذ[2] مِن راضع[3] شيئًا'،[4] أي: فيما كُتب مِن العهد والوصية فاختصر مجازًا».[5]

قوله: (كما كان) في محلّ المصدر مِن قوله: (يُرينا). و"ما" مصدريّة، وفي الكلام حذف تقديره: / يُرينا إراءةً مثلَ إراءة أنبياء بني إسرائيل وقتَ كون أنبياء بني إسرائيل تلك آيتهم. وقوله: (كان يُقرَّب)... إلخ، جملة مبيِّنة لقوله: (كان أنبياءُ) وفي "كان" ضمير الشأن، و"يُقرَّب" مسند إلى قوله: (بالقربان). وقوله: "يُقرَّب بالقربان"، أي: يُذبَح ذبيحةً. [٢٨٢و]

---

١ ن ر – لا.

٢ ن ر: الأخذ.

٣ ر – راضع.

٤ بلفظ قريب في مسند أحمد، ١٣٢/٣١ (١٨٨٣٧)؛ وسنن أبي داود، ٢٩/٣ (١٥٧٩).

٥ المُغرِب للمُطرِّزي، «عهد».

جاؤوهم بالبيّنات الكثيرة التي أَوْجبتْ عليهم التصديقَ، وجاؤوهم أيضًا بهذه التي اقترحوها، فلمَ قتلوهم إن كانوا صادقينَ أن الإيمان يَلزمُهم بإتيانها؟

وقرئ: "بقُرُبانٍ" بضمتين، ونظيرُه: السُّلُطان.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾؟

قلتُ: معناه: وبمعنى الذي قُلتُموه من قولكم: "قربان تأكلُه النارُ"، ومُؤَدَّاهُ كقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ [المجادلة ٣/٥٨]؛ أي: لمعنى ما قالوا.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

في مصاحف أهل الشام: ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ وهي الصحف.

﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: التوراةُ والإنجيل والزبورُ.

وهذه تسليةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود.

قوله: **(ما معنى؟)** "ما" استفهاميّة، يريد أنّ الرسل لم يأتوا بالذي قال هؤلاء، فإنّ قول هؤلاء له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾.. إلخ، ولا شُبهة في أنّ الأنبياء لم يأتوا بهذا القول، فأجاب بأنّ المراد الإتيانُ بمؤدّاه، يعني بالمعجزة[١] التي ذكروها.

قوله: **(﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ [المجادلة ٣/٥٨])** فيه وجوه، منها أن يُراد بـ"ما قالوا" ما حرّموه على أنفسهم بلفظ الظِّهار تنزيلًا للقول منزلة المَقول[٢] فيه، كما[٣] في[٤] قوله[٥] تعالى: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ [مريم ١٩/٨٠]، أي: المَقول فيه، وهو المال والولد.

---

١ ن ر: كالمعجزة.
٢ ن: القول.
٣ ن: كمل.
٤ ن - في.
٥ ن: وقوله.

قرأ اليَزيديُّ: "ذائقةٌ الموتَ" على الأصل، وقرأ الأعمشُ: "ذائقةُ الموتَ" بطرح التنوين مع النصب، كقوله:

ولا ذاكِـــــــرَ اللهَ إلّا قليـــــــــلا

قوله: (قرأ اليزيدي)[١] هو أبو محمّد بن المبارك العدوي البصري، سكن[٢] بغداد، وعُرف باليزيديّ لصحبته يزيدَ بن منصور خال المهدي. قرأ على[٣] أبي عمرو البصريّ، واشتهر بقراءته، وتقدّم على أصحابه.[٤] ولمّا قام اليزيدي بقراءة أبي عمرو بعده أخذها منه جماعة كثيرة، منهم أبو عمرَ الدُّوري وأبو شعيب السُّوسي. والدُّور: موضع ببغداد. والسُّوس: موضع بالأهواز. وهما المشهوران بالرواية[٥] عن أبي عمرو رحمة الله[٦] عليهم أجمعين.[٧]

قوله:

(ولا ذاكـــــــر الله إلّا قليـــــــــلا)[٨]

أوّله:

فـألـفـيـتُـه غـيـرَ مُـسـتـعـتِـبٍ

وقوله: "ولا ذاكر" يُجرّ[٩] عطفًا على "مستعتب"، و"لا" زائدة.[١٠] ويُنصَب عطفًا على "غير"، و"لا" بمعناه لامتناع الإعراب عليه، فكأنّه قال: فألفيتُه لا ذاكرَ الله، أي: غيرَ ذاكر الله. وقوله:[١١] "غيرَ مُستعتِب"، أي: غير راجع بالعتاب منّي عن قُبح فِعله. «واستعتب وأعتَب بمعنى. واستعتب[١٢] أيضًا: طلب أن يُعتَب،

---

١ ر: الترمذي.
٢ ن ر: يسكن.
٣ ن ر + ابن.
٤ ر: أقرانه.
٥ ن + بالرواية.
٦ ن + تعالى.
٧ د – رحمة الله عليهم أجمعين. | سبق للمصنّف سوق هذا الكلام على اليزيدي والسوسي والدوري والسوس والدور بلفظ قريب في تفسير آل عمران، ٣/٤٩.
٨ البيت لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه، ص ٥٤؛ وهو له في كتاب سيبويه، ١/١٦٩؛ وضرائر الشعر لابن عصفور، ١٠٥؛ وبلا عزو في سرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، ٢/٥٣٤؛ والمفصَّل للزمخشري، ص ٤٥٦.
٩ ر – يجر.
١٠ ن: زائد.
١١ ن ر: فقوله.
١٢ ر: استعتب.

فإن قلتَ: كيف اتَّصل به قولُه: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾؟

قلتُ: اتِّصاله به على أن: كلُّكم تموتون لا بدَّ لكم من الموت ولا توفَّون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم، وإنَّما توفَّونها يومَ قيامكم عن القبور.

فإن قلتَ: فهذا يُوهِمُ نفيَ ما يُروى أن: «القبر روضة من رياض الجنَّة أو حفرةٌ من حفرِ النَّار».

قلتُ: كلمة التوفيةِ تُزيل هذا الوهمَ؛ لأن المعنى: أن توفيةَ الأجور وتكميلَها يكون ذلك اليومَ، وما يكون قبل ذلك اليومِ فبعضُ الأجور.

"الزحْزَحةُ": التَّنْحيةُ والإبْعادُ، تكريرُ الزحِّ: وهو الجذبُ بعجَلةٍ.

﴿فَقَدْ فَازَ﴾: فقد حصل له الفوزُ المطلَق المتناوِل لكلِّ ما يُفازُ به، ....

تقول: استعتبتُه فأعتبَني، أي: استرضيتُه فأرضاني».[1] وحَذْف التنوين مِن "ذاكر" لأنّهم قد يحذفون التنوين عند ملاقاته ساكنًا؛ إمّا لطلب الخفّة أو للفرار مِن التقاء الساكنين.[2] والدليل على تقدير التنوين نصبه "الله"، فلو كان قصده إلى الإضافة لجرّه.

قوله: **(كيف اتّصل[3] به؟)** أي: بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

قوله: **(تكرير الزحّ)**[4] يريد أنّه مِن[5] "الزحّ" بتكرير بعض حروفه، كما قال بعضهم: "زلزل" مِن "زلّ"، وهو مذهب الكوفيين،[6] وأمّا عند البصريين فهو رباعيّ مجرّد ليس فيه تكرير، إذ لا تضاعف الفاء وحدَها.[7]

قوله: **(المتناول لكلّ ما يُفازُ[8] به)**[9] دلّ عليه "قد" كما سيجيء في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران ١٩٢/٣].

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «عتب».
[2] ر + والتقدير.
[3] ر: يتصل.
[4] ر: الزوج.
[5] ر – من.
[6] ن – الكوفيين.
[7] انظر تفصيل مذهب كلّ من الفريقين في **الإنصاف** لأبي البركات الأنباري، ٧٨٨/٢-٧٩٣.
[8] ر: يقاربه.
[9] ر – به.

ولا غَايةَ للفَوْز وراء النجاة من سَخَط الله والعذابِ السَّرْمد، ونيلِ رضوان الله والنعيم المخلَّد، اللَّهمَّ وفِّقنا لِمَا نُدرِكُ به عندك الفَوزَ في المآب.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَن أحبَّ أن يُزَحْزِحَ عن النار ويُدخَلَ الجنَّة فَلْتُدركه منيَّتُه وهو يؤمنُ بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحبُّ أن يُؤتَى إليه».

وهذا شاملٌ للمحافظة على حقوقِ الله تعالى وحقوقِ العباد، شبَّه الدنيا بالمتاع الذي يُدَلَّسُ به ....

قوله عليه السلام: («فلتُدركه منيّته») ظاهر الأمر لـ"المنيّة" والمراد ملازمة الشخص الإيمان حتّى إذا جاءه الموت يكون على الإيمان، فهو قريب[1] مِن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة ٢/١٣٢].

قوله: («أن يُؤتى إليه»)[2] يقال: أتى إليه، أي: فعل به. المعنى أن يفعل بالناس ما يحبّ أن يُفعل به.

قوله: (يُدلَّس) التدليس في البيع: كتمان عيب السلعة عن المشتري، مِن "الدَّلس" بالتحريك وهو: الظلمة، كأنّه يأتيك بها في الظلمة. والمُدالَسة: كالمخادعة. يقال: فلان / لا يُدالس، أي:[3] لا يُخادعك ولا يخفي عليك الشيءَ.[4] [٢٨٣ظ]
ومنه حديث عثمان رضي الله عنه:[5] لا، إلّا نكاح رغبة، لا مُدالسةً.[6] والمستام:[7] المشتري، يقال: «سام البائع السلعة عَرَضها على البيع وذَكَر ثمنها. وسامها المشتري بمعنى استامها سَومًا. ومنه 'لا يَسوم الرجل على سَوم أخيه'،[8] أي:[9] لا يشتري.

[1] ن ر – والمراد ملازمة الشخص الإيمان حتّى إذا جاءه الموت يكون على الإيمان فهو قريب.

[2] **مسند أحمد**، ٣٩٩/١١ (٦٧٩٣)؛ **صحيح ابن حبّان**، ٢٩٤/١٣ (٥٩٦١).

[3] ن – أي.

[4] من قوله: "التدليس" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «دلس».

[5] د – رضي الله عنه.

[6] بلفظ قريب من حديث ابن عبّاس في **المعجم الكبير** للطبراني، ٢٢٦/١١.

[7] ن: والمسام.

[8] بلفظ قريب في **صحيح البخاري**، ١٩٢/٣ (٢٧٢٧)؛ **وصحيح مسلم**، ١٠٢٩/٢ (١٤٠٨).

[9] ن ر – أي.

على المستامِ ويُغَرُّ حتى يشتريَه، ثم يتبيَّنُ له فسادُه ورَدَاءتُه، والشيطانُ هو المدلِّس الغَرُور.

وعن سعيد بن جُبيرٍ: إنَّما هذا لمن آثرَها على الآخرة، فأمَّا مَن طلب الآخرةَ بها فإنها متاعُ بَلَاغٍ.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٨٦﴾

خُوطب المؤمنون بذلك ليُوطِّنوا أنفسَهم على احتمال ما سيَلقون من الأذى والشدائد والصبرِ عليها، حتى إذا لقُوها لقُوها وهم مستعدُّون لا يَرْهَقُهم ما يَرهَقُ مَن تُصيبُه الشدَّةُ بَغْتةً فيُنكرُها وتشمئزُّ منها نفسُه.

والبلاءُ في الأنفس: القتل والأسر والجِراحُ، وما يَرِدُ عليها من أنواع المخاوف والمصائب.

وفي الأموال: الإنفاقُ في سُبُل الخير وما يقع فيها من الآفات.

وروي 'لا يستام ولا يبتاع'».[1] وقوله: (يُغَرّ) عطف على "يُدلِّس"، وضميره يعود إلى (المستام)، وأمّا العائد إلى (الذي) فهو الضمير المنصوب في (يشتريه).

قوله: (مَتاعُ بلاغ) أي: يُبلغ به إليها. الإبلاغ والتبليغ:[2] الإيصال. والاسم البلاغ.[3]

قوله: (بذلك) أي: بقوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾... إلخ.

قوله: (لا يرهقهم)، أي: لا يغشاهم.

قوله: (وتشمئز) اشمأزّ الرجل اشمئزازًا: انقبض. وقيل: ذُعر مِن الشيء، وهو المذعور.[4]

قوله: (والجراح) جمع جِراحة بالكسر.

---

[1] المُغرِب للمُطرّزي، «سوم». وانظر الرواية المذكورة في مسند أحمد، ٥/١٦ (٩٨٩٩).

[2] ن: والسليع.

[3] انظر: الصحاح للجوهري، «بلغ».

[4] انظر: الصحاح للجوهري، «ذعر».

وما يسمعون من أهل الكتاب: المطاعنُ في الدينِ الحَنيف، وصدُّ مَن أراد الإيمان، وتخطئةُ مَن آمن، وما كان من كعبِ بن الأشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضِ المشركين، ومن فِنحاص ومن بني قريظةَ والنضير.

﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾: فإن الصبرَ والتقوى ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: من معزومات الأمور؛ أي: مما يجب العزمُ عليه من الأمور، أو: ممَّا عزَمَ الله عليه أن يكون، يعني: أن ذلك عَزْمةٌ من عزمات الله تعالى لا بدَّ لكم أن تصبروا وتتقوا.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾: واذكرْ وقتَ أخذِ الله ﴿مِيثَٰقَ﴾ أهل الكتاب.

﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ الضمير للكتاب، أكّد عليهم إيجاب بيانِ الكتاب واجتنابَ كتمانه كما يُؤكَّد على الرجل إذا عُزم عليه وقيل له: آللهِ لتَفْعَلنَّ.

قوله: (وما يسمعون) مبتدأ خبرُه قوله: (المطاعنُ).

قوله: (مِن كعب بن الأشرف مِن هجائه) لَعَن الله[1] كعب بن الأشرف وهجاءَه مَن يستحقّ جميع أنواع المدح، وما أصدق مَن قال في أمثاله:

أتهجوه ولستَ له بكفء فشَرّكما لخيركما الفداءُ[2]

قوله:[3] (أو ممّا عزم الله) يجوز[4] أن يُعطف على (ممّا يجب) وعلى (مِن معزومات الأمور) أي: على التفسير، أو على تفسير التفسير.[5] والوجه[6] هو الأوّل.

قوله: (أكّد عليهم) بدليل اللام في ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾؛ لأنّه لام جواب القسم.

قوله: (واجتناب) في نسخة المُعزّي[7] بالنصب، وفي نسخة الصمصام بالجرّ.

---

١ ن ر + ابن.
٢ البيت لحسّان بن ثابت في ديوانه، ١/١٨؛ والشعر والشعراء لابن قتيبة، ١/٣٠٨.
٣ ن – قوله.
٤ ن ر: نحو.
٥ ن ر – التفسير.
٦ ن: الوجه.
٧ ن ر: المغربي.

﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: فنبذُوا الميثاق وتأكيدَه عليهم، يعني: لم يُراعوه ولم يَلْتَفِتوا إليه، والنَّبذُ وراء الظهر مثَلٌ في الطَّرْح وتركِ الاعتداد، ونقيضُه: جعَلَه نُصْبَ عيْنه، و: ألقَاه بين عينيه، وكفَى به دليلًا على أنَّه مأخوذ على العلماء أن يُبيّنوا الحقَّ للناس وما علموه، وأنْ لا يكتموا منه شيئًا لغرضٍ فاسد من تسهيلٍ على الظَّلَمة وتطييبٍ لنفوسهم، واستجلابٍ لمسَارِّهم، أو لجرِّ منفعةٍ وحُطامِ دنيا، أو لتقيَّةٍ مما لا دليلَ عليه ولا أمارةَ، أو لبخلٍ بالعلم وغَيْرةٍ أن يُنسَب إليه غيرُهم.

قوله: (وتأكيده)،[١] أي: تأكيد إيجاب بيانِ الكتاب وهو الميثاق بالحقيقة فيكون مِن العطف للبيان، كما مرّ.

قوله: (ونقيضُه)، أي: نقيض النبذ وراء الظهر.

قوله: (نصب عينه) وفي نسخة المُعزّي:[٢] "نُصْبَ عينه"، وفي نسخة الصمصام: "نَصْبَ عينه"، وفي بعض النسخ "نُصْبَ عينيه".

قوله: (وألقاه بين عينيه)، أي: جعله في مقابلته قريبًا منه بحيث يقع عليه شُعاع بصره دائمًا. وأصله بين الجهتين المحاذيتين لعينيه.

قوله: (على أنّه) الضمير في "أنّه" ضمير الشأن أو[٣] مبهَم تفسيره (أن يبيّنوا).

قوله: (منه)، أي: مِن الحقّ.

قوله: (أو لتقيّة)، أي:[٤] لاتّقاء[٥] واحتراز ومخافةٍ مِن شيء لا دليلَ ولا أمارةَ على اتّقائه والحذرِ منه، يعني: لا يجوز[٦] بمجرّد توهّم لُحوق الضرر على إظهار الحقّ أن يكتموا، وإن كان لهم دليل على لحوق الضرر بهم على تقدير إظهار الحقّ جاز لهم كتمانه.[٧]

قوله: (وغيرةٍ)، أي: غيرةٍ[٨] على أن ينسب إلى العلم غيرهم.

---

١ ر: وتأكيد.
٢ ن ر: المغربي.
٣ ن: و.
٤ ر – أي.
٥ ر: الاتقاء.
٦ ر + يعني لا يجوز.
٧ ن ر: كتابه.
٨ ر: وغيرة.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَن كتَم علمًا عن أهله أُلْجِم بِلجامٍ من نار».

وعن طاوسٍ أنه قال لوَهْبٍ: إني أرى الله سوف يُعذِّبك بهذه الكُتُب.

وقال: والله لو كنتَ نبيًّا فكتمتَ العلمَ كما تكتُمه لرأيتُ أن الله سيُعذِّبك.

وعن محمد بن كعب: لا يَحِلُّ لأحد من العلماء أن يسكتَ على علمه، ولا يَحِلُّ لجاهل أن يَسكتَ على جهله حتى يَسأَلَ.

وعن عليّ رضي الله عنه: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلّموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعَلِّموا.

وقرئ: ﴿ليُبيِّنُنَّه ولا يَكتُمونه﴾ بالياء؛ لأنهم غَيَبٌ، وبالتاء على حكاية مخاطبتهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ﴾ [الإسراء ٤/١٧].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾

و﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد المفعولين ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ والثاني ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ تأكيدٌ تقديره: لا تحسبنّهم فلا تحسبنّهم فائزين.

قوله: (عن محمّد بن كعب) القرظيّ في نسخة رضيّ الدين.[١]

قوله: (أن يسكت[٢] على عِلمه)[٣] حتّى[٤] يقول[٥] ويُعلِّم.

قوله: (غَيَبٌ) نسخة المُعزّي[٦] والصمصام: "غائب وغَيَب"[٧] كـ"خادم وخَدَم"، وفي نسخة رَضيّ الدين "غُيَّب".

قوله: (وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ تأكيد) لا[٨] يريد بالتأكيد التأكيدَ المصطلح

---

١ الظاهر أنّ المراد به رضي الدين الصغاني، بدليل ما مضى من النصّ على نسخة الصغاني من **الكشّاف**، وذلك في تفسير سورة آل عمران ٨٦/٣.

٢ ر: يسلب.

٣ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٥٣١/٩ (آل عمران، ١٨٧/٣).

٤ ر - حتى.

٥ ر: فيقول.

٦ ن ر: المغربي.

٧ ن ر - وغيب.

٨ ر: ولا.

وقرئ: "لا تَحْسِبُنَّ... فلا تَحسِبُنهم" بضم الباء على خطاب المؤمنين.

و: "لا يَحسبَنَّ... فلا يحسبَنَّهم" بالياء وفتح الباء فيهما على أن الفعل للرسول صلى الله عليه وسلم.

وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمِّها في الثاني على أن الفعلَ لـ﴿ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ﴾ والمفعول الأول محذوف على: لا يَحسِبَنَّهم الذين يفرحون بمفازةٍ، بمعنى: لا يَحْسِبَنَّ أنفسَهم الذين يفرحون فائزين و﴿فلا يَحۡسِبُنَّهم﴾ تأكيد.

ومعنى ﴿بِمَآ أَتَواْ﴾: بما فعلوا، و«أَتَى» و«جاء» يُستعملان بمعنى «فعَل»، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ [مريم ٦١/١٩] ﴿لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ [مريم ٢٧/١٩]، ويدلُّ عليه قراءة أُبيٍّ: "يَفْرَحون بما فعلوا".

وقرئ: "آتوا" بمعنى: أعطَوْا. وعن علي رضي الله عنه: "بما أُوتوا".

ومعنى ﴿بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾: بمَنْجاةٍ منه.

روي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَأل اليهودَ عن شيءٍ مما في التوراة، فكتموا الحقَّ وأخبروه بخلافه، وأرَوْهُ أنهم قد صدَقوه واستحمَدوا إليه

بين النحاة، لتخلّل الفاء؛ بل هو مِن حيث المعنى تأكيد، وبالحقيقة جزاء شرط محذوف، فكأنّه قيل: إذا قلنا: "لا تحسبنّ الذين فلا[1] تحسبنهم". واعلم أنّ كونه تأكيدًا[2] لا يختلف في شيء مِن هذه القراءات، لكنّ المصنّف أعاد ذلك في الوجه الأخير[3] لأنّه لمّا ذكر أنّ أبا عمرو قرأ بالفتح في الأوّل والضمّ في / الثاني[4] كان [٢٨٣و]
يوهم أنّه لا يكون على هذا الوجه تأكيدًا، فبيّن أنّه على هذا الوجه أيضًا تأكيد.

قوله: (﴿مَأۡتِيّٗا﴾ [مريم ٦١/١٩])، أي: مفعولًا. وقوله: ﴿لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ [مريم ٢٧/١٩]، ﴿جِئۡتِ﴾، أي: فعلتِ. ﴿فَرِيّٗا﴾، أي: عظيمًا.

قوله: (واستحمدوا إليه)،[5] أي: طلبوا منه أن يَحْمَدهم.

---

[1] ر: ولا.

[2] ر: تأكيد.

[3] ن ر: الآخر.

[4] انظر: النشر لابن الجزري، ٢٤٦/٢.

[5] صحيح البخاري، ٤٠/٦ (٤٥٦٨)؛ صحيح مسلم، ٢١٤٣/٤ (٢٧٧٨).

وفَرِحوا بما فعلوا، فَأطْلع الله رسولَه على ذلك وسَلّاهُ بما أنزل من وعيدهم؛ أي: لا تحسبن اليهودَ الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويُحِبُّون أن تَحمَدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عمَّا سألتهم عنه ناجين من العذاب.

ومعنى "يفرحون بما أوتوا": بما أُوتوه من عِلم التوراة.

وقيل: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا﴾ فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ من اتِّباع دينِ إبراهيم صلواتُ الله وسلامُه عليه، حيث ادَّعَوا أن إبراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه.

وقيل: هم قومٌ تخلَّفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمَّا قَفَل اعتذروا إليه بأنَّهم رأوْا المصلحة في التخلُّف، واستحمَدوا إليه بترك الخروج.

وقيل: هم المنافقون يفرحون بما أَتوا من إظهار الإيمان للمسلمين ومنافقَتِهم وتوصُّلِهم بذلك إلى أغراضهم، ويَستحمِدون إليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لإبطانهم الكفرَ.

ويجوز أن يكون شاملًا لكلِّ مَن يأتي بحسنةٍ فيفرحُ بها فرَحَ إعجابٍ، ويُحبُّ أن يحمده الناسُ ويُثْنُوا عليه بالدِّيانة والزُّهد وبما ليس فيه.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ١٨٩ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهو يَملك أمرهم، وهو ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على عقابهم.

قوله: (مِن إخبارك) مصدر مضاف[1] إلى المفعول.

قوله: (ومعنى "يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا")[2] وهو في قراءة عليّ رضي الله عنه.[3]

---

[1] ن ر: فلان.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن سعيد بن جُبير والزُّهري، وأبي عبد الرحمن السُّلمي عن عليّ بن أبي طالب. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٣٠؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٦٣٣.

[3] د - رضي الله عنه.

﴿لَآيَٰتٍ﴾ لأدلّةً واضحةً على الصانع وعظيمِ قُدْرته وباهرِ حكمته.

﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: للّذين يفتحون بصائرَهم للنظر والاستدلالِ والاعتبارِ، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفِطَر.

وفي «النصائح الصغار»: املأ عَيْنَيْك من زينةِ هذه الكواكب، وأجِلْهُما في جُملة هذه العجائب، متفكِّرًا في قدرة مقدِّرها، متدبِّرًا في حِكمَة مدبِّرها، قبل أن يسافرَ بك القَدَر، ويُحال بينك وبين النظَر.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: قلتُ لعائشةَ رضي الله عنها: أَخْبِريني بأعجبِ ما رأيتِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبَكتْ وأطالت ثم قالت: كلُّ أَمْرِه عجبٌ، أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصَقَ جلدَه بجلدي، ثم قال: «يا عائشةُ، هل لك أَنْ تأذَني لي الليلةَ في عبادةِ ربي» فقلتُ: يا رسول الله، إني لأُحِبُّ قربَكَ وأُحبُّ هَوَاك، قد أَذِنْتُ لك،

قوله: (وفي النصائح الصغار) هو كتاب لجار الله.[١]

قوله:[٢] (وأجِلْهما) مِن "أجال النظرَ".

قوله: (وأطالتْ)، أي: أطالت البكاء.

قوله: («أتاني»)[٣] هذا ابتداء كلام لبيان عجب مِن العجائب التي رأته منه صلّى الله عليه وسلّم.[٤]

قوله: («هل لكِ؟»)، أي: هل لك رغبة في أن تأذني؟

قوله: («هواكَ») قولها: هواك،[٥] تعني مَهْوِتك،[٦] أي: ما تهواه مِن العبادة. قال:

هـــوايَ مـع الـركـب اليـمـانِيـن مُـصـعِـدٌ[٧]

---

١ ما وقفتُ عليه.

٢ ن ر – قوله: (وفي النصائح الصغار) هو كتاب لجار الله. قوله.

٣ ن ر: وأتاني.

٤ د: عليه السلام.

٥ ن ر – قولها: هواك.

٦ ن ر: فهويك.

٧ صدر بيت لجعفر بن عُلبة الحارثي، عجزه:
جنيبٌ وجُثماني بمكّةَ مُوثَقُ
وهو له في شرح الحماسة للمرزوقي ص ٥١؛ وبلا عزو في مفتاح العلوم للسكاكي، ص ٢٨٠؛ والإيضاح للقزويني، ص ١٢٥.

فقام إلى قِرْبةٍ من ماءٍ في البيت، فتوضأ ولم يكثِرْ من صبِّ الماء، ثم قام يصلِّي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغَ بلُّ الدموع حقْوَيْه، ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي، ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيتُ دموعه قد بلَّت الأرض، فأتاه بلالٌ يؤْذِنه بصلاة الغداة فرآهُ يبكي، فقال له: يا رسول الله! أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟! فقال: «يا بلال، أفلا أكون عبدًا شكورًا؟»، ثم قال: «وما لي لا أبكي وقد أنزل الله عليَّ في هذه الليلة: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾» ثم قال: «ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّرْ فيها».

ورُوي: «وَيْلٌ لمن لَاكَها بين فكَّيْه ولم يتأمَّلْها».

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يتسوَّك ثم ينظر إلى السَّماء ثم يقول: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وحُكي: أن الرجل من بني إسرائيل كان إذا عَبَد الله ثلاثين سنةً أظلَّتهُ سَحَابةٌ، فعَبَدها فتًى من فتيانِهم ....

قوله: («حِقويه») الحِقو: موضع شدّ الإزار.

قوله: («يُؤْذِنه») يقال: أذِن، أي: عَلِم. وآذن: أعلم. وأذّن: أكثر الإعلام.

قوله: («ومالي لا أبكي»)[١] إشارة إلى أنّ قوله تعالى: ﴿لَأَيَـٰتٍ﴾ يدلّ على أنّه يجب أن يتفكّر فيها، فبكى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم،[٢] لأنّ كثيرًا مِن أمّته يقرءونه ولا يتأملون فيه، أو ينظرون في السماء ولا يتفكرون، فيستحقون العذاب والويل فلذلك بكى.[٣]

قوله: («لاكها»)[٤] لُكْتُ الشيء ألوكه[٥] في فمي إذا علكته.

---

[١] بلفظ قريب في صحيح ابن حبّان، ٣٨٦/٢ (٦٢٠)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٥٤٤/٩ (آل عمران، ١٩٠/٣)؛ وتفسير ابن كثير، ١٨٩/٢ (آل عمران، ١٩٠/٣).

[٢] د: عليه السلام.

[٣] ن - بكى.

[٤] ن: كها. | ما وقفتُ عليه في مظانّه. وانظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٢٦٠/١.

[٥] ن: الركه.

فلم تُظلَّه، فقالت له أمُّه: لعلَّ فَرْطةً فرَطَتْ منك في مُدَّتك! فقال: ما أذْكرُ، قالت: لعلك نظرت مرَّةً إلى السماء ولم تَعتبِرْ! قال: لعلَّ، قالت: فما أُتيتَ إلَّا من ذاك.

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾

﴿يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ ذكرًا دائبًا على أيِّ حال كانوا؛ مِن قيامٍ وقعودٍ واضطجاعٍ، لا يُخِلُّون بالذكر في أغلبِ أحوالهم.

وعن ابن عمرَ وعروةَ بن الزبير وجماعةٍ: أنهم خرجوا يومَ العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله، فقال بعضهم: أمَا قال الله تعالى: ﴿يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا﴾، فقاموا يذكرون الله على أقدامهم.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَن أحبَّ أن يرتَعَ في رياض الجنَّة فليُكْثِرْ ذكرَ الله».

وقيل: معناه: يصلُّون في هذه الأحوال على حسَب استطاعتهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعِمْرانَ بن الحُصَين: «صلِّ قائمًا، فإن لم تَستطع فقاعدًا، فإنْ لم تستطِعْ فعلى جَنبٍ تومئُ إيماء»، وهذه حجةٌ للشافعي رحمه الله

قوله: (فلم) سقط (تُظلّه)،[١] أي: فلم تظلّه سحابة، أو فلم يرَ شيئًا، أي:[٢] فلم يرَ ذلك السحاب. قيل: الصواب "أن لا يُسكَت" على حذف متعلّق "لِمَ" دون "لمّا". وفي بعض نُسخ الكتاب "فلم تُظلّه".[٣]

قوله: (دائبًا)، أي: دائمًا. دأب فلان في عمله، أي:[٤] جدّ وتعِب دأبًا ودءوبًا فهو دَئِبٌ.

قوله: (فجَعَلوا يذكرون الله) وهم قعود.

---

[١] ر: نصله.

[٢] ن ر: أو.

[٣] من قوله: "وقيل" إلى هنا بلفظ قريب في فتوح الغيب للطِّيبي، ٤/٣٧٩.

[٤] ن ر - أي.

في إضجاع المريض على جنبه كما في اللَّحد، وعند أبي حنيفة رحمه الله: أنه يستلقي، حتى إذا وجد خفَّةً قعد.

ومحلُّ ﴿على جنوبهم﴾ نصبٌ على الحال عطفًا على ما قبله؛ كأنّه قيل: قيامًا وقعودًا ومضطجِعين.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: يتفكّرون في خَلقهما وما يدلُّ

قوله: (**في إضجاع المريض**) يريد المحتضَر، فإنّ مذهب الشافعي[١] أنّ المحتضَر يولّى القبلة على جنبه،[٢] واستدلّ بهذه الآية، فإنّ فيها إشارة إلى أنّ المريض ينبغي أن يكون مضطجعًا على الجنب، حيث قال: يذكرون الله قيامًا وذلك في حقّ الصحيح، وقعودًا[٣] وذلك في حقّ المريض الذي لا يستطيع القيام، وعلى جنوبهم وذلك في المريض الذي لا يستطيع القعود. وعند أبي حنيفة[٤] أنّه يستلقي على قفاه، بحيث يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة، حتّى لو وجد خفّة في صلاته على تلك الحالة قَعَد، فيكون مستقبلًا للقبلة.[٥] ويظهر لك مِن هذا الكلام أنّ الخلاف بين الإمامين رضي الله[٦] عنهما[٧] في الاضطجاع على الجنب أو على القفا على الوجه المذكور في حقّ المريض مطلقًا، أي: سواء كان محتضَرًا أو غير محتضَر لكن يريد أن يصلّي.

قوله: (**عطفًا على ما قبله**) صلح في اللغة أن يعطف على ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا﴾ لأنّ معناها ينبئ عن حال مِن أحوال تصرّف الإنسان، تقول: "أنا أسير إلى زيد ماشيًا وعلى الخيل"، المعنى: ماشيًا[٨] وراكبًا.[٩] أو اكتفاء بصلة "مضطجعين"،[١٠] أعني "على" عن "مضطجعين"، لأنّك تقول: فلان مضطجع على جنبه.

---

١ ن ر + رضي الله عنه.
٢ انظر: **المجموع** للنووي، ٥/١٠٩.
٣ ر: ويعودًا.
٤ ر + رحمه الله.
٥ انظر: **المبسوط** للسرخسي، ١/٢١٣.
٦ ن + تعالى.
٧ د - رضي الله عنهما.
٨ ن - وعلى الخيل المعنى ماشيًا.
٩ ن ر: أو راكبًا.
١٠ ر + من.

عليه اختراعُ هذه الأجرام العظام وإبداعُ صنعتِها، وما دُبِّر فيها مما تَكِلُّ الأفهامُ عن إدراك بعض عجائبه على عِظَم شأن الصانع وكبرياء سلطانه.

وعن سفيان الثوريّ: أنه صلّى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسَه إلى السماء، فلمَّا رأى الكواكبَ غُشِي عليه، وكان يَبول الدمَ من طول حزنه وفكرته.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «بينما رجل مُسْتلقٍ على فراشه إذ رفع رأسه

قوله: (وما دُبِّر) الأَولى أن يقول: "ما دُبّر" عطف على "اختراع" و"إبداع"، لئلّا يلزم الفصل بين البدل / والمبدل بأجنبيّ، ولئلّا يلزم تفكُّك أجزاء الصلة، لأنّ قوله: (على عِظَم) بدل مِن (عليه).[1] [٢٨٣ظ]

قوله: (على عِظَم[2] شأن)[3] بدل عن الضمير في قوله: (عليه) على إبدال الظاهر مِن المضمر المجرور، كما[4] في قوله:

على جُوده لضنّ بالماء حاتم[5]

لكن على تكرار العامل كما في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ﴾ [الأعراف ٧٥/٧]، وإذا جُعل على هذا الوجه بدلًا يكون ذلك البدل بطريق البيان، فكأنّه قال: "يدلّ عليه وهو عظم شأن الصانع". أو نقول: قوله: "على عظم" متعلّق بقوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ بأن ضمّنه المصنّف معنى الاستدلال، فكأنّه قال: "يستدلّون بالتفكُّر فيها على عِظَم". أو نقول: هو متعلّق بمحذوف، أي: يتفكّرون مستدلّين على.[6]

قوله: («بينما رجل مُسْتَلق»)،[7] أي: بين أوقات وُجِد أو حصل رجل مُسْتَلق[8] فاجأ زمانَ رَفْع رأسه.

---

[1] ن: علمته؛ ر: علمه.
[2] ر: عظيم.
[3] ر: شأنه.
[4] ن ر: كان.
[5] عجز بيت للفرزدق، صدره:
على حالةٍ لو أنّ في القوم حاتمًا
ومضى بتخريجه في تفسير آل عمران، ١٦٧/٣.
[6] ن ر – على. | يعني: إلى آخر الكلام.
[7] الكشف والبيان للثعلبي، ٥٥٤/٩ (آل عمران، ١٩١/٣). وانظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٢٦٣/١.
[8] ر – أي: بين أوقات وُجد أو حصل رجل مستلق.

فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال: أشهد أنَّ لكِ ربًّا وخالقًا، اللّهم اغفِرْ، فنظر الله إليه فغَفَر له».

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لا عبادةَ كالتفكُّر».

وقيل: الفكرة تُذهبُ الغفلةَ، وتُحدثُ للقلب الخشيةَ، كما يُحدِثُ الماءُ للزرع النباتَ، وما جُليتِ القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة.

وروي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لا تُفضِّلوني على يونس بن متَّى فإنَّه كان يُرفع له في كلِّ يومٍ مثلُ عَمَل أهلِ الأرض».

قالوا: وإنّما كان ذلك التفكُّرُ في أمر الله الذي هو عملُ القلب؛ لأن أحدًا لا يقدر أن يَعملَ بجوارحه في اليومِ مثلَ عملِ أهل الأرض.

﴿مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ على إرادة القول؛ أي: يقولون ذلك، وهو في محلِّ الحال، بمعنى: يتفكَّرون قائلين.

والمعنى: ما خلَقْتَه خَلْقًا باطلًا بغيرِ حكمةٍ، ....

قوله: (وما جُليت القلوب)... إلخ، أي:[1] ما جُليت القلوب بشيء[2] مثلِ الأحزان ولا استنارت بشيء مثل الفكرة. وقوله: (الأحزان)،[3] أي: أحزان العاقبة.

قوله: (وإنّما كان ذلك)، أي: مثل عمل أهل الأرض.

قوله: (خَلْقًا باطلًا) وذلك لأنّ الباطل هو الذي لا يترتَّب عليه ما هو المقصود، كما أنّ الصحيح هو الذي يترتَّب عليه ما هو غايته والمقصود منه، فالخلق الصحيح هو الذي يترتَّب عليه الاستدلال على قدرة الصانع وعِلمه، والخَلْق الباطل بخلافه، فإنّ المقصود مِن خلق السماوات والأرض هو الاستدلال[4] على القدرة والعِلم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦/٥١]، أي: ليَعرفونِ.

---

١ ن – أي.

٢ ن ر – بشيء.

٣ ن ر – ولا استنارت بشيء مثل الفكرة. وقوله: (الأحزان).

٤ ر: استدلال.

بل خلَقْتَه لداعي حكمةٍ عظيمةٍ، وهو أن تجعلَها مساكنَ للمكلَّفين وأدلَّةً لهم على معرفتك ووجوبِ طاعتك واجتنابِ معصيتك، ولذلك وصَل به قوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾؛ لأنه جزاءُ مَن عصَى ولم يُطِعْ.

فإن قلتَ: ﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى ماذا؟

قلتُ: إلى الخلقِ، على أن المراد به المخلوقُ؛ كأنه قيل: ويتفكرون في مخلوق السماوات والأرض؛ أي: فيما خُلق منها.

ويجوز أن يكون إشارةً إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ لأنها في معنى المخلوق، كأنه قيل: ما خلقتَ هذا المخلوقَ العجيبَ باطلًا، وفي هذا ضربٌ من التعظيم كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء ١٧/٩].

ويجوز أن يكون ﴿بَٰطِلًا﴾ حالًا من ﴿هَٰذَا﴾، ....

قوله: (**لداعي حكمةٍ**) هو مِن إضافة العامّ إلى الخاصّ.

قوله: (**ولذلك**)، أي: لأجل أنّ المعنى خَلْقه[1] للمعرفة[2] والطاعة، قال: ﴿فَقِنَا﴾ لأنّا أطعنا ولم نَعْصِ.

قوله: (**قلتُ:[3] إلى الخلق**)، أي: في قوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

قوله: (**منها**) للبيان، وفي بعض **النُّسخ** "منهما"، والأوّل أصحّ.

قوله: (**وفي هذا ضَرْب مِن التعظيم**)، أي: في لفظه هذا ههنا ضَرْب مِن التعظيم بأن يكون المعنى أنّه ليس[4] هناك طريق إلى إدراك فضله والإحاطة بشرفه، فلم يبقَ سوى أن يشار إليه حسًّا، فإنّه لا يتمكّن المتكلّم مِن تقريره أو السامع مِن ضبطه بحسب المقامات.

قوله: (**كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الإسراء ١٧/٩]**) ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة ٢/١-٢]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ [البقرة ٢/٥].

قوله: (**ويجوز أن يكون ﴿بَٰطِلًا﴾ حالًا**) وكان مصدرًا في الوجه الأوّل،

---

[1] ن ر: خلقته.
[2] ر: المعرفة.
[3] ن: فليت.
[4] ر – ليس.

و﴿سُبْحَانَكَ﴾ اعتراضٌ للتنزيه من العبَث وأنْ يخلقَ شيئًا بغيرِ حكمة.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ١٩٢﴾

﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾: فقد أبلغتَ في إخزائه، وهو نظيرُ قوله: ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران ١٨٥/٣]، ونحوُه في كلامهم: «مَن أدركَ مَرْعَى الصَّمَّان فقد أدرك»، و: مَن سبق فلانًا فقد سبقَ.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ اللامُ إشارةٌ إلى مَن يُدخَلُ النارَ، وإعلامٌ بأن مَن يُدخَلُ النارَ فلا ناصرَ له بشفاعةٍ ولا غيرِها.

أي: صفة لمصدر محذوف لـ﴿خَلَقْتَ﴾.[١]

قوله: (﴿سُبْحَانَكَ﴾ اعتراض)، أي: قوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾[٢] جملة معترضة يثبت بها ما في قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهًا لك مِن العبث وأن تخلق شيئًا بغير[٣] حكمة. ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي: قد اعترفنا بوحدانيّتك وحكمتك. ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ فلا تعذِّبنا بالنار.

قوله: (فقد أبلغتَ) يدلّ عليه "قد" التي للتحقيق.

قوله: (الصَّمّان) جبل.[٤]

قوله: (فقد أدرك)، أي: فقد أدرك المرعى الذي ليس بعده مرعى.

قوله: (فقد سبق)، أي: بالغ في السبق.

قوله: (﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ اللام إشارة)... إلخ، يريد أنّ اللام في "الظالمين" لتعريف[٥] العهد،[٦] وقد سبق أن لام تعريف العهد لا يلزم أن / تكون إشارة إلى [٢٨٤و] المذكور بلفظ الاسم الذي دخل فيه اللام، كقولهم: نزلتُ ببني[٧] فلان فلم يُقروني والقوم لِئام.

---

١ ن ر – محذوف لخلقت.
٢ ن ر – (سبحانك).
٣ ن: من غير.
٤ ن: جعل.
٥ ن: للتعريف؛ ر + الذي.
٦ ن: للعهد.
٧ ن ر: بذي.

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾

تقول: سمعتُ رجلًا يقول كذا، و: سمعتُ زيدًا يتكلَّمُ، فتُوقِعُ الفعلَ على «الرجل» وتحذفُ المسموعَ؛ لأنك وصفتَه بما يُسمع أو جعلتَه حالًا عنه فأغناك عن ذكره، ولولا الوصفُ أو الحالُ لم يكن منه بدٌّ، وأن يقال: سمعتُ كلامَ فلان، أو: قوله.

قوله: **(سمعت رجلًا يقول كذا)**، إلى قوله: **(كلامَ فلان أو قوله)**. اعلم أنّ هذا إذا ذكر الشخص باسمه، نحو "رجلًا" أو "زيدًا"، وأمّا إذا ذكره بالصفة التي تدلّ على المسموع فلا حاجةَ إلى ذِكر شيء[1] آخر، نحو "سمعتُ قائلًا أو مناديًا"، فيجوز أن تقول: "سمعتُ قائلًا" أو "سمعتُ مناديًا" وتسكت، لأنّ قولك: "سمعتُ قائلًا" في[2] معنى[3] "سمعتُ شخصًا يقول"، وهذا إذا لم يُرد خصوصية القول، ويدلّ على ما قلنا ما أورد محيي السنّة في **شرح السنّة**: رُوي أنّ[4] مسروقًا[5] سأل عائشةَ رضي الله عنها:[6] متى كان يقوم، يعني النبيّ عليه السلام.[7] قالتْ: «إذا سمع الصارخ قام فصلّى». أرادت[8] بـ"الصارخ" الديكَ، يعني إذا سمع صوت الديك.[9]

قوله: **(على الرجُل)** اللام في "الرجل" للعهد فهو إشارة إلى "رجلًا" و"زيدًا". ويظهر لك أنّ الضمير مِن[10] **(وصفتَه)** و**(عنه)** يعود إلى "الرجل" لا إلى "رجلًا" و"زيدًا".

قوله: **(فأغناك)**، أي: الوصف أو الجَعْل.

قوله: **(وأن يقال)** عطف على المضمر[11] المجرور، والجارّ في التقدير مُعادٌ،

---

١ ن ر – شيء.
٢ ن ر: أو.
٣ ن ر – معنى.
٤ ن ر: أو.
٥ ن: مشروبًا؛ ر: شردنا.
٦ د – رضي الله عنها.
٧ ن ر – عليه السلام.
٨ ن: أراد.
٩ **شرح السنّة** للبغوي، ٦٣/٤.
١٠ ر – من.
١١ ن ر: الضمير.

فإن قلتَ: فأيُّ فائدةٍ في الجمع بين «المنادي» و﴿يُنَادِى﴾؟

قلتُ: ذُكر النداءُ مطلقًا ثم مقيَّدًا بالإيمانَ تفخيمًا لشأن المنادِي؛ لأنَّه لا منادِيَ أعظمُ من منادٍ ينادي للإيمان، ونحوُهُ قولك: مررتُ بهادٍ يَهدِي للإسلام، وذلك أن المناديَ إذا أُطلق ذهب الوهمُ إلى منادٍ للحرب، أو لإطفاء النائرة، أو لإغاثة المكروب، أو لكفاية بعض النوازل، أو لبعض المنافع، وكذلك الهادي قد يُطلَق على مَن يهدي للطريق، ويهدي لسداد الرَّأي، وغيرِ ذلك، فإذا قلتَ: يُنادي للإيمان، ويهدي للإسلام، فقد رفَعْتَ من شأنِ المنادي والهادي وفخَّمْتَه.

ويقال: دَعَاه لكذا وإلى كذا، وَنَدَبه له وإليه، وناداه له وإليه، ونحوُه: هَدَاه للطريق وإليه، وذلك أن معنى انتهاءِ الغاية ومعنى الاختصاصِ واقعان جميعًا.

وإنّما حَذَفه لأنّ حَذْف الجارّ مع "أن" و"أنّ"[1] قياس مستمرّ، فهو مِن العطف الذي قد[2] مرّ[3] أنه للبيان.

قوله: (**مطلقًا**) وذلك لأنّ معنى ﴿مُنَادِيًا﴾ نداء مُنادٍ.

قوله: (**لأنّه**) بيانُ أن المقام مقام[4] التفخيم.

قوله: (**ونحوه**)، أي: في الإطلاق ثمّ التقييد للتفخيم.

قوله: (**وذلك**) إشارة إلى كيفيّة حصول التفخيم وتحقيقِ حصوله.

قوله: (**النائرة**) يقال: بينهم نائرة، أي:[5] عداوة وشحناء. و"**إطفاء النائرة**" عبارة عن تسكين الفتنة. وهي[6] "فاعلة" مِن النار، يقال: بينهم نائرة، أي: عداوة ملتهبة.

قوله: (**واقعان**) أراد بالوقوع التمكّن، أي: كانا متمكّنين في هذا المعنى.

---

[1] ن ر - وأنّ.
[2] ن ر - قد.
[3] ن: من.
[4] ن ر - مقام.
[5] ن: إلى.
[6] ر: وهو.

والمنادِي: هو الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف ١٢/١٠٨] ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل ١٦/١٢٥].

وعن محمد بن كعب: القرآنُ.

﴿أَنْ ءَامِنُواْ﴾: أي آمِنوا، أو: بأنْ آمنوا.

﴿ذُنُوبَنَا﴾: كبائرَنا ﴿سَيِّـَٔاتِنَا﴾: صغائِرَنا.

﴿مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾: مخصوصِينَ بصحبتهم معدودِين في جُملتهم.

والأبرار: جمع بَرّ أو بارّ؛ كربّ وأرْباب، وصاحبٍ وأصْحاب.

قوله:[١] (﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف ١٢/١٠٨] ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل ١٦/١٢٥]) الآيتان تدلان على أنّ (المنادي هو الرسول)؛ لأنّ الداعي والمنادي بمعنى.

قوله: (وعن محمّد بن كعب: القرآن)،[٢] أي: المنادي[٣] القرآن.

قوله: (أي: آمنوا)، يعني: تكون "أن" مفسَّرة.

قوله: (أو بأن آمنوا) فتكون مصدريّة. هذا مُشكِل لأنك إذا جَعَلت "أن" مصدريّة يصير الكلام هكذا "ينادي للإيمان[٤] بالإيمان". والوجه أن نقول: الباء متعلِّق بمحذوف، أي: ينادي للإيمان[٥] ملتبسًا بالإيمان، أي: ملتبسًا[٦] بطلب الإيمان؛ لأنّه إذا دخل في الأمر جَعَله في معنى المصدر الذي فيه معنى الطلب، كما ذَكَر[٧] النُّحاة أنّ[٨] الحرف[٩] المصدريّة دلالتها مع الماضي على معنى المضيّ، ومع المضارع على معنى الحاضر أو المستقبل، ويقرب منه ما قالوا:

---

[١] ن ر – (واقعان) أراد بالوقوع التمكّن، أي: كانا متمكّنين في هذا المعنى. قوله.

[٢] بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٣١٤/٦ (آل عمران، ١٩٣/٣)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٣٢/٢ (آل عمران، ١٩٣/٣).

[٣] ن ر – هو الرسول لأنّ الداعي والمنادي بمعنى قوله: (وعن محمّد بن كعب القرآن)، أي: المنادي.

[٤] ن ر: الإيمان.

[٥] ن: الإيمان.

[٦] ن – بالإيمان، أي: ملتبسًا؛ ر: مُلبيًا.

[٧] ر: ذكره.

[٨] ر: لأنّ.

[٩] ن – المصدر الذي فيه معنى الطلب كما ذكر النحاة أنّ الحرف؛ ر: الحروف.

﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ ﴿عَلَىٰ﴾ هذه صلةٌ للوَعْدِ في قولك: وعَدَ اللهُ الجنَّة على الطاعة، والمعنى: ما وعَدْتَنا على تصديق رسلك، ألَا تراه كيف أُتْبِعَ ذِكْرَ المنادي للإيمان وهو الرسولُ، وقولَه: ﴿ءَامَنَّا﴾ وهو التصديق.

ويجوز أن يكون متعلِّقًا بمحذوفٍ؛ أي: ما وعَدْتَنا مُنْزَلًا على رسلك، أو: محمولًا على رسلك؛ لأن الرسل محمَّلون ذلك: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ [النور ٢٤/٥٤].

وقيل: على أَلْسِنَةِ رسلك، والموعودُ هو الثواب، وقيل: النُّصرةُ على الأعداء.

فإن قلتَ: كيف دَعَوُا الله بإنجازِ ما وعَد واللهُ لا يُخلف الميعاد؟

قلتُ: معناه: طلبُ التوفيق فيما يَحفَظ عليهم أسبابَ إنجازِ الميعاد، أو هو بابٌ من اللَّجَأ إلى الله والخضوعِ له؛ كما كان الأنبياءُ عليهم الصلاة والسلام يستغفرون مع علمهم أنهم مغفورٌ لهم، يقصدون بذلك التذلُّلَ لربهم والتضرُّعَ إليه، واللجأَ الذي هو سِيمَا العبوديَّة.

إن لم يكن لفعلٍ "ما" و"أن" مصدر قُدِّر، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف ٧/١٨٥]، فيُقدَّر بالتوقع، أي: في توقُّع قُرب أجلهم.

قوله: (على هذه صلة) "على" مبتدأ "هذه" صفته وخبره "صلة".

قوله: (كيف أُتْبع ذِكرَ)، أي: كيف أتبع ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ ذِكرَ المنادي.

قوله: (وهو التصديق) فكأنّه قيل: سمعنا[1] دعاءَ رسلك وصدّقنا رسلَك فآتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك.

قوله: (مُنزَلًا)، أي: وعدًا مُنزَلًا.

قوله: (﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ [النور ٢٤/٥٤]) للاستشهاد.

قوله: (سِيمياء)[2] السُّومة بالضمّ: العلامة تُجعل على الشاة وفي الحرب، تقول منه: "تسوّم"، وفي الحديث: «تسوَّموا؛ / فإنّ الملائكة قد تسوّمتْ».[3] [٢٨٤ظ]

---

[1] ن ر – سمعنا.

[2] في مطبوع الكشّاف: سيما. | وأثبتُّ ما في أصول حاشية الجاربردي، وما راجعته من أصول الكشّاف.

[3] المصنَّف لابن أبي شيبة، ٦/٤٣٧ (٣٢٧٢٢)؛ جامع البيان للطبري، ٦/٣٤ (آل عمران، ٣/١٢٥)؛ معالم التنزيل للبغوي، ٢/١٠١ (آل عمران، ٣/١٢٥).

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

يقال: استجابَ له واستجابه:

فـلـمْ يَسـتـجِبْـه عِـنـدَ ذاك مُـجيـبٌ

و"السِّيما" مقصور مِن الواو، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح ٢٩/٤٨]. و"السِّيماء"[١] و"السِّيمِيَاء" قد جاءا ممدودين. قال:[٢]

غـلامٌ رمـاه الله بـالـحُـسـن مقبلًا[٣] له[٤] سِيمِيَاء[٥] لا تَشُقُّ على البصرْ[٦]

أي: يفرح به مَن ينظر إليه.[٧]

قوله:

(فلـــم يســـتجبه عنـــد ذاك مُجيـــبُ)[٨]

أوّله:

وداعٍ دعـا يـا مَـن يُـجيـب إلـى الـنَّـدى

بعده:

فقلتُ ادعُ أخرى وارفعِ الصوت دعوةً لـعلّ أبـي الـمِـغـوار منك قـريـبُ[٩]

---

١ ر + والسيماء.

٢ ن ر + طويل.

٣ ن: نقلًا؛ ر: عقلًا.

٤ ن: لا.

٥ ن: سيماء.

٦ البيت لابن عنقاء الفزاري في **أمالي القالي**، ٢٣٧/١؛ وشرح **الحماسة** للمرزوقي، ١٥٨٨/٤؛ و**التذكرة الحمدونيّة** لابن حمدون، ٣٠٧/٢؛ وهو بلا عزو في **الزاهر** لابن الأنباري، ١٣٧/٢؛ و**الصحاح** للجوهري، «سوم».

٧ من قوله: "السُّومة بالضمّ" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «سوم».

٨ البيت لكعب بن سعد الغنوي في **الأصمعيّات** للأصمعي، ص ٩٦؛ و**جمهرة أشعار العرب** للقرشي، ص ٥٥٨؛ وهو له في **أمالي القالي**، ١٥١/٢؛ و**الصحاح** للجوهري، «جوب»؛ وبلا عزو في **الحجّة** لأبي عليّ، ١٧٦/٢.

٩ **الأصمعيّات** للأصمعي، ص ٩٦.

﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ﴾: قُرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على إرادة القول.

وقرئ: "لا أُضَيِّعُ" بالتشديد.

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ بيانٌ لـ﴿عَٰمِلٍ﴾.

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾؛ أي: يجمع ذكورَكم وإناثَكم أصلٌ واحدٌ، فكلُّ واحدٍ منكم من الآخر؛ أي: من أصْله، أو كأنّه منه لفَرْطِ اتِّصالِكم واتِّحادِكم.

وقيل المرادُ وُصْلةُ الإسلام.

قال أبو عليّ في الحجّة:

يُروى "لعلَّ أبي المِغوار" و"لَعَلِ أبي المِغوار"، فينبغي أن يكون على إضمار القصة والحديث، كأنّه خفّف "لَعَلّ" وأعملها،[١] كما تُخفّف "أنّ" وتعمل. فمَن فتح اللام[٢] وجرّ الاسم فاللام لام الجر، إلّا أنّه فتحها مع المُظهَر كما تُفتح مع المُضمَر. وزعم أبو الحسين[٣] أنّه سمع[٤] فتح اللام مع المظهر مِن يونس وأبي[٥] عبيدة وخلف الأحمر، وزعم[٦] أنّه سمع هو أيضًا ذلك مِن العرب، فيكون الجرّ في[٧] "أبي المغوار" على هذه اللغة. ومَن قال: "لَعَلِ أبي المغوار" بكسر اللام خفَّف "لعلّ" وأضمر القصّة أو الحديث وكسر اللام على اللغة التي هي أشيَع، والتقدير "لعلَّ لأبي المغوار منك جوابٌ قريب"، أي: لعلّ نُصرته لا تبعُد عنك ولا تتأخر عنك.

وإن قلتَ: إنّه حذف اللام لاجتماع اللامين، كما في "أنا معكم" ونحو ذلك كان قولًا.

هذا هو المذكور في الحجّة، وأشار فيه أنّ "المِغوار" صفة "أبي". والمِغوار: كثير الغارة. وقال المصنّف في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد ٢٩/٥٧]: «أصل لام الجرّ الفتح».[٨] وأنشد:

---

١ ن ر: وعملها.
٢ ن: الغلام.
٣ في مطبوع الحجّة: الحسن.
٤ ن – سمع.
٥ ن: وأبو.
٦ ن + أيضًا.
٧ ن ر – في.
٨ الكشّاف للزمخشري، (الحديد، ٥٧/٢٩).

وهذه جملةٌ معترضةٌ بُيِّنت بها شركةُ النساء مع الرجال فيما وعَد الله عبادَه العاملين.

وروي: أن أمَّ سَلَمةَ قالت: يا رسول الله، إني أَسْمعُ الله يذكر الرجالَ في الهجرة ولا يذكر النساء، فنزلت.

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ تفضيلٌ لعملِ العاملِ منهم ....

أريد لأنسى ذِكرَها فكأنّما تَمثّل لي[1] ليلى بكلّ مكان[2]

ووقع في حواشي[3] الكتاب أنّ معنى هذا البيت قريب مِن معنى قول الشبليّ:[4] إذا أردتُ أن أغفل عنه لحظة، صاح عليّ، وقال لي:[5] يا شبليّ.[6]

قوله: (وهذه جملة معترضة) هذه إشارة إلى قوله: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾، فإنّه لمّا قال: ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ حقّقه بقوله: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾.

قوله: (ورُوي أنّ أم سلمة) قال الشيخ في الكواشي: لمّا قالت أمّ سُليم:[7] ما بال الرجال ذكروا ولم يُذكر النساء نزل[8] ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾.[9] وقوله: (يذكر) حال.

قوله: (﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ تفصيل)[10] خصّ تفصيل[11] هذه الجملة مِن بين سائر الأعمال بالذِّكر والجزاء عليها بعد التعميم فيما سبق تعظيمًا لها وتفصيلًا على غيرها.

---

١ ن ر - لي.

٢ د: سبيل. خ [اختصارًا من نسخة]. | البيت لكثيّر عزّة في ديوانه، ص ١٠٨؛ وهو له في الكامل للمبرّد، ١٠٠٠/٢؛ وأمالي القالي، ٦٣/٢؛ وديوان المعاني، ٢٦٨/١، والرواية فيها جميعًا «سبيل» مكان «مكانِ»؛ وبعضه بلا عزو في الكشّاف للزمخشري، (الحديد، ٢٩/٥٧).

٣ ن - حواشي.

٤ ن + رحمة الله تعالى عليه؛ ر + رحمة الله عليه.

٥ مخطوط الكشّاف، نسخة داماد إبراهيم (١٤٤)، ٤٨٧ظ: إليّ.

٦ وردت هذا الحاشية في هامش مخطوط الكشّاف نسخة داماد إبراهيم (١٤٤)، ٤٨٧ظ. وما وقفتُ على الكلام فيما بين يديّ من المظانّ.

٧ ن ر: سلمة.

٨ ن ر: ترك.

٩ انظر: تفسير الكواشي، ١٠٨و. وانظر حديث أم سلمة بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٣٢٠/٦ (آل عمران، ١٩٥/٣)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٥٣/٢-١٥٤ (آل عمران، ١٩٥/٣).

١٠ ر: تفضّل.

١١ ر - خصّ تفصيل.

على سبيل التعظيم له والتفخيم؛ كأنّه قال: فالذين عملوا هذه الأعمال السَّنِيَّة الفائقة وهي المهاجَرةُ عن أوطانهم فارّين إلى الله بدينهم من دارِ الفِتْنَة، واضطُرُّوا إلى الخروج من ديارهم التي وُلِدوا فيها ونشؤوا بما سامَهم المشركون من الخَسْفِ.

﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ من أجْله وسببه، يريد: سبيلَ الدِّين.

﴿وَقَـٰتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ وغزَوُا المشركين واستُشْهِدوا، وقرئ: ﴿وقُتِّلوا﴾ بالتشديد،

قوله: (على سبيل التعظيم له)، أي: للعمل[١] بدليل قوله: "الأعمال[٢] السنيّة[٣] الفائقة".

قوله: (هذه الأعمال السنيّة الفائقة)[٤] جَمَع "الأعمال" مع أنّ المراد بها المهاجَرة كما فسّرها بها بقوله: (وهي المُهاجَرة) لأنّ مهاجرة كلّ واحد منهم عمل. أو التقدير "وهي المهاجرة وغيرها ممّا ذُكر في الآية"، وحذف لدلالة سياق الكلام عليه.[٥]

قوله: (واضطروا) عطف على (عملوا)[٦] وإنّما فسّر قوله تعالى: ﴿وَأُخْرِجُوا﴾ بقوله: (واضطروا)... إلخ، لأنّ المشركين ما أخرجوهم؛ بل المؤمنون خرجوا لأنّ المشركين[٧] يؤذونهم.

قوله: (فارّين) حال مِن فاعل "عملوا" أو فاعل المهاجرة المحذوف، أي: مهاجرتهم[٨] فارّين.

قوله تعالى: (﴿وَقَـٰتَلُوا وَقُتِلُوا﴾) إذا قُتل صبيّ في المعركة فهو شهيد عند الشافعي[٩] خلافًا لأبي حنيفة[١٠] للتقديم،[١١] وكذا كلّ مَن / قُتل ولم يُقاتِل. [٢٨٥و]

---

١ ر: العمل.

٢ ر: للأعمال.

٣ ن: السفيه.

٤ ن - قوله: (هذه الأعمال السنيّة الفائقة).

٥ ن ر - مع أنّ المراد بها المهاجرة كما فسّرها بها بقوله: (وهي المهاجرة) لأنّ مهاجرة كلّ واحد منهم عمل، أو التقدير وهي المهاجرة وغيرها ممّا ذكر في الآية، وحذف لدلالة سياق الكلام عليه.

٦ ن ر + مع أنّ المراد بها المهاجرة كما فسّرها بها بقوله: (وهي المهاجرة) لأنّ مهاجرة كلّ واحد منهم عمل أو التقدير وهي المهاجرة وغيرها ممّا ذكر في الآية، وحذف لدلالة سياق الكلام عليه.

٧ ر - ما أخرجوهم بل المؤمنون خرجوا لأنّ المشركين.

٨ ن: فهاجرتم.

٩ ن + رحمه الله؛ ر + رضي الله عنه.

١٠ ن ر + رحمه الله.

١١ انظر: **المبسوط** للسرخسي، ٥٤/٢؛ و**المجموع** للنووي، ٢٦٦/٥.

و: ﴿قُتِلوا وقاتلوا﴾ على التقديم بالتخفيف والتشديد.

و: "قَتَلوا وقُتِلوا" على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول.

و: "قَتَلوا وقاتلوا" على بنائهما للفاعل.

﴿ثَوَابًا﴾ في موضع المصدر المؤكِّد، بمعنى: إثابةً أو تثويبًا ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ لأن قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ﴾ ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾ في معنى: لأُثِيبَنَّهم.

و﴿عِندَهُۥ﴾ مَثَلٌ؛ أي: يَختصُّ به وبقُدرته وفضله لا يُثيبُه غيرُه ولا يَقدر عليه؛ كما يقول الرجل: عندي ما تُريد، يُريد اختصاصَه به وبمِلْكِه وإن لم يكن بحضرته.

وهذا تعليمٌ من الله كيف يُدْعَى وكيف يُبْتَهَلُ إليه ويُتَضرَّعُ، وتكريرُ ﴿رَبَّنَا﴾ من بابِ الابتهال، وإعلامٌ بما يوجبُ حُسنَ الإجابة وحُسنَ الإثابة: من احتمالِ المشاقِّ في دِين الله، والصَّبرِ على صعوبة تكاليفه، وقطْعٌ لأطماع الكُسالى المتمنِّين عليه، وتسجيلٌ على مَن لا يَرى الثوابَ موصولًا إليه بالعملِ بالجهل والغَبَاوة.

وروي عن جعفرٍ الصادقِ رضي الله عنه: مَن حَزَبَه أمرٌ فقال خمسَ مرَّاتٍ:

قوله: (و"عنده" مَثَل) أي: لفظ "عند" مَثَل.

قوله: (لا يُثيبه)... إلخ، أي: لا يُثيبه غيره ولا يقدر عليه غيره كما يقول الرجل: "عندي كذا"، يريد اختصاصه به.

قوله: (وإن لم يكن بحضرته) بخلاف "لدى".

قوله: (وهذا تعليمٌ)، أي: المذكور مِن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾. فقوله: "هذا تعليم"، يعني قوله: ﴿رَبَّنَا﴾... إلخ. وقوله: (إعلامٌ)، يعني: يذكرون ويتفكّرون، وكذا ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾.

قوله: (مَن حَزَبه)،[1] أي: اعترض له وأصابه.

---

[1] ر: حزنه. | الكشف والبيان للثعلبي، ٥٦٩/٩ (آل عمران، ١٩٥/٣).

«ربنا» أَنجاه اللهُ مما يخاف، وأعطاه ما أراد، وقرأ هذِه الآية.

وعن الحسن: حَكى الله عنهم أنهم قالوا خمس مرَّات ﴿رَبَّنَا﴾ ثم أخبر أنَّه استجاب لهم، إلَّا أنه أتبع ذلك رافعَ الدعاء وما يستجاب به، فلا بدَّ من تقديمه بين يدي الدعاء.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكلِّ أحدٍ؛ أي: لا تَنظرْ إلى ما هم عليه من سعةِ الرزق والمضطرَبِ، ودَرْكِ العاجل وإصابةِ حظوظ الدنيا، ولا تَغترِرْ بظاهرِ ما ترى من تَبَسُّطِهم في الأرض وتصرُّفهم

قوله: (وقرأ) عطف على "قال" المحذوف، أي: رُوي عن جعفر أنّه قال: مَن حَزَبه...[١] إلخ، وقرأ هذه الآية.

قوله: (إلّا أنّه أتبع ذلك رافعَ الدعاء وما يُستجاب به)... إلخ، قوله: "إلّا" استثناء منقطع، وهو بمعنى "لكنّ"، وإنّما استدرك بقوله: "لكنّ" لئلّا يُتوهّم أنّ سبب الاستجابة[٢] مجرّد قولهم: "ربّنا" خمس مرات؛ بل بشرط[٣] أن يكون بعد الأعمال الصالحة. وقوله:[٤] "أتبع ذلك"، أي: جَعَل ذلك، أي:[٥] ذِكر الاستجابة بعد قولهم: ﴿رَبَّنَا﴾ تابعًا لرافع الدعاء، وهو المذكور مِن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾... إلخ. وسماه "رافع الدعاء" مِن قوله: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر ١٠/٣٥]. ووحّد الضمير في (تقديمِه) للعود إلى كلّ واحد مِن "رافع" و"ما". أو لأنّ "رافع" هو "ما"، إذ المراد بـ"رافع" و"ما" هو الأعمال الصالحة.

قوله: (والمُضطرَب) مِن قولهم: "ضرب في الأرض" إذا سار[٦] لابتغاء الرزق. والاضطراب في الأمور: التردّد والمجيء والذهاب في أمور المعاش.

قوله: (مِن تبسُّطهم) تبسّط في البلاد، أي: سار فيها طولًا وعرضًا.

---

١ ر: حزنه.
٢ ن ر – الاستجابة.
٣ ر: يشترط.
٤ ر: قوله.
٥ ن + إنّما جعل ذلك، أي.
٦ ن: مشى.

في البلاد يتكسَّبون ويتَّجِرُون ويتدَهْقَنون.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: هم أهل مكّة. وقيل: هم اليهود.

ورُوي: أن ناسًا من المؤمنين كانوا يَرون ما كانوا فيه من الخِصْب والرَّخاء ولِين العيش فيقولون: إنَّ أَعْداء الله فيما نرَى من الخير وقد هَلكْنا من الجوع والجَهْد.

فإن قلتَ: كيف جاز أن يَغترَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى يُنهَى عن الاغترار به؟

قلتُ: فيه وجهان:

قوله: **(ويتدهقنون)** «الدِّهقان عند العرب: الكبير مِن كبار[١] العجم. وكانت العرب تستنكف مِن هذا الاسم. ومنه حديث عمرَ رضي الله عنه:[٢] 'بارزتُ رجلًا دهقانًا'.[٣] وقد غلب على أهل الرساتيق منهم، ثمّ قيل لكلّ مَن له عقارٌ كثير: دهقان. واشتقّ منه الدَّهقنة[٤] وتدهقن. ويقال للمرأة: دِهقانة، على القياس».[٥] ذَكَره[٦] في **المُغرِب**. وذكر صاحب **الصحاح**: «الدِّهقان مُعرّب إن جعلتَ النون أصليّة،[٧] مِن قولهم: "تدهقن الرجل" و"له دهقنة بموضع كذا"، صرفتَه لأنّه "فعلال"،[٨] وإن جعلتَه مِن الدَّهق لم تصرفه لأنّه "فعلان"».[٩] وما ذكر في **الصحاح** بعد العَلَميّة، وما قيل: جعله علمًا منصرفٌ وإن كان فيه الصفة لمجيء **"دِهقانة"**. الدَّهَق بالتحريك ضرب مِن العذاب، وهو بالفارسيّة "اشكنجه". ودهقتُ الشيء: كسرتُه وقطّعتُه، وكذا دهدقتُه.[١٠] قال:

نُدهدِق بَضْعَ[١١] اللحم[١٢]

---

١ وفي مطبوع **المُغرب**: كفّار.

٢ د - رضي الله عنه.

٣ ما وقفتُ عليه في مظانّه.

٤ ن: والدهقنة.

٥ **المغرب** للمُطرّزي، «دهقن».

٦ ن ر: ذكر.

٧ ر: أصله.

٨ ن ر: فعلان.

٩ **الصحاح** للجوهري، «دهقن».

١٠ من قوله: "والدَّهق بالتحريك" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «دهق».

١١ ن: ونضع؛ ر: نضج.

١٢ تمامه:

للباع والندى
وبعضهمُ تغلي بذمّ مناقعُه

والبيت لحجر بن خالد في **الصحاح** للجوهري، «دهق»؛ و**شرح الحماسة** للمرزوقي، ٢/٥١٥.

أحدهما: أنّ مِدْرَهَ القوم ومُقدَّمَهم يُخاطَب بشيءٍ فيقوم خطابُه مقامَ خطابهم جميعًا؛ فكأنّه قيل: لا يغرّنكم.

والثاني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانَ غيرَ مغرورٍ بحالهم، فأكِّد عليه ما كان عليه وثُبِّتَ على التزامه؛ كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص ٢٨/٨٦] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس ١٠/١٠٥، القصص ٢٨/٨٧] ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم ٦٨/٨] **وهذا في النهي نظيرُ قوله في الأمر:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة ١/٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء ٤/١٣٦].

وقد جُعل النهيُ في الظاهر للتقلُّب وهو في المعنى للمخاطَب، وهذا من تنزيل السَّبب منزلةَ المسبَّب؛ لأن التقلُّب لو غرّه لاغترّ به، فمُنع السببُ ليَمتنِع المسبَّبُ.

وقرئ: ﴿لا يَغُرَّنْك﴾ بالنون الخفيفة.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: ذلك متاعٌ قليلٌ، وهو التقلُّب في البلاد، أرادَ قِلَّتَه في جَنْب ما فاتهم من نعيم الآخرة، أو في جَنب ما أَعدَّ الله للمؤمنين من الثواب، أو أراد أنّه قليلٌ في نفسه لانقضائه وكلُّ زائلٍ قليلٌ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما الدنيا في الآخرة ....

قوله: (**أنّ مِدرَه القوم**) مِدرَه القوم: سيّدهم وكبيرهم، مِن "الدَّره": الدفع[١] كالدرء،[٢] وهو مبدل منه نحو "هراق"[٣] الماء في "أراقه".

قوله: (**على التزامه**) يقال: لزمتُه الشيء فالتزَم.

قوله: (**وهو في المعنى للمخاطب**) إذ المعنى: لا تغترّ بتقلُّبهم.

قوله: (**قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:**[٤] **«ما الدنيا في الآخرة»**)، أي: "ما تقدير" أو[٥] "اعتبارُ زمان الدنيا"[٦] أو "نعيمُ الدنيا". وإنّما قدرنا كذلك ليطابق

---

١ ن: الرفع.
٢ ن ر: كالدراء.
٣ ن ر: مراق.
٤ د: عليه السلام.
٥ ر: أي.
٦ ن – الدنيا.

إلّا مثلُ ما يَجعل أحدُكم إصبَعَه في اليمّ فلْيَنْظُرْ بم يرجع».

﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: وساء ما مَهَّدُوا لأنفسهم.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ١٩٨﴾

النُّزْل والنُّزُل: ما يُقام للنازل، قال أبو الشِّعر الضَّبيُّ:

وكنَّا إذا الجبَّارُ بالجيش ضافَنا جَعَلْنا القَنَا والمُرهَفاتِ له نُزْلَا

وانتصابُه إمَّا على الحال من ﴿جَنَّٰتٌ﴾ لتخصُّصها بالوصف، والعاملُ اللام. ويجوز أن يكون بمعنى مصدرٍ مؤكِّدٍ؛ كأنَّه قيل: رزقًا، أو عطاءً.

قوله: («مثلُ ما يجعل»)،[1] أي: مثلُ جَعْل. والحديث دلّ على المعنى الأوّل، أي: قِلّتُه بالنسبة إلى الآخرة.

قوله:

(وكنّا إذا الجبّار بالجيش ضافنا)[2] البيت

"الجبّار": المَلِك المتسلِّط.[3] وقيل: الذي / يقتُل بالغضب، أي: نزل به. [٢٨٥ظ] والباء[4] في "بالجيش" للتعدية أو للمصاحبة، أي: إذا جَعَل الجيش ضيفًا لنا، أو إذا صار مع الجيش ضيفًا لنا.[5]

قوله: (والعامل اللام) يريد الجارّ والمجرور، أعني ﴿لَهُمْ﴾، لأنّه قوي بالاعتماد على المبتدأ الذي هو ﴿ٱلَّذِينَ﴾، فعمل[6] في ﴿جَنَّٰتٍ﴾ على أنّها فاعله، فيعمل في الحال منها، لأنّ العامل في الحال هو العامل في ذي الحال.

قوله: (كأنّه قيل: رزقًا أو عطاء) لأنّ في ﴿لَهُمْ﴾ معنى[7] رُزِقوا أو أُعطوا.

---

١ مسند أحمد، ٥٤١/٢٩ (١٨٠١٢)؛ سنن الترمذي، ١٣٩/٤ (٢٣٢٣).

٢ ن ر: مضافنا. | والبيت لأبي الشعراء الضبّي في الدرّ المصون للسمين الحلبي، ٥٤٦/٣ (آل عمران، ١٩٨/٣). وما وقفتُ عليه في المصادر السابقة على الكشّاف.

٣ ن: المبساط.

٤ ن ر: الباء.

٥ ن ر - أو إذا صار مع الجيش ضيفًا لنا.

٦ ن ر: يعمل.

٧ ن ر: بمعنى.

﴿مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الكثير الدائم.

﴿خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ ممّا يتقلّب فيه الفجّار من القليل الزائل.

وقرأ مَسْلَمَةُ بن مُحارب والأعمش: "نُزْلًا" بالسكون.

وقرأ يزيدُ بنُ القَعْقاعِ: ﴿لكنَّ الذين اتَّقوا﴾ بالتشديد.

﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩﴾

﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ عن مجاهد: نزلت في عبد الله بن سلام وغيرِه من مُسلِمةِ أهل الكتاب.

وقيل: في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانيةٍ من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلَموا.

وقيل: في أَصحَمةَ النَّجاشِيِّ ملكِ الحبشةَ ....

قوله: (ممّا يتقلّب) "مِن" في "ممّا يتقلّب" مِن الابتدائية التي يُستعمل بها اسم التفضيل، وهو متعلّق بـ(خير). و"مِن" في (مِن القليل) بيان "ما يتقلّب".

قوله: (مِن مسلِمة)، أي: مِن الجماعة مسلمة،[١] أي: مِن الجماعة الذين أسلموا.

قولـه: (النَّجاشي) «النجاشي مَلِك الحبشة بتخفيف الياء سماعًا مِن الثِّقات،[٢] وهو اختيار الفارابي،[٣] وعن صاحب التكملة بالتشديد،[٤] وعن الغُوري كلتا[٥] اللغتين. وأمّا تشديد الجيم فخطأ، واسمه أصحَمة، والسين تصحيف».[٦] مُغرِب.[٧]

---

١ ن: المسلمة.

٢ ر: التفات.

٣ هو بالتشديد في ديوان الأدب للفارابي، ١/٣٨٧.

٤ أورد الصغاني فيه اللغتين التشديد والتخفيف، ثمّ ذكر أنّ التشديد أعلى وأفصح. التكملة والذيل والصلة للصغاني، «نجش».

٥ ر: قلنا.

٦ المغرب للمُطرِّزي، «نجش».

٧ ر: معرب.

-ومعنى أصْحَمَةَ: عَطِيّةُ بالعربيّة-، وذلك أنه لمّا مات نَعَاه جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالَ رسول صلى الله عليه وسلم: «اُخْرُجوا فصَلُّوا على أخٍ لكم مات بغيرِ أرضكم» فخرج إلى البقيعِ ونظر إلى أرض الحبشة فأبصَر سريرَ النَّجاشيِّ، وصلَّى عليه واستغفر له، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلِّي على عِلْجٍ نصْرانيٍّ لم يره قط وليس على دينه! فنزلت.

ودخلت لامُ الابتداء على اسم "إنَّ" لفَصْل الظرف بينهما؛ كقوله: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء ٧٢/٤].

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتابَيْن.

﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ حالٌ من فاعل ﴿يُؤْمِنُ﴾؛ لأن "مَن يؤمن" في معنى الجمع.

﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كما يَفعلُ مَن لم يُسلِم من أحبارهم وكبارهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: ما يَختصُّ بهم من الأجر، وهو ما وُعِدُوه في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص ٥٤/٢٨]، ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد ٢٨/٥٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لنُفوذ عِلمه في كلِّ شيء، فهو عالمٌ بما يَستوجِبُه كلُّ عاملٍ من الأجر، ....

قوله: (ومعنى أصحَمة: عطية، بالعربية)، أي: هذا العَلَم في العبريّة كهذا العلم في العربيّة. وقوله: "عطية" بغير تنوين للتأنيث[1] والعلمية.[2]

قوله: (وذلك)، أي: سبب نزوله في أصحَمة أنّه.[3]

قوله: (فأبصر سرير النَّجاشي) إنّما قال ذلك لأنّه[4] لا يجوز الصلاة على الغائب عنده، فقال: أبصر فصلّى.[5]

---

١ ن: للعلمية.
٢ ن - والعلمية.
٣ أي: إلى آخر الكلام.
٤ ر - لأنه.
٥ ن ر: وصلى.

ويجوز أن يراد: إنّ ما تُوعدون لآتٍ قريبٌ، بعد ذكر الموعد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿ٱصْبِرُواْ﴾ على الدِّين وتكاليفه.

﴿وَصَابِرُواْ﴾ أعداءَ اللهِ في الجهاد؛ أي: غالِبوهم في الصبرِ على شدائد الحرب، لا تكونوا أقلَّ صبرًا منهم وثباتًا، والمصابرةُ بابٌ من الصَّبر ذُكر بعد الصبر على ما يجبُ الصَّبرُ عليه تخصيصًا لشدَّته وصعوبته.

﴿وَرَابِطُواْ﴾: وأقيموا في الثُّغور رابطينَ خيلكم فيها مترصِّدين مستعدِّين للغزو، قال الله تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال ٨/٦٠].

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَن رابَطَ يومًا وليلةً في سبيل الله كان كعَدْلِ صيامِ شهرٍ وقيامِه لا يُفْطِر ولا يَنفَتِل عن صلاته إلا لحاجةٍ».

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورة آل عمران أُعطيَ بكلِّ آيةٍ منها أمانًا على جِسْر جهنم».

قوله: (إنّ ما توعدون) من الحساب الموعود.

قوله:[١] (والمصابرة باب)، أي: نوع مِن الصبر، أي: اصبروا وليكن صبركم أكثر مِن صبرهم.

قوله: (لشدّته) اللام في "لشدّته" متعلّق بقوله: (ذُكر).

قوله: (في الثغور) الثَّغر: موضع المخافة مِن فروج البلدان.

قوله: («لا[٢] يُفطر») متعلّق بـ(«صيام»).[٣] وقوله: («لا ينفتل»)[٤] بقيام.

قوله: (على جِسر جهنّم) الجِسر:[٥] ما يُعبَر به النهر مبنيًا كان أو غير مبنيّ. والفتح لغة.

---

١ د - إن ما توعدون من الحساب الموعود. قوله.

٢ ن + لا.

٣ ر - (لا يفطر) متعلّق بصيام.

٤ مسند ابن أبي شيبة، ٣٠٣/١ (٤٥٥)، المستدرك للحاكم، ٩٠/٢ (٢٤٢٢).

٥ ضُبطت الجيم في د بالكسرة والفتحة وكُتب فوقها: معًا.

وعنه عليه الصلاة والسلام: «مَن قرأ السورةَ التي يُذكر فيها آلُ عمران يومَ الجمعة صلَّى الله عليه وملائكتُه حتّى تجبَ الشمس».

قوله: («**حتّى تَجِب الشمس**»)[1] وجبت الشمس، أي: غابت.

تمّت سورة آل عمران بحمد الله تعالى ومنّه وتوفيقه. والله أعلم بالصواب.[2]

---

[1] **المعجم الكبير للطبراني، ١١/٤٨ (١١٠٠٢).**
[2] **ن ر – والله أعلم بالصواب.**

سورة النساء

مدنية، وهي مئة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ① وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ②﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: يا بني آدم.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: فرّعكم من أصلٍ واحدٍ وهو نفسُ آدمَ أبيكم.

فإنْ قلتَ: علامَ عُطف قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾؟

قلتُ: فيه وجهان:

سورة النساء[1]

بسم الله الرحمن الرحيم[2]

قوله: (**قلتُ: فيه وجهان**)... إلخ، على الوجه الأوّل يكون قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾ إلى ﴿نِسَآءً﴾ مع المحذوف الذي عطف هذا عليه في محلّ الجرّ صفة لـ﴿نفْسٍ﴾ كما أنّ قوله تعالى: ﴿وَٰحِدَةٍ﴾ صفة. والحاصل أنّه إن أريدَ بـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ بنو آدمَ جميعًا يكون قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾ عطفًا على محذوف بيانًا وتفصيلًا لكيفيّة خلقهم، ولا يكون عطفًا على قوله: ﴿خَلَقَكُم﴾، إذ التقدير

---

[1] ن – سورة النساء.

[2] ن + سورة النساء وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أحدهما: أن يُعطف على محذوفٍ؛ كأنّه قيل: ﴿مِن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ أنشأها أو ابتدأها ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾، وإنما حذف لدلالة المعنى عليه، والمعنى: شَعَّبكم من نفسٍ واحدةٍ هذه صفتُها وهي أنه أنشأها من تراب وخلقَ زوجها حَوَّاء من ضِلَعٍ من أضلاعها ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا﴾ نوعَي جنسِ الإنس وهما الذكور والإناثُ، فوصفها بصفةٍ هي بيانٌ وتفصيلٌ لكيفيّة خَلْقهم منها.

والثاني: أن يُعطفَ على ﴿خَلَقَكُم﴾ ويكون الخطاب في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ للّذين بُعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمعنى: ﴿خَلَقَكُم مِّن﴾ نفسِ آدمَ؛ لأنّهم من جملةِ الجنسِ المفرَّعِ منه، ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا﴾ أمَّكم حوَّاءَ ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾ غيرَكم من الأمم الفائتة للحَصْر.

فإن قلتَ: الذي يقتضيه سَدادُ نظم الكلام وجَزالتُه أن يُجاء عقيبَ الأمر بالتَّقوى ....

أنّ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ عامّ[1] للجميع، فيكون قد عُلم ممّا مرّ خَلْق الجميع منها، فلم يبقَ إلّا بيان كيفيّة خَلْقهم وتفصيلها. وأمّا إن أريدَ بـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ الذين بُعث إليهم الرسول فيكون عطفًا على قوله: ﴿خَلَقَكُم﴾، والمعنى حينئذ: خَلَقكم وخَلَق غيركم.

قوله: **(فوَصَفها)** عطف على جملة قوله: **(والمعنى: شعّبكم)**...[2] إلخ.

قوله: **(لأنّهم)** تعليل لصحّة التفسير الثاني، أي: وإذا[3] كانوا مِن جملة الجنس المفرّع / مِن آدمَ يصحُّ أن يقال: خلقكم مِن نفس آدم، وإن وُجد[4] [٢٨٦و]
الوسائط بينهم وبين آدم عليه السلام.[5]

قوله: **(للحصر)** اللام في "للحصر"[6] متعلِّق بالفائتة، أي: تفوت الحصر على مَن أراد أن[7] يحصره.

---

١ ن: كلام.
٢ ن: سعيكم.
٣ ن: إذا.
٤ ن ر: وجدوا.
٥ ن ر – عليه السلام.
٦ ن ر: ليحصر.
٧ ر – أن.

بما يُوجِبُها أو يدعو إليها ويَبعثُ عليها، فكيف كان خلقُه إيَّاهُم من نفسٍ واحدةٍ على التفصيل الذي ذكره موجبًا للتَّقوى وداعيًا إليها؟

قلتُ: لأنّ ذلك ممّا يدلُّ على القدرة العظيمة، ومَن قَدَر على نحوه كان قادرًا على كلِّ شيء، ....

قوله: (**بما يُوجِبها**)[١] كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج ١/٢٢].

قوله: (**فكيف كان؟**)، أي: فبيِّن لنا كيف يكون موجبًا لها وداعيًا إليها؟

قوله: (**قلتُ: لأنّ**) متعلِّق بمحذوف، أي: كان خَلْقُه كذلك موجبًا للتقوى؛ لأنّ ذلك.[٢]

قوله: (**ومَن قدر على نحوه[٣] كان قادرًا على كلّ شيء**) وذلك لأنّ الموجب لكونه قادرًا على بعض المقدورات ذاتُه تعالى، ونسبةُ ذاته إلى كلّ الممكنات على السويّة، وعلّة صحّة المقدوريّة كون المقدور ممكنًا، والإمكانُ مشترك بين جميع الممكِنات، فيكون تعالى[٤] قادرًا على جميع الممكِنات.

قوله: "على كلّ شيء" يريد على[٥] كلّ[٦] ممكِن، فهذا العامّ[٧] أراد به الخاصّ، كما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ٢٠/٢]، حيث أورد السؤال فقال: كيف قيل: "على كلّ شيء قدير"[٨] وفي الأشياء ما لا[٩] تعلُّق به للقادر كالمستحيل؟ وأجاب بأنّه مشروط في حدّ القادر ألّا يكون الفعل مستحيلًا، فالمستحيل مستثنًى في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلّها، فكأنّه قيل على كلّ شيء مستقيم قدير.[١٠] فلذلك قال المصنّف بعد قوله: "على كلّ شيء قدير":

---

١ ن: يوحها.
٢ أي: إلى آخر كلامه.
٣ ر: نحو.
٤ ر - تعالى.
٥ ر - على.
٦ ر + شيء.
٧ ن: العالم.
٨ ن ر - حيث أورد السؤال فقال: كيف قيل: على كلّ شيء قدير.
٩ ر - لا.
١٠ انظر: الكشّاف للزمخشري، (البقرة، ٢٠/٢).

ومن جملة المقدورات عِقابُ العُصاةِ، فالنظرُ فيه يؤدّي إلى أن يُتّقَى القادرُ عليه ويُخشَى عِقابُه؛ ولأنه يدلُّ على النِّعمة السابغة عليهم، فحقُّهم أن يتّقوه في كفرانها والتفريطِ فيما يَلزمُهم من القيام بشكرها.

أو أراد بالتَّقوى تقوَى خاصةً، وهي أن يتّقوه فيما يتّصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يَقطعوا ما يجب عليهم وَصْلُه، فقيل: اتَّقوا ربَّكم الذي وَصَل بينكم حيث جَعَلكم صِنوانًا مُفَرَّعةً من أَرُومةٍ واحدةٍ فيما يجب على بعضكم لبعضٍ، فحافِظوا عليه

(ومِن المقدورات) إشارةً إلى أنّ المراد بقوله: "على كلّ شيء"[١] هو الممكنات التي يصحّ أن تتعلّق به القدرة.

قوله: (في كفرانها)، أي: كفران النعمة.

قوله: (والتفريطِ)، أي: وفي التفريط.

قوله: (بشكرها)، أي: بشكر النعمة.

قوله:[٢] (أو أراد) عطف على محذوف، كأنّه قال أوّلًا: أراد بالتقوى تقوى عامّة، وبيّن[٣] كيفيّة كونِ الخَلْق موجبًا لها بالوجهين، ثمّ قال: "أو[٤] أراد"، وبيّن الكيفيّة بالمعنى المذكور هنا.

قوله:[٥] (صِنوانًا)[٦] جمع "صِنْو"، «إذا خرج نخلتان أو ثلاث فواحد منهنّ[٧] "صِنْوٌ" والاثنان "صنوانِ"[٨] والجمع "صنوانٌ"[٩] برفع النون».[١٠]

قوله: (مِن أرومة) قال في مجمل اللغة: الأرومة: الأصل. وأروم الشيء: أصله.[١١]

قوله: (عليه)، أي: على (ما يجب).

---

١ ر + قدير.

٢ ن ر – والتفريط، أي: وفي التفريط قوله: بشكرها، أي: بشكر النعمة. قوله.

٣ ن ر: وهي.

٤ ن: إن.

٥ ر + هنا.

٦ ن: صنوان.

٧ ر: منهم.

٨ ن – صنوان.

٩ ر – والجمع صنوانٌ.

١٠ الصحاح للجوهري، «صنا».

١١ لم أجده في مجمل اللغة. وهو بلفظ قريب في مقاييس اللغة لابن فارس، ٨٥/١، «صنا».

ولا تغفلوا عنه، وهذا المعنى مطابقٌ لمعاني السورة.

وقرئ: "وخالقٌ منها زوجها وباثٌّ منهما" بلفظ اسم الفاعل، وهو خبرُ مبتدأ محذوف تقديره: وهو خالقٌ.

﴿تَسَّاءَلون به﴾: تتساءلون به، فأُدغمت التاء في السين، وقرئ: ﴿تَسَآءَلُونَ﴾ بطرح التاء الثانية؛ أي: يَسأل بعضُكم بعضًا بالله وبالرحم، فيقول: «بالله وبالرَّحِم افْعَلْ كذا» على سبيل الاستعطاف، و: «أناشدُكَ اللهَ والرَّحِمَ».

أو: تسألون غيركم بالله والرَّحِم، فقيل: «تَفَاعلون» موضعَ «تَفعلون» للجمع؛ كقولك: رأيتُ الهلالَ وتَراءيْناه، وتَنْصُره قراءةُ مَن قرأ: "تَسْألون به"، مهموزًا وغير مهموز.

وقوله: (عنه)،[1] أي: عن "ما يجب".

قوله: (فقيل: "تفاعَلون" موضع "تفعلون") هذا مِن تتمّة قوله: (تسألون غيرَكم)، وليس وجهًا آخرَ غيره، فهو عطف على محذوف، أي: "أراد تسألون غيركم". فقيل: وإنّما قلنا: تقديره "أراد تسألون غيركم"، لأنّه على عطف على قوله: (أي: يسأل بعضكم بعضًا)، وهو في معنى "أراد: يسأل بعضكم بعضًا". وقوله: (للجمع)، يعني أنّ أصل "تفاعَل" أن يكون[2] للمشاركة، وذلك إنّما يكون بين الجمع لا محالةَ، فاستُعمل للنسبة إلى الجمع مِن غير المشاركة.

قوله: (وتراءينا) وإن لم يكن مشاركة. قال رحمه الله:[3] سمعت مِن العرب مَن يقول: تباصرته، أي: أبصرتُه. واعلم أنّ هذا المنقول مِن المصنّف غيرُ المعنى المذكور في المتن، وهو مثل "ونيتُ وتوانيتُ".

قوله: (على سبيل الاستعطاف) القسم جملة إنشائية يؤكَّد بها جملة أخرى، فإن كانت خبريّة فهو القسَم لغير الاستعطاف، وإن كانت طلبيّة فهو القسَم للاستعطاف.

---

[1] ن ر: عن.
[2] ن ر – أن يكون.
[3] ن ر: رضي الله عنه.

وقرئ ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ بالحركات الثلاث:

فالنصبُ على وجهين: إما على: «واتَّقوا اللهَ والأرحامَ»، أو أن تُعطفَ على محلِّ الجارِّ والمجرور كقولك: مررتُ بزيد وعمرًا، وينصره قراءةُ ابن مسعود: "تَسْألون به وبالأرحام".

والجرُّ على عطف الظاهر على المضمَر، وليس بسديدٍ؛ لأن الضمير المتَّصل متَّصلٌ كاسْمه، والجارُّ والمجرور كشيءٍ واحدٍ، فكانا في قولك: "مررتُ به وزيدٍ" و: "هذا غلامُه وزيدٍ" شديدَي الاتِّصال، فلمَّا اشتدَّ الاتِّصال لتكرُّره أشبَهَ العطفَ على بعضِ الكلمة فلم يَجُزْ، ووجب تكريرُ العامل كقولك: "مررتُ به وبزيدٍ"، و"هذا غلامُه وغلامُ زيدٍ"، ألا ترى إلى صحَّة قولك: "رأيتُك وزيدًا"، و"مررتُ بزيدٍ وعمرٍو" لمَّا لم يقوَ الاتِّصال؛ لأنه لم يتكرَّر، ....

[٢٨٦ظ] قوله: / (إمّا على "واتّقوا اللهَ والأرحامَ")،[١] أي: اتّقوا حقَّ الأرحام وصِلوها ولا تقطعوها.

قوله: (كقولك: مررتُ بزيد وعمرًا)، أي: جزتُ زيدًا.

قوله:[٢] (متّصل كاسمه) هذا كما يقال: "هو شجاع كاسمه" للمسمّى بشجاع، وكما قيل: "لا زالَ كاسمه[٣] مسعودًا" للمسمَّى بمسعود.

قوله: (فلمّا اشتدّ الاتّصال)،[٤] يعني: اجتمع الاتّصالان أحدهما أنّه ضمير متّصل، والثاني أنّ الجارّ مع المجرور والمضاف مع المضاف إليه كشيء واحد، وإذا وقع الاتصال وتكرّر مِن جهتين صارت الهاء كحرف مِن الكلمة فلا يجوز العطف، بخلاف المنصوب المتّصل لأنّه لم يتكرر الاتّصال، وبخلاف المجرور الظاهر لذلك.[٥]

قوله: (لمّا لم يقوَ الاتصال)، أي: "صحّ"، فحُذف لدلالة (ألا ترى إلى صحّة قولك). والظاهر أنّه لا حاجةَ إلى هذا التقدير؛ لأنّ "لمّا" ظرف لقوله: "صحّة".

---

١ ن - ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾.

٢ ر - مررتُ بزيد وعمرًا)، أي: جزتُ زيدًا. قوله.

٣ ن ر - هذا كما يقال: "هو شجاع كاسمه" للمسمّى بشجاع، وكما قيل: "لا زالَ كاسمه.

٤ ن ر - (فلمّا اشتدّ الاتّصال).

٥ يعني أنّ الاسم الظاهر المجرور يجوز العطف عليه من غير إعادة الجارّ، لأنّ الاتّصال لم يتكرّر فيه.

وقد تُمحِّلَ لصحَّة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجارِّ، ونظيرُها قولُ الشاعر:

فـاليـومَ قـرَّبْـتَ تـهجونا وتَـشْـتِـمُـنـا فاذْهَبْ فما بكَ والأيـامِ من عَجَب

والرفعُ على أنه مبتدأ خبرُه محذوف؛ كأنه قيل: والأرحامُ كذلك، على معنى: والأرحامُ مما يُتَّقَى، أو: والأرحامُ مما يُتَسَاءل به.

والمعنى: أنّهم كانوا يُقرُّون بأنَ لهم خالقًا، وكانوا يتساءلون بذكر الله والرَّحِم، فقيل لهم: اتَّقوا الله الذي خلَقكم، واتَّقوا الذي تتناشَدونَ به، واتَّقوا الأرحامَ فلا تَقْطعوها، أو: واتَّقوا الله الذي تتعاطفُون بإذْكاره وبإِذْكار الرَّحِم،

قوله: (**وقد تُمحِّل**)، أي: تُكلِّف وتُعسِّف.

قوله: (**على تقدير تكرير الجارّ**) يرتفع[١] قبح العطف، لكن يلزم قبحٌ آخرُ وهو إضماره. قال رحمه الله:[٢] والتحقيق أنّه لمّا عُلم وشُهر بدليل الاستقراء والقياس لم يَخْفَ على أحد أنّه لا بدّ منه إمّا منطوقًا به وإمّا مقدَّرًا، فإن لم يكن منطوقًا به لم يكن بدّ مِن التقدير، والمقدّر كالمنطوق به.[٣] ويحتمل أن يكون ﴿وَالأَرْحَامِ﴾[٤] مجرورًا على القسم، وجوابُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

قوله: (**على معنى والأرحامُ ممّا يُتقى**) يريد إذا قُرئ بالرفع[٥] يكون الخبر محذوفًا، وهو "ممّا يُتقى"، بدليل قراءة النصب،[٦] أو هو "ممّا يتساءل به" بدليل قراءة الجرّ.

قوله: (**والمعنى أنّهم**) يعني مِن أوّل السورة إلى هنا.

قوله: (**أو واتّقوا الله الذي**) ذكر المعنى على القراءة بالنصب والجرّ، وتَرَك الرفع لعَوده إلى أحد المعنيين كما مرّ.

---

١ ن: يقع.

٢ ر: رضي الله عنه.

٣ ن ر - به.

٤ قرأ بها حمزة. النشر لابن الجزري، ٢/٢٤٧.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد النحوي. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٦٣٨.

٦ قرأ العشرة بالنصب إلّا حمزة. **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٤٧.

وقد آذَنَ الله عزَّ وعلا إذْ قَرَنَ الأرحامَ باسمه أنَّ صِلَتَها منه بمكانٍ كما قال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء ٢٣/١٧].

وعن الحسن: إذا سألك بالله فأَعْطه، وإذا سألك بالرَّحِم فأعْطِه، وللرَّحم حُجْنَةٌ عند العرش.

ومعناه: ما رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنه: الرَّحِمُ مُعلَّقةٌ بالعرش، فإذا أتاها الواصلُ بَشَّتْ به وكلَّمَتْه، وإذا أتاها القاطعُ احتجبَتْ منه.

وسُئِل ابن عُيينة عن قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «تخيَّرُوا لِنُطَفِكم» فقال: يقول: لأولادكم، وذلك أن يَضَع ولَده في الحَلال، ألم تسمعْ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾؟ وأوَّلُ صلته أن يختار له الموضعَ الحلال فلا يقطعَ رحمَه ولا نَسَبه فإنَّما للعاهر الحجرُ، ثمَّ يختارَ الصَّحَّة ويجتنبَ الدِّعوَةَ، ولا يَضَعه موضع سَوءٍ يتَّبعُ شَهوتَه وهواه بغير هدًى من الله.

قوله:[١] (باسمه)، أي: باسم الله.

قوله: (أنّ صلتها)، أي: بأنّ صلتها،[٢] فحُذف الجارّ، وهو متعلق بـ(آذن).

وقوله: (منه)، أي: مِن الله.

قوله: (حُجنةٌ)،[٣] أي: تعلُّق.

قوله: (فإذا أتاها)، أي: يوم القيامة.

قوله: (فإنّما للعاهر[٤] الحَجَر) في الحديث: «الولدُ للفراش وللعاهر الحَجَر».[٥] والعُهر: الزنا، فالزاني يقطع نسبه.

قوله: (يختار الصحّة)، أي: صحّة النسب ويجتنب كون الولد دعيًّا.

قوله: (الدِّعوة) بكسر الدال في النَّسب.

---

١ ن ر – قوله.

٢ ر – صلتها.

٣ ن: عنه.

٤ ن: للعاهن.

٥ صحيح البخاري، ٥٤/٣ (٢٠٥٣)؛ صحيح مسلم، ١٠٨٠/٢ (١٤٥٧).

﴿ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ﴾: الذين ماتَ آباؤهم فانفردوا عنهم، واليُتم: الانفراد، ومنه: الرَّمْلةُ اليَتيمةُ، والدُّرَّةُ اليتيمةُ، وقيل: اليُتْمُ في الأَناسيِّ من قِبَل الآباء، وفي البهائمِ من قبل الأمَّهات.

فإن قلتَ: كيف جُمع اليَتِيمُ -وهو فعيلٌ كمريضٍ- على يَتَامَى؟

قلتُ: فيه وجهان:

أن يُجمع على "يَتْمَى" كأَسْرى؛ لأنَّ اليُتْم من وادِي الآفات والأوجاع، ثمَّ يُجمعَ "فَعْلى" على "فَعَالى" كأَسارى.

ويجوز أن يُجمع على "فعائل" لجَرْيِ اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحبٍ وفارسٍ، فيقال: "يَتَائِمُ" ثمَّ "يتامى" على القلب.

قوله: **(ومنه الرَّمْلة اليتيمة)** وهي الرملة المنفردة، أي: الكثيب مِن الرمل[١] الذي[٢] ليس إلى جنبه كثيب آخرُ.

قوله: **(والدُّرّة اليتيمة)**، أي: التي ليس لها شبيه.

قوله: **(ويجوز أن يُجمَع على "فعائل")** فإنّ فعيلًا الاسم يجمع كذا كـ"أفيل وأفائل".[٣]

قوله: **(فيقال: يتائم)** أنشد جار الله قال: أنشدني الشريف[٤] لبِشر[٥] النجدي:

أأطلالَ جَسْرٍ[٦] بالبِراق اليتائم سلامٌ[٧] على أحجاركنَّ القدائمِ[٨]

---

١ ر + أي.

٢ ن - الذي.

٣ الأفائل: صغار الإبل. **الصحاح** للجوهري، «صنا».

٤ الظاهر أنّه يعني به الأمير ابن وهّاس، ومضى ذِكره.

٥ ن: بشر.

٦ ن د ر: حسر. | وهو خطأ.

٧ ن - سلام.

٨ ما وقفتُ على البيت فيما بين يديّ من المظانّ السابقة على الجاربردي، وهو مع كلام الزمخشري قبله في **فتوح الغيب** للطيبي، ٤/٤١٤. وفي مطبوعه «حُسنٍ» مكان «جسر». وجَسْر هو النخَع. وهو جَسْر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد. حيّ من كهلان من القحطانيّة، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل: النخع. وسُمّي النخع لأنّه انتخع عن قومه، أي: بعد عنهم. انظر: **جمهرة أنساب العرب** لابن حزم، ص ٤١٤؛ **ونهاية الأرب** للقلقشنديّ، ص ٧٦-٧٧.

وحقُّ هذا الاسم أن يقع على الصِّغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء، إلّا أنَّه قد غَلب أن يُسَمَّوا به قبلَ أن يبلغوا مبلغَ الرِّجال، فإذا استَغْنَوا بأنفسهم عن كافلٍ وقائمٍ عليهم وانتصبوا كُفاةً يكْفُلونَ غيرهم ويقومون عليهم زلَّ عنهم هذا الاسم.

وكانت قريشٌ تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "يتيمُ أبي طالب" إمّا على القياس، وإمّا حكايةً للحال الّتي كان عليها صغيرًا ناشئًا في حَجْر عمّه؛ توضيعًا له.

وأمّا قوله عليه السَّلام: «لا يُتمَ بعد الحُلم»، فما هو إلا تعليمُ شريعةٍ لا لغةٌ، يعني: أنّه إذا احتَلَم لم تُجْرَ عليه أحكامُ الصِّغار.

فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾؟

"بِراقٌ" جمع بُرقةٍ، وهي: المكان الذي فيه حجارة[1] سُود[2] وبيض. "جَسْر": اسم امرأة. قال في **مجمل اللغة**: «جَسْر[3] قبيلة».[4]

قوله: **(قد غلب)** وكان سبب تلك الغلبة أنّه إنّما يظهر أثر الانفراد في صِغَره دون كِبَره.

قوله: **(صغيرًا)** حال مِن الضمير في **(كان)**، أو مِن المستتر في **(عليها)**، وهو الوجه.

[٢٨٧و] قوله: **(في حجْر)** / "حجْر الإنسان" بالفتح والكسر.

قوله: **(توضيعًا)** مفعول له مِن قوله: **(حكاية)**، والتوضيع: النسبة إلى الضَّعة، وهي: الدناءة. والوضيع: الدنيّ مِن الناس. يقال: في حسَبه ضَعة وضِعة، والهاء عِوَض مِن الواو.[5]

وقوله: **(فإن قلتَ: فما معنى؟)** هذا السؤال متعلِّق بقوله: قد غَلَب أن يُسمُّوا به قبل أن يبلغوا، يعني: إذا كان المراد ذلك فكيف قيل: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾؟ ولا يجوز الإيتاء قبل البلوغ.

---

١ ن: الحجارة.

٢ ن: سودة.

٣ ن د ر: حسر.

٤ **مجمل اللغة** لابن فارس، ١٨٩/١ «جسر».

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «وضع».

قلتُ: إمَّا أن يرادَ باليتامى الصغارُ، وبإيتائهم الأموالَ: أن لا يَطمعَ فيها الأولياءُ والأوصياءُ وولاةُ السُّوء وقضاتُه، ويَكُفُّوا عنها أيديَهم الخاطفَةَ حتَّى تأتيَ اليتامى إذا بلغوا سالمةً غيرَ مَحذوفة، وإمَّا أن يراد الكبارُ تسميةً لهم يتامَى على القياسِ، أو لقُرْب عَهْدهم -إذا بلغوا- بالصِّغر؛ كما تُسمَّى النَّاقةُ عُشراءَ بعد وَضْعِها، على أنَّ فيه إشارةً إلى أنْ لا يُؤخِّر دَفْعُ أموالهم إليهم عن حدِّ البُلوغ، ولا يُمْطَلوا إنْ أُونِس منهم الرُّشدُ، وأنْ يُؤتَوْها قبل أن يزلَّ عنهم اسمُ اليتامى والصِّغار.

قوله: (**حتَّى تأتي**)، أي: الأموال.

قوله: (**غير محذوفة**)، أي: منقوصة.

قوله: (**عُشَراء**) العُشَراء: «الناقة التي أتتْ عليها مِن يوم أُرسِل فيها الفحل عشرةُ أشهر،[1] وزال عنها المخاض، ثمّ لا يزال ذلك اسمها حتّى تضع، وبعدما تضع أيضًا. ويقال: ناقتان عُشراوان، ونُوق عِشار».[2]

قوله: (**أو لقُرب**) عطف على قوله: (**على القياس**).[3]

وقوله: (**إذا**) ظرف لـ"القرب".

وقوله: (**بالصِغر**) متعلِّق بـ"العهد".

وقوله: (**على أنّ**) متعلِّق بـ"التسمية"، والمعنى أنّهم سمّوا يتامى؛ لأنّهم قريب العهد بالصِّغر وقتَ البلوغ، فأشيرَ بإطلاق اسم اليتيم عليهم إلى أنّه يجب إيتاء المال إليهم إذا بلغوا مِن غير تأخير ولا مَطل؛ بل قبل أن يزول عنهم هذا الاسم. والأصوبُ أنّه مِن حيث المعنى متعلِّق بقوله: "لقرب"، أي: بناءً على أنّ فيه إشارة. و"ما" في (**كما**) مصدريّة، أي: تسميةً لهم تسميةً مثلَ تسمية.[4]

قوله: (**قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار**)، أي: في العُرف.

قوله: (**لقُرب عهدِهم**) العهد: الوصية والعقد[5] واللقاء، ومنه قولهم: متى عهدك

---

[1] ن ر - الناقة التي أتتْ عليها مِن يوم أُرسِل فيها الفحل عشرةُ أشهر.

[2] **الصحاح** للجوهري، «عشر».

[3] ن ر + وقوله: (على أنّ) متعلِّق بـ"التسمية"، والمعنى.

[4] ن - مثل تسمية.

[5] ن: والعهد.

وقيل: هي في رجلٍ من غطفان كان مَعَه مالٌ كثير لابن أخٍ له يتيمٍ، فلمَّا بلغ طلبَ المال فمنَعه عمُّه، فترافَعَا إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فنزلت.

فلمَّا سمعها العمُّ قال: أطَعْنا الله وأطعنا الرَّسول، نعوذ بالله من الحُوب الكبير! فدفع ماله إليه، فقال النَّبيُّ عليه السَّلام: «ومَن يُوقَ شُحَّ نفسه ويُطِعْ ربَّه هكذا فإنَّه يُحَلُّ دارَه» يعني: جنَّتَه، فلما قُبض ألَفَوْا مالَه أنفقَه في سبيل الله، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «ثبَتَ الأجرُ ثَبَتَ الأجرُ وبقي الوِزْرُ» قالوا: يا رسول الله! قد عَرفْنا أنه ثبَتَ الأجر، فكيف بقي الوزر وهو يُنفِق في سبيل الله؟! فقال: «ثبت أجرُ الغلام وبقي الوِزر على والده».

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾: ولا تستبدلوا الحرامَ -وهو مالُ اليتامى-

---

بفلان؟ أي: متى عهدتَه؟ ومتى عهدُك بالخفِّ؟ أي: بلبْسه، يعني: متى لبسته؟ ويظهر لك مِن هذا أنّ الباء في قول المصنِّف: "بالصِغر" متعلِّق بقوله: "عهدِهم" لا بقوله: "قُرب". و"إذا" ظرف "القرب" لا "العهد"؛[١] لأنّ عهدهم بالصِّغر لا يكون في وقت بلوغهم؛ بل هو قريب مِن وقت بلوغهم، والفصلُ بينهما جاز لأنّ "عهدهم" معمول "قُرب"، لأنّه فاعله مِن حيث المعنى أضيفَ إليه.

قوله: (وقيل هي) سببُ النزول.

قوله: («على والده»)[٢] لأنّ والده كان مشرِكًا.

قوله: (فتأكلوه مكانَه)، أي: فتأكلوا مالَ اليتيم مكانَ مالكم. "فتأكلوا" جزم عطفٌ على (تستبدلوا) أو نصب جوابُ النهي. وحاصل هذا المعنى أنّكم متمكّنون[٣] مِن اكتساب المال بالوجه الذي أباحه الله تعالى، فلا تتركوا ذلك منحرفين[٤] ما[٥] يلين[٦] إلى الطمع في مال اليتامى وأكلِه بدل ما كان يُمكنكم

---

١ ن + له العهد.

٢ الحديث بلفظ قريب في أسباب النزول للواحدي، ص ١٤٦؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٥٩/٢ (النساء، ٢/٤).

٣ ن: تتمكّنون.

٤ ن: منخرقين.

٥ ن – ما.

٦ ن: مائلين.

بالحلال وهو مالُكم وما أُبيح لكم من المكاسب ورِزقِ الله المبثوثِ في الأرض فتأكلوه مكانَه، أو: لا تستبدلوا الأمرَ الخبيثَ وهو اختزالُ أموال اليتامى بالأمر الطَّيِّب وهو حفظها والتَّورُّعُ منها.

والتَّفعُّل بمعنى الاستِفعال غيرُ عزيز، منه التَّعجُّل بمعنى الاستِعجال، والتأخُّرُ بمعنى الاستِئخار؛ قال ذو الرُّمَّة:

فيا كَرَمَ السَّكْنِ الَّذين تحمَّلوا عن الدَّار والمستَخلَفِ المتبَدَّلِ

أراد: ويا لُؤم ما استخلفَتْه الدَّار واستبدلَتْه.

من أكل ما اكتسبتموه حلالًا طيبًا مِن أنواع الرزق الذي فرّقه الله تعالى[1] في الأرض. و(المبثوث): المتفرِّق.

قوله: (اختزالُ) الاختزال: الاقتطاع، يقال: اختزله عن القوم.[2]

قوله: (والتورُّع منها) تورَّع مِن كذا، أي: تحرَّج.

قوله:

(فيا كَرَمَ السَّكْن الذين تحمّلوا عن الدار والمستخلَفِ المتبدَّلِ)[3]

"السَّكْن": أهل الدار. و"تحمَّلوا"، أي: ارتحلوا. و"المتبدَّل":[4] المستخلَف، أي: الذي استُبدل مِن البقر والظباء.[5] والمعنى يا كَرَم[6] سكّان الدار ويا لؤم مَن استخلفَتْه الدار.[7] والمنادى محذوف، والتقدير: يا قوم انظروا كرمَ سكّان / الدار[8] الذين ارتحلوا، وانظروا لؤمَ مَن استخلفَتْه الدار واستبدلَتْه. حاصل معنى البيت أنّه ارتحل عن الدار مَن كان فيه خيرٌ وبقي مَن لا خيرَ فيه. [٢٨٧ظ]

---

١ ن - تعالى.

٢ ر: للقوم.

٣ البيت لذي الرُّمّة في ديوانه بشرح الباهلي، ١٤٦٥/٣؛ وهو له في غريب الحديث لأبي عبيد، ٣٤٣/٤؛ والصحاح للجوهري، «سكن»؛ والفائق للزمخشري، ١٩١/٢.

٤ ر: المبتذل.

٥ انظر: ديوان ذي الرُّمّة بشرح الباهلي، ١٤٦٥/٣.

٦ ن ر: كريم.

٧ ن ر: أراد.

٨ ن ر - والمنادى محذوف، والتقدير: يا قوم انظروا كرمَ سكّان الدار.

وقيل: هو أن يُعطيَ رَديئًا ويأخذَ جيِّدًا.

قوله: **(هو أن يُعطيَ رديئًا)**، أي: يُعطيَ[١] اليتيم رديئًا **(ويأخذ جيِّدًا)** مِن ماله. ثمّ ذكر المصنّف أنّه نُقل عن السُّدّي هذا الوجه، فإنّه قال: "معناه أن يجعل الوليُّ شاةً مهزولة في مال اليتيم مكانَ شاة سمينة".[٢] ثمّ ردّ المصنّف هذا القول بقوله: "وهذا ليس بتبدّل إنّما هو تبديل"، يعني: لا تدلّ الآيةُ على هذا الوجه إذ المعنى على هذا الوجه لا تعطوا اليتيم الخبيثَ، فيكون هذا معنى[٣] التبديل لا معنى التبدُّل؛ لأنّ معنى التبدُّل الأخذ، ومعنى التبديل[٤] الإعطاء.

وأقول: يؤيِّد ما قاله المصنّف قولُ الجوهري: تبدَّل الشيءَ بغيره، أي: أخذه مكانَه. وبدَّله الله مِن الخوف أمنًا، أي: أعطاه الأمن مكانَ الخوف. ثمّ أشار المصنّف إلى أنّه يمكن توجيه هذا الوجه المنقول عن السُّدّي وعن غيره،[٥] بأن قال: "إلّا[٦] أن يُكارم[٧] صديقًا له"، يعني: يمكن تصحيح قولِ السُّدّي وغيره بأن يقال:[٨] صورةُ المسألة أن يعطيَ الوليُّ صديقه طيّبًا،[٩] أي: شاة سمينة حسنة مِن مال اليتيم ويأخذ بدله لأجل اليتيم خبيثًا، أي: عجفاء، فمِن حيث إنّ الوليّ أخذ الخبيث مِن صديقه قال تعالى: ﴿لَا تَتَبَدَّلُوا﴾ بلفظ التبدُّل، ومِن حيث إنّ الوليّ[١٠] أعطى اليتيم هذا المأخوذ الخبيث فسّره السُّدّي وغيره بأن يُعطيَ رديئًا. فافهمْ، فإنّه دقيق لطيف.[١١] وممّا يدل أنّ التبدُّل بمعنى الأخذ قولُ الشاعر:

يا أهلَ نَوْبَخْتَ لا عدمتُكم ... ولا تبدَّلتُ بعدكم بدلا[١٢]

---

[١] ر - رديئًا)، أي: يُعطيَ.

[٢] بلفظ قريب في **جامع البيان** للطبري، ٣٥٢/٦ (النساء، ٢/٤)؛ و**معالم التنزيل** للبغوي، ١٦٠/٢ (النساء، ٢/٤).

[٣] ر + هذا معنى.

[٤] ن ر - لا معنى التبدُّل؛ لأنّ معنى التبدُّل الأخذ، ومعنى التبديل.

[٥] رُوي عن النخَعي والزهري والضحّاك. انظر: **جامع البيان** للطبري، ٣٥٢/٦ (النساء، ٢/٤).

[٦] ر - إلا.

[٧] ن: مكارم.

[٨] ن - يقال.

[٩] ن: ظبيًا.

[١٠] ن - أخذ الخبيث مِن صديقه قال تعالى: ﴿لَا تَتَبَدَّلُوا﴾ بلفظ التبدُّل، ومِن حيث إنّ الوليّ.

[١١] ن - لطيف؛ ر: دقيق.

[١٢] البيت لابن الرومي في ديوانه، ١٩٥٤/٥؛ وهو له في **أسرار البلاغة** للجرجاني، ص ٣٠٣.

وعن السُّدِّيِّ: أن يجعل شاةً مهزولةً مكان سمينةٍ.

وهذا ليس بتبدُّلٍ إنَّما هو تبديل، إلَّا أن يكارِم صديقًا له فيأخذَ منه عجفاءَ مكان سمينةٍ من مال الصبيّ.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾: ولا تُنفقوها معها، وحقيقتُه: ولا تَضمُّوها إليها في الإنفاق حتَّى لا تفرِّقوا بين أموالكم وأموالهم؛ قلَّةَ مُبالاةٍ بما لا يَحلُّ لكم، وتسويةً بينه وبين الحلال.

فإن قلتَ: قد حُرِّم عليهم أكلُ مال اليتامى وحده ومع أموالهم، فلِمَ ورَدَ النَّهي عن أكله معها؟

قوله: (**أن يجعل شاةً مهزولة**)،[1] أي: يعطيه عند الإنفاق شاةً مهزولة[2] مثلًا[3] ويُحاسِب عليه بالشاة السمينة، فهذا هو المنهيُّ[4] عنه.

قوله: (**وهذا ليس بتبدُّل**)، يعني لا تدلّ الآية عليه. التبدُّل: هو أن يأخذ شيئًا لنفسه ويعطيَ آخرَ مكانه. والتبديل: التغيير، وهو أن يضع شيئًا مكان شيء. يقال: بدّلت وما تبدّلت.[5]

وقوله: (**إنّما هو تبديل**) لأنّه ما أخذ لنفسه.

قوله: (**إلّا أن يُكارِم صديقًا**) لأنه كأنّه أخذ لنفسه إلّا أن يُكارِم صديقًا[6] له بأن يشتري لأجل اليتيم شاةً مِن صديقه، ثمّ عند أخذِه وقبضِه لأجل اليتيم أخذ العجفاء مكانَ السمينة محافظةً وإكرامًا على صديقه، فهذا هو التبدُّل المنهيُّ عنه.

قوله: (**مِن مال الصبيّ**) بأن يُعطيَ سمينة مِن مال الصبيّ صديقه ويأخذ منه عجفاءَ للصبيّ.

قوله: (**فلِمَ ورد النهيُ؟**)، أي: لِمَ اختصّ ورود النهي بذلك.

---

١ مضى تخريجه آنفًا.

٢ ن ر – أي: يعطيه عند الإنفاق شاةً مهزولة.

٣ ر: بدلًا.

٤ ن ر: المنتهي.

٥ من قوله: "التبدُّل" إلى هنا في أصله تعليق كتبه الزمخشري، بحسب ما ذكر شهاب الدين الخزّافي ونُقل من خطّه. انظر: هامش مخطوط الكشّاف (نسخة آيا صوفيا، رقم ٢٤٧)، ٣ظ.

٦ ن ر – لأنّه كأنّه أخذ لنفسه إلّا أن يُكارِم صديقًا.

قلتُ: لأنّهم إذا كانوا مستغنِينَ عن أموال اليتامى بما رَزَقَهم الله من مالٍ حلال، وهم على ذلك يطمعون فيها، كان القبحُ أبلغَ والذَّمُّ أحقَّ؛ ولأنهم كانوا يفعلون كذلك فنُعِيَ عليهم فِعلهم وسُمِّع بهم ليكونَ أزجَرَ لهم.

والحُوبُ: الذَّنب العظيم، ومنه قولُه عليه الصَّلاة والسَّلام: «إنَّ طلاق أمّ أيوبَ لَحُوبٌ»؛ فكأنّه قيل: إنّه كان ذنبًا عظيمًا كبيرًا.

وقرأ الحسن: "حَوْبًا" بفتح الحاء، وهو مصدرُ حابَ حَوبًا.

وقرئ: "حابا".

ونظيرُ الحَوْبِ والحابِ: القَوْلُ والقالُ، والطَّرْدُ والطَّرَدُ.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ③﴾

ولمّا نزلت الآيةُ في اليتامى وما في أكل أموالِهم من الحُوب الكبير خافَ الأولياءُ أن يَلحقَهم الحُوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى، وأخَذُوا

قوله: (فنُعِيَ عليهم)، أي: عِيب.[١]

قوله: (وسُمِّع بهم) سُمِّع به، أي: شُهِّر. وفي الحديث: «مَن فعل كذا سَمَّع الله به أسامِعَ[٢] خلقِه يوم القيامة».[٣] والتسميع: التشنيع.

قوله: (ومنه قوله عليه السلام:[٤] «إنّ طلاق أمّ أيوب لحُوب»)[٥] "أم أيوب"[٦] هي امرأة أبي أيوب، نزيلة رسول الله عليه السلام،[٧] فأيوب اسم الولد، فيكنّى به الأب تارة[٨] والأم أخرى. وهذا تغليظ على أبي أيوب في طلاق امرأته؛ لأنّ فيه فواتَ اللطف / عنه. وإنّما أثّمه في طلاقها لأنّها كانت مُصلِحة له في دينه. [٢٨٨و]

---

[١] ر: عتب.
[٢] ر: أو سامع.
[٣] بلفظ قريب في صحيح البخاري، ١٠٤/٨ (٦٤٩٩)؛ وصحيح مسلم، ٢٢٨٩/٤ (٢٩٨٦).
[٤] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
[٥] المعجم الكبير للطبراني، ١٩٥/١٢ (١٢٨٧٦).
[٦] ن - لحوب أم أيوب.
[٧] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
[٨] ر - تارة.

يتحرَّجُون من ولايتهم، وكان الرَّجل منهم ربَّما كان تحته عشرٌ من الأزواج والثَّمان والسِّتُّ فلا يقومُ بحقوقهنَّ، ولا يَعْدل بينهنَّ، فقيل لهم: إن خفتُم تركَ العَدْلِ في حقوق اليتامى فتحرَّجْتم منها فخافوا أيضًا تركَ العَدْل بين النِّساء فقَلِّلوا عددَ المنكوحات؛ لأنَّ مَن تحرَّجَ من ذنبٍ أو تابَ عنه وهو مُرتكبٌ مثلَه فهو غيرُ متحرِّجٍ ولا تائبٍ؛ لأنَّه إنَّما وجب أن يُتحرَّجَ من الذَّنب ويتابَ عنه لقبحه، والقبحُ قائمٌ في كلِّ ذنب.

وقيل: كانوا لا يتَحرَّجون من الزِّنا وهم يتحرَّجون من ولاية اليتامى، فقيل لهم: إن خفتُم الجَور في حقِّ اليتامى فخافوا الزِّنا، فانكحوا ما حلَّ لكم من النِّساء ولا تحومُوا حولَ المحرَّمات.

وقيل: كان الرَّجل يَجدُ اليتيمةَ لها مالٌ وجمالٌ، أو يكونُ وليَّها، فيتزوَّجها ضِنًّا بها عن غيره، فربَّما اجتمعتْ عنده عشرٌ منهنَّ فيُخاف لضعفهنَّ وفَقْدِ مَن يغضب لهنَّ أن يَظلمهنَّ حُقوقهنَّ، ويفرِّطَ فيما يجبُ لهنَّ، فقيل لهم: ﴿إنْ خِفْتُم أن لا تُقْسِطوا﴾ في يتامى النِّساء ﴿فَانكِحُوا﴾ من غيرهنَّ ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾.

ويقال للإناث: "اليتامى"، كما يقال للذُّكور، وهو جمعُ يتيمةٍ على القلب كما قيل: "أيامى"، والأصل: "أيائم" و"يتائم".

قوله: **(فتحرّجتُم)** الفاء[1] للعطف على الشرط، وفي **(فخافوا)** فاء الجزاء، لأنّ "خافوا" أمر.

قوله: **(وهو مرتكِب مثلَه)** هو مذهب أبي هاشم، فإنّه قال: التوبة عن بعض الذنوب دون بعضها غيرُ صحيحة. وعند أهل السنّة صحيحة.[2]

قوله: **(لضعفهنّ)**[3] الضعف:[4] بفتح الضاد في العقل، وبضمّها في البدن.

قوله:[5] **(كما قيل: أيامى)** «لأنّ الواحد "رجل أيّم" سواءٌ كان تزوّج مِن قبل

---

[1] ر: النسا.

[2] انظر تفصيل المذهبين في الإرشاد للجويني، ص ٤٠٥-٤٠٦.

[3] ن: أضعفهن.

[4] ن: أضعف.

[5] ن + كما فعل. قوله.

وقرأ النَّخعي: "تَقْسِطوا" بفتح التّاء على أنَّ "لا" مزيدةٌ مثلُها في ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد ٢٩/٥٧]، يريد: وإنْ خفتُم أن تَجُوروا.

﴿مَا طَابَ لَكُم﴾: ما حلَّ لكم من النِّساء؛ لأنَّ منهنَّ ما حُرِّم كاللَّاتي في آيةِ التَّحريم.

وقيل: ﴿مَا﴾ ذهابًا إلى الصِّفة؛ ولأنَّ الإناث من العقلاء يُجْرَيْنَ مُجرى غيرِ العقلاء، ومنه قولُه تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء ٣/٤].

﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ معدولةٌ عن أعدادٍ مكرَّرة، وإنما مُنعت الصَّرفَ لِمَا فيها

أو لم يتزوّج، و"امرأة[1] أيِّم" أيضًا بِكرًا كانت أو ثيِّبًا. والأيامى: الذين لا أزواجَ لهم مِن الرجال والنساء».[2]

قوله: (وقرأ النخعي: "تَقْسِطُوا"[3] بفتح التاء) القِسط بالكسر: العدل. تقول منه: أقسَط الرجل فهو مُقسط. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات ٩/٤٩]، وعلى هذه القراءة "لا" في ﴿لا تُقْسِطُواْ﴾ ليست بزائدة. و«القُسوط: الجور والعدول عن الحقّ. وقد قَسَط يقسِط قسوطًا. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن ١٥/٧٢]»،[4] وعلى هذه القراءة "لا" زائدة.

قوله: (ذهابًا إلى الصفة) لأنّ "ما" سؤال عن الصفة، كما أنّ "مَن" سؤال عن الذات،[5] ولأنّ "ما" تستعمل في الصفة وإن كان الكلام خبرًا، كقولهم: "عرفت ما عندك"، أي: الحَسَن أو الطيِّب الذي عندك. وهنا أيضًا أريدَ الصفة، فكأنّه قيل: فانكحوا مِن الطيِّبات.

---

١ ن ر - الواحد "رجل أيِّم" سواءٌ كان تزوَّج مِن قبل أو لم يتزوّج، و"امرأة.

٢ الصحاح للجوهري، «أيم». والكلام فيه بلفظه مع اختلاف في ترتيبه.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن يحيى بن وثّاب وإبراهيم النخَعي. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٦٣٩.

٤ الصحاح للجوهري، «قسط».

٥ من قوله: "لأنّ ما" إلى هنا في أصله تعليق كتبه الزمخشري، بحسب ما ذكر شهاب الدين الخزّافي ونُقل من خطّه. انظر: هامش مخطوط الكشّاف (نسخة آيا صوفيا، رقم ٢٤٧)، ٤و.

من العَدْلين: عدلِها عن صِيَغها، وعدلِها عن تكرُّرِها، وهي نكراتٌ يُعَرَّفنَ بلامِ التَّعريف، تقول: فلانٌ ينكح المثنَى والثُّلاثَ والرُّباع، ومحلُّها النَّصبُ على الحال من ﴿مَا طَابَ﴾، تقديرُه: فانكحوا الطَّيِّبات لكم معدوداتٍ هذا العددَ: ثنتين ثنتين، وثلاثًا ثلاثًا، وأربعًا أربعًا.

فإن قلتَ: الذي أُطْلق للنَّاكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاثٍ أو أربع، فما معنى التَّكرير في مثنَى وثلاثَ ورُباع؟

قلتُ: الخطابُ للجميع فوجب التَّكرير ليُصيب كلُّ ناكحٍ يريد الجمعَ ما أراد من العدد الذي أُطلق له، كما تقول للجماعة: اقتسِموا هذا المال -وهو ألفُ درهم- درهمين درهمين، وثلاثةً ثلاثةً، وأربعةً أربعةً، ولو أفرَدْتَ لم يكن له معنى.

قوله: **(مِن العدلين)** قال ابن الحاجب في **شرح المفصّل**: «زعم قوم أنّ المانع في ذلك تكرير العدل، لأنّه معدول في اللفظ عن اثنين وفي المعنى عن اثنين اثنين».[1]

قوله: **(عن صِيَغها)** لأنّ حقّ صِيَغها اثنين.

وقوله: **(عن تكرُّرها)** لأنّ حقّها أن تكون مكرَّرة.

قوله: **(الذي أُطلِق)**، أي: أجيزَ[2] وأبيحَ في الشرع.

قوله: **(يريد)** صفة **(ناكح)**.

وقوله: **(ما أراد)** فاعل **(ليُصيبَ)**.

قوله: **(لم يكن له معنًى)** ويوضِح ذلك[3] أنّك لو قلتَ لجماعة: "اقتسموا هذا المال درهمين" لا يكون له معنًى، كما لو قلتَ: "تزوّجوا النساء ثِنتين" لا يصحّ المعنى.

---

[1] **الإيضاح في شرح المفصّل** لابن الحاجب، ٩٦/١.

[2] ن: أخبر.

[3] ن: لك.

فإن قلتَ: فلِمَ جاء العطف بالواو دون «أو»؟

قلتُ: كما جاء بالواو في المثال الذي حَذَوْتُه لك، ولو ذهبْتَ تقول: اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثةً ثلاثةً أو أربعةً أربعةً، أعلِمتَ أنّه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلّا على أحد أنواع هذه القِسْمة، وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعضَ القَسْم على تثنية، وبعضَه على تثليث، وبعضه على تَربيع، وذهب معنى تجويزِ الجَمع بين أنواع القسمة الذي دلَّت عليه الواو، وتحريرُه: أنَّ الواوَ دلَّت على إطلاق أن يأخذ الناكحون مَن أرادوا نكاحَها من النِّساء على طريقِ الجمع: إن شاؤوا مختلفِين في تلك الأعداد، وإن شاؤوا متفقِين فيها، محظورًا عليهم ما وراء ذلك.

وقرأ إبراهيم: "وثُلْثَ ورُبْعَ" على القَصْر من ثلاثَ ورُباعَ.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ بين هذه الأعدادِ كما خفتُم تركَ العدل فيما فوقها ﴿فَوَاحِدَةً﴾: فالزموا: -أو: فاختاروا- واحدةً وذَروا الجمعَ رأسًا، فإنَّ الأمر كلَّه يدور مع العدل، فأينما وجدتُم العَدْل فعليكم به.

وقرئ: ﴿فواحدةٌ﴾ بالرفْع على: فالمَقْنَعُ واحدةٌ، أو: فكفَتْ واحدةٌ، أو: فحسبُكم واحدةٌ.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ سوَّى في السُّهولة واليُسر بين الحُرَّة الواحدة وبين الإماء من غير حَصْرٍ ولا توقيتِ عددٍ، ولعَمري إنَّهنَّ أقلُّ تبِعَةً وأقصرُ شَغْبًا

قوله: (**وقرأ إبراهيمُ**)، أي: إبراهيم النخَعيّ.

قوله: (**وجدتُم العدلَ**) فكأنّه يشير به إلى مذهبه الذي سمّاه العدل.[1]

قوله: (**أو فحَسْبُكم**) اسم الفعل.

قوله: (**شَغْبًا**) «الشَّغْب بالتسكين: تهييج الشرّ، ولا يقال: شَغَب بالتحريك. تقول: شَغَبتُ عليهم وشَغَبتُ بهم وشَغَبْتُهم».[2]

---

[1] انظر تفصيله في شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبّار، ص ١٣١-١٣٤.

[2] الصحاح للجوهري، «شغب».

وأخفُّ مؤنةً من المهائر، لا عليك أكثرتَ منهنَّ أم أَقْللتَ، عَدلْتَ بينهنَّ في القَسْم أم لم تعدِلْ، عزلتَ عنهنَّ أم لم تعزل.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلة: "مَن مَلكَتْ".

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى اختيار الواحدةِ والتَّسرِّي ﴿أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾: أقربُ من أنْ لا تميلوا، من قولهم: عالَ الميزانُ عولًا: إذا مال، وميزانُ فلانٍ عائلٌ، وعَالَ الحاكمُ في حكمهِ: إذا جَارَ، ورُوِي أنَّ أَعْرابيًّا حَكَم عليه حاكمٌ فقال له: أتَعُولُ عَلَيَّ؟

وقد روت عائشةُ رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «﴿أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾: ألَّا تَجُوروا».

والَّذي يُحكى عن الشَّافعيّ رحمه الله أنَّه فَسَّر ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾: ألَّا يَكْثُرَ عِيَالُكم.

فوجهُه: أن يُجعل من قولك: «عال الرَّجل عِيالَه يَعُولُهم» كقولك: «مانَهُم يَمُونُهم»، إذا أنفق عليهم؛ ....

قوله: (مِن المهائر) قال في **الصحاح**: المَهْر: الصَّداق. مهرتُ المرأة أمهَرُها مَهْرًا وأمهرتها.[1] والمَهيرة: الحرّة.[2] قال في **المجمل**: «تقول: "مَهَرتُ المرأة" بغير ألف،[3] فإذا زوّجتها على مَهْر قلتَ: أمهرتُها. والمَهيرة: ذات مَهْر».[4]

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾ **إشارة**)... إلخ، قال رحمه الله:[5] نظيره ﴿عَوَانُۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة ٦٨/٢].

قوله: (والذي يُحكى عن الشافعيّ أنّه فسّر ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾ ألّا يكثُر عيالكم) وهذه طريق الكناية؛ لأنّ لازم كثرة العيال الإنفاقُ لهم، فذَكَر اللازم وهو الإنفاق وأراد الملزومَ وهو كثرة العيال.[6]

قوله: "عِيالكم" عِيال جمع عيّل، مثل جيّد وجِياد.[7]

---

١ ن – مَهْرًا وأمهرتها.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «مهر».

٣ ن: الألف.

٤ **مجمل اللغة** لابن فارس، ٨١٨/١، «مهر».

٥ ر: رضي الله عنه.

٦ ن ر – الإنفاقُ لهم، فذَكَر اللازم وهو الإنفاق وأراد الملزومَ وهو كثرة العيال.

٧ ر + مثل.

لأنَّ مَن كَثُرَ عياله لزِمَه أنْ يَعُولَهم، وفي ذلك ما يُصعِّبُ عليه المحافظةَ على حدود الورع وكسبِ الحلال والرِّزق الطَّيِّب، وكلامُ مثْلِه من أعلام العِلم وأئمَّةِ الشَّرع ورؤوس المجتهِدين حقيقٌ بالحمل على الصِّحَّة والسَّداد، وأن لا يُظنَّ به

قوله: **(عياله)** عِيال الرجل: مَن يعوله.

قوله: **(أن يعولهم)**، أي: يقوتهم ويُنفِق عليهم.

قوله:[١] **(وفي ذلك)**، أي: في كثرة العِيال.

[٢٨٨ظ] قوله: **(ما يصعب / عليه)**... إلخ، "عليه" حال مِن فاعل **(المحافظة)**، أي: محافظة الشخص راكبًا على ذلك الأمر أو ملتبِسًا معه، ولمّا لم يجُز تقديم معمول المصدر عليه كان الوجه أن يقول: الأصل "تصعب المحافظة عليه" فحذفها ثمّ فسّرها بقوله: "المحافظة". والضمير المستكنّ في "عليه" عائد إلى ذي الحال المحذوف، والبارز المجرور إلى "ما". و"ما إمّا" عبارة عمّا أشيرَ بذلك إليه وهو كثرة العيال أو[٢] أن يعولهم، فيكون مِن قبيل قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب ٢١/٣٣]، أي: هو أسوة.[٣] وإما عبارة عن لازم كثرة العيال وأن يعولهم،[٤] وهو[٥] الاحتياج إلى كثرة الخَرْج إلى غير ذلك. فالمعنى ففي كثرة العيال أو كثرةُ العيال[٦] أمرٌ يصعب محافظة الشخص على حدود الورع راكبًا على ذلك الأمر أو ملتبِسًا معه. أو نقول: "عليه" متعلّق بقوله: **(يصعب)**، والضمير يعود إلى **(مَن)**، والعائد إلى "ما" محذوف، أي: "معه"، يعني: يصعب على كثير[٧] العيال معه المحافظة على حدود الشرع.

قوله: **(مِن أعلام العِلم)** الأعلام: جمع العَلَم[٨] وهو الجبل.

---

١ ن - عِيال الرجل: مَن يعوله قوله: (أن يعولهم)، أي: يقوتهم ويُنفِق عليهم. قوله.
٢ ن: و.
٣ ر - أي: هو أسوة.
٤ ر + وأن يعولهم.
٥ ن: هو.
٦ ن ر - أو كثرة العيال.
٧ ن ر: كثرة.
٨ ن: علم.

تحريفُ «تُعِيلوا» إلى ﴿تَعُولُواْ﴾، فقد رُوي عن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تَظننَّ بكلمةٍ خرجت مِن في أخيك سُوءًا وأنت تجد لها في الخير مَحْملًا»، وكفى بكتابنا المترجَم بكتاب **شافي العِيِّ من كلام الشَّافعيِّ** شاهدًا بأنَّه كان أعلى كَعبًا وأطولَ باعًا في علم كلام العرب من أن يَخفَى عليهِ مِثْلُ هذا، ولكنَّ للعلماء طرُقًا وأساليبَ، فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقةَ الكنايات.

فإن قلتَ: كيف يَقِلُّ عيال مَن تسَرَّى وفي السَّراريِّ نحوُ ما في المهائر؟

قلتُ: ليس كذلك؛ لأنَّ الغرضَ بالتزوُّج التَّوالدُ والتناسُلُ بخلاف التَّسرِّي، ولذلك جاز العَزْلُ عن السَّراريِّ بغير إذنهنَّ، فكان التَّسرِّي مظنَّةً لقلَّة الولد بالإضافة إلى التَّزوُّج، كتزوُّج الواحدة بالإضافة إلى تزوُّج الأربع.

وقرأ طاوسٌ: "أنْ لا تُعِيلوا" من أعال الرَّجل: إذا كثُرَ عياله، وهذه القراءة تعضدُ تفسير الشَّافعيِّ رحمه الله من حيث المعنى الذي قصَده.

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾

﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾: مُهورَهنَّ، وفي حديث شُرَيْح: «قضَى ابنُ عبَّاس لها بالصَّدُقَة».

وقرئ: "صَدْقاتِهنَّ" بفتح الصاد وسكون الدَّال على تخفيف ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾.

و: "صُدْقاتهنَّ" بضمِّ الصَّاد وسكون الدَّال: جمع صُدْقةٍ بوزنِ غُرفة.

وقرئ: "صُدُقتَهُنَّ" بضمِّ الصَّاد والدَّال على التَّوحيد، وهو تثقيل «صُدْقةٍ» كقولك في ظُلْمَةٍ: ظُلُمَةٌ.

﴿نِحۡلَةٗ﴾ من نَحَله كذا: إذا أعطاه إيَّاه ووَهبَه له عن طيبةٍ من نفسه، نِحْلَةً ونُحْلًا.

قوله: **(تحريف تُعيلوا)** مِن "أعال الرجل": كثُر[1] عِياله.

قوله: **(مِن حيث المعنى الذي قصده)**، أي: من حيث الكناية.

---

[1] ن: كثرة.

ومنه حديثُ أبي بكرٍ رضي الله عنه: «إنّي كنتُ نَحَلْتُكِ جِدَادَ عِشْرين وَسْقًا بالعالية».

قوله: (ومنه حديثُ أبي بكر رضي الله عنه)...[١] إلخ، رُوي أنّ أبا بكر رضي الله عنه[٢] نَحَل عائشةَ رضي الله عنها[٣] عشرين وَسْقًا مِن التمر، وقال: وددتُه لو حُزتِه، والآن هو مال الوارث.[٤] واستدلّ العلماء بذلك على أنّ الهِبة تلزم بالقبض. وأقول: يدلّ هذا أيضًا على أنّ المريض لا يصحّ منه التبرُّع على الوارث وإن كان بشيء قليل، حيث قال رحمه الله:[٥] الآن هو مال الوارث.

قوله: (ونحلتُك) الضمير لعائشة رضي الله عنها.[٦]

قوله: (جِداد عشرين) الجِداد[٧] الفعل والمراد به المجدود.[٨] والجَداد[٩] بالفتح لغة في الجِداد،[١٠] أي: المقطوع، أي: نَحَلْتُك نخلًا ذا جِداد.[١١] «الجَدّ[١٢] في الأصل: القطع. ومنه جَدُّ[١٣] النخل: صَرْمه، أي: قطعُ ثمره[١٤] جِدادًا[١٥] فهو جادّ.[١٦] وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه[١٧] أنّه نَحَل عائشة رضي الله عنها[١٨] جِداد عشرين وَسْقًا.[١٩] والسماع "جادَّ عشرين وَسْقًا"، وكلاهما مئوّل: الأوّل نظير قولهم: "هذه الدراهم ضَرْب الأمير"، والثاني نظير قولهم: "عيشة راضية"، والمعنى أنّه أعطاها نخلًا يُجدُّ منه مِقدارُ عشرين وَسْقًا».[٢٠] مُغرب. والوَسْق: ستّون صاعًا.

قوله: (بالعالية) "العالية": الحِجاز مِن نجد إلى تِهامة. قال المطرّزي في المغرب: «العالية: ما فوق نجد إلى تهامة. وأمّا ما رُوي في حديث أبي بكر

---

١ د - رضي الله عنه.
٢ د - رضي الله عنه.
٣ د - رضي الله عنها.
٤ بلفظ قريب في المصنف لابن أبي شيبة، ٢٨١/٤ (٢٠١٣٥)؛ وشرح السنّة للبغوي، ٣٠٢/٨-٣٠٣ (٢٢٠٤).
٥ ن ر: رضي الله عنه.
٦ د - رضي الله عنها؛ ن ر - لعائشة.
٧ ر: الجذاذ.
٨ ر: المجذوذ.
٩ ر: الجذاذ.
١٠ ر: الجذاذ.
١١ ر: جذاذ.
١٢ ر: الجذّ.
١٣ ر: جذ.
١٤ ن: ثمر.
١٥ ر: جذاذ.
١٦ ن: جداد؛ ر: جاذ.
١٧ د - رضي الله عنه.
١٨ د - رضي الله عنها.
١٩ مضى تخريجه آنفًا.
٢٠ المغرب للمُطرّزي، «جدد».

وانتصابُها على المصدر؛ لأنَّ النِّحْلةَ والإيتاءَ بمعنى الإِعْطاء، فكأنَّه قيل: وانْحَلوا النِّساء صَدُقاتهنَّ نِحْلةً؛ أي: أعْطوهنَّ مُهورهنَّ عن طِيبةِ أنفسِكم، أو على الحال من المخاطَبين؛ أي: آتوهنَّ صَدُقاتهنَّ ناحِلين طيِّبي النُّفوس بالإعطاء، أو من الصَّدُقات؛ أي: منحولةً مُعْطاةً عن طيبةِ الأنفُس.

وقيل: نِحْلةً من الله عطيَّةً من عنده وتَفَضُّلًا منه عليهنَّ.

وقيل: النحلةُ: المِلَّةُ، ونِحْلةُ الإسلام خيرُ النِّحَلِ، وفلانٌ يَنتحِل كذا؛ أي: يَدِين به، والمعنى: آتُوهنَّ مهورهنَّ ديَانةً، ....

رضي الله عنه[١] أنّه نَحَل عائشة رضي الله عنها[٢] كذا وَسْقًا بالعالية فالصواب "بالغابة" على لفظ غابة الأسد. والعوالي: موضع على نصف فرسخ مِن المدينة».[٣]

قوله: (أي: أعطوهنّ)... إلخ، يُشير إلى أنّ ﴿نِحْلَةً﴾ مفعول مطلق للنوع، لأنّ النِّحلة نوعٌ مِن الإعطاء، وهو: الإعطاء عن طيبة، فوضع ﴿نِحْلَةً﴾ موضع إيتاء ليدلّ على النوع، فلذا فسّرها هنا بقوله: (طِيبة أنفسكم).[٤]

قوله:[٥] (أو على الحال مِن المخاطَبين) على هذا الوجه يكون المصدر بمعنى اسم الفاعل.

وقوله: (طيِّبي النفوس) تفسير (ناحلين).

قوله: (أي: منحولة) فيكون المصدر بمعنى المفعول.

قوله: (وقيل: نِحلة مِن الله)، يعني: أنّ ﴿نِحْلَةً﴾ إذا كانت حالًا مِن "الصدقات" يحتمل المعنيين، بخلافها إذا كانت منصوبة على المصدر أو الحال مِن المخاطبين. فقوله: "وقيل: نحلة" / عطفٌ على قوله: (منحولةً معطاةً). [٢٨٩و]

قوله: (والمعنى: آتوهنّ مهورَهنّ دِيانةً) «والدِّين: الطاعة. ودان له، أي: أطاعه. ومنه الدِّين، والجمع الأديان. يقال: دان له بكذا دِيانةً، ويدين به فهو ديِّنٌ ومتديِّن.

---

١ د – رضي الله عنه.

٢ د – رضي الله عنها.

٣ المغرب للمُطرِّزي، «علو».

٤ د – طيبة فوضع نخلة موضع إيتاء ليدل على النوع فلذا فسّرها هنا بقوله. | وكأنّه مستدرك في هامشها.

٥ ر – قوله.

على أنَّها مفعولٌ لها، ويجوز أن يكون حالًا من الصَّدُقات؛ أي: **دِينًا من الله شَرَعَه وفَرَضَه.**

والخطابُ للأزواج.

وقيل: للأولياء؛ لأنَّهم كانوا يأخذون مهورَ بناتهنَّ، وكانوا يقولون: «هنيئًا لك النَّافِجَةُ» لمن تُولَد له بِنتٌ، يَعْنون: تأخذُ مَهرَها فتَنْفُجُ به مالكَ؛ أي: **تُعَظِّمُهُ.**

الضَّمير في ﴿مِنْهُ﴾ جارٍ مَجرى اسمِ الإشارة، كأنَّه قيل: عن شيءٍ من ذلك؛ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ [آل عمران ١٥/٣] **بعد ذِكْر الشَّهوات.**

ومن الحُجج المسموعة من أفواهِ العرب ما رُوي عن رُؤْبةَ أنَّه قيل له في قوله:

كأنَّه في الجلْد توليعُ البَهَقْ

ودَيَّنتُ الرجل تديينًا إذا وكلتَه إلى دينه».[1] «وقولهم: "يُدَيَّن في القضاء، أي: **يُصدَّق**" تدريس. والتحقيق ما ذكرتُ».[2]

قوله: (**«هنيئًا لك النافجة»**)،[3] أي: المعظِّمة لمالكَ.[4]

قوله: (**يَعنون**) فخُوطب الأولياء به، أي: لا تأخذوا مهور النساء؛ بل آتوها النساء، أي: مَوْلَياتكم.

قوله:

(كـأنّـه فـي الـجـلـد تـولـيـعُ الـبَـهَـقْ)[5]

أوّله:

فـيـهـا خـطـوطٌ مِـن سـوادٍ وبَـلَـقْ

---

١ **الصحاح** للجوهري، «دين».

٢ **المغرب** للمُطرِّزي، «دين».

٣ من أمثالهم. انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٤٠٥/٢؛ **المستقصى** للزمخشري، ٣٩٤/٢؛ وهو في **الصحاح** للجوهري، «نفج»؛ و**أساس البلاغة** للزمخشري، «نفج».

٤ **الصحاح** للجوهري، «نفج».

٥ الرجز لرؤبة بن العجّاج، ومضى بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٦٨/٢.

فقال: أردتُ: كأنَّ ذاك.

أو يرجع إلى ما هو في معنى الصَّدُقات، وهو الصَّدَاق؛ لأنَّك لو قلتَ: «وآتوا النِّساء صَدَاقَهُنَّ» لم تُخِلَّ بالمعنى، فهو نحوُ قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون ٦٣/١٠]؛ كأنَّه قيل: أصَّدقْ.

و﴿نَفۡسًا﴾ تمييزٌ، وتوحيدُها؛ لأنَّ الغرضَ بيانُ الجنس، والواحدُ يدلُّ عليه، والمعنى: فإنْ وهَبْنَ لكم شيئًا من الصَّداق وتجافَتْ عنه نفوسُهنَّ طيِّباتٍ غيرَ مُخْبثاتٍ بما يَضْطرُّهنَّ إلى الهِبَة من شَكاسَةِ أخلاقكم وسوء معاشرتكم ﴿فَكُلُوهُ﴾: فأنْفِقوه.

قيل لرؤبة:[١] إن رجع الضمير إلى قولك: "خطوط" فالقياس[٢] "كأنَّها"، وإن رجع إلى "سواد وبلق" فالقياس[٣] كأنَّهما. فقال: **(أردتُ [كأنَّ]**[٤] **ذاك)**. و"التوليع":[٥] المخلوط[٦] بالزعفران.[٧]

قوله: **(وهو الصداق)** البصريّون[٨] على كسر الصاد مِن "الصداق"، والكوفيّون على فتحه.

قوله: **(فهو نحو قوله تعالى)**، الضمير لقوله:[٩] ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾.

قوله: **(وتوحيدُها)** مبتدأ خبره قوله: **(لأنّ الغرض)**.

قوله: **(والمعنى فإن وهبن)**... إلخ، هذا التفسير مبنيّ على أنّ الخطاب في ﴿وَءَاتُواْ﴾ للأزواج لا للأولياء.

قوله: **(وتجافتْ عنه)**، أي: عن الموهوب.

---

١ القائل لرؤبة هو أبو عبيدة، ذكر ذلك في مجاز القرآن، ١/٤٤.

٢ ن: في القياس.

٣ ن: في القياس.

٤ د ن ر – كأنّ.

٥ ن: التوليع.

٦ ر: المخطوط.

٧ قال الجاربردي في تفسير البقرة، ٢/٦٨ في تفسير هذه اللفظة: «التوليع: اختلاف الألوان، ويقال: ولّع الله وجهه، أي: برَّصه، ويقال: بِرْذَون مُولَّع. والمولَّع: المُلمَّع. إلّا أنّ التوليع: استطالة البَلَق».

٨ ن ر: والبصريون.

٩ ر – الضمير لقوله.

قالوا: فإنْ وهبَتْ له ثمَّ طلبت منه بعدَ الهبة عُلم أنَّها لم تَطِبْ عنه نفْسًا.

وعن الشَّعبيِّ: أنَّ رجلًا أتى مع امرأته شريحًا في عطيَّةٍ أعطتها إيَّاه وهي تطلب أن تَرْجع، فقال شُريح: رُدَّ عليها، فقال الرَّجل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ﴾ قال: لو طابت نفسُها عنه لَمَا رجَعَتْ فيه.

وعنه: أُقِيلها فيما وهبَتْ ولا أُقِيله؛ لأنهنَّ يُخدَعْنَ.

وحُكيَ أن رجلًا من آل أبي مُعَيْط أعطَتْه امرأتُه ألفَ دينار صَداقًا كان لها عليه، فلبِثَ شهرًا ثم طلَّقها، فخاصمَتْه إلى عبد الملك بن مروان، فقال الرَّجل: أعْطَتْني طيِّبةً بها نفْسُها، فقال عبد الملك: فأين الآية التي بعدها: ﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾؟ ارْدُد عليها.

وعن عمر رضي الله عنه: أنَّه كتب إلى قضاته: «إنَّ النِّساء يُعطين رَغبةً ورَهْبةً، فأيُّما امرأةٍ أعطَتْ ثمَّ أرادَتْ أنْ تَرجع فذلك لها».

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِل عن هذه الآية، فقال: «إذا جادَتْ لزوجِها بالعطيَّة طائعةً غيرَ مكرهة لا يقضي به عليكم سلطانٌ ولا يؤاخذُكم الله به في الآخرة».

ورُوي: أنَّ أناسًا كانوا يتأثَّمون أن يَرجع أحدُهم في شيءٍ مما ساقَ إلى امرأته، فقال الله تعالى: إن طابَتْ نفسٌ واحدةٍ من غير إكراهٍ ولا خديعةٍ فكُلوه سائغًا هنيئًا.

قوله: (وعنه)، أي: وعن شُريح.

قوله: (ولا أُقيله)، أي: الرجل فيما وَهَب لها.

قوله: (﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾): ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ﴾ [النساء ٤/٢٠].

قوله: (لا يقضي به)،[1] أي: بالموهوب.

---

[1] ن ر - ﴿زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ﴾. قوله: (لا يقضي به). | وحديث ابن عبّاس في الكشف والبيان للثعلبي، ٥٢/١٠ (النساء، ٤/٤)؛ والوسيط للواحدي، ١١/٢ (النساء، ٤/٤).

وفي الآية دليلٌ على ضيقِ المسلَكِ في ذلك، ووجوبِ الاحتياط، حيثُ بُني الشَّرط على طِيب النفس، فقيل: ﴿فَإِن طِبۡنَ﴾ ولم يُقَل: فإن وَهَبْن، أو: سَمَحْن؛ إعلامًا بأنَّ المراعَى هو تجافي نفسِها عن الموهوب طيِّبةً.

وقيل: ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ﴾، ولم يُقَل: فإن طِبْن لكم عنها، بَعْثًا لهنَّ على تقليل الموهوب، وعن اللَّيث بن سعد: لا يجوز تبرُّعها إلَّا باليسير، وعن الأوزاعيّ: لا يجوز تبرُّعها ما لم تَلِد أو تُقِمْ في بيت زوجها سَنَةً.

ويجوز أن يكون تذكيرُ الضَّمير لينصرف إلى الصَّداق الواحد، فيكون مُتناولًا بعضَه، ولو أُنِّثَ لتناول ظاهرُه هِبَةَ الصَّداق كلِّه؛ لأنَّ بعضَ الصَّدُقات وَاحِدةٌ منها فصاعدًا.

الهنيءُ وَالمرِيءُ: صفَتان من هَنُؤَ الطَّعامُ ومَرُؤَ: إذا كان سائغًا لا تنغيصَ فيه.

وقيل: الهنيءُ: ما يَلَذُّه الآكِلُ، والمرِيءُ ما يُحْمَدُ عاقبتُه.

وقيل: هو ما ينساغُ في مَجْراه.

وقيل لمَدْخل الطَّعام من الحلقوم إلى فم المعدة: المرِيءُ؛ لِمُرُوءِ الطَّعام فيه وهو انسياغُه، وهما وصفٌ للمصدر؛ أي: أكلًا هنيئًا مريئًا، أو حال من الضمير؛ أي: كلُوه وهو هنيءٌ مريءٌ.

وقد يُوقَف على ﴿فَكُلُوهُ﴾ ويُبتدأُ: ﴿هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ على الدُّعاء، ....

قوله: (الضمير)، أي: في ﴿مِّنۡهُ﴾.

قوله: (ولو أُنِّث لتناول[١] ظاهره)...[٢] إلخ، إذ يصير الكلام حينئذٍ هكذا: فإن طبنَ لكم عن شيء منها ويتناول ظاهره الصَّداق كلّه لأنّ الصَّداق بعضٌ مِن الصدقات.

قوله: (على الدعاء)، أي: هنيئًا مريئًا على الدعاء، والدعاء يكون بالمصدر كقولهم: «سَقيًا ورَعيًا»،[٣] فقال: هما صفتان أُقيمتا مُقام المصدر. فقوله: "على الدعاء"

---

[١] ن: ليتناول؛ ر: ليتطاول.
[٢] ر + الصداق كلّه لا الصداق.
[٣] كتاب سيبويه، ١/٣١١، ٣٣٠.

وعلى أنّهما صفتان أُقيمتا مُقام المصدرين، كأنّه قيل: هنْئًا مَرْءًا، وهذه عبارةٌ عن التّحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التّبعة.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝﴾

﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾: المبذِّرون أموالَهم، الّذين ينفقونها فيما لا ينبغي، ولا يَدَيْ لهم بإصلاحها وتثميرها والتّصرّف فيها، والخطابُ للأولياء، وأضاف الأموال إليهم

و(على أنّهما) كلام واحد.[1]

قوله:[2] (عبارة عن التحليل) لمّا فسّر ﴿فَكُلُوهُ﴾: أنفقوه[3] فسّر قوله: ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ بقوله: "عبارة عن التحليل".

قوله: (أموالَهم) مفعول (المبذِّرون).

وقوله: (الذين)... إلخ، بيان "المبذِّرون"، يعني: المراد بالتبذير صرفُ المال فيما لا ينبغي، فلو صرفها في الخير لا يكون مبذِّرًا، وكذا في نفيس الطعام.

قوله: (ولا يَدَيْ) عطف على (ينفقونها)، أي: لا طاقةَ ولا استطاعةَ. ويجوز أن يكون المراد باليد، أي: الطاقة: الاستطاعة[4] في البدن أو في البصيرة، وحُذف النون من "يَدَيْ" كما في «لا غلامَي له» و«لا أبا له»[5] تشبيهًا بالمضاف أو للإضافة واللام لتأكيد[6] الإضافة.[7]

قوله: (وأضاف الأموالَ إليهم)، أي: إلى الأولياء وإن لم يكن المال للأولياء؛ بل هو للأطفال.

---

[1] من قوله: "فقوله" من حواشي شهاب الدين الخزّافي على الكشاف. وهو منقول من خطّه على هامش مخطوط الكشّاف (نسخة آيا صوفيا، رقم ٢٤٧)، ٦و.

[2] ر: فقوله.

[3] ن: بأنفقوه.

[4] ر: للاستطاعة.

[5] كتاب سيبويه، ٢/٢٧٦.

[6] ن - للإضافة واللام لتأكيد.

[7] ر - واللام لتأكيد الإضافة.

لأنها من جنس ما يُقيم به الناسُ معايشهم؛ كما قال: ﴿لَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء ٢٩/٤] ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النساء ٢٥/٤]، والدَّليلُ على أنّه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قولُه: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾؛ أي: تقومون بها وتنتعشون، ولو ضيّعْتُموها لَضِعتم، فكأنّها في أنفسها قيامُكم وانتعاشكم، وروي: ﴿قِيَمًا﴾ بمعنى ﴿قِيَٰمًا﴾، كما جاء «عِوَذًا» بمعنى «عِياذًا».

وقرأ عبد الله بن عمر: "قِوامًا" بالواو، وقِوامُ الشيء: ما يُقام به، كقولك: هو مِلاكُ الأمر، لِمَا يُملَكُ به.

قوله: (كما قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء ٢٩/٤]) مع أنّهم لا يقتلون أنفسهم، بل أنفسَ غيرهم.

قوله: (﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾) قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ [النساء ٢٥/٤]، يعني: مَن لم يقدِر على نكاح المحصنات، أي: الحرائر للعجز عن طَول الحرّة فيجوز له أن يتزوّج الإماءَ، فالمراد بقوله: ﴿مِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ هي الإماء التي تكون / ملك اليمين للغير لا للناكح[1] العاجز عن طَول الحرّة، فإنّه لا يجوز لأحد أن ينكح مِلك يمين نفسه؛ بل إنّما يجوز نكاح مِلك يمين الغير. [٢٨٩ظ]

قوله: (والدليل على أنّه خطاب للأولياء)،[2] يعني: لمّا قال تعالى: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ﴾ عُلِم[3] أنّ المراد الخطاب للأولياء وأنّه[4] تعالى أوجَب رزقهم وكسوتهم، إذ لا يجب على أحد أن يرزق ويكسو الغيرَ مِن مال نفسه؛ بل يجب على الأولياء أن يرزقوا ويكسو الأطفال مِن مال الأطفال.

قوله: (لَضِعتُم) لأنّ انتعاشكم وقيامكم بالمال.

قوله: (لِما يُملَك به) الضمير المستتر في "يُملَك" لـ(الأمر)، والبارز يعود إلى "ما".

---

[1] ر: للنكاح.
[2] ر: الأولياء.
[3] ن: دل على.
[4] ن: فإنه.

وكانَ السَّلفُ يقولون: المالُ سِلاحُ المؤمن، ولَأنْ أترُكَ مالًا يُحاسِبُني اللهُ عليه خيرٌ من أن أحتاجَ إلى الناسِ.

وعن سفيانَ -وكانتْ له بضاعةٌ يقلِّبُها-: لولاها لتمندَلَ بي بنو العبَّاس.

وعن غيره -وقيل له: إنها تُدْنيك من الدُّنيا- قال: لئن أدْنَتْني من الدُّنيا لقد صانَتْني عنها.

وكانوا يقولون: اتَّجِروا واكتسِبوا فإنكم في زمانٍ إذا احتاجَ أحدُكم كان أوَّلَ ما يأكل دِينَه.

وربَّما رأَوْا رجلًا في جنازةٍ فقالوا له: اذهَبْ إلى دكَّانك.

قوله: (وكان السلف) المراد بالسلف الصحابة والتابعون، وقد ذَكَر المصنِّف في تفسير قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران ٩٢/٣] ما يدلّ على أنّ المراد بالسلف الصحابة.

قوله: (المال سلاح المؤمن) لأنه يندفع به الاحتياج الذي يؤدّي إلى الوقوع في الحرام وفي الشُّبهات.

قوله: (ولأن أترك)... إلخ، وذلك لأنّ محاسبة المال الحلال المصروف إلى[1] ما ينبغي أسهل مِن الخروج عن عهدة ما وَقَع الشخص فيه في الدنيا عند الاحتياج إلى الناس. أعاذنا الله تعالى مِن ذلك.

قوله: (بضاعة)... إلخ، والبضاعة: قطعة وطائفة مِن المال، مِن "البَضْع"، وهو: القطع. ومراده بـ"بني العبّاس" خلفاء بغداد. ويقال: تندَّلت[2] بالمِنديل و"تمندلت"، أي: تمسّحتُ به، أي: لولا هذه البضاعة لابتذلوني بالتردُّد إليهم والدخولِ عليهم وطلبِ ما لديهم.

قوله: (في جِنازة)، أي: تشييعها. والنسخة الصحيحة "الجِنازة" بالجيم والنون، وفي بعض النُّسَخ "في ختارة"[3] والختارة[4] أقبح الغدر.[5] وفي نوابغ الكَلِم:[6]

---

[1] ل ر - قوله: وكان السلف... المصروف إلى.

[2] ر: تمندلت.

[3] ر: جنازة.

[4] ر: والجنازة.

[5] مِن الختر، وهو: الغدر. لسان العرب لابن منظور، «ختر».

[6] كتاب للزمخشري. ولم أجد في مطبوعه القول المذكور.

﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾: واجعلوها مكانًا لرزقهم بأنْ تتَّجروا فيها وتتربَّحوا حتى تكونَ نفقتُهم من الأرباح لا من صُلب المال، فلا يأكلها الإنفاقُ.

وقيل: هو أمرٌ لكلِّ أحدٍ أنْ لا يُخرِجَ مالَه إلى أحد من السُّفهاء -قريبٍ أو أجنبيٍّ، رجلٍ أو امرأةٍ- يَعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويُفسده.

﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ قال ابن جُرَيْج: عِدَةً جميلةً: إنْ صلحتم ورشَدتم سلَّمْنا إليكم أموالكم.

وعن عطاءٍ: إذا رَبِحتُ أعطيتُكَ وإن غَنمتُ في غَزاتي جعلتُ لك حظًّا.

وقيل: إن لم يكن ممَّن وجبَتْ عليكَ نفقتُه فقُلْ: عافانا الله وإيّاكَ بارَكَ الله فيكَ.

وكلُّ ما سكنَتْ إليه النفسُ وأحبَّته لحسنه عقلًا أو شرعًا من قولٍ أو عملٍ فهو معروف، وما أنكرتهُ ونفرَتْ منه لقُبحه فهو مُنكَرٌ.

«رُبَّ مَن هو مختار وهو عند الله مختار». واعلم أنَّ هذه النُّسخة ليس بشيء.

قوله: (واجعلوها)، أي: الأموال.

قوله: (قال ابن جُريج) صحّ بالجيم، قال في شرح السنّة: «ابن جُريج اسمه عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج».[1] هذا كلامه في شرح السنّة. وأنا أقول: هو ممّن نُسب إلى جدّه، ومثله ابن أبزى، قال في شرح السنّة: «ابن أبزى هو سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى».[2]

قوله: (إن صلحتُم)... إلخ، هذا على التفسير الأوّل.

قوله: (جعلتُ لك) هذا على التفسير الثاني.

قوله: (وقيل: إن لم يكن ممّن وجبَت)، أي: السائل[3] المطلّق من اليتيم[4] وغيره.

قوله: (وكلّ ما سكنَت) في قوله: "سكنَت"[5] إشارة إلى ما في الحديث:

---

[1] شرح السنّة للبغوي، ٩٨/٤.

[2] شرح السنّة للبغوي، ٩٨/٤. ومضى كلام المصنّف على ابن جُريج وابن أبزى بلفظ قريب في تفسير سورة البقرة، ٢٤٨/٢.

[3] ن: للسائل.

[4] ن: النعيم.

[5] ر - في قوله: سكنت.

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ۝٦﴾

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: واختبروا عقولَهم، وذوقوا أحوالَهم ومعرفتَهم بالتَّصرُّف قبل البلوغ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ تبيَّنتُم ﴿مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ -أي: هدايةً- دفعتُم إليهم أموالهم من غيرِ تأخيرٍ عن حدِّ البلوغ، وبلوغُ النِّكاح: أن يحتلِم؛ لأنَّه يَصلح للنِّكاح عنده، ولطلبِ ما هو مقصودٌ به وهو التَّوالدُ والتَّناسُل.

والإيناسُ: الاستيضاح، فاستُعير للتَّبيُّن.

واختُلف في الابتلاء والرُّشد، فالابتلاءُ عند أبي حنيفة وأصحابه: أن يَدفع إليه ما يتصرَّف فيه حتى يَستبينَ حالُه فيما يجيءُ منه، والرُّشد: التَّهدِّي إلى وجوه التَّصرُّف.

وعن ابن عبَّاس: الصَّلاح في العقل والحِفظُ لِلمالِ.

وعند مالك والشَّافعيِّ: الابتلاء: أن يتتبَّع أحواله وتَصرُّفَه في الأخذِ والإعطاء، ويتبصَّرَ مَخايلَه ومَيْلَه إلى الدِّين. والرُّشْدُ: الصَّلاحُ في الدِّين؛ لأنَّ الفِسْقَ مَفْسدةٌ للمال.

فإن قلتَ: فإن لم يُؤنَس منه رشدٌ إلى حدِّ البلوغ؟

«استفتِ نفسك استفتِ قلبك».[١]

قوله: (أحوالَهم) مفعول (ذوقوا). وقوله: (عنده)، أي: الاحتلام.

قوله: (به)، أي: بالنكاح.

قوله: (الاستيضاح) الرؤية.

قوله: (فإن قلتَ: فإن لم يُؤنَس) جوابُ الشرط محذوف، أي: فكيف يَصنع؟ أو فكيف الحكم؟

---

[١] مسند ابن أبي شيبة، ٢/٢٥٩ (٧٥٣)؛ سنن الدارمي، ص ٦٠٨ (٢٧٢٩)؛ مسند أحمد، ٢٩/٥٣٢ (١٨٠٠٦)، وفيه: «يا وابصة استفت قلبك واستفتِ نفسك».

قلتُ: عند أبي حنيفة رحمه الله يُنتَظر إلى خمس وعشرين سنةً؛ لأنَّ مدَّةَ بلوغ الذَّكر عنده بالسِّن ثماني عشرة سنةً، فإذا زادت عليها سبع سنين -وهي مدَّةٌ معتبرةٌ في تغيُّر أحوال الإنسان؛ لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «مُرُوهم بالصَّلاة لسبع»- دُفع إليه مالُه أُونس منه رشدٌ أو لـم يؤنَس، وعند أصحابه: لا يُدفع إليه أبدًا إلا بإيناس الرُّشد.

فإن قلتَ: ما معنى تنكيرِ الرُّشد؟

قلتُ: معناه: نوعًا من الرُّشد، وهو الرُّشد في التَّصرف والتِّجارة، أو: طَرَفًا من الرُّشد ومَخِيلةً من مخايله حتَّى لا يُنتظر به تمامُ الرُّشد.

فإن قلتَ: كيف نظمُ هذا الكلام؟

قوله: **(معناه نوعًا)**... إلخ، أي: نوعًا مِن أنواع الرُّشد، أو[1] دليلًا مِن دلائله.

قوله: **(ومَخيلة)** عن يعقوب: «خلتُ الشيء خَيْلًا وخَيْلة ومَخِيلة وخَيْلولة، أي: ظننتُه».[2] والظاهر أنَّ مَخِيلة هنا بمعنى مَظِنّة، فهو اسم مكان، والمراد بها دليل مِن دلائل الرُّشد وأمارة مِن أماراته، فعلى هذا لو وصل المصنِّف / **(طرفًا)**[3] بقوله: "نوعًا" بالواو ثمّ عطف بـ"أو" قوله: "مَخيلةً" كان أَولى؛[4] لأنَّ طرف الشيء نوعٌ منه،[5] فيصير حينئذٍ معنى الكلام "نوعًا مِن الرشد وبعضًا مِن الرشد" أو "دليلًا مِن دلائل الرشد وأمارة مِن أماراته".[6] [٢٩٠و]

هكذا ورد في خاطري. ولمّا ذكرتُه مع ولدي الأعزّ فرج الله -حفظه الله تعالى وزاد توفيقه- سبق تمامَ تقريري هذا الكلام بأنْ قال: المراد بقول المصنّف: **(نوعًا مِن الرُّشد)** الرُّشدُ[7] المخصوص،[8] وهو الرُّشد في التصرُّف والتجارة،

---

[1] ر: أي.

[2] **إصلاح المنطق** لابن السكّيت، ص ٢٧٣، وليس في مطبوعه لفظ "خيلة" ولا "خيلولة".

[3] ن: ظرفًا.

[4] السياق: لو وصل... كان أَولى.

[5] ن - منه.

[6] ر - فعلى هذا لو وصل المصنّف (طرفًا) بقوله: (نوعًا) بالواو ثمّ عطف بـ"أو" قوله: "مخيلةً" كان أولى؛ لأنّ طرف الشيء نوع منه، فيصير حينئذٍ معنى الكلام "نوعًا مِن الرشد وبعضًا مِن الرشد" أو "دليلًا مِن دلائل الرشد وأمارة مِن أماراته".

[7] ن: رشد؛ ر - الرشد.

[8] ن ر: مخصوص.

قلتُ: ما بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ جُعل غايةً للابتلاء، وهي "حتَّى" الَّتي تقع بعدها الجُمل، كالَّتي في قوله:

فما زالت القَتْلى تمجُّ دماءها بدِجلةَ حتَّى ماءُ دِجلةَ أشكلُ

والجملةُ الواقعةُ بعدها جملةٌ شرطيّةٌ؛ لأنَّ ﴿إِذَا﴾ متضمِّنةٌ معنى الشَّرط، وفعلُ الشَّرط: ﴿بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾.

وقوله: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ جملةٌ من شرطٍ وجزاء واقعةٌ جوابًا للشَّرط الأول الذي هو ﴿إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾، فكأنَّه قيل: وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم فاستحقاقِهم دَفْعَ أموالهم إليهم بشرط إيناسِ الرُّشد منهم.

وقوله: "طرفًا"... إلخ، رشدٌ ما، أي: أيّ رشد كان. فاستحسنتُ منه ذلك،[1] وقلتُ: المراد ما ذكرتَ، زاد الله توفيقك وازديادَ علمك وتقواك.

قوله: (ما بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾) وهو قوله: ﴿إِذَا بَلَغُواْ﴾.

قوله:[2]

(فما زالتِ القتلى)[3] البيت.

"الشُّكلة": حُمرة يخالِطها بياض. وقوله: (أشكلُ)، أي: أحمرُ، وهو نوع مِن الحُمرة. ودم أشكلُ[4] إذا بان فيه بياض وحُمرة.

قوله: (فكأنَّه قيل: وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفعَ أموالهم بشرط إيناس الرُّشد) وذلك لأنَّ الجملة الشرطية جملة مقيّدة بقيد مخصوص،[5] وذلك القيد هو الشرط، فالأصل[6] فيها هو[7] الجزاء والشرطُ قيده،

---

١ ن - ذلك.

٢ ن - قوله.

٣ البيت لجرير في ديوانه، ١/١٤٣؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «حت»؛ وشرح المفصّل لابن يعيش، ١٨/٨؛ ومغني اللبيب لابن هشام، ٢٨٧/٢، ٥٥/٥؛ وبلا عزو في شرح الرضي على الكافية، ٢٧٨/٤.

٤ ن ر: الشكل.

٥ أصل الكلام في مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٣١٠.

٦ ر: والأصل.

٧ ن - هو.

وقرأ ابن مسعود: "فإن أحَسْتُم" بمعنى: أحسَسْتُم، قال:

أحَـــسْـــنَ بــه فـهـنّ إلــيــه شُـــوسُ

وقرئ: "رَشَدًا" بفتحتين، و: "رُشُدًا" بضمّتين.

فيكون ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ﴾ مرتبطًا بما قبله، ويكون الشرط قيدَه، فلذلك صار المعنى على ما ذكر.[1]

وقوله: "فاستحقاقِهم" صحّ بالجرّ عطفًا على قوله: "وقتِ بلوغِهم". وإنّما جُعل كذلك ليتحقّق دخوله في غاية الابتلاء.

قوله:

(أحَـــسْـــنَ بــه فـهـنّ إلــيــه شُـــوسُ)[2]

قبله:

فـبـاتـوُا يُـدلِـجـون وبــات يـسـري بـصـيرٌ بـالـدُّجى هـادٍ غَـمـوسُ[3]
سـوى أنّ الـعـتـاق مِـن الـمطـايا أحَسْنَ البيت...

الشاهد فيه أنّه حذف السين الأولى مِن "أحَسْنَ" ونُقلت فتحتها إلى الحاء. يصف قومًا يسرون والأسد يطلب فريسته[4] منهم. والعِتاق بكسر العين: النجيبات مِن الإبل. والغَموس: بالغين المعجمة القويّ الشديد. و"شُوس"[5] جمع أشوَس[6] وشَوْساء:[7] وهو الذي ينظر بمؤخّر عينه، أي: فكانت الإبل تلك الليلة شُوسًا[8] خوفًا مِن الأسد. ويُروى "حِسِينَ" وأبدلوا مِن السين الثانية ياء. قال عبد المجيد:[9] أحسستُ الشيءَ: وجدتُ حِسّه. وأحسستُ بالخبر: أيقنت به. قال الأخفش: معناه ظننتُ ووجدتُ. ويقال: حسِسْتُ بالخبر وأحَسَسْتُ به،

---

[1] ن: ذكره.

[2] لأبي زُبيد الطائي في ديوانه، ص ٩٦؛ وهو له في غريب الحديث للخطابي، ٥٠٥/٢؛ والزاهر لابن الأنباري، ٢٣١/١؛ وأمالي القالي، ١٧٦/١؛ وأمالي ابن الشجري، ١٤٦/١.

[3] ديوان أبي زبيد الطائي، ص ٩٤، وهذا البيت مطلع القصيدة، وبيت الشاهد هو التاسع منها.

[4] ر: ونسبه.

[5] ن: وشوش.

[6] ن: وأشوش.

[7] ن: وشوشاء.

[8] ن: تشوش.

[9] ما عرفته. والكلام في الصحاح كما سيأتي، ولم يرد هذا الاسم فيه.

﴿إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا﴾: مُسْرفين ومُبادرين كِبَرهم، أو: لإِسْرافكم ومبادرتِكم كِبَرهم، تُفْرِطُون في إنفاقها، وتقولون: نُنْفِقُ كما نشتهي قبل أن يكْبرَ اليتامى فينتزِعوها من أيدينا.

ثمَّ قسَم الأمر بين أن يكون الوصيُّ غنيًّا وبين أن يكون فقيرًا، فالغنيُّ يَسْتَعِفُّ مِن أَكلها ولا يَطْمع، ويَقْتَنِعُ بما رزقه الله من الغِنَى إشفَاقًا على اليتيم وإبقاءً على ماله، والفقيرُ يأكلُ قُوتًا مُقَدَّرًا مُحتاطًا في تقديره على وجه الأجرة، أو استقراضًا

أي: أيقنتُ به، وربّما قالوا: "حَسِيت بالخبر وأحسَيتُه[1] به" يبدلون مِن السين ياء.[2] البيت لأبي زبيد[3] الطائي يصِف نوقًا في المفازة. والضمير في "به" للهادي،[4] وكذلك في "إليه". والضمير في "أَحْسَنَ" للنُّوق. وقوله: "سوى أنّ العتاق"... إلخ، في حكم الاستثناء المنقطع مِن حيث المعنى، فكأنّه قال: "ما أحسَّ بالأسد القوم السارُون لكن المطايا أَحْسَنَ به.

قوله: (مُسرِفين) حال. وقوله تعالى: ﴿أَن يَكۡبَرُواْۚ﴾ مفعول ﴿وَبِدَارًا﴾.

قوله:[5] (أو لإسرافكم) مفعول له.

قوله: (تُفرطون) هو معنى قوله: ﴿إِسۡرَافٗا﴾.

وقوله: (في[6] إنفاقها)،[7] أي: في مصالح وحظوظ أنفسكم.

قوله: (وتقولون)... / إلخ، هو معنى قوله: ﴿وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ﴾. [٢٩٠ظ]

قوله: (أو استقراضًا)[8] عطف على قوله: (على وجه الأجرةُ) عكس قوله تعالى: ﴿قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران ١٩١/٣].

---

١ ن ر: وأحسَيت.

٢ من قوله: "أحسست الشيء" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «حسس».

٣ د ن ر: زيد. | وهو خطأ.

٤ كذا في الأصول، والظاهر أنّها: الحادي. | وفي حاشية للزمخشري على البيت: «يصف النوق، والضمير للحادي»، أوردها عنه شهاب الدين الخزّافي فيما من خطّه. انظر: هامش مخطوط الكشّاف (نسخة آيا صوفيا، رقم ٢٤٧)، ٧ظ.

٥ ن – (مُسرِفين) حال. وقوله تعالى: ﴿أَن يَكۡبَرُواْۚ﴾ مفعول ﴿وَبِدَارًا﴾. قوله.

٦ ن – في.

٧ ر: إنفاقهما.

٨ ن ر: واستقر أيضًا.

على ما في ذلك من الاختلاف.

ولفظُ الأكلِ بالمعروف والاستعفافِ ممَّا يَدلُّ على أنَّ للوصيِّ حقًّا لقيامه عليها، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «أنَّ رجلًا قال له: إنَّ في حَجْرِي يَتيمًا أفآكُلُ من ماله؟ قال: «بالمعروف غيرَ مُتَأثِّلٍ مالًا ولا واقٍ مالَك بماله»، فقال: أفأضْربُه؟ قال: «ممَّا كُنتَ ضاربًا منه وَلدَك».

وعن ابن عبَّاس: أنَّ وليَّ اليتيم قال له: أفأشْربُ من لبن إبله؟ قال: إن كنتَ تَبْغي ضَالَّتها وتَلُوطُ حَوْضها وتَهْنأُ جَرْباها وتَسْقيها يومَ وِرْدِها فاشربْ غير مُضرٍّ بنسلٍ ولا ناهكٍ في الحَلَب.

قوله: (على ما في ذلك) "على" متعلِّق بمحذوف، و"ذلك" إشارة إلى "الأجرة" أو "الاستقراض"، أي: بُني ما ذكرنا على اختلاف العلماء في أنّ الأكل على وجه الأجرة أو الاستقراض.[1]

قوله: (بالمعروف) وتفسير "المعروف" ما مرّ، وهو أنّ كلّ ما سكنت إليه النفس وأحبّته لحُسنه عقلًا أو شرعًا مِن قول أو عمل فهو معروف. وما أنكرته ونفرتْ منه لقبحه فهو منكَر.

قوله: (غير متأثِّل)، أي: غيرَ متّخذ إيّاه أَثَلةً، أي: أصلًا لنفسه.

قوله: («تبغي ضالّتها») وفي بعض النُّسخ "وتردُّ نادّتها".

قوله: («وتلوط حوضها»)[2] لاطَ الحوضَ طيَّنه.

قوله: («وتهنأ») هنأ البعير: طلاه بالهِناء، وهو: القَطِران.

قوله: («ولا ناهك»)،[3] أي: مستقصٍ متبالغ فيه. عن النبيّ عليه السلام[4] أنّه رأى رجلًا يحلب فقال: «دَعْ داعي اللبن»،[5] أي: اترك[6] بقيّةً في الضَّرع؛

---

[1] ن ر: للاستقراض.

[2] ن: خوضتها.

[3] جامع البيان للطبري، ٦/٤٢٠ (النساء، ٤/٦)؛ شرح السنّة للبغوي، ٨/٣٠٦ (٢٢٠٦).

[4] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

[5] مسند أحمد، ٢٧/٢٥٤ (١٦٧٠٢)؛ صحيح ابن حبّان، ١٢/٩٠ (٥٢٨٣).

[6] ن: انزع.

وعنه: يَضْرب بيدِه مع أيديهم فيأكل بالمعروف، ولا يلبَسُ عمامةً فما فوقها.

وعن إبراهيم: لا يلبس الكتّان والحُلَل، ولكنْ ما سَدَّ الجَوْعَة ووارى العَورَة.

وعن محمّد بن كعب: يتقرَّمُ تقرُّم البَهيمةِ، ويُنْزِلُ نفسَه منزلةَ الأجِير فيما لا بدَّ له منه.

وعن الشَّعبيِّ: يأكل من ماله بقَدْرِ ما يُعينُ فيه، وعنه: كالمِيتة يتناول عند الضرورة ويقضي.

وعن مُجاهِدٍ: يَسْتَسْلِفُ فإذا أيْسر أدّى.

لأنّها[1] تدعو ما فيها مِن اللين.

قوله: (يضرب بيده)[2] هذا تمثيل، أي: كما يأكلون منه يأكل الوصيُّ منه.

قوله: (وعن إبراهيم)،[3] أي: النخَعيّ.

قوله: (يتقرَّم تقرُّم البَهْمة)،[4] تقرَّم، أي: أخذ شيئًا قليلًا. القَرْمة: الشيء القليل.[5] البَهْم جمع بَهْمة وهي أولاد الضأن، والبِهام[6] جمع بَهْم، والبَهْم اسم للذكر والأنثى. والسِّخال: أولاد المعز، فإذا اجتمعت البِهام[7] والسِّخال قلتَ لهما جميعًا: "بِهام"[8] و"بَهْم" أيضًا.

قوله: (كالمِيتة)[9] في نسخته بكسر الميم.

قوله: (يستسلِف)،[10] أي: يستقرض.

---

[1] ن: لا.

[2] بمعناه عن عكرمة في جامع البيان للطبري، ٤١٨/٦ (النساء، ٦/٤).

[3] جامع البيان للطبري، ٤١٩/٦ (النساء، ٦/٤).

[4] في مطبوع الكشّاف: البهيمة. | وأثبتُّ ما في حاشية الجاربردي، وما راجعتُ من أصول الكشّاف. | لم أجد الحديث في مظانّه. وهو في الكشف والبيان للثعلبي، ٨٨/١٠ (النساء، ٦/٤).

[5] من قوله: "تقرّم" بلفظ قريب في حواشي شهاب الدين الخزّافي على الكشاف. وهو منقول من خطّه على هامش مخطوط الكشّاف (نسخة آيا صوفيا، رقم ٢٤٧)، ٧ظ.

[6] ن: والبهائم.

[7] ن: البهائم.

[8] ن: بهائم.

[9] بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٤١٥/٦ (النساء، ٦/٤)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٨٤/١٠ (النساء، ٦/٤).

[10] بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٤١٥/٦ (النساء، ٦/٤)؛ والكشف والبيان للثعلبي، ٨٢/١٠ (النساء، ٦/٤).

وعن سعيد بن جُبير: إن شاء شرِب فَضْلَ اللَّبن ورَكِبَ الظهْر ولبس ما يَستُره من الثِّياب وأخذ القوتَ، ولا يُجاوزه، فإن أَيسر قَضَاه، وإن أَعْسرَ فهو في حِلٍّ.

وعن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: إنّي أنزلت نفسي من مال الله منزلةَ والي اليتيم: إن استغنيتُ استَعْففتُ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف، وإذا أيْسرتُ قضيتُ.

و"استَعَفَّ" أبلغ من عَفَّ؛ كأنَّه طالبُ زيادةِ العِفَّة.

﴿فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ بأنَّهم تَسلَّموها وقبَضُوها وبَرِئَتْ عنها ذمَمُكم، وذلك أبعدُ من التَّخاصُم والتَّجاحُد، وأَدْخلُ في الأمانة وبراءة الساحة، ألا ترى أنَّه إذا لم يُشْهِدْ فادَّعى عليه صُدِّقَ مع اليمين عند أبي حنيفة وأصحابه، وعند مالك والشَّافعيّ لا يُصَدَّق إلا بالبيِّنة، فكان في الإشهاد الاسْتِحرازُ من توجُّه الحَلِف المُفضي إلى التُّهمة، أو من وجوب الضَّمان إذا لم تُقَم البيِّنة.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾؛ أي: كافيًا في الشَّهادة عليكم بالدَّفع والقبض، أو: مُحاسبًا، فعليكم بالتَّصادُق وإيَّاكم والتَّكاذُب.

قوله: (مِن مأتيَه)،[1] أي: بيت المال.

قوله: (تسلَّموها) التسلُّم: القبض.

قوله: (صُدِّق)، أي: الوصيُ إذا قال: دفعتُ.

قوله: (لا يُصدَّق) لأنَّ الإشهاد واجب لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ﴾.

قوله: (أو محاسِبًا) فسّر المصنّف ﴿حَسِيبٗا﴾ أخرًا بقوله: "محاسِبًا". وهذا المعنى ظاهر الصحّة، وأولًا بقوله: (كافيًا)، فيصير المعنى كفى الله حال كونه كافيًا. وإنّما صحّ هذا المعنى[2] أيضًا لتقيُّده "كافيًا" بقوله: (في الشهادة عليكم في القبض والدفع).[3]

---

[1] ن ر: مال الله.

[2] ن - "محاسِبًا". وهذا المعنى ظاهر الصحّة، وأولًا بقوله: (كافيًا)، فيصير المعنى كفى الله حال كونه كافيًا. وإنّما صحّ هذا المعنى.

[3] ن - والدفع.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾

"الأقربون": هم المتوارثون من ذوي القرابة دون غيرهم.

﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدلٌ من "ما ترك" بتكرير العامل.

و﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ نصبٌ على الاختصاص بمعنى: أعني نصيبًا مفروضًا مقطوعًا واجبًا لا بدَّ لهم من أن يَحُوزُوه ولا يُستأثَر به.

ويجوز أن ينتصِبَ انتصابَ المصدر المؤكِّد؛ كقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾

قوله: (مِن ذوي القرابات) مِن في[1] "ذوي القرابات" للتبعيض.

قوله: (غيرِهم)، أي: غيرِ المتوارثين.

قوله:[2] (﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل مِن ﴿مَا تَرَكَ﴾) فهو بدل مِن الثاني، وحُذف مثله مِن الأوّل. والضمير في ﴿قَلَّ﴾ عائد إلى ﴿مَا﴾ في ﴿مِمَّا قَلَّ﴾. والضمير في[3] ﴿مِنْهُ﴾ عائد إلى ﴿مَا﴾ في ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾، و﴿مِنْهُ﴾ في محل النصب على الحال. وأمّا العائد إلى ﴿مَا﴾ في ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ فمحذوفٌ، أي: ممّا تركه الوالدان.

قوله: (أعني: نصيبًا مفروضًا مقطوعًا واجبًا) فسّر المصنّف ﴿مَفْرُوضًا﴾ بقوله: "مقطوعًا واجبًا"، قال في الصحاح: الفَرْض: الحزّ[4] في الشيء. وفَرْض القوس: هو الحزّ[5] الذي يقع فيه الوتر. والمَفْرِض الحديدة التي يُحزُّ بها.[6] والفَرْض: ما أوجبه الله تعالى، سُمّي بذلك لأنّ له معالمَ وحدودًا.[7]

قوله: (ويجوز أن ينتصِب) اعلم أنّ انتصاب (﴿فَرِيضَةً﴾ [النساء ٤/١١]) على المصدر ظاهر، قال في الصحاح: «فَرَض الله علينا كذا وافترض، أي: أوجَب،

---

[1] ر – في.
[2] ن ر – غيرهم، أي: غير المتوارثين. قوله.
[3] ن ر – ﴿قَلَّ﴾ عائدًا إلى ﴿مَا﴾ في ﴿مماقل﴾، والضمير في.
[4] ر: الجزء.
[5] ر: الجزء.
[6] ر – والمفرض الحديدة التي يُحزُّ بها.
[7] انظر: الصحاح للجوهري، «فرض».

[النساء ١١/٤] كأنّه قيل: قسمةً مفروضةً.

روي: أنَّ أَوْس بن صامتٍ الأنصاريَّ ترك امرأته أمّ كُجَّة وثلاثَ بنات، فزَوى ابنا عمِّه سُوَيدٌ وعُرفُطةُ -أو قتادةُ وعَرْفجةُ- ميراثَه عنهنّ، ....

والاسم الفريضة».[١] وأمّا انتصاب ﴿نَصِيبًا﴾ على المصدر على ما ذكره المصنّف فمُشكِل، فإنّ النصيب بمعنى الحظّ، وهو ليس مصدرًا ولا في معناه.

وقوله: (كأنّه قيل: قسمةً مفروضة) لا تساعد عليه / اللغة ولا يتبين لي له [٢٩١و] وجهٌ صحيح يُعوَّل عليه، اللّٰهمّ إلّا أن يقال: المضاف محذوف، أي: قسمةً ذات نصيب مفروض، فيكون صفة[٢] مصدر محذوف بحذف[٣] المضاف.

قوله: (ولا يُستأثر) عطف على جملة (لا بدّ[٤] لهم مِن أن) يقال: «استأثر فلان بالشيء،[٥] أي: استبدَّ به».[٦] فقوله: "يُستأثر" مستند إلى "به" وليس فيه ضمير.

قوله: (ترك امرأته)، أي: مات وترك.[٧]

قوله: (سُويد وعُرفُطة أو قتادةُ وعَرْفَجة) إن رُوي بالواو في "وعَرْفَجة" يكون الكلام للتخيير بين "سويد وعُرفُطة"[٨] وبين "قتادة وعَرْفَجة"، أي: ابنا[٩] عمِّه. إمّا الأوّلان أو الآخران، وإن روي بـ"أو" فالتخيير في قتادة وعَرْفَجة[١٠] وعُرفُطة، أي: يكون أحدُهما سويدًا قطعًا والآخرُ[١١] إمّا[١٢] عرفطة أو قتادة أو عرفجة[١٣] وفي بعض النُّسخ أو عرفجة قال رحمه الله:[١٤] أو قتادة أو عرفجة تخيير في عرفُطة.[١٥]

---

١ الصحاح للجوهري، «فرض».
٢ ن ر - صفة.
٣ ن ر: فحذف.
٤ ر: يد.
٥ ر - بالشيء.
٦ ر: له. | الصحاح للجوهري، «أثر».
٧ ر + امرأته.
٨ ر: وعرفجة.
٩ ن: أبناء.
١٠ ر - أي: ابنا عمّه أمّا الأولان أو الآخران، وإن روي بأو فالتخيير في قتادة وعرفجة.
١١ ر: وللآخر.
١٢ ر: ولما.
١٣ ر + تخيير في عرفجة.
١٤ ن - رحمه الله.
١٥ ر - أو عرفجة قال رحمه الله: أو قتادة أو عرفجة تخيير في عرفُطة.

وكان أهلُ الجاهلية لا يُورِّثون النِّساء والأطفال، ويقولون: لا يرث إلا مَن طاعن بالرِّماح وذَادَ عن الحَوْزَةِ وحاز الغنيمة، فجاءتْ أمُّ كُحَّةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفَضِيخ فشكَتْ إليه، فقال: ارجعي حتَّى أنْظُرَ ما يُحْدِث الله، فنزلت، فبعثَ إليهما: «لا تُفرِّقا من مال أوسٍ شيئًا فإنَّ الله قد جَعَل لهنَّ نصيبًا ولم يُبيِّنْ، حتَّى يُبيِّنَ» فنزل: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ فأعطى أمَّ كُحَّةَ الثُّمن، والبناتَ الثُّلثين، والباقي ابنَي العمِّ.

قوله: (**وكان أهل**) الواو للحال.

قوله: (**وذاد**)، أي: دَفَع الأعداء.

قوله: (**عن الحَوزة**)، الحَوزة: الناحية.

قوله: (**في مسجد الفضيخ**)[1] موضع بالمدينة، صحّ بالضاد والخاء المعجمتين.[2]

قوله: (**فنزلت**)، أي: الآية.

قوله: (**فبعث**)، أي: النبيّ.

قوله: (**ولم يُبيِّن**)، أي: النبيّ عليه السلام.[3]

قوله: (**حتّى يُبيِّن**)، أي: الله. و"حتّى" متعلّق بقوله: (**«لا تفرّقا»**) إلى أن يُبيِّن الله[4] نصيبهن. ويجوز أن يكون قوله: "حتّى يُبيِّن" مِن تتمّة قوله: (**«فإنّ الله قد جَعَل»**)،[5] ويكون متعلقًا بمحذوف، أي: اصبروا حتّى يبيِّن الله.

---

[1] ر + الفضيخ.

[2] لم أقف على ذكر الفضيخ فيما راجعت من كتب البلدان. ومسجد الفضيخ: مسجد صغير شرقي مسجد قباء، على شفير الوادي، على نشز من الأرض، مبنيّ بحجارة سود، وهو مربع ذرعه بين المشرق والمغرب أحد عشر ذراعًا ومن القبلة للشام نحوها، ويُعرف بمسجد الشمس. انظر: **شفاء الغرام** للفاسي، ٤٤٤/٢؛ و**خلاصة الوفا** للسمهودي، ٢٨٩/٢-٢٩٠.

[3] ن ر – عليه السلام.

[4] ن ر – أي: الله وحتى متعلّق بقوله: لا تفرّقا إلى أن يُبيّن الله.

[5] بلفظ قريب في **تفسير مقاتل ابن سليمان**، ٣٥٨/١ (النساء، ٧/٤)؛ و**الكشف والبيان** للثعلبي، ٩٣/١٠ (النساء، ٧/٤)؛ و**معالم التنزيل** للبغوي، ١٦٩/٢ (النساء، ٧/٤).

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾؛ أي: قسمةَ التَّركة ﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ممَّن لا يَرِثُ.

﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ الضَّمير لـ"ما ترك الوالدان والأقربون" وهو أمرٌ على النَّدب.

قال الحسن: كان المؤمنون يفعلون ذلك، إذا اجتمعت الورثةُ حضرهم هؤلاء فَرضَخُوا لهم بالشيء من رِثَّة المتاع، فحضَّهم الله على ذلك تأديبًا من غير أن يكون فريضةً.

قالوا: ولو كان فريضةً لَضُرب له حَدٌّ ومقدارٌ كما لغيره من الحقوق.

قوله: (إذا اجتمعَت) "إذا" شرطيّة و(حضرهم) جوابه، والفاء في (فرضخوا) عاطفة. وقيل: "إذا" ظرفيّة و"حضر" حال. والأوّل أولى. والجملة لبيان قوله: (يفعلون ذلك).

وقوله: (فرضخوا) رضختُ له رَضْخًا، وهو: العطاء ليس بالكثير.

قوله: (مِن رِثّة) الرِّثة: السَّقَط مِن متاع البيت مِن الخُلْقان.

قوله: (فحضّهم)، أي: حثّهم.[1]

قوله: (تأديبًا) نصبٌ على المصدر يريد أنّه بطريق الأولويّة لا الوجوب. يقال: أدُب فهو أديب. وأدَّبه غيرُه فتأدَّب واستأدب. وتركيبه يدلّ على الجمع. والدعاء منه الأَدْب، وهو أن تجمع الناس إلى طعامك وتدعوَهم.[2] ومنه[3] قيل للصنيع: مأدُبة، كما قيل له: مَدْعاة. ومنه الأَدَب لأنّه يأدِب الناس إلى المحامد، أي: يدعوهم إليها. وقيل: الأدب: اسم يقع على كلّ رياضة[4] محمودة يتخرّج[5] بها الإنسان في فَضلة من الفضائل.[6]

---

[1] ر: جهنم.
[2] من قوله: "أدُب" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «أدب».
[3] ر: ومثله.
[4] ر: راضية.
[5] ر: يتحرج.
[6] من قوله: "ومنه قيل" إلى هنا بلفظ قريب في المغرب للمطرّزي، «أدب».

وروي: أنَّ عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قسَّم ميراثَ أبيه وعائشةُ رضي الله عنها حيَّةٌ، فلم يَدَعْ في الدَّار أحدًا إلا أعطاه، وتلا هذه الآية.

وقيل: هو على الوجوب.

وقيل: هو منسوخ بآيات الميراث كالوصيَّة.

وعن سعِيد بن جُبير: إنَّ ناسًا يقولون: نُسختْ، والله ما نُسختْ ولكنَّها ممَّا تهاوَنَ به النَّاسُ.

والقولُ المعروف: أنْ يُلطِفوا لهم القولَ، ويقولوا: "خذوا باركَ الله عليكم" ويعتذروا إليهم، ويستقلُّوا ما أعطوهم ولا يستكْثروه، ولا يَمُنُّوا عليهم.

وعن الحسن والنخعي: أدْركنا النَّاسَ وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العَين -يَعْنيان: الوَرِقَ والذَّهبَ- فإذا قُسم الوَرِقُ والذَّهبُ وصارَتْ القسمةُ إلى الأرضين والرَّقيق وما أشبهَ ذلك، قالوا لهم قولًا معروفًا، كانوا يقولون لهم: بورك فيكم.

قوله: (أبي بكر)، أي: أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه.[1]

قوله: (وهم يقسِمون على القرابات)... إلخ، يعني كانوا يعطونهم من الوَرِق والذهب، ولمّا بلغوا إلى قسمة الأرَضِين بين الورثة يقولون للقرابات والمساكين واليتامى الغير الورثة قولًا معروفًا ليكون كالجبر لقلوبهم، إذ لا يسهل عليهم أن يُخرجوا مِن الأرَضِين والرقيق شيئًا ويُعطوا للقرابات والمساكين واليتامى الغير الورثة.

قوله: (يعنيان)، أي: يريد الحسن والنخَعيّ بـ(العَين) الوَرِق[2] والذهب.

قوله: (فإذا قُسِم) عطف على قوله: "يقسمون"، وقد تخلَّل تفسير "العَين" بين المعطوف والمعطوف عليه.

قوله: (كانوا يقولون)[3] بيان قوله: (قالوا).

---

[1] د ن - رضي الله عنه.

[2] ر: والورق.

[3] عن الحسن والنخَعي بلفظه في **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ١٦/٢ (النساء، ٨/٦)؛ **والبسيط** للواحدي، ٣٤٤/٦ (النساء، ٨/٦).

﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٩﴾

﴿لَوۡ﴾ مع ما في حيّزه صلةٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ والمرادُ بهم: الأوْصياءُ، أُمِروا بأن يخشَوُا الله فيخافوا على مَن في حُجُورِهم من اليتامى، ويُشفِقوا عليهم خوفَهم على ذريَّتهم لو تركوهم ضِعَافًا وشفقتَهم عليهم، وأن يُقدِّروا ذلك في أنفسهم ويُصوِّروه حتَّى لا يَجسُروا على خلافِ الشَّفقة والرَّحمةِ.

ويجوز أن يكون المعنى: وَلْيَخْشوا على اليتامى من الضَّياعِ.

وقيل: هم الذينَ يجلسون إلى المريض فيقولون له: إنَّ ذُريَّتك لا يُغنُون عنك من الله شيئًا فقدِّم مالك، فيستغرقُه بالوصايا، فأُمروا بأن يخشَوْا ربَّهم، أو يخشَوْا على أولاد المريض ويُشفقوا عليهم شفَقَتَهُم على أولاد أنفسهم لو كانوا.

ويجوز أن يتَّصل بما قبله، وأن يكون أمرًا للورثة بالشفقة على الَّذين يحضرون القسمةَ من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين، وأن يتصوَّرُوا

قوله: (ويُشفقوا[1] عليهم) «أشفقتُ عليه فأنا مشفِقٌ / وشفيق،[2] فإذا قلتَ: "أشفقتُ منه"، فإنّما تعني: "حذَرتُه"، وأصلهما واحد»،[3] أي: فيخافوا خوفَهم ويُشفِقوا شفقتَهم، ففيه لف ونشر. [٢٩١ظ]

قوله: (مِن الضَّياع) ضاع الشيء يضيع ضَيعةً وضَياعًا بالفتح، أي: هَلَك. والضيعة: العَقار، والجمع ضِياع بالكسر وضِيَع مثل "بَدْرة وبِدَر".[4]

قوله: (ويجوز أن يتَّصل) فإنّه على الوجوه المتقدِّمة لم يكن متصلًا بما قبله، أي: بقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ﴾.

قوله: (وأن يتصوَّروا) عطف على قوله: (بالشفقة)، أي: أمِروا بالشفقة وبأن[5] يتصوَّروا.

---

[1] ن: وأشفقوا.

[2] ن - وشفيق.

[3] الصحاح للجوهري، «شفق».

[4] من قوله: "ضاع الشيء" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «ضيع».

[5] ر: بأن.

أنَّهم لو كانوا أولادَهم بَقُوا خَلْفَهم ضائعين محتاجين، هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخَيْبَة؟

فإن قلتَ: ما معنى وقوع ﴿لَوۡ تَرَكُواْ﴾ وجوابِه صلةً لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾؟

قلتُ: معناه: وليخشَ الَّذين صفتُهم وحالُهم أنَّهم لو شارَفُوا أن يتركوا خَلفهم ذريَّةً ضِعافًا -وذلك عند احتضارهم- خافوا عليهم الضَّياعَ بَعْدهم لذَهاب كافِلِهم وكاسِبهم؛ كما قال القائل:

لقد زادَ الحياةَ إليَّ حُبًّا بناتي إنهنَّ من الضِّعافِ

قوله: (بقُوا) حال.

قوله: (لو شارفوا) يريد أنّه جعل مشارفتهم على الترك كالترك، وذلك لأنّهم إنّما يخافون[١] إذا قرب موتهم وعلموا أنّهم[٢] في أحوال الموت وتركِ الذرّيّة الضعاف،[٣] وليس المعنى بعد ما ماتوا وتركوا وخافوا. شارفتُ الشيء، أي:[٤] أشرفتُ عليه.

قوله: (عند احتضار الموت)، حضر[٥] المكان واحتضره شهده واحتُضر مات لأنّ الوفاة حضرته أو ملائكة الموت[٦] حضرته ويقال: فلان مُحتضر، أي: قريب من الموت.

قوله: (وكاسِبِهم) مِن قولهم: "كسبتُ زيدًا المالَ"، فهو من المتعدي إلى مفعولين، أي: لذهاب كاسبِهم المالَ.

قوله:

(لقد زاد الحياةَ إليّ حُبًّا)[٧] البيتين

(إنَّهنّ) بالكسر للتعليل ضمنًا وبالفتح[٨] للتعليل صريحًا بحذف اللام.

---

١ ن ر: يخالفون.

٢ ن ر - وعلموا أنهم.

٣ ن: الضعفاء.

٤ ر - أي.

٥ ر: وحضر.

٦ ر + حضر المكان واحتضره شهده واحتُضر مات لأنّ الوفاة حضرته أو ملائكة الموت.

٧ مختلف في نسبتهما: فهما لعيسى بن فاتك الخطي في الوحشيّات لأبي تمام، ص ٩٠؛ وشعر الخوارج لإحسان عباس، ص ٥٧؛ ولأبي خالد القناني في الكامل للمبرد، ١٠٨٢/٢؛ ولسعيد بن مسحوج الشيباني في شرح أبيات المغني للبغدادي، ١٣٨/٧؛ وقال البصريّ قبل إنشادها في الحماسة البصرية، ٧٦٦/٢: «وقال عمران بن حِطّان الشيباني، وأبو رِياش نسبها إلى محمّد بن عبد الله الأزدي، وتروى لابن العربيّة اليشكري»؛ وهما بلا عزو في إصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ٥٩؛ والأضداد لابن الأنباري، ص ٢٦.

٨ ر: بالفتح.

أحـــاذِرُ أنْ يَـرِيْـنَ الـبُـؤْسَ بَعْدي   وأن يَـشْـرَبْـنَ رَنْـقًـا بـعـدَ صـافِ

وقرئ: "ضُعَفاءَ" و: "ضُعافى" و: "ضَعافَى"، نحو سُكارى وسَكارى.

والقول السَّديدُ من الأوصياء: أن لا يؤذوا اليتامى، ويُكلِّموهم كما يُكلِّمون أولادَهم بالأدب الحسَن والتَّرحيب، ويدعوهم بـ"يا بنيَّ" و: "يا ولدي".

ومن الجالسين إلى المريض: أن يقولوا له إذا أرادَ الوصيَّة: لا تُسرِفْ في وصيَّتك فتُجْحِفَ بأولادك، مثلُ قولِ رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعدٍ: «إنَّك أنْ تتركْ ولدَك أغنياءَ خيرٌ من أن تدَعهم عَالةً يتكفَّفُون الناسَ».

وكان الصَّحابة رضي الله عنهم يستحبُّون أن لا تَبلُغَ الوصيَّةُ الثُّلث، وأنّ الخُمس أفضلُ من الرُّبع، والرُّبعَ من الثُّلث.

ومن المتقاسِمين ميراثهم: أن يُلطِّفوا القوْلَ ويُجَمِّلوهُ للحاضرين.

"ماءٌ رَنْق" بالتسكين، أي: كدِر.

قوله: (**ويدعوهم**)، أي: يدعو كلَّ واحد منهم.

قوله: (**بـ"يا بُنيّ"**) «قال الفرّاء: يا بُنيِ ويا بُنيَّ بالكسر والفتح لغتان، مثل "يا أبتِ ويا أبتَ"».[1]

قوله: (**فتُجْحِفَ**) جَحَفه واجتحفه وأجْحَف[2] به: أهلكه واستأصله.

قوله: (**لسعد**) هو سعد بن أبي وقّاص.

قوله: (**«أن[3] تترك»**) بدل مِن الضمير المنصوب، وهو اسم "إنّ" بدل اشتمال، أو مبتدأ ما بعده خبره، والجملة خبر "إنّ". قوله عليه السلام: (**«يتكفَّفون الناس»**)،[4] أي: يسألونهم، يقال: استكفَّ الناس وتكفَّفهم: مدَّ إليهم كفَّه يسألهم.[5]

قوله: (**وأنّ الخُمس**) عطف على (**ألّا تُبلَغوا**) مِن حيث المعنى، أو بتضمُّن (**يستحبُّون**) معنى فعل آخر، أي: ويَرون أنّ الخُمس.

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «بنا».

[2] ر: وأجحفه.

[3] ر – أن.

[4] بلفظ قريب في **صحيح البخاري**، ٨١/٢ (١٢٩٥)؛ و**صحيح مسلم**، ١٢٥٠/٣ (١٦٢٨).

[5] انظر: **الصحاح** للجوهري، «كفف».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾

﴿ظُلۡمًا﴾: ظالمين، أو: على وجه الظُّلم من أولياء السُّوء وقُضاته.

﴿فِي بُطُونِهِمۡ﴾: مِلْءَ بطونهم، يقال: أكل فلانٌ في بطنه، وفي بعض بطنه، قال:

كُـلُـوا فـي بـعـضِ بطـنِـكـم تَـعِـفُّـوا

ومعنى "يأكلون نارًا": يأكلون ما يَجُرُّ إلى النَّار، فكأنّه نارٌ في الحقيقة.

وروي: أنّه يُبعَثُ آكِلُ مالِ اليتيم يوم القيامة والدُّخانُ يخرج من قَبْره

قوله: (ظالمين) يعني: يكون ﴿ظُلۡمًا﴾ حالًا[١] من واو ﴿يَأۡكُلُونَ﴾.

وقوله: (أو على وجه الظلم) يعني صفة مصدر محذوف، أي: أكلًا على وجه الظلم.

قوله: (مِن أولياء السَّوْء) بيان ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ﴾ والسَّوء بفتح السين، هو: نقيض الصدق بمعنى الصلاح والجَودة، والسَّوْء بمعنى الرداءة والفساد، فإذا قالوا: "رجل صِدْق" يريدون أنّه مختصّ بالصلاح والجَودة لا يجيء منه رَداءة وفساد، وإذا قالوا: "رجل سَوْء" فالمعنى أنّه مختصّ بالفساد والرداءة لا يجيء منه صلاح، فأولياء السَّوْء هم الأولياء المختصُّون[٢] بالرداءة والفساد لا يجيء منهم صلاحٌ.

قوله:

(كُـلـوا فـي بـعـض بطـنكـم تـعِـفُّـوا)

تمامه:

فـإنّ زمـانـكـم زمـنٌ خـمـيـصُ[٣]

الخميص: القحط.

قوله: (يُبعَث آكل مال اليتيم) قال رحمه الله:[٤] آكل مالِ اليتيم يتيم

---

١ د: حال.

٢ ن - بالفساد والرداءة لا يجيء منه صلاح، فأولياء السَّوْء هم الأولياء المختصُّون.

٣ لا يُعرف قائله. ومضى بتخريجه في تفسير البقرة، ٢/٧.

٤ ن - رحمه الله؛ ر: رضي الله عنه.

ومن فيه وأنفه وأذُنيْه وعينيه، فيَعرف النَّاسُ أنَّه كان يأكل مال اليتيم في الدُّنيا.

وقرئ: ﴿وسيُصلون﴾ بضمِّ الياء وتخفيف اللَّام وتشديدها.

﴿سَعِيرًا﴾ نارًا من النِّيران مُبهمةَ الوصْف.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝١١﴾

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾: يَعْهَدُ إليكم ويأمُركم.

﴿فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾: في شأن ميراثهم بما هو العَدْلُ والمصلحةُ، وهذا إجمالٌ تفصيلُه: ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: "للأنثيين مثلُ حظِّ الذَّكر" أو: "للأنثى نصفُ حظِّ الذَّكر؟".

عن رحمة الله، وهو اليتم الأكبر.

قوله: **(وتخفيف اللام)** سبعة.[1] وقوله: **(وتشديدُها)**، أي: "يُصَلَّون" شاذٌّ.[2] يقال: «صلَّيتُ الرجل نارًا إذا أدخلتَه النار، فإن ألقيتَه / فيها إلقاءً كأنَّك تُريد إحراقه قلتَ: "أصليتُه" بالألف و"صلَّيته تصليةً"».[3] [٢٩٢و]

قوله: **(فإن قلتَ: هلَّا قيل)** وجهُ السؤال أن يقال: هلَّا جُعل حظُّ الذَّكر أصلًا ثمَّ بيَّن حظَّ الأنثى بالإضافة إليه رعايةً لفضيلة الذَّكر، ولِمَ جُعل حظُّ الأنثى[4] كالأصل ثمَّ بيَّن حظَّ الذَّكر بأن نُسب إليه.

---

١ قراءة شاذَّة، مرويَّة عن ابن مِقْسَم وأبي حَيْوَة وأبي البَرَهسم. **المغني في القراءات** للنُّوزاوازي، ص ٦٤٥.

٢ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بفتح الياء، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضمِّ الياء، والجميع بتخفيف اللام. **السبعة** لابن مجاهد، ص ٢٢٧.

٣ **الصحاح** للجوهري، «صلا».

٤ ن ر – بالإضافة إليه رعاية لفضيلة الذكر ولم جعل حظ الأنثى.

قلت: ليُبْدأ ببيان حظِّ الذَّكر لفضله كما ضُوعِف حظُّه لذلك؛ ولأنَّ قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ قصدٌ إلى بيان فضل الذَّكَر، وقولك: "للأنثيين مثل حظِّ الذَّكر" قصدٌ إلى بيان نقص الأنثى، وما كان قصدًا إلى بيان فضله كان أدلَّ على فضله من القصد إلى بيانِ نقصِ غيره عنه؛ ولأنهم كانوا يُورِّثون الذُّكور دون الإناث، وهو السَّبب لورود الآية، فقيل: كفَى الذُّكورَ أن ضُوعف لهم نصيبُ الإناث، فلا يُتمادى في حظِّهنَّ حتى يُحْرَمن مع إدلائهنَّ من القرابة بمثل ما يُدْلون به.

فإن قلتَ: فإنَّ حظَّ الأنثيين الثُّلثان فكأنَّه قيل: "للذكر الثُّلثان"؟

قلتُ: أريدَ: حالَ الاجتماع لا الانفراد؛ أي: إذا اجتمع الذَّكر والأُنثيان كان له سهمان كما أنَّ لهما سهمين، وأمَّا في حال الانفراد فالابنُ يأخذ المال كلَّه والبنتان يأخذان الثُّلثين، والدَّليلُ على أنَّ الغرض حكمُ الاجتماع أنَّه أتبعه حكم الانفراد وهو قوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ والمعنى: للذَّكر منهم؛ أي: من أولادكم، فحُذف الرَّاجعُ إليه؛ لأنه مفهوم؛ كقولهم: "السَّمْنُ مَنَوانِ بدِرهمٍ".

﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾: فإن كانت البناتُ أو المولوداتُ نساءً خُلَّصًا ليس معهنَّ رجلٌ، يعني: بناتٍ ليس معهنَّ ابنٌ.

قوله: (**لذلك**)، أي: لفضله.

قوله: (**فلا يُتمادى**) المَدى بفتحتين: الغاية. ومنه التمادي في الأمر، وهو: بلوغ المدى. فإن قرئ (**في حظّهنّ**) بالظاء المعجمة فالمضاف محذوف، أي: لا يبلغ الغاية في منع حظّهنّ أو في نقصانِ حظّهنّ حتّى يُحرَمنّ، وإن قرئ بالطاء المهملة فالمعنى ظاهر.

قوله: (﴿**فَإِن كُنَّ نِسَآءً**﴾) أصله: فإن كانوا، أي: فإن كان الأولاد، لكن أنِّث باعتبار الخبر.

قوله: (**الراجع إليه**)، أي: إلى ﴿أَوْلَٰدِكُمْ﴾.

﴿فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ يجوز أن يكون خبرًا ثانيًا لـ"كان"، وأن يكون صفةً لـ﴿نِسَآءٗ﴾؛ أي: نساءً زائداتٍ على اثنتين.

﴿وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ﴾: وإن كانت البنتُ أو المولودةُ منفردةً فَذَّةً ليس معها أخرى ﴿فَلَهَا ٱلنِّصۡفُ﴾.

وقرئ: ﴿واحدةٌ﴾ بالرَّفع على "كان" التامةِ، والقراءةُ بالنَّصب أوفقُ لقوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ﴾.

وقرأ زيد بن ثابت: "النُّصفُ" بالضَّم.

والضَّمير في ﴿تَرَكَ﴾ للميِّت؛ لأنَّ الآية لمَّا كانت في الميراث عُلم أنَّ التَّارك هو الميِّت.

فإن قلتَ: قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ كلامٌ مسوقٌ لبيان حظِّ الذَّكر من الأولاد لا لبيان حظِّ الأنثيين، فكيف صحَّ أن يُردَفَ قولَه: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ﴾ وهو لبيان حظِّ الإناث؟

قلتُ: وإن كان مسوقًا لبيان حظِّ الذَّكر إلَّا أنَّه لمَّا فُقِه منه وتُبُيِّنَ حظُّ الأنثيين مع أخيهما كان كأنَّه مسوقٌ للأمرين جميعًا، فلذلك صحَّ أن يقال: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ﴾.

قوله: (**بالضمّ**)[1] قال رحمه الله:[2] الضمّ في "النُّصف" لغة أهل الحِجاز، وهو أقيَس؛ لأنّك تقول: "الثُّلث" إلى "الثُّمن" و"العُشر".[3]

قوله: (**قلتُ: وإن كان مَسوقًا**) تحقيق الجواب أن يقال: الكلام وإن كان مسوقًا لِما ذكر لكن سبب وروده أنّهم كانوا يحرمون الإناث، فبيّن حالهنّ مجتمعة مع الذكور ثمّ منفردة عنهم.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن والسُّلمي. **المغني في القراءات** للنُّوزاوازي، ص ٦٤٦.

٢ ن - رحمه الله؛ ر: رضي الله عنه.

٣ من قوله: "الضمّ" إلى هنا بلفظ قريب في حواشي شهاب الدين الخزّافي على **الكشاف**. وهو منقول من خطّه على هامش مخطوط **الكشّاف** (نسخة آيا صوفيا، رقم ٢٤٧)، ٩٨ظ.

فإن قلتَ: هل يصحُّ أن يكون الضَّميران في ﴿كُنَّ﴾ و﴿كَانَتْ﴾ مبهَمَين، ويكون ﴿نِسَآءً﴾ و﴿وَٰحِدَةً﴾ تفسيرًا لهما على أنَّ "كان" تامةٌ؟

قلتُ: لا أُبْعِدُ ذلك.

فإن قلتَ: لم قيل: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ ولم يَقُلْ: وإن كانت امرأةً؟

قلتُ: لأنَّ الغرض ثمّة خلُوصُهنَّ إناثًا لا ذَكَرَ فيهنَّ ليُميَّز بين ما ذُكر من اجتماعهنَّ مع الذُّكور في قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ وبين انفرادهنَّ، وأريد هاهُنا أن يُميَّزَ بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينَة لها.

قوله: (**مبهَمين**) المُبهَم: ما لا يكون منصرفًا إلى شيء سبق؛ بل يُؤتى به للتنبيه، مثل ضمير الشأن، وإذا كان الضمير مبهمًا كان ﴿نِسَآءً﴾ تفسيرًا له و﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ صفة لـ﴿نِسَآءً﴾، فكأنّه قيل: إن وُجدت نساء موصوفات بالزيادة على اثنتين.

قوله: (**ولم يقل: وإن كانت امرأةً**) تعني في[1] ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً﴾، فإنّ القياس أن تُقابل "نساء" بـ"امرأة" لا بواحدة، فإنّ[2] النساء جمع امرأة معنًى، أي: مِن غير لفظها.

قوله: (**قلتُ: لأنّ الغرض**) وحاصله أنّه صرّح بما هو المقصود، فحيث كان المقصود بيان الخلوص قال: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ صرّح بلفظ النساء، وحيث كان المقصود بيان الانفراد قال: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً﴾.

قوله: (**ثمّة**)، أي: ﴿فَإِن كُنَّ﴾.

قوله: (**وبين انفرادِهنّ**)، أي: خلوصهنّ نساء.

قوله: (**وأريدَ ههنا**)، أي: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً﴾.

قوله: (**مع غيرها**)، أي: مِن الإناث.

---

[1] ن ر – في.

[2] ن ر – القياس إن تقابل نساء بامرأة لا بواحدة فإنّ.

فإن قلتَ: قد ذُكر حكمُ البنتين في حال اجتماعهما مع الابن، وحكمُ البنات والبنت في حال الانفراد، ولم يُذكر حكمُ البنتين في حال الانفراد، فما حكمُهما، وما بالُه لم يُذكر؟

قلتُ: أمَّا حكمُهما فمختلَفٌ فيه؛ فابن عبّاس أَبَى تنزيلَهما منزلة الجماعة لقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ فأعطاهما حكمَ الواحدة، وهو ظاهر مكشوف، وأمَّا سائرُ الصَّحابة فقد أعطَوْهما حكمَ الجماعة، ....

قوله: (وحكمُ البنات) فوق اثنتين.

قوله: (والبنتِ) وإن كانت واحدة.

قوله: (قلتُ: أمّا حكمُهما)... إلخ، أقول: ذَكَر المصنّف "أمّا" مرتين وترك قرينَ كلِّ واحد[1] منهما صريحًا: فقرين قوله: "أمّا حكمهما" يُقدَّر[2] عند قوله: (فلمّا ذُكر) هكذا: وأمّا تركُ ذِكر حكمهما فلأن ما ذُكر يدلّ عليه "فلمّا ذُكر[3] ما دلّ عليه"... إلخ. وقرين قوله: (وأمّا سائر الصحابة) يقدّر عند قوله متقدمًا: (فابن عبّاس) هكذا: "وأمّا ابن عبّاس[4] فأبى". تأمّل واحمد[5] الله تعالى.

قوله: (وهو ظاهر مكشوف) واعلم أن لي فيه نظرًا؛ لأنّه تعالى كما قال: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾، فقد قال أيضًا: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾،[6] فإن كان قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ يأبى أن يكون حكمُ الاثنتين[7] حكمهنّ،[8] فكيف لا يأبى[9] قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً﴾ / أن يكون حكم الاثنتين[10] حكمَها؟ كيف وقد مرّ أنّ[11] قوله:[12] ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ مَسوق لخلوصهنّ نساء؟ [٢٩٢ظ]

---

[1] ن - واحد.
[2] ر: تقدير.
[3] ر - هكذا وأما ترك ذكر حكمهما فلأن ما ذكر يدل عليه فلمّا ذُكر.
[4] ن + رضي الله عنه؛ ر - هكذا وأما ابن عبّاس.
[5] ن ر: فاحمد.
[6] ر: نصف ما ترك.
[7] ر: الاثنين.
[8] ر: لحكمهن.
[9] ر: يأتي.
[10] ر: الاثنين.
[11] ر + يكون.
[12] ن + تعالى.

والّذي يُعلَّل به قولهم: أنَّ قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ قد دلَّ على أن حكم الأنثيين حكمُ الذَّكر، وذلك أنَّ الذَّكر كما يَحُوزُ الثُّلثَيْن مع الواحدة فالأنثيان كذلك تحوزان الثُّلثين، فلمّا ذُكر ما دلَّ على حكم الأنثيين قيل: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ على معنى: فإن كنَّ جماعةً بالغاتٍ ما بَلَغْن

فليس المقصود منه ذِكر خصوصيّة العدد فيستوي الاثنتان فما فوقها، لكن ذكر فوق الاثنتين لبيان أنّ العدد بالغًا ما بلغَتْ لا يقتضي الزيادة على الثلثين، فكأنه قيل: اثنتين فصاعدًا، وأمّا[1] قوله: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ فمَسوق لبيان انفرادها، فتدلّ على أنّ حكم الاثنتين ليس حكم الواحدة.

وأمّا قول المصنّف: **(والذي يُعلَّل به)**... إلخ، فلي فيه نظرٌ أيضًا، وذلك لأنّ المصنّف قد ذَكَر عن قريب أنّ قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ بيانُ حال الاجتماع لا الانفراد، أي: إذا اجتمع الذكر والأنثيان، وإذا كان التقدير كما ذكر فكيف يصحّ أن يقال: عُلم منه أنّ للذكر حينئذٍ الثلثين،[2] فإنّه ليس له الثلثان، وأيضًا فحال الانفراد مخالف لحال الاجتماع، فتأمّل.

والحاصلُ أنّ قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ لبيان الانفراد دلّ[3] على أنّ حكم الثنتين بخلاف الواحدة، ولمّا كان المراد مِن ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ بيانَ خلوصهنّ لم يكن فيه دلالةٌ على التفرقة بين البنتين[4] وما فوقها.

قوله: **(وذلك)** إشارةٌ إلى كيفيّة التعليل في قوله: "**والذي يعلّل به قولهم**"... إلخ، فقوله: "ذلك" شروعٌ في بيان وجه التعليل، فإنّه لمّا كان للذّكر الثلثان مع الواحدة فتعيّن لنصيبه الثلثان فللأنثيين أيضًا الثلثان لأنّ حكمهما حكمه.

قوله: "فلمّا ذكر" هذا إشارة إلى جواب قوله: **(وما بالُه لم يذكر؟)** وبهذا الكلام استغنى عن ذِكر "أمّا"[5] أخرى[6] مع قوله: "أمّا حكمهما".

قوله: **(ما بلغنَ)**، أي: عددًا بلغنه، فحذف مفعول "بلغنَ"، و"ما" مفعول **(بالغاتٍ)**.

---

[1] ر: فأما.
[2] ر: ثلثين.
[3] ن - دل.
[4] ن: الثنتين.
[5] ن ر: ما.
[6] ن: أجرى؛ ر: جرى.

من العدد فلهنَّ ما للأُنثيين وهو الثُّلثان لا يتجاوَزْنَه لكثرتهنَّ؛ ليُعلم أنَّ حكم الجماعة حكمُ الثِّنتين بغير تفاوتٍ.

وقيل: إن البنتين أمسُّ رَحِمًا بالميِّت من الأختين، فأوجَبوا لهما ما أَوجب الله للأختين، ولم يرَوْا أن يقصِرُوا بهما عن حظِّ مَن هو أبعدُ رَحِمًا منهما.

وقيل: إنَّ البنتَ لمَّا وجب لها مع أخيها الثُّلثُ كانت أَحْرى أن يجب لها الثُّلثُ إذا كانت مع أختٍ مثلِها، ويكون لأختها معها مثلُ ما كان يجب لها أيضًا مع أخيها لو انفردت معه، فوجَب لهما الثُّلثان.

﴿وَلِأَبَوَيۡهِ﴾ الضَّمير للميِّت.

و﴿لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا﴾ بدلٌ من "لأبويه" بتكرير العامل، وفائدة هذا البدل: أنَّه لو قيل: «ولأبويه السُّدسُ» لكان ظاهرُه اشتراكَهما فيه، ولو قيل: «ولأبويه السُّدسان» لَأَوْهَمَ قسمَةَ السُّدسين عليهما على السَّوية وعلى خلافها.

فإن قلتَ: فهلَّا قيل: ولكلِّ واحد من أبويه السُّدس، وأيُّ فائدة في ذكر الأبوين أوَّلًا ثمَّ في الإبدالِ منهما؟

قوله: **(وقيل)** عطفٌ مِن حيث المعنى على قوله: "والذي يُعلَّل به".

قوله: **(أحرى أن يجب)**، أي: أحرى[١] بأن يجب.

قوله: **(ولو قيل: ولأبويه السدسان)**... إلخ، لا شبهةَ أن مثلَ هذا التركيب ركيك؛ لأنّ الثلث يغني عن "السُّدسان"،[٢] فلا معنى لذكر السدسين، وإنّما عدل المصنِّف إليه ولم يذكر الثلث لأنّ إيهام[٣] القسمة على خلاف السويّة فيه أظهرُ، فعدل إلى ما الإيهام[٤] فيه أقلُّ وأجاب عنه.

قوله: **(وعلى خلافها)**، أي: لأوهم أنّ الثلثين مِن "السدسان"[٥] للأب.

قوله: **(في الإبدال منهما)** يحتمل أن يكون "منهما" مفعول الإبدال[٦]

---

[١] ن: أحوج.
[٢] ن: السدسين.
[٣] ر: إبهام.
[٤] ر: الإبهام.
[٥] ن: السدسين.
[٦] ر: للإبدال.

قلتُ: لأنَّ في الإبدال والتَّفصيل بعد الإجمال تأكيدًا وتشديدًا كالَّذي تراه في الجمع بين المفَسَّر والتَّفسير.

و﴿ٱلسُّدُسُ﴾: مبتدأ، وخبره: "لأبويه"، والبدلُ متوسِّط بينهما للبيان.

وقرأ الحسن ونُعيْم بن مَيْسَرةَ: "السُّدْسُ" بالتَّخفيف، وكذلك "الثُّلْث" و"الرُّبْع" و"الثُّمْن".

والولد: يقع على الذَّكر والأنثى، ويَختلف حكمُ الأب في ذلك، فإن كان ذكرًا اقْتُصر بالأب على السُّدس، وإن كانت أنثى عُصِّبَ مع إعطاء السُّدس.

فإن قلتَ: قد بيِّن حكمُ الأبوين في الإرث مع الولد، ثمَّ حكمُهما مع عدمه، فهلَّا قيل: فإن لم يكن له ولدٌ فلأمِّه الثُّلث، وأيُّ فائدة في قوله: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾؟

قلت: معناه: فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فحَسْبُ فلأمِّه الثُّلثُ ممّا ترك

لا[1] صلته،[2] أي: في أنّ أبدل لفظة "منهما"،[3] فيكون صلة الإبدال محذوفًا، أي: في أن أبدل هذه اللفظة ممّا تقدّمها، ويحتمل أن يكون صلة الإبدال ويكون ضميره عائدًا إلى "الأبوين". ولا تخلو عبارته في الوجهين مِن التساهل: أمّا على الأوّل فلأنّ "منهما" ليس بدلًا؛[4] بل[5] البدل لكلّ واحد منهما، وأمّا على الثاني فلأنّه لم يذكر الأبوين ولم يُبدِل منهما؛ بل إنّما ذكر ﴿لِأَبَوَيۡهِ﴾ وأبدل منه، لكن لمّا كان المعنى ظاهرًا اعتمد المصنّف عليه وتساهل في العبارة.

قوله: (**في ذلك**)، أي: في الذَّكر والأنثى.

قوله: (**ممّا ترك**)، أي: مِن مجموع المال لا مِن الباقي، كما أنّ لكلٍّ منهما سدسًا ممّا ترك لا من الباقي. ولمّا كان المراد الثلث ممّا ترك لا من الباقي قيّد بقوله: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾، فإن في غير تلك الصورة قد يكون نصيبها ثلث الباقي[6]

---

[1] ر – لا.
[2] ر: الأصلية.
[3] ر: مبهمًا.
[4] ر: بدلائل.
[5] ر – بل.
[6] ر: الثاني.

كما قال: ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾؛ لأنَّه إذا ورثه أبواه مع أحد الزَّوجين كان للأمِّ ثلثُ ما بَقي بعد إخراج نصيب الزَّوج لا ثُلثُ ما ترك، إلَّا عند ابن عبَّاس.

والمعنى: أنَّ الأبوين إذا خَلَصا تقاسَما الميراثَ: للذَّكر مثل حظِّ الأنثيين.

فإن قلتَ: ما العِلةُ في أنْ كان لها ثلثُ ما بقي دون ثلث المال؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أنَّ الزَّوج إنما استحقَّ ما يُسْهَم له بحقِّ العقد لا بالقرابة، فأَشْبَهَ الوصيَّةَ في قسمةِ ما ورَاءه.

والثَّاني: أنَّ الأب أقوى في الإرث من الأمِّ، ....

لا ثلث ما ترك، واستشهد بقوله: **(كما قال)**... إلخ، / يعني: كما أنّ المراد في الأوّل السدس ممّا ترك كما قيّد في الآية كذا هنا، وإن لم[1] يقيَّد صريحًا بقوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾. [٢٩٣و]

قوله: **(لأنّه)** متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: **(فحَسْبُ)**، أي: بيان أنّه حكم الانفراد، وإنّما قلنا: "مِن حيث المعنى"؛ لأنّه مِن حيث اللفظ متعلِّق بقوله: **(معناه)**.

قوله: **(فأشبه الوصيّةَ)**، أي: أشبهَ ما يُسهَم للزوج الوصيّةَ في قسمة الورثة ما وراءه. يُعلَم منه أنّ ابن عبّاس رضي الله عنه[2] كيف يقسم التركة في صورة الزوج والأخت لأبوين والأم، حيث لم يقل بالعَوْل، فإنّه يقسم الباقي بعد النصف بينهما أخماسًا، فيطلب منه لنصفها خُمس وهو عشرة، فللزوج النصف وللأخت ثلاثة وللأم اثنان.

قوله: **(والثاني أنّ الأب)**... إلخ، لم يذكر المصنِّف العلّة في مسألة الزوجة على الوجه الثاني: إما لأنّ الأمّ لمّا كانت[3] لها ثلث الباقي مع الزوج

---

[1] ر - لم.
[2] د - رضي الله عنه.
[3] في هامش د: كان. خ [اختصارًا من "نسخة"].

بدليل أنّه يُضْعِفُ عليها إذا خلصا، ويكون صاحبَ فرضٍ وعصَبةً وجامعًا بين الأمرين، فلو ضُرب لها الثُّلثُ كَمَلًا لأدّى إلى حطِّ نصيبه عن نصيبها، ألا ترى أنّ امرأةً لو تركت زوجًا وأبوين فطار للزّوج النِّصفُ، وللأمِّ الثُّلثُ، والباقي للأبِ، حازت الأمُّ سهمين والأبُ سهمًا واحدًا، فينقلبُ الحكم إلى أن يكون للأنثى مثلُ حظِّ الذَّكرين.

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ الإخوةُ يحجبون الأمَّ عن الثُّلث وإن كانوا لا يرثون مع الأب، فيكونُ لها السُّدسُ وللأب خمسةُ الأسداس، ويستوي في الحَجْب

فُهم أنّه كذلك مع الزوجة، لأنّ سهمهما بحكم العقد؛ وإمّا لأنّ الذَّكر والأنثى إذا كانا في درجة كان للذكر مثل حظّ الأنثيين إذا كان[1] الذَّكر عَصَبة كالأولاد والأخوة، فراعوا ذلك ههنا.

قوله: (يُضعِف)، أي: يصير ذا ضعف، اقتبسه من قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ [الروم ٣٠/٣٩]. (فطار للزوج) صحّ بالطاء غير المعجمة.[2]

قوله: (والباقي للأب)[3] لأنه عَصَبة ههنا.

قوله: (ويستوي في الحَجْب)، أي: حجب النقصان: وهو أنّهم يحجبون الأمّ من الثلث إلى السدس.

قوله:[4] (وعنه) عطفٌ على قوله: (وللأب خمسة الأسداس) فإنّه ذكر أوّلًا أنّه إذا حَجَب الإخوة الأمّ عن الثلث إلى السدس يكون جميع الباقي بعد السدس وهو خمسة الأسداس للأب، وأشار ههنا إلى أنّ ابن عبّاس رضي الله عنه[5] خالف[6] ذلك وقال: ذلك السدس يُصرَف إلى الأخوة؛ لأنّهم لمّا حجبوا الأمّ عن السدس وجب أن يكون ذلك لهم.[7] وهو ضعيف؛ لأنّ الأب أقرب من الأخوة

---

١ ن ر – للذكر مثل حظّ الأنثيين إذا كان.
٢ ن ر – فطار للزوج صحّ بالطاء غير المعجمة.
٣ ر: في الأب.
٤ ن – قوله.
٥ د ر – رضي الله عنه.
٦ ن – في.
٧ بمعناه في جامع البيان للطبري، ٤٦٨/٦ (النساء، ١١/٤).

الاثنان فصاعدًا إلّا عند ابن عبّاس، وعنه: أنّهم يأخذون السُّدسَ الَّذي حجبوا عنه الأمَّ.

فإن قلتَ: فكيف صحَّ أن يتناولَ الإخوةُ الأخوين، والجمعُ خلاف التَّثنية؟

قلتُ: الإخوةُ تُفيد معنى الجمعيَّة المطلقة بغير كمِّيَّة، والتَّثنيةُ كالتَّثليث والتَّربيع في إفادة الكمِّيَّة، وهذا موضعُ الدَّلالة على الجمع المطلَق فدُلَّ بالإخوة عليه.

وهو يحجبهم، فوجب أن يكون الباقي بعد فَرْض الأم للأب، لقوله عليه السلام:[١] «ألحقوا الفرائض لأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر».[٢] وقوله عليه السلام:[٣] "أولى"، أي: أقرب.

ويجوز أن يقال: إنّ قوله: "وعنه" عطف على قوله: **(إلّا عند ابن عبّاس رضي الله عنه)**[٤] مِن حيث المعنى؛ لأنّ المصنِّف ذكر حكمين: **الأوّل** أنّ في صورة حجب الإخوة الأمّ[٥] يكون للأب خمسة الأسداس، **والثاني** أنّه يستوي في حجبها الإخوة والأخوان،[٦] ثمّ أشار إلى مخالفة ابن عبّاس[٧] فيهما بقوله: "إلّا عند ابن عبّاس، وبقوله: **(وعنه أنّهم)**... إلخ، لكن لو كان المراد هذا لَما قال بهذه العبارة. وكأنّه إنما قال: "وعنه" عطفًا على قوله: **(فيكون لها)**؛ لأنّ هذه الرواية عنه لم تثبت.

قوله: **(الذي حجبوا)** بدل من فاعل **(يأخذون)**.

قوله: **(قلتُ: الإخوة تفيد معنى الجمعيّة)** هذا بيان كيفيّة صحّة تناول الأخوة الأخوين،[٨] وتقريره أنّ صيغة الجمع تفيد معنى الجمعيّة المطلقة المشتركة بين الاثنين والثلاثة فصاعدًا، بخلاف صيغة التثنية فإنّها لا تُفيد إلّا العدد المخصوص

---

١ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٢ ن - ذكر. | **صحيح البخاري**، ١٥١/٨ (٦٧٣٥)؛ **صحيح مسلم**، ١٢٣٣/٣ (١٦١٥).
٣ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٤ د ن - رضي الله عنه.
٥ ن ر: للأم.
٦ ن: والأخوات.
٧ ر + رضي الله عنه.
٨ ن ر: للأخوين.

وقرئ: ﴿فلإِمِّه﴾ بكسر الهمزة اتّباعًا للجرّة، ألا تراها لا تُكسر في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون ٢٣/٥٠].

﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ متعلّقٌ بما تقدَّمه من قسمةِ المواريث كلِّها، لا بما يليه وحده، كأنّه قيل: قسمةُ هذه الأنصبةِ من بعدِ وصيَّةٍ يُوصَى بها.

وقرئ: ﴿يُوصِى بِهَا﴾ بالتَّخفيف والتَّشديد، و: ﴿يُوصِى بِهَا﴾ على البناء للمفعول مخفَّفًا.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿أَوْ﴾؟

وهو اثنان، فإذا أريدَ الجمعية المطلقة المشتركة أتي بلفظ يدلّ عليها وهو صيغة الجمع. / ولمّا كان المراد ههنا الجمعيّة المطلقة قيل: "إخوة"، ثمّ أشار إلى[١] أنّ دلالة صيغة الجمع على معنى الجمعية كدلالة لفظ الجمع والاجتماع، وإنّ دلالة صيغة التثنية على العدد المخصوص كدلالة لفظ التثنية عليه، وهذا كدلالة الثلاثة والأربعة، فالتثنية والتثليث والتربيع مثل الاثنين والثلاثة والأربعة،[٢] وأمّا صيغة الجمع فبمثابة الجمع والاجتماع. فتأمّل يتّضح لك[٣] إن شاء الله تعالى. [٢٩٣ظ]

قوله: (**اتباعًا للجرّ**)،[٤] أي: لاتباع حركة الميم.

قوله: (**ألا تراها**) بيان أنّه للإتباع لا أنّه لغة برأسه.

قوله: (**كأنه قيل: قسمة هذه الأنصباء[٥] من بعد وصيّة**) فهو خبر مبتدأ محذوف.

قوله: (**بالتخفيف**) سبعة.[٦] وقوله: (**والتشديد**) شاذّة.[٧]

قوله: (**و﴿يُوصِى بِهَا﴾**) على البناء للمفعول سبعة.[٨]

---

١ ن - ولمّا كان المراد ههنا الجمعيّة المطلقة قيل: "إخوة"، ثمّ أشار إلى.

٢ ن ر - فالتثنية والتثليث والتربيع مثل الاثنين والثلاثة والأربعة.

٣ ن ر: ذلك.

٤ في مطبوع **الكشّاف** وما راجعت من أصوله: للجرّة.

٥ في مطبوع **الكشّاف**: الأنصبة. | وأثبتُّ ما في أصول حاشية **الجاربردي**، وما راجعت من أصول **الكشّاف**.

٦ انظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ٢٢٨.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وابن مِقسَم. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٦٤٧.

٨ انظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ٢٢٨.

قلتُ: معناها الإباحةُ، وأنَّه إن كان أحدهما أو كلاهما؛ قُدِّم على قسمة الميراث؛ كقولك: جالِسِ الحسنَ أو ابنَ سيرين.

فإن قلتَ: لم قُدِّمت الوصيَّةُ على الدَّين، والدَّين مُقدَّمٌ عليها في الشَّريعة؟

قلتُ: لمَّا كانت الوصيَّة مُشْبِهةً للميراث في كونها مأخوذةً من غير عِوَضٍ كان إخراجُها ممَّا يَشُقُّ على الورثة ويتعاظمُهم ولا تَطيب أنفسُهم بها، فكان أداؤُها مظنَّةً للتَّفريط، بخلافِ الدَّين فإنَّ نفوسَهم مطمئنَّة إلى أدائه، فلذلك قُدِّمت بعثًا على وجوبها والمسارعةِ إلى إخراجها مع الدَّين، ولذلك جيءَ بكلمة ﴿أَوْ﴾ للتسوية بينهما في الوجوب، ثمَّ أُكِّدَ ذلك ورُغِّبَ فيه بقوله:

قوله: (**قلتُ: معناها الإباحة**) قيل: فيه نظرٌ؛ لأنَّه مخالف لرواية **المفصَّل** وهي: ويقال: في "أو" في الخبر أنَّه للشكّ، وفي الأمر أنَّه للتخيير والإباحة.[1] وجوابه أنَّ الخبر هنا في معنى الأمر، ولذا قال المصنِّف هنا: (**كقولك: جالِس الحسن أو**[2] **ابن سيرين**)، فأشار بهذا التمثيل إلى أنَّ الخبر في الآية بمعنى الطلب لِما تقدَّم مِن قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾، أي: أمَرَكم وعَهِد إليكم. ويؤكِّده قوله بعد ذلك: (**جيء بكلمة "أو" للتسوية بينهما في الوجوب**).

قوله: (**ممّا يشُقّ**) لأنَّهم لا يرضون غالبًا بأن يكون الأجنبيّ شريكًا لهم في أخذ مال الميت مجانًا، وكان مَظِنّة أن يقولوا: أهو[3] وارث مثلنا حتّى يأخذ مثل ما نأخذ،[4] ومَن هو مِن مُورثنا حتّى يشاركنا في ماله وتركته.

قوله: (**ويتعاظمُهم**) يقال: «تعاظمه أمر كذا. وتقول: أصابنا مطرٌ لا يتعاظمه شيء، أي: لا يُعظَم عنده شيء».[5]

---

١ انظر: **المفصّل** للزمخشري، ص ٤٠٥.

٢ ر: و.

٣ ر: هو.

٤ ن: نأخذه.

٥ **الصحاح** للجوهري، «عظم».

﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾؛ أي: لا تدرون مَن أنفعُ لكم من آبائكم وأبنائكم الَّذين يموتون: أمَن أوصى منهم، أمَّن لم يُوصِ؟

يعني: أنَّ مَن أوصَى ببعضِ مالـه فعرَّضكـم لثوابِ الآخـرة بإمضاء وصيَّته فهو أقربُ لكم نفعًا وأحْضرُ جَدْوَى ممَّن ترك الوصيَّة فوفَّر عليكم عَرَضَ الدُّنيا.

وجعل ثواب الآخرة أقربَ وأحْضرَ من عَرضِ الدُّنيا ذهابًا إلى حقيقة الأمر؛ لأنَّ عَرَضَ الدُّنيا وإن كان عاجلًا قريبًا في الصُّورة إلَّا أنَّه فانٍ، فهو في الحقيقة الأَبْعدُ الأقصى، وثوابُ الآخرة وإن كان آجلًا إلَّا أنَّه باقٍ فهو في الحقيقة الأقربُ الأدنى.

قوله: (أمَنْ أوصى) بدل مِن "مَن" في (مَن أنفع)، و"مَن" في "مَن أنفع"[١] استفهاميّة، وفي "مَن أوصى" موصولة، و(مِن آبائكم) حال مِن الضمير في "أنفع" وليس مِن التي يستعمل بها أفعل التفضيل.

وقوله: (الذين) صفة.

قوله: (فعرَّضكم) التعريض للشيء: النصب له.

قوله: (فهو أقرب) أتى بالفاء في "فهو" مع أنّه خبر (أنَّ) المفتوحة.

قوله: (وجعل) عطف على قوله: (أكِّد). وبيانه أنّ قوله: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ﴾ أقرب إشارة إلى أنّ الموصِين أقربُ نفعًا.

قوله: (مِن عَرَض الدنيا) هو بفتحتين، والعَرَض بفتحتين: حطام الدنيا. ومنه «الدنيا عَرَض حاضر».[٢] والعَرْض بسكون الراء خلاف النقد.[٣]

---

١ ن: أبلغ.

٢ طرف حديث في مسند الشافعي، ١/١٤٨ (٤٢٩)؛ والمعجم الكبير للطبراني، ٧/٢٨٨ (٧١٥٨)؛ والسنن الكبرى للبيهقي، ٦/٣٤٧ (٥٨٧٣).

٣ من قوله: "والعرض" إلى هنا في الصحاح للجوهري، «عرض»، وفيه: «العَرْض: المتاع. وكلّ شيء فهو عرض سوى الدراهم والدنانير فهي عين»، وهذا ما قصده الجاربرديّ بقوله:"العرض خلاف النقد".

وقيل: إنَّ الابنَ إن كان أرْفعَ درجةً من أبيه في الجنَّة سأل أن يُرفع أبوه إليه فيُرفَع، وكذلك الأبُ إن كان أرفعَ درجةً من ابنه سأل أن يُرفع إليه ابنُه، فأنتم لا تدرون في الدُّنيا أيُّهم أقربُ لكم نفعًا.

وقيل: قد فرَض الله الفرائضَ على ما هو عنده حكمةٌ، ولو وَكَلَ ذلك إليكم لم تعلموا أيُّهم لكم أنفعُ، فوضعتُم أنتم الأموالَ على غير حكمةٍ.

وقيل: الأبُ تجبُ عليه النَّفقةُ على الابن إذا احتاج، وكذلك الابن إذا كان محتاجًا، فهما في النَّفع بالنَّفقة لا يُدْرَى أيُّهما أقرب نفعًا، وليس شيء من هذه ....

قوله: (**وقيل: إنّ الابن**) عطف من حيث المعنى على قوله: (**لا تدرون مَن**[١] **أنفع لكم**). والتحقيق أن يقال: هو عطف على "قيل" مقدَّر هناك. والوجه أن يقال: هو عطف على قوله: "ثم أكِّد"... إلخ، وذلك لأنّ التأكيد والترغيب ليس بمراد على الأقوال المذكورة بعد ذلك، فلو كان عطفًا على ما ذكر بعد قوله: (**ثمّ أكِّد ورُغِّب**) مِن قوله: "لا تدرون" أو القول المقدَّر هناك لزم[٢] أن يكون التأكيد والترغيب مرادًا في هذه الأقوال وليس لِما ستعرف.

قوله: (**وقيل:**[٣] **قد فَرَض الله الفرائض**) هذا أنسب الوجوه ليكون متعلِّقًا / بجميع ما تقدَّم، كما أنّ قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ﴾ متعلِّق بجميعه. [٢٩٤و]

قوله: (**تجب عليه النفقة على الابن**) "عليه" يتعلَّق بقوله: "تجب". وقوله: "على الابن" يتعلَّق بقوله:[٤] النفقة.

قوله: (**إذا احتاج**)، أي: الابن.

قوله: (**وكذلك الابن**)،[٥] أي: إذا كان الأب محتاجًا يجب على الابن النفقة على الأب.

---

١ ر: مع.
٢ السياق: فلو كان... لزم...
٣ ر - وقيل.
٤ ن ر - تجب وقوله: على الابن يتعلق بقوله.
٥ ر: للابن.

الأقاويل بملائمٍ للمعنى ولا مجاوبٍ له؛ لأنَّ هذه الجملة اعتراضيَّة، ومن حقِّ الاعتراض أن يؤكِّدَ ما اعترض بينه وبناسبه. والقول ما تقدَّم.

﴿فَرِيضَةً﴾ نُصبت نصبَ المصدر المؤكِّد؛ أي: فُرض ذلك فرضًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بمصالحِ خَلْقه ﴿حَكِيمًا﴾ في كلِّ ما فَرض وقسَم من المواريث وغيرها.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو مِن غيركم، جُعلت المرأة على النِّصف من الرَّجل بحقِّ الزَّواج كما جُعلت كذلك بحقِّ النَّسب، والواحدةُ والجماعةُ

قوله: (**الأقاويل**)، أي: الثلاثة.

قوله: (**ولا مجاوب**)، أي: مناسب.

قوله: (**والقول ما تقدّم**) واعلم أنّ هذا الذي ذكره لا يرد على قوله: "قد فرض الله الفرائضَ"... إلخ، فإنّ ذلك على هذا الوجه أيضًا تأكيد لقوله: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ إلى هنا، كما أنّ ما ذكره تأكيد لقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾... إلخ.

قوله: (**﴿فَرِيضَةً﴾**) الفَرْض ما أوجبه الله تعالى. ويقال: «فَرَض الله[1] علينا كذا وافترض، أي: أوجب. والاسم الفريضة».[2]

قوله: (**كذلك**)، أي: على النصف مِن الرجل.

[1] ر + تعالى ويقال: فرض الله.

[2] **الصحاح** للجوهري، «فرض». ومضى هذا الكلام بنصّه قريبًا في تفسير النساء، ٤/٧، وصرّح ثمّة بنقله عن الجوهري.

سواءٌ في الرُّبع والثُّمن.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ﴾ يعني: الميّت، و﴿يُورَثُ﴾ مِن "وُرث"؛ أي: يورَثُ منه، وهو صفةٌ لـ﴿رَجُلٌ﴾، و﴿كَلَٰلَةً﴾ خبر ﴿كَانَ﴾؛ أي: وإن كان رجلٌ موروثٌ منه كلالةً.

أو يُجعلُ ﴿يُورَثُ﴾ خبرَ ﴿كَانَ﴾ و﴿كَلَٰلَةً﴾ حالًا من الضَّمير في ﴿يُورَثُ﴾.

وقرئ: "يُورِث" و: "يُورِّثُ" بالتَّخفيف والتَّشديد على البناء للفاعل، و﴿كَلَٰلَةً﴾ حالٌ أو مفعولٌ به.

قوله: (مِن وُرث)، أي: هو مِن الثلاثيّ لا من المزيد، إذ المراد به الميّت، قال في **المُغرِب**: وَرث أباه مالًا يرث وِراثةً، وهو وارث، والأب والمال كلاهما موروث. ومنه «إنّا معشر الأنبياء لا نورث».[1] وأورثه مالًا تركه ميراثًا له.[2] وقال في **الصحاح**: «ورِثتُ أبي وورِثتُ الشيء مِن أبي أرِثه بالكسر فيهما وَرْثًا ووِراثة وإرثًا، والألف منقلبة عن الواو، ورِثةً والهاء عِوَض مِن الواو».[3] ويُعلَم ممّا ذكرنا أنّ المصنِّف قال: (**يُورَث منه**) مع صحّة[4] تعديته بغير "مِن" لزيادة بيان أنّ المعنى أنّه[5] الموروث لا الوارث.

قوله: (**أو يُجعل**) عطف على قوله: (**وهو صفة**).

قوله: ("**يُورِثُ**")،[6] أي: يُورِث الوارثَ المالَ، فحذف المفعولين، إلّا أن تقول:[7] إنّ ﴿كَلَٰلَةً﴾ مفعول "يُورِث".

قوله: (و"**يُوَرِّثُ**")[8] ورَّثه: أشركه في المِيراث.

قوله: (و﴿**كَلَٰلَةً**﴾ **حال**)،[9] أي: على هذا التقدير، وهو حال مِن الضمير.

---

١ بلفظ قريب في **صحيح البخاري**، ٧٩/٤ (٣٠٩٣)؛ و**صحيح مسلم**، ١٣٧٧/٣ (١٧٥٧).

٢ انظر: **المغرب** للمُطرِّزي، «فرض».

٣ **الصحاح** للجوهري، «ورث».

٤ ر: صحته.

٥ ر: أن.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن الزعفراني، وعمرو عن الحسن. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٦٤٨.

٧ ن: يقال.

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وابن مِقسَم والثقفي. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٦٤٨.

٩ ر: حتى.

فإن قلتَ: ما الكلالةُ؟

قلتُ: يَنطِلق على ثلاثةٍ: على مَن لم يُخلِّفْ ولدًا ولا والدًا، وعلى مَن ليس بولدٍ ولا والدٍ من المخلَّفِين، وعلى القرابةِ من غيرِ جهة الولد والوالد، ومنه قولهم: "ما ورِثَ المجدَ عن كلالةٍ"؛ كما تقول: "ما صَمَتَ عن عِيٍّ" و: "ما كَفَّ عن جُبْنٍ".

والكلالةُ في الأصل: مصدرٌ بمعنى الكَلَال، وهو ذهابُ القوَّة من الإعْياء،

قوله: (**ينطلق**)[١] يشير به إلى أنّ استعمال "الكلالة" في هذه المعاني الثلاثة بطريق المجاز، ولذلك قال بعده: "**والكلالةُ في الأصل مصدر فاستُعيرت**"، ثمّ قال: (**وإذا جُعل**) يقال: أطلقتُ اللفظ عليه فانطلق، فهو مطاوع "**أطلق**".[٢] و"الكلالة" على التفسيرين اسم عين، وعلى التفسير الثالث اسم معنى.

قوله: (**مِن المخلَّفين**) بيان (**مَن**). وإنّما قال: "**مِن المخلَّفين**" ولم يقل: "مِن الوارثين" ليشمل غيرَ الوَرَثة مِن المخلَّفين فإنّهم كَلالة أيضًا.

قوله: (**ومنه**)، أي: من القسم الثالث، وهو أن يُحمل على الغرابة.[٣]

قوله: (**عن كلالة**)، أي: عن وجه ضعيف، أي: ورث المجدَ عن جهة الولادة، أي: ما نشأ إرثُ المجد عن الكلالة، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [البقرة ٣٦/٢]، أي: نشأ عن الشجرة، وقوله:

يَنهَون عن أكلٍ وعن شربٍ[٤]

إنّما حمل الكلالة هنا على القرابة؛ بل[٥] على الميت الذي لم يُخلِّف ولدًا بأن يكون المعنى: ما ورثه مِن غير الآباء؛ بل إنّما ورثه مِن الآباء؛ **لأنّ "ورِث" لا يُعدّى بـ"عن" إلى المُورِث بل بنفسه أو بـ"مِن".**

---

[١] ن: مطلق.

[٢] ن ر - فهو مطاوع أطلق.

[٣] ر: القرابة.

[٤] ما عرفتُ قائله. وصدره:

يمشون دُسمًا حول قُبّتِه

ومضى بتخريجه في تفسير البقرة، ٣٦/٢. ومثّل به الزمخشريّ ثمّة.

[٥] ن: لا.

قال الأعشى:

فـآلـيـتُ لا أرْثـــي لـهـا مـــن كَـلالـةٍ

قوله: **(لا أرثي)**: لا أرحم **(لها)**، أي: للناقة. وآخره:

ولا مِـن حـفًى حتّـى تُـلاقـي مـحـمّـدا[1]

قيل: إنّ الأعشى مدح النبيّ عليه[2] السلام[3] بقصيدة هذا البيت منها، وأقبل إلى مكّة فنزل على علبة،[4] فسمع به أبو جهل فجاء / إليه، فلم يزالوا بالسقي يغوونه[5] [٢٩٤ظ]
حتّى صدُّوه، فخرج مِن فوره فأتى اليمامة فمات. و"الحفاوة": الحفى، وهو أن يعرى القدم مِن النعل والخفّ. ويقال: حفيَ مِن كثرة المشي، أي: رقَّت قدمه أو حافره فهو حفٍ بيّن الحفا مقصورًا.[6] ويجوز أن يكون "تلاقي" للغائبة[7] وفيها ضمير الناقة وأُسكِن الياء في موضع النصب، وأن يكون للمخاطبة والنون محذوفة، وأن يكون للمخاطب ويعني نفسَه،[8] أي: "حتّى ألاقي"، إلّا أنّه برّز[9] نفسه منزلةَ المخاطب:

ودِّع هـريـرة إنّ الـركـب مُـرتـحِـلُ[10] وهـل تُـطيق فـراقًـا أيُّـهـا الـرجـلُ[11]

فعلى هذا أسكن[12] الياء في النصب.

والحاصل أنّ صدر البيت إخبارٌ عن نفسه وآخره إخبار عن ناقته أو خطاب لناقته أو لنفسه.

---

١ البيت للأعشى في **ديوانه**، ص ١٣٥؛ و**جمهرة أشعار العرب** للقرشي، ص ٨٠؛ وهو له في **إسفار الفصيح** للهروي، ٣٣٩/١؛ و**المفصّل** للزمخشري، ص ٥٣٥.

٢ ن + الصلاة و.

٣ ر - عليه السلام.

٤ ن: عقبة؛ ر: علية. | ما عرفته، والمذكور فيما وقفت عليه من كتب السيرة والتراجم والأدب أنّه اعترضه بعض المشركين من قريش، وما وقفت على مَن سمّاه.

٥ ن: يغويه.

٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حفا».

٧ ر: للفانية.

٨ وهو مِن الفنّ المسمّى عند البلاغيين والأدباء بالتجريد.

٩ ن: أبرز.

١٠ د - ودع هريرة إنّ الركب مرتحل.

١١ مطلع معلّقة الأعشى الشهيرة، والبيت في **ديوانه**، ص ٥٥؛ و**شرح القصائد العشر** للتبريزيّ، ص ٤١٨؛ وهو له في **الخصائص** لابن جنّي، ٤٧٦/٢، على ما نحن فيه، وفيها جميعًا «**وداعًا**» مكان «فراقًا». ومضى بروايتهم في تفسير سورة البقرة، ٩/٢.

١٢ ن: سكن.

فاستُعيرتْ للقرابة من غيرِ جهةِ الولد والوالد؛ لأنَّها بالإضافة إلى قرابتهما كالَّةٌ ضعيفةٌ.

وإذا جُعل صفةً للموروث أو الوارث فبمعنى: ذي كلالة، كما تقول: "فلانٌ من قرابتي"، تريد: مِن ذوي قرابتي.

ويجوز أن تكون صفةً كالهَجَاجَة والفَقَاقَة للأحمق.

فإنْ قلتَ: فإنْ جعلتَها اسمًا للقرابة في الآية فعلَامَ تنصِبُها؟

قلتُ: على أنَّها مفعولٌ له؛ أي: يورَثُ لأجلِ الكلالة، أو: يُورِثُ غيرَه لأجلها.

فإن قلتَ: فإنْ جعلتَ يُورَث على البناء للمفعول من "أُورِث" فما وجهُه؟

قوله: **(لأنّها)**، أي: القرابة مِن غير جهة الولادة.

قوله: **(وإذا جُعل)** عطف على قوله: **(فاستُعيرت)** وإنّما ذكّر الكلالة هنا لأنّه قال: **(بمعنى الكَلال)**.

قوله: **(ويجوز)** عطف على قوله: **(الكلالة في الأصل مصدرٌ)**، وليس بعطف على قوله: **(فبمعنى)**؛ لأنّه لا يستقيم المعنى، فإنّه على هذا ليس مصدرًا استُعير؛ بل هو قسيم قوله: "مصدر"، وعلى هذا إن جعلتَه صفةً للموروث أو الوارث فهي استعارة مِن غير تقدير "ذي".

قوله: **(كالهَجَاجة)** رجل هَجَاجة، أي: أحمق. ورجل فَقَاقة، أي: أحمق هُذَرة،[1] وكذلك فقفاق وفقفاقة.[2]

قوله: **(فعلامَ؟)** وأمّا إن لم تُجعل اسمًا[3] للقرابة فعُلم أنّها خبر أو حال.

قوله: **(أي: يُورَث)**، أي: يُورَث منه، من "وُرِث"، أي: هو مِن مجرّد الثلاثي لا مِن المزيد، لأنّ كلامه في هذا، وأيضًا فالسؤال بعده وهو قوله:[4] **(إن جعلتَ يُورَث**

---

[1] ر: هذره.

[2] ن – وفقفاقة؛ ر: وفقفاق. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «فقق».

[3] ر: إنما.

[4] ن – قوله.

قلتُ: الرَّجل حينئذٍ هو الوارثُ لا الموروث.

فإن قلتَ: فالضَّميرُ في قوله: ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ إلى مَن يرجع حينئذٍ؟

قلتُ: إلى الرَّجل وإلى أخيه أو أخته، وعلى الأوَّل إليْهما.

على البناء للمفعول)... إلخ، يدلّ عليه قوله: **(أو يُورِث)**، هذا على تقدير القراءة بالبناء للفاعل.

قوله: "فإن جعلتَ" لمّا فرغ مِن تقرير أنّ "يُورَث"[1] مِن "ورث الرجل النصيبَ" شرع بهذا السؤال في تقرير[2] أن يكون "يُورَث" مِن "أورَث"، وبيّن أنّ الرجل الوارث على هذا.

قوله: **(حينئذٍ)**، أي: على تقدير أن يكون الرجل هو الوارث.

قوله: **(قلتُ: إلى الرجل)... إلخ**، إن قيل: الصواب أن يُلحَق به أو إلى المرأة وإلى[3] أخيها أو أختها. قلنا: إنّما لم يذكره لأنّه تعالى لمّا قال: ﴿وَلَهُۥٓ﴾ عُلم أنّ الكلام مبنيّ على رجل لا على امرأة. قيل: الصوابُ أن يقال: الضمير في ﴿مِنْهُمَا﴾ يرجع على هذا الوجه إلى الرجل أو[4] المرأة وإلى أخيه أو أخته فإنّ المذكور في الطرفين أحد الأمرين والضمير من قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ﴾ يرجع إلى الرجل أو المرأة بتأويل أحدهما، فتأمل فإنّه لطيف وأحسنُ ممّا قاله المصنِّف. وإنّما قلتُ: "الصوابُ ذلك"؛ لأنّك إذا قلت: "إن جاءك زيد أو[5] عمرو فأكرِمْه" كان أحسن مِن قولك: "فأكرمهما"؛ لأنّ الضمير في "أكرِمْه" يعود إلى ما دلّ عليه المذكور، لأنّ أحد الأمرين دلّ على الأمرين، فتأمّل. مِن فوائد المولى الأعظم علّامة العالم فخر الملّة والدين الجاربردي رحمه الله.[6]

قوله: **(وعلى الأوّل)**، أي: على تقدير أن يكون ﴿يُورَثُ﴾ مِن "وُرِث"

---

[1] ر + أن يورث.

[2] ن: تقدير.

[3] ن ر: أو.

[4] ن ر: و.

[5] ر: و.

[6] ن + تعالى. | هذا الموضع يؤكِّد ما سلف من أنّ كثيرًا ممّا في هذه الحاشية بيّضه تلامذة الجاربرديّ رحمه الله.

فإن قلتَ: إذا رجع الضَّمير إليهما أفادَ استواءهما في حيازة السُّدس من غير مفاضَلة الذَّكر الأنثى، فهل تَبقى هذه الفائدةُ قائمةً في هذا الوجه؟

قلتُ: نعم؛ لأنك إذا قلتَ: "السُّدس له ولواحد من الأخ أو الأخت" على التَّخيير، فقد سَوَّيتَ بين الذَّكر والأنثى، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنَّه سُئل عن الكلالة، فقال: «أقول فيها برأيي فإن كان صوابًا فمِنَ الله، وإن كان خطأً فمنِّي ومن الشَّيطان والله منه بريءٌ: الكلالة: ما خلا الولدَ والوالدَ».

وعن عطاء والضَّحاك: أنَّ الكلالة هو الموروث.

وعن سعيد بن جُبير: هو الوارث.

وقد أجمعوا على أنَّ المراد أولادُ الأمِّ، وتدلُّ عليه قراءةُ أبيٍّ: "وله أخٌ أو أختٌ من الأمِّ"، وقراءة سَعْد بن أبي وقَّاص: "وله أخٌ أو أختٌ من أمٍّ".

وقيل: إنَّما استُدلَّ على أنَّ الكلالة هاهنا الإخوةُ للأمِّ خاصَّةً بما ذُكر في آخر السُّورة من أنَّ للأختين الثُّلثين، وأنَّ للإخوة كلَّ المال، فعُلم هاهنا -لمَّا جُعل للواحد السُّدسُ وللاثنين الثُّلثُ ولم يُزادوا على الثُّلث شيئًا- أنَّه يُعنى بهم

ويكون "الرجل" هو الموروثَ[1] إليهما، أي: إلى الأخ والأخت.

قوله: (**مفاضلة**)، أي: غلبة الذَّكر الأنثى في الفضل.

قوله: (**ما خلا الولدَ**)[2] هذا محتمِل للوارث والموروث.

[٣٩٥و] قوله: (**أنّه يُعنى**)، أي: ثبت أنّه، وهو جواب / (**لمّا**). أو نقول كرّر "أنّه"[3] لبُعد خبره، فكأنّه[4] قال: "عُلم أنّه أنّه[5] يُعنى بهم حين جُعل للواحد"، وإنّما[6] عُلم[7] به لأنّ الإخوة للأب يزاد بهم على الثلث.

---

[1] ن: المورث.

[2] بلفظ قريب في **المصنّف** لابن أبي شيبة، ٢٩٨/٦ (٣١٦٠٦)؛ وجامع البيان للطبري، ٤٧٥/٦ (النساء، ١٢/٤)؛ وتفسير ابن المنذر، ٥٩٣/٢ (النساء، ١٢/٤).

[3] ن: عنه.

[4] ن ر - فكأنه.

[5] ن ر: أن.

[6] ن - وإنما.

[7] ن: واعلم.

الإخوةُ للأمّ، وإلّا فالكلالةُ عامّة لمَن عدا الولدَ والوالدَ من سائر الإخوة الأخيافِ والأعيانِ وأولادِ العَلّات وغيرِهم.

﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ حالٌ، أي: يُوصي بها وهو غيرُ مضارٍّ لورثته، وذلك أن يوصيَ بزيادةٍ على الثُّلث، أو يوصيَ بالثُّلث فما دونه ونيَّتُه مضارَّةُ وَرثته ومغاضبَتُهم لا وجهُ الله تعالى.

وعن قتادة: كرِهَ الله الضِّرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه.

وعن الحسن: المضارَّةُ في الدَّين أن يوصي بدَين ليس عليه، ومعناه: الإقرار.

﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ مصدرٌ مؤكِّد؛ أي: يوصيكم بذلك وصيَّةً؛ كقوله: ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [النساء ١١/٤].

قوله: (وإلّا)، أي: وإن لم يُستدلّ بما ذكر في آخر السورة. وقوله:[1] (فالكلالة)... إلخ، سبب وعلّة لِما هو الجواب قام مقام الجواب، والتقدير: وإن لم يُستدلّ بما ذكر لم يُعلم أو لم يتبيّن أنّ الكلالة ههنا الأخوة للأمّ، لأنّ الكلالة عامّة.

قوله: (مِن سائر) "مِن" بيان (مَن). و"السائر": إن جُعل مِن "السُّؤر" فبمعنى الباقي، وإن جُعل مِن "سُور المدينة" فبمعنى الجميع.

وقوله: (الأخياف)... إلخ، بدل مِن "سائر الأخوة". والأخياف مِن "الخَيَف" وهو: اختلاف إحدى العينين. يقال: فرسٌ خيفاء إذا كان إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء. ومنه قيل: الناس أخيافٌ، أي: مختلفون. وإخوةٌ أخياف إذا كانت أمّهم واحدة والآباء شتّى.[2] وعينُ المتاع: خياره. وأعيان القوم: أشرافهم، إمّا لأنّه لا ينظر إلّا إليهم، أو لأنّهم كأنّهم عيونهم المبصِرة، ولذلك قيل: والأعيان: الإخوة، بنو أب وأمّ. ومنه حديث عليّ:[3] «أعيان بني الأمّ يتوارثون[4]

---

١ ن ر: قوله.
٢ من قوله: "الخيف" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «خيف».
٣ ن ر + رضي الله عنه.
٤ ن: بنو أبوين.

ويجوز أن تكون منصوبة بـ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾؛ أي: لا يضارُّ وصيَّةً من الله -وهو الثُّلث فما دونه- بزيادته على الثُّلث، أو وصيةً من الله بالأولاد وأنْ لا يدعَهم عالةً بإسرافه في الوصيَّة، وتنصُر هذا الوَجْهَ قراءةُ الحسن: "غيرَ مضارِّ وصيَّةٍ من الله" بالإضافة.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن جار أو عَدَل في وصيَّته ﴿حَلِيمٌ﴾ عن الجائر لا يُعاجِلهُ، وهذا وعيدٌ.

فإن قلتَ: في ﴿يُوصَىٰ﴾ ضمير الرَّجل إذا جعلتَه الموروث، فكيف تعمل إذا جعلته الوارثَ؟

قلتُ: كما عَمِلْتُ في قوله تعالى: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾؛ لأنه عُلم أنَّ التَّارك

دون بني العِلّات».[١] وبنو العِلّات هم أولاد الرجل مِن نسوة شتّى، سُمّيت به لأنّ الذي تزوّجها على أُولى قد كان قبلها ناهلًا[٢] ثمّ علّ[٣] مِن هذه.[٤]

قوله: (**ويجوز أن تكون**)، أي: الوصية.

قوله: (**بزيادته**) الباء للسببية.

قوله: (**بالإضافة**) لأنّ الإضافة تدلّ على أنّه مفعول به، وأنّه ليس المعنى يُوصي الله بذلك وصيّة؛ لأنّ المصدر المؤكِّد[٥] لا يكون مضافًا إليه، أعني في مثل هذه الصورة، فإنّ[٦] مضارًّا لا يصحّ إضافته إليه بهذا المعنى، والمراد بهذا الوجه أن تكون منصوبة بمضارًّا ولا تكون مصدرًا مؤكِّدًا.[٧]

قوله: (**فكيف؟**) إنّما تعرَّض لهذا السؤال لأنّا بيّنا أنّ الرجل يجوز أن يكون الوارث وأن يكون الموروث.

قوله: (﴿مَا تَرَكَ﴾)، أي: ما ترك الميت، وإن لم يجرِ ذكره، فكذا المعنى ههنا:[٨] يُوصي الميّت.

---

١ مسند أحمد، ٣٢/٢ (٥٩٥)؛ سنن الترمذي، ٤٨٧/٣ (٢٠٩٤).

٢ د ن ر: ناهلٌ.

٣ ن: على؛ ر: عيل.

٤ من قوله: "وعين المتاع" إلى هنا في المغرب للمطرّزي، «عين».

٥ ن: المذكر؛ ر: المذكور.

٦ ر + مثل.

٧ ن - مؤكدًا.

٨ ن: منها.

والموصيَ هو الميّت.

فإن قلتَ: فأين ذو الحال فيمَن قرأ: ﴿يُوصِى بِهَا﴾ عَلى ما لم يُسمَّ فاعله؟

قلت: يُضمَر "يوصِي" فينتصِب عن فاعله؛ لأنه لمَّا قيل: ﴿يُوصِى بِهَا﴾ عُلم أنَّ ثَمَّ مُوصيًا؛ كما قال: ﴿يُسبَّحُ له﴾ [النور ٣٦/٢٤] على ما لم يسمَّ فاعله، فعُلم أنَّ ثَمَّ مُسبِّحًا، فأُضمر "يُسبِّح"، فكما كان ﴿رِجَالٌ﴾ [النور ٣٧/٢٤] فاعلُ ما يدلُّ عليه ﴿يُسبَّحُ﴾ كان ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ حالًا عمَّا يدلُّ عليه ﴿يُوصَىٰ بِهَا﴾.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى الأحكام التي ذُكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث، وسَمَّاها حدودًا؛ لأنَّ الشَّرائع كالحدود المضروبةِ الموقَّتة للمكلَّفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطَّوْها إلى ما ليس لهم بحقٍّ.

﴿يُدْخِلْهُ﴾ قرئ بالياء والنُّون، وكذلك: ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا﴾.

وقيل: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ و﴿خَٰلِدِينَ﴾ حَمْلًا على لفظِ ﴿وَمَن﴾ ومعناه.

وانتصب ﴿خَٰلِدِينَ﴾ و﴿خَٰلِدًا﴾ على الحال.

قوله: (**ذو الحال**)، أي: لقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾.

قوله: (**فينتصِب**)، أي: قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾.

قوله: (**المؤقَّتة**)،[1] أي: المعيَّنة. والتأقيت في الأصل: تعيين الوقت، ثمّ عُمِّم في كلّ تعيين.

قوله: (**وكذلك ﴿يُدْخِلْهُ﴾**)، أي: كذلك في هذه الآية[2] أيضًا.

قوله: (**وقيل: ﴿يُدْخِلْهُ﴾**)، أي: مفردًا. و﴿خَٰلِدِينَ﴾، أي: جمعًا.

---

[1] ن: والمؤقتة.

[2] ن - الآية.

فإن قلتَ: هل يجوز أن يكونا صفتين لـ﴿جَنَّٰتٍ﴾ و﴿نَارًا﴾.

قلتُ: لا؛ لأنَّهما جَرَيا على غيرِ مَن هما له، فلا بدَّ من الضَّمير، وهو قولك: "خالدين هم فيها"، و: "خالدًا هو فيها".

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾

﴿يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾: يَرْهَقنَها، يقال: أتَى الفاحشةَ وجاءها وغَشِيَها ورَهِقَها بمعنًى، وفي قراءة ابن مسعود: "يَأْتِينَ بالفاحشة".

والفاحشةُ: الزِّنا؛ لزيادتها في القبح على كثيرٍ من القبائح.

﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ قيل: معناه: فخَلِّدوهنَّ محبوساتٍ في بيوتكم، وكان ذلك عقوبَتهنَّ في أوَّل الإسلام، ثم نُسخ بقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ الآية [النور ٢/٢٤].

ويجوز أن تكون غيرَ منسوخةٍ بأنْ يُترك ذكرُ الحدِّ لكونه معلومًا بالكتاب والسُّنَّة، ويُوَصَّى بإمساكهنَّ في البيوت بعد أنْ يُحَدَدْن صيانةً لهنَّ عن مثلِ ما جَرى عليهنَّ بسبب الخروج من البيوت والتَّعرُّض للرِّجال.

قولـه: (لـ﴿جَنَّٰتٍ﴾ و﴿نَارًا﴾)، أي: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ صفـة لـ﴿جَنَّٰتٍ﴾، و﴿خَٰلِدٗا﴾ صفة ﴿نَارًا﴾.

قوله: (فلا بدّ مِن الضمير) لأنّ الخلود ليس بفعل لها وإنّما هو فعل لأهلها، فلو كانت صفة لها لم يكن بُدّ حينئذٍ مِن الضمير بارزًا كما مثَّل في المتن، ولمّا لم يظهر عُلم أنّه حال، فاعرفه.

قوله: (بإمساكهنّ) وهذا المعنى مثل ما قال النبيّ عليه[1] السلام: «فأمسِكْها»[2] لمَن قال: «إنّها لا تردُّ يد لامس».

---

[1] ن + الصلاة و.

[2] شرح السنّة للبغوي، ٢٨٧/٩ (٢٣٨٢). وفي المصنّف لابن أبي شيبة، ٤٩٠/٣ (١٦٣٤٧)؛ وسنن أبي داود، ٣٩٣/٣ (٢٠٤٩)؛ وسنن النسائي، ٦٧/٦ (٣٢٢٩): «فاستمتع بها».

﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾: هو النِّكاح الذي يَستغنِينَ به عن السِّفاح.

وقيل: السَّبيل هو الحدُّ؛ لأنَّه لم يكن مشروعًا في ذلك الوقت.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ والتَّوَفِّي والموتُ بمعنًى واحد، كأنَّه قيل: حتَّى يُميْتَهُن الموتُ؟!

قلتُ: يجوز أن يراد: حتى يتوفَّاهنَّ ملائكةُ الموت؛ كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [النحل ١٦/٢٨] ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [محمد ٤٧/٢٧] ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة ٣٢/١١]، أو: حتَّى يأخذهنَّ الموتُ ويستَوْفيَ أرواحهنَّ.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾ يُريد الزَّاني والزَّانية.

﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾: فوَبِّخُوهما وذُمُّوهما، وقولوا لهما: أَمَا استَحَيْتُما أمَا خفتُما الله؟!

﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ وغيَّرا الحالَ ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾ واقطعوا التَّوبيخَ والمذَمَّة، فإنَّ التَّوبة تمنع استحقاقَ الذَّمِّ والعِقاب.

ويحتمِل أن يكون خطابًا للشهود العاثرين على سرِّهما، ويُراد بالإيذاء ذمُّهما

قوله: (﴿يَتَوَفَّىٰهُنَّ﴾) توفَّاه حقَّه: أخذه منه وافيًا.

قوله: (**والتوفّي والموت بمعنًى**) صوابه "والتوفّي والإماتة بمعنًى واحد"، يؤيِّده[١] قول[٢] المصنِّف:[٣] (**يُميتَهُن الموتُ**).

قوله تعالى: (﴿يَأْتِيَـٰنِهَا﴾)، أي: الفاحشة.

[٢٩٥ظ] / قوله: (**الزاني والزانية**) على سبيل التغليب.[٤]

قوله: (**خطابًا**)، أي: في ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾، ﴿فَأَعْرِضُوا۟﴾.

---

[١] ن: ويؤديه.
[٢] ن: قوله.
[٣] ن: المنصف.
[٤] ن ر: الفعلين.

وتَعْنِيفهُما وتهديدُهما بالرَّفع إلى الإمام والحدِّ، ﴿فَإِن تَابَا﴾ قبل الرَّفع إلى الإمام فأعرِضوا عنهما ولا تتعرَّضوا لهما.

وقيل: نزلت الأُولى في السَّحَّاقات وهذه في اللَّوَّاطين.

وقرئ: ﴿واللَّذانِّ﴾ بتشديد النُّون، و"اللَّذَأنِّ" بالهمزة وتشديد النُّون.

قوله: (وقيل: نزلَت)[١] هذا التفسير أليَقُ هنا؛ لأنّ المذكور ﴿ٱلَّذَانِ﴾ وهما ذكران، و﴿ٱلَّتِي﴾ وهنّ إناث، هذا قول مَن يقول بالنَّسخ وهنّ إناث، وأمّا زنا الرجل مع المرأة فمذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور ٢٤/٢].

قوله: (الأُولى)، أي: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ﴾.[٢]

قوله: (وهذه)، أي: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا﴾.

قوله: (في السحّاقات) المراد بـ"السحّاقات" النساء اللاتي يمسحن فروجهن بفروج النساء مَسْحًا شديدًا قضاءً للشهوة بذلك، فهنّ كالزانيات في وجوب[٣] ردعهنّ وزجرهنّ عن ذلك تعزيزًا بالضرب والحبس في[٤] البيت واللوم على ما يمكن، حتّى يرتدعنَ وينزجِرنَ عن ذلك.

قوله: (واللَّذَأنِّ)[٥] نظير "اللدأنِّ"[٦] المهموز المشدَّد: "الدأبّة" و"الشأبّة" و"لا جأنٌّ"، وهو قراءة عمرو بن عُبيد رأس المعتزلة.[٧]

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾[٨] يقال: تاب العبد إلى الله تعالى،[٩] أي: رجع إليه مِن الذنب، وتاب الله على العبد، أي: رجع[١٠] عليه بقبول التوبة.

---

١ ن: نزل؛ ر: ترك.

٢ ن + بفاحشة.

٣ ر: وجود.

٤ ن ر: و.

٥ قراءة شاذّة، غير منسوبة. المغني في القراءات للنُّوزاوازي، ص ٦٥٠.

٦ ن ر: اللذان.

٧ ولم تقع منسوبة فيما وقفتُ عليه من كتب القراءات.

٨ د ن ر: السيئات.

٩ ر – إلى الله تعالى.

١٠ ن ر – إليه من الذنب وتاب الله على العبد، أي: رجع.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧﴾

﴿ٱلتَّوْبَةُ﴾ مِن تاب الله عليه: إذا قَبِل توبتَه وغفَر له، يعني: إنَّما القبولُ والغفران واجبٌ على الله تعالى لهؤلاء.

﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ في موضع الحال؛ أي: يعملون السُّوء جاهلينَ سفهاءَ؛ لأنَّ ارتكاب القبيح مما يدعُو إليه السَّفهُ والشَّهوةُ لا ممَّا تدعو إليه الحكمةُ والعقلُ.

وعن مجاهد: مَن عصَى الله فهو جاهلٌ حتَّى ينزِع عن جهالته.

﴿مِن قَرِيبٍ﴾: من زمانٍ قريب، والزَّمانُ القريب: ما قبل حَضْرة الموت، ألا ترى إلى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء ٤/١٨]؟ فبَيَّن أن وقت الاحتضار هو الوقتُ الَّذي لا يُقْبَل فيه التَّوبةُ، فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب.

وعن ابن عبَّاس: قَبْلَ أن يَنزِل به سلطانُ الموت.

وعن الضَّحاك: كلُّ توبةٍ قبل الموت فهو قريب.

وعن النَّخعيّ: ما لم يؤخَذْ بِكَظْمِه.

ورَوى أبو أيُّوبَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله يقبلُ توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ».

قوله: (سلطان الموت)،[1] أي: حجَّة الموت ودليله، وهو مشاهدة المَلَك القابض للروح والأخذِ بالنفس[2] والأحوالِ الدالّة على الموت.

قوله: (بكَظْمِه)[3] الكَظَم بفتحتين: مجرى[4] النفس. وقيل: هو الحلق، يقال: أخذت بكَظَمه، أي: بمخرج[5] نفسه.

قوله: (ما لم يُغرغِر)[6] غَرغر المريض إذا تردَّد روحه في حلقه.

---

١ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٥١٢/٦ (النساء، ١٧/٤).
٢ ر + والروح.
٣ جامع البيان للطبري، ٥١٨/٦ (النساء، ١٧/٤).
٤ ن: مجرد.
٥ ن: يخرج.
٦ جامع البيان للطبري، ٥١٤/٦ (النساء، ١٧/٤).

وعن عطاءٍ: ولو قبل موتهِ بِفُواق ناقةٍ.

وعن الحسن: أنَّ إبليس قال حين أُهبِطَ إلى الأرض: وعزَّتِكَ لا أُفارِقُ ابنَ آدم ما دامَ روحُه في جسده، فقال: وعزَّتي لا أُغلِقُ عليه بابَ التَّوبة ما لم يُغرغِرْ.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن قَرِيبٍ﴾؟

قلتُ: معناه التَّبعيضُ؛ أي: يتوبون بعضَ زمانٍ قريبٍ؛ كأنَّه سَمَّى ما بين وجُود المعصيَة وبين حضرة الموت زمانًا قريبًا، ففي أيِّ جزءٍ تاب مِن أجزاء هذا الزَّمان فهو تائبٌ من قريبٍ، وإلَّا فهو تائبٌ من بعيد.

فإن قلتَ: ما فائدةُ قوله: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بعد قوله: إنَّما التَّوبة على الله لهم؟

قلتُ: قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ إعلامٌ بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعضُ الطَّاعات، وقوله: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ عِدَةٌ بأنَّه يَفي بما وجب عليه، وإعلامٌ بأنَّ الغفرانَ كائنٌ لا محالةَ كما يَعِدُ العبدُ الوفاءَ بالواجب.

قوله: (**بفُواق**)[1] هو[2] غير مهموز. والفُواق: ما بين الحلبتين مِن الوقت؛ لأنَّها تُحلَب ثمّ تترك سُوَيعة يرضعها الفصيل لتدُرّ ثمّ تُحلَب. يقال: "ما أقام عنده إلّا فواقًا" وفي الحديث: «العيادةُ قَدْر فُواقِ الناقة».[3]

قوله: (**قلتُ**:[4] **معناه**) هذا مثل ما ذكر بعد ذلك أنّ "مِن" في "مِن قبل" و"مِن بعد" وأشباههما للتبعيض.

قوله: (**بوجوبها**) لأنّ "على" للإيجاب. وهذا مبنيّ على مذهبه.[5]

قوله: (**كما يجب**) هذا تشبيه قبيح جدًا.

قوله: (**كما يعِدُ**[6] **العبد**) مِن قبيل جرأته المتقدِّمة، عفا الله عنه.

---

١ **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٠/١٣٩ (النساء، ٤/١٧)؛ **الوسيط** للواحدي، ٢/٢٧ (النساء، ٤/١٧).

٢ ن – هو.

٣ **شعب الإيمان** للبيهقي، ١١/٤٣٢ (٨٧٨٦).

٤ ن ر – قلت.

٥ وعند أهل السنّة لا يجب على الله تعالى شيء. انظر تفصيل المذهبين في **الإرشاد** للجويني، ص ٤٠٣.

٦ ر: بعد.

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾ عطفٌ على "الَّذين يعملون السَّيئات"، سوَّى بين الذين سوَّفُوا توبتَهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنَّه لا توبة لهم؛ لأنَّ حضرةَ الموت أوَّلُ أحوال الآخرة، فكما أنَّ المائت على الكفرِ قد فاتَتْه التَّوبةُ على اليقين فكذلك المسَوِّف إلى حضرة الموت؛ لمجاوزة كلِّ واحد منهما أوانَ التَّكليف والاختيار.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ في الوعيد؛ نظيرُ قوله: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ في الوَعْد؛ ليَتبيَّنَ أنَّ الأمرين كائنان لا محالةَ.

فإن قلتَ: مَن المراد بـ"الَّذين يعملون السَّيئات": أهُم الفسَّاقُ من أهل القِبلة، أم الكفَّارُ؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد الكفَّارُ بظاهر قوله: ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ وأن يراد الفسَّاق؛ لأنَّ الكلام إنَّما وقع في الزَّانِيَيْن والإعراضِ عنهما إن تابا وأصلحا، ويكون قوله: ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ورادًا على سبيل التَّغليظ كقوله: ....

قوله:[١] (وأن[٢] يراد) هذا هو الوجه الثاني. فإن قلتَ: أما يجوز أن يراد[٣] بـ"الذين يعملون السيئات": الفسّاق وبـ﴿ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾: الكفّار. قلتُ: بلى، ولكنّ النظم على ما أثبتَ أدلّ، لأنّ قوله: ﴿يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ واقع في مقابلة قوله: ﴿قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾، فالظاهر أن يراد: الذين عاشوا على الكفر ثمّ تابوا في حضرة الموت كفرعون، والذين عاشوا على الكفر وماتوا على ما عاشوا عليه لم[٤] يُخطِروا التوبة ببالهم كأبي جهل، فيكون المعنى مِن قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ﴾... إلخ،

---

[١] ر – قوله.
[٢] ن: فأن.
[٣] ر – هذا هو الوجه الثاني. فإن قلت: أما يجوز أن يراد.
[٤] ر: ثم.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران ٩٧/٣] وقوله: «فليمُت إن شاء يهوديًا أو نصرانيًا»، «مَن تَرَكَ الصَّلاة متعمِّدًا فقد كفر»؛ لأنَّ مَن كان مصدِّقًا ومات وهو لا يُحدِّثُ نفسَه بالتَّوبة حالُه قريبةٌ من حال الكافر؛ لأنَّه لا يَجترئ على ذلك إلَّا قَلْبٌ مُصْمَتٌ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾

كانوا يَبلُون النِّساء بضروبٍ من البلايا، ويَظلمونهنَّ بأنواعٍ من الظُّلم،

إنّما التوبة لمَن[١] تاب[٢] قبل حضرة الموت، لا[٣] لمَن تاب عند حضرة الموت، ولا لمَن مات[٤] على ما عاش عليه مِن غير توبة.

[٢٩٦و] قوله: (﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ [آل عمران ٩٧/٣]) / المراد منه والله أعلم: ومَن لم يحُجّ.

قوله: (لأنّ مَن كان) متعلِّق بقوله: (واردًا).

قوله: (مُصمَت) باب[٥] مُصمَت: قد أُبهم إغلاقه. ومنه "حرمةُ الكفر حرمة مُصمَتة"، أي: مقطوع بها لا طريقَ إلى هتكها. وحقيقة المُصمَت: ما لا جوفَ له. ومنه "صلّى بينه وبين الإمام حائط مُصمَت، أي: لا[٦] فُرجةَ فيه.[٧]

قوله:[٨] (يَبلون)، أي: يَبتلون.

---

١ ن ر: لم.
٢ ن ر: تأت.
٣ ن – لا.
٤ ر – عند حضرة الموت ولا لمَن مات.
٥ ن ر: بان.
٦ ر – لا.
٧ من قوله: "باب مصمت" إلى هنا بلفظ قريب في المغرب للمطرّزي، «صمت».
٨ ن + وبين الإمام حائط مصمت، أي: لا فرجة فيه. قوله.

فزُجِروا عن ذلك، كان الرَّجل إذا ماتَ له قريبٌ من أبٍ أو أخٍ أو حَميمٍ عن امرأةٍ ألقى ثوبَهُ عليها، وقال: أنا أحقُّ بها من كلِّ أحد، فقيل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾؛ أي: أن تأخذوهنَّ على سبيل الإرث كما تُحازُ المواريثُ وهنَّ كارهاتٌ لذلك أو مكرَهاتٌ.

وقيل: كان يُمسكها حتَّى تموت، فقيل: لا يحلُّ لكم أن تمسكوهنَّ حتَّى ترثوا منهنَّ وهنَّ غيرُ راضياتٍ بإمْساكِكُم.

وكان الرَّجل إذا تزوَّج امرأةً ولم يكن من حاجته حَبْسها مع سوء العِشْرة والقهْرِ لتَفْتدِيَ منه بمالها وتختلعَ، فقيل: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾.

قوله: (كان الرجل) بيان لقوله: "كان يَبلون"... إلخ.

قوله: (مِن أبٍ) بيان (قريبٌ).

قوله: (عن امرأة) متعلِّق بقوله: (مات)، أي: مات قريبٌ وترك امرأة.

قوله: (ألقى) جواب (إذا).

قوله: (﴿كَرْهًا﴾) قال أبو عبيدةَ[١] قال «الفرّاء: الكُره بالضمّ: المشقَّة. يقال: قمتُ على كُره، أي: مشقّة. قال: ويقال: أقامني فلان على كَره بالفتح إذا أكرهك عليه. قال: وكان[٢] الكسائي [يقول]:[٣] الكَره والكُره لغتان».[٤] وحاصل الوجهين المذكورين في قوله: ﴿أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾: أنّه يجوز أن يكون ﴿ٱلنِّسَآءَ﴾ مفعولًا ثانيًا لـ﴿تَرِثُواْ﴾ كما في قولك: "ورثتُ المالَ زيدًا"، أي: "مِن مال[٥] زيد"؛ وأن يكون[٦] المفعولَ الأوّل كقولك: ورثتُ زيدًا.

قوله: (يُمسِكها)، أي: لا يدعها أن تتزوَّج.

---

١ الظاهر أنّ إيراد اسم أبي عبيدة خطأ ههنا، وهو مذكور في الصحاح قبل اسم الفرّاء في آخر كلام منقول قبل هذا الكلام، فاشتبه ذلك على الناقل.

٢ ن - وكان.

٣ د ن ر - يقول. | وأثبتّها مِن مطبوع الصحاح.

٤ الصحاح للجوهري، «كره».

٥ ن ر - مال.

٦ ن ر - يكون.

والعَضْلُ: الحبس والتَّضييق، ومنه: عضَّلت المرأةُ بولدها: إذا اختنقت رَحِمُها به فخرج بعضُه وبقي بعضُه.

﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ وهي النُّشوز وشكاسَةُ الخُلُق، وإيذاءُ الزَّوج وأهله بالبَذَاء والسَّلاطَة؛ أي: إلَّا أن يكون سوءُ العِشْرة من جهتهنَّ فقد عُذِرْتُم في طلب الخُلع، وتدلُّ عليه قراءةُ أُبَيّ: "إلَّا أن يَفْحُشْنَ عليكم".

وعن الحسن: الفاحشة الزِّنا، فإن فعلتْ حلَّ لزوجها أن يسألها الخلعَ.

وقيل: كانوا إذا أصابت امرأةٌ فاحشةً أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها.

وعن أبي قِلابَةَ ومحمد بن سيرينَ: لا يحلُّ الخلع حتَّى يوجد رجُلٌ على بطنها.

وعن قتادة: لا يحلُّ له أن يحبسها ضِرارًا حتى تفتديَ منه. يعني: وإن زنَتْ.

وقيل: نُسخ ذلك بالحدود.

وكانوا يُسِيئُون معاشرة النِّساء فقيل لهم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ وهو النَّصَفَة في المبيت والنفقة، والإجمالُ في القول.

قوله: (إذا اختنقت)[١] الخَنِق بكسر النون: مصدر خَنَقه يخنِقه،[٢] واختنق هو، فالباء في (به) للتعدية.

قوله: (﴿مُبَيَّنَةٍ﴾) إن قرئ بفتح الياء[٣] فمعناه أن يبيّنها غيرُها، وبكسرها[٤] أن تُبيِّن بنفسها.

قوله: (بالبذاء) البذاء بالمدّ: الفحش.

قوله: (والسلاطة)[٥] «امرأة سليطة، أي: صخّابة. ورجل سليط، أي: فصيح حديد اللسان بيّن السلاطة».[٦]

---

١ ن: خشعت.

٢ ن: فخنقه.

٣ ن ر - بفتح الياء.

٤ قرأ بفتح الياء ابن كثير وأبو بكر، وقرأ باقي العشرة بالكسر. النشر لابن الجزري، ٢/٢٤٨.

٥ ن: السلاطة.

٦ الصحاح للجوهري، «سلط».

﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ فلا تفارقوهنَّ لكراهةِ الأنفُس وحدها، فربَّما كرهت النَّفسُ ما هو أصلحُ في الدِّين وأحْمدُ وأدنى إلى الخير، وأحَبَّتْ ما هو بضدِّ ذلك، ولكن للنَّظر في أسباب الصَّلاح.

وكان الرَّجلُ إذا طمَحتْ عينه إلى استطرافِ امرأةٍ بَهَتَ التي تحته ورَماها بفاحشةٍ حتَّى يُلْجِئَها إلى الافتداء منه بما أعْطاها ليَصْرِفَه إلى تزوُّج غيرها، فقيل: ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ﴾ الآية.

"القِنْطَارُ": المال العظيم، من قَنْطَرْتُ الشيءَ: إذا رفعتَه، ومنه: القَنْطرةُ؛ لأنَّها بناءٌ مشيَّدٌ، قال:

كقنطرةِ الرُّوميِّ أقسَمَ ربُّها ... لتُكْتَنَفَنْ حتَّى تُشادَ بقَرْمَدِ

قوله: (ولكن[1] للنظر)، أي: ولكن فارقوهنّ للنظر.

قوله: (إلى استطراف) استطرفتُ الشيء، أي: استحدثتُه.

قوله: (كقنطَرة) يشبِّه ناقته[2] بالقنطرة الروميّة. (ربُّها)، أي: صاحبها. (تُشادَ)، أي: ترفع. (بقَرْمدِ)،[3] أي: بالآجرّ. شبَّه الناقة وتراصُفَ[4] عظامها وتداخل أعضائها[5] بالقَنطَرة، وهو: الجسر الذي يُبنى[6] على الماء للعبور. وقيل: أراد قصرًا يُبنى[7] لرجل روميّ.[8] والاكتناف: الكَون في أكناف الشيء، وهي: نواحيه. والشَّيْد: الرفع، والطليُ بالشيد، وهو: الجصُّ. والقَرمد: الآجرّ. وقيل: الصاروج.[9] أي: هذه الناقة كقنطَرة الرجل الروميّ الذي حلَف وقال: والله لتُكتنفنّ، أي: لتُحاطنّ بها حتّى تُرفع أو تجصَّص.[10] «الصاروج:

---

[1] ن - ولكن.

[2] ن: ما فيه.

[3] البيت لطرفة بن العبد البكري من معلّقته الشهيرة، وهو في ديوانه، ص ٣٣؛ وشرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ١٦٤.

[4] ن ر: وتواصف.

[5] ن: أعطابها.

[6] ن ر: بني.

[7] ن ر: بني.

[8] في شرح القصائد السبع لابن الأنباري، ص ١٦٤: «وإنّما خصّ الرومي لأنّه أحكم عملًا».

[9] القول للطوسي فيما نقله ابن الأنباري في شرح القصائد السبع، ص ١٦٥.

[10] أكثر الشرح الذي أورده على هذا البيت مذكور بلفظ قريب في شرح المعلّقات السبع للزوزني، ص ٩٧.

وعن عمر رضي الله عنه: أنَّه قام خطيبًا فقال: يأيُّها النَّاس، لا تُغالُوا بصُدُقِ النِّساء، فلو كانت مَكْرُمَةً في الدُّنيا أو تقوَى عند الله لكان أَوْلاكُم بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ما أَصْدَقَ امرأةً من نسائه أكثرَ من اثني عَشْرَةَ أوقيَّةً، فقامت إليه امرأةٌ فقالت له: يا أمير المؤمنين لِمَ تمنعُنا حقًّا جعلَه الله لنا، والله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾؟! فقال عمر: كلُّ أحدٍ أعلمُ من عمر، ثمَّ قال لأصحابه: تسمعونني أقولُ مثلَ هذا فلا تنكرونه عليَّ حتَّى تردَّ علي امرأةٌ ليست من أعلم النِّساء!

والبهتانُ: أن تَستقبِلَ الرَّجلَ بأمر قبيحٍ تَقذفُه به وهو بريءٌ منه؛ لأنَّه يُبْهَتُ عند ذلك؛ أي: يتَحيَّرُ.

النَّوْرة[١] وأخلاطُها، فارسيّ معرَّب، وكذا كلّ كلمة فيها صادٌ وجيم، لأنّهما لا يجتمعان في[٢] كلمة مِن كلام العرب».[٣]

قوله: (بصُدُق) جمع "صِداق" كـ"كُتُب وكِتاب".

قوله:[٤] (فلو كانت)، أي: المغالاة.

قوله: (ما أصدَقَ)، أي: ما أعطى الصَداق.

قوله: (أوقيّةً)، الأوقية: أربعون درهمًا.

قوله: (مِن عمرَ)،[٥] يعني: في هذه المسألة. قاله: حافظ الدين الكبير.[٦] وهذا التأويل الذي ذكره حافظ الدين غيرُ مستقيم، إذ كلّ أحد لم يكن أعلمَ مِن عمرَ بتلك المسألة، إذ كان كثير مِن الناس ما[٧] كانوا يعلمونها. وقال الأستاذ فخر الملّة والدين الجاربردي: الأَولى أن يقال: لا شُبهة في أنّ كلّ أحد أعلمُ مِن غيره

---

١ النورة من الحجر الذي يُحرَق ويسوّى منه الكلس ويُحلَق به شعر العانة. لسان العرب لابن منظور، «نور».

٢ ن - في.

٣ الصحاح للجوهري، «صرج».

٤ ر + قراءة.

٥ بلفظ قريب في سنن أبي داود، ٣/٤٤٤ (٢١٠٦)؛ وصحيح ابن حبّان، ١٠/٤٨٢ (٤٦٢٠)؛ والمستدرك للحاكم، ٢/١٩١ (٢٧٢٥).

٦ الظاهر أنّ هذا التأويل منقول عنه، إذ كان مشارًا إليه في حلّ مشكلات الكشّاف.

٧ ن ر: لما.

وانتصب ﴿بُهْتَـٰنًا﴾ على الحال؛ أي: باهتينَ وآثمين، أو على أنَّه مفعولٌ له وإن لم يكن غرضًا؛ كقولك: قَعَد عن القتال جُبنًا.

فيما يختصّ علمُه به، ولو في أحواله الخفيّة عن غيره وأفعاله وأفكاره إلى / غير [٢٩٦ظ] ذلك، فصحّ أن كلّ الناس أعلمُ مِن عمرَ بهذا المعنى، وإنّما قال: "عمر" رضي الله عنه[١] مطلقًا تواضعًا وهضمًا لنفسه واعتمادًا على ظهور المعنى.

قوله: **(باهتين)**، أي: رامين إياهنّ بالأمر القبيح.

قوله: **(آثمين) الإثم**:[٢] الذنب، وقد أثِم الرجل إثمًا ومأثمًا، أي: وقع في الإثم، فهو آثِم وأثيم وأثوم أيضًا. يقال: أثَمَه الله يأثمُه ويأثِمه،[٣] أي:[٤] عدَّ[٥] عليه إثمًا فهو مأثوم. وأنشد الفرّاء:[٦]

فهل يأثِمنّي الله في أن ذكرتُها وعلّلتُ أصحابي بها ليلةَ النفرِ[٧]

قوله: **(وإن لم يكن غرضًا)** فإنّ البهتان علّة الأخذ وكذا الإثم، وليس البهتان هو الغرضَ مِن[٨] الأخذ[٩] وكذا الإثم، وأمّا وجهُ كون البهتان علّة للأخذ[١٠] فهو أنّه أخذ منها شيئًا لأنّه بهتها، وأما كونُ[١١] الإثم سببًا[١٢] للأخذ[١٣] فلأن إثمه بالبهتان كان علّةً للأخذ.

---

١ د - رضي الله عنه.

٢ ر: الاسم.

٣ ن - ويأثمه.

٤ ن + ثم.

٥ في مطبوع **الصحاح**: عدّه.

٦ ليس في **معاني القرآن** للفرّاء، وهو منقول عنه في **إصلاح المنطق** لابن السِّكّيت، ص ٩٥؛ **والصحاح** للجوهري، «إثم».

٧ من قوله: "الإثم الذنب" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «إثم». والبيت لنُصيب بن رياح الأسود الحُبَكي في **غريب الحديث** للخطابي، ٦٥٨/١؛ **وأمالي القالي**، ٢٠٧/٢؛ **والمحكم** لابن سِيده، ١٨٦/١٠، «إثم»؛ **وشرح أبيات المغني** للبغدادي، ٢٧٢/٢؛ وهو بلا عزو في **إصلاح المنطق** لابن السِّكّيت، ص ٩٥؛ **والصحاح** للجوهري، «نفر»، «إثم»؛ **والبسيط** للواحدي، ٥٩٢/١٦ (الفرقان، ٦٨/٢٥).

٨ ن - من.

٩ ن: للأخذ.

١٠ ن: الأخذ.

١١ ر - البهتان علّة للأخذ فهو أنّه أخذ منها شيئًا لأنّه بهتها وأما كون.

١٢ ر: سببَ.

١٣ ر: الأخذ.

و"الميثاقُ الغليظ": حقُّ الصُّحبة والمضاجعة، كأنَّه قيل: وأخذْنَ به منكم ميثاقًا غليظًا؛ أي: بإفضاءِ بعضِكم إلى بعضٍ، ووصفَه بالغِلَظِ لقوَّته وعِظَمِه، فقد قالوا: صُحبةُ عشرين يومًا قرابةٌ، فكيف بما يجري بين الزَّوجين من الاتِّحاد والامتزاج.

وقيل: هو قول الوليِّ عند العقد: أُنكِحُكَ على ما في كتاب الله من إمساكٍ بمعروفٍ أو تسريحٍ بإحسان.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «استَوْصُوا بالنِّساء خيرًا فإنَّهنَّ عَوَانٍ في أيديكم، أخذتموهنَّ بأمانة الله واستحلَلْتُم فروجَهنَّ بكلمةِ الله».

وكانوا ينكحون رَوابَّهم، وناسٌ منهم يَمقتُونَه من ذوي مُروْآتهم، ويُسمُّونه: نكاحَ المَقْتِ، وكان المولود عليه يقال له: المَقْتيُّ، ومِن ثَمَّ قيل: ﴿وَمَقْتًا﴾؛

قوله: (به)، أي: بالإفضاء كما فسَّره في الكتاب.

قوله عليه[1] السلام: («استوصوا»)، استوصى، أي: قَبِل الوصية، وهي[2] مطاوع "أوصى"، كأنّه قال: أوصيكم بالنساء خيرًا فاقبلوا وصيّتي فيهنّ.[3]

قوله: («عوانٍ») العاني: الأسير. وقومٌ عُناةٌ ونسوة عوانٍ.

قوله: («بكلمة الله»)،[4] أي: بأمر الله.

قوله: (وكانوا) عطف على[5] قوله: (كانوا يَلون).

قوله: (روابَّهم) الرواب جمع[6] رابّة، وهي: امرأة الأب.

قوله: (وكان المولود)، أي: الذي وُلد على هذا النكاح، أي: بناءً عليه.

---

[1] ن ر + الصلاة و.

[2] ر: وهو.

[3] من قوله: "استوصى" بلفظ قريب في حواشي شهاب الدين الخزّافي على الكشاف. وهو منقول من خطّه على هامش مخطوط الكشّاف (نسخة آيا صوفيا، رقم ٢٤٧)، ١٥و.

[4] ن – الله. | الحديث بمعناه في صحيح البخاري، ١٣٤/٤ (٣٣٣١)؛ وصحيح مسلم، ١٠٩١/٢ (١٤٦٨)؛ وسنن الترمذي، ٤٥٨/٢ (١١٦٣)؛ وسنن ابن ماجه، ٥٧/٣ (١٨٥١).

[5] ر + كانوا.

[6] ن ر – جمع.

كأنّه قيل: هو فاحشةٌ في دِين الله بالغةٌ في القبحِ، قبيحٌ ممقوتٌ في المروءة، ولا مزيدَ على ما يجمع القُبحَيْن.

وقرئ: "لا تحِلُّ لكم" بالتّاء على أنَّ ﴿أَن تَرِثُواْ﴾ بمعنى الوِرَاثة.

و﴿كَرْهًا﴾ بالفتح والضَّمِّ من الكراهة والإكراه.

وقرئ: "بفاحشةٍ مُبِينةٍ" من أبانتْ بمعنى: تبيَّنت أو بيَّنَتْ.

كما قرئ: ﴿مبيّنة﴾ بكسر الياء وفتحِها.

"ويجعَلُ اللهُ" بالرَّفع على أنه في موضع الحال.

"وآتيتم احْداهنَّ" بوصل همزة "احداهنَّ"، كما قرئ "فَلَثْمَ عليه".

فإن قلتَ: ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ما وجهُ إعرابه؟

قوله: (على [أنّ][1] ﴿أَن تَرِثُواْ﴾) والمراد أنّ توجيه القراءة بالتاء أن يكون ﴿أَن تَرِثُواْ﴾ بمعنى الوراثة، وفي أكثرها هكذا على ﴿أَن تَرِثُواْ﴾ بمعنى الوراثة، والمعنى على ما مرّ، و"أن" مقدَّرة.

قوله: (و"يَجْعَلُ اللهُ"[2] بالرفع) لا حاجةَ إلى الإتيان بالواو في المضارع المثبت، إلّا أن يقال: كان يلتبس بأن تكون صفة لقوله: شيئًا، فأتى بالواو لذلك، أي: الواو دلَّت على أن "يَجْعَلُ الله" حال لا صفة،[3] كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الحجر ١٥/٤]، والوجهُ أنّه إذا كان حالًا كان التقدير: وهو يجعل.

قوله: ("وآتيتمُ")[4] بضمّ الميم.

قوله: ("فَلَثْمَ"[5] [البقرة ٢/٢٠٣])، أي: فلا إثمَ.

قوله: (فإن قلتَ: ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ما وجهُ إعرابه؟) ويمكن أنّ ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾

---

١ د ن ر - أنّ. | وأثبتُّها من مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن عمر. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٦٥٢.

٣ ن - لا صفة.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن محيصن. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٦٥٢.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن سالم بن عبد الله. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٥٠١.

قلتُ: النَّصبُ عطفًا على ﴿أَن تَرِثُوا﴾، و"لا" لتأكيد النَّفي، أي: لا يَحلُّ لكم أن ترثوا النِّساء ولا أن تعضلوهنَّ.

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بينَ تعديةِ "ذهب" بالباء وبينها بالهمزة؟

قلتُ: إذا عُدِّي بالباء فمعناه: الأخذُ والاستصحابُ، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ﴾ [يوسف ١٢/١٥]، وأمَّا الإذهاب فكالإزالة.

فإن قلتَ: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ﴾ ما هذا الاستثناء؟

قلتُ: هو استثناءٌ من أعمّ عامّ الظَّرف أو المفعول له، كأنَّه قيل: ولا تعضلوهنَّ في جميع الأوقات إلَّا وقتَ أن يأتين بفاحشة، أو: ولا تعضلوهنَّ لعلَّةٍ من العِلل إلَّا لِأَنْ يأتين بفاحشة.

فإن قلتَ: من أيِّ وجهٍ صحَّ قوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُوا﴾ جزاءً للشَّرط؟

قلت: من حيث إنَّ المعنى: فإنْ كرهتموهنَّ فاصبروا عليهنَّ مع الكراهة فلعلَّ لكم فيما تكرهونه خيرًا كثيرًا ليس فيما تحبُّونه.

فإن قلتَ: كيف استثنَى ﴿مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ من ﴿مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾؟

مجزوم عطف على ﴿لَا يَحِلُّ﴾؛ لأنه في معنى النهي ويؤيّده ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ﴾.

قوله: (**وأمّا الإذهابُ**) أذهبه، أي: جعله ذاهبًا كـ"أخرجه"، أي: جعله خارجًا، ولذلك قال في: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ [البقرة ٢/١٧]: إنّه أبلغ مِن أن يقال: "أذهب الله نورهم"،[١] يُعرَف بالرجوع إلى ذلك، ويُعلم منه لُطف التركيب على هذه الطريقة ههنا.

قوله: (**مِن أعمّ عامّ**) يريد أنّ في المفرَّع لا بدّ مِن مستثنى منه عامّ لكن[٢] مِن جنس المستثنى، ولمّا كان هذا ظرفًا أو مفعولًا له فهو أيضًا مِن هذا الجنس بوصف العموم.

قوله: (**مِن حيث إنّ المعنى**)... إلخ، فالجزاءُ بالحقيقة معلَّل قوله: (﴿فَعَسَىٰٓ أَن﴾).

---

[١] انظر: **الكشّاف** للزمخشري، (البقرة، ٢/١٧).
[٢] ر + منه عام لكن.

قلتُ: كما استُثْني "غير أن سُيُوفهم" من قوله: "ولا عيبَ فيهم"، يعني: إنْ أَمْكَنكم أن تنكحوا ما قد سلفَ فانكحوه فلا يحلُّ لكم غيرُه، وذلك غيرُ ممكن، والغرضُ: المبالغةُ في تحريمه، وسَدُّ الطَّريق إلى إباحته كما يُعلَّق بالمحال في التَّأبيد نحو قولهم: "حتَّى يَبْيَضَّ القارُ" و: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف ٧/٤٠].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

معنى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾: تحريمُ نكاحهنَّ؛ لقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء ٤/٢٢]؛ ولأنَّ تحريم نكاحهنَّ هو الذي يُفهم من تحريمهنَّ ....

قوله: (ولا عيبَ) إشارة إلى قوله:

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفهمْ   بهنَّ فلولٌ مِن قراع الكتائبِ[1]

الفلول: واحدة الفلّ، وهو:[2] كسور في[3] حدِّه.[4] وكأنَّ المعنى إن كان هذا عيبًا فهو عيبهم ولا عيبَ فيهم سواه.

قوله: (ولأنَّ تحريم نكاحهنَّ)[5] الحاصل أنَّ القرينة إمّا لفظيّة أو حاليّة[6]/ معنويّة، [٢٩٧و]

---

[1] البيت للنابغة الذبياني في ديوانه، ص ٦٠؛ وهو له في كتاب سيبويه، ٢/٣٢٦؛ والكامل للمبرد، ١/٧١؛ وتحرير التحبير لابن أبي الإصبع، ص ١٣٣؛ والإيضاح للقزويني، ص ٥٢٤؛ ونهاية الأرب للنويري، ٧/١٢٢.

[2] ن – وهو.

[3] ن ر: من.

[4] انظر: الصحاح للجوهري، «فلل».

[5] ن: نكاحها.

[6] ر: خولية.

كما يُفهم من تحريم الخمر تحريمُ شربها، ومن تحريم لحم الخنزير تحريمُ أكله.

وقرئ: "وبناتُ الاخْت" بتخفيف الهمزة.

وقد نزَّل الله الرَّضاعةَ منزلةَ النَّسب حتَّى سَمَّى المُرضِعةَ أمًّا للرَّضيع، والمراضِعَةَ أختًا، وكذلك زوجُ المرضعة أبوه، وأبواه جدَّاه، وأختُه عمَّته، وكلُّ ولدٍ وُلد له من غيرِ المرضعة قبل الرَّضاع وبعده فهُم إخوتُه وأخواتُه لأبيه، وأمُّ المرضعة جدَّته، وأختُها خالته، وكل مَن وُلد لها من هذا الزَّوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمِّه، ومَن وُلد لها من غيره فهم إخوته وأخواتُه لأمِّه، ومنه قولُه صلى الله عليه وسلم: «يَحْرُمُ من الرَّضاع ما يَحْرُمُ من النَّسَب».

(كما يُفهَم[١] من تحريم الخمر)... إلخ، أمّا تحريم عينها فبالمجاز؛[٢] لأنّ التحريم لا يتعلّق بالأعيان حقيقة، إذ لا معنى لتحريم أعيانها.[٣]

قوله: (بتخفيف)، أي: بنقل حركةِ همزة "أخت" إلى لام التعريف وحذف الهمزة.

قوله: (سمّى المُرضِعة أمًّا) المُراضِعة: التي رضَعت مع غيرها. يقال: رَضِع الصبيّ أمَّه يرضَعها رضاعًا مثل سَمِع يسمع سَماعًا،[٤] ورَضَع يرضِع رضْعًا[٥] مثل ضَرَب يضرِب ضربًا. وأرضعَتْه أمُّه. وامرأة مرضِع، أي: لها ولد تُرضِعه. فإن وصفتَها بإرضاع الولد قلتَ: مُرضِعة.[٦]

قوله: (وُلد له)، أي: لزوج المُرضِعة.

---

١ ن: يوهم.

٢ ن: بالمجاز.

٣ الكلام بلفظ قريب في مجاز القرآن للعز بن عبد السلام ٨؛ والإيضاح ٢٩٩؛ وهي من مسائل الأصوليين. انظر: المستصفى للغزالي، ٣/٣٩-٤٠.

٤ ر + ورضاعًا.

٥ ر: رضاعًا.

٦ من قوله: "رضع الصبيّ" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «رضع».

وقالوا: تحريم الرَّضاع كتحريم النَّسب إلّا في مسألتين:

إحداهما: أنه لا يجوز للرَّجل أن يتزوَّج أختَ ابنه من النَّسب ويجوز أن يتزوَّج أختَ ابنه من الرَّضاع؛ لأنَّ المانع في النَّسب وطؤهُ أمَّها، وهذا المعنى غيرُ موجود في الرَّضاع.

والثَّانيةُ: لا يجوز أن يتزوَّج أمَّ أخيه من النَّسب ويجوز في الرَّضاع؛ لأنَّ المانع في النَّسب وطء الأب إيَّاها وهذا المعنى غيرُ موجود في الرَّضاع.

﴿مِن نِّسَآئِكُمُ﴾ متعلِّق بـ﴿ربائبُكم﴾، ومعناه: أنَّ الرَّبيبة من المرأة المدخولِ بها محرَّمةٌ على الرَّجل حلالٌ له إذا لم يَدخل بها.

فإن قلتَ: هل يصحُّ أن يتعلَّق بقوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾؟

قلتُ: لا يخلو: إمَّا أن يتعلَّق بهنَّ وبالرَّبائب، فتكونُ حرمتُهن وحرمةُ الرَّبائب غيرَ مُبهَمَتين جميعًا، وإمَّا أن يتعلَّق بهنَّ دون الرَّبائب فتكون حُرمتُهنَّ غيرَ مبهمةٍ وحرمةُ الرَّبائب مبهمةً:

قوله: (**إلّا في مسألتين**) وقال المحقِّقون: لا حاجةَ إلى استثناء هاتين المسألتين: أمّا الأولى فلأنّ أخت الابن في النسب إنّما حرمت لأنّه وطئ أمَّها على ما ذكر المصنّف، وهذه الجهة لو وُجدت في الرضاع لكانت محرِّمة، وأمّا كونها أختًا للابن فلا مدخلَ[1] له في الحرمة مِن جهة النسب؛ وكذا نقول: أمّ الأخ مِن النسب لم تَحرُم لكونها أمّ الأخ؛ بل هذه الجهة ملغاة وإنّما حُرِّمت لِما ذكَر،[2] وهذه الجهة لو وُجدت في الرضاع لكانت محرِّمة أيضًا، فتأمّل، فهذا هو التحقيق. وكأنّ المصنّف لذلك قال: (**قالوا**) ولم يقل: "هو كذلك إلّا في مسألتين".

قوله: (**مُبهَمتين**) أراد بالمُبهَم هنا[3] أن يكون مطلقًا غير مقيَّد.

---

[1] ر: يدخل.
[2] ر + ولهذا.
[3] ن - هنا.

فلا يجوز الأوَّل؛ لأنَّ معنى ﴿مِن﴾ مع أحد المتعلِّقين خلافُ معناه مع الآخر، ألَا تَراك إذا قلتَ: "وأمَّهات نسائكم من نسائكم اللَّاتي دخلتُم بهنَّ" فقد جعلتَ ﴿مِن﴾ لبيان النِّساء وتمييزِ المدخولِ بهنَّ من غيرِ المدخول بهنَّ، وإذا قلتَ: "وربائبُكم من نسائكم اللَّاتي دخلتم بهنَّ" فإنَّك جاعلٌ ﴿مِن﴾ لابتداء الغاية؛ كما تقول: "بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة" وليس بصحيحٍ أن يُعنَى بالكلمة الواحدة في خطابٍ واحد مَعْنيان مختلفان.

ولا يجوز الثَّاني؛ لأنَّ ما يليه هو الذي يستوجبُ التَّعليقَ به ما لم يَعترِض أمرٌ لا يُردُّ.

إلَّا أن تقول: أُعلِّقه بالنِّساء والرَّبائب وأَجعلُ ﴿مِن﴾ للاتِّصال؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة ٩/٦٧].

فـإنِّـي لسـتُ مـنـك ولـسـتَ منِّـي

قولـه:[1] (وليس بصحيح أن يُعنى بالكلمة الواحدة) قيل: هذا يناقض ما ذَكَر في المفصَّل مِن قوله:[2] ومعنى الكلّ راجع إلى معنى ابتداء الغاية،[3] ويندفع هذا بالتأمُّل.

قوله: (لا يُردّ) صفة (أمر)، أي: أمر غير مردود، أي: ما لم يعترض مانع قويّ لا يمكن ردُّه.

قوله: (إلّا أن تقول: أعلِّقه)... إلخ، متعلِّق بقوله: (فلا يجوز الأوّل)... إلخ، فكأنّه قال: لا يجوز شيء مِن الوجهين إلّا أن تقول: "أعلِّقه بهما" فحينئذٍ يتعيّن الوجه الأول. فهو في الحقيقة استثناء مفرَّغ، أي: لا يجوز في حال مِن الأحوال إلّا إذا كان ﴿مِنَ﴾ اتصاليّة. قال النابغة:

إذا حاولـتَ فـي أسـدٍ[4] فجـورًا[5] (فإنّـي لسـتُ منـك ولسـت منّـي)[6]

---

[1] ر – قوله.

[2] ن – من قوله.

[3] انظر: المفصّل للزمخشري، ص ٣٧٩.

[4] ر: أحد.

[5] ر: بحورًا.

[6] البيت في ديوان النابغة، ص ١٢٧؛ وهو له في التذكرة الحمدونيّة لابن حمدون، ٦/٢٧٥؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ٥/٦٩.

"ما أنا مِنْ دَدٍ ولا الدَّدُ مِنِّي"، وأمَّهاتُ النِّساء متَّصلاتٌ بالنِّساء؛ لأنهنَّ أمَّهاتُهنَّ كما أنَّ الرَّبائبَ متَّصلاتٌ بأمهاتهنَّ؛ لأنهنَّ بناتُهنَّ.

هذا وقد اتَّفقوا على أنّ تحريم أمَّهات النِّساء مُبْهَمٌ دون تحريم الرَّبائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى، وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في رجل تزوَّج امرأةً ثمَّ طلَّقها قبل أن يدخل بها أنَّه قال: «لا بأس أن يتزوَّجَ ابنتها ولا يحلُّ له أن يتزوَّج أمَّها».

وعن عمر وعِمران بن الحُصَيْن رضي الله عنهما: أنَّ الأمَّ تَحرمُ بنفسِ العقد.

وعن مسروقٍ: هي مُرسَلةٌ فأَرْسِلوا ما أَرْسَل الله.

وعن ابن عبَّاس: أبْهِموا ما أَبْهَم اللهُ.

(الدّد)[١] اللهو[٢] واللعب. يقال:[٣] "هذا ددًا" مثل "عصًى"، و"ددٌ" مثل "دَمٌ"، و"دَدَنٍ" مثل "حَزَنٍ".

قوله: **(وأمَّهاتُ النساء)** حال، أي: إلّا أن تقول كذا والحال[٤] هذه. والأَولى أن يقال: "الواو للعطف" فيكون مقولًا.

قوله: **(هذا وقد)** كأنّه أشار بقوله: "إلّا أن تقول: أعلِّقه"، وقوله: **(هذا[٥] وقد اتّفقوا على أنّ)**... إلخ، إلى أنّه وإن أمكن تعلُّق ﴿مِن نِّسَآئِكُمُ﴾ بحسب النحو بالمتقدِّمين لكن هذا الاتّفاق يدفعه.

قوله: **(وقد رُوي عن النبيّ عليه السلام)** يجوز أن يكون ذكره المصنِّف لبيان سبب هذا الإجماع، ويجوز أن يكون دليلًا آخر بعد دلالة الإجماع. والأوّل أَولى.

قوله: **(هي)**، أي: الأمَّهات مُرسَلة، أي: مُطلَقة غيرُ مقيّدة.

قوله: **(وعن ابن عبّاس رضي الله عنه:[٦] «أبهموا ما أبهم الله تعالى»)**،[٧]

---

١ **الأدب المفرد** للبخاري، ص ٢٧٤ (٧٨٥).
٢ ن ر: الدهو.
٣ ر: قال.
٤ ن ر + أي: إلا أن تقول كذا والحال.
٥ ر - وقد كأنّه أشار بقوله: إلّا أن تقول: أعلِّقه وقوله: هذا.
٦ د - رضي الله عنه.
٧ ن ر - تعالى. | مذكور بلفظه في **معرفة السنن والآثار** للبيهقي، ٩٧/١٠ (١٣٨١٥)؛ و**البسيط** للواحدي، ٤٢٥/٦ (النساء، ٢٣/٤)؛ وبمعناه في **سنن سعيد بن منصور**، ٢٧٠/١ (٩٣٧).

إلّا ما رُوي عن عليٍّ وابن عبّاسٍ وزيدٍ وابنِ عمر وابن الزُّبير أنّهم قرؤوا: "وأمَّهاتُ نسائكم اللّاتي دخلتم بهنَّ"، وكان ابن عبّاس يقول: واللهِ ما نَزَل إلا هكذا. وعن جابر روايتان.

قال في **المغرب**: أبهم الباب: أغلقه. وفرسٌ بهيم:[١] على لون واحد لا يُخالطه غيره. وكلام مبهمٌ: لا يُعرَف له وجهٌ. وأمر مبهم:[٢] لا مأتى له. وفي حديث ابن عبّاس رضي الله عنه:[٣] / أن[٤] أبهِموا ما أبهم الله.[٥] ذُكر في موضعين: أمّا في الصوم فمعناه[٦] أنّ قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة ١٨٤/٢] مطلقٌ في قضاء الصوم ليس فيه تعيين أن يُقضى متفرِّقًا أو متتابعًا، فلا تلزموا أنتم أحد الأمرين على البتّ والقطع، وأمّا في النكاح فمعناه أنّ النساء في قوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ مبهَمة غير مشروط[٧] فيهنّ الدخول بهنّ، وإنّما ذلك في أمّهات الربائب، يعني: أنّ قوله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ صفة لـ"النساء" الأخيرة فتخصَّصت بها، فلمّا كان كذلك تخصَّصت الربائب لأنّها منها،[٨] بخلاف "النساء" الأولى فإنّها لم تدخل تحت هذه الصفة فكانت مبهَمة. [٢٩٧ظ]

قوله: (**إلّا ما رُوي**) مستثنى مِن قوله: "وقد اتّفقوا" فيه نظرٌ. والصواب أنّه استثناء منقطع، و"إلّا" بمعنى "لكنّ" و"ما رُوي" اسمه و"أنّهم" خبره.

قوله: (**وكان**)[٩] عطف على الجملة الاستدراكيّة، والحاصلُ أنّ المصنّف بعد ما ذكر مِن الاتّفاق والروايات استدركه بهذين الكلامين، وكذا بإحدى الروايتين عن جابر.[١٠]

قوله: (**ابن عبّاس يقول**)[١١] لو ثبت ما نُقل عن ابن عبّاس كان ممّا نُسخ قراءته وحكمه.

---

١ ن: بهم.
٢ ن ر: بهم.
٣ د ر – رضي الله عنه.
٤ ر – أن.
٥ انظر: **المغرب** للمطرّزي، «بهم».
٦ ر: بمعناه.
٧ ن: مشروطة.
٨ ن: بها؛ ر – منها.
٩ ر: وكأنّه.
١٠ ن ر – عن جابر.
١١ **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٩٧/١٠ (النساء، ٢٣/٤).

وعن سعيد بن المسيِّب عن زيد: إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كُره أن يَخْلُفَ على أمِّها، وإذا طلقها قبل أن يَدخل بها فإن شاء فعل. أقام الموتَ مُقام الدُّخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر.

قوله: (**ميراثَها[١] كُرِه**)[٢] يريد أنّه إذا ماتت زوجة لا يجوز له أن ينكح بعدها ابنتها، فالمرادُ[٣] بالكراهة هنا كراهةُ التحريم، ويدل عليه قوله: (**أقام الموتَ**)، أي: أقام زيد الموت مُقامَ الدخول.

قوله: (**أن يخلُف**) قال في **الصحاح**: «الخَلَف: ما استخلفته مِن شيء».[٤] فقوله: "أن يخلُف"، أي:[٥] يجعلها خَلَفًا على أمّها. وإنّما قال: (**على أمّها**)[٦] لأنّه إذا نكحها بعد أمّها،[٧] فكأنّه نكحها عليها، وإنّما يقال: "نكح فلانة على فلانة إذا كانت الأُولى في نكاحه ثمّ نكح الثانية جمعًا بينهما، كما قال رسول الله عليه السلام:[٨] «لا تُنكَح المرأة على عمّتها ولا على خالتها».[٩] لكنّ زيدًا رضي الله عنه جعل نكاح البنت بعد نكاح الأمّ إذا دخل الزوج بالأمّ أو ماتت[١٠] مثلَ نكاحها عليها، وذلك لأنّ حقّ الأمومة أشدّ مِن حقّ العمومة والخئولة، فنكاحُ البنت بعد الأم كنكاحها عليها بشرط الدخول أو[١١] الموت القائم مقامه.

قوله: "أقام الموتَ" ابتداء كلام مِن المصنّف لبيان قول زيد.

وقوله: (**كما قام**) في محل المفعول المطلق لقوله: "أقام" لأنّ قوله: (**أقام الموت مُقام الدخول**) في معنى قام الموت عنده، أي:[١٢] عند زيد مقامَ الدخول، فكأنّه قال: قام الموت عند زيد مقامَ[١٣] الدخول في تحريم النكاح المذكور

---

١ ن: خبر أنها؛ ر: جيرانها.
٢ **جامع البيان** للطبري، ٥٥٧/٦ (النساء، ٢٣/٤).
٣ ن ر - يريد أنّه إذا ماتت زوجة لا يجوز له أن ينكح بعدها ابنتها فالمراد.
٤ **الصحاح** للجوهري، «خلف».
٥ ر: أن.
٦ ر: أنها.
٧ ن: نكاحه؛ ر - أمها.
٨ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٩ **صحيح البخاري**، ١٢/٧ (٥١٠٨)؛ **صحيح مسلم**، ١٠٢٩/٢ (١٤٠٨).
١٠ ن + الأم.
١١ ن ر - أو.
١٢ ر + عنده أي.
١٣ ن: قام.

وسُمِّيَ ولد المرأة من غير زوجها ربيبًا وربيبةً؛ لأنه يَرُبُّهما كما يَربُّ ولدَه في غالبِ الأمر، ثمَّ اتُّسع فيه فسمِّيا بذلك وإن لم يَرُبَّهما.

فإن قلتَ: ما فائدةُ قوله: ﴿فِى حُجُورِكُم﴾؟

قلتُ: فائدته التَّعليل للتَّحريم، وأنهنَّ لاحتضانكم لهنَّ أو لكونهنَّ بصدد احتضانكم، وفي حكم التَّقلُّب في حجوركم إذا دخلتُم بأمَّهاتهنَّ، وتمكَّنَ بدخولكم حكْمُ الزَّواج، وثبتت الخُلطةُ والألفة، وجعَل الله بينكم المَودَّة والرَّحمةَ، وكانت الحال خليقةً بأن تُجْروا أولادهنَّ مَجرى أولادكم كأنَّكم في العقد على بناتهنَّ عاقدون على بناتكم.

كما قام الموت مقامَ الدخول عند الجميع في تقرُّر المهر، فإنّ المهر كما يتقرَّر بالدخول يتقرَّر بالموت أيضًا.

قوله: **(فيه)**، أي: في لفظ الربيب. **(بذلك)**، أي: بلفظ الربيب.

قوله: **(سُمّي ولد المرأة)**، أي:[1] ابنها وبنتها، فإنّ الولد يُطلَق على الواحد وأكثر، فلذلك قال: **(ربيّا وربيبة)**، وقال أيضًا:[2] **(فسُمّيا)**، أي: الابن والبنت به، أي: بالربيب وإن لم يَرُبَّ الابن والبنت.

قوله: **(كأنكم)** خبر "أنهن"، والضمير مِن "أنهنّ" للربائب، واستُغني عن العائد إلى اسم "أنّ" مِن خبرها بقوله: **(على بناتهنّ)** لأنّه في معنى "عليهنّ"، / أي: "على الربائب"؛ لأنّ بنات النساء هنّ الربائب. والضمير في "بناتهنّ" للنساء. [٢٩٨و]
وقوله: **(لاحتضانكم)** تعليل مقدَّم لكون هذا العقد كالعقد على البنات.

وقوله: **(إذا دخلتُم)** ظرف "لاحتضانكم". والحِضن: ما دون الإبط إلى الكشح. واحتضنتُ الشيء: جعلتُه في حِضني. والمراد هنا[3] الحفظ والرعاية. يقال: "حَضَن الطائر بيضه" إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه، وكذلك إذا حضَنَت[4] المرأة ولدها.[5]

---

١ ر: أو.
٢ ن – أيضًا.
٣ ر: ههنا.
٤ ن: احتضنت.
٥ من قوله: "الحضن" أكثره بلفظه في **الصحاح** للجوهري، «حضن».

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنّه شَرَطَ ذلك في التَّحريم، وبه أخذ داودُ.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾؟

قلتُ: هي كنايةٌ عن الجماع؛ كقولهم: «بنَى عليها»، و: «ضَرَب عليها الحجاب»؛ يعني: أدخَلْتُموهنَّ السِّتْر، والباءُ للتَّعدية.

واللَّمسُ ونحوُه يقوم مقامَ الدُّخول عند أبي حنيفة.

وعن عمر رضي الله عنه: أنَّه خلا بجاريةٍ فجرَّدها، فاستوهبها ابنٌ له، فقال: إنَّها لا تحلُّ لك.

وعن مسروق: أنَّه أمَرَ أنْ تُباعَ جاريته بعد موته، وقال: أمَا إنِّي لم أُصِبْ منها إلَّا ما يُحرِّمها على وَلَدي من اللَّمس والنَّظر. قالوا المراد بالنظر: النظرُ إلى الفَرْج.

وعن الحسن في الرَّجل يملك الأَمَة فيَغْمِزُها لشهوة أو يقبِّلها أو يكشفها: أنَّها لا تحلُّ لولده بحال.

واعلم أنّ حاصل هذا السؤال والجواب الإشارةُ إلى أنّ التقييد بالصفة في هذه الصورة لا يدلّ على نفي الحكم عمّا عداها؛ لأنّ شرط تلك الجلالة ألّا يكون لذِكر الصفة فائدة سوى نفي الحكم عمّا عداها،[1] وهنا له فائدةٌ أخرى وهي الإشارة إلى علّة التحريم.

قوله: (**وأنّهنّ**) عطف على التعليل، وهو مِن العطف الذي يكون للبيان.[2]

قوله: (**فائدتُه[3] التعليل**) فأجاب أوّلًا بأنّ فائدته التعليل، وثانيًا بأنّه شرط للتحريم.

قوله: (**ذلك**)، أي: كونهنّ في حُجورهم.

قوله: (**والنظر**)[4] قيل: المرادُ[5] مِن النظر النظرُ إلى الفرج.

---

[1] ن ر – لأنّ شرط تلك الجلالة أن لا تكون لذكر الصفة فائدة سوى نفي الحكم عما عداها.

[2] ن ر + وعن علي.

[3] ن: فائدة.

[4] المصنَّف لعبد الرزاق، ٢٨١/٦ (١٠٨٤٤).

[5] ن ر: والمراد.

وعن عطاءٍ وحمّاد بن أبي سليمان: إذا نظر إلى فرج امرأةٍ فلا يَنكح أمَّها ولا ابنتها.

وعن الأوزاعيّ: إذا دخل بالأمّ فعرّاها ولمسَها بيده وأغلق البابَ وأرخى السِّترَ فلا يحلُّ له نكاحُ ابنتها.

وعن ابن عبّاس وطاوسٍ وعمرو بن دينار: أنّ التّحريم لا يقع إلّا بالجماع وحده.

﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ دون مَن تبنَّيتم، وقد تزوَّج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينبَ بنت جَحشٍ الأسَديَّةَ بنتَ عمته أمَيْمةَ بنتِ عبد المطَّلب حين فارقها زيدُ بن حارثةَ، وقال عزَّ وجل: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب ٣٣/٣٧].

﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ﴾ في موضع الرَّفع عطفٌ على المحرَّمات؛ أي: وحُرِّم عليكم الجمعُ بين الأختين، والمراد: حُرمةُ النِّكاح؛ لأنَّ التَّحريم في الآية تحريمُ النِّكاح، وأمَّا الجمع بينهما في مِلْك اليمين فعن عثمان وعليٍّ رضي الله عنهما أنّهما قالا: أحلَّتْهما آيةٌ وحرَّمتْهما آيةٌ، يعنيان هذه الآيةَ وقولَه: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء ٤/٣] فرَجَّح عليٌّ التَّحريمَ وعثمانُ التَّحليلَ.

﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾: ولكن ما مَضى مغفورٌ، ....

قوله: (أميمةَ) بيان (عمّتِه) وهي أمّ زينب، فجحشٌ أبٌ لزينب وأميمةُ أمُّها. وأميمةُ لمّا كانت بنت عبد المطلب تكون عمّة النبيّ عليه السلام[١] لا محالةَ.

قوله: (﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ﴾ في موضع[٢] الرفع)[٣] قال ابن الحاجب في أصوله: يُرجّح العامّ بأنّه أمسُّ بالمقصود مثل ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾[٤] على ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾.[٥]

---

١ ن: صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

٢ ر: محل.

٣ ن – الرفع.

٤ ر + إلا ما قد سلف.

٥ انظر: المختصر لابن الحاجب، ٢/١٣٠٠.

بدليل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ القراءةُ بفتح الصَّاد، وعن طلحةَ بن مُصَرِّفٍ أنَّه قرأ بكسر الصاد، وهنَّ ذواتُ الأزواج؛ لأنَّهنَّ أحصَنَّ فروجهنَّ بالتَّزويج، فهنَّ مُحصِناتٌ ومحصَنات.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يريد: ما ملكت أيمانُهم من اللَّاتي سُبِين ولهنَّ أزواجٌ في دار الكُفر، فهنَّ حلالٌ لغُزاة المسلمين وإن كنَّ محصناتٍ، وفي معناه قولُ الفرزدق:

قوله: (بدليل) إشارة إلى وجه تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ بهذا التفسير، فإنَّه لمَّا كان تفسير[1] ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ هنا خلاف تفسيره في آية تحريم نكاح زوج الأب ذَكَر أنَّ هذا التفسير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

قوله: (بكسر الصاد)[2] هي قراءة شاذّة.

قوله: (أيمانُهم)، أي: المخاطبين، أي:[3] حُرِّمت عليكم ذوات الأزواج إلّا المسبيّات منهنّ، أي: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾، غير أنّ عند الشافعي[4] بمجرّد السَّبْي،[5] وعندنا الإحراز[6] مِن دار الحرب إلى[7] دار أهل[8] الإسلام.

---

[1] ن - قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ بهذا التفسير فإنّه لما كان تفسير.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة بن مصرّف. المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٦٥٣.

[3] ر: قوله.

[4] ن + رحمه الله.

[5] ر: الشيء.

[6] ر: الأحرار.

[7] ر: أي.

[8] ن - أهل.

وذاتِ حليلٍ أنكحَتْها رماحُنا حلالٍ لمَن يَبْني بها لم تُطَلَّقِ

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ مصدرٌ مؤكِّد؛ أي: كتَبَ الله ذلك عليكم كتابًا وفرضَه فرضًا، وهو تحريم ما حرَّم.

قوله: (وذاتِ)، أي: ربَّ ذات. (أنكحَتْها) صفة، وكذا[1] قوله: (حلالٍ) صفة (لمَن يبني)، أي:[2] جامَعها. (لم تُطلَّق)[3] صفة.

قوله: "لمَن يبني بها" البيت، هو من بنى الرجل بأهله[4] إذا نزل بها. يقال: «بنى على امرأته إذا دخل بها. وأصله أنّ المُعرِس كان يبني على أهله ليلةَ الزفاف خِباءً جديدًا أو[5] يُبنى له، ثمّ كثر حتّى كُني[6] به عن الوطئ. وعن ابن دُريد: "بنى[7] بامرأته" بالباء كـ"أعرس بها"».[8]

قوله: "أنكحتها" مفعوله الثاني محذوف، أي: أنكحَتْها إيّانا. يقال: "أنكحتُه ابنتي". جعَل الرماح كأنّها وليّ تُزوِجهم تلك النساء. والحليل: الزوج. يقال: رُبّ امرأة ذاتِ زوج لا تُطلَّق، وهي حلالٌ لمَن بنى بها، يريد النساءَ اللاتي[9] سُبينَ ولهنّ أزواج في دار الحرب، فهنّ[10] حلال على غُزاة المسلمين شرعًا.

رُوي أنّه قيل للحسن وعنده الفرزدق: ما تقول فيمَن يقول: "لا والله" و"بلى[11] والله"، فقال الفرزدق: أما سمعتَ / قولي في ذلك، قال الحسن: ما قلتَ؟ فقال: [٢٩٨ظ]

فلستَ بمأخوذٍ بلغوٍ[12] تقولهُ إذا لم تُعقِّد عاقداتِ العزائمِ[13]

---

١ ر – وكذا.

٢ ر: أو.

٣ البيت للفرزدق في ديوانه، ٥٧٦/٢، وفيه «حلالًا» مكان «حلالٌ»؛ وهو له في الدرّ الفريد لابن أيدمر، ٤٨/٨، وفيه «جهارًا بأيدينا ولمّا» مكان «حلالٌ لمَن يبني بها لم».

٤ ن: لأهله.

٥ ر: و.

٦ ن ر: كاني.

٧ ن – بنى.

٨ المغرب للمطرّزي، «بني».

٩ ن – اللاتي.

١٠ ن: فهو.

١١ ن: بلى.

١٢ ن ر – بلغو.

١٣ البيت للفرزدق في ديوانه، ٨٥١/٢؛ وهو له في منتهى الطلب لابن ميمون، ٢٠٦/٥؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ٤٨/٨.

فإن قلتَ: علام عُطف قوله: ﴿وأَحَلَّ لكُمْ﴾؟

قلتُ: على الفعل المضمَر الذي نَصب ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: كتبَ الله عليكم تحريمَ ذلك، وأَحلَّ لكم ما وراءَ ذلكم، ويدلُّ عليه قراءةُ اليمانيِّ: "كتب الله عليكم وأَحَلَّ لكم".

وروي عن اليمانيِّ: "كُتُبُ الله عليكم" على الجمع والرَّفع؛ أي: هذه فرائضُ الله عليكم.

ومَن قرأ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ على البناء للمفعول فقد عَطَفَه على ﴿حُرِّمَتْ﴾.

﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ مفعولٌ له بمعنى: بيَّن لكم ما يَحِلُّ ممَّا يَحْرُمُ إرادةَ أن يكون ابتغاؤكم ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾ التي جعل الله لكم قيامًا في حال كونكم ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ لئلَّا تضيِّعوا أموالكم وتُفْقِروا أنفسكم فيما لا يحلُّ لكم،

فقال الحسن: أحسنتَ. ثمّ قيل: ما تقول فيمَن سبى امرأة لها حليل؟ فقال الفرزدق: أما سمعتَ قولي، وأنشد: "وذاتِ حليلٍ" البيت.

فقال الحسن: كنتُ أراكَ أشعرَ فإذا أنت أشعرُ وأفقَه أيضًا.[1]

قوله: (﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ﴾)[2] هي[3] مِن السبعة.

قوله: (**اليماني**) مخفَّفة مسكَّنة،[4] وهو أبو[5] السَّمَيْفع.

قوله: (**قيامًا**) مفعول ثانٍ لـ(**جعل**)، ومفعوله الأوّل ضمير محذوف وهو العائد إلى (**التي**).

قوله: (**لئلَّا تُضيِّعوا**)[6] يجوز أن يتعلَّق بقوله: (**إرادةَ**)، ويجوز أيضًا بقوله: (**ابتغاؤكم**).

---

١ من قوله: "ورُوي" إلى هنا بلفظ قريب في الدرّ الفريد لابن أيدمر، ٤٤٨/٨؛ ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ١٢٧/٢٧-١٢٨.

٢ قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر. السبعة لابن مجاهد، ص ٢٣١.

٣ ن: شيء.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيْوَة واليماني. المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٦٥٣.

٥ كذا في الأصول. وهو ابن السميفع. ومضى التعليق عليه في تفسير سورة البقرة، ٢١/٢.

٦ ن: يضيعها.

فتخسَروا دنياكم ودينَكم، ولا مَفسدةَ أعظمُ مما يَجمع بين الخُسرانَين.

والإحصانُ: العِفَّةُ وتحصينُ النَّفس من الوقوع في الحرام.

والأموالُ: المُهور وما يُخرَج في المناكح.

فإن قلتَ: أين مفعول ﴿تَبْتَغُواْ﴾؟

قلتُ: يجوز أن يكون مقدَّرًا وهو النِّساء، والأجودُ أن لا يقدَّر وكأنه قيل: أن تُخرِجُوا أموالكم.

ويجوز أن يكون ﴿أَن تَبۡتَغُواْ﴾ بدلًا من ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾.

والمسافِحُ: الزَّاني، من السَّفْح وهو صبُّ المنيِّ، وكان الفاجرُ يقول للفاجرة: "سَافحيني وماذيني" من المذيِّ.

﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾: ....

قوله: **(والأجودُ ألّا يقدَّر)** لأنّ ذلك مفهوم مِن قوله: ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ فيُستغنى عن إضمار **(النساء)**.

قوله: **(ويجوز)** عطف على قوله: **(﴿أَن تَبۡتَغُواْ﴾ مفعول له)**، فعلى هذا يكون بدل الاشتمال، والعائدُ محذوف، أي:[1] تبتغوها.

قوله: **(سافِحِيني)** إنّما كانوا يقولون على هذه الصيغة[2] التي تقتضي أن يكون بين اثنين لأنّ كلّ واحد منهما يسفَح ماءه، أي: يضيّعه. قال: تقول العرب: "في بني فلان سِفاح" فيكون ذمًّا ومدحًا: أمّا وجه الذمّ فظاهر، وهو إرادة المسافحة التي هي المُزاناة، وأمّا وجه المدح فهو أن يُراد القتال أو المعاقرة؛ لأنّهم[3] يتسافحون الدماءَ فيها.[4] والمعاقرة أن تقول: أعقِرُ إبلي وتعقِر إبلك، أيُّنا أسمَحُ.

---

[1] ن - ﴿تَبۡتَغُواْ﴾ مفعول له فعلى هذا يكون بدل الاشتمال والعائد محذوف، أي.

[2] ر - الصيغة.

[3] ن: لا.

[4] ن - فيها.

فما استَنْفَعْتُم به من المنكوحات من جماعٍ أو خلوةٍ صحيحة أو عقدٍ عليهنَّ ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ عليه، فأُسْقط الرَّاجع إلى "ما"؛ لأنَّه لا يُلْبِس؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى ٤٢/٤٣] بإسقاط منه.

ويجوز أن تكون "ما" في معنى النِّساء، و"مِن" للتَّبعيض أو البيان، ويرجع الضَّمير إليه على اللَّفظ في ﴿بِهِۦ﴾ وعلى المعنى في ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ﴾.

و﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مهورَهنَّ؛ لأنَّ المهر ثوابٌ على البُضْع.

﴿فَرِيضَةً﴾ حالٌ من الأجور بمعنى: مفروضةً، أو وُضِعَت موضعَ: «إيتاءً»؛ لأنَّ الإيتاء مفروض. أو مصدرٌ مؤكِّد، أي: فرضَ ذلك فريضةً.

قوله: (مِن المنكوحات) مِن متعلِّق[1] بقوله: (استنفعتُم). و(مِن جماع) بيان (﴿فَمَا﴾).[2]

قوله: (الراجع)، أي: في ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾، أي:[3] عليه.

قوله: (إلى "ما") في ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم﴾.

قوله: (﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾) أوّل الآية ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ [الشورى ٤٢/٤٣].

قوله: (و"مِن" للتبعيض)[4] وكان على التقدير الأوّل لابتداء الغاية، وإذا كان للتبعيض فالتقدير "فما استمتعتُم به بعضَ المنكوحات"، وإن جعلته للبيان فالتقدير "فما استمتعتُم به[5] اللاتي هنَّ[6] المنكوحات".

قوله: (و﴿أُجُورَهُنَّ﴾) مبتدأ، و(مهورهنّ) خبره.

قوله: (ثوابٌ)، أي: جزاء.

قوله: (أو مصدرٌ مؤكِّد) والفرقُ بينه وبين الأوّل أنّ هذا منصوب بفعل مقدَّر مستعمل إظهاره، والأوّل منصوب بفعل مذكور مِن غير لفظه.

قوله: (لأنّ الإيتاء)، أي: إيتاء المهر فرضٌ فيكون بمعناه.

---

[1] ن ر: يتعلق.
[2] ر: فما.
[3] ن ر: إلى.
[4] ر + فالتقدير فما استمتعتم.
[5] ن ر - بعضَ المنكوحات وإن جعلته للبيان فالتقدير فما استمتعتم به.
[6] ن: من.

﴿فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾: فيما تَحُطُّ عنه من المهر، أو تهَبُ له من كلِّه، أو يزيدُ لها على مقداره.

وقيل: فيما تراضيا به من مُقامٍ أو فراقٍ.

وقيل: نزلت في المتعة التي كانت ثلاثةَ أيام حين فتحَ اللهُ مكّةَ على رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ثمَّ نُسخت، كان الرَّجل ينكح المرأة وقتًا معلومًا ليلةً أو ليلتين أو أُسبوعًا بثوبٍ أو غيرِ ذلك ويقضي منها وَطرَه ثمَّ يُسَرِّحُها، سمِّيت متعةً لاستمتاعه بها، أو لتمتيعه لها بما يُعطيها.

وعن عمر: لا أُوتى برجل تزوَّج امرأةً إلى أجلٍ إلّا رَجَمتُهما بالحجارة.

وعن النبيّ صلّى الله علية وسلّم أنّه أباحَها ثمّ أصبح يقول: «يا أيُّها النَّاس إنّي كنتُ أمرتُكم بالاستمتاع من هذه النِّساء، ألا إنَّ الله حرَّم ذلك إلى يوم القيامة».

وقيل: أُبيح مرَّتين وحُرِّم مرَّتين، وعن ابن عبَّاس: هي محكمةٌ، يعني: لم تُنسخ، وكان يقرأ: "فما استمتعتُم به منهنَّ إلى أجلٍ مسمًّى".

ويُروى أنّه رَجع عن ذلك عند موته وقال: «اللّهم إنّي أتوبُ إليك من قولي بالمتعة وقولي في الصَّرْف».

قوله: (تحُطُّ)، أي: المرأة عنه، أي: عن الزوج. (أو يزيد)، أي: الزوج لها، أي: للزوجة. (مِن مُقام)، أي: إقامة.

قوله: (نزلتْ)، أي: قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم﴾.

قوله: (كان الرجل)[1] بيانُ الجملة المتقدِّمة.

قوله: (بالحجارة)[2] إنّما قال لئلّا يُتوهّم أنّ المراد الطرد والزجر.

قوله: (في الصرف)، أي: في الصرف في البيع، فإنّه كان يبيح في النقد ولا يُبيح في النسيئة.

---

[1] بمعناه في جامع البيان للطبري، ٥٨٦/٦ (النساء، ٢٤/٤)؛ والبسيط للواحدي، ٤٤٤/٦ (النساء، ٢٤/٤).

[2] بلفظ قريب في صحيح مسلم، ٨٨٥/٢ (١٢١٧)؛ وصحيح ابن حبّان، ٢٤٧/٩ (٣٩٤٠)؛ والسنن الكبرى للبيهقي، ٣٥٢/٩ (٨٩٤٧).

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

"الطَّول": الفضل، يقال: لفلانٍ على فلانٍ طَولٌ؛ أي: زيادةٌ وفضلٌ، وقد طاله طولًا فهو طائل، قال:

ولقد زَادَنـــي حُبًّا لنفسيَ أنَّني   بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طَائلِ

قوله: (**الطَّوْل: الفضل**) قال في **المُغرِب**:

قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الطول: الفضل. يقال: لفلان على فلان طَوْل، أي: زيادة وفضل. ومنه الطَّول في الجسم؛ لأنّه زيادة فيه، كما أنّ القِصَر قصور فيه ونقصان. والمعنى ومَن لم يستطع زيادة في المال وسَعةً يبلغ / بها نكاح الحرّة فلينكح أمةً. وهذا تفسير قول الزجّاج: إنّ الطَّول القدرة على المهر.[1] [٢٩٩و]
وقيل: هو الغنى. وفسّر بغنى المال، فيصير إلى الأوّل. ومحلّ ﴿أَن يَنكِحَ﴾ النصب، أو الجرّ على حذف حرف الجرّ أو إضماره وهو "على" أو "إلى"، ونظيره ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [الممتحنة ١٠/٦٠]. والإضمار قول الخليل، وإليه ذهب الكسائي. وعن الشعبي: إذا وجد الطَّول إلى الحرّة بَطَل نكاح الأمَة، فعدّاه بـ"إلى". وكذا عن ابن عبّاس وجابر وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم:[2] لا يتزوّج الأمة إلّا مَن لا يجد طولًا إلى الحرّة. وأمّا قولهم: "طَول الحرّة" فمتَّسع. ومنهم مَن يفسّر الطَّول بكون الحرّة تحته، وفيه نظر.[3]

جميع ذلك مذكور في **المُغرِب**.

---

١ **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٤٠/٢.
٢ د ر - رضي الله تعالى عنهم.
٣ انظر: **المغرب** للمطرّزي، «طول».

ومنه قولُهم: "ما حَلِيَ منه بطائل"؛ أي: بشيء يُعتدُّ به ممَّا له فضلٌ وخَطر، ومنه: الطُّول في الجسم؛ لأنه زيادة فيه؛ كما أنَّ القِصَر قصُورٌ فيه ونُقصان.

والمعنى: ومَن لم يستطِعْ زيادةً في المال وسعَةً يَبلغ بها نكاحَ الحرَّة فلْينكِحْ أمةً، قال ابن عبّاس: مَن مَلَك ثلاث مئة درهم فقد وجب عليه الحجُّ، وحرُم عليه نكاحُ الإماء. وهو الظَّاهرُ وعليه مذهبُ الشَّافعيِّ رحمه الله.

وأمَّا أبو حنيفة رحمه الله فيقول: الغنيُّ والفقيرُ سواءٌ في جواز نكاح الأمَة، ويُفسِّر الآيَةَ بأنَّ مَن لم يملك فراشَ الحرَّة ....

وقيل: ﴿طَوْلًا﴾ منصوب بـ﴿لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ مفعول به، و﴿أَن يَنكِحَ﴾ متعلِّق بـ﴿طَوْلًا﴾، تقديره "ومَن لم يستطع منكم طولًا على أن ينكح"، مِن "طال على الأمر" إذا غلبه وتمكّن مِن فعله، فحُذف حرف الجرّ الذي هو "على" وتسلّط.[١] وهذا وجه آخرُ لم يذكره المصنّف هنا.

قوله: (ما حليَ)، أي: ما حظي. قولهم: "لم يحلَ[٢] منه بطائل" إذا لم يستفد منه كثيرَ فائدة. ولا يُتكلّم به[٣] إلّا مع الجَحْد.

قوله: (فلينكح) وعلى هذا يكون ﴿أَن يَنكِحَ﴾ مفعول فعل هو صفة ﴿طَوْلًا﴾، قال في الكواشي: ﴿أَن يَنكِحَ﴾ نصب بـ﴿طَوْلًا﴾ أو بدل منه.[٤] قال الأستاذ العلّامة:[٥] أقول: ما نقلنا مِن المُغرِب يدلّ[٦] على أنّ قول المصنّف: (والمعنى)... إلخ، إشارةٌ إلى بيان المعنى، وليس مراده أنّ ﴿أَن يَنكِحَ﴾ مفعول فعل هو صفة ﴿طَوْلًا﴾.

قوله: (بأنّ [مَن][٧] لم يملك) فـ﴿أَن يَنكِحَ﴾ بدل مِن ﴿طَوْلًا﴾. والأَولى أن نقول: على هذا الوجه أيضًا ﴿أَن يَنكِحَ﴾ مفعول فعل هو صفة ﴿طَوْلًا﴾، والمراد بـ"الطول"

---

١ ن: وسط. | أي: وتسلّط عليه الطّول فنصبه. وهذا القول بلفظ قريب في حواشي شهاب الدين الخزّافي على **الكشاف**. وهو منقول من خطّه على هامش مخطوط **الكشّاف** (نسخة آيا صوفيا، رقم ٢٤٧)، ١٧ظ.

٢ ن ر: يجد.

٣ ن – به.

٤ انظر: **تفسير الكواشي**، ١١٥و.

٥ يعني: الجاربردي.

٦ ن: نزل؛ ر: ترك.

٧ د ن ر – مَن. | وأثبتُّها من مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله.

-على أنَّ النِّكاح هو الوطء- فله أن ينكحَ أمةً.

وفي رواية عن ابن عبَّاس رضي الله عنه أنَّه قال: وممَّا وسَّع الله على هذه الأمَّة نكاح الأمة واليهودية والنَّصرانية وإن كان موسرًا.

وكذلك قولُه: ﴿مِن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾ الظَّاهر أن لا يجوزُ نكاح الأمة الكتابية، وهو مذهب أهل الحجاز، وعند أهلِ العراق يجوز نكاحُها ونكاحُ الأمَة المؤمنة أفضلُ، فحمَلوه على الفضل لا على الوجوب، واستشهَدوا

فراش الحرّة، وبالنكاح الوطء، إذ بفراش الحرّة يَبلُغ إلى وطئها. واعلم أنّ هذا كلامه على تفسير أبي حنيفة، وما ذكره أنّه أَولى ليس بأولى لِما مرّ أنّ[1] ما يقدَّم لبيان المعنى لا لبيان العامل، وقد بيّناه بما نقلنا عن **المغرب**.

قوله: (**على أنّ النكاح**) حال مِن الضمير في (**يفسِّر**)، وكأنّه وسَّط الحال بين "مَن" وخبره، لأنّ تفسير ﴿مَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾ بعدم مِلك[2] فراش الحرّة مبنيٌّ على أنّ النكاح هو الوطء.

قوله: (**وكذلك**)، أي: كما أنّ قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ ظاهر[3] فيما[4] مرّ،[5] كذا[6] قوله: ﴿مِن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾ ظاهرٌ في[7] أنّه لا يجوز نكاح الأمَة الكتابيّة. ووجهُ التشبيه أنّهما[8] ظاهران في معنى وعدَل بعض العلماء عن الظاهر فيهما. فقوله: (**الظاهر**)... إلخ، ابتداءُ كلامٍ يتبيّن به وجه التشبيه.

قوله: (**واستشهَدوا**) في الاستشهاد نظرٌ؛ لأنّ الآية ما دلّت على اشتراط الإيمان في نكاح الحرّة؛ بل إنّما دلّت على اشتراط فقد الحرّة المؤمنة في جواز[9] نكاح الأمَة.

---

١ ن - أن.
٢ ر: تلك.
٣ ن: ظاهرهما.
٤ ن - فيما.
٥ ن ر: مؤكد.
٦ ن ر - كذا.
٧ ن - في.
٨ ن - أنهما.
٩ ن ر - جواز.

على أنَّ الإيمان ليس بشرطٍ بوَصْف الحرائر به، مع عِلْمنا أنَّه ليس بشرطٍ فيهنَّ على الاتفاق ولكنَّه أفضل.

فإن قلتَ: لمَ كان نكاح الأَمَة مُنحطًّا عن نكاح الحرَّة؟

قوله: (**على أنّ الإيمان**)، أي: في الإماء.

قوله: (**بوصف الحرائر**)[١] في النكاح، وهو[٢] ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾. / (**أنّه**)،[٣] أي: الإيمان. (**فيهنّ**) في الحرائر. [٢٩٩ظ]

قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾... الآية، قال المولى الأعظم علّامة العلّامة فخر الملّة والدين الجاربردي:[٤] أظنّ أنّ الأولى أن يقال: ﴿طَوْلًا﴾ مفعول له، و﴿أَن يَنكِحَ﴾ مفعول ﴿يَسْتَطِعْ﴾، أي: مَن لم يستطع نكاح المحصنات لأجل الطَّول، أي: لسَعة المال، أي: ليس له طَول حتّى يستطيع النكاح، يعني: ليس له طَول، أي: زيادةُ مال، فكيف يستطيع النكاح؟ فالمراد مِن النفي نفيُ العلّة، وهو قريب من قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟﴾ [التوبة ٤٤/٩]، أي: كراهة أن يجاهدوا، يعني: ليس كراهةَ الجهاد حتّى يستأذنوك في القعود عن الحرب وفي ترك الجهاد، فتأمَّل، فإنّه خيرٌ من جميع ما ذكروا، وذلك مِن فضل الله تعالى علينا.

وقال رحمه الله: ورد في خاطري وجهٌ آخرُ غير الوجوه المذكورة، وهو أن يكون ﴿طَوْلًا﴾ مفعولًا به لا مفعولًا له، وتقدير[٥] ﴿أَن يَنكِحَ﴾: "لأنّ ينكح"، واللام فيه كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٨/٢٨]، والمعنى: لا يقدر على مال مؤدٍّ له إلى نكاح المحصنات. وهذا معنى ظاهر الاستقامة يتبيّن به معنى قولُ المصنّف: (**لم يستطع زيادةً يبلغ بها نكاح الحرّة**). وحرفُ الجرّ محذوف وهو اللام، لا "إلى" ولا "على"، وتقدير "إلى" و"على"

---

١ ر + قوله تعالى.

٢ ن ر: فهو.

٣ ن – أنه.

٤ ن ر + رحمه الله.

٥ ر: وتقديره.

قلتُ: لِمَا فيه من إتباعِ الولدِ الأمَّ في الرِّق، ولثبوتِ حقِّ المولَى فيها وفي استخدامها؛ ولأنها مُمتَهَنةٌ مبتذَلةٌ خرَّاجةٌ ولَّاجة، وذلك كلُّه نقصانٌ راجع إلى الناكح ومَهَانةٌ، والعزَّةُ من صفاتِ المؤمنين.

وقوله: ﴿مِن فَتَيَٰتِكُمُ﴾؛ أي: فتياتِ المسلمين، لا من فتياتِ غيرِكم وهم المخالفون في الدِّين.

فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾؟

قلتُ: معناه: أنَّ الله أعلمُ بتفاضُلِ ما بينَكم وبين أرقَّائكم في الإيمان ورُجْحانِه ونقصانه فيهم وفيكم، وربَّما كان إيمانُ الأمَة أرجحَ من إيمان الحرَّة، والمرأةُ أفضلَ في الإيمان من الرَّجل، وحقُّ المؤمنين أنْ لا يَعتبَروا إلَّا فضلَ الإيمان لا فضلَ الأحْساب والأنْساب، وهذا تأنِيسٌ بنكاح الإماء وترك الاستنكاف منه.

﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾؛ أي: أنتم وأرقَّاؤكم متواصِلون متناسِبون لاشتراككم في الإيمان، لا يَفْضُلُ حرٌّ عبدًا إلَّا برجحان فيه.

كما نقل المطرِّزيّ[١] بيانُ حاصلِ المعنى. وبهذا التقرير[٢] يتبيّن وجه تفسير أبي حنيفة[٣] أيضًا.

قوله: (**مُمتهَنة**)[٤] المهنة[٥] بالفتح والكسر: الخدمة. والماهِن: الخادم. وقد مَهَن القومَ، أي: خَدَمهم. وامتهنَ الشيءَ، أي: ابتذله. ورجل[٦] مَهين، أي: حقير.[٧] «والبِذلة: ما يُمتهَن[٨] مِن الثياب. وابتذال الثوب وغيرِه: امتهانه».[٩] والمُمتهَنة:[١٠] المُستخدَمة.

قوله: (**والمرأة أفضل**)، أي: ربّما كانت المرأة[١١] أفضلَ.

قوله: (**فيه**)، أي: في الإيمان.

---

١ مضى نقل كلامه في ذلك آنفًا.
٢ ر: التقدير.
٣ ن ر + رحمه الله.
٤ ر: ممهنة.
٥ ر: المهمنة.
٦ ن: ووصل.
٧ من قوله: "المهنة" إلى هنا في **الصحاح** للجوهري، «مهن».
٨ ن: يمهن.
٩ **الصحاح** للجوهري، «بذل».
١٠ ر: والممهنة.
١١ ن – المرأة.

﴿بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ اشتراطٌ لإذنِ الموالي في نكاحهنَّ، ويُحتجُّ به لقول أبي حنيفة رضي الله عنه: إنَّ لهنَّ أن يباشِرْن العقدَ بأنفسهنَّ؛ لأنَّه اعتَبر إذنَ الموالي لا عقدَهم.

﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: وأدُّوا إليهنَّ مهورَهنَّ بغير مَطْلٍ وضِرارٍ وإحْواجٍ إلى الاقتضاء واللَّزِّ.

فإن قلتَ: الموالي هم مُلَّاك مهورهنَّ لا هنَّ، والواجب أداؤها إليهم لا إليهنَّ، فلمَ قيل: ﴿وَءَاتُوهُنَّ﴾؟

قلتُ: لأنهنَّ وما في أيديهنَّ مالُ الموالي، فكان أداؤها إليهنَّ أداءً إلى الموالي، أو على أنَّ أصله: فآتوا مواليَهنَّ، فحذف المضاف.

﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ عفائفَ، والأَخْدانُ: الأخلَّاء في السرِّ، كأنَّه قيل: غيرَ مجاهرات بالسِّفاح ولا مُسِرَّات له.

قوله: (إلى الاقتضاء) صوابه "إلى الاستقضاء"[١] أو[٢] "إلى التقاضي"، على ما قال المطرِّزي في المُغرِب: «قضيتُ دَينه وتقاضيتُه دَيني وبدَيني، واستقضيته: طلبت قضاءه. واقتضيتُ منه حقي: أخذتُه».[٣] فهذا الذي ذكر في المُغرِب يدلّ على[٤] أنَّ الصواب ما ذكرنا. لكن ذكر في الصحاح: «اقتضى دينه وتقاضاه بمعنًى».[٥] قال الأستاذ:[٦] إيراد صاحب الكشاف صحيح لا اعتراضَ عليه، فإنّه إذا وافق عبارةُ الكشاف نقلَ الصحاح لا يكون عليه مزيدٌ.

قوله: (واللزُّ):[٧] المضايقة والشدُّ والإلحاح.

قوله تعالى: (﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾) حال مِن المفعول في ﴿وَءَاتُوهُنَّ﴾.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ كأنّه تعالى قال ههنا: ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾، لأنّ المُسافَحة واتّخاذ الخِدْن كان في الجاهليّة في معشر قريش

---

١ ر – صوابه إلى الاستقضاء.
٢ ر: أي.
٣ المغرب للمطرّزي، «قضي».
٤ ن – على.
٥ ر – بمعنى. | الصحاح للجوهري، «قضي».
٦ أي: الجاربردي.
٧ ر: ولكن.

﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ بالتَّزويج، وقرئ: ﴿أَحۡصَنَّ﴾.

﴿نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾؛ أي: الحرائر ﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾: من الحدِّ؛ كقوله: ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا﴾ [النور ٢/٢٤] ﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾ [النور ٨/٢٤]، ولا رَجْم عليهنَّ؛ لأنَّ الرَّجم لا يتنصَّف.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى نكاح الإماء.

﴿لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡ﴾: لمن خاف الإثمَ الذي يؤدِّي إليه غلبةُ الشَّهوة، وأصلُ العنَت: انكسارُ العظم بعد الجبر، فاستُعير لكلِّ مشقَّةٍ وضررٍ، ولا ضرارَ أعظم من مُواقَعة المآثم.

وقيل: أريد به الحدُّ؛ لأنَّه إذا هَوِيَها خُشيَ أن يواقعَها فيُحدَّ فيتزوَّجُها.

مع الإماء لا مع الحرائر، والله أعلم. ولذلك قالت هند بنت عتبة[1] حينَ قرأ رسول الله عليه السلام[2] عليهنّ: ﴿وَلَا يَزۡنِينَ﴾ [الممتحنة ١٢/٦٠]: «أوَ تزني الحرّة؟»،[3] وفي رواية:[4] «ما زَنت[5] منهن امرأة قطّ».[6]

قوله: (﴿أَحۡصَنَّ﴾)،[7] أي: أَحصَنّ فروجهنّ / بالتزويج. [٣٠٠و]

قوله تعالى: (﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾) إنّما قيّد بالإحصان -والله أعلم- احترازًا ممّا إذا أُكرِهنَ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ﴾... إلخ [النور ٣٣/٢٤]، فإنّها إذا كانت مُكرَهة لا تُحدُّ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ﴾ [النور ٣٣/٢٤].

قوله: (ولا رجمَ) أكثر العلماء يُوجِب الحدّ على الرقيق إذا زنى وهو غير متزوِّج ولم يَجعل التزويجَ شرطًا لوجوب الحدّ، فقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ للتنبيه على أنّ الرقيق وإن كان محصَنًا فلا رجمَ عليه.

---

١ ن ر: عيينة.

٢ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٣ مسند أبي يعلى، ١٩٤/٨ (٤٧٥٤)؛ معالم التنزيل للبغوي، ١٠١/٨ (الممتحنة، ١٢/٦٠).

٤ ن: رأيت.

٥ ن: رأيت.

٦ ن ر - قط. | الكشّاف للزمخشري، (الممتحنة، ١٢/٦٠).

٧ قرأ بها حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر. النشر لابن الجزري، ٢٤٩/٢.

﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ﴾ في محلِّ الرَّفع على الابتداء: وصبرُكم عن نكاحِ الإماء متعفِّفين ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «الحرائرُ صلاحُ البيت، والإماء هلاكُ البيت».

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦﴾

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ أصله: "يريد الله أن يبيّنَ لكم" فزِيدَت اللامُ مؤكِّدةً لإرادةِ التَّبيين كما زِيدَتْ في: "لا أبا لك" لتأكيدِ إضافة الأب، والمعنى: يريد الله أن يبيِّن لكم ما هو خَفيٌّ عنكم من مصالحكم وأفاضلِ أعمالكم، وأن يَهْدِيَكم مناهجَ مَن كان قَبْلَكم من الأنبياء والصالحين والطرقَ الَّتي سلكوها في دِينهم لتَقْتدوا بهم.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾: ويرشدَكم إلى طاعاتٍ إن قمتُم بها كانت كفَّاراتٍ

قوله عليه السلام: («الحرائر صلاح البيت»).[١] قال الشاعر:

ومَــن لـم تـكـن فـي بيته قـهـرمانةٌ فـذلـك[٢] بيت لا أبـا لـكَ ضـائـعُ[٣]

قوله: (مؤكِّدة) فإنّه لو قال: "يريد الله أن يبيّن" لعُلم[٤] منه إرادة التبيين، فزيادةُ اللام دلّ على تأكيد[٥] إرادة التبيين.[٦]

قوله: (مناهج)[٧] «النهج: الطريق الواضح، وكذلك المَنهَج والمِنهاج. وأنهَج الطريقُ، أي: استبان وصار نهجًا».[٨]

قوله: (ويرشِدَكم)[٩] فسّر المصنِّف قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ بقوله:

---

١ الكشف والبيان للثعلبي، ٢٣٢/١٠ (النساء، ٢٥/٤). انظر: تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي، ٣٠٥/١؛ والمقاصد الحسنة للسخاوي، ٣٠٤/١ (٣٩٩). وفي سنن ابن ماجه، ٦٥/٣ (١٨٦٢): «مَن أراد أن يلقى الله طاهرًا مطهَّرًا فليتزوَّج الحرائر».

٢ ر: فلذلك.

٣ ما عرفتُ قائله، ولا وقفتُ عليه فيما سبق هذه الحاشية مِن المصادر. وهو بلا عزو في فتوح الغيب للطيبي، ٥١٢/٤ (النساء، ٢٥/٤).

٤ ن: لكم.

٥ ر - يريد الله أن يبيّن لعُلم منه إرادة التبيين فزيادة اللام دلّ على تأكيد.

٦ ر: البيتين.

٧ ر + المناهج.

٨ الصحاح للجوهري، «نهج».

٩ ن ر: ويريد رشدكم.

لسيِّئاتكم فيتوبَ عليكم ويكفِّرَ لكم.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: أن تفعلوا ما تستوجبون به أن يتوبَ عليكم.

﴿وَيُرِيدُ﴾ الفَجَرةُ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ وهو الميلُ عن القصد والحقِّ -ولا ميلَ أعظمُ منه- بمساعدتهم وموافَقتهم على اتِّباع الشَّهوات.

وقيل: هم اليهود.

وقيل: المجوس؛ كانوا يُحلُّون نكاحَ الأخواتِ من الأب وبناتِ الأخ وبناتِ الأخت، فلمَّا حرمهنَّ الله قالوا: فإنَّكم تُحِلُّون بنت الخالة والعمَّةِ، والخالةُ والعمَّةُ عليكم حرام، فانكحوا بنات الأخ والأخت، فنزلت، يقول: يريدون أن تكونوا زُناةً مثلهم.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ بإحْلالِ نكاحِ الأمَةِ وغيرِه من الرُّخَصِ.

﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ لا يَصبر عن الشَّهوات وعلى مشاقِّ الطَّاعات.

"ويرشدكم"... إلخ، إشارة إلى أنّه مِن قبيل الكناية، وكذا فسّر ﴿أَن يَتُوبَ﴾ بقوله: "أن تفعلوا" لِما ذكرنا.

قوله: (**أن تفعلوا**)، أي: يريد أن تفعلوا.[1]

قوله: (**بمساعدتهم**)، أي: وهو الميل بمساعدتهم، أي: بمساعدة الذين يتّبعون الشهوات، فـ"الباء" متعلِّق بقوله: (**الميل**).

قوله: (**فنزلَتْ**)،[2] أي: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ﴾.

---

[1] ر - لما ذكرنا قوله: أن تفعلوا، أي: يريد أن تفعلوا.

[2] انظر: **معالم التنزيل للبغوي**، ١٩٩/٢ (النساء، ٢٧/٤).

وعن سعيد بن المسيِّب: ما أيسَ الشَّيطانُ من بني آدم قطُّ إلَّا أتاهم من قِبَل النِّساء، فقد أتى عليَّ ثمانون سنةً، وذهبت إحدى عينيَّ وأنا أعْشُو بالأخرى، وإنَّ أخوفَ ما أخافُ عليَّ فتنةُ النِّساء.

وقرئ: "أن يميلوا" بالياء، والضَّميرُ لـ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾.

وقرأ ابن عبَّاس: "وخَلَقَ الإنسان" على البناء للفاعل ونصبِ "الإنسانَ".

وعنه رضي الله عنه: ثمانِ آياتٍ في سورة النِّساء هي خيرٌ لهذه الأمة ممَّا طلعَتْ عليه الشَّمس وغربت: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء ٤/٢٦] ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء ٤/٢٧] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء ٤/٢٨] ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء ٤/٣١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء ٤/٤٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء ٤/٤٠] ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ [النساء ٤/١١٠] ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ [النساء ٤/١٤٧].

قوله: («إلّا أتاهم»)[١] منصوب المحلّ على الحال، وهو استثناء مفرّغ، أي:[٢] ما أيسَ الشيطان من إغواء بني آدم في أيّ حال كان مِن الأحوال إلّا في حال إتيانهم مِن قِبَل النساء، يعني أنّه مِن أيّ جهة جاء بني آدم ليوقعهم في المعصية فلم يطيعوه[٣] ولم يعصوا بإغوائه ووسوسته، فإنّه لا ييأس مِن إغوائه لهم وطاعتهم له؛[٤] بل[٥] يرجو ويظنّ أن يُغويهم بطريق آخرَ ويطيعوه في ذلك الطريق إلّا إذا أتاهم مِن قبل النساء ووسوس إليهم بواسطة النساء، فإنّه لو لم يطيعوه في ذلك[٦] ولم يغووا بإغوائه ييأس منهم ويقطع طمعه مِن إغوائهم بوجه آخرَ، ويقول في نفسه: لو كانوا ممّن قبلوا وسوستي لقبلوه في شأن النساء، فلمّا لم يقبلوا إغوائي في ذلك لا يمكنني إغوائهم[٧] بوجه آخرَ.

---

١ الكشف والبيان للثعلبي، ١٠/٢٣٦ (النساء، ٤/٢٨).
٢ ر – أي.
٣ ن ر: يطيعوا.
٤ ن ر: لربك.
٥ ن ر – بل.
٦ ر + الطريق.
٧ ن – إغوائهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾

﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: بما لم تُبِحْهُ الشَّريعة من نحوِ السَّرقة والخيانة والغَصْب والقِمار وعقودِ الرِّبا.

﴿إِلَّا أن تكون تجارةٌ﴾: إلَّا أن تقع تجارةٌ، وقرئ: ﴿تِجَٰرَةً﴾ على: إلا أن تكونَ التجارةُ تجارةً ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾، والاستثناء منقطعٌ، معناه: ....

قوله: (﴿تِجَٰرَةً﴾) مِن السبعة وكذا بالضمّ.[1]

قوله: (معناه) أشار أولًا إلى أنّه يجوز أن تكون "كان" تامّة وأن تكون ناقصة، وأنّ[2] الاستثناء[3] على التقديرين مُنقطِع، ثمّ بنى الكلام على "كان" التامّة،[4] ولمّا لم يكن يتحصَّل[5] المعنى بأن يقال: "لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، لكنّ كون تجارةٍ عن تراضٍ" قدَّره إمّا مفعولًا لفعل محذوف، أو مبتدأ خبرُه محذوف، وكذا إذا جعل[6] "كان" ناقصة،[7] إذ لا يتحصَّل المعنى بأن يقال: "لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، لكنّ كون التجارة عن تراضٍ" فيُقدَّر على الوجهين، أي: "لكن اقصدوا كونَ التجارة تجارةً عن تراضٍ"، و"لكن كون التجارةِ تجارةً عن تراضٍ غيرُ منهي عنه".

واعلم أنّ هذه الحاشية لا طائلَ تحتها، والتحقيق أن نقول: لا بدّ في المستثنى المنقطع أن يُجعَل "إلّا" بمعنى "لكنّ"، فيكون هو العامل للنصب في المستثنى،[8] ويكون الخبر / مقدَّرًا على حسب المعنى المراد، وأمّا المصنّف فأشار ههنا إلى حاصل المعنى ولم يبيّن التقدير اللفظي صريحًا، وقد أشار إليه إشارةً خفيّة مِن وجهين: الأوّل أنّ معنى ﴿لَا تَأۡكُلُوٓاْ﴾... إلخ، لا تقصِدوا أكْل أموالكم بالباطل، [٣٠٠ظ]

---

١ قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. السبعة لابن مجاهد، ص ٢٣١.
٢ ر – وأن.
٣ ر: والاستثناء.
٤ ن ر: الثانية.
٥ ر: تحصيل.
٦ ر – جعل.
٧ ن: ناقصًا.
٨ ن ر – المنقطع أن يجعل إلّا بمعنى لكنّ فيكون هو العامل للنصب في المستثنى.

ولكن اقْصِدوا كونَ تجارةٍ عن تراضٍ، أو: ولكنَّ كونَ تجارةٍ عن تراضٍ غيرُ منهيٍّ عنه.

وقوله: ﴿عَن تَرَاضٍ﴾ صفةٌ لـ﴿تِجَٰرَةً﴾؛ أي: تجارةً صادرةً عن تراضٍ، وخَصَّ التِّجارةَ بالذِّكرِ؛ لأنَّ أسبابَ الرِّزق أكثرُها متعلِّقٌ بها.

والتَّراضي: رِضَى المتبايِعَينِ بما تعاقَدَا عليه في حال البيع وقتَ الإيجاب والقبول، وهو مذهبُ أبي حنيفةَ رحمه الله تعالى.

وعند الشَّافعيِّ رحمه الله: تفرُّقُهما عن مجلسِ العقد متراضيَيْن.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: مَن كان مِن جنسكم من المؤمنين.

فتقديرُ الاستثناء على هذا، لكنّ قَصْدَ كونِ التجارة عن تراضٍ جائزٌ، والمصنّف راعى لفظ الفعل فخفَّف "لكن". والثاني أن معنى ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ﴾... إلخ، "أكلُ أموالكم بالباطل منهيٌّ عنه"، فمعنى الاستثناء على هذا: "لكنّ كون تجارة عن تراضٍ غيرُ منهيّ عنه"، فالوجه في قول المصنّف: (ولكنّ كون) تشديدُ "لكن"، فتأمّل.

قوله: (اقصدوا[1] كونَ) فيكون مفعولًا به لـ"اقصِدوا".

قوله: (ولكنّ كونُ) فيكون مبتدأ.

قوله: (﴿عَن تَرَاضٍ﴾) "عن" هذه قريب مِن "عن" في قوله:

ينـــهـــون عـــن أكـــل وعـــن شـــربِ[2]

قوله: (وقتَ) بدل مِن قوله: (في حال).

قوله:[3] (متراضيَين)، أي: الرضا عند أبي حنيفةَ هو[4] رضا[5] المتعاقدَين وقتَ الإيجاب والقبول[6] حتّى لا يؤثّر الندم بعد[7] ذلك وإن كانا في مجلس العقد،

---

١ ن ر: اقصدوا.

٢ مضى بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٣٦/٢، وأعاده الجابردي قريبًا في تفسير سورة النساء، ١٢/٤.

٣ ر - في حال قوله.

٤ ن: سورها.

٥ ن - رضا.

٦ ر: المقبول.

٧ ن ر - بعد.

وعن الحسن: لا تقتلوا إخوانكم، أو لا يَقْتلِ الرَّجلُ نفسَه كما يفعلُه بعضُ الجهَلة.

وعن عمرو بن العاص: أنَّه تأوَّلَه في التيمُّم لخوفِ البرد فلم يُنكِر عليه رسولُ الله صلَّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلَّم.

وقرأ عليٌّ رضي الله عنه: "ولا تقتِّلوا" بالتَّشديد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ ما نهَاكم عمَّا يضرُّكم إلَّا لِرحْمته عليكم.

وقيل: معناه: أنَّه أمَر بني إسرائيل بقتلهم أنفسَهم ليكون توبةً لهم وتمحيصًا لخطاياهم، وكان بكم يا أمَّة محمد رحيمًا حيث لم يكلِّفْكم تلك التَّكاليفَ الصَّعْبة.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى القَتل؛ أي: ومَن يُقْدِمْ على قتل الأنفس ﴿عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا﴾ لا خطأً ولا اقتصاصًا.

وقرئ: "عِدْوانًا" بالكسر.

و: ﴿نُصۡلِيهِ﴾ بتخفيف اللَّام وتشديدها.

و: "نَصْليه" بفتح النُّون من صَلَاهُ يَصْليهِ، ومنه: شاةٌ مَصْليَّةٌ.

و: "يُصْلِيه" بالياء، والضَّميرُ لله عزَّ وجلَّ، أو لـ﴿ذَٰلِكَ﴾ لكونه سببًا للصُّلِيِّ.

وعند الشافعي الرضا محمولٌ على تفرقهما عن مجلس العقد[1] متراضيَين، فعُلم أنّ التفرُّق في قوله عليه السلام: «المتبايعان بالخِيار ما لم يتفرَّقا»[2] تفرُّقٌ فعليّ عند الشافعي، وقوليٌّ عند أبي حنيفةَ بأن يتركا كلام البيع[3] وشرعا في كلام آخرَ.[4]

قوله: (أو لـ﴿ذَٰلِكَ﴾) في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾. (لكونه)،[5] أي: لكون ذلك.

---

[1] ر - وعند الشافعي الرضا محمول على تفرقهما عن مجلس العقد.

[2] **صحيح البخاري**، ٥٨/٣ (٢٠٧٩)؛ **صحيح مسلم**، ١١٦٤/٣ (١٥٣٢).

[3] ر: المبيع.

[4] انظر تفصيل المذهبين في **بدائع الصنائع** للكاساني، ٢٢٨/٥؛ و**المجموع** للنووي، ١٧٤/٩.

[5] ر: بكونه.

﴿نَارًا﴾ نارًا مخصوصَةً شديدةَ العذاب.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾؛ لأنَّ الحكمة تدعو إليه ولا صارِفَ عنه من ظلمٍ أو نحوه.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

﴿كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وقُرِئ: "كبيرَ ما تُنهَونَ عنه"؛ أي: ما كَبُرَ من المعاصي التي ينهاكم الله عنها والرَّسول.

﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: نُمِطْ ما تستحِقُّونَه من العقاب في كلِّ وقتٍ على صغائركم، ونجعلْها كأنْ لم تكن، لزيادة الثَّواب المُستَحَق على اجتنابكم الكبائرَ

قوله: (مِن ظلم)[1] بيان للصارف.[2]

قوله: ("كَبيرَ")[3] شاذّ.

قوله: (لزيادة) اللام متعلِّق بقوله: (نُمِطْ) أو (نَجْعلْها) على طريق التنازع.

قوله: (على اجتنابكم) "على" يجوز أن يتعلَّق بـ(المستحقّ) وأن يتعلَّق بـ(الثوابِ)، والأوّل أَولى؛ لأنّ الثواب اسم مِن الإثابة فلا يكون عاملًا، والاجتناب عن الطاعة معصيةٌ وعن المعصية طاعةٌ، ولكلّ منها رتبةٌ،[4] فالصدقُ رتبته دون رتبة تَرْك أكل الربا، والكذبُ رتبته دون رتبة أكلِه، وكذلك ثوابُ الصادق دون ثواب تارك أكله، وعقاب الكاذب دون عقاب آكله، فيكون وصفهما بالصِّغر والكِبَر بإضافتهما إلى اجتناب عن طاعة أو ارتكاب لمعصية، وثواب فاعلهما[5] أو جزاء فاعل المعصية والطاعة. وهذا الذي ذكره المصنّف فيه إشارة إلى مذهبه،[6]

---

١ ر: أظلم.

٢ ن ر: للمصارف.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن سعيد بن جبير ومجاهد والأعرج والأعمش. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٦٥٦.

٤ ر + رتبة.

٥ ن فاعلها.

٦ انظر لتفصيل مذهبهم ومذهب أهل السنّة والجماعة في ذلك: **الإرشاد** للجويني، ص ٣٨١، و**شرح الأصول الخمسة** لعبد الجبّار، ص ٦١٣.

وصبرِكم عنها على عقاب السَّيِّئات، والكبيرةُ والصَّغيرةُ إنَّما وُصِفَتا بالكِبَر والصِغَر بإضافتهما إمَّا إلى طاعةٍ أو معصيةٍ أو ثوابِ فاعلهما، والتَّكفيرُ: إماطةُ المستحَقِّ من العقابِ بثوَابٍ أزيدَ أو بتوبة، والإحباط: نقيضُه، وهو إماطةُ الثَّواب المستحَقِّ بعقابٍ أزيدَ أوْ بندَمٍ على الطَّاعة.

وهو أنّ العبد يستحقّ بسبب الطاعة الثواب[١] ويستحقّ بالفسق العقاب، ويحصُل بينهما الموازنة، فاستحقاق العقاب[٢] يُحبِط[٣] بقدره شيئًا مِن استحقاق الثواب وينحبط[٤] منه أيضًا شيءٌ وبالعكس، فإن تساوى الاستحقاقان تعارضا وتساقطا، وإن زاد أحدهما على الآخر بقيَ مِن الزائد شيءٌ بعد الموازنة.

قوله: **(إلى طاعة)** مثلًا إذا كان العقاب المستحقّ بسبب المعصية أزيدَ مِن الثواب المستحقّ بسبب طاعةٍ فعلها فهي كبيرة وإلّا فصغيرة.

قوله:[٥] **(أو معصية)** مثلًا إذا كان العقاب المستحقّ بسببها أزيدَ من العقاب المستحقّ بمعصية[٦] أخرى فكبيرة وإلّا فصغيرة. فالصغيرةُ والكبيرة عنده مِن الأمور الإضافيّة.

قوله: **(أو ثوابِ فاعلهما)**، أي: بإضافتهما إلى ثواب / فاعل الطاعةِ [٣٠١و]
والمعصية، والمرادُ بالثواب الجزاء، فإذا كان لفاعل[٧] معصية معيَّنة استحقاق عقاب[٨] عظيم لشرفه بمزيد العلم والفضل[٩] فتلك المعصية كبيرة بالنسبة إليه، وإذا كان لآخر[١٠] فَعَل[١١] تلك المعصية استحقاقُ عقاب[١٢] أدنى فهي بالنسبة إليه صغيرةٌ. قال الشاعر:

لا يحقِرِ الرجلُ الرفيع دقيقةً ... في السهو فيها للوضيع معاذرُ

---

١ ن - الثواب.
٢ ر: العذاب.
٣ ر: يحيط.
٤ ر: وينحط.
٥ ر - (إلى طاعة) مثلًا إذا كان العقاب المستحقّ بسبب المعصية أزيدَ مِن الثواب المستحقّ بسبب طاعةٍ فعلها فهي كبيرة وإلّا فصغيرة. قوله.
٦ ر: بمعصيته.
٧ ن ر: الفاعل.
٨ ن: عذاب.
٩ ر: أو الفضل.
١٠ ر: الآخر.
١١ ن: الفعل؛ ر: بفعل.
١٢ ن: عذاب.

وعن عليّ رضي الله عنه: الكبائِرُ سَبْعٌ: الشِّركُ، والقتل، والقذفُ، والربا، وأكلُ مالِ اليتيم، والفرار من الزَّحْفِ، والتَّعرُّبُ بعد الهجرة.

وزاد ابن عمر: السِّحْرَ، واستحلالَ البيت الحرام.

وعن ابن عبّاس: أنَّ رجُلًا قال له: الكبائرُ سبعٌ؟ فقال: هي إلى سبعِ مئةٍ أقربُ؛ لأنَّهُ لا صغيرةَ مع الإصرار، ولا كبيرةَ مع الاستغفار. ورُوِيَ: إلى سبعين.

وقُرِئَ: "يُكفِّر" بالياء.

و﴿مُدْخَلًا﴾ بِضَمِّ الميم وفتحها، بمعنى المكان والمصدر فيهما.

فكبائرُ الرجل الصغير صغائر   وصغائرُ الرجل الكبير كبائرُ[١]

وقالوا: «زلّة العالِم زلّة العالَم»،[٢] وفي الناس مَن لشرفه[٣] يؤاخَذ على حديث النفس.

العيبُ في الجاهل المغمورِ مغمورُ   وعيبُ ذي الشرف المشهور مشهورُ
كفُوفَة الظُّفر تخفى مِن مهانتها   ومثلُه في سواد العين مذكورُ[٤]

قوله: (ومالُ اليتيم)، أي: أكلُ مال اليتيم.

قوله: (والتعرُّبُ)[٥] أراد[٦] بالتعرُّب الارتدادَ، وهو أن يترك المدينة ويعود أعرابيًا بعد الهجرة مِن البادية إلى المدينة.[٧]

قوله: (واستحلالَ[٨] البيت)، أي: يستحِلّ فيه ما حرَّم الله[٩] فيه.

---

١ ما عرفتُ قائلهما، ولا وقفتُ عليهما فيما سبق هذه الحاشية مِن المصادر. وهما بلا عزو في **فتوح الغيب** للطيبي، ٥٢٠/٤ (النساء، ٣١/٤).

٢ مِن أمثال العرب. **المستقصى** للزمخشري، ١١٠/٢.

٣ ن: تشرفه.

٤ البيتان لأبي محمّد طاهر بن الحسين بن يحيى المخزومي البصري في **يتيمة الدهر** للثعالبي، ٢٩/٥؛ **ودرّة الغوّاص** للحريري، ص ١٠٦، **والدرّ الفريد** لابن أيدمر، ١٣٦/٤، والرِّواية فيها:
العيبُ في الخامل المغمور مغمورُ
وعيبُ ذي الشرف المذكور مذكورُ
كفُوفة الظفر تخفى مِن مهانتها
ومثلها في سواد العين مشهورُ
وهما بلا عزو في **سرّ الفصاحة** لابن سنان، ص ٩٥-٩٦.

٥ بلفظ قريب في **الأدب المفرد** للبخاري، ص ٢٠٢ (٥٧٨)؛ **وجامع البيان** للطبري، ٦٤٣/٦ (النساء، ٣١/٤)، **والوسيط** للواحدي، ٤٠/٢-٤١ (النساء، ٣١/٤).

٦ ن - قوله: ومال اليتيم، أي: أكل مال اليتيم. قوله: والتعرُّب أراد.

٧ انظر: **المغرب** للمطرِّزي، «عرب».

٨ ر: استان.

٩ ن + تعالى.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ﴾ نُهوا عن التَّحاسُد وعن تمنِّي ما فضَّلَ الله به بعض النَّاس على بعض من الجاه والمال؛ لأنَّ ذلك التَّفضِيلَ قِسمةٌ من الله صادرةٌ عن حكمةٍ وتدبير وعِلْمٍ بأحوال العباد، وبما يُصْلِحُ المقسومَ له من بَسْطٍ في الرِّزقِ أو قَبْضٍ ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى ٤٢/٢٧] فعلى كُلِّ أحدٍ أنْ يَرضَى بما قُسِمَ له، علمًا بأنَّ ما قُسِمَ له هو مصلحتُه، ولو كان خِلافُه لكان مَفسدةً له، ولا يَحسُدَ أخاه على حظِّه.

قوله: **(فعلى كلّ)** مسبَّب عن قوله: **(نُهوا)** و**(صادرةٌ)**... إلى آخرها.

قوله: **(عِلمًا)** يجوز أن يتعلَّق بـ**(يرضى)** بأن يقال: هو حال مِن ضمير "يرضى" أو مفعول له، أي: يرضى حال كونه عالمًا أو لعلمه، فيكون "العلم" مِن صفة كلّ أحد. ويجوز أن يتعلَّق بقوله: **(قُسِم)** مفعولًا به[١] أو حالًا مِن فاعله المحذوف، أي: عليه أن يرضى بما قَسَم الله لعلمه تعالى بالمصلحة، أو حال كونه تعالى عالمًا بالمصلحة. واعلم أنّ الصوابَ في هذا المقام ألّا نقول: هو متعلِّق بـ"قُسِم"؛ بل بما دلّ عليه "قُسِم"؛ لأنّه لمّا قيل: "قُسِم" عُلم[٢] أنّ ثمّة قاسمًا،[٣] فكأنّه قيل له: قُسِم له قسمةً عِلمًا، فهو مثل ﴿يُسَبَّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۞ رِجَالٌ﴾ [النور ٢٤/٣٦-٣٧]. فإنّ ﴿رِجَالٌ﴾ مرفوع بما دلّ عليه ﴿يُسَبَّحُ﴾.[٤]

قوله: **(ولو كان)** عطف مِن حيث المعنى على قوله: **(ما قُسِم)**، أي: عِلمًا بأنّه لو كان ما قُسِم[٥] له خلافُ ما قُسِم له لكان ما قُسِم له مَفسَدةً له. والصوابُ أنّه عطف على قوله: **(هو مصلحةٌ)**[٦] لصحة أن يقال: ما قُسِم له[٧] لو كان.

---

١ ن ر: له.
٢ ن: دل على.
٣ ن ر: قائمًا.
٤ قرأ بها ابن عامر وأبو بكر. السبعة لابن مجاهد، ص ٤٥٦؛ **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٣٢.
٥ ر: أقسم.
٦ في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله: مصلحته.
٧ ن - له.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ جعل ما قُسِمَ لكُلٍّ من الرِّجَالِ والنِّسَاءِ على حسَبِ ما عَرَفَ اللهُ من حاله الموجِبَةِ للبَسْط أو القَبْضِ كسبًا له.

﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: ولا تتمنَّوا أَنْصِبَاءَ غيركم من الفضل، ولكن سَلُوا الله من خزائنه الَّتي لا تَنْفَدُ.

وقيل: كأنَّ الرِّجالَ قالوا: إنَّ الله فضَّلَنا على النِّساءِ في الدُّنيا، لنا سَهمان ولهُنَّ سهمٌ واحد، فنرجُو أن يكون لنا أجران في الآخرة على الأعمال ولهنَّ أجرٌ واحد، فقالت أمُّ سَلَمَةَ ونِسوَةٌ معها: ليت الله كتب علينا الجهادَ كما كتبه على الرِّجال فيكونَ لنا من الأجر مثلُ ما لهم، فنزلت.

قوله: (كسبًا) مفعول ثانٍ لـ(جَعَل)[١] وهو بمعنى المفعول وهو المكسوب، أي: جُعل ما قُسِم له مكسوبًا[٢] له، وهو[٣] تفسير[٤] ﴿مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾.

قوله: (وقيل: كأنّ) سبب النزول، وهو عطف على قوله: (جُعل ما قُسِم)، فعلى هذا لا يكون المعنى على التشبيه المذكور؛ بل يكون المعنى على ظاهره، فإنّه لمّا نهى الله تعالى عن التمنّي المذكور أشار إلى أنّ لكلّ أحد نصيبًا[٥] ممّا يكسب[٦] في مرتبته وحالته، فالمرأة إذا أتت بما وجب على النساء فلها نصيبٌ ممّا عمِلت واكتسبت وإن لم تكن رجلًا مجاهدًا، وكذا الفقير إذا صبر وقنع وأتى بما وجب[٧] عليه فله نصيبٌ[٨] مِن ثواب عمله وإن لم يكن غنيًا[٩] مُحسِنًا متصدِّقًا،[١٠] فلا حاجةَ إلى التمنّي؛[١١] بل لا وجهَ له.

قوله: (فنزلت)،[١٢] أي: ﴿لَا تَتَمَنَّوْا۟﴾.

---

١ ر: يجعل.
٢ ن ر: مكتوبًا.
٣ ن ر – وهو.
٤ ن ر: وتفسير.
٥ د ن ر: نصيب.
٦ ن ر: يكتسب.
٧ ر: وجبت.
٨ ر + ممّا علمت واكتسبت.
٩ ر: عينًا.
١٠ ن ر: مصدقًا.
١١ ن ر: النهي.
١٢ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٦٦٦/٦ (النساء، ٣١/٤).

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ تبيينٌ لـ"كُلٍّ"؛ أي: ولكلِّ شيءٍ مما ترك ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ من المال ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ وُرَّاثًا يَلُونه ويُحرِزُونه.

أو: لكلِّ قوم جعلناهم مواليَ نصيبٌ ممَّا ترك الوالدان والأقربون، على أنَّ ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ صِفةٌ لـ"كلٍّ"، والضَّميرُ الرَّاجع إلى "كلٍّ" محذوفٌ، والكلامُ مبتدأ وخبرٌ؛ كما تقول: لكلِّ مَن خَلَقَهُ اللهُ إنسانًا من رزق الله، أي: حظٌّ من رزق الله.

أو: ولكلِّ أحدٍ جعلنا مواليَ ممَّا ترك؛ أي: وُرَّاثًا ممَّا ترك، على أنَّ "مِن" صلةُ موالٍ؛ لأنَّهم في معنى الوُرَّاث، وفي ﴿تَرَكَ﴾ ضميرُ "كُلٍّ"، ثمَّ فسَّرَ الموالي بقوله: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ كأنَّه قيل: مَن هم؟ فقيل: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾.

﴿والَّذين عاقَدَتْ أيمانُكم﴾ مبتدأ ضُمِّنَ معنى الشَّرط فوَقع خبرُه مع الفاء، وهو قوله: ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾، ويجوز أن يكون منصوبًا على قولك: زيدًا فاضرِبْه، ويجوز أن يُعطَفَ على ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ﴾ ويكونَ المضمَرُ في ﴿فَـَٔاتُوهُمْ﴾ للموالي،

قوله: (**أو "لكلٍّ"**) خبرٌ، وقوله: (**نصيبٌ**) مبتدأ.

قوله: (**أو "ولكلِّ أحد"**)، أي: ميِّتٍ. على الوجه **الأوَّل** يكون ﴿لِكُلٍّ﴾ مفعولًا ثانيًا لـ﴿جَعَلْنَا﴾، وكذا على هذا الوجه وهو **الثالث**.

وتقرير هذا الوجه، أي: الوجه الثالث: جعلنا لكلِّ أحد من الناس / وارثًا [٣٠١ظ]
يرِث ممَّا[1] تركه، ثمَّ بيَّن الوارث بقوله: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾. وحاصلُ الوجوه أنَّه إمَّا أن يُراد بـ"كل" المال أو الشخص، فإن كان المال فهو الوجه **الأوَّل**، وإن كان الشخص فإمَّا الوارث وهو الوجه **الثاني**، أو الميِّت وهو[2] **الثالث**.

قوله: (**للموالي**) وكان على التقدير الأوَّل عائدًا إلى الذين عاقَدوا. والوجوهُ المذكورة لقوله: (﴿وَٱلَّذِينَ﴾) آتيةٌ على كلِّ تفسير مِن التفاسير المذكورة لقوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾.

---

[1] ر + بيّن ثمّ.

[2] ن + الوجه.

والمراد بـ"الَّذين عاقدَتْ أيمانُكم": موالي الموالاة، كان الرَّجل يُعاقِدُ الرَّجُلَ فيقول: دَمِي دَمُكَ، وهَدَمِي هَدَمُكَ، وثأرِي ثأرُكَ، وحربي حَرْبُكَ، وسِلْمِي سِلْمُكَ، وتَرِثُني وأرِثُكَ، وتَطلُبُ بي وأَطلُبُ بك، وتَعقِلُ عنِّي وَأعقِلُ عنك، فيكون للحليف السُّدسُ من ميراث الحليف، فنُسِخَ.

وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنَّهُ خطَبَ يومَ الفتح فقال: «ما كان من حلفٍ في الجاهليَّة فتمسَّكوا به فإنَّه لم يَزِدهُ الإسلامُ إلَّا شِدَّةً، ولا تُحدِثُوا حلفًا في الإسلام».

وعند أبي حنيفة رحمه الله: أنه لو أسلم رجلٌ على يد رجلٍ وتعاقَدَا على أن يتعاقلا ويتوارثا صحَّ عنده، ووَرِثَ بحقِّ الموالاة، خلافًا للشَّافعيِّ.

وقيل: المعاقدةُ: التبنِّي، ومعنى ﴿عاقدَتْ أيمانكم﴾: عاقدَتْهم أيديكم وماسحْتُموهم.

وقُرِئَ: "عقَدَتْ" بالتَّشديد والتَّخفيف، بمعنى عقدَتْ عهودَهم أيمانُكم.

قوله: (كان الرجل) بيانٌ لِما تقدّم. وقوله: (هَدَمي)، أي: هدري، يقال: دماؤهم بينهم هَدَم، أي: هَدَر وهَدْم أيضًا بالتسكين، وذلك إذا لم يؤدُّوا.

قوله: (وسِلمي) «السِّلم هذا: الصلح، يُفتح ويُكسَر ويذكَّر ويؤنَّث».[1]

قوله: («فتمسَّكوا به»)،[2] أي: اعتصموا.

قوله: (يتعاقلا)، أي: يُعطي كلّ واحد عقلَ الآخر، أي: ديَّته التي تجب عليه.

قوله: (عنده) تأكيد لقوله: (عند أبي حنيفةَ) والحديثُ لم يثبت عنده.

قوله: (عاقَدَتْهم)[3] إشارة إلى الضمير العائد إلى الموصول.

قوله: (عهودَهم)، أي: عهود الموالي، وهو مفعول (عقدَتْ) وفاعله (أيمانُكم).

---

[1] الصحاح للجوهري، «سلم».

[2] بلفظ قريب في مسند أحمد، ٢١٨/٣٤ (٢٠٦١٣)؛ وجامع البيان للطبري، ٦٨٣/٦ (النساء، ٣٣/٤)؛ والبسيط للواحدي، ٤٨٣/٦ (النساء، ٣٣/٤)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٠٦/٢ (النساء، ٣٣/٤).

[3] ن ر: ما فديهم.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾

﴿قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾: يقومون عليهِنَّ آمِرِينَ ناهين، كما تقوم الوُلاة على الرعايا، وسُمُّوا قومًا لذلك، والضَّمير في ﴿بَعۡضَهُمۡ﴾ للرِّجَال والنِّسَاء جميعًا، يعني: إنَّمَا كانوا مسَيْطرين عليهنَّ بسبب تفضيل الله بعضَهم وهم الرِّجال على بعضٍ وهم النِّساء.

وفيه دليلٌ على أنَّ الولاية إنَّما تُستحقُّ بالفضل لا بالتَّغلُّب والاستطالة والقهر، وقد ذكروا في فضل الرِّجَالِ: العقلَ، والحزم، والعزم، والقوَّة، والكتابة في الغالب، والفروسيَّة، والرَّمي، وأنَّ منهم الأنبياءَ، والعلماء، وفيهم الإمامة الكبرى والصُّغرى، والجهاد، والأذانُ، والخُطْبَة، والاعتكافُ، وتكبيرات التَّشرِيق عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى، والشَّهادة في الحدود والقصاص، وزيادةُ السَّهم، والتَّعصِيبُ في الميراث، والحَمَالةُ، والقَسامَةُ، ....

قوله: (وسُمُّوا)، أي: الرجال. (قومًا) القوم مِن الصفات الغالبة،[1] وكأنّه في الأصل جمع "قائم".

قوله: (مسَيْطرين) المسَيْطر والمصيطر: المسلَّط.

قوله: (والعزمَ) العزم: جزم الإرادة بعد التردّد.

قوله: (الحَمالة) الحَمالة: الدية التي يتحمّلها الرجل ويغرَمها فيسعى في تحصيلها.

قوله: (والقَسامة) قال الأئمّة: القَسامة في اللغة: اسم للأولياء الذين يحلفون على دعوى الدم،[2] وفي لسان[3] الفقهاء: هي[4] اسم «الأيمان تُقسَم على الأولياء

---

١ ن: العالية.
٢ ر: الذم.
٣ ر: لبيان.
٤ ن ر: من.

والولايةُ في النِّكَاح والطَّلاق والرَّجعةِ، وعددُ الأزواج، وإليهم الانتسابُ، وهم أصحاب اللِّحَى والعمائم.

في الدم»،[١] وهي اسم يقام مُقام المصدر، يقال: أُقسِم إقسامًا وقَسَامة، كما يقال: أُكرِم إكرامًا وكرامةً. ولا تختصّ القَسامة بالذكور[٢] عند الشافعي ومالك وأحمد،[٣] وصورتُها أن يُوجَد قتيل[٤] في موضع لا يُعرَف مَن قتله[٥] ولا تقوم عليه بيّنة، ويدَّعي الولي قتله[٦] على واحد[٧] أو جماعة، ويقترن بالواقعة ما يُشعِر بصدق الوليّ في دعواه، ويقال له: "اللَّوْث"، فيحلف[٨] على ما يدَّعيه ويُحكَم عليه بالقتل[٩] فتلزم الدية، وإن كان أولياء الدم متعدِّدًا سواء كانوا[١٠] ذكورًا أو إناثًا أو مختلِطين فيحلفون[١١] بقدر حِصَصهم مِن الخمسين. وأمّا عند أبي حنيفةَ فلا اعتبارَ بـ"اللَّوْث"، ولا يُبدأ بيمين[١٢] المدَّعي.[١٣] وإذا وجد قتيل في محلّةٍ أو قرية وادّعى وليُّه قَتْله على رجل أو جماعة بأعيانهم فيختار الإمام، ويقال: يختار الوليُّ[١٤] خمسين رجلًا مِن صلحاء تلك البقعة فيحلفون خمسين يمينًا أنّهم ما قتلوه ولا عرفوا قاتله، فإن نقصوا عن الخمسين كُرِّر الأيمان حتّى تتمّ خمسين، فإذا حلفوا وجبت الدية على عاقلة مَن بنى تلك الخطّة، فإن لم يُعرف الباني أو لم توجد عاقلته أُخذت الدية مِن سكّان ذلك الموضع وفيهم الحالفون في ثلاث سنين، وإن لم يحلفوا حُبسوا[١٥] حتّى يحلفوا أو يُقرّوا.

قوله: **(اللحى)** فيه الضمّ[١٦] والكسر،[١٧] والكسرُ أفصح.

---

١ ر: الذم. | **الصحاح** للجوهري، «قسم».
٢ ن: بالمذكور.
٣ انظر: **المجموع** للنووي، ٢٠/٢١٢-٢٢٠.
٤ ر: قبيل.
٥ ر: قبله.
٦ ر: قبله.
٧ ر: واحدة.
٨ ن ر - فيحلف.
٩ ر: بالنقل.
١٠ ن - كانوا.
١١ ن: فيجعلون.
١٢ ر: يمين.
١٣ انظر: **المبسوط** للسرخسي، ٢٦/١٠٦-١١٦؛ و**بدائع الصنائع** للكاساني، ٧/٢٨٦.
١٤ ن + إلى؛ ر: إلى.
١٥ ر - حبسوا.
١٦ ن: بالكسر.
١٧ ن: والضم.

﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾: وبسبب ما أخرجوا في نكاحِهنَّ ﴿مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ في المهور والنَّفقات.

ورُوِيَ أنَّ سعد بن الرَّبيع -وكان نقيبًا من نقباء الأنصار- نشَزَتْ عليه امرأتُه حبيبةُ بنت زيد بن أبي زهير، فلَطمَها، فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أَفْرَشْتُهُ كريمتي فلطمها، فقال: «لِتَقْتَصّ منه» فنزلت، فقال صلى الله عليه وسلم: «أردْنَا أمرًا، وأراد الله أمرًا، والَّذي أراد الله خيرٌ» ورفع القصاصَ.

واختُلِفَ في ذلك، فقيل: لا قصاص بين الرَّجل وامرأته فيما دون النَّفْس ولو شجَّهَا ولكن يجب العقل، وقيل: لا قصاص إلَّا في الجرح والقتل، وأمَّا اللَّطْمَةُ ونحوُها فلا.

قوله: (فلَطَمها) قال الشاعر في وصف فرس أغرّ محجّل:[1]

فكأنّما لطَم الصباح / جبينه فاقتصّ منه فخاض في أحشائه[2] [٣٠٢و]

أي: كأنّ الصباح لَطَم هذا الفرس على جبينه فصار جبينه أبيضَ، ثمّ أراد[3] أن يقتصّ مِن الصباح فدخل في أحشاء الصباح فصار قوائمه أبيضَ. وإنّما كتبتُ هذا البيت هنا للطافة معنى التشبيه، مع أنّه[4] لا تعلّق له بمعنى الآية.

قوله: (فانطلق بها) الباء في "بها" للتعدية أو للمصاحبة.

قوله: (فقال: «لِتقتصّ»)، أي: فقال رسول الله عليه السلام:[5] لتقتصّ زوجته منه.

قوله عليه السلام: («أردنا أمرًا»)... إلخ،[6] يعني أنّ اجتهاده عليه السلام أدّى إلى ذلك، ولمّا ورد النصّ وفَهِم منه خلاف ما أدّى إليه اجتهاده عَمِل بما يقتضيه النصُّ وتركَ ما أدّى إليه اجتهاده. وفيه دليلٌ على جواز الاجتهاد للأنبياء فيما لم يوحَ إليهم.

---

[1] ن ر – محجل.

[2] ن + محجل. | والبيت لابن نباتة في الصناعتين للعسكري، ص ٢٥٢؛ وغرائب التنبيهات لابن ظافر الأزدي، ص ١٦١؛ ونهاية الأرب للنويري، ٦٤/١٠.

[3] ن ر: أذاذ.

[4] ن – أنه؛ ر: أن.

[5] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

[6] معالم التنزيل للبغوي، ٢٠٧/٢ (النساء، ٣٤/٣).

﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾: مُطيعَاتٌ قائماتٌ بما عليهنَّ للأزواج.

﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ﴾ الغَيبُ خِلافُ الشَّهادة؛ أي: حافظات لمَواجِب الغيب؛ إذا كان الأزواج غيرَ شاهِدِينَ لهنَّ حَفِظْنَ ما يجب عليهنَّ حِفْظُه في حال الغَيبةِ من الفُرُوجِ والبيوت والأموال، وعن النَّبي صلى الله عليه وسلم: «خيرُ النِّسَاء امرأةٌ إنْ نظرْتَ إليها سرَّتْكَ، وإنْ أمرتَهَا أطاعتْكَ، وإذا غبتَ عنها حَفِظتْكَ في مالها ونفسها» وتلا الآية.

وقيل: ﴿لِّلۡغَيۡبِ﴾: لأسرارهم.

﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾: بما حَفِظَهُنَّ اللهُ حين أوصى بهنَّ الأزواجَ في كتابه، وأمَر رسولُه عليه الصَّلاة والسَّلام فقال: «استوصُوا بالنِّسَاء خيرًا».

قوله:[١] (لمَواجِب) المَواجب: جمع المَوجِب، والمراد بـ(مَوجِب الغيب) ما يوجِبه الغيب، أي: الغيبة، وهو: ما يجب المحافظة عليه في حال غَيبة الزوج. والحاصلُ أنّ المَوجِب بمعنى الواجب؛ لأنّ الواجب محلّ الوجوب.

قوله: (لأسرارهم) فالمراد بالغَيب الغائب، وهو: ما غاب عن الناس مِن أسرار الرجال، فمعنى حِفظهنّ الغيبَ: حِفظهنّ[٢] أسرارَ الرجال.

قوله: (﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾) اعلم[٣] أنّ الباء للسببية وما مصدرية، أي: بسبب حفظ الله إياهنّ، إمّا لإيصاء الأزواج بهنّ، أو بعصمتهنّ[٤] وتوفيقهنّ، أو بما وعدهنّ وأوعدهنّ.

قوله: (في كتابه) حيث[٥] قال: ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ﴾ الآية [النساء ٤/٢٠]، وغيرها[٦] مِن الآيات.

قوله: («استوصوا»)، أي: اقبلوا وصيّتي. و(«خيرًا»)[٧] نصب على المصدر، أي: استيصاء خيرًا.

---

١ ن ر – قوله.
٢ ن ر: جعلهن.
٣ ن ر – اعلم.
٤ ن ر: بعضهن.
٥ ن ر: حسب.
٦ د: وغيره.
٧ صحيح البخاري، ٢٦/٧ (٥١٨٦)؛ صحيح مسلم، ١٠٩١/٢ (١٤٦٨).

أو: بما حَفِظَهُنَّ اللهُ وعصمهُنَّ ووفَّقهُنَّ لحفظ الغيب.

أو: بما حَفظهُنَّ حين وعَدَهُنَّ الثوابَ العظيم على حفظ الغيب، وأوعدهُنَّ بالعذاب الشَّديد على الخيانة. و"ما" مصدرية.

وقُرِئ: ﴿بما حفظ ٱللَّهَ﴾ بالنَّصْبِ على أنَّ "ما" موصولةٌ؛ أي: حافظاتٌ للغيب بالأمر الذي يحفظُ حقَّ الله وأمانةَ الله، وهو التعفُّفُ والتَّحصُّنُ والشَّفَقةُ على الرِّجال والنَّصيحةُ لهم.

وقرأ ابن مسعود: "فالصَّوالح قوانِتُ حوافظُ للغيب بما حَفِظَ اللهَ فأصلِحوا إليهنَّ".

نشوزُها ونشوصُها: أن تعصيَ زوجها، ولا تطمئِنَّ إليه، وأصله: الانزعاج.

﴿فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾: في المراقد؛ أي: لا تُداخِلُوهُنَّ تحت اللُّحُفِ، أو هي كنايةٌ عن الجِمَاع.

وقيل: هو أن يولِّيَها ظهره في المضجع.

وقيل: ﴿فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾: في بُيوتهنَّ التي يَبِتْنَ فيها؛ أي: لا تُبايتُوهُنَّ.

وقُرِئ: "في المضْجَع" و: "في المُضْطَجَع".

قوله: (و"ما" مصدريّة)، أي: على الوجوه المتقدِّمة.

قوله: (بالأمر) الباء كما في قولك: "كتبتُ بالقلم".[1]

قوله: ("إِلَيْهِنَّ")[2] إلى هنا قراءة ابن مسعود.

قوله: (﴿فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ في بيوتهنّ)... إلخ، اعلم أنّ الصواب ألّا يُحمل على هذا المعنى؛ لأنّ تركهنّ في بيت والخروج عن ذلك البيت إلى بيت آخر فيه خطرٌ. فالأولى أن يقال: قوله: ﴿فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حال، أي: اهجروهنّ حال كونكم في المضاجع، أي: في البيوت التي هنّ فيها بألّا تُداخلوهنّ تحت اللُّحف أو بالمعنيين الآخرين.

---

١ يعني أنّ الباء للاستعانة.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة بن مصرّف وابن غزوان عن طلحة. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٣٢؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٦٥٨.

وذلك لتعرُّف أحوالهنَّ وتُحقُّق أمرِهنَّ في النُّشوز، أمَرَ بوعظِهِنَّ أولًا، ثمَّ بِهجْرانهنَّ في المضاجع، ثم بالضَّرب إنْ لم يَنْجَعْ فيهِنَّ الوعظُ والهجرانُ.

وقيل: معناه: أكرهوهنَّ على الجِمَاع واربِطُوهُنَّ، مِن هجَرَ البعيرَ: إذا شدَّهُ بالهِجَار، وهذا من تفسير الثُّقَلاء.

وقالوا: يجب أن يكون ضَرْبًا غير مُبَرِّحٍ لا يجرحُها ولا يكسرُ لها عَظْمًا، ويجتنب الوَجْهَ.

وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «عَلِّقْ سَوْطَكَ حيثُ يَراهُ أَهْلُكَ».

وعن أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما: كنتُ رَابعةَ أربَع نسوة عند الزُّبَير بن العوَّام، فإذا غضِبَ على إحدانا ضربهَا بعود المِشْجَب حتى يَكسرَه عليها.

قوله: (إن لم ينجَع) يقال: «نَجَع فيه الخِطابُ[١] والوعظ والدواء، أي: دخل وأثَّر».[٢]

قوله: (الثُّقلاء)[٣] كأنّه لم يستحسن هذا التفسير. والثُّقلاء: جمع ثقيل. والهِجار: العِقال.[٤]

قوله: (العَوَّام) بتشديد الواو.

قوله: (أحدنا)[٥] وإحدانا[٦] بمعنًى.

قوله: (المِشجَب) المِشجَب: شيء يُعمَل من قُضُب[٧] الخيزران،[٨] يُجلَب مِن اليمن، يصبُّ عليه الرجل ثيابه إذا خلعها وفسخها،[٩] وفي الحديث: «ظهر المؤمن

[١] د: الخضاب.

[٢] الصحاح للجوهري، «نجع».

[٣] ن: والثقلاء.

[٤] د: العقار.

[٥] ر: أخدانا.

[٦] ر: وأخدانًا.

[٧] ن: نصيب؛ ر: قضيب.

[٨] ن: الجيران.

[٩] في حواشي شهاب الدين الخزّافي على الكشاف المنقولة من خطّه على هامش مخطوط الكشّاف (نسخة آيا صوفيا، رقم ٢٤٧)، ٢١و: «المِشجب: عود يتّخذ من خشب الخيزران، كهيئة الإنسان، يُخلع عليه الثوب لئلا ينكسر، ويُبخر من تحته».

ويُروى عن الزُّبير أبياتٌ منها:

ولـــولا بـنـوهـا حَـوْلـهـا لـخـبَـطْـتُـهـا

﴿فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًا﴾: فأزيلوا عنهُنَّ التعرُّضَ بالأذى والتَّوبيخِ والتَّجنِّي، وتوبوا عليهِنَّ واجعلوا ما كان منهُنَّ كأنْ لم يكن بعد رُجوعِهِنَّ إلى الطَّاعة والانقيادِ وتركِ النُّشوز.

مِشجَبه»؛[1] لأنَّ المتنعِّم إنّما يصُبّ عليه ثياب الحِفلة[2] ويلبَس ثياب البِذلة، والمُعسِر تكون ثياب حِفلته[3] وبِذلته واحدة. والمراد بثياب الحِفلة[4] الثيابُ التي يلبسها الناس في المحافل، يقال: «حفَل الناس واحتفلوا إذا اجتمعوا. وعنده حَفْل،[5] أي: جمعٌ، وهو في الأصل مصدر. ومَحفِل[6] القوم ومُحتفَلهم مَجمَعهم».[7]

قوله: (لَخَبطتُها) مِن قولهم: «خبطتُ الشجر خبطًا إذا ضربتَها بالعصا ليسقط ورقها»،[8] أي: لولا بنوها حولها لضربتُها بالعصا[9] / حتّى تسقط مثل الورق[10] مِن الشجر. وتمام البيت: [٣٠٢ظ]

كـخَـبـطـة فـــرُّوج ولــم أتـلـعـثـم[11]

قوله: (والتجنّي) التجنّي: التجرُّم، وهو: أن تؤاخذها بجِناية لم تجنِها.[12] والتجنّي: عدُّ الجنايات التي سبقت منهنّ، أي: لا تذكروا ما سلف مِن جناياتهنّ، ومعنى التجنّي التجرُّم، وهو: أن تدَّعي على أحد ذنبًا لم يفعله. ومعنى ﴿لَا تَبۡغُواْ﴾ لا تطلبوا سبيلًا لإيذائهنّ والبغي عليهنّ بأن تذكروا شيئًا لم يفعلنَ أو تذكروا ما مضى بعد طاعتهنّ.

---

١ ما وقفتُ عليه فيما بين يديّ من المظانّ.
٢ ن: الخِلعة.
٣ ن ر: خلعته.
٤ ن: الخلعة.
٥ ن - حفل؛ ر: جمع.
٦ ر: وتحفل.
٧ **الصحاح** للجوهري، «حفل».
٨ **الصحاح** للجوهري، «خبط».
٩ ن ر - ليسقط ورقها، أي: لولا بنوها حولها لضربتها بالعصا.
١٠ ن: مثل؛ ر - الورق.
١١ البيت لكعب بن مالك رضي الله عنه في ديوانه، ص ٢٧٣؛ وهو له في **المحاسن والأضداد** للجاحظ، ص ١٥٨؛ و**ربيع الأبرار** للزمخشري، ٤١٦/١.
١٢ ر + والجناية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذَروه، واعلموا أنَّ قُدرتَه عليكم أعظمُ من قدرتكم على مَن تحت أيديكم، ويُروى: أنَّ أبا مسعودٍ الأنصاريَّ رفع سَوطَه ليَضربَ غُلامًا له، فبَصُرَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فصاح به: «أبا مسعود، للهُ أقدرُ عليك منك عليه» فرمى بالسَّوط وأعتَقَ الغلامَ.

أو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ وإنَّكم تعصُونهُ على علوِّ شأنه وكبرياء سلطانه، ثمَّ تتوبون فيتوبُ عليكم، فأنتم أحقُّ بالعفو عمَّن يجني عليكم إذا رجع.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ أصله: شقاقًا بينَهما، فأُضيف الشِّقاق إلى الظَّرْف على طريق الاتِّساع كقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ ٣٤/٣٣] وأصله: بل مكرٌ اللَّيلَ والنَّهار، أو على أن جُعِل البينُ مشاقًّا واللَّيلُ والنَّهارُ ماكرين، على قولهم: نهارُك صائم.

والضَّمير للزَّوجين -ولم يَجْرِ ذكرُهما- لجَرْي ذكرِ ما يدلُّ عليهما وهو الرِّجال والنِّساء.

﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾ رَجُلًا مَقْنَعًا رِضًا يَصلُح لحكومةِ العَدْل والإصلاح بينهما،

قوله: (فبصُر به)[١] بصرتُ بالشيء: علمتُه.

قوله: (أبا مسعود)،[٢] أي: يا أبا مسعود.[٣]

قوله: (مُشاقًّا) اسم فاعل.

قوله: (مَقْنَعًا) المَقْنَع: موضع القناعة، يعني: يُقنَع به في الأمور، والمراد رجلًا كافيًا عَدْلًا.

---

[١] د ن ر: فبصرته. | وأثبتُّ ما في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله.

[٢] الأدب المفرد للبخاري، ص ٧١ (١٧١)؛ صحيح مسلم، ١٢٨١/٣ (١٦٥٩).

[٣] ن ر - مسعود.

وإنَّما كان بَعْثُ الحَكمين من أهْلهما؛ لأن الأقارب أعْرَفُ ببواطن الأحوال وأطلَبُ للصَّلاح، وإنَّما تسكنُ إليهم نفوسُ الزَّوجين وتُبرز إليهم ما في ضمائرهما من الحبِّ والبغض وإرادةِ الصُّحبة والفُرقة، وموجبات ذلك ومقتضياته، وما يَزْويانه عن الأجانب ولا يُحبَّان أن يطَّلعوا عليه.

فإن قلتَ: فهل يَلِيَان الجمعَ بينهما والتَّفريقَ إنْ رَأَيَا ذلك؟

قلتُ: قد اختُلفَ فيه:

فقيل: ليس إليهما ذلك إلَّا بإذن الزَّوجين.

وقيل: ذلك إليهما وما جعُلا حكَمَين إلَّا وإليهما بناء الأمْر على ما يقتضيه اجتهادُهما.

وعن عَبِيدة السَّلْمَانيِّ: شهدتُ عليًّا رضي الله عنه وقد جاءته امرأةٌ وزوجُها، ومع كلِّ واحدٍ منهما فِئامٌ من النَّاس، فأخرج هؤلاء حكَمًا وهؤلاء حكَمًا، فقال عليٌّ رضي الله عنه للحكمين: أتَدْريان ما عليكما؟ إنَّ عليكما إنْ رَأيتُما أنْ تُفرِّقا فرَّقتُما، وإنْ رأيتُما أنْ تَجْمعا جمَعْتُما، فقال الزَّوج: أمَّا الفُرقَةُ فلا، فقال عليٌّ:

قوله: **(وإنّما تسكن)** عطف على قوله: **(أعرفُ)**[1] لصحّة أن يقال: "لأنّ الأقارب إنّما تسكن إليهم نفوس الزوجين"، وإنّما جمع "النفوس" مع تثنية الزوجين كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

قوله: **(السَّلْماني)** أهل الحديث على تسكين اللام في "سَلْماني"، وأهل اللغة على تحريكها.[2]

قوله: **(فِئامٌ)**[3] لا واحدَ له مِن لفظه، ومعناه "جماعات".

---

[1] ن: عرف؛ ر: عرّق.

[2] وذكر المطرّزي خلاف ذلك: فقال: والمحدِّثون على التحريك، وأنكره السيرافي. المغرب، «سلم». ويعضده ما نقله ابن ناصر الدين بقوله: السَّلْماني بفتح أوّله وسكون اللام، وذكر يحيى بن مَعين أنّ عيسى بن يونس كان يقول: عبيدة السَّلماني مفتوحة. وفيه تفصيل. انظر: **توضيح المشتبه**، ١٤٢/٥.

[3] ن ر: قيام.

كَذَبَ واللهِ! لا تبرَحُ حتّى ترضَى بكتاب الله لكَ وعليك، فقالت المرأةُ: رضيتُ بكتابِ الله لي وعليَّ.

وعن الحسن: يجمعان ولا يُفرِّقان.

وعن الشَّعبيِّ: ما قضى الحكمان جازَ.

وَالألِفُ في ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحًا﴾ ضميرُ الحكَمين، وفي ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ للزَّوجين؛ أي: إن قصَدا إصْلاحَ ذاتِ البَيْن وكانت نيَّتُهما صحيحةً وقلوبُهما ناصحةً لوجهِ الله بُورك في وساطَتِهما، وأوقع الله بطِيب نَفْسَيهما وحُسْنِ سَعْيِهما بين الزَّوجين الوِفاقَ والأُلْفة، وألقَى في نفوسهما المودَّةَ والرَّحمةَ.

وقيل: الضَّميران للحكمين؛ أي: إنْ قَصَدا إصلاحَ ذاتِ البَين والنَّصيحةَ للزَّوجين يوفِّقِ الله بينهما، فيتّفقان على الكلمةِ الواحدة ويتساندان في طلبِ الوفاق حتَّى يحصلَ الغرضُ ويتِمَّ المراد.

وقيل: الضَّميران للزَّوجين؛ أي: إن يُريدا إصلاحَ ما بينَهما، وطلبا الخيرَ،

قوله: (لا تبرحُ)[1] في هذا الكلام التفاتٌ.

قوله: (ذاتِ البين) المراد بذات البين الأمور الواقعة بين الزوجين مِن المنازعة والمخاصمة والبُغض والمحبة.

قوله: (وكانت نيّتُهما)[2] عطف على (قَصَدا).

قوله: (الضميران)، أي: في ﴿يُرِيدَآ﴾ و﴿بَيۡنَهُمَآ﴾.

قوله: (الضميران[3] للزوجين)[4] وههنا قسم رابع يخرج مِن القسمة، وهو أنّ الأوّل للزوجين والثاني للحَكَمين، لكن لا ندري هل قال به أحد أم لا. والظاهر أنّ المعنى لا يستقيم على هذا الوجه الرابع.

---

١ المصنَّف عبد الرزاق، ٥١١/٦ (١١٨٨٣)؛ جامع البيان للطبري، ٧١٧/٦ (النساء، ٣٥/٤)؛ شرح السنّة للبغوي، ١٩٠/٩ (٢٣٤٧).

٢ ن ر: بينهما.

٣ ن: والضميران.

٤ ن: للزوجان.

وأن يزولَ عنهما الشِّقاقُ، يَطْرَحِ الله بينهما الألفةَ، وأبدلهما بالشِّقاق وفاقًا وبالبغضاء مودةً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ يعلمُ كيف يوفِّق بين المختلفَين ويجمع بين المفترقَين: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال ٨/٦٣].

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: وأَحْسِنوا بهما إحسانًا.

﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وبكلِّ مَن بينكم وبينه قُرْبَى من أخٍ أو عمٍّ أو غيرهما.

﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: الذي قَرُبَ جوارُه ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ الذي جوارُه بعيد.

وقيل: الجار القريب: النَّسيب، والجار الجنُب: الأجنبيُّ، وأنشد لِبَلْعاءَ بنِ قيسٍ:

لا يَجْتوِينا مجاورٌ أبدًا   ذُو رَحِمٍ أو مجاورٌ جُنُبٌ

قوله: (﴿لَوْ أَنفَقْتَ﴾ [الأنفال ٨/٦٣]) هذه الآية جاء بها للاستشهاد[١] على أنّ الألفة بيد الله.[٢]

قوله: (قرُب) "قرُب": خلاف "بعُد" قُربًا وقُربة وقرابة[٣] وقُربى ومَقْرُبة. وقيل: القُرب في المكان، والقُربة في المنزلة، والقُربى في الرحم.[٤]

قوله: (لا يَجتوينا) البيت.[٥] الاجتواء: الكراهة، فقوله: "لا يَجتوينا"، أي: لا يكرهنا مِن اجتويتُ البلاد إذا كرهتَها. وهذا البيت يؤيّد الثاني لقوله: (ذو رَحِم)،

[١] ن ر: الاستشهاد.
[٢] ن + تعالى.
[٣] د – وقرابة.
[٤] انظر: الصحاح للجوهري، «قرب».
[٥] ما وقفتُ على البيت فيما سبق الكشّاف من المظانّ.

وقرئ: "والجارَ ذا القُربى" نصبًا على الاختصاص -كما قرئ: "حافظوا على الصَّلوات والصَّلاةَ الوسطَى"- تنبيهًا على عِظَم حقِّه لإدْلائه بحقِّ الجوارِ والقربى.

﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنبِ﴾: هو الذي صَحِبَك بأن حَصَل بجَنْبك: إمَّا رفيقًا في سفرٍ، وإما جارًا ملاصقًا، وإما شريكًا في تعلُّم عِلمٍ أو حرفة، وإمَّا قاعدًا إلى جنبك في مجلسٍ أو مسْجدٍ، أو غيرَ ذلك من أدنى صُحبةٍ الْتأمَتْ بينك وبينه، فعليك أن تَرْعَى ذلك الحقَّ ولا تَنْساه، وتجعلَه ذريعةً إلى الإحسان.

وقيل: الصَّاحبُ بالجَنْب: المرأةُ.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر المنقطَع به، وقيل: الضيف.

والمختال: التَّيَّاهُ الجَهُول الَّذي يتكبَّر عن إكرام أقاربه وأصحابه ومماليكِه، فلا يتحفَّى بهم، ولا يلتفتُ إليهم.

وقرئ: "والجارِ الجَنْبِ"، بفتح الجيم وسكون النُّون.

فإنّه يدل على أنّ المراد بـ﴿ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القريبُ[١] النسب، فيكون المراد بما[٢] ذكر في مقابلته الجارَ الأجنبيّ.

قوله: (المُنقطَع) انقطع عن السير وانقُطع به: الذي هلكت دابّته فيه، يقال: "انقُطع بالمسافر" مبنيًا للمفعول إذا عطِبَت دابّته ونفِد زاده فانقطع به السفر فهو مُنقَطع به.

قوله: (التيّاه) التيّاه: المتكبّر،[٣] تاه يتيه تيهًا: تكبَّر.

قوله: (فلا يتحفّى)، أي: لا يتلطَّف ولا يرحم.

قوله: (بفتح الجيم وسكون[٤] النون) وجههُ أن يكون فَعْلًا بمعنى مفعول، كـ"خَلْق الله"[٥] و"ضَرْب الأمير"، مِن "جَنَبه كذا جنبًا"[٦] إذا نحّاه،[٧] كأنّه قيل:

---

١ ن ر: قريب.
٢ ر: فيما.
٣ ن: التكبر.
٤ ن: ويسكنون.
٥ ن + تعالى.
٦ ر: جينًا.
٧ ر: نجاه.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾، أو نصبٌ على الذَّمِّ، ويجوز أن يكون رفعًا عليه، وأن يكون مبتدأً خبرُه محذوف، كأنَّه قيل: الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أَحِقَّاءُ بكلِّ مَلامةٍ.

وقرئ ﴿بِٱلۡبُخۡلِ﴾ بضمِّ الباء وفتحها، وبفتحتين وبضمَّتين؛ أي: يبخلون بذاتِ أيديهم وبما في أيدي غيرهم، فيأمرونهم بأن يبخلوا به مَقْتًا للسَّخاء ممَّن وُجد. وفي أمثال العرب: «أبخلُ من الضَّنين بنائلِ غيرِه»، قال:

وإن امْـرءًا ضنَّتْ يـداه على امرئٍ بـنَـيْـلِ يـدٍ مـن غـيـرِه لـبـخـيـلُ

والجار المجنوب المُنحّى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم ١٤/٣٥].

قوله: (رفعًا عليه)، أي: على الذمّ بحذف المبتدأ، أي: هم الذين يبخلون.

قوله: (ضنَّت) البيت.[١] ضنِنتُ بالشيء أَضَنُّ ضِنًّا وضَنانةً / إذا بخلتَ به، [٣٠٣و]
فهو ضنين. وضنَنت بالفتح أضِنُّ لغةٌ فيه.[٢] قال:

مَهلًا أعاذلُ قد جرَّبتِ مِن خُلُقي إنّـي أجـودُ لأقـوامٍ وإن ضَنِنـوا[٣]

قوله: (ضنَّت يداه) أقحم اليد ههنا لأنَّ الإعطاء يكون باليد فيُنسب[٤] الجود والبخل إلى اليد، ويقال: نال خيرًا ينال نيلًا، أي: أصاب. واليد في قوله: (بنَيْل يدٍ) بمعنى النعمة،[٥] والمعنى: وإنَّ امرأً يبخل على آخرَ بأن يُصيبه خيرٌ

---

١ البيت لأبي تمّام يعاتب فيه موسى بن إبراهيم الرافقي في ضنّه عليه بجاهه، وهو في ديوانه بشرح التبريزي، ٤/٤٨٦؛ وبلا عزو في مجمع الأمثال للميداني، ١/١١٤؛ والمستقصى للزمخشري، ١/١١.

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «ضنن».

٣ البيت لقعنب بن أمّ صاحب في ديوانه، ص ٥٠؛ وهو له في كتاب سيبويه، ١/٢٩، ٣/٥٣٥؛ والنوادر لأبي زيد، ص ٢٣٠؛ والصحاح للجوهري، «ضنن»؛ وضرائر الشعر لابن عصفور، ص ٢٠؛ وبلا عزو في الفائق للزمخشري، ٢/٤١٤. وقد ينسب لغير قعنب، انظر تفصيل ذلك في حواشي محقّق الديوان.

٤ ن: فنسب.

٥ ر: النقمة.

ولقد رأينا ممَّن بُلِيَ بِدَاء البخل مَن إذا طَرَق سَمْعَه أنَّ أحدًا جادَ على أحدٍ شُخِصَ به وحَلَّ حُبْوتَه واضطربَ ودَارت عيناه في رأسه؛ كأنَّما نُهِبَ رَحْله وكُسِرَتْ خِزانَتُه ضجَرًا من ذلك وحَسْرةً على وُجوده.

وقيل: هم اليهود كانوا يأتون رجالًا من الأنصار يتنصَّحُون لهم ويقولون: لا تنفقوا أموالكم فإنَّا نخشى عليكم الفقرَ، ولا تَدْرون ما يكون، وقد عابهم الله بكتمانِ نعمة الله وما آتاهم من فضلِ الغِنَى، ....

مِن غير[1] ذلك المرء[2] الذي يبخل لَبخيل شديد البخل، لأنّه يبخل بمال غيره.

قوله: (**شُخِص**) «شَخَص بصره، فهو شاخص، إذا فتح عينيه وجعل لا يَطرِف. ويقال للرجل إذا ورد[3] عليه أمرٌ أقلقه: شُخص به»،[4] أي: جُعل عينه[5] مفتوحًا بحيث لا يقدِر على طرفها. فقوله:[6] "شُخص به" على حذف المضاف مِن "به"، أي: شُخص بصره. قال في **المغرب**: «شَخَص بصرُه، أي: امتدّ وارتفع، وتعدَّى بالباء فيقال: شُخِص ببصره».[7]

قوله: (**وحلّ حُبوته**) حلُّ الحُبوة[8] عبارة[9] عن عدم الثبات وعن الاضطراب. يقال: «احتبى الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته، وقد يحتبي بيديه.[10] والاسم الحُبوة والحِبوة،[11] يقال: حلّ حُبوته وحِبوته».[12]

قوله: (**على وُجوده**)، أي: وجودِ الجود.

قوله: (**يتنصَّحون**)،[13] أي: يتشبّهون[14] بالنُصحاء ويُظهِرون أنّهم مِن نصحائهم.

قوله: (**بكتمان**) في قوله تعالى:[15] ﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾.

---

١ ن – غير.
٢ ر: والمرء.
٣ ن: أورد.
٤ **الصحاح** للجوهري، «شخص».
٥ ن: عينيه.
٦ ن ر: قوله.
٧ **المغرب** للمطرّزي، «شخص».
٨ ر: الحياة.
٩ ر: عيان.
١٠ ر: بيده.
١١ ن – والحبوة.
١٢ **الصحاح** للجوهري، «حبا».
١٣ **جامع البيان** للطبري، ٧/٢٤ (النساء، ٤/٣٧).
١٤ ن – يتشبهون.
١٥ ن – تعالى.

والتفاقُرِ إلى النَّاس.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إذا أنعَم الله على عبدٍ نعمةً أحبَّ أن تُرى نعمتُه على عبده».

وبنى عاملٌ للرَّشيد قَصْرًا حِذاءَ قصْره، فنُمَّ به عنده، فقال الرَّجل: يا أمير المؤمنين! إنَّ الكريم يَسُرُّه أن يُرى أثر نعمتِه، فأحبَبْتُ أن أَسُرَّك بالنَّظر إلى آثار نعمتك، فأعجبه كلامُه.

وقيل: نزلت في شأن اليهود الَّذين كتموا صفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ للفخار، وليقال: ما أسخاهم وما أجودَهم! لا ابتغاءَ وجهِ الله.

وقيل: نزلت في مشركي مكَّة المنفِقين أموالَهم في عداوةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾ حيث حَملهم على البُخلِ والرِّياء وكلِّ شرٍّ.

ويجوز أن يكون وعيدًا لهم بأنَّ الشَّيطان يُقرَنُ بهم في النَّار.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾: وأيُّ تَبِعةٍ ووبالٍ عليهم في الإيمان والإنفاقِ في سبيل الله،

قوله: (والتفاقر) "التفاقر": إظهار الفقر، كـ"التجاهل": إظهار الجهل مِن غير الجهل.

قوله: (﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾) "الرِّئاء" مهموز العين.

والمرادُ: الذَّمُّ والتَّوبيخ، وإلَّا فكلُّ مَنْفعةٍ ومَفْلحةٍ في ذلك، وهذا كما يقال للمنتقِم: ما ضرَّكَ لو عفوتَ؟! وللعاقِّ: ما كان يَرْزَؤُكَ لو كنتَ بارًّا، وقد عُلم أنَّه لا مضرَّةَ ولا مَرْزِئةَ في العفو والبِرِّ، ولكنه ذمٌّ وتوبيخٌ وتجهيلٌ بمكان المنفعة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ وعيدٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ٤٠﴾

"الذَّرة": النملة الصَّغيرة، وفي قراءةِ عبد الله: "مثْقالَ نملةٍ".

وعن ابن عبَّاس: أنه أدخل يده في التُّراب فرفعه ثمَّ نفخ فيه، فقال: كلُّ واحدة من هؤلاء ذَرَّةٌ.

وقيل: كلُّ جزء من أجزاء الهَبَاء في الكُوَّة ذرَّةٌ.

وفيه دليلٌ على أنَّه لو نَقَصَ من الأَجْر أدْنى شيءٍ وأَصْغَرَه أو زاده في العقاب لكان ظلمًا، وأنَّه لا يفعله لاستحالته في الحكمة، لا لاستحالته في القُدرة.

﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾: وإن تكن مثْقالُ الذرَّة حسنةً، وإنمَّا أنَّث ضمير المثقال لكونه مضافًا إلى مؤنث، وقُرئ بالرَّفع على "كان" التَّامة.

﴿يُضَٰعِفْهَا﴾: يُضاعِفْ ثوابها لاستحقاقها عندَه الثَّوابَ في كلِّ وقت من الأوقات المستقبَلة غيرِ المتناهيَة، وعن أبي عثمان النَّهْديِّ أنَّه قال لأبي هريرة: بلَغَني عنك أنك تقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ الله تعالى

قوله: (وإلّا)، أي: وإن لم يُحمَل[1] على هذا المعنى لا يستقيم لأنّ[2] كلّ.[3]

قوله: (ما كان يرزؤك) «الرُّزْء: المصيبة، والجمع الأرزاء ورزأتُ الرجل أرزؤه رُزاءً ومَرْزِئة إذا أصبتَ منه خيرًا ما، كان يقال:[4] ما رزأتُه ماله وما رَزِئته ماله، أي: ما نقصتُه. والمَرْزَئة: المصيبة».[5]

---

[1] ن: يجعل.
[2] ن: لأنه.
[3] أي: إلى آخر الكلام.
[4] ن: يقول.
[5] الصحاح للجوهري، «رزأ».

يُعطِي عَبدَه المؤمنَ بالحسنة ألفَ ألفِ حسنةٍ» قال أبو هريرة: لا، بل سمِعْتُه يقول: «إنَّ الله تعالى يعطيه ألفي ألفِ حسنة» ثم تلا هذه الآية.

والمرادُ: الكثرةُ، لا التَّحديدُ.

﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: ويُعْطِ صاحبَها من عنده على سبيل التَّفضُّل عطاءً عظيمًا، وسَمَّاهُ أجرًا؛ لأنَّه تابعٌ للأجر لا يَثبت إلا بثباته.

وقرئ: ﴿يُضَعِّفْها﴾ بالتَّشديد والتَّخفيف من أضعف وضَعَّفَ.

وقرأ ابن هُرْمُزَ: "نُضاعِفها" بالنُّون.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾

﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعُ هؤلاء الكفرةُ من اليهود وغيرِهم ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يَشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيُّهم، كقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة ٥/١١٧] ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ المكذِّبين ﴿شَهِيدًا﴾.

وعن ابن مسعود: أنَّه قرأ سورةَ النِّساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتَّى بَلغ قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله: (والمرادُ)، أي: في الحديث.

قوله: (تابعٌ للأجر) فإنَّ المُعطى على سبيل التفضُّل ليس بأجر لكنَّه تابع للأجر، وهذا عند أهل المعتزلة، وأما عند أهل السنَّة والجماعة فجميعُ ما يُعطي الله تعالى عباده فضلٌ وإحسان، وتسميتُه[١] أجرًا مجازٌ[٢] وإظهارٌ لزيادة اللطف والكرم.[٣]

قوله: (هُرمُز)[٤] غير منصرف للعجميَّة والعلميَّة.

قوله: (فبكى رسول الله عليه السلام):[٥] قال رحمه الله:[٦] هذا بكاء فرح

---

١ ر: وسميته.

٢ ر: مجازًا.

٣ انظر لتفصيل المذهبين الإرشاد للجويني، ص ٣٨١؛ وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار، ص ٦٣٨.

٤ ن ر: هو من.

٥ ن: صلَّى الله عليه وسلَّم.

٦ ن – رحمه الله؛ ر: رضي الله عنه.

وقال: «حَسْبُنَا».

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾: لو يدفَنُون فتسوَّى بهم الأرض كما تسوَّى بالموتى.

وقيل: يودُّون أنّهم لم يُبْعَثوا وأنّهم كانوا والأرضَ سواءً.

وقيل: تصيرُ البهائمُ ترابًا فيوَدُّون حالها.

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾: ولا يقدرون على كتمانه؛ لأنَّ جَوارحَهم تشهدُ عليهم.

لا بكاءُ جزع؛ لأنّه تشريف في[1] غاية، فإنّه جَعَل أمّته شهيدًا على سائر الأمم ثمّ جَعَله شهيدًا على الكلّ.

قوله: («حَسْبُنَا»)،[2] أي: حسبُنا إكرامًا. ويجوز أن يكون المعنى "حسبنا القراءة"،[3] أي: اكتفِ ولا تقرأ الآن.

قوله: (﴿بِهِمُ الْأَرْضُ﴾) الباء في ﴿بِهِمُ﴾ بمعنى "على"، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ﴾ [آل عمران ٣/٧٥]، أي: على دينار. ويجوز[4] أن تكون باء السببية، أي: بسبب دفنهم. وهو على القولين الآخرين[5] بمعنى "مع".[6] وقال في المُغرِب: «سوّى المعوّج[7] فاستوى، وفي الحديث: 'قدم زيد بشيرًا بفتح بدر حين سوَّينا على رقيّة'،[8] يعني: دفنّاها / وسوّينا تراب القبر».[9] وهذا المذكور في المُغرِب يدلّ على أنّ الباء في (فتُسوَّى بهم الأرض) بمعنى "على".[10] [٣٠٣ظ]

---

[1] ن ر: من.

[2] بلفظ قريب في صحيح البخاري، ٦/١٩٦ (٥٠٥٠)؛ وصحيح مسلم، ١/٥٥١ (٨٠٠).

[3] ن: التراب؛ ر: القراءات.

[4] ر: يجوز.

[5] ن: الأخيرين.

[6] ن ر - مع.

[7] ن: المعرج.

[8] ر: دفنه. | ما وقفت عليه فيما بين يديّ من المظانّ.

[9] المغرب للمطرّزي، «سوي».

[10] ن ر - على.

وقيل: الواو للحال؛ أي: يَوَدُّون أن يُدْفنوا تحت الأرض، وأنَّهم لا يكتمون الله حديثًا، ولا يَكذِبون في قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام ٢٣/٦]؛ لأنَّهم إذا قالوا ذلك وجَحَدوا شركَهم ختَم الله على أفواههم عند ذلك، وتكلَّمتْ أيديهم وأرجلُهم بتكذيبهم والشَّهادةِ عليهم بالشِّرك، فلشدَّةِ الأمر عليهم يَتمنَّون أن تُسوَّى بهم الأرضُ.

وقرئ: ﴿تَسَوَّى﴾ بحذف التَّاء من تَتَسوَّى، يقال: سوَّيتُه فتسوَّى، نحو: لَوَّيتُه فتلوَّى.

و: ﴿تَسَّوَّى﴾ بإدغام التَّاء في السِّين؛ كقوله: ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ [البقرة ٧٥/٢] وماضِيه: اسَّوَّى؛ كازَّكَّى.

قوله: (وقيل: الواو للحال)، أي: في ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ﴾، وهو في الأوَّل كلام منقطع عمّا قبله، أو عطف على ﴿يَوَدُّ﴾، أي: والحال أنَّهم لا يقدرون على كتمانه عند الله، ولا يقدرون أيضًا على الكذب في قولهم: (﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام ٢٣/٦])، يعني: في هذه الحال يودُّون.

واعلم[1] أنَّ المعنى إذا كان الواو في ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ﴾ للحال أنَّهم يتمنَّون أن يكونوا ميّتين مدفونين غيرَ كاتمين الحديث، فهو حال مِن الضمير في ﴿بِهِمُ﴾، أعني مِن الضمير المجرور، فإنَّهم إذا كذبوا وقالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ ختم الله على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم، فحينئذ يتمَّنون أن يكونوا ميّتين وأن يكون حالهم ألّا يتكلّموا بهذا الكلام ولا يكتموا من الله كفرهم، فهذا هو المعنى لا الذي تقدَّم كِتبتُه في الحاشية، فتأمَّل.

قوله: (ولا يكذِبون)، أي: لا يُمكنهم أن يكذبوا بأن يقولوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾.

قوله: (ماضيه "اسّوّى") أصله "تسوَّى" قُلبت التاء سينًا وأدغِم فأتيَ بهمزة الوصل، وكذا أصل "ازّكّى": "تزكّى"، قُلبت التاء زايًا وأُدغم فأتيَ بهمزة الوصل.[2]

[1] ر: والله أعلم.

[2] ر - وكذا أصل أزّكى تزكّى قلبت التاء زايًا وأدغم فأتي بهمزة الوصل.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

رُوي: أنَّ عبد الرَّحمن بن عوف صَنَع طعامًا وشرابًا فدعا نفرًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحةً، فأكلوا وشربوا، فلمَّا ثَمِلُوا وجاءَ وقتُ صلاة المغرب قدَّموا أحدَهم ليُصلِّيَ بهم، فقرأ: «أعبدُ ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعْبد»، فنزلت.

فكانوا لا يشربون في أوقات الصلاة، فإذا صلَّوا العشاء شربوها فلا يُصبحون إلا وقد ذهب عنهم السُّكرُ وعلموا ما يقولون، ثمَّ نزل تحريمُها.

ومعنى ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: لا تغشَوْها ولا تقوموا إليها واجتنِبوها، كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء ٣٢/١٧] ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الأنعام ١٥١/٦].

قوله: (ثمِلوا)،[١] أي: أَخذ فيهم الشراب، يقال: «ثمِل الرجل ثَملًا إذا أخذ فيه الشراب».[٢] وذلك في مبادي السُّكر. قال ابن الحاجب في **أصول الفقه**: «المراد به الثمَل لمنعه التثبُّت كالغضب».[٣] قال الأستاذ العلّامة:[٤] إنّما فسّر[٥] هنا[٦] السُّكر بالثمَل؛ لأنّهم ما كانوا يشربون الخمر قبل تحريمه إلى حدّ السُّكر، لأنّ شُربه إلى حدّ السُّكر حرامٌ في كلّ[٧] شريعة،[٨] وإنّما يشربون قليلًا بحيث يُحدث فيهم طربًا ولا يبلغ بهم[٩] إلى السُّكر.

اعلم أنّ في هذا الكلام نظرًا؛ لأنّ حُرمته قليلًا وكثيرًا كانت في أواخر الإسلام لا في الأوّل، وكذا في جميع الشرائع، كالجهاد فإنّه كان حرامًا ممنوعًا ثمّ وَجَب.

---

١ بلفظ قريب في **سنن الترمذي**، ٨٨/٥ (٣٠٢٦).
٢ **الصحاح** للجوهري، «ثمل».
٣ **المختصر** لابن الحاجب، ٣٦٣/٢. قاله تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾.
٤ أي: الجاربردي.
٥ ر: فسرها.
٦ ر - هنا.
٧ ر - كلّ.
٨ ر: شريعته.
٩ ر: فيهم.

وقيل: معناه: ولا تقرَبوا مواضعَها -وهي المساجدُ- كقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «جنِّبوا مساجدَكم صبيانَكم ومجانينَكم».

وقيل: هو سُكر النُّعاس وغلبةُ النَّوم؛ كقوله:

... وَرَانُوا بسُكْرِ سِناتِهم كلَّ الرُّيون

وقرئ: "سَكارى" بفتح السِّين، و: "سَكْرَى" على أن يكون جَمعًا، نحو: هَلْكى وجَوْعى؛ لأنَّ السُّكْر علَّةٌ تَلحق العقل، أو مفردًا بمعنى: وأنتم جماعةٌ سَكرى، كقولك: «امرأةٌ سَكرى»، و: "سُكْرى" بضمِّ السِّين كحُبلى، على أن تكون صفةً للجماعة، وحكى جناحُ بنُ حُبَيْش: «كَسْلى» و«كُسلى» بالفتح والضَّمِّ.

﴿وَلَا جُنُبًا﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾؛ لأنَّ محلَّ الجملة مع الواو النَّصبُ على الحال، كأنَّه قيل: لا تقربوا الصَّلاةَ سُكارى ولا جنبًا، والجُنبُ يستوي فيه الواحد والجمع، والمذكَّر والمؤنَّث؛ لأنَّه اسم جَرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب.

قوله: **(الرُّيون)** "الرَّين" والغين: ما يركَبُ[1] القلبَ. ران[2] الرجل بالشراب وران الشراب بالرجل إذا جعله رائنًا،[3] أي: ثقيلًا. وأوّل المصراع الثاني مِن قوله: **(بسُكر)**. وقوله: **(رانوا)** في المصراع الأوّل.[4]

قوله: **(أو مفردًا)** لأنك تقول: "رجل سكران وامرأة سكرى"، فأُطلق على الجمع باعتبار الجمع.

قوله: **(صفةً)**، يعني:[5] يكون مفردًا كما حكى جناح.

قوله: **(والجملة)**[6] وهي قوله: ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾.

---

١ ر: تركت.

٢ ر: وزان.

٣ ن ر: رأسًا.

٤ والبيت للطِرِمّاح في ديوانه، ص ٢٩٤؛ وهو له في العين للفراهيدي، ٢٧٧/٨، «رين»؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «سكر». ورواية البيت فيها جميعًا:

مخافةَ أن يَرينَ النومُ فيهم ... بسُكرِ سِناتهم كلَّ الرُّيونِ

٥ ن ر: معنى.

٦ في مطبوع **الكشّاف** وما راجعت من أصوله: الجملة.

﴿إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ استثناءٌ من عامَّةِ أحوال المخاطَبين، وانتصابُه على الحال.

فإن قلتَ: كيف جمعَ بين هذه الحال والحالِ التي قَبْلَها؟

قلتُ: كأنَّه قيل: لا تقرَبوا الصلاة في حالِ الجنابة إلا ومعكم حالٌ أخرى تُعْذَرون فيها وهي حالُ السَّفَر، وعبورُ السَّبيل عبارةٌ عنه، ويجوز أن لا يكون حالًا ولكنْ صفةً لقوله: ﴿جُنُبًا﴾؛ أي: ولا تقربوا الصلاة جُنبًا غيرَ عابري سبيل؛ أي: جنبًا مقيمين غيرَ معذورين.

فإن قلتَ: كيف تصحُّ صلاتهم على الجنابة لعُذر السَّفر؟

قلتُ: أريدَ بالجُنب: الذين لم يغتسلوا، كأنَّه قيل: لا تقربوا الصَّلاة غيرَ مغتسِلينَ حتَّى تغتسلوا إلَّا أن تكونوا مسافرين.

وقال مَن فَسَّر الصَّلاةَ بالمسجد: معناه: لا تقربوا المسجد جُنبًا إلَّا مجتازين فيه إذا كان الطَّريق فيه إلى الماء، أو كان الماء فيه، أو احتَلمتُم فيه.

قوله: (مِن عامّة أحوال)، أي: أنّه حال مِن أعمّ عامّ الحال، أي: لا تقربوا في حال مِن الأحوال إلّا في حال السفر. والمراد بـ"عابر السبيل" المسافر. وأراد بالمُخاطَبين الأجنابَ، ولهم أحوالٌ جمّة، فنُهوا عن قُربان الصلاة إلّا في حال[1] السفر.

قوله: (هذه الحال) يريد ﴿إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾.

قوله: (والحال التي قبلها) يريد به ﴿جُنُبًا﴾.

قوله: (ويجوز ألّا يكون حالًا) عطف على قوله: (استثناءٌ مِن عامّة أحوال المخاطَبين)، وعلى هذا يكون استثناء مِن عامّة / صفاتِ ﴿جُنُبًا﴾. [٣٠٤و]

قوله: (أريدَ بـ"الجُنُب" الذين لم يغتسلوا) لأنّهم جُنُب وإن تيمّموا، إذ التيمّم لا يرفع الجنابة، ولذلك قال[2] عليه السلام لمَن تيمّم وأمّ قومًا: «صلّيتَ وأنت جُنُب؟»، فقال: سمعتُ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾.[3]

قوله: "لم يغتسلوا" وإن كان تيمّموا.

---

١ ر - حال.

٢ ن ر - قال.

٣ مسند أحمد، ٣٤٦/٢٩ (١٧٨١٢)؛ سنن أبي داود، ٢٤٩/١ (٣٣٤).

وقيل: إنَّ رجالًا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتُصيبهُم الجنابة، ولا يجدون ممرًّا إلَّا في المسجد، فرخّص لهم.

وروي: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَأْذنْ لأحد أنْ يجلس في المسجد أو يَمُرَّ فيه وهو جُنبٌ إلَّا لعليٍّ رضي الله عنه؛ لأنَّ بيته كان في المسجد.

فإن قلتَ: أدْخَلَ في حُكم الشَّرط أربعةً، وهم: المرضى، والمسافرون، والمحدِثون، وأهلُ الجنابة، فبِمَنْ تعلَّقَ الجزاء الذي هو الأمرُ بالتَّيمُّم عند عَدَم الماء منهم؟

قلتُ: الظَّاهر أنَّه تعلَّق بهم جميعًا، وأنَّ المرضى إذا عَدِموا الماء لضَعْفِ حركتهم وعجزِهم عن الوصول إليه فلهم أن يتيمَّموا، وكذلك السَّفْرُ إذا عدموه لبُعده، والمحدِثون وأهلُ الجنابة كذلك إذا لم يجدوه لبعض الأسباب.

وقال الزَّجَّاج: الصعيدُ: وجه الأرض ترابًا كان أو غيره، وإنْ كان صخرًا لا تراب عليه لو ضربَ المتيمِّم يده عليه ومَسَح لكان ذلك طهورُه. وهو مذهبُ أبي حنيفةَ رحمة الله عليه.

قوله: **(الماء منهم)** مِن في "منهم" للتبعيض، وهو حال مِن "مَن".

قوله: **(قلتُ: الظاهر)** وإنّما قال: "الظاهر" لأنّ بعضهم يجعله متعلّقًا بالمريض والمسافر فقط دون المُحدِثين والجُنب إذا لم يجدوه لبعض الأسباب.

قوله: **(وعجزِهم عن الوصول)** يحتمل أن يريد المصنّف بعَجْز الوصول إلى الماء العجزَ عن استعماله، فيشمل ما إذا يضرُّه استعمال الماء، وما إذا لم يجِد الماء أصلًا.

قوله: **(ترابًا كان)** عن ابن عمرَ وابن عبّاس في تفسير ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، أي: ترابًا طاهرًا.[١] وعن حذيفةَ أنّ النبيّ عليه السلام[٢] قال: «فُضّلنا على الناس بثلاث: جُعلت لنا الأرض مسجدًا، وجُعل ترابها طهورًا».[٣] عدل إلى ذِكر التراب

---

١ **معالم التنزيل** للبغوي، ٢٢٦/٢ (النساء، ٤٣/٤). ٣ **صحيح مسلم**، ٣٧١/١ (٥٢٢).

٢ ن: صلّى الله عليه وسلّم.

فإن قلتَ: فما يُصنَع بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ [المائدة ٦/٥]؛ **أي: بعضه، وهذا لا يتأتّى في الصَّخر الذي لا تراب عليه؟**

قلتُ: قالوا: إنَّ "مِن" لابتداء الغاية.

فإن قلتَ: قولُهم: "إنَّها لابتداء الغاية" قولٌ متعسِّف، ولا يَفْهَمُ أحدٌ من العَرب من قول القائل: "مسحتُ برأسه من الدُّهن"، و"من الماء" و"من التُّراب" إلّا معنى التَّبعيض!

قلتُ: هو كما تقول، والإذعانُ للحقِّ أحقُّ من المِرَاء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ كنايةٌ عن التَّرخيص والتَّيسير؛ لأنَّ مَن كانت عادَته أن يعفو عن الخطَّائين ويغفرَ لهم آثَرَ أن يكون ميسِّرًا غير معسِّرٍ.

فإن قلتَ: كيف نُظم في سلكٍ واحدٍ بين المرضى والمسافرين وبين المحدِثين والمُجْنِبِينَ، والمرضُ والسَّفَر سببان من أسباب الرُّخصة، والحدثُ سببٌ لوجوب الوضوء، والجنابة سببٌ لوجوب الغُسل؟

بعد ذِكر الأرض، ولولا اختصاص الطهوريّة بالتراب لقال: جُعلت لنا الأرض مسجدًا وطهورًا.

قوله:[١] (**مِن العرب**) بيان (**أحد**). والأَولى أن يقول: "مِن" فيه للتبعيض، وقوله: "مِن العرب" صفة "أحد".

قوله: (**مِن قول القائل**) متعلّق بـ(**يفهم**)، وهو للابتداء.

قوله: (**والإذعان**)... إلخ، إنّما قال كذلك لأنّه حنفيّ المذهب في الفروع، فكأنّه قال: هذا هو الحقّ، وإن كان بخلاف قول إمامنا، والحقّ حقيق بأن يُتّبع.

قوله: (**فإن قلتَ: كيف نُظم**) حاصل السؤال أن يقال: الحدث[٢] والجنابة[٣] سببان[٤] مِن أسباب الوضوء والغُسل، ولا بدّ أن يتحقّق أحدها، أي: أحد أسباب الوضوء

---

[١] ن – قوله.
[٢] ر: الحديث.
[٣] ر: بالجنابة.
[٤] ر: سببًا.

قلت: أراد سبحانه أن يُرَخِّصَ للَّذين وجب عليهم التَّطهُّرُ وهم عادمون الماءَ في التَّيمُّم بالتُّراب، فخَصَّ أوَّلًا مِن بينهم مَرضاهم وسَفْرَهم؛ لأنّهم المتقدِّمون في استحقاقِ بيان الرُّخصة لهم؛ لكثرةِ المرض والسَّفر وغلَبتهما على سائر الأسباب الموجِبة للرُّخصة، ثمّ عمَّ كلَّ مَن وجب عليه التَّطهُّرُ وأعْوزه الماءُ

والغسل[١] ليتحقَّق الاحتياج إلى الطهر، فإذا احتيج إلى الطهر وجب الطهر[٢] بالماء، وإنّما رُخِّص[٣] في[٤] العدول[٥] مِن الماء إلى التيمّم لسبب[٦] مِن أسباب الرخصة كالمرض والسفر وغيرهما مِن أسباب العجز عن استعمال الماء، فإذن ليس كلّ واحد مِن المذكورات ولا شيء منها مستقلًّا في وجوب التيمُّم؛ بل لا بدّ مِن سبب مِن أسباب الحدث مع سبب مِن أسباب الرخصة، فكيف قيل: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾... إلخ، بالترديد بين أحد الأربعة بـ"أو"؟ فأجاب عنه بأن أصل الكلام هكذا: "إن جاء أحد[٧] منكم[٨] مِن الغائط أو لمستكم النساء فلم تجدوا ماء"، ليكون المجيء مِن الغائط واللمس إشارة إلى أسباب الحدث. وقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ﴾ إشارة إلى سبب الرخصة وهو العجز، لكن لمّا كان هذان[٩] الأمران، أي: المرض والسفر أقوى في اقتضاء الرخصة وأشدّ ذَكَرهما مع شمول قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ﴾ عليهما، على طريقة ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة ٩٨/٢]،[١٠] فكأنّه قيل: "وإن جاء أحد منكم مِن الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء أو كنتم مرض أو على سفر فتيمّموا"، وكان[١١] قياس قوله: ﴿كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أن يؤخّر عن قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ﴾ لكن قُدم إشارة إلى شدّة الاعتناء به فقول المصنّف خصّ أولًا إشارة إلى تقديم ذكر[١٢] المسافر والمريض.

وقوله: (ثمّ عمّ) إشارة إلى قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ﴾. وقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ﴾ إشارة

---

١ ن ر - ولا بدّ أن يتحقق أحدها، أي: أحد أسباب الوضوء والغسل.
٢ ن ر: التطهير.
٣ ن: خص؛ ر - رخص.
٤ ر - في.
٥ ر: بالعدول.
٦ ن ر: بسبب.
٧ ن: أحدكم.
٨ ن - منكم.
٩ ر: هذا.
١٠ د + عليه السلام.
١١ ن ر: فكان.
١٢ ر: ذلك.

....

[٣٠٤ظ] / إلى أسباب العجز عن استعمال الماء.

واعلم أنّه يمكن إيراد السؤال بوجه آخرَ، وهو أنّ قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ كافٍ في بيان الرخصة لشموله ما إذا عُدم الماء أصلًا وما وُجد، لكن هناك مانعٌ مِن الاستعمال كالمرض فكيف جمع بين قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ﴾ وبين قوله:[١] ﴿كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾؟ نعم يمكن أن يقال: المراد بقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ﴾ هو فقدان الماء، وكما أنّ هذا رخصة فالمانع مِن استعمال الماء مع وجوده كالمرض رخصةٌ أيضًا فلذلك ذكر ذلك،[٢] فحينئذٍ نقول: يكون[٣] ذِكر السفر مستغنًى عنه غيرَ محتاج إليه، لأنّ المسافر إن لم يجد الماء فهو قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ﴾، وإن وجده لا يكون للسفر[٤] أثر[٥] في الرخصة، فعلى التقديرين لا حاجةَ إلى ذِكر السفر. فالجوابُ ما ذكره المصنّف، وهو أنّ أصل التركيب: "إن جاء أحد منكم مِن الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمّموا"، على أنّ السبب بالحقيقة هو عدم وِجدان الماء، أي: عدم القدرة على استعماله لفقده، أو للمانع مع وجوده، لكنّ ذِكر المرض والسفر مِن بين أسباب العجز عن الاستعمال، وقدّم لِما ذُكر. والله أعلم.

قوله: (للذين وَجَب) وهم المُحدِثون والمُجنِبون.

قوله: (مِن بينهم)، أي: مِن بين الذين وَجَب عليهم التطهُّر وهم عادمون للماء.

قوله: (فخصّ) بقوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾.

قوله: (فإن قلتَ: كيف نُظم؟) حاصل السؤال أنّه كيف جُمع بين هذه الأربعة مع المباينة بين الأوّلين والأخرين لِما أنّ الأوّليين سببان للرخصة والأخريين[٦] ليستا سببين لهما، وإنّما سببان لوجوب الطهارة، فكيف يُجمع بين السبب

---

[١] د ن – قوله.
[٢] ن + رخصة.
[٣] ن – يكون.
[٤] ن: السفر.
[٥] ن: مؤثرًا.
[٦] ر: والأخرتان.

لخوفِ عدوٍّ أو سَبُعٍ، أو عُدْم آلةِ استسقاءٍ، أو إرهاقٍ في مكانٍ لا ماء فيه، وغير ذلك مما لا يَكثُر كثرةَ المرض والسَّفَر.

وقرئ: "من غيْط" قيل: هو تخفيف غيِّط كهَيْنٍ في هيِّنٍ، والغيِّط بمعنى الغائط.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ من رؤية القلب، وعُدِّيَ بـ﴿إِلَىٰ﴾ على معنى: ألم ينتهِ علمُك إليهم؟

للترخُّص وغير السبب للترخُّص في جعلهما شرطًا للترخُّص. ووجهُ الجواب أنّ الله تعالى أراد أن يُرخِّص لمَن وجب عليه الطهارة عند العجز عن استعمال الماء، وهذا هو السببُ للترخُّص، وهم مشتركون في وجوب الطهارة مع العجز عن استعمال الماء، وهذا هو وجه الجمع بينهم إلّا أن الأوّليين أبينُ عذرًا وعذرُهم أكثر وقوعًا، وذلك يُوجِب التنصيص[١] بالذِّكر،[٢] واستحقاقُ التقديم ثمّ على سائر إفراد العامّ في منصب الرخصة لظهور عذرهم المُوجِب لها وكثرته، فلذلك خصّهما سبحانه وتعالى أوّلًا ثمّ عمّم[٣] الحكمَ لكلّ مَن وجب عليه التطهُّر وأعوزه[٤] الماء وإن كان يمكن جمعُ الجميع تحت عامّ واحد شامل للجميع.[٥]

قوله: (ثمّ عمَّ)، أي: بقوله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ﴾. في[٦] هذا البيان نظرٌ، والصواب أن نقول: عمّ بقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ﴾.

قوله: (أو[٧] إرهاقٍ)[٨] الإرهاق: الإعجال والتضيّق.

قوله: (مِن رؤية القلب)، أي: متعدِّية إلى مفعولين.

---

١ ر: للتنصيص.
٢ ن ر + أبينُ عذرًا وعذرُهم أكثر وقوعًا. | واعتمدت ما في هامش د.
٣ ر: علل.
٤ ن: وأعون.
٥ د - قوله: فإن قلتَ... للجميع. | وجاء تعليقًا في هامش د.
٦ ر - في.
٧ ن ر - أو.
٨ ن: وإزهاق؛ ر: وإرهاق.

أو بمعنى: ألم تنظر إليهم؟

﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: حظًّا من علم التَّوراة، وهم أحْبار اليهود.

﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾: يَستبدِلونها بالهدى، وهو البقاءُ على اليهودية بعد وضوحِ الآيات لهم على صحَّة نبوَّة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وأنَّه هو النَّبيُّ العربيُّ المبشَّر به في التَّوراة والإنجيل.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ﴾ أنتم أيُّها المؤمنون سبيلَ الحقِّ كما ضَلُّوه، وتنخرِطوا في سلكهم، لا تكفيهم ضلالتُهم، بل يحبُّون أن يَضِلَّ معهم غيرُهم.

وقرئ: "أن يَضِلُّوا" بالياء، بفتح الضَّاد وكسرها.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ وقد أخبركم بعداوةِ هؤلاء وأَطْلَعَكم على أحوالهم وما يريدون بكم، فاحذروهم ولا تستنصِحوهم في أموركم ولا تستشيروهم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ فثِقُوا بولايتهِ ونُصرته دونهم، أو لا تُبالوا بهم، فإنَّ الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم.

قوله: (أو بمعنى) عطف على قوله: "مِن رؤية القلب"، فكأنَّه قال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بمعنى "ألم تعلم" أو بمعنى "ألم[1] تنظر"، فعلى الثاني تكون التعدية بـ"إلى" ظاهرة.

قوله:[2] (وهو البقاء) ذكَّر الضمير ذهابًا إلى المعنى أو نظرًا إلى الخبر. والصواب أن نقول: هو عائد إلى الاستبدال أو الاشتراء، ويؤيِّده قوله: (بعد وضوح الآيات).

قوله: (بفتح الضاد) هو مِن "ضلِلت" بالكسر.

قوله: (ولا تستنصِحوهم)، أي: لا تقبلوا نصيحتهم.

---

[1] ر – بمعنى ألم تعلم أو بمعنى ألم.

[2] ن – قوله.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ بيانٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ لأنهم يهودٌ ونصارى، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ جُمَل توسّطت بين البيان والمبيَّن على سبيل الاعتراض.

أو بيان لـ"أعدائكم" وما بينهما اعتراضٌ.

أو صلةٌ لـ﴿نَصِيرًا﴾؛ أي: ينصركم من الذين هادوا كقوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ [الأنبياء ٢١/٧٧].

ويجوز أن يكون كلامًا مبتدأً على أنَّ ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ صفةُ مبتدأ محذوف تقديره: من الذين هادوا قوم يُحرّفون، كقوله:

وما الدَّهـرُ إلا تارَتـانِ فمنهمـا   أموتُ وأخرى أبتغي العيشَ أكدَحُ

أي: فمنهما تارةٌ أمُوت فيها.

قوله: (لأنهم) يعني ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾ يعمّ[1] اليهود والنصارى، والمراد هنا به اليهود، فلذلك بيّن بقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾.

قوله: (يهودٌ) صحّ بالتنوين، وإن كان فيه علميّة وتأنيث؛ لأنّه أريدَ التنكير. وفي نسخة بغير تنوين. قال رحمه الله:[2] مِن الأسماء ما يتعاقب عليه التعريفان: التعريف باللام والعَلَميّة، كاليهود ويهودٌ، والمجوس ومجوسٌ، فعلى هذا لا يُصرف "يهودٌ".

قوله: (اعتراض) فالاعتراض حينئذٍ أقلّ.

قوله: (وما الدهر)، أي: الدهر قسمان: قسمٌ يموت فيه الشخص، وقسمٌ يعيش فيه ولكن في تعب لأجل السعي والكسب، يريد أنّه لا راحةَ فيه.

[1] ر: هم.

[2] ن - رحمه الله؛ ر: رضي الله عنه.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: يُميلونه عنها ويزيلونه؛ لأنّهم إذا بدّلوه ووضعوا مكانه كَلِمًا غيرَه فقد أمالوه عن مواضعه التي وضَعه الله تعالى فيها وأزالوه عنها، وذلك نحوُ تحريفهم «أسْمَرُ رَبْعةٌ» عن موضعه في التَّوراة بوضعهم «آدمُ طُوالٌ» مكانه، ونحوُ تحريفِهم «الرَّجمَ» بوضعهم «الحدَّ» بدَله.

فإن قلتَ: كيف قيل هاهنا: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، وفي المائدة: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة ٤١/٥].

قلتُ: أمّا ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ فعلى ما فسّرناه من إزالته عن مواضعه -التي أَوجبت حكمةُ الله وَضْعَه فيها- بما اقتضتْ شهواتهم من إبدال غيرِه مكانَه، وأمّا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ فالمعنى: أنّه كانت له مواضع ....

قوله: (أكدَحُ)[١] الكدح: العمل والسعي والخَدش والكسب.[٢] كدَح يكدَح، أي: سعى لنفسه في عمل دينه ودنياه، وقيل: معنى ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق ٦/٨٤]، أي: ناصب إلى لقاء ربّك بالموت. والنصَب: التعب. يقول: ليس الدهر إلّا تارتان، فمنها تارة أموت فيها وتارة أحيا / وأعيش فيها، [٣٠٥و] وخلاصةُ المعنى: ليس الدهر إلّا حالتان حالة يموت المرء فيها ويستريح[٣] مِن نصَب الدنيا وأذاها إن كان مِن أهل الاستراحة، وحالة يعيش فيها ويكدح لمعاشه ومعاده ويتحمّل نَصَب الدنيا وصُروفها.

قوله: (﴿ٱلْكَلِمَ﴾) اسم جنس كـ"قوم" استخرج منه الواحد.[٤]

قوله: (عن موضعه في التوراة) يعني في صفة النبيّ عليه السلام.[٥]

قوله: (آدم) بمعنى أسمر. (طُوال) بالضمّ، أي: طويل. يقال: طويل وطُوال.

---

١ البيت لتميم بن أبيّ بن مقبل في كتاب سيبويه، ٣٤٦/٢؛ والحيوان للجاحظ، ٤٤٨/٣؛ وحماسة البحتري، ص ٢٥٨.

٢ ن - يريد أنّه لا راحة فيه. قوله: (أكدحُ) الكدح العمل والسعي والخَدش والكسب.

٣ ن ر - وخلاصة المعنى ليس الدهر إلّا حالتان حالةٌ يموت المرء فيها ويستريح.

٤ ن - الواحد.

٥ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

هو قَمِنٌ بأن يكون فيها، فحين حرَّفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقارِّه، والمعنيان متقاربان.

وقرئ: "يُحرِّفون الكلام"، و: "الكِلْم" بكسر الكاف وسكون اللَّام: جمع كِلْمةٍ تخفيف كَلِمة.

قولهم: ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ حالٌ من المخاطَب؛ أي: اسمع وأنت غيرُ مسمَعٍ، وهو قولٌ ذو وجهين:

يَحتمِلُ الذَّمَّ؛ أي: اسمع منَّا مَدْعوًّا عليك بـ"لا سَمِعْتَ"؛ لأنَّه لو أجيبَتْ دعوتُهم عليه لم يَسمع فكان أصمَّ غيرَ مُسمَعٍ، قالوا ذلك اتِّكالًا على أنَّ قولهم:

قوله: (هو)، أي: الكلم. (قمِنٌ)، أي: خليق. يقال: «هو قمنٌ بكذا وقمين[١] به، أي: خليق، والجمع قَمِنون[٢] وقُمَناء. وأمّا قَمَن بالفتح فيستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث والاثنان والجمع».[٣]

قوله: (جمع كِلْمة) قال رحمه الله:[٤] كما يقال: "اللِّبْن" في جمع[٥] "اللِّبْنة" تخفيف "اللَّبِنة".

قوله: (لأنّه لو أجيبتْ) هذا تعليل وبيان لكون ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ في معنى قولهم: (مدعوًّا عليك بـ"لا سمعتَ")، وذلك لأنّهم تصوَّروا دعاءهم وهو قولهم: "لا سمعتَ" دعوةً مستجابةً، فإذا قالوا بطريق الدعاء: "لا سمعتَ" فكأنّهم تصوَّروه في تلك الحال غيرَ مُسمَع فقالوا:[٦] ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾. والتحقيقُ فيه أنّ اللام[٧] متعلِّق بقوله: (يحتمل)؛ لأنّه فسّر (الذمّ) الذي هو مفعول "يحتمل" بقوله: (أي: اسمعْ)، فكأنّه قال: يحتمل أن يكون المعنى (اسمَع منّا مدعوًّا[٨] عليك بـ"لا سمعتَ")، ثم بيّن هذا الاحتمال بأن يكون كناية، لأنّ كونه غيرَ مُسمَع مِن لوازم الدعاء بلا سَمْع لاعتقادهم أو اعتمادهم على إجابة الدعاء، فأُطلِق اللازم

---

١ ن - بكذا وقمين.
٢ ن ر: قمون.
٣ المغرب للمطرّزي، «قمن».
٤ ن - رحمه الله؛ ر: رضي الله عنه.
٥ ن: جميع.
٦ ن: فقال.
٧ ما عرفتُ اللام التي قصدها.
٨ ن ر: قد دعوا.

«لا سمَعْتَ» دعوةٌ مستجابةٌ، أو اسْمَعْ غيرَ مُجابٍ إلى ما تدعو إليه، ومعناه: غيرَ مسمع جوابًا يوافقك فكأنَّك لم تُسمع شيئًا، أو: اسْمع غيرَ مسمعٍ كلامًا ترضاه فسمعُك عنه نابٍ، ويجوز على هذا أن يكون ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ مفعولَ ﴿وَٱسْمَعْ﴾؛ أي: اسمع كلامًا غيرَ مُسمَعٍ إيّاك؛ لأنَّ أُذنَك لا تَعِيه نَبْوًا عنه.

ويَحتمِل المدحَ؛ أي: اسمع غيرَ مسمَعٍ مكروهًا، من قولك: أَسْمعَ فلانٌ فلانًا: إذا سَبَّه.

وكذلك قولهم: ﴿راعنا﴾ يَحتمِل: راعنا نكلِّمْك؛ أي: ارقُبنا وانتظِرْنا، ويحتمِلُ شَبَهَ كلمةٍ عبرانيَّة أو سُريانيَّة كانوا يتسابُّون بها، وهي: "راعينا"، فكانوا سُخْريةً

وهو ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ وأريدَ[1] الملزوم[2] وهو "مدعوًّا عليه"،[3] فإذا قيل: اسمع غيرَ مُسمَع، فكأنّه قيل: اسمَعْ مدعوًّا عليك بهذا الدعاء، أي: اسمَع في هذا الحال.

قوله: (نابٍ) وإذا كان سمعه نابيًا عنه فكأنّه لم يُسمَع كلامًا.

قوله: (على هذا)، أي: على الوجه الأخير.

قوله: (نُبوًّا عنه) مفعول له مِن معنى (لا تعيه)، أي: معنى الفعل مع النفي،[4] فكأنّه قيل: يتركه ويدفعه نُبوًّا عنه.

قوله: (وكذلك قولهم)[5] "قولهم" مبتدأ و"كذلك" خبره مقدَّم، معناه أنّه ذو وجهين أيضًا.

قوله: (يحتمل: راعِنا)... إلخ، جملة مبيّنة لقوله: "وكذلك قولهم: ﴿رَٰعِنَا﴾"، فذكر أوّلًا أنّ قوله: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ كلام ذو وجهين، ثمّ قال: "وكذلك ﴿رَٰعِنَا﴾"، وهو عطف عليه. وقوله: (فكانوا سُخْريةً) معلَّل عن قوله: (وهو قول ذو وجهين)، أي: لمّا كان هذا الكلام يحتمل الذمّ ويحتمل المدح فكانوا يكلّمونه سخريةً واستهزاء.

---

[1] ر: وهو غير.
[2] ر: ملزوم.
[3] ر: عليهم.
[4] ن ر: الغنى.
[5] ن ر: ولهم.

بالدِّين وهزءًا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلِّمونه بكلامٍ مُحتَمِلٍ يَنْوون به الشَّتيمةَ والإهانةَ ويُظهرون به التَّوقير والإكرام.

﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾: فَتْلًا بها وتحريفًا؛ أي: يَفْتِلون بألسنتِهم الحقَّ إلى الباطل حيث يَضعون "راعنا" موضع: انظرنا، و﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ موضع: لا أُسْمِعت مكروهًا، أو يَفتلون بألسنتهم ما يُضمِرونه من الشَّتم إلى ما يُظهرونه من التَّوقير نفاقًا.

فإن قلتَ: كيف جاؤوا بالقول المحتمِل ذي الوجهين بعد ما صرَّحوا وقالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾.

قلتُ: جميعُ الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان، ولا يواجهونه بالسبِّ ودُعاء السُّوء، ويجوز أن يقولوه فيما بينهم، ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنَّهم لمَّا لم يؤمنوا به جُعلوا كأنَّهم نطقوا به.

وقرأ أبيٌّ: "وأنظِرْنا" من الإنظار وهو الإمهال.

فإنْ قلتَ: إلامَ يرجعُ الضَّمير في قوله: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾؟

قلتُ: إلى ﴿أَنَّهُمْ قَالُوا﴾؛ لأنَّ المعنى: «ولو ثَبَت قولُهم: سمعْنا وأطعْنا، لكان قولُهم ذلك خيرًا لهم وأقومَ وأعدلَ وأسدَّ.

﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾؛ أي: خذلهم بسببِ كفرهم، وأبعدَهم عن ألطافه.

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا﴾ إيمانًا ﴿قَلِيلًا﴾؛ أي: ضعيفًا ركيكًا لا يُعبأ به، وهو إيمانهم بمَن خلَقهم مع كفرهم بغيره، أو أراد بالقلَّة العَدَمَ كقوله:

قوله: **(فيما بينهم)**، أي: يقوله بعضهم مع بعض مِن غير أن يسمعه رسول الله عليه السلام[١] وأصحابه.

قوله: **(بمَن خلقهم)** وهو الله تعالى.

قوله: **(بغيره)**، أي: بالرسول واليوم الآخر لأنّ إيمانهم باليوم الآخر كلا إيمان لإثباتهم الآخرة على خلاف ما هو عليه.

[١] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

قـليـلُ الـتَّـشـكّـي لِـلـمُـهِـمِّ يُصيبُه

أي: عديم التَّشكّي.

أو: إلّا قليلًا منهم قد آمنوا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾

﴿أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾؛ أي: نمحُوَ تخطيطَ صُوَرها من عينٍ وحاجبٍ وأنفٍ وفمٍ.

﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾: فنجعلَها على هيئةِ أدبارها ....

قوله: (يُصيبه) تمامه:

كثيرُ الـهوى شتّى الـنوى والـمسالكِ[1]

قوله: (أو إلّا قليلًا منهم قد آمنوا) في الوجه الأوّل ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ مستثنى مِن مصدر ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، أي: هو / استثناء مفرّغ والمستثنى منه محذوف، وفي هذا [٣٠٥ظ] الوجه مستثنى مِن الواو في ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. وفيه نظر؛ لأنّه لا يستقيم استثناؤه منه لا معنى ولا لفظًا: أمّا معنًى[2] فلأنّ هؤلاء المحرّفين القائلين... إلخ، كانوا جميعًا كافرين فلا يصحّ الاستثناء منهم، وأمّا لفظًا فلأنّه لو كان كذلك لكان المختار الرفع ولا يجوز اتفاق القرّاء على غير المختار؛ بل هو استثناء منقطع، والضمير عائد إلى المعهود، و﴿إِلَّا﴾ بمعنى "لكنّ" و﴿قَلِيلًا﴾ اسمه وخبره محذوف، وإليه أشار المصنّف بقوله: "قد آمنوا"، أي: لكنّ قليلًا مِن اليهود قد آمنوا، فهذا مراد المصنّف[3] لا[4] أنّه[5] مستثنى مِن واو ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله تعالى: (﴿فَنَرُدَّهَا﴾)، أي: الوجوه. (﴿عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾) أي: الوجوه أيضًا.

---

[1] البيت لتأبط شرًّا في ديوانه، ص ١٥١؛ وهو له في أمالي القالي، ١٣٨/٢؛ وشرح الحماسة للمرزوقي، ٩٤/١، وفيه: «واستعمل لفظ القليل والقصدُ إلى نفي الكلّ».

[2] ر – أما معنى.

[3] ن – بقوله: قد آمنوا، أي: لكنّ قليلًا من اليهود قد آمنوا فهذا مراد المصنّف؛ ر + بقوله: قد آمنوا.

[4] ر – لا.

[5] ر: لأنه.

-وهي الأَقفاءُ- مطموسةً مثلَها، والفاء للتَّسبيب، وإن جعَلْتَها للتَّعقيب على أنَّهم تُوُعِّدوا بعقابين أحدهما عَقِيبَ الآخر: ردُّها على أدبارها بعد طمسها، فالمعنى: أن نطمس وجوهًا فننكِّسَها: الوجُوهُ إلى خلفٌ، والأَقْفاءُ إلى قدَّامُ.

ووجهٌ آخر: وهو أن يراد بالطَّمس القلبُ والتَّغيير كما طمسَ أموالَ القِبْط فقلَبَها حجارةً، وبالوجوه رؤوسُهم ووُجَهاؤهُم؛ أي: من قبلِ أن نُغيِّرَ أحوال وُجَهائهم فنسلبَهم إقبالَهم ووَجَاهتَهم ونكسُوَهُم صَغارَهم وإدبارهم، أو نردَّهم إلى حيثُ جاؤوا منه، وهي: أذرعاتُ الشَّام، يريد: إجلاءَ بني النَّضِير.

فإن قلتَ: لمن الرَّاجع في قوله: ﴿أَوْنَلْعَنَهُمْ﴾؟

قلتُ: للوجوه إنْ أريد الوُجَهاءُ، أو لأصحاب الوجوه؛ لأنَّ المعنى: من قبلِ أن نطمسَ ....

قوله: (**الأقفاء**) جمع قِلّة[1] لـ"القفاء".[2]

قوله: (**مثلَها**)، أي: مثل "**الأقفاء**".

قوله: (**للتسبيب**)، أي: أنَّ الطمس يكون سببًا للردّ.

قوله: (**الوجوهُ إلى خلفٌ**) في بعض النُّسخ "الوجوه" و(**الأقفاء**) بالنصب.

قوله: (**أموال القِبْط**) قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [يونس ١٠/٨٨].

قوله: (**أو نردَّهم**) عطف على (**فنسلُبهم**). والحاصلُ أنّه فسّر "الطمس" أوّلًا بمَحْو تخطيط[3] صورها، ثمّ ذكر لقوله: ﴿فَنَرُدَّهَا﴾ وجهين، ثمّ فسّره، أي: الطمس بالقلب والتغيير، وذَكَر لقوله: ﴿فَنَرُدَّهَا﴾ وجهين[4] آخرين، وإذا فسّر "نردُّها" بقوله: "فنسلُبهم"... إلخ، يكون الفاء للسببية، وإن فسّر بقوله: (**نردّهم إلى حيث جاءوا منه**) يكون الفاء للتعقيب، على أنّهم تُوعِّدوا بعقابين: تغييرُ[5] أحوال وجهائهم، وردّهم إلى أذْرِعات.

---

[1] ن - قوله.

[2] ن: الأقفا.

[3] ر: التخطيط.

[4] ر - ثم فسّره، أي: الطمس بالقلب والتغيير وذكر لقوله: فنردّها وجهين.

[5] ر: يعتبر.

وجوهَ قومٍ، أو يرجع إلى الَّذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات.

﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ﴾: أو نجزيَهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السَّبت.

فإن قلتَ: فأين وقوعُ الوعيد؟

قلتُ: هو مشروطٌ بالإيمان، وقد آمَن منهم ناسٌ.

وقيل: هو منتَظَر، ولا بدَّ من طمسٍ ومسخٍ لليهود قبل يوم القيامة؛ ولأنَّ الله عزَّ وجلَّ أوعَدَهم بأحد الأمرين: بطمسِ وجوهٍ منهم، أو بِلَعْنهم، فإنَّ كان الطَّمسُ تبديلَ أحوال رؤسائهم أو إجلاءهم إلى الشَّام فقد كان أحدُ الأمرين، وإن كان غيرَه فقد حصل اللَّعنُ، فإنَّهم ملعونون بكلِّ لسانٍ، والظَّاهر اللعنُ المتعارَف

قوله: **(وجوهَ قومٍ)** فكأنّه جعل التنوين عوضًا مِن المضاف إليه أعني التنوين في ﴿وُجُوهًا﴾، وأمّا إن أريدَ بـ"الوجوه" الوجهاء فلا يحتاج إلى هذا التقدير.

قوله: **(بالإيمان)** صحّ مِن الأصل "بالإيمان"،[1] أي: بعدم الإيمان، وهو توسُّع في الكلام.

قوله: **(فقد كان أحد الأمرين)**، أي: وَقَع[2] أحد الأمرين مِن الطمس[3] واللعن، سواءٌ أريدَ بالطمس التبديل أو[4] الإجلاء[5] لأنّهما وقعا.

قوله: **(غيره)**، أي: غير التبديل والإجلاء، وأفردَ إمّا على طريقة قوله:

فيها خطوط مِن سواد وبَلَقْ كأنّه في الجلد توليعُ البَهَقْ[6]

وإمّا لأنّ معنى **(فإن كان الطمس)**... إلخ، فإن كان الطمس أحدَهما[7] فقال: وإن كان غيرَه، أي: غيرَ أحدهما، أي: لم يكن شيئًا منهما.

قوله: **(والظاهر)** جواب سؤال، وهو أن يقال: كيف يحصل أحد الأمرين حينئذ،

---

[1] ن ر – صحّ من الأصل بالإيمان.

[2] أشار بهذا إلى أنّ "كان" في كلام الزمخشري تامّة.

[3] ر: الطمع.

[4] ر – أو.

[5] ر: والإجلاء.

[6] الرجز لرؤبة بن العجّاج. ومضى بتخريجه وشرحه في تفسير سورة البقرة، ٦٨/٢.

[7] ن ر – إلخ، فإن كان الطمس أحدهما.

دون المسخ، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة ٥/٦٠].

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ فلا بدَّ أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

فإن قلتَ: قد ثبت أنَّ الله عز وجلَّ يغفر الشِّرك لمن تاب منه، وأنَّه لا يغفر ما دون الشِّرك من الكبائر إلَّا بالتَّوبة، فما وجهُ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾؟

قلتُ: الوجهُ أن يكون الفعل المنفيُّ والمثبتُ جميعًا موجَّهَين إلى قوله تعالى: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ كأنَّه قيل: إنَّ الله لا يغفر لمن يشاء الشِّرك ويغفرُ لمن يشاء

فإنَّ اللعن مفسَّر بالمسخ؟ فأجاب بأنَّ الظاهر اللعن المتعارَف لا[1] المسخ، بدليل عطف المسخ على اللعن في المستشهَد.

قوله: (**فإن قلتَ: قد ثبت**) وجهُ السؤال أنَّه إن كان المراد بعد التوبة[2] فكيف يصحّ ﴿لَا يَغْفِرُ﴾ فإنَّه يغفر الشرك لمَن تاب، وإن كان قبل التوبة[3] فكيف يصحّ ﴿وَيَغْفِرُ﴾؛ لأنَّه لا يغفر الكبائر إلَّا بعد التوبة؟[4] وأجاب بأنَّ المراد بأحدهما[5] قبل التوبة وبالآخر بعدها. وضعفُ هذا الجواب ظاهرٌ.

[٣٠٦و] واعلم أنَّ مراد المصنِّف أن يجيب عن تمسُّك أهل السنَّة / بهذه الآية، فإنَّهم قالوا: هذه الآية تدلّ على أنَّه تعالى يغفر غيرَ الشِّرك قبل التوبة، لأنَّ معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ هو أنَّه تعالى لا يغفر أن يُشرَك به تفضُّلًا، أي: قبل التوبة؛ لأنَّه يغفر على سبيل الوجوب،[6] أي: بعد التوبة، كما هو عندهم، فوجب أن يكون معنى قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ تفضُّلًا،

---

[1] ر: إلا.
[2] ر: التولية.
[3] ر – التوبة.
[4] ر – التوبة.
[5] ر: أحدهما.
[6] وعند أهل السنّة لا يجب على الله تعالى شيء. انظر تفصيل المذهبين في الإرشاد للجويني، ص ٤٠٣.

ما دون الشِّرك، على أنَّ المراد بالأوَّل مَن لم يَتبْ وبالثَّاني مَن تاب، ونظيرُه قولك: إنَّ الأمير لا يبذُل الدِّينار ويبذل القنطار لمن يشاء، تريد: لا يبذل الدِّينار لمن لا يَسْتأهله ويبذل القنطار لمن يَستأهله.

﴿فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا﴾؛ أي: ارتكَبه وهو مفترٍ مفتعِلٌ ما لا يصحُّ كونه.

أي: قبل التوبة،[١] فصحَّ أنّه يجوز أن يغفر غيرَ الشرك قبل التوبة، وهو المطلوب.

ثمّ المصنّف أجاب عن ذلك بما لا يبقى معه حُسن النظم وتجاوب طرفَيه، ومثّل بمثال لا يُلائم الآية ولا يُوافقها، فإنّ الموافق للآية[٢] ممّا ذَكَره مِن المثال أن يقال: "إنّ الأمير لا يبذُل القِنطار ويبذُل الدينار لمَن يشاء"، ويكون معناه "لا يبذُل القِنطار تفضُّلًا ويبذُل الدينار تفضلًا"،[٣] ولو قال في هذا المثال المطابق للآية[٤] معناه "لا يبذُل القنطار لمَن لا يستأهله ويبذُل الدينار لمَن يستأهله" خَرَج المثال[٥] عن حُسن المعنى والتئام اللفظ، وإنّما يكون المثال[٦] الذي أورده المصنّف موافقًا للآية أن لو كان الآية هكذا "إنّ الله لا يغفر ما دون الشرك ويغفر أن يُشرَك به"، وإذ الآية بعكس هذا فمثاله[٧] معكوس منكوس، فإنّ المطابق لقوله تعالى: ﴿لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾: لا يبذل القنطار، ولقوله:[٨] ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: ويبذل الدينار. والحمدُ لله على التوفيق والتحقيق وتقرير المعاني. وانظر بعد ما عرفتَ ما قرّرنا مِن الفوائد إلى لفظ المصنّف، فإنّه لمّا فسّر الآية بخلاف معناها جرى على لفظه وفي كتابته.

قوله: (﴿فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا﴾، **أي: ارتكبه وهو مفترٍ مفتعِل**) وهذا مِن معجزات **القرآن**، فتأمّل.[٩]

قوله: (**على أنّ المراد**) وذلك لأنّ الذين أراد الله[١٠] أن يغفرهم هم الذين تابوا

---

١ ن ر – لأنّه يغفر على سبيل الوجوب، أي: بعد التوبة كما هو عندهم فوجب أن يكون معنى قوله: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ تفضلًا، أي: قبل التوبة.

٢ ن: الآية.

٣ ر – ويبذل الدينار تفضّلًا.

٤ ر: الآية.

٥ ن + الذي أورده المصنّف.

٦ ر – عن حسن المعنى والتئام اللفظ وإنّما يكون المثال.

٧ ر: بمثاله.

٨ ر + تعالى: ﴿لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ لا يبذل القنطار، ولقوله.

٩ حقُّ هذه الحاشية أنْ تأتي بعد تمام التي قبلها، بحسب ترتيب كلام الزمخشري.

١٠ ن + تعالى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾: اليهودُ والنَّصارى، قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة ١٨/٥]، وقالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة ١١١/٢].

وقيل: جاء رجالٌ من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأطفالهم فقالوا: هل على هؤلاء ذنبٌ؟ قال: «لا»، قالوا: والله ما نحن إلّا كهيئتهم؛ ما عملناه بالنَّهار كُفِّرَ عنَّا بالليل، وما عملناه بالليل كُفِّرَ عنَّا بالنَّهار، فنزلت.

والذين أراد الله ألّا يغفرهم هم الذين لم يتوبوا بناءً على مذهبه، فتقرير[١] قوله: ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ في الأوّل "لمَن يشاء ألّا يغفره"،[٢] وفي[٣] الثاني[٤] "لمَن يشاء أن يغفره"،[٥] كما يُقدَّر في قول الشاعر:

فإن شئتُ لم تُرقِلْ وإن شئتُ أرقلتْ[٦]

"وإن شئتَ عدم الإرقال لم تُرقِلْ وإن شئتَ الإرقال أرقلتْ"، ليكون المقدَّر مِن جنس الملفوظ،[٧] ولذلك يقال: "أسلِمْ[٨] تدخل الجنّة ولا تكفر تدخل الجنّة"، ولا يجوز أن يقال: "لا تكفرْ تدخل النار"، على الأصحّ.[٩]

قوله: **(وما نحن إلّا كهيئتهم)**،[١٠] أي: ما هيئتنا كهيئتهم،[١١] أي: صفاتُنا[١٢] في أنّنا غير مؤاخَذين بالذنب كصفتهم. وقوله: **(ما عملناه)**[١٣] جملة مبيّنة للجملة المتقدِّمة.

---

١ ن ر: فتقدير.

٢ ن ر: يغفر.

٣ ن ر – وفي.

٤ ن ر: والثاني.

٥ ن ر: يغفر.

٦ صدر بيت لطرفة بن العبد من معلقته الشهيرة، وعجزه:

مخافةَ ملويٍّ من القِدِّ مُحصَدِ

وهو في **ديوانه**، ص ٤٠؛ وفي **شرح القصائد السبع** لابن الأنباري، ص ١٨٠، وفيه: «الإرقال: أن تنفض الناقة رأسها وترتفع عن الذميل. ومخافة ملويّ: مخافة سوط ملويّ أو نسع ملويّ. والمُحصَد: شديد الفتل. وقال أحمد بن عُبيد: معنى البيت: عند هذه الناقة كلّ ما أرادت مِن السَّير».

٧ ر: اللفظ.

٨ ن: اسم.

٩ وإنّما قال: "على الأصحّ"، لأنّ الكسائي يُجوّزه عند قيام القرينة. انظر تفصيل ذلك في **شرح الرضي على الكافية**، ١٢١/٤.

١٠ ن ر: كهيتم.

١١ ر: كهيئتكم.

١٢ ن ر: صفتنا. | وهي كذلك مِن نسخة في هامش د.

١٣ **الوسيط** للواحدي، ٦٥/٢ (النساء، ٤٩/٤)؛ **معالم التنزيل** للبغوي، ٢٣٣/٢ (النساء، ٤٩/٤).

ويدخل فيها كلُّ مَن زَكَّى نفسَه ووَصَفها بزكاءِ العمل وزيادةِ الطَّاعة والتَّقوى والزُّلفى عند الله.

فإن قلتَ: أمَا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله إنِّي لأمينٌ في السَّماء أمينٌ في الأرض»؟

قلتُ: إنَّما قال ذلك حين قال له المنافقون: «اعْدِلْ في القسمة» إكذابًا لهم؛ إذ وصفُوه بخلافِ ما وصَفَه به ربُّه، وشتَّان بين مَن شَهِد اللهُ له بالتَّزكية ومَن شَهد لنفسه أو شَهد له مَن لا يَعْلم.

﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾: إعلامٌ بأنَّ تزكيةَ الله هي التي يُعتدُّ بها لا تزكيةَ غيره؛ لأنَّه هو العالِمُ بمَن هو أهل للتزكية، ومعنى ﴿يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾: يزكِّي المرتضَيْنَ من عباده الذين عَرَف منهم الزَّكاء فوصفهم به.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾؛ أي: الذين يزكُّون أنفسهم يعاقَبون على تزكيتهم أنفسَهم حقَّ جزائهم، أو مَن يشاء يُثابون على زكائهم ولا يُنْقَص من ثوابهم، ونحوُه: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم ٥٣/٣٢].

قوله: (**فإن قلتَ: أمَا قال**) هذا سؤال على قوله: (**يدخل فيها**).

قوله: (**قلتُ**) حاصل الجواب أن ذلك ليس تزكية منه عليه السلام لنفسه؛ بل هو بيان تبليغ لِما وصفه الله تعالى[1] به، وذلك واجب عليه،[2] قال تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة ٥/٦٧].

قوله: (**ما وصفه به**) ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران ٣/١٦١].

قوله: (**أي: الذين يزكُّون أنفسهم**)، يعني أنّ الضمير مِن قوله: ﴿يُظْلَمُونَ﴾: إما عائد إلى ﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ﴾، فيؤول المعنى إلى قوله: "أي: الذين"... إلخ، وإما عائد / على ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فيؤول المعنى إلى قوله: (**أو مَن يشاء**)... إلخ، والظلمُ في الآية بمعنى النقصان، أي: لا يُنقَص مِن عقاب هؤلاء ولا مِن ثواب هؤلاء شيءٌ.[3] [٣٠٦ظ]

---

[1] د - تعالى.

[2] ن - واجب عليه.

[3] ن - شيء.

﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٠ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝٥١ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝٥٢﴾

﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في زعمهم أنّهم عند الله أزكياءُ.

﴿وَكَفَىٰ﴾ بزَعْمهم هذا ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ من بين سائر آثامهم.

"الجِبْت": الأصنامُ وكلُّ ما عُبد من دون الله، والطَّاغوت: الشَّيطان.

وذلك أنَّ حُييَّ بن أَخْطَبَ وكعب بن الأشرف اليهوديَّيْن خرجا إلى مكَّة مع جماعةٍ من اليهود يحالفون قريشًا على محارَبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أنتم أهلُ كتاب، وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمَنُ مَكركم، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئنَّ إليكم، ففعلوا فهذا إيمانهم ﴿بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾؛ لأنّهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا.

وقال أبو سفيان: أنحن أَهْدى سبيلًا أم محمَّد؟ فقال كعب: ماذا يقول محمَّد؟ قالوا: يأمرُ بعبادة الله وحده وينهى عن الشِّرك، قال: وما دينُكم؟ قالوا: نحن ولاةُ البيت نسقي الحاجَّ ونَقري الضَّيف ونفُكُّ العانيَ، وذكروا أفعالهم، فقال: أنتم أهدى سبيلًا.

ثمّ أشار المصنّف إلى أنّ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم ٣٢/٥٣]، وقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم ٣٢/٥٣].

قوله: (**وذلك**)، أي: (**حُييّ**)، أي: سبب نزول ذلك أو التقدير: إيمانهم بالجبت والطاغوت أنّ حُييّ.

قوله: (**وقال أبو**[1] **سفيان**) وكان كافرًا، وأسلم يوم الفتح، وقال ذلك في أيّام كفره.

قوله: (**كعب**) مِن اليهود.

قوله: (**فقال**):[2] أي: كعب.

---

١ ر: أتى.

٢ ن ر - فقال.

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣﴾

وصَف اليهودَ بالبخل والحسد وهما شرُّ خصلتين: يمنعون ما أُوتوا من النِّعمة، ويتمنَّون أن تكون لهم نعمةُ غيرِهم، فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ على أنَّ ﴿أَمْ﴾ منقطعة، ومعنى الهمزة: إنكارُ أن يكون لهم نصيبٌ من الملك، ثمَّ قال: ﴿فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾؛ أي: لو كان لهم نصيبٌ من الملك فإذًا لا يؤتون أحدًا مقدارَ نقيرٍ لفَرْط بخلهم.

والنَّقير: النُّقْرة في ظَهْر النَّواة، وهو مَثَلٌ في القِلَّة كالفتيل والقِطْمير.

والمراد بالمُلْك: إمَّا مُلكُ أهل الدُّنيا، وإمَّا ملكُ الله؛ كقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾ [الإسراء ١٧/١٠٠]

قوله: (شرُّ خصلتين) موضع تأمُّل، إذ المعنى "همّا شرّا خصال". وإنّما عدل إلى هذه العبارة؛ لأنّ المراد إذا اعتُبر الخصال خصلتين خصلتين[١] فهما شرُّ كلِّ خصلتين خصلتين.[٢] هذا وجه تثنية "خصلتين"، وأمّا إفراد "شرّ" فلأنّه يجوز الإفراد والمطابقة، والمفرد أخصرُ. وقوله:[٣] (يمنعون)... إلخ، بيان لقوله: "هما شرُّ خصلتين"، أو بيان[٤] (البخل والحسد) وقوله: (يمنعون ما أوتوا) بيان "البخل". وقوله:[٥] (ويتمنَّون) بيان "الحسد".

قوله: (لإنكار) كأنّه قال: "الاستفهام لإنكار أن يكون"، فإنّ معنى الهمزة الاستفهام.

قوله: (﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ﴾) لفظة[٦] "إذن" إذا كان مِن القرآن يُكتب بالألف، وما كان مِن لفظ التفسير يُكتَب بالنون.

قوله: (والقِطْمير) «القطمير: الفُوفة التي في النواة، وهي القشرة الرقيقة. ويقال: هي النُكتة البيضاء في ظهر النواة تنبت منها النخلة».[٧]

---

[١] ن ر – خصلتين.
[٢] ر – خصلتين.
[٣] ن ر: قوله.
[٤] ن ر: لبيان.
[٥] ن – وقوله.
[٦] ر + إذا كان.
[٧] الصحاح للجوهري، «قطمر».

وهذا أوصفُ لهم بالشُّحِّ وأَحسنُ؛ لطباقه نظيرَه من القرآن.

ويجوز أن يكون معنى الهمزة في ﴿أَمْ﴾ لإنكارِ أنَّهم قد أوتوا نصيبًا من الملك -وكانوا أصحابَ أموالٍ وبساتينَ وقصورٍ مشيَّدةٍ- كما تكون أحوال الملوك، وأنَّهم لا يؤتُون أحدًا ممَّا يملكون شيئًا.

وقرأ ابن مسعود: "فإذًا لا يؤتوا" على إعْمال "إذَنْ" عملَها الَّذي هو النَّصبُ، وهي ملغاةٌ في قراءة العامَّة كأنَّه قيل: فلا يؤتون النَّاس نقيرًا إذن.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤﴾

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾: بل أيحسدون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؟

قوله: (وهذا أوصَفُ)، أي: هذا الوصف، أي: الوجه الثاني، وهو أن يكون المراد مُلك[1] الله.

قوله: (وكانوا[2] أصحاب أموال) هذا تحقيق أنَّهم قد أوتوا نصيبًا، وهي جملة معترضة.

قوله: (وأنَّهم لا) والفرق بين الوجهين أنَّ الإنكار في الأوَّل إنَّما كان متوجِّهًا إلى أن يكون لهم نصيبٌ مِن المُلك لا إلى ما بعده مِن الكلام، وفي الثاني متوجِّهٌ إلى أن يكون لهم نصيب مِن المُلك وإلى أنَّهم لا يؤتون أحدًا شيئًا، أي: إلى عدم الإيتاء مع أنَّ لهم نصيبًا مِن المُلك. وإذا[3] تأمَّلت ظهر لك أنَّ الإنكار في الوجه الأوَّل بمعنى "لم يكن" و"لا يكون"، وبالوجه الثاني بمعنى "لِمَ كان".[4] وهذا الوجه الثاني[5] أحسن طباقًا لقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾.

---

١ ر: تلك آيات.

٢ ن ر: وقالوا.

٣ ر + ظهرت تأملك.

٤ أي: هو في الوجه الأوَّل إنكار إبطاليّ تكذيبيّ وفي الوجه الثاني إنكار توبيخيّ. انظر تفصيل الكلام على الوجهين في دلائل الإعجاز للجرجاني، ص ١١٦-١١٩.

٥ ن ر - بمعنى لم كان وهذا الوجه الثاني.

على إنكار الحسد واستقباحه، وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النُّصرة والغلبة وازدياد العزِّ والتقدُّم كلَّ يوم.

﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ إلزامٌ لهم بما عرَفوه من إيتاء الله الكتابَ والحكمة ﴿ءَالَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الَّذين هم أسلافُ محمَّد صلى الله عليه وسلم، وأنَّه ليس ببِدْعٍ أنْ يؤتيَه الله مثلَ ما أُوتيَ أسلافُه.

وعن ابن عبَّاس: الملك في آل إبراهيم مُلكُ يوسف وداودَ وسليمان.

وقيل: استكثَرُوا نساءه، فقيل لهم: كيف استكثرتُم له التِّسعَ وقد كان لداودَ مئةٌ ولسليمان ثلاثُ مئةِ مَهيرَةٍ وسبعُ مئة سُرِّيَّة؟

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥﴾

﴿فَمِنْهُم﴾: فمِن اليهود ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾؛ أي: بما ذُكر من حديث آلِ إبراهيم ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ وأنكره مع عِلمه بصحَّتِهِ.

أو: من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم مَن أنكر نبوَّته.

أو: من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ومنهم مَن كفَر، ....

قوله: (أسلافُه) صحّ "أسلافه" بالرفع لأنّ (أوتيَ) أسندَ إليه؛ لأنّه أُخِذ، ومفعوله الثاني محذوف، تقديره: مثل ما أوتيَ أسلافه إيّاه.

قوله: (على إنكار الحسد)، أي: هو محمول على إنكار الحسد.

قوله: (وأنّه ليس ببِدع) عطف على قوله: (بما عرفوه) لكن على طريقة:

علفتُه تبنًا وماءً باردا[1]

أي: وبيان أنّه ليس ببِدع.

قوله: (أو مِن آل إبراهيمَ) الحاصل أنّ الضمير في ﴿فَمِنْهُم﴾ إمّا[2] لليهود[3]

---

[1] لا يعلم قائله. ومضى تخريجه والكلام عليه في سورة البقرة، ٧/٢.

[2] ر – إما.

[3] ر: اليهود.

كقوله: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد ٢٦/٥٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾: أبدلناهم إيّاها.

فإن قلتَ: كيف تعذَّبُ مكانَ الجلودِ العاصية جلودٌ لم تَعصِ؟

قلتُ: العذابُ للجملة الحسَّاسَة -وهي التي عصَتْ- لا للجلد.

وعن فُضَيْل: يُجعل النَّضيج غَيْرَ نضيج.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تُبدَّل جلودهم كلَّ يومٍ سبعَ مرَّاتٍ».

وعن الحسن: سبعين مرَّةً، يُبدَّلون جلودًا بِيضًا كالقراطيس.

﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾: ليدومَ لهم ذَوقُهُ ولا ينقطعَ، كقولك للعزيز: أعزَّكَ الله؛ أي: أدامك على عزِّك وزادك فيه.

﴿عَزِيزًا﴾: لا يَمتنِع عليه شيء ممَّا يريده بالمجرمين.

أو لآل[1] إبراهيمَ، وعلى التقدير الأوّل فالضمير في ﴿بِهِۦ﴾ إمّا لِما ذُكر مِن حديث[2] آل إبراهيمَ أو للرسول عليه السلام.

قوله: (غيرَ نضيج)،[3] أي: يُجعَل نيّئًا،[4] فتكون المغايرة في الصفة لا في الذات. والجوابُ[5] عن هذا على مذهب أهل السنّة ظاهرٌ؛ لأنّ إعادة المعدوم / بعينه جائزة عندهم،[6] فيكون المُبدل هو النضيج بعينه، وأمّا قوله تعالى: [٣٠٧و]
﴿غَيْرَهَا﴾ فلا يُنافيه، لاحتمال كونِ المغايرة بحسب الزمان، أو عارضٍ مِن العوارض ككونها[7] نضيجًا وغيرَ نضيج.

---

١ ر: آل.

٢ ن ر: حيث.

٣ ن: فصيح.

٤ ر: بناء.

٥ ن: فالجواب.

٦ انظر تفصيل هذه المسألة في **الإرشاد** للجويني، ص ٣٧١-٣٧٤.

٧ ن: ككونه.

﴿حَكِيمًا﴾: لا يعذِّب إلّا بعدلٍ مَن يستحقُّه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾

﴿ظَلِيلًا﴾ صفةٌ مشتَّقةٌ من لفظِ الظِّلِ لتأكيدِ معناه، كما يقال: ليلٌ أَلْيَلُ، ويومٌ أيْوَمُ، وما أشبهَ ذلك، وهو ما كان فَيْنانًا لا جُوَبَ فيه، ودائمًا لا تنسَخُه الشَّمس، وسَجْسَجًا لا حَرَّ فيه ولا بَرد، وليس ذلك إلّا ظلَّ الجنَّة، رَزَقنا الله بتوفيقه لِمَا يُزْلِف إليه التَّفَيُّؤُ تحت ذلك الظِّلِّ.

وفي قراءة عبد الله: "سيدخلهم" بالياء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾

﴿أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾ الخطابُ عامٌّ لكلِّ أحدٍ في كلِّ أمانة.

قوله: (**وهو**)، أي: الظليل. (**فينانًا**)، أي: كثير الأفنان، أي: مُنبسِطًا متّصلًا.

قوله: (**لا جُوبَ**) جُوَب السحاب:[1] خَلله، أي: لا فُرَج فيه لالتفاف الأشجار.

قوله: (**لا تنسخُه**) «نسخت الشمس الظلّ وانتسخته: أزالته».[2]

قوله: (**وسَجْسَجًا**)[3] «يومٌ سجسج: لا حرٌّ مؤذٍ[4] ولا قُرٌّ. وفي الحديث: 'الجنّة سَجْسَجٌ'».[5]

قوله: (**لِما يُزلِف**) اللام فيه متعلِّق بـ(**توفيقه**).

قوله: (**التفيُّؤ**)[6] مفعول ثانٍ لـ"رزق".

---

[1] ن: الشجاعة.

[2] **الصحاح** للجوهري، «نسخ».

[3] ن ر: سجسجًا.

[4] ر: فيه.

[5] **الصحاح** للجوهري، «سجج». والحديث في **المصنَّف** لابن أبي شيبة، ٣٠/٧ (٣٣٩٧٠).

[6] ن: والتفيؤ.

وقيل: نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدَّار، وكان سادِنَ الكعبة، وذلك: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دَخل مكَّة يوم الفتح أغْلَقَ عثمان بابَ الكعبة وصَعِدَ السَّطح، وأبى أن يَدْفع المفتاح إليه، وقال: لو علمتُ أنَّه رسول الله لم أمنعْه، فلوى عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه يده، وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلَّى ركعتين، فلمَّا خرج سأله العبَّاسُ أن يعطيه المفتاحَ ويجمعَ له السِّقاية والسِّدانة، فنزلت، فأمر عليًّا أن يَرُدَّه إلى عثمان ويعتذرَ إليه، فقال عثمان لعليٍّ: أكْرَهْتَ وآذيت ثمَّ جئْتَ ترْفقُ، فقال: لقد أنزل الله في شأنك قرآنًا، وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، فهبط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السِّدانة في أولاد عثمان أبدًا.

وقيل: هو خطابٌ للولاة بأداءِ الأمانات والحكمِ بالعَدْل.

وقرئ: "الأمانةَ" على التَّوحيد.

﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ "ما" إمَّا أن تكون منصوبةً موصوفةً بـ﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾، وإمَّا أن تكون مرفوعةً ....

قوله: (في عثمان) الحَجَبيّ.

قوله: (عثمانُ)، أي: عثمان بن طلحة الحَجَبيّ.

قوله:[1] (أغلق)... إلخ،[2] خبر (أنّ)، و(حين) ظرفه و(يومَ) بدل مِن "حين"، والعائد مِن الخبر إلى الاسم ضمير (دخل) وكذا ضمير (إليه).

قوله: (منصوبةً)، أي: على التمييز.[3]

قوله: (موصوفةً) وإذا كان "ما" موصوفة كان فاعل "نِعم" ضمير مبهم تفسيره "ما".

قوله: (مرفوعةً) على أنَّها فاعل "نِعم".

---

[1] ن ر – عثمان، أي: عثمان بن طلحة الحجبيّ. قوله.

[2] انظر: الوسيط للواحدي، ٦٩/٢ (النساء، ٥٨/٤)؛ وأسباب النزول للواحدي، ص ١٦٢؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٣٨/٢ (النساء، ٥٨/٤).

[3] ر: اليمين.

موصولةً به، كأنّه قيل: نعم شيئًا يَعِظُكم به، أو: نعْم الشّيءُ الّذي يَعِظُكم به، والمخصوصُ بالمدح محذوف؛ أي: نِعمّا يعظكم به ذاك، وهو المأمور به من أداء الأمانات والعَدْلِ في الحكم.

وقرئ ﴿نَعِمَّا﴾ بفتح النون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

لمّا أَمرَ الولاةَ بأداء الأمانات إلى أهلها وأنْ يحكموا بالعدل أمرَ النّاس بأن يُطيعوهم وينزلوا على قضاياهم، والمرادُ بـ﴿أولي الأمر منكم﴾: أمراءُ الحق؛ لأنَّ أمراء الجَور اللهُ ورسولُه بريئان منهم فلا يُعْطفون على الله ورسوله في وجوب الطّاعة لهم، وإنّما يُجمع بين الله ورسوله والأمراءِ الموافقين لهما في إيثار العدل واختيار الحقّ والأمرِ بهما والنّهي عن أضدادهما كالخلفاء الرّاشدين ومَن تبعهم بإحسان.

وكان الخلفاءُ يقولون: أطيعوني ما عَدَلْتُ فيكم، فإن خالفتُ فلا طاعةَ لي عليكم.

وعن أبي حازِم: أنَّ مسْلمةَ بنَ عبد الملك قال له: ألَسْتُم أُمرتُم بطاعتنا

قوله: (به)، أي: بـ﴿يَعِظُكُم﴾، أي: "ما"[1] موصولة صلتها ﴿يَعِظُكُم﴾.[2]

قوله: (وهو)، أي: المخصوص بالمدح.

قوله: (قرئ "نَعِمّا")[3] لأنّ أصله "نَعِمَ ما" فأتى به على الأصل.

قوله: (والأمرُ بهما)، أي: بالعدل والحقّ أو[4] بالإيثار والاختيار.

قوله: (أبي حازم) هو مِن زهّاد التابعين بالمدينة.

---

[1] ر + هو.

[2] ر: بعضكم.

[3] قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٢/٢٣٥.

[4] ر: أي.

في قولـه: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾؟ قال: أليس قد نُزِعَت عنكم إذا خالفتُم الحقَّ بقولـه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.

وقيل: هم أمراء السَّرايا.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَن أطاعني فقد أطاع الله ومَن عَصاني فقد عَصَى الله، ومَن يُطِعْ أميري فقد أطاعني، ومَن يَعْصِ أميري فقد عصاني».

وقيل: هم العلماء الدَّيِّنون الذين يُعلِّمون النَّاس الدِّين ويأمرونهم بالمعروف ويَنْهَوْنهم عن المنكر.

﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾: فإن اختلفتُم أنتم وأولو الأمر منكم في شيءٍ من أمور الدِّين ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ورسوله؛ أي: اِرْجعوا فيه إلى الكتاب والسُّنَّة، وكيف تلزمُ طاعةُ أمراء الجَور.

وقد جَنَّح الله الأمرَ بطاعة أولي الأمر بما لا يبقَى معه شكٌّ، وهو أنْ أمَرَهم أوَّلًا بأداء الأمانات وبالعدل في الحكم، وأمَرهم آخرًا بالرُّجوع إلى الكتاب والسُّنَّة فيما أَشكل.

وأمراءُ الجَور لا يؤدُّون أمانةً ولا يَحْكمون بعدل، ولا يردُّون شيئًا إلى كتابٍ ولا إلى سنَّةٍ، إنَّما يتَّبعون شهواتهم حيث ذهبتْ بهم، فهم منسلِخون عن صِفات الذين هم أولو الأمر عند الله وعند رسوله، وأحقُّ أسْمائهم: اللُّصوصُ المتغلِّبة.

قوله: (قد نُزِعَت)، أي: الطاعة. وقيل: أي: الإمارة. وهو إلى مذهب الشافعي أقرب.[1]

قوله: (الديِّنون) يقال: دان له، أي: أطاعه، ومنه الدِّين والجمع الأديان. يقال: دان بكذا يدين به فهو ديِّن ومتديِّن.[2]

قوله: (وقد جنَّح)،[3] أي: أعطى له جناحين، أي: أكَّد.

---

١ ر - أقرب.

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «دين».

٣ ن ر: نجح.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الرَّدِّ؛ أي: الرَّدِّ إلى الكتاب والسّنّة.

﴿خَيْرٌ﴾ لكم وأصلح ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: وأحسنُ عاقبةً.

وقيل: أحسنُ تأويلًا من تأويلكم أنتم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾

رُوي: أنَّ بِشْرًا المنافقَ خاصمَ يهوديًّا، فدَعاه اليهوديُّ إلى النَّبيِّ الله صلى الله عليه وسلم، ودعاه المنافقُ إلى كعب بن الأشرف، ثم إنَّهما احتكَما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهوديِّ، فلم يرضَ المنافق، وقال: تعال نتحاكَمْ إلى عمر بن الخطاب، فقال اليهوديُّ لعمر: قضى لنا رسولُ الله فلم يرضَ بقضائه، فقال للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: مكانكما حتَّى أَخرُجَ إليكما، فدخل عمرُ فاشتمَل على سيفه ثم خرج فضَرب به عُنُقَ المنافق

قوله: (**وأحسنُ عاقبةً**) والعاقبة تُسمّى تأويلًا، لأنّها مآل الأمر. يقال: إلى هذا مآل الأمر وتأويله، أي: عاقبته.

قوله: (**وقيل**)، أي: ردّ المتنازع فيه إلى الكتاب والسنّة ليُعلم حكمه أحسنُ مِن جهة الحكم مِن الردّ إلى تأويلكم ليُعلم حكمه[١] مِن تأويلكم، فإنّ الكتاب والسنّة مقدّمان على الاجتهاد.

قوله: (**فقال اليهودي**)[٢] هذه الفاء فاء فصيحة، إذ التقدير: فتحاكما فقال اليهودي.[٣]

قوله: (**فاشتمل على سيفه**)، أي: تقلّد سيفه[٤] ثمّ ستره بثوبه. قال في **الصحاح**: «المِشْمَل سيف قصير يشتمل عليه الرجل، أي: يستره بثوبه».[٥]

---

١ ر: حكم.

٢ ن - اليهودي؛ ر: اليهود.

٣ ر: اليهود.

٤ ن ر - أي: تقلد سيفه.

٥ **الصحاح** للجوهري، «شمل».

حتَّى بَرَد، ثمَّ قال: هكذا أقضي لمن لم يرضَ بقضاء الله ورسوله، فنزلت وقال جبريل: إن عمر فرَّق بين الحقِّ والباطل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنت الفاروق».

والطَّاغوت: كعب بن الأشرف، سمَّاه الله طاغوتًا لإفراطه في الطُّغيان وعداوةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو على التَّشبيه بالشَّيطان والتَّسميةِ باسمه، أو جُعل اختيارُ التَّحاكُم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التَّحاكُم إليه تحاكُمًا إلى الشَّيطان، بدليل قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ﴾.

وقرئ: "بما أَنْزَلَ... وما أَنْزَلَ" على البناءِ للفاعل.

وقرأ عبَّاس بن الفَضْل: "أن يكفروا بها" ذهابًا بالطَّاغوت إلى الجمع،

قوله: (برَد)،[١] أي: مات.[٢]

قوله: (أو جُعل) عطف على قوله: (والطاغوت: كعب) لأنَّ قوله: "أو جُعل"... إلخ، في معنى أو الطاغوت الشيطان.

قوله: (إليه)، أي: إلى رسول الله عليه السلام.

قوله: (تحاكمًا) مفعول ثانٍ لـ"جُعل"، وفي الكلام حذفٌ تقديره "اختيار تحاكم"، فحُذف المضاف لأنّ اختيار التحاكم إلى غير الرسول لا يكون مشبّهًا بالتحاكم إلى الشيطان، وأيضًا فقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ﴾ يدلّ على ما ذكرنا، فتأمّل. والفرق بين هذا الوجه والوجه السابق أنّ التشبيه ههنا في التحاكم وهناك في الطاغوت.

[٣٠٧ظ] قوله: (بدليل) ووجه الدلالة / أنّه لمّا قال: ﴿أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾، أي: بالطاغوت، عُلم أنّه المراد بالطاغوت، لأنّ الجميع مأمور بالكفر بالشيطان.

---

١ ن ر: يزاد. | والسبب بلفظ قريب في أسباب النزول للواحدي، ص ١٦٦؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢/٢٤٢ (النساء، ٤/٦٠).

٢ ن: هات.

كقوله: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم﴾ [البقرة ٢/٢٥٧].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾

وقرأ الحسن: "تعالُوا" بضمِّ اللّام على أنّه حذف اللّام من "تعاليتُ" تخفيفًا؛ كما قالوا: ما باليتُ به بالةً، وأصلُها: "باليةٌ" كعافيةٍ، وكما قال الكسائيُّ في "آية": إن أصلها: "آيِيَة" فاعِلة، فحُذفت اللّام، فلمّا حُذفت وقعَت واوُ الجمع بعد اللّام من تَعَالَى فضُمَّت فصار: تَعالُوا، نحو: تقدَّموا، ومنه قولُ أهل مكّة: "تعالِي" بكسر اللّام للمرأة، وفي شعر الحَمْدَانيِّ:

تعالِي أُقَاسِمْكِ الهمُومَ تعالِي

والوجهُ فتح اللّام

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿فَكَيْفَ﴾ تكون حالُهم، وكيف يصنعون؟ ....

قوله:[١] (كقوله تعالى: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم﴾ [البقرة ٢/٢٥٧]) فإنّ جمع الأولياء وجمع الضمير في ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾ يدل على أنّ الطاغوت جمع.

قوله: (مِن "تعاليتُ") أو مِن "تعالى"، وبعضهم قال كذلك، والمعنى واحد، وإذا كان كذلك فلا يكون في آخر مضارعه ياء؛ بل يكون "يتعالُ" فيجري مَجرى "يتقدّم" و"يضع" و"يخاف"[٢] و"يُدحرِج"، فيكون أمرُ الجمع[٣] المذكّر منه بضمّ ما قبل الواو وأمرُ الواحدة المخاطبة بكسر ما قبل الياء.

قوله: (تعالِي)، أوّله:

أيا جارتا ما أنصفَ الدهر بيننا[٤]

---

١ ن ر – قوله.

٢ ن ر – ويخاف.

٣ ر: الجميع.

٤ البيت لأبي فراس الحمداني في ديوانه، ٣/٣٢٥.

يعني: أنَّهم يعجزون عند ذلك فلا يُصْدِرون أمرًا ولا يُورِدونه.

﴿إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من التَّحاكُم إلى غيرك واتِّهامِهم لك في الحكم.

﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ حين يصابون فيعتذرون إليك و﴿يَحۡلِفُونَ﴾ ما أردنا بتحاكُمِنا إلى غيرك ﴿إِلَّآ إِحۡسَٰنًا﴾: لا إساءةً ﴿وَتَوۡفِيقًا﴾ بين الخصمين، ولم نُرِدْ مخالفةً لك ولا تَسَخُّطًا لحكمك، ففرِّج عنَّا بدعائك.

وهذا وعيدٌ لهم على فعلهم وأنهم سيَنْدَمون عليه حين لا ينفعهم النَّدم، ولا يُغني عنهم الاعتذارُ عند حلول بأس الله.

وقيل: جاء أولياءُ المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله، فقالوا: ما أردنا بالتَّحاكم إلى عمر إلَّا أن يُحْسِنَ إلى صاحبنا بحكومة العدل والتَّوفيق بينه وبين خصمه، وما خَطَرَ ببالنا أنَّه يحكم له بما حكم به.

قوله: (يعني أنَّهم يعجزون) إشارة إلى أنَّ هذا الاستفهام بمعنى الخبر، فالمعنى لا يقدرون على شيء إذا أصابتهم مصيبة.

قوله: (لا إساءةً) عطف بـ"لا" بعد النفي والاستثناء، وقد منع جواز ذلك بعضهم.

قوله: (تسخَّطًا)، أي: عدم الرضا به وعدم الاعتداد له، و«السَّخَط والسُّخْط:[١] خلاف الرضا. وقد سَخِط، أي: غضب، فهو ساخط. وأسخطه، أي: أغضبه. ويقال: تسخَّط عطاءه، أي: استقلَّه ولم يقع [منه][٢] موقعًا».[٣]

قوله: (عند حلول) بدل مِن قوله: (حين لا ينفعهم).

قوله: (وقيل: جاء) عطف على قوله: (حين يصابون فيعتذرون)، فإنَّ الوجه الأوّل إشارة إلى أنَّ مجيئهم للاعتذار ممَّا فعلوا، والوجه الثاني أنَّ مجيئهم[٤] لطلب دم المقتول وهو القصاص أو الديَة.

---

[١] ر - والسخط.
[٢] د ن ر - منه. | وزدتها من الصحاح.
[٣] الصحاح للجوهري، «سخط».
[٤] ر: محبتهم.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣﴾

﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾: لا تُعاقِبْهم؛ لمصلحةٍ في استبقائهم، ولا تَزِدْ على كفِّهم بالموعظة والنَّصيحة عمَّا هم عليه ﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾: بالِغْ في وعظهم بالتَّخويف والإنذار.

فإن قلتَ: بم تعلَّق قوله: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾؟

قلت: بقوله: ﴿بَلِيغٗا﴾؛ أي: قل لهم قولًا بليغًا في أنفسهم مؤثِّرًا في قلوبهم، يَغْتمُّون به اغتمامًا ويستشعِرون منه الخوفَ استشعارًا، وهو التوعُّدُ بالقتل والاستئصالِ إنْ نَجَم منهم النِّفاق وأَطْلع قَرْنه، وأَخبِرْهم أنّ ما في نفوسهم من الدَّغَل والنِّفاق معلومٌ عند الله، وأنَّه لا فرق بينكم وبين المشركين، وما هذه المكافَّةُ إلَّا لإظهاركم الإيمانَ وإسرارِكم الكفرَ وإضمارِه، فإن فعلتُم ما تَكشفون به غطاءكم لم يبقَ إلَّا السَّيف.

قوله: (**إن نَجَم**)، أي: ظهر قَرنه. "قَرْن كلّ شيء": أوّله.

قوله: (**مِن الدَّغل**) «الدَّغَل بالتحريك: الفساد، مثل الدَّخَل؛[1] يقال: "قد أدغَل في الأمر" إذا أدخَل فيه ما يُخالفه ويُفسِده».[2]

قوله: (**وأنّه**) عطف على قوله: (**أنّ ما في نفوسهم**) مِن حيث المعنى، فكأنّه قال: وخاطِبهم بأنّه لا فرقَ بينكم... إلخ، ولهذا عدل مِن الغَيبة إلى الخطاب، وذلك قريب مِن قوله تعالى: ﴿سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ﴾ [آل عمران ١٢/٣] بالياء والتاء.[3]

قوله: (**المُكافّة**)، أي: المنع[4] مِن الحرب.

وقوله: (**وما هذه المُكافّة**) عطف على قوله: (**لا فرقَ**)، أي: أنتم مثل باقي الكفرة، وإنّما يُترك القتال معكم لإظهاركم الإيمان.

---

١ ن: الرحل.

٢ **الصحاح** للجوهري، «دغل».

٣ قرأ حمزة والكسائي وخلف بالغيب وقرأ باقي العشرة بالخطاب. النشر لابن الجزري، ٢٣٨/٢.

٤ ر + أي.

أو يتعلق بقوله: ﴿قُل لَّهُمْ﴾؛ أي: قل لهم في معنى أنفسِهم الخبيثةِ وقلوبهم المطويَّة على النِّفاق قولًا بليغًا، وأنَّ الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يُغني عنكم إبْطانُه، فأصلحوا أنفسَكم وطَهِّروا قلوبكم وداوُوها من مرض النِّفاق، وإلَّا أَنْزَل الله بكم ما أَنْزَل بالمجاهرين بالشِّرك من انتقامه وشرًّا من ذلك وأغلظَ.

أو: قل لهم في أنفسهم خاليًا بهم ليس معهم غيرُهم مُسارًّا لهم بالنَّصيحة؛ لأنَّه في السِّر أنجعُ، وفي الإمحاض أدخلُ ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ يبلغُ منهم ويؤثِّر فيهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ﴾: وما أرسلنا رسولًا قطُّ.

﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بسبب إذن الله في طاعته، وبأنَّه أَمَر المبعوثَ إليهم بأن يطيعوه ويتَّبعوه؛ لأنَّه مؤدٍّ عن الله، فطاعتُه طاعةُ الله ومعصيتُه معصيةُ الله، و﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء ٤/٨٠].

قوله: (ما في قلوبكم) عدل فيه من الغَيبة إلى الخطاب كما تقدَّم.

قوله: (مُسارًّا) بالسين غير المعجمة.

قوله: (وفي الإمحاض) «محضتُه الودَّ: أمحضتُه.[1] وكلّ شيء أخلصتَه فقد[2] أمحضتَه».[3]

قوله: (في طاعته)، أي: في طاعة الرسول.

قوله: (﴿وَمَن يُطِعِ﴾) الواو واو[4] القرآن.[5]

قوله: (قطُّ) اعلم أنَّه استُفيد هذا المعنى مِن زيادة ﴿مِن﴾[6] في قوله تعالى: ﴿مِن رَّسُولٍ﴾.

---

[1] ر: أمحضه.
[2] د - فقد.
[3] **الصحاح** للجوهري، «محض».
[4] ر - واو.
[5] ر: والقرآن.
[6] ر - من.

ويجوز أن يراد: بتَيْسير الله وتوفيقه في طاعته.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالتَّحاكم إلى الطَّاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبينَ من النِّفاق متنصِّلين عمَّا ارتكبوا.

﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ من ذلك بالإخلاص، وبالَغوا في الاعتذار إليك من إيذائك برَدِّ قضائك حتَّى انتصبتَ شفيعًا لهم إلى الله ومستغفِرًا.

﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾: لعَلِموه توَّابًا؛ أي: لتابَ عليهم.

ولم يُقلْ: «واستغفرتَ لهم» وعُدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيمًا لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعظيمًا لاستغفاره، وتنبيهًا على أنَّ شفاعة مَن اسمُه الرسولُ من الله بمكانٍ.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٦٥﴾

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ معناه: فوربِّك؛ كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾ [الحجر ١٥/٩٢]، و"لا" مزيدةٌ لتأكيد معنى القسم كما زيدت في ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾ لتأكيدِ وجودِ العلم، و﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ جواب القسم.

فإن قلتَ: هلَّا زعمتَ أنها زِيدت ....

قوله: (بتيسير الله)،[١] أي: المراد بالإذن التيسير؛ لأنّه تعالى إذا يسّر الأمر على أحد فكأنّه قد أذِنه فيه، وإذا لم يُيسِّر عليه فكأنّه لم يأذنه[٢] فيه.

قوله: (متنصِّلين) «نصَّلتُ السهم تنصيلًا: نزعتُ نصله، وهو كقولهم: "قرَدتُ[٣] البعير وقذّيتُ العين" إذا نزعت منه القُراد والقُذى،[٤] وكذلك[٥] إذا ركّبت عليه النصل، وهو من الأضداد».[٦]

---

١ ن + تعالى.
٢ ن: يأذن.
٣ ن: فرددت.
٤ ن: القرى.
٥ ن: وكذا.
٦ **الصحاح** للجوهري، «نصل».

لتُظاهِرَ ﴿لَا﴾ في ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟

قلتُ: يأبَى ذلك استواءُ النَّفي والإثباتِ فيه، وذلك قولُه: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة ٦٩/٣٨-٤٠].

﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: فيما اختَلف بينهم واختَلط، ومنه: الشَّجر؛ لتداخُلِ أغصانه.

﴿حَرَجًا﴾: ضِيقًا؛ أي: لا تَضيقُ صدورُهم من حُكمك.

وقيل: شكًّا؛ لأنَّ الشَّاكَّ في ضيقٍ من أمره حتَّى يَلُوحَ له اليقينُ.

﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾: ويَنقادُوا ويُذْعِنُوا لِمَا تأتي به من قضائك لا يُعارضونه بشيءٍ، من قولك: سَلَّم لأمر الله وأسلَمَ له، وحقيقتُه: سَلَّم نفسَه له وأسلَمها: إذا جعلها سالمةً له خالصةً.

و﴿تَسْلِيمًا﴾ تأكيد للفعل بمنزلة تكريره، كأنَّه قيل: وينقادوا لِحُكمه انقيادًا لا شبهةَ فيه بظاهرهم وباطنهم.

قيل: نزلت في شأن المنافق واليهوديِّ.

قوله: (لتظاهر)[١] التظاهر: التعاون. ويريد أنَّه يكون تأكيدًا[٢] لنفي[٣] وتكريرَه وتقويتَه.

/ قوله:[٤] (يأبى ذلك)، أي: كون الزيادة للتظاهر. [٣٠٨و]

قوله: (فيه)، أي: في الإتيان بـ"لا"، ثمَّ لمَّا قال النفي والإثبات متساويان فيه أشار إلى مثال إتيانه[٥] في الإثبات بقوله: (وذلك قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾... إلخ [الحاقة ٦٩/٣٨])، فإنَّ جواب القسم وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة ٦٩/٤٠] مع أنَّه مثبت فقد جيء بـ"لا".

قوله: (مِن قولك: سلَّم)،[٦] أي: قوله تعالى: ﴿يُسَلِّمُواْ﴾ مِن قولك: سلَّم.[٧]

---

١ ن: ليتظاهر؛ ر: ليصاهر.

٢ ر: تأكيدَ.

٣ ر: النفي.

٤ ن – قوله.

٥ ن ر: إثباته.

٦ ر: أسلم.

٧ ن ر – أي: قوله تعالى: ﴿يُسَلِّمُواْ﴾ من قولك: سلَّم.

وقيل: في شأن الزُّبير وحاطب بن أبي بَلْتَعةَ، وذلك أنَّهما اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شِراجٍ منَ الحَرَّة كانا يسقيان بها النَّخلَ، فقال: «اِسْق يا زبيرُ ثم أرْسِل الماء إلى جارك» فغَضِبَ حاطبٌ وقال: لِأَنْ كان ابنَ عمَّتك، فتغيَّر وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمَّ قال: «اسقِ يا زبير ثمَّ احْبِس الماء حتَّى يرجع ....

قوله: **(في شِراج)**[1] اختلفت الرواية في **صحيح البخاري**: رواه[2] بعضهم "شريج"،[3] ورواه بعضهم "شِراج"،[4] و"شِراج"[5] هو الصواب، وهو جمع "شَرْج"، والشَّرْج: مَسيل الماء مِن الحَرَّة، أي: مِن بينِ الحجارة إلى الموضع السهل، يعني: كانت أرض الزُّبير[6] أعلى مِن أرض الأنصاري، وكانت كلتا الأرضين تُسقيان[7] من ماء جارٍ في وادٍ.

قوله: **(لأن)** كان هذا اللفظ في **صحيح البخاري** بغير اللام،[8] وكذا أورده محيي السنّة في **المصابيح**،[9] أي: لأن كان ابن عمّتك حكمتَ بما حكمت. وقد اجترأ جمع مِن المفسّرين على نسبة الرجل تارة إلى النفاق وأخرى إلى اليهوديّة. وكلا القولين[10] زائغ عن الحقّ؛ لأنّه كان أنصاريًا، ولم يكن الأنصار من اليهود، واحترز السلف أن يُطلقوا "الأنصاريّ" على مَن ذُكر بالنفاق. ورواية الحديث هكذا: «خاصم الزُّبير رجلًا مِن الأنصار»،[11] ثمّ بعده هكذا: «**فقال الأنصاري: أن كان**»[12] بدل قوله: **(فغضب حاطب وقال:[13] لأن)**. فالأولى بالمتحفِّظ على دينه

---

١ ن: سراج.

٢ ر: رواية.

٣ انظر هذه الرواية في صحيح البخاري، ١١١/٣ (٢٣٥٩)، (٢٣٦٢)، ١٨٧ (٢٧٠٨). وهي في صحيح مسلم، ١٨٢٩/٤ (٢٣٥٧).

٤ ن: سراج. | انظر هذه الرواية في صحيح البخاري، ٤٦/٦ (٤٥٨٥).

٥ ن ر: وسراج.

٦ ن: بالزبير.

٧ ن: لسفيان.

٨ انظر: **صحيح البخاري**، ١١١/٣ (٢٣٥٩)، (٢٣٦٢)، ١٨٧ (٢٧٠٨).

٩ **مصابيح السنّة للبغوي**، ٣٦٥/٢ (٢٢٠٥).

١٠ ن: القولان.

١١ ن: الأنصاري. | انظر: **صحيح البخاري**، ١١١/٣ (٢٣٦٢).

١٢ انظر: **صحيح البخاري**، ١١١/٣ (٢٣٦٢).

١٣ ن: فقال.

إلى الجَدْرِ، واستَوفِ حقَّك ثمَّ أرسِلْه إلى جارك».

كان قد أشارَ على الزُّبير برأيٍ فيه السَّعةُ له ولخصمه، فلمَّا أحفَظَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم استوْعَبَ للزُّبير حقَّه في صريحِ الحكم، ثمَّ خرجَا فمرَّا على المِقْدادِ، فقال: لمن كان القضاءُ؟ فقال الأنصاريُّ: قضَى لابن عمَّته، ولَوَى شِدْقَه، ففطن يهوديٌّ كان مع المقداد، فقال: قاتَلَ الله هؤلاء، يشهدون أنَّه رسول الله ثمَّ يتَّهمونه في قضاءٍ يَقْضِي بينهم، وايمُ الله لقد أَذْنَبنا ذَنْبًا مرةً في حياة موسى فدعانا إلى التَّوبة منه فقال: اقتلوا أنفسكم، ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفًا في طاعة ربِّنا حتَّى رضي عنَّا. فقال ثابت بن قيس بن شَمَّاسٍ: أما والله إنَّ الله ليعلمُ منِّي الصِّدقَ، لو أمرني محمدٌ أنْ أَقْتُل نفسي لقتلتُها.

ورُوي أنَّه قال ذلك ثابتٌ وابنُ مسعودٍ وعمَّارُ بنُ ياسرٍ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إنَّ من أمَّتي رجالًا الإيمانُ أثبت في قلوبهم من الجبال الرَّواسي».

ورُوي عن عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّه قال: والله لو أَمَرنا ربُّنا لفعلنا، والحمدُ لله الذي لم يفعل بنا ذلك، فنزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن هؤلاء.

أن يقول: "هذا قولٌ أزلَّه الشيطان فيه[1] بتمكُّنه عند الغضب"، وغيرُ مُستبدَع مِن الصفات البشريّة الابتلاءُ بأمثال ذلك.

قوله: («**إلى الجَدْر**»)[2] الجَدْر هنا بمعنى الجِدار الصغير في الأصل، ولهذا يقال للحَجْر[3] الجَدْر.[4] والمراد ههنا الجدار الذي يحيط بالمزرعة، وأهل مكّة يسمّونه "المَرْز" وأهل اليمن العَذِبة.[5]

قوله: (**فنزلت الآية**)،[6] أي: قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾.

---

[1] ن: منه.

[2] صحيح البخاري، ٣/١١١ (٢٣٥٩)، (٢٣٦٢)، ١٨٧ (٢٧٠٨)؛ ٦/٤٦ (٤٥٨٥).

[3] ن: الحجر.

[4] ر: الحور.

[5] ن: والمعذبة.

[6] ر + في شأن هؤلاء، أي: القائلين لو أمرني محمّد أن أقتل نفسي لقتلتها قوله: فنزلت الآية.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: ولو أوجَبْنا عليهم مثلَ ما أوجَبْنا على بني إسرائيل مِن قتلِهم أنفسَهم أو خروجِهم من ديارهم حين استُتِيبُوا من عبادة العجل ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا﴾ ناسٌ ﴿قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾، وهذا توبيخٌ عظيم.

والرَّفع في ﴿قَلِيلٌ﴾ على البدل من الواو في "فعلوا".

وقرئ: ﴿إلَّا قليلًا﴾ بالنَّصب على أصل الاستثناء، أو على: إلَّا فِعْلًا قليلًا.

﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من اتِّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعتِه، والانقيادِ لِمَا يراه ويحكُم به؛ لأنَّه الصَّادقُ المَصْدوقُ الَّذي لا يَنطقُ عن الهوى.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في عاجلهم وآجلهم ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ لإيمانهم، وأبعدَ من الاضطراب فيه.

﴿وَإِذًا لَّأٓتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَإِذًا﴾ جوابٌ لسؤالٍ مقدَّر، كأنَّه قيل: وماذا يكون لهم أيضًا بعد التَّثبيت؟

قوله: (﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا﴾)، أي: نزلت هذه الآية في شأن هؤلاء، أي: القائلين لو أمرني محمّد أن أقتل نفسي لقتلتها.

قوله: (إلّا فعلًا) فيكون منتصبًا على المصدر. وتحقيقه أنّه يكون استثناء مفرَّغًا على هذا الوجه، أي: فعلًا ما إلّا فعلًا قليلًا.

قوله: (المصدوق)[١] النبيّ عليه[٢] السلام صادقٌ[٣] فيما يخبر ويقول مِن أمر الدِّين وغيره، ومصدوق باعتبار أنّ الله تعالى صادق فيما أوحى إليه، كما قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا﴾ [الفتح ٢٧/٤٨]، يقال: "صدقتُ زيدًا" بالتخفيف، أي: قلتُه الصدق، ويقال: صَدَقه الحديثَ وصَدَق في الحديث.[٤]

---

١ ن: والمصدوق.
٢ ن: الصلاة و.
٣ ن: صادقًا.
٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «صدق».

فقيل: ﴿وَإِذًا﴾ لو ثَبَتوا ﴿لَّآتَيْنَـٰهُم﴾؛ لأنّ "إذن" جوابٌ وجزاءٌ.

﴿مِن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ كقوله: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء ٤/٤٠] في أنّ المراد العطاءُ المتفضَّلُ به من عنده، وتسميتُه أجرًا؛ لأنّه تابعٌ للأجر لا يَثبت إلّا بثباته.

﴿وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ﴾: ولَلَطفْنا بهم ووفَّقناهم لازدياد الخيرات.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾

"الصِّدِّيقون": أفاضلُ صحابةِ الأنبياء الذين تقدَّموا في تصديقهم كأبي بكر الصِّديق رضي الله عنه، وصَدَقوا في أقوالهم وأفعالهم، وهذا ترغيبٌ للمؤمنين في الطَّاعة حيث وُعِدوا مرافقةَ أقرب عباد الله إلى الله وأرفعِهم درجاتٍ عنده.

﴿وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ ....

قوله تعالى: (﴿وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾) يقال: «"قد حَسُن الشيء"، وإن شئت خفّفت الضمة فقلت: "حَسْنَ الشيءُ"، ولا يجوز أن تنقل الضمة إلى الحاء لأنّه خبر، وإنّما يجوز النقل إذا كان بمعنى المدح أو الذم، لأنّه يشبه في جواز النقل "نعم وبئس"، وذلك أنّ الأصل فيهما "نَعِمَ وبَئِسَ"، فسُكِّن ثانيهما ونُقلت حركته إلى ما قبله، وكذلك كلُّ[1] ما كان في معناهما. قال:

لم يمنع الناسُ منّي[2] ما أردتُ وما أُعطيهمُ ما أرادوا حُسْنَ ذا أدبا[3]

أراد حسُن هذا[4] فخفّف ونقل».[5]

---

١ ن ر: لكل.

٢ ر: حتى.

٣ البيت لسهم بن حنظلة الغَنَوي في الأصمعيّات للأصمعي، ص ٥٦؛ ومنتهى الطلب لابن ميمون، ١/٣٩٨؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ٨/٣٠٩؛ وهو بلا عزو في إصلاح المنطق لابن السِّكِّيت، ص ٣٥؛ والصحاح للجوهري، «حسن»، وفي أكثرها «ولا» مكان «وما».

٤ ر – حسن هذا.

٥ الصحاح للجوهري، «حسن».

فيه معنى التَّعجُّب، كأنَّه قيل: وما أَحْسن أولئك رفيقًا! ولاستقلاله بمعنى التَّعجُّب قرئ: "وحَسْن" بسكون السِّين، يقول المتعجِّب: "حَسْنَ الوجهُ وَجْهُك" و: "حُسْنَ الوجهُ وجهُك" بالفتح والضَّم مع التَّسكين.

والرَّفيق: كالصَّديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه، ويجوز أن يكون مفردًا بُيِّنَ به الجنسُ في بابِ التَّمييز.

ورُوِي: أنَّ ثوبانَ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديدَ الحبِّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليلَ الصبر عنه، فأتاه يومًا وقد تغيَّر وجهه ونَحَلَ جسمُه وعُرِف الحُزن في وجهه، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله، فقال: يا رسول الله! ما بي من وجعٍ، غيرَ أَنّي إذا لم أرك اشتقتُ إليك واستوحشتُ وَحْشةً شديدةً حتَّى أَلقاك، فذكرتُ الآخرة فخِفتُ أنْ لا أراك هناك؛ لأنِّي عَرفتُ أنَّك تُرفع مع النَّبيِّين، وإن أُدخِلْتُ الجنة كنتُ في منزلٍ دون منزلك، وإن لم أُدخل فذاك حين لا أراك أبدًا، فنزلت، فقال صلى الله عليه وسلم: «والَّذي نفسي بيده لا يؤمنُ عبدٌ حتى أكون أحبَّ إليه مِن نفسه وأبويه وأهله وولده والنَّاس أجمعين».

وحُكي ذلك عن جماعة من الصَّحابة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ۝٧٠﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ و﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾ صفتُه و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ الخبرُ.

ويجوزُ أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأً، ....

[٣٠٨ظ] قوله: / (فيه معنى[١] التعجُّب) لأنّ ﴿حَسُنَ﴾ يدل على لزوم الحُسْن[٢] وكونِه كالأمر الطبيعيّ لهم، و﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ يدلّ على رِفعة منزلتهم وبُعد مرتبتهم، وأيضًا ففي الإجمال والتفصيل الحاصلَين بذِكر التمييز مِن المبالغة ما لا يخفى، فهذه اللطائف[٣] أفادت المبالغة في المعنى وهو حاصل معنى التعجُّب. ثمّ أشار إلى أنّ المتعجِّب قد يورد الكلام بصيغة فعل المدح، وإعرابُ[٤] ما ذكر مثلُ إعراب "نِعْم الرجل زيدٌ".

---

[١] ر + حسن هذا فخفف ونقل قوله فيه معنى.
[٢] ر - الحسن.
[٣] ر: المطابقة.
[٤] ر: والإعراب.

و﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبرُه، والمعنى: أنَّ ما أُعطي المطيعون من الأجر العظيم ومرافقةِ المنعَم عليهم من الله؛ لأنَّه تَفضَّل به عليهم تبعًا لثوابهم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ بجزاءِ مَن أطاعَه، أو أرادَ: أن فضلَ المنعَم عليهم ومَزِيَّتَهم من الله؛ لأنَّهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ بعباده فهو يوفِّقهم على حسَب أحوالهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾

﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ الحِذْرُ والحَذَرَ بمعنًى؛ كالإِثْرِ والأَثَر، يقال: أخذ حِذْرَه إذا تيقَّظ واحترز من المَخوف، كأنَّه جَعل الحِذْر آلتَه التَّي يَقِي بها نفسَه ويَعْصِمُ بها رُوحَه، والمعنى: إحْذَروا واحترِزوا من العدوِّ ولا تُمَكِّنُوه من أنفسكم.

﴿فَٱنفِرُواْ﴾ إذا نفرتم إلى العدوِّ إمَّا ﴿ثُبَاتٍ﴾: جماعاتٍ متَّفرِّقةً سَرِيَّةً بعد سَرِيَّةٍ. وإمَّا ﴿جَمِيعًا﴾؛ أي: مجتمِعين كَوْكَبَةً واحدةً، ولا تتخاذَلوا فتُلقوا بأنفسِكم إلى التَّهلكة.

قوله: (و﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره) ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ على هذا التقدير حال، أو ﴿مِنَ﴾ صلة ﴿ٱلْفَضْلُ﴾.

قوله: (**أو أراد**) عطف مِن حيث المعنى إلى قوله: (**والمعنى أنَّ ما أُعطيَ**)، وعلى الوجه **الأوَّل** يكون قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةً إلى ما أُعطي مَن يطع الله، وعلى الوجه **الثاني** يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةً إلى المعنى "ما أُعطيَ[١] الذين أنعم الله عليهم مِن النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين". ثمّ فسّر قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ على كلّ واحد مِن الوجهين بما يُناسبه.

قوله: (**الحذرَ آلتَه**) شبّه الحذر بالسلاح فأطلق الحذر وأراد السلاح استعارة بالكناية، والقرينة ﴿خُذُواْ﴾، قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء ٤/١٠٢]، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الحشر ٥٩/٩]،

---

[١] ر + من يطع الله وعلى الوجه الثاني يكون ذلك إشارة إلى المعنى ما أُعطي.

وقرئ: "فانفُروا" بضمِّ الفاء.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾﴾

اللَّام في ﴿لَمَن﴾ للابتداء بمنزلتها في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ [النحل ١٦/١٨]، وفي ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ جوابُ قسمٍ محذوفٍ تقديره: وإنَّ منكم لمن أُقسِم بالله ليبطِّئنَّ، والقسمُ وجوابُه صلةُ "مَن"، ....

جعل الإيمان متبوّأ بمنزلة الدار، أي: هم متمكِّنون في الإيمان كتمكُّنهم في الدار. قال الفرزدق:

تنظَّرتُ[١] نصرًا[٢] والسِّماكين أيُّهما علَيَّ مِن الغيث استهلَّت[٣] مواطِرُه[٤]

فجعل الرجل الذي اسمه نصر بمنزلة السِّماكين في الجدوى. والمواطر: جمع ماطرة. أراد بالسِّماكين السِّماك الرامح والسِّماك الأعزل، وهما صورتان مِن صور النجوم إحداهما على صورة رجل بيده الرُّمح والثانية على صورة رجل لا رمحَ بيده، والأعزل: الخالي عن السلاح.

قوله: (صلة "مَن") فإنَّ القسَم جملة خبريّة تقع تأكيدًا لجملة[٥] أخرى خبريّة، فلا يمتنع وقوعه صلة لموصول. وفيه بحث وهو أنّ القسَم إنشاء لا يصلح صلة للموصول، فالصلة بالحقيقة جواب القسَم والقسَم[٦] كالتأكيد له، قال ابن الحاجب في شرح المفصّل:

القسَم جملة إنشائية تؤكّد بها جملة أخرى، فإنّ كانت خبرية فهو القسَم لغير الاستعطاف، وإن كانت طلبيّة فهو القسَم للاستعطاف،[٧] كقولك:

---

١ ن ر: نظرت.

٢ ن ر: نظرًا.

٣ ن ر: استمكت.

٤ ن ر: موطن به. | والبيت للفرزدق في ديوانه ٣٤٧/١؛ وهو له في اللباب للعكبري، ١٠٧/٢؛ والمحكم لابن سيده، ٢٤٢/١٢، «أبي». ونصر المذكور هو نصر بن سيّار أمير خراسان لمروان بن محمّد آخر الأمويين.

٥ ر: جملة.

٦ ن ر – والقسم.

٧ ر – وإن كانت طلبية فهو القسم للاستعطاف.

والضَّميرُ الراجعُ منها إليه ما استكنَّ في ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾، والخطابُ لعسكرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمُبَطِّئون منهم المنافقون؛ لأنَّهم كانوا يَغْزُون معهم نفاقًا.

ومعنى ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾: ليتثاقلنَّ وليتخلَّفنَّ عن الجهاد، و"بَطَّأَ" بمعنى: "أَبْطَأَ" -كـ"عتَّم" بمعنى: "أَعْتَم"-: إذا أبطأ.

"بالله أخبرني"، ومِن شأنهما أن تُنزّلا منزلة جملة واحدة لأنّهما كالشرط والجزاء، إذ الأولى لم تُقصَد بمجردها وإنّما أُتي بها لغرض الثانية، فلا بدّ من الثانية معها، فلمّا ارتبطتا[١] صارتا كالجملة الواحدة كالشرط والجزاء، نَعَم لو أُسقطت الأولى لاستقلّت الثانية كما لو أسقطت الأولى في الشرط لاستقلّ الجزاء إذا أُعرب بنفسه، ولكنّه لا يصير مقسَمًا عليه كما لا يكون جواب الشرط جزاءً عند حذف[٢] الشرط، وليس للقسم في جوابه عمل فلذلك جاز[٣] حذفُ الأولى عنه مِن غير شريطة، بخلاف الشرط فإنّ له فيه عملًا إذا كان مضارعًا أو حرفًا يدلّ على الجزائيّة كـ"الفاء" و"إذا" فيُشترط عند حذف[٤] الشرط إزالةُ ذلك، والقسمُ[٥] / وإن كان له في الجواب ألفاظٌ لأجلها فجائز أن يُحذَف مع بقائها،[٦] كقولك: "إنّ زيدًا قائم" وقد كان يقال: "والله إنّ زيدًا قائم"، وأما حذف الثانية فلا بدّ مِن قرينة خاصّة تُشعِر بذِكرها كالجزاء[٧] وجواب "لو" وخبر المبتدأ ونظائرها.[٨] [٣٠٩و]

قوله: (منها)، أي: مِن الصلة.

قوله: (إليه)، أي: إلى الموصول.

قوله: (منهم)، أي: مِن العسكر.

---

١ ن ر: ارتبطا.
٢ ن: حرف.
٣ ر + زيد.
٤ ن: حرف.
٥ ر: القسم.
٦ ن ر: نقلها.
٧ ر + والجواب.
٨ انظر: **الإيضاح في شرح المفصَّل** لابن الحاجب، ٣٢٣/٢.

وقرئ: "ليُبْطِئَنَّ" بالتَّخفيف، يقال: بطأ عليَّ فلانٌ وأبطأ عليَّ، وبطُؤَ نحو: ثقُل، ويقال: ما بطَّأ بك؟ فيُعدَّى بالباء.

ويجوز أن يكون منقولًا من "بَطُؤَ"؛ نحو "ثَقَّلَ" مِن "ثَقُلَ" فيراد: ليُبطئنَّ غيرَه وليُثبِّطنَّه عن الغزو، وكان هذا دَيْدنَ المنافقِ عبدِ الله بن أُبيٍّ، وهو الَّذي ثبَّط النَّاس يومَ أُحدٍ.

﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ من قتلٍ أو هزيمة.

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من فتحٍ أو غنيمةٍ.

﴿لَيَقُولَنَّ﴾ وقرأ الحسن: "ليقولُن" بضمّ اللَّام إعادةً للضَّمير إلى معنى "مَن"؛ لأنَّ قوله: ﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ في معنى الجماعة.

وقولُه: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ اعتراضٌ بين الفعل الذي هو ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ وبين مفعوله وهو ﴿يَٰلَيْتَنِى﴾ والمعنى: كأنْ لم يتقدَّم له معكم موادَّةٌ؛ لأنَّ المنافقين كانوا يوادُّون المؤمنين ويُصادقونهم في الظَّاهر، وإنْ كانوا

قوله: ("ليُبطِئَنَّ")[1] فيكون مِن باب "الإفعال" وعلى الأوّل كان مِن التفعيل.

قوله:[2] (بطأ[3] عليَّ) إذا تأخّر مجيئه عندك.

قوله: (منقولًا)، أي: متعدّيًا بالتثقيل.

قوله:[4] (بضمّ) فيكون للجمع.

قوله: (اعتراضٌ) وهذا الاعتراض في غاية الجزالة، إذ يفيد أنّكم يحسدونكم بما يصل إليكم مِن الخير كأن لم يكن بينكم وبينهم مودّة.

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد والزعفراني وإبراهيم. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٦٦٨.

[2] ن – قوله.

[3] ر – قوله: بطأ.

[4] ن ر – منقولًا، أي: متعديًا بالتثقيل. قوله.

يَبْغونَ لهم الغوائلَ في الباطن، والظَّاهر أنَّه تهكُّمٌ بهم؛ لأنهم كانوا أَعْدَى عدوٍّ للمؤمنين وأشدَّهم حَسَدًا لهم، فكيف يوصفون بالمودَّة إلَّا على وجهِ العكس تهكُّمًا بحالهم؟

وقرئ: "فأفوزُ" بالرَّفع عطفًا على ﴿كُنتُ مَعَهُمْ﴾ لِيَنتظِمَ الكونَ معهم والفوزَ معنى التَّمنِّي فيكونا متمنَّيين جميعًا، ويجوز أن يكون خبرَ مبتدأ محذوف بمعنى: فأنا أفوزُ في ذلك الوقت.

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿يَشْرُونَ﴾ بمعنى: يشترون ويبيعون، قال ابن مُفرِّغ:

وشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي مِن بَعدِ بُرْدٍ كنتُ هامَهْ

فالذين يشترون الحياة الدُّنيا بالآخرة هم المُبَطِّئون، ....

قوله: (إلّا على وجهِ)، أي: لا يوصفون بالمودّة إلّا على وجه العكس.

قوله: (معنى التمنّي) فاعل (لينتظِمَ).

قوله: (بمعنى: يشترون) يريد أن ﴿يَشْرُونَ﴾ في الآية بمعنى يشترون ويبيعون جميعًا، فتكون الآية في حقّ المنافقين والمؤمنين جميعًا، وتقريره[1] كما ذكر في الكتاب، وهذا مبنيّ على جواز استعمال اللفظ المشترك في معنييه معًا، وهو ممّا اختلف فيه العلماء.

قوله: (هامَهْ) بعده:

هامةً تشكو الصدى بين المُشقَّر واليمامَهْ[2]

"شريتُ" بمعنى بِعتُ. و"برد": اسم غلام باعه فندم على بيعه فتمنّى الموت؛

---

[1] ن ر: وتفسيره.

[2] الشعر ليزيد بن مفرّغ الحميري في ديوانه، ص ٢١٣-٢١٤؛ وهو له في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ١/٣٤٩-٣٥٠؛ والأضداد لابن الأنباري، ص ٧٣؛ وغريب الحديث للخطابي، ٢/٢٠٦-٢٠٧. والمشقَّر واليمامة موضعان.

وُعظوا بأنْ يُغيِّروا ما بهم من النفاق، ويُخلِصوا الإيمانَ بالله ورسوله، ويجاهدوا في سبيل الله حقَّ الجهاد، والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبُّون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها، والمعنى: إنْ صَدَّ الذين مَرِضتْ قلوبهم وضعُفت نيّاتهم عن القتال فليقاتِل الثابتون المُخلِصون، ووَعَد المقاتلَ في سبيل الله ظافرًا أو مظفورًا به إيتاءَ الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دِين الله.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ فيه وجهان:

لأنّ الهامة عندهم عبارة عن الموت. وقوله: "هامةٌ" بدل مِن الهامة[١] المذكورة أوّلًا. وقوله: "تشكو" صفة "هامة". والصدى: العطش.

قوله: (كنتُ هامَةْ) والهامة: طائر الليل. ومِن زعمات العرب أنّ عظام الميّت تصير هامة وتطير ويقال لها أيضًا: الصدى، وأنّ الرجل إذا[٢] قُتل خرج مِن رأسه تلك فتصيح:[٣] "وافلانا"ه إذا لم يُطلب ثأره وأُخِذ دِيته.[٤] فيقول هذا الشاعر: بعتُ هذا الغلام وليتني متُ بعد[٥] بيعه.

قوله: (والمعنى: إن صدّ) أشار إلى تفسير الآية على التقدير الأوّل بقوله: (وُعظوا)... إلخ، وعلى التقدير الثاني بقوله: "والمعنى إن صدّ"... إلخ، أي: إن أعرض الذين.[٦]

---

١ ن ر – عندهم عبارة عن الموت، وقوله: هامة بدل من الهامة.

٢ ر: دل.

٣ ن ر: وتصيح.

٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «هيم».

٥ ر – بعد.

٦ أي: إلى آخر الكلام.

أن يكون مجرورًا عطفًا على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في سبيل الله وفي خلاصِ المستضعَفين.

ومنصوبًا على الاختصاص، يعني: وأَخْتَصُّ من سبيل الله خلاصَ المستضعفين؛ لأن سبيل الله عامٌّ في كلِّ خيرٍ، وخلاصُ المستضعَفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظمِ الخير وأخصِّه.

والمستضعفون: هم الذين أسلموا بمكة وصدَّهم المشركون عن الهجرة، فبَقُوا بين أظهُرهم مستذَلِّين مستضعَفين يَلقَوْن منهم الأذى الشديد، فكانوا يَدْعون الله بالخلاص ويَستنصِرونه، فيسَّرَ الله لبعضِهم الخروج إلى المدينة، وبقي بعضُهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدُنْه خيرَ وليٍّ وناصرٍ وهو محمدٌ صلى الله عليه وسلم، فتولَّاهم أحسنَ التولِّي، ونصرهم أقوى النَّصر، ولمَّا خرج استَعمل على أهل مكة عَتَّابَ بن أَسِيدٍ فرأوْا منه الولايةَ والنُّصرةَ كما أرادوا، قال ابن عباس: ....

قوله: (مِن أعظم الخير) يجوز أن يكون "مِن" الاتصاليّة، كما في قوله:[١] ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة ٦٧/٩]، أي: بعضهم متصل ببعض، والصحيحُ أنّه للتبعيض لأنّ أعظم الخير متعدّد هذه مِن جملتها، كما يقال: "هو مِن أعلم الناس". وقوله: "مِن أعظم" خبر لقوله: (وخلاصُ) و"مِن" في قوله: (مِن المسلمين) للبيان، وفي قوله: (مِن أيدي) للابتداء.

قوله: (وهو محمّد) قال رحمه الله:[٢] لمّا صبروا جاء بالمهاجر إليهم لحُسن[٣] صبرهم.

قوله: (استعمل) يقال:[٤] استعمل فلانًا، أي: جعله أميرًا.

قوله: (عتّاب بن أَسِيد) كان ابنَ ثماني عشرَ سنة رأى رسول الله عليه السلام[٥]

---

[١] ن + تعالى.
[٢] ن - رحمه الله؛ ر: رضي الله عنه.
[٣] ن ر: بحسن.
[٤] ر - استعمل يقال.
[٥] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

كان يَنصر الضعيف من القويّ حتى كانوا أَعَزَّ بها من الظَّلَمة.

فإنْ قلتَ: لمَ ذَكَر الولدان؟

قلتُ: تسجيلًا بإفراط ظُلمِهم حيث بلغ أذاهم الولدانَ غيرَ المكلَّفين إرْغامًا لآبائهم وأمّهاتهم ومَبْغَضَةً لهم لمكانهم؛ ولأنّ المستضعَفين كانوا يُشركون صبيانهم في دعائهم اسْتِنْزالًا لرحمةِ الله بدعاء صغارهم الذين لم يُذنبوا؛ كما فعَل قومُ يونس عليه السلام، وكما وردت السُّنَّة بإخراجهم في الاستسقاء.

وعن ابن عباس: كنت أنا وأمّي من المستضعفين من النساء والولدان.

أَسِيدًا في المنام في الجنّة وقد مات كافرًا، فاستيقظ وقال: أوّلته بابنه عتّاب يشهد له بالجنّة.[1]

[٣٠٩ظ] قوله: (مِن القويّ) "مِن" بمعنى "على" كما في قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَـٰهُ/ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ﴾ [الأنبياء ٧٧/٢١].

قوله: (إرغامًا) مفعول له مِن (بلغ أذاهم) وحَذَف اللام لأنّ "بلغ أذاهم" في معنى "يؤذون"، فيكون إرغامًا فعلًا لفاعل الفعل المعلَّل.

قوله: (ولأنّ المستضعفين) الأحسن أن يكون "ولأنّ[2] المستضعفين" عطفًا على "تسجيلًا"؛ لأنّ حاصل معنى "تسجيلًا"...[3] إلخ، أنّهم كانوا يظلمون الولدان فكانوا يدعُون فلذلك ذُكروا، ومعنى "ولأنّ المستضعفين"... إلخ، أنّهم[4] وإن لم يكونوا يظلمون الولدان لكنّهم يظلمون آباءهم وأمهاتهم فكانوا يُشركون صبيانهم في الدعاء. واعلم أنّ الظاهر أنّ عطفه على "إرغامًا" أحسنُ، ولا يبعد أن يكون عطفًا على الأقرب وهو قوله:[5] "لمكانهم"، يعني[6] أنّ بغضهم للولدان إمّا لآبائهم أو لأنّ الولدان[7] كانوا يدعُون على الكفّار.

قوله: (مِن النساء) بيان.

---

١ أخبار مكّة للأزرقي، ١٥١/٢.

٢ ر: لأن.

٣ ن ر - لأنّ حاصل معنى تسجيلًا.

٤ ر: لأنهم.

٥ ر + من النساء بيان قوله: ويجوز عطف من حيث المعنى وهو قوله.

٦ ر - يعني.

٧ ن ر - إما لآبائهم أو لأنّ الولدان.

ويجوز أن يراد بالرجال والنساء: الأحرارَ والحرائر، وبالولدان: العبيدَ والإماء؛ لأن العبد والأمَة يقال لهما: الوليدُ والوليدة، وقيل للولدان والولائد: الولدانُ؛ لتغليبِ الذكور على الإناث، كما يقال: الآباء والإخوة.

فإن قلتَ: لمَ ذكَّر الظالم وموصوفُه مؤنَّث؟

قلتُ: هو وصفٌ للقرية إلَّا أنه مسنَدٌ إلى أهلها، فأُعطي إعرابَ القريةِ؛ لأنهُ صفتُها؛ وذكِّر لإسناده إلى الأهل؛ كما تقول: مِن هذه القرية التي ظَلَم أهلُها، ولو أنِّث فقيل: "الظالمةِ أهلُها" لجاز، لا لتأنيث الموصوف ولكنْ لأنَّ الأهل يذكَّر ويؤنَّث.

فإن قلتَ: فهل يجوز: "من هذهِ القرية الظالمين أهلُها"؟

قلتُ: نعم، كما تقول: "التي ظلموا أهلُها"، على لغةِ مَن يقول: "أكلوني البراغيث"، ومنه ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء ٢١/٣].

رغَّب الله المؤمنين ترغيبًا وشجَّعهم تشجيعًا بإخبارهم أنهم إنما يقاتلون في سبيل الله فهو وليُّهم وناصرُهم، وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا وليَّ لهم إلَّا الشيطانُ، وكيدُ الشيطان للمؤمنين إلى جنبِ كيد الله للكافرين أضعفُ شيء وأوهنُه.

قوله: **(ويجوز)** عطف مِن حيث المعنى على قوله: "تسجيلًا"... إلخ، لأنَّ المعنى يئول إلى أنَّ المراد بالولدان[1] أو المراد العبيد والإماء.

قوله: **(لتغليب)** وإلّا فالقياس "والولدان والولائد".

قوله: **(كما يقال: الآباء)** يقال: "الآباء" للآباء والأمهات، ويقال: "الإخوة" للإخوة والأخوات. وقوله: **(فأعطي)**... إلخ، أي: هو صفة بحال متعلَّق الموصوف فيتبعه في الإعراب والتعريف لا في التأنيث، وذُكِّر لتذكير الفاعل وهو الأهل.

---

[1] ر: بالوالدين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾

﴿كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾؛ أي: كفُّوها عن القتال، وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكةَ، وكانوا يتمنَّون أن يؤذَن لهم فيه.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ بالمدينة كَعَّ فريق منهم، لا شكًّا في الدِّين ولا رغبةً عنه، ولكن نفورًا عن الإخطار بالأرواح وخوفًا من الموت.

﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ من إضافةِ المصدر إلى المفعول.

فإن قلتَ: ما محلُّ ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ من الإعراب؟

قلتُ: محلُّه النصبُ على الحال من الضمير في ﴿يَخْشَوْنَ﴾؛ أي: يخشون الناسَ مثلَ أهلِ خشيةِ الله؛ أي: مُشْبِهِينَ لأهل خشية الله.

﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ بمعنى: أو أشدَّ خشيةً من أهلِ خشيةِ الله، و﴿أَشَدَّ﴾ معطوف على الحال.

قوله: (**مكفوفين**)، أي: ممنوعين، يقال: كفّه، أي: منعه، وكفّ هو بنفسه، أي: امتنع. يتعدّى ولا يتعدّى.[١]

قوله: (**عن الإخطار بالأرواح**)،[٢] أي: إيقاع الأرواح[٣] في الخطر. و«الخطر: إشراف[٤] على الهلاك».[٥]

قوله: (﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾)، أي: أشدّ مِن أهل[٦] خشية الله خشيةً، فيكون ﴿أَشَدَّ﴾ حالًا أيضًا، فالمعنى: يخشون الناس حال كونهم مشبّهين بأهل خشية الله،[٧] أو حال كونهم أشدّ خشيةً مِن أهل خشية الله.[٨]

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «كفف».
٢ ن ر: بالأزواج.
٣ ن ر: الأزواج.
٤ ن: أشرف.
٥ **الصحاح** للجوهري، «خطر».
٦ ن ر – أهل.
٧ ر + فيكون أشد حالًا أيضًا فالمعنى يخشون الناس.
٨ ن – أو حال كونهم أشد خشيةً من أهل خشية الله.

فإن قلتَ: لـمَ عدلْتَ عن الظاهر -وهو كونُه صفةً للمصدر- ولـم تُقدِّرْ: "يخشون خشيةً مثلَ خشية الله"، بمعنى: مثلَ ما يُخشَى الله.

قلتُ: أبى ذلك قولُه: ﴿أَوْأَشَدَّ خَشْيَةً﴾ لأنّه وما عُطف عليه في حكمٍ واحد، ولو قلتَ: "يخشونَ الناسَ أشدَّ خشيةً" لم يكن إلا حالًا عن ضمير الفريق، ولم ينتصِبْ انتصابَ المصدر؛ لأنك لا تقول: "خشي فلانٌ أشدَّ خشيةً" فتنصِبَ "خشيةً"

قوله: (كونه)، أي: كون ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾.[1]

قوله: (لأنّه)، أي: لأنّ ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ وما عُطف وهو ﴿أَشَدَّ﴾ عليه، أي: على ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾.[2]

قوله: (عن ضمير) وهو الواو في ﴿يَخْشَوْنَ﴾.

قوله: (ولم ينتصب) إنّما لم يجز أن يكون ﴿أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ صفة للمصدر الذي هو "خشية" لأنّ ذلك يؤدّي إلى أن توصف "الخشية"[3] بأنّها تخشى، وإنّما قلنا: "إنّه[4] يؤدّي إلى ذلك"، إذ يكون المعنى: يخشون الناس خشيةً أشدّ[5] مِن خشية الله مِن جهة الخشية، فالخشية تكون أشدّ مِن خشية الله مِن هذه الجهة، فيلزم أن تكون الخشية خاشيةً، وإذا[6] أضفت فقلت:[7] "أشدّ خشيةٍ" جاز أن يصير صفة لـ"الخشية"، كأنّك تقول: يخشون الأشدّ مِن الخشيات، إذ المعنى حينئذٍ يخشون أشدّ الخشيات.

قوله: (فتنصِبَ) بالنصب لأنّه جواب النفي بالفاء، فكأنّه قال: لا تقصد هذا التركيب فتنصِبَ، وإنّما قدّرنا كذلك لتتحقّق السببية في انتصاب[8] "تنصِب" بالفاء في[9] جواب النفي.

---

١ ر - أو حال كونهم أشد خشيةً من أهل خشية الله. قوله: (كونه)، أي: كون كخشية الله.

٢ ن - وما عطف وهو أشدّ عليه، أي: على كخشية الله.

٣ ن + صفة للمصدر الذي هو خشية لأنّ ذلك يؤدي إلى أن يوصف الخشية.

٤ ر + لا.

٥ ر + خشية.

٦ ر: فإذا.

٧ ن: وقلت.

٨ ن ر: أنصاب.

٩ ر - في.

وأنت تريد المصدرَ، إنما تقول: "أشدَّ خشيةٍ" فتجرُّها، وإذا نصَبْتَها لم يكن "أشد خشيةً" إلا عبارةً عن الفاعل حالًا منه، اللّٰهمَّ إلا أن تَجعَلَ الخشيةَ خاشيةً وذاتَ خشيةٍ، على قولهم: "جَدَّ جِدُّه"، فتزعمَ أن معناه: يخشون الناس خشيةً مثلَ خشيةِ اللهِ أو خشيةً أشدَّ خشيةً من خشيةِ الله، ويجوز على هذا أن يكون محلُّ ﴿أَشَدَّ﴾ مجرورًا عطفًا على "خشيةِ الله" تريد: كخشية الله أو كخشيةٍ أشدَّ خشيةً منها.

﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ استزادةٌ في مدَّة الكفِّ واستمهالٌ إلى وقتٍ آخرَ؛ كقوله: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ﴾ [المنافقون ٦٣/١٠].

﴿وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾: ولا تُنقَصون أدنى شيءٍ من أجوركم على مشاقِّ القتال فلا ترغبوا عنه.

وقرئ: ﴿ولا يظلمون﴾ بالياء.

قوله: **(ويجوز على)**[1] هذا يعني: إذا جُعل ﴿كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ صفةَ مصدر محذوف جاز[2] أن يكون محلّ ﴿أَشَدَّ﴾ نصبًا عطفًا على الكاف التي هي مضافة إلى الخشية، فتكون صفة بعد صفة / للمصدر المحذوف، [٣١٠و] ويجوز أن يكون محلّه جرًّا عطفًا على المضاف إليه، فيكون صفة المصدر هو الكاف فقط، وهو مضاف إلى "خشية"[3] و﴿أَشَدَّ﴾ عطف على "خشية"، ويكون التقدير حينئذٍ: يخشون الناس خشيةً كخشية الله أو كأشدّ خشية مِن خشية الله، لكن قال المصنّف: "كخشية أشدَّ خشيةً مِن خشية الله"، وهما في المعنى سيّان؛ بل التحقيق ما ذكره المصنّف، لأنك إذا قلتَ: "خشية كأشدّ خشية مِن خشية الله" يكون ﴿أَشَدَّ﴾ صفة موصوف محذوف، ويكون المعنى: خشيةً كخشية أشدَّ خشية مِن خشية الله.

[1] ر: أن.
[2] ر: وجاز.
[3] ن: الخشية.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ٧٨﴾

قرئ: "يدركُكُم" بالرفع، وقيل: هو على حذف الفاء؛ كأنّه قيل: فيُدركُكُم الموتُ، وشُبِّه بقول القائل:

مَـن يفعلِ الحسناتِ اللهُ يشكُرُها

ويجوز أن يقال: حُمل على ما يقع موقعَ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ﴾ وهو: أينما كنتُم، كما حُمل "ولا ناعبٍ" على ما يقع موقعَ "ليسوا مصلحين"، وهو: ليسوا بمصلحين، فرُفع كما رَفع زُهيرٌ:

قوله: (**وقيل: هو على**)، أي: قرئ بالرفع، وقيل: وجهه أنّه حُذف الفاء، يعني: يقدّر جملة[١] اسميّة محذوفة الفاء، فيكون مثل (**الله يشكرها**) في حذف الفاء مِن الجملة الاسميّة، وتمام البيت:

والـشـرّ بـالـشـرّ عـنـد الله مـثـلانِ[٢]

ويروى "سيّان".[٣]

قوله: (**ولا ناعبٍ**) في قوله:

مشـائيمُ[٤] ليسـوا مصلحيـن عشـيرةً　　ولا ناعـبٍ إلّا[٥] ببَيـنٍ[٦] غرابُهـا[٧]

قوله: (**فرُفع**)، أي: "يُدْرِكُكُمْ".[٨]

---

١ ر: حكمه.

٢ البيت مختلف في نسبته: فهو لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري في ديوانه، ص ٦١؛ وأمالي ابن الشجري، ٩/٢، ١٤٤؛ وهو لحسان بن ثابت في زيادات ديوانه، ٥١٦/١؛ وكتاب سيبويه، ٦٥/٣؛ ولكعب بن مالك في ديوانه، ص ٢٨٨؛ وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، ١٠٩/٢؛ وهو بلا عزو في الخصائص لابن جني، ٢٨٣/٢، والصحاح للجوهري، «بجل».

٣ وهي الرواية في ديوان كعب بن مالك، ص ٢٨٨.

٤ ر: مساهم.

٥ ن - إلا.

٦ ن: الاثنين.

٧ البيت للأخوص الرياحي. ومضى بتخريجه في تفسير آل عمران، ٩٠/٣.

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة بن سليمان. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٦٧٠.

يـقـولُ لا غـائـبٌ مـالـي ولا حَـرِمُ

وهو قولٌ نحويٌّ سِيبَوِيٌّ.

ويجوز أن يتَّصل بقوله: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾؛ أي: ولا تُنقَصون شيئًا مما كُتب من آجالكم أينما تكونوا في مَلَاحمِ حروبٍ أو غيرها، ثم ابتدأ قوله:

قوله: (**يقول**) أوله:

وإن أتـــاه خـلـيـلٌ يـــومَ مـسـألـةٍ[١]

وقبل هذا البيت:

هـو الـجـواد الـذي يعطيك نائلهُ عـفـوًا ويُظلـم أحيـانًـا فـينظلِمُ[٢]

قوله: يُظلَم،[٣] أي: يُسأل فوق طاقته. ويروى "فيَظَّلمُ"، أي: يتكلّفه. وفي "افتعل" مِن "ظلم" ثلاث لغات. والحرِم بكسر الراء: الحِرمان. قال سيبويه: إنّما رفع "يقول" وهو جوابُ الجزاء على معنى التقديم، كأنّه قال: "يقول إن أتاه خليل".[٤] وعند الكوفيين على إضمار الفاء وعند المصنّف؛ لأنّ الشرط ماضٍ[٥] فيجوز فيه الرفع والجزم.

قوله: (**سيبويٌّ**)[٦] القياس "سِيبيّ"؛ لأنّه مركب كـ"بعليّ" و"تأبطيّ" و"خمسيّ"، لكن أخرجه على طريقة النحت،[٧] كما يقال: "عبقسي" و"عبشميّ" في "عبد الشمس"[٨] و"عبد القيس".[٩]

قوله: (**ويجوز أن يتّصل بقوله: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾**) فعلى هذا يكون جزاء[١٠] الشرط محذوفًا لدلالة ما قبلها عليه.

قوله: (**في ملاحم**) الملحمة: الوقعة العظيمة في الفتنة.

---

١ البيت لزهير بن أبي سُلمى في **ديوانه**، ص ١٢٠؛ وهو له في **كتاب سيبويه**، ٦٦/٣؛ و**المفصّل** للزمخشريّ، ص ٤٣٩.

٢ **ديوان زهير**، ص ١٢٠، وفيه «فيظَّلِمُ» مكان «ينظلمُ».

٣ ن: ويظلم.

٤ انظر: **كتاب سيبويه**، ٦٦/٣.

٥ ر: قاض.

٦ ن ر: سنوحي.

٧ ن ر: البحث.

٨ ر: شمس.

٩ ر: قيس.

١٠ ن: هذا.

"يُدْرِكُكم الموتُ ولو كنتُم في بروجٍ مشيَّدة" والوقفُ على هذا الوجه على ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ﴾.

و"البروجُ": الحُصون، ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾: مرفَّعةٍ، وقرئ: "مَشِيدةٍ" مِن شادَ القصرَ: إذا رَفعه، أو طَلاه بالشِّيدِ وهو الجَصُّ.

وقرأ نُعَيم بن مَيْسَرةَ: "مُشيِّدة" بكسر الياء وصفًا لها بفعلِ فاعلها مجازًا؛ كما قالوا: "قصيدةٌ شاعرةٌ"، وإنما الشاعِرُ قارضُها.

السيِّئةُ تقع على البليَّة والمعصية، والحسنةُ على النعمة والطاعة، قال الله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف ١٦٨/٧] وقال: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود ١١٤/١١].

والمعنى: وإنْ تُصِبْهم نعمةٌ من خِصْبٍ ورَخاءٍ نسبوها إلى الله، وإنْ تُصبهم بليَّةٌ من قحطٍ وشدَّةٍ أضافوها إليك وقالوا: هي مِن عندك، وما كانت إلَّا بشؤمك، كما حكَى الله عن قوم موسى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ [الأعراف ١٣١/٧] وعن قوم صالح: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل ٤٧/٢٧].

ورُوي عن اليهود لُعِنتْ: أنها تشاءَمَتْ برسول الله فقالوا: منذ دخل المدينةَ نَقَصَتْ ثمارُها وغَلَتْ أَسْعارها، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾

قوله: (الجَصّ) هو معرَّب.[1]

قوله: (على النعمة)، أي: يقع على النعمة.[2]

قوله:[3] (﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ [الأعراف ١٦٨/٧])، أي: بالنعم. (﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف ١٦٨/٧])، أي: البلايا.[4]

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾ [هود ١١٤/١١])، أي: الطاعات. (﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود ١١٤/١١])، أي: المعاصي.

---

١ انظر تفصيل الكلام عليه في المعرَّب للجواليقي، ص ٢٣٤.

٢ ر - أي: يقع على النعمة.

٣ ن - أي: يقع على النعمة. قوله.

٤ ر: بالبلايا.

يبسطُ الأرزاقَ ويَقبضُها على حسَب المصالح.

﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ فيعلموا أنّ الله هو الباسط القابض، وكلُّ ذلك صادرٌ عن حكمةٍ وصواب.

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ٧٩﴾

ثم قال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ يا إنسانُ خطابًا عامًّا ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾؛ أي: من نعمةٍ وإحسانٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ تفضُّلًا منه وإحسانًا، وامتنانًا وامتحانًا.

﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾؛ أي: من بليَّةٍ ومُصيبةٍ ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾؛ لأنك السببُ فيها بما اكتسبَتْ يداك ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى ٣٠/٤٢].

وعن عائشة رضي الله عنها: «ما مِن مسلمٍ يصيبُه وَصَبٌ ولا نَصَبٌ حتى الشوكةُ يُشاكُها وحتّى انقطاعُ شِسع نَعْله إلّا بذنْبٍ ....

قوله: (﴿يَفْقَهُونَ﴾) خبر "كاد".

قوله: (فيعلموا) جواب النفي.

قوله: (وكلّ ذلك) يجوز في قوله: "كلّ ذلك" النصب والرفع عطفًا على محلّ اسم (أنّ) وعلى لفظها؛ لأنّها وإن كانت مفتوحة فهي[1] في حكم المكسورة لوقوعها بعد العِلم.

قوله: (﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ [الشورى ٣٠/٤٢]) استشهاد.

قوله: («الشوكة») أرادت بالشوكة ههنا المرّة مِن "شاكَه"، ولو أرادت النبات لقالت: "يشاك بها"، وبدليل أنّه جعله غايةً للمعاني، وبدليل أنّه عطف عليه المعنى وهو قولها: («وحتّى انقطاع شِسع نعله»).[2] الشوكة: واحدة الشوك.

---

[1] ن ر - فهي.

[2] في صحيح البخاري، ١١٤/٧ (٥٦٤٠)؛ وصحيح مسلم، ١٩٩٢/٤ (٢٥٧٢): «ما من مصيبة تصيب المسلم إلّا كفّر الله بها عنه، حتّى الشوكة يُشاكها».

وما يعفو الله أكثر».

﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾؛ أي: رسولًا للناس جميعًا لستَ برسولِ العرب وَحْدَهم، أنتَ رسول العرب والعجم؛ كقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ ٢٨/٣٤] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف ١٥٨/٧].

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ذلك، فما ينبغي لأحدٍ أن يخرج عن طاعتك واتِّباعك.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ٨٠﴾

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾؛ لأنه لا يأمر إلَّا بما أمَرَ اللهُ به ولا يَنْهَى إلَّا عمَّا نَهَى اللهُ عنه، فكانت طاعتُه في امتثالِ ما أمَر به والانتهاءِ عمَّا نَهَى عنه طاعةً لله.

ورُوِي أنه قال: «مَن أحبَّني فقد أحبَّ الله ومَن أطاعَني فقد أطاع الله» فقال المنافقون: ألَا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجلُ؟! لقد قارَف الشركَ وهو ينهَى

وشجر شائك، أي: ذو شوك. وشُكتُ الرجل أشوكه،[١] أي: أدخلتُ في جسده الشوكةَ. وشِيك هو، على ما لم يُسَمَّ فاعله، يُشاكُ شوكًا.[٢] فظهر أنَّ الشوكة تكون اسمَ عين، وهو الشجر المخصوص، وتكون اسم معنى وهو المصدر، والمرادُ / في حديث عائشةَ[٣] المصدر، كما بيّنا عند ذكر الحديث. [٣١٠ظ]

قوله: **(وما يعفو)، أي: الذي يعفو الله.**

قوله: **(﴿لِلنَّاسِ﴾)** اللام للاستغراق، وقدّم على **(﴿رَسُولًا﴾)** ليفيد الحصر في معنى العموم والاستغراق، فكأنّه قال: لجميع الناس لا لبعضهم.

قوله: **(ورُوِي)** بيانُ سبب النزول.

قوله: **(قارف)** قارف[٤] فلان[٥] الخُطبة، أي: خالطها.

---

١ ن ر: شوكة.

٢ من قوله: "الشوكة" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «شوك».

٣ ن ر + رضي الله عنها.

٤ ن ر - قارف.

٥ ن ر: ولأنّ.

أن يُعبَدَ غيرُ الله! ما يريد هذا الرجل إلّا أن نتخذه ربًّا كما اتخذت النصارى عيسى، فنزلَت: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ عن الطاعة فأعرِضْ عنه.

﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ إلا نذيرًا، لا حفيظًا ومُهَيْمنًا عليهم تَحفَظُ عليهم أعمالهم وتحاسِبُهم عليها وتعاقبهم؛ كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ [الأنعام ١٠٧/٦].

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١﴾

﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا أَمَرْتَهم بشيء ﴿طَاعَةٞ﴾ بالرفع؛ أي: أَمْرُنا وشأْنُنا طاعةٌ، ويجوز النصبُ بمعنى: أَطَعناك طاعةً، وهذا مِن قولِ المُرتسِم: سَمْعًا وطاعةً، وسمعٌ وطاعةٌ، ونحوُه قولُ سيبويه: وسمِعْنا بعضَ العرب الموثوقِ بهم يقال له: كيف أصبَحْتَ؟ فيقول: "حمدُ الله وثناءٌ عليه"، كأنه قال: أَمْرِي وشأني حمدُ الله، ولو نصبَ "حَمدَ الله وثناءً عليه"، كان على الفعل.

والرفعُ يدل على ثبات الطاعة واستقرارها.

﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٞ﴾: زَوَّرتْ طائفة وسوَّتْ ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُ﴾: خلافَ ما قلتَ وما أمرتَ به، أو: خلافَ ما قالت ....

قوله: (فنزلت)،[1] أي: ﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾.

قوله: (إلّا نذيرًا لا حفيظًا) مثل قولهم: "ما جاء إلّا زيد لا عمرو". وقد مرّ مرارًا ما فيه من الكلام.

قوله: (المُرتسِم) المُرتسِم: الممتثل، يقال: رسمتُه فارتسم، أي: أمرتُه فاتمر.

قوله: (روَّزتْ) روَّزتُ[2] في نفسي كذا ثمّ قلتُه، أي: دبَّرتُ.

قوله: (ما قالتْ)[3] يريد أنّ يقول: يجوز أن يكون للخطاب، ويجوز أن تكون للجماعة المؤنَّث[4] الغائبة.

---

[1] بلفظ قريب في البسيط للواحدي، ٦١٩/٦ (النساء، ٧٩/٤)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٥٣/٢ (النساء، ٧٩/٤).

[2] ن ر – روزت.

[3] ن ر: زالت.

[4] ن ر: والمؤنث.

وما ضَمِنَتْ من الطاعة؛ لأنّهم أبطنوا الرَّدَّ لا القبولَ، والعصيانَ لا الطاعةَ، وإنما ينافقون بما يقولون ويُظهرون.

والتَّبييتُ: إمَّا من البيتوتة؛ لأنه قضاءُ الأمْر وتدبيرُه بالليل، يقال: هذا أمرٌ بُيِّتَ بليلٍ، وإمَّا من أَبيات الشعر؛ لأن الشاعر يُدبّرها ويسوِّيها.

﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾: يُثبِته في صحائفِ أعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد، أو: يكتبُه في جملة ما يوحَى إليك فيُطْلعُك على أسرارهم، فلا يَحْسِبوا أن إبْطانَهم يُغني عنهم.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ ولا تحدِّث نفسَك بالانتقام منهم.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في شأنهم، فإن الله يكفيك مَعرَّتَهم وينتقمُ لك منهم إذا قوِي أمرُ الإسلام وعزَّ أنصاره.

وقرئ: ﴿بيَّت طائفة﴾ بالإدغام وتذكيرِ الفعل؛ لأن تأنيث الطائفة غيرُ حقيقي؛ ولأنها في معنى الفريق والفوج.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾

"تدبُّرُ الأمر": تأمُّلُه والنظرُ في أَدْباره وما يَؤُولُ إليه في عاقبته ومُنْتهاه، ثم استُعمل في كلِّ تأمُّلٍ، فمعنى تدبُّرِ القرآن: تأمُّلُ معانيه وتَبَصُّرُ ما فيه.

﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾: لكان الكثير منه مختلِفًا متناقِضًا قد تفاوَتَ نَظْمُه

قوله: (لأنّهم) تعليل للوجه الثاني، وهو قوله: (أو خلافَ).

قوله: (على سبيل الوعيد) متعلِّق بمحذوف، أي: قاله تعالى على سبيل الوعيد.

قولـه: (معرَّتَهم) المعرَّة: المَساءة[1] والأذى، مَفْعَلة مِن العرّ وهو الجرَب، أو مِن عرَّه إذا لطَّخه بالعُرّة، وهي[2] السرقين.

قوله: (تدبُّر[3] الأمر)، يعني أنّ التدبّر[4] هو التأمّل المخصوص كما ذكره،

[1] ن: للمساء.
[2] ن: وهو.
[3] ر: نذير.
[4] ر: النذير.

وبلاغتُه ومعانيه، فكان بعضُه بالغًا حدَّ الإعجاز، وبعضُه قاصرًا عنه يُمكن معارضتُه، وبعضُه إخبارًا بغيبٍ قد وافق المخبَرَ عنه، وبعضُه إخبارًا مخالِفًا للمخبَرِ عنه، وبعضُه دالًّا على معنًى صحيحٍ عند علماء المعاني، وبعضُه دالًّا على معنًى فاسدٍ غيرِ مُلتئمٍ، فلما تجاوَبَ كلُّه بلاغةً معجزةً فائتةً لِقُوَى البُلغاء، وتَناصَرَ صحةَ معانٍ وصِدْقَ إخْبارٍ، عُلم أنه ليس إلَّا من عندِ قادرٍ على ما لا يقدر عليه غيرُه، عالمٍ بما لا يعلمه أحدٌ سواه.

فإن قلتَ: أليس نحوُ قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف ٧/١٠٧] ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل ٢٧/١٠]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر ١٥/٩٢] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن ٥٥/٣٩] من الاختلاف؟

قلتُ: ليس باختلاف عند المتدبِّرين.

ثمّ استُعمل في كلّ تأمّل، فهو ممّا وُضع لمعنى[١] مع قيد[٢] ثمّ استُعمل فيه مِن غير القيد، كالهمزة و"أم" وكحرف النداء. قال رحمه الله:[٣] في هذه الآية فوائدُ: وجوبُ النظر في الحجج[٤] والدلالات، وبطلانُ التقليد، وبطلانُ[٥] قول مَن يقول: لا يُفهم القرآن بظاهره المرادَ، وبطلانُ[٦] قول مَن يقول: إنّ المعارف الدينيّة ضرورية، والدلالةُ على صحّة القياس، والدلالةُ على أنّ أفعال العباد ليست بخلق الله تعالى لوجود التناقص فيها.

قوله: **(معجزةً)**[٧] صفة **(بلاغةً)** وهي صفةٌ مميِّزة. وقوله: **(فائتةً)** صفة "معجزة" وهي صفةٌ كاشفة.

قوله: **(فائتةً لقوى البلغاء)**، يعني: فات دونها وتساقط دون معارضتها قوى البلغاء.

قوله: **(ليس باختلاف)** إذ لا منافاة بين قولنا: "هي ثعبان" و"تشبه[٨] الجانّ"،

---

١ ر – لمعنى.
٢ ن ر: قد.
٣ ن – رحمه الله؛ ر: رضي الله عنه.
٤ ن ر: الحج.
٥ ر + التقليد وبطلان.
٦ ن: بطلان.
٧ ر + معجزة.
٨ ر: ونسبة.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾

هم ناسٌ مِن ضَعَفَةِ المسلمين الذين لم تكن فيهم خِبْرَةٌ بالأحوالِ ولا استِنْبَاطٌ للأمور، كانوا إذا بلغهم خبرٌ عن سَرَايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أَمْنٍ وسلامةٍ أو خوفٍ وخللٍ ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ وكانت إذاعَتُهم مَفْسَدةً، ولو رَدُّوا ذلك الخبرَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ وهم كبارُ الصحابة البُصراءُ بالأمور أو الذين كانوا يُؤَمَّرون منهم ﴿لَعَلِمَهُ﴾: لعَلم تدبيرَ ما أُخبروا به ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: الذين يستخرجون تدبيرَه بفِطَنِهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها.

وقيل: كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر على أَمْنٍ ووُثوقٍ بالظهور على بعض الأعداء، أو على خوفٍ واستشعارٍ، فيُذِيعونه فيَنتَشِرُ فيبلغُ الأعداءَ فتعودُ إذَاعتُهم مفسدةً، ولو رَدُّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وفوَّضوه إليهم وكانوا كأَنْ لم يسمعوا، لعَلِم الذين يستنبطون تدبيرَه كيف يدبِّرونه وما يأتون ويَذرون فيه.

وقيل: كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئًا من الخبر عن السَّرَايا مَظنونًا

فإنّ الجانّ هي[1] الحية العظيمة، وهي كانت ثعبانًا[2] لكنّها تُسرِع كالجانّ، ولجواز أنّهم يُسألون في وقت ولا يُسألون في وقت آخرَ لأنّ القيامة أطوار.

قوله: (هُم)، أي: "هُم" في ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾.

قوله: (وفوّضوه) تفسير ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ﴾، يريد أنّ معنى ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ﴾: "لو فوّضوه"، فهو ممّا مرّ أنّه عطف للبيان.

قوله: (وما يأتون) عطف على (كيف يدبِّرون).[3]

---

[1] ر: من.
[2] ر: ثعبان.
[3] ن ر: يريدون. | في مطبوع الكشّاف وما راجعت من أصوله: يدبِّرونه.

غيرَ معلومِ الصحة، فيُذِيعُونه فيعود ذلك وبالًا على المؤمنين، ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ وقالوا: نسكتُ حتى نسمعَه منهم ونعلمَ هل هو مما يُذاعُ أو لا يُذاعُ ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾: لعَلِم صحتَه وهل هو مما يذاعُ أو لا يذاعُ هؤلاء المذيعون، وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر؛ أي: يتلقَّونه منهم ويستخرجون علمَه من جهتهم.

يقال: أَذاعَ السرَّ وأذاع به، قال:

أذاعَ بـه فـي الـنـاسِ حتـى كـأنَّـه بـعَـلْـيـاءَ نـارٌ أُوقِـــدَتْ بِـثَـقُـوبِ

ويجوز أن يكون المعنى: فعَلوا به الإذاعةَ، وهو أبلغُ من أذاعوه.

وقرئ: "لعَلْمه" بإسكان اللام؛ كقوله:

قوله: (وقالوا: نسكت) تفسير ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ﴾ أتى بالواو كما في "ولو ردُّوا"، وهو مِن العطف للبيان.

قوله: (لعلِم صحّته) هو تفسير لِعلمه الذين يستنبطونه.

قوله: (قد فعلوا به الإذاعةَ)، أي: جعلوه موضعَ الإذاعة كما قال سيبويه: "ظننتُ بك ذاك"، أي: جعلتك مكانًا للظنّ،[1] فعلى هذا تكون الإذاعة جاريةً مجرى الفعل اللازم. وقوله: "به" كالظرف للإذاعة.[2] ووجهُ كونه أبلغ أنّ الإذاعة تستقرّ وتتمكّن فيه، ويكون هو محلًّا لها.

قوله:

(أذاع بـــــــــــــــــه)[3] البيت

[٣١١و] يصف شخصًا بأنّه ما حفِظ السر وما كتمه؛ بل أفشاه[4] وأظهره[5] / حتّى صار في الظهور كالنار التي أُوقدت على علياء بثَقوب. وعلياء: اسم موضع.[6]

---

[1] انظر: كتاب سيبويه، ٤١/١.

[2] ن: الإذاعة.

[3] البيت لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه، ص ٤٥؛ وهو له في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ١٣٣/١؛ والحيوان للجاحظ، ٦٠١/٥؛ وجامع البيان للطبري، ٢٥٢/٧ (النساء، ٨٣/٤).

[4] ن: أفشا.

[5] ن: وأظهر.

[6] الظاهر أنّه ما ارتفع مِن الأرض، لا أنّه موضع بعينه يُسمّى بذلك.

... كما ضَجْرَ بازلٌ   من الأُدْم دَبْرَتْ صَفْحَتاه وغارِبُهْ

والنَّبَطُ: الماء يَخرَج من البئر أولَ ما تُحفر، وإنباطُه واستنباطه: إخراجُه

والثّقوب والشّبوب[١] والوَقود: ما تُثقَب به النار مِن[٢] حطب وغيره.

قوله:

(فـــإن أهـــجُــــهُ)[٣] الـبـيــت

ضَجِر الرجل يضجَر إذا برِم. و«بَزَلَ[٤] البعير يبزُل[٥] بزولًا:[٦] فطَر نابه، أي:[٧] انشقّ[٨] فهو بازل ذكرًا كان أو أنثى».[٩] والأُدمة: السُّمرة. وقالوا: الأدمة في الإبل: البياض الشديد. يقال: "بعير آدم" و"ناقة أدماء" والجمع أُدْم. ويقال: هو الأبيض الأسود المقلتين.[١٠]

قوله: (مِن الأُدم) صفة. وقوله: (دَبْرَتْ) صفة أخرى، أصله "دَبِرَت" بكسر الباء، أي: جرِبَت، ومنه المثل «يهون على الأملس ما لاقى الدَّبَر»،[١١] والمراد بالأملس في هذا المثل: الصحيح الظهر.[١٢]

وقوله: (صفحتاه)، أي: جانبا ظهره.[١٣] و(غاربه): سنامه. يقول: إن[١٤] أهجُه يضجر كما يضجر الدَّبَر مِن النُّوق[١٥] حين يُحمَل[١٦] عليها الحِمل الثقيل.

---

[١] ر: والشوب.

[٢] ر - من.

[٣] في مطبوع **الكشّاف** وما راجعت من أصوله لم يرد قوله: "فإن أهجه يضجر" في المتن، وإنّما جاء تعليقًا على هامش بعض النُّسخ، غير إشارة إلى أنّه استدراك. | والبيت للأخطل في ذيل ديوانه، ص ٥١٧، وأوّله:

فـــإن أهـــجُـــه يـضـجـر

وهو له في **الحلبيّات** للفارسي، ص ٨٩؛ وهو بلا عزو في **إصلاح المنطق** لابن السِّكّيت، ص ١٣٦؛ **والصحاح** للجوهري، «أدم».

[٤] ن: وبرك؛ ر: ونزل.

[٥] ن: يبرك؛ ر: ينزل.

[٦] ر: نزولًا.

[٧] ر - أي.

[٨] ن + به.

[٩] **الصحاح** للجوهري، «بزل».

[١٠] من قوله: "الأدمة" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «أدم».

[١١] **مجمع الأمثال** للميداني، ١٠٠/١؛ **المستقصى** للزمخشري، ٣٨٩/٢.

[١٢] انظر: **الصحاح** للجوهري، «ملس»، أورد فيه المثل السابق، وذكر معنى هذه اللفظة فيه.

[١٣] ن: طره.

[١٤] ر - إن.

[١٥] ن: الزوجين.

[١٦] ن: حين يحمل.

واستخراجه، فاستُعير لِمَا يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يُعْضِلُ ويُهِمُّ.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ وهو إرسالُ الرسول وإنزالُ الكتاب والتوفيقُ.

﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: لبَقِيتُم على الكفر ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم، أو: إلّا اتّباعًا قليلًا.

﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

لمَّا ذكر في الآيِ قبلَها تثبُّطَهم عن القتال، وإظهارَهم الطاعة وإضمارَهم خلافها، قال: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إنْ أفردوك وتركوك وحدك.

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾: غيرَ نفسِك وحدها أن تقدِّمَها إلى الجهاد، فإن الله هو ناصرُك لا الجنودَ، فإن شاء نَصَرَك وحدك كما يَنصُرك وحولك الألوفُ.

قوله: (﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾) استثناء مِن ضمير الفاعل في (﴿لَٱتَّبَعْتُمُ﴾).

قوله: (**أو إلّا اتباعًا قليلًا**) فعلى هذا يكون استثناء مِن مصدر ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ﴾، والمراد بالاتّباع القليل الاتّباع في قليل مِن الأشياء، فكأنّه قيل: لاتّبعتم[١] الشيطان في جميع الأشياء إلّا في الأشياء القليلة،[٢] فجَعَل[٣] الاتّباع في الأشياء القليلة اتّباعًا قليلًا، واستثنى مِن الاتّباع في جميع الأشياء، وجَعَل ذلك اتّباعًا عامًّا شاملًا لأشياء كثيرة حتّى يصحّ منه استثناء الاتّباع القليل.

قوله: (﴿إِلَّا نَفْسَكَ﴾)، أي: لا تُكلَّف شيئًا إلّا نفسك، بمعنى أنّك لا تُكلَّف إلّا أن تقدِّم نفسَك إلى الجهاد.

قوله: (**أن تُقدِّمها**) بدل عن قوله: (**نفسك**) بطريق البيان والتفسير، وهو إشارة إلى أنّ المضاف محذوف، تقديره: لا تُكلَّف إلّا تقديم نفسك، فهو استثناء مفرَّغ، أصله لا تكلَّف تقديم أحد إلّا تقديم نفسك، والمعنى أنّه عليه[٤] السلام

---

[١] ر + إلا.
[٢] ر: القليل.
[٣] ر + الأشياء.
[٤] ن + الصلاة و.

وقيل: دعا الناسَ في بدر الصُّغرى إلى الخروج، وكان أبو سفيان واعدَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم اللِّقَاءَ فيها، فكره بعضُ الناس أن يخرجوا فنزلت، فخرج وما مَعَه إلا سبعون لم يَلْوِ على أَحَد، ولو لم يَتْبَعْه أحدٌ لخرج وَحْدَهُ.

وقرئ: "لا تُكلَّفْ" بالجزم على النهي، و: "لا نُكلِّفُ" بالنون وكسر اللام؛ أي: لا نكلِّف نحن إلا نفسَك وحدها.

﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وما عليك في شأنهم إلَّا التحريضُ فحسبُ، لا التعنيفُ بهم.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وهم قريشٌ، وقد كفَّ بأسَهم فقد بَدا لأبي سفيان وقال: هذا عامٌ مُجْدِبٌ -وما كان معهم زادٌ إلَّا السويقَ- ولا يُلقَون إلَّا في عام مُخْصِبٍ، فرجع بهم.

﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ من قريش ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾: تعذيبًا.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾

"الشفاعَة الحسنةُ": هي التي رُوعي بها حَقُّ مُسلم، ودُفِعَ بها عنه شرٌّ أو جُلب إليه خير، وابتُغي بها وَجهُ الله، ....

لا يُؤاخذ بترك غيره الجهادَ، فإنّه لا يُؤاخذ بذنب غيره بعد أن بلّغ الناس وجوبَ الجهاد عليهم وحرّضهم عليه، وإليه الإشارة[١] بقوله: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله: (لم يلوِ)، أي: لم ينتظر.

قوله: (وقد كفَّ) مبنيّ على الوجه الثاني.

قوله: (ولا[٢] يُلقَون)،[٣] أي: لا يقاتلون.

قوله: (بهم)، أي: بقريش.

---

١ ر: أشار.
٢ ر: لا.
٣ ن: يكفون.

ولم تُؤخذ عليها رُشوةٌ، وكانت في أمرٍ جائزٍ لا في حدٍّ من حدود الله ولا في حقٍّ من الحقوق.

و"السيّئةُ": ما كان بخلاف ذلك.

وعن مسروق أنه شَفَع شفاعةً فأَهْدَى إليه المشفوعُ له جاريةً، فغَضِبَ وردَّها وقال: لو علمتُ ما في قلبكَ لَمَا تكلَّمتُ في حاجتك، ولا أتكلَّم فيما بقي منها.

وقيل: الشفاعة الحسنة: هي الدعوةُ للمسلم؛ لأنها في معنى الشفاعة إلى الله، وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: ....

قوله: (ولم تؤخذ عليها رِشوة) اعلم أنّ العلماء ذكروا أنّ الرِّشوة هو الذي يُعطى الحاكم ليحكم بباطل أو يمتنع عن الحكم[١] بحقّ، وإن لم يكن كذلك فهي هديّة، ولكن هدايا الولاة سُحتٌ، وإنّما سمّى المصنّف ما ذكره رِشوة لتشبُّهه[٢] بالرِّشوة.

قوله: (جائزٍ)، أي: في أمر تجوز فيه الشفاعة.

قوله: (ولا حقٍّ)، أي: ولا في حقٍّ مِن الحقوق، كما إذا شفع عند الإمام ليترك زكاة مَن وجبت عليه، أو[٣] أن يشفع عند مَن له حقّ ليترك حقَّه وهو كاره في ذلك، وقد يتركه حياءً مِن الشفيع أو إجلالًا له أو خوفًا منه، كما يفعله قضاة السّوْء، فإنّ ذلك قريب مِن الإكراه.

قوله: (منها)،[٤] أي: من الحاجة.

[٣١١ظ] قوله: / (الدعوة للمسلم)، أي: الدعاء بالخير وذلك بأن يدعو للمسلم[٥] أن يرزقه خير الدنيا والآخرة وأن يغفر له ويتوب عليه وأمثال ذلك.

---

١ ر: الحق.

٢ ن: لشبهه.

٣ ن: و.

٤ انظر: جامع البيان للطبري، ٤٣٢/٨ (المائدة، ٤٢/٥).

٥ ر: المسلم.

«مَن دعا لأخيه المسلمِ بظهرِ الغيب استُجيبَ له، وقال له المَلَك: ولك مثلُ ذلك»، فذلك النصيبُ، والدعوةُ على المسلم بضدِّ ذلك.

﴿مُقِيتًا﴾: شهيدًا حفيظًا، وقيل: مُقتدِرًا، وأَقَاتَ على الشيء، قال الزبير بن عبد المطلب:

وذي ضِغْنٍ كفَفْتُ السُّوءَ عنه وكنتُ على إِسَاءَتِهِ مُقيتا

وقال السَّمَوْءَل:

أَلِيَ الفَضْلُ أم عليَّ إذا حُو سِبْتُ إنّي على الحساب مُقيتُ

واشتقاقه من القُوت؛ لأنه يمسكُ النفسَ ويحفظُها.

قوله: («مَن دعا») هذا الحديث أعني "مَن دعا"... إلخ، لدلالته على أنّ له نصيبًا منها. واعلم أنّ الحديث قد تمّ عند قوله: («مثل ذلك»)، ثمّ قال المصنف: (**فذلك النصيب**) قول الملك: ولك مثل ذلك[١] النصيب المذكور في الآية.

قوله: («**بظهر الغيب**»)،[٢] أي: "بالغيب" فأقحم. وفائدة هذه الزيادة أنّ المعتمد في هذه الشفاعة ليس حضوره، أي: لم يشفع لحضوره؛[٣] بل إنّما شفع لكونه غائبًا ليكون[٤] ثوابه أكثرَ ويكونَ بريئًا عن الرياء، فاعتمد على غيبته في حصول هذا الثواب.[٥]

قوله: (**والدعوة على المسلم**) مبتدأ. وقوله: (**بضدّ ذلك**) خبره.

قوله: (**وأقاتَ**)، أي: اقتدر.

قوله:

(**إنّي على الحساب**)

---

١ ن - ثم قال المصنف فذلك النصيب قول الملك: ولك مثل ذلك.

٢ بلفظ قريب في صحيح مسلم، ٢٠٩٤/٤ (٢٧٣٢).

٣ ن ر: بحضوره.

٤ ن: لكون.

٥ ن: البيت.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾

الأحْسنُ منها أن تقول: "وعليكم السلام ورحمةُ الله"، إذا قال: "السلام عليكم"، وأن تزيد "وبركاته" إذا قال: "ورحمةُ الله".

وروي: أن رجلًا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: السلام عليك، فقال: «وعليك السلام ورحمةُ الله» وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله، فقال: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته» وقال آخر: السلام عليك ورحمةُ الله وبركاته فقال: «وعليك»، فقال الرجل: نَقصْتَني فأين ما قال الله وتلا الآية، فقال: «إنك لم تترك لي فضلًا فردَدْتُ عليك مثلَه».

همزة الاستفهام داخلة عليه تقديرًا،[1] أي: "ليت شعري أإنّي"[2] ولذا علّق عن العمل فيه، هذا إذا روي بكسر اللام، والظاهر أنّه بالفتح. وقبله:

ليت شعري وأَشْعُرَنَّ إذا ما قرَّبوها منشورةً ودُعيتُ[3]

"قرّبوها"، أي: الصحف. "ودعيتُ"، أي: يوم القيامة.

قوله: (الأحسنُ منها) وعن أنس[4] قال: كنتُ عند الحسن بن عليّ فدخلت جارية بيدها طاقة ريحان فحيّته بها فقال لها: أنت حرّة لوجه الله، فقلتُ له: حيّتك[5] جارية بطاقة ريحان لا خطرَ[6] لها فأعتقتَها! فقال: كذا أدّبنا الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾، وكان أحسنَ منها إعتاقُها.[7]

قوله: (وعليك السلام)[8] فائدة الواو في "وعليكم السلام" أن يكون عطفًا على محذوف، أي: علينا السلام وعليكم السلام.[9]

---

١ ن: تقريرًا.

٢ ر: أني.

٣ الشعر للسموءل في **الأصمعيّات** للأصمعي، ص ٨٦؛ وهو له في **الممتع في صنعة الشعر** للنهشلي، ص ٣٤٠؛ وبلا عزو في **مجاز القرآن** لأبي عبيدة، ١/١٣٥؛ و**إصلاح المنطق** لابن السِّكّيت، ص ٢٧٧؛ و**الزاهر** لابن الأنباري، ١/٩٢؛ و**الصحاح** للجوهري، «قوت».

٤ ن ر + ابن مالك.

٥ ن: جئتك.

٦ ر: حظر.

٧ الخبر بلفظ قريب في **البصائر والذخائر** للتوحيدي، ٧/١٣٧؛ و**ربيع الأبرار** للزمخشري، ٢/٤٢٠؛ و**التذكرة الحمدونية** لابن حمدون، ٢/١٨٦.

٨ **جامع البيان** للطبري، ٧/٢٧٧ (النساء، ٤/٨٦).

٩ ن ر - أن يكون عطفًا على محذوف، أي: علينا السلام وعليكم السلام.

﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾: أو أجيبوها بمثلها، ورَدُّ السلام ورَجْعُه: جوابُه بمثله؛ لأن المجيبَ يَردُّ قولَ المُسَلِّم ويَكُرُّه، وجوابُ التسليمة واجبٌ، والتخيير إنّما وقع بين الزيادة وتركِها.

وعن أبي يوسف رحمه الله: مَن قال لآخَرَ: "أَقْرِئْ فلانًا السلام" وجَبَ عليه أن يَفعل.

وعن النخعي: السلام سنَّةٌ والردُّ فريضةٌ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: الردُّ واجبٌ، وما مِن رجل يَمرُّ على قومٍ مسلمين فيُسَلِّمُ عليهم ولا يردُّون عليه إلّا نُزِع عنهم رُوحُ القُدس وردَّتْ عليه الملائكةُ.

ولا يُرَدُّ السلامُ في الخطبة، وقراءةِ القرآن جهرًا، ورِوايَةِ الحديث، وعند مذاكرة العلم، والأذانِ والإقامة.

وعن أبي يوسف: لا يُسَلَّم على لاعبِ النرد والشطرنج والمُغَنِّي، والقاعِد لحاجته، ومُطيِّرِ الحمام، والعاري من غير عُذرٍ في حمَّامٍ أو غيره.

وذكر الطَّحاويُّ: أن المستحَبَّ رَدُّ السلام على الطهارة، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنه تيمَّم لردِّ السلام.

قالوا: ويُسَلِّم الرجلُ إذا دَخَل على امرأته، ولا يُسَلِّم على أجنبيَّة، ويُسَلِّم الماشي على القاعد، والراكبُ على الماشي، وراكبُ الفرس على راكبِ الحمار، والصغيرُ على الكبير، والأقلُّ على الأكثر، وإذا الْتَقَيا ابتَدَرا.

وعن أبي حنيفة رحمه الله: لا تَجهَر بالردِّ، يعني: الجهرَ الكثير.

قوله: (ويَكرُّه)، أي: يَرجعُه.

قوله: (رُوح القدس)،[1] أي: لا تبقى أرواحهم مقدَّسة، أي: تخبث أنفُسهم وتتلطَّخ بالذنب. وقيل: أراد بـ"روح القدس" التوفيق، لأنّه يحيا به الإنسان.

[1] ما وقفتُ عليه فيما بين يديَّ من المظانّ.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إذا سَلَّم عليكم أهلُ الكتاب فقولوا: وعليكم»؛ أي: وعليكم ما قلتُم؛ لأنهم كانوا يقولون: السَّامُ عليكم.

ورُوي: «لا تَبْدَأِ اليهوديَّ بالسلام، وإن بَدأَكَ فقل: وعليك».

وعن الحسن: يجوز أن تقول للكافر: وعليك السلام، ولا تقل: ورحمةُ الله، فإنّها استغفارٌ.

وعن الشعبيّ: أنه قال لنصرانيّ سَلَّم عليه: وعليك السلام ورحمة الله، فقيل له، فقال: أليس في رحمة الله يعيشُ.

وقد رَخَّص بعضُ العلماء في أن يَبْدأ أهلُ الذمَّة بالسلام إذا دعَتْ إلى ذلك حادثةٌ تحوجُ إليهم، ورُوي ذلك عن النخعي.

وعن أبي حنيفة رحمه الله: لا تبدأهُ بسلامٍ في كتابٍ ولا غيرِه.

وعن أبي يوسف رحمه الله: لا تُسلِّمْ عليهم ولا تُصافحْهُم، وإذا دخلتَ فقل: السلامُ على مَن اتَّبعَ الهدى، ولا بأس بالدعاء له بما يُصْلِحه في دُنياه.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾، أي: يحاسبُكم على كلِّ شيء من التحيَّة وغيرها.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إمَّا خبرٌ للمبتدأ، وإما اعتراضٌ والخبرُ ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾،

قوله: (السام) السام: الموت. وقيل: السام والذام: الشتم واللعن.

قوله: (للكافر: وعليك) الصواب ههنا:[١] "عليك" بغير واو، وهو رواية الثقات.

قوله: (فإنّها استغفار)، يعني: لا يجوز الاستغفار للكفّار.[٢]

قوله: (في كتاب)، أي: بطريق إرسال المكتوب.

---

[١] ر: هنا.

[٢] ن: للكافر.

ومعناه: «اللهُ واللهِ ليَجمعنَّكم».

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾؛ أي: ليَحشُرنَّكم إليه، والقِيَامةُ والقِيَام كالطِّلابة والطِّلابِ، وهي قيامُهم من القبور أو قيامُهم للحساب، قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ [المطففين ٦/٨٣].

﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾؛ لأنّه عزَّ وعلا صادقٌ لا يجوز عليه الكذبُ، وذلك أن الكذب مستقلٌّ بصارفٍ عن الإقدام عليه وهو قُبحُه، ووجهُ قبْحِه الذي هو كونُه كذبًا وإخبارًا عن الشيء بخلافِ ما هو عليه، فمَن كذَبَ

قوله: (ومعناه: الله) فيكون القسم مع جوابه خبرًا[1] لمبتدأ،[2] كما كان صلة الموصول في ﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾.

قوله: (ليحشرنكم إليه)، أي: ليحشرنكم متوجّهين إليه، أي: إلى حساب يوم القيامة أو إلى محشر يوم القيامة.

قوله: (لأنه عزّ وجلّ) تعليل لقوله: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّه في معنى: لا أحدَ أصدق منه.

قوله: (مستقِلّ بصارفٍ) أقلّه: أطاق حَمْله. و"مستقلّ بصارف"، أي: حامل صارفٍ[3] ومستلزم صارفٍ، فالكذب يلزمه الصارف عن الكذب وهو قبحه.

قوله: (وهو قبحه)، أي: الصارف هو قبحه.

قوله: (ووجهُ قبحه)، أي: سببُ قبحه، ثمّ وصف / قوله: "وجه قبحه" [٣١٢و]
بقوله: (الذي)... إلخ، فكأنّه أشار بذلك إلى أنّ قبح الكذب ذاتيّ له، وهو عطف على قوله: "قبحه"، فهو متّصل بما قبله وليس باستئناف، ودلّ الموصول على هذا الاتّصال، ومَن لم يتفطّن ذلك أسقطه، وهو وهم.

قوله: (فمَن كَذَب) مسبَّب عن قوله: "مستقلّ بصارف".

---

١ ر: خبر.
٢ ر: المبتدأ.
٣ ن ر – أي: حامل صارف.

لم يكذِبْ إلّا لأنه محتاجٌ إلى أن يَكذب؛ ليَجُرَّ منفعةً، أو يدفعَ مَضرةً، أو هو غَنيٌّ عنه إلّا أنه يَجهل غِنَاه، أو هو جاهلٌ بقبحه، أو هو سَفِيهٌ لا يَفرّق بين الصِّدق والكذب في إخباره، ولا يُبالي بأيِّهما نَطق، وربَّما كان الكذب أَحْلى على حنكه من الصدق.

وعن بعض السفهاء أنه عُوتِبَ على الكذبِ فقال: لو غَرْغَرَتْ لَهَواتُك به ما فارقتْه قط.

وقيل للكذّاب: هل صَدَقْتَ قطُّ؟ فقال: لولا أنّي صادقٌ في قولي: "لا" لَقلْتُها.

فكان الحكيم الغنيُّ الذي لا تجوزُ عليه الحاجات، العالِمُ بكلِّ معلومٍ، مُنزَّهًا عنه كما هو منزَّه عن سائر القبائح.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿فِئَتَيْنِ﴾ نصبٌ على الحال؛ كقولك: ما لك قائمًا؟

قوله: (لو غرغرَتْ) في بعض النُّسخ "لو غرغرَتْ لَهواتك[1] به"، فعلى هذا تكون نسبة الغرغرة إلى اللهوات مجازًا، والغرغرة تردُّد الروح في الحَلْق. ويقال للراعي: يغرغر بصوته، أي: يردّده في حلقه، أي: لو غرغرْتَ بالكذب في لهواتك، بمعنى: ردّدته في لَهواتك.[2]

قوله: (فكان الحكيم)، أي: الكذب مستقلّ[3] بصارفٍ فمَن كذب... إلخ، فكان الحكيم الغنيّ منزهًا عنه، فقوله: "فكان" عطف على قوله: "فمَن كذب"... إلخ.

قوله: (منزَّهًا) خبر "كان".

قوله: (كقولك: ما لك قائمًا؟) ﴿فِئَتَيْنِ﴾ مثل "قائمًا" في أنّ عاملهما[4] معنويّ، لكنّه بخلافه مِن حيث إنّ "قائمًا" مشتقّ دالّ على الهيئة بخلاف ﴿فِئَتَيْنِ﴾،

---

[1] ن ر: فهو أنك.
[2] ن ر - بمعنى ردّدته في لهواتك.
[3] ر: منتقل.
[4] ن ر: عاملها.

ورُوي أن قومًا من المنافقين استأذنوا رسولَ الله في الخروج إلى البَدْوِ مُعْتلِّين باجتواءِ المدينة، فلمّا خَرجوا لم يزالوا راحلين مَرحلةً مَرحلةً حتى لحقوا بالمشركين، فاختلف المسلمون فيهم، فقال بعضهم: هم كفارٌ، وقال بعضهم: هم مسلمون.

وقيل: كانوا قومًا هاجروا من مكّة ثم بَدا لهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله: إنّا على دِينك، وما أخرجَنا إلّا اجتواءُ المدينة والاشتياقُ إلى بلدنا.

وقيل: هم قوم خرجوا مع رسول الله إلى أحدٍ ثم رجعوا.

وقيل: هم العُرَنيُّون الذين أغاروا على السَّرْحِ وقتَلوا يسارًا.

وإنّما جاز وقوعه حالًا لأنّه في معنى مفترقتين[1] مختلفتين.[2]

قوله: **(باجتواء)**[3] الاجتواء: خلاف تنعّمه، وهو ألّا يستمرئ طعامه وشرابه، بعبارة أخرى "اجتواء[4] المدينة":[5] كراهة الإقامة به، وإن كان المقيم به في دَعَة وتنعّم.

قوله: **(مرحلةً مرحلةً)** نصب على الظرف نحو "سرتُ فرسخًا" والمرحلة الثانية صفة، أي: مرحلة حاصلة بعد مرحلة.

قوله: **(إنّا على[6] دينك)**[7] هذا حكاية ما كتبوا، ولذلك كُسِر "إنّ".

قوله: **(على السرح)** السرح: النَّعَم السارحة. وعُرينة: قبيلة. قال في **المغرب**: «**عُرَنة: وادٍ بحِذاء عرفات وبتصغيرها،[8] سُمّيت عُرينة وهي قبيلة يُنسَب إليها العُرنيون في الحديث المعروف**، ويدلّ على هذا رواية أنس رضي الله تعالى عنه:[9]

---

١ ن: متفرقين؛ ر: مفترقين.

٢ ن ر: مختلفين.

٣ ر: بالاجتواء.

٤ ن ر – اجتواء.

٥ ن: بالمدينة.

٦ د ن ر: عليك. | وأثبتُّ ما في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله.

٧ ر: ذنبك.

٨ هذا ما ذكره الأزهري في معناه. وقال غيره: بطن عُرَنة مسجد عرفة والمسيل كلّه. انظر: **معجم البلدان** للحمويّ، ٤/١١١.

٩ د – رضي الله تعالى عنه.

وقيل: هم قومٌ أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرَة.

ومعناه: ما لكم اختلفتُم في شأن قومٍ نافقوا نِفاقًا ظاهرًا وتفرَّقتم فيه فِرْقتين، وما لكم لم تَبَتُّوا القول بكفرهم ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾؛ أي: ردَّهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله. أو: أركسهم في الكفر بأنْ خذلهم حتى ارتكَسوا فيه، لِمَا عَلِم من مرض قلوبهم.

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا﴾: أن تجعلوا من جملةِ المهتدين ﴿مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾: مَن جعَله من جُملة الضُّلَّال ....

أنّه قدِم قوم مِن[١] عُكْل أو عُرَينة».[٢] يسار: هو مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٣] راعي غنمه.

قوله: (فيه)، أي: في شأن قوم.

قوله: (تبَتّوا) البتّ: القطع.

قوله تعالى: (﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾) الرَّكْس: ردّ الشيء مقلوبًا. وقد رَكَسه وأركسه بمعنى فقوله[٤] تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾، أي: ردّهم إلى كفرهم. هذا هو التفسير عند أهل السنّة والجماعة والمنقول عن الأئمّة، لكنّ المصنّف فسّره على ما يُوافق[٥] مذهبه، فقال: (ردّهم في حُكم المشركين)، أي: حَكَم عليهم[٦] بالشِّرك. وأمّا إن كان مراد المصنّف بقوله: "ردّهم في حكم المشركين": "ردَّهم إلى الشرك" فهو الموافق لِما ذكرنا. وقوله: (كما كانوا) عليه، فإنّهم كانوا قبل مستقرّين على حُكم الشرك، فالآن حكمهم كذلك، ثم إنّ قول المصنّف: (بما كسبوا مِن ارتدادهم) يدلّ على أنّ مراد المصنّف[٧] تفسيرُه بما يوافق مذهبه.

قوله: (مَن جعَله) هذا على التفسير الأوّل.

---

١ ن ر: ما بين.

٢ المغرب للمُطرّزي، «عون». وحديث أنس رضي الله عنه، في صحيح البخاري، ١/٥٦ (٢٣٣)؛ وصحيح مسلم، ٢/١٢٩٧ (١٦٧١).

٣ د – صلّى الله عليه وسلّم؛ ر: عليه السلام.

٤ ر: قوله.

٥ ر: هو.

٦ ر: عليه.

٧ ن ر – بما كسبوا من ارتدادهم يدل على أن مراد المصنّف.

وحَكَم عليه بذلك، أو خَذَله حتى ضلَّ.

وقرئ: "رَكَّسهم" و: "رُكِّسوا فيها".

﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿فَتَكُونُونَ﴾ عطفٌ على ﴿تَكۡفُرُونَ﴾، ولو نُصب على جواب التمنّي لجاز، والمعنى: ودُّوا كُفرَكم فكونكم معهم شَرَعًا واحدًا فيما هم عليه من الضَّلال

قوله: (وحَكَم عليه) عطف على قوله: "وجَعَله" على طريق البيان، فإنّ المراد بجَعْله مِن جملة الضلّال: هو الحكم عليه بأنّه مِن جملة الضلّال على مذهبه.

قوله: (أو خَذَله) هذا على التفسير الثاني.

قوله: (و"رُكِّسوا")، أي: قوله تعالى: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ﴾ [النساء ٩١/٤]، / فإنّه قرئ هناك "رُكِّسُوا فِيهَا"،[1] وإنّما ذكره هنا لأنّ كليهما مِن باب "الإفعال" وقرئا[2] في القراءة الشاذّة بـ"التفعيل"، مع أنهما مِن أصل واحد، ولا يلتبس بأنّ المراد القراءة هنا، إذ لا يمكن أن يقرأ هنا "رُكِّسُوا"، إذ لا يستقيم المعنى. [٣١٢ظ]

قوله: (ودُّوا كفرَكم فكونكم) جعل "لو"[3] مع[4] الفعل في تأويل المصدر، كما قيل: قد يكون "لو" بمعنى "أن" لكن لا يعمل.

قوله: (شَرعًا)، أي: سواءً، يُحرَّك ويُسكَّن يستوي فيه الواحد والتثنية والجمع لأنّه مصدر. وقوله: (واحدًا) خبر ثانٍ لـ"كان". وقوله: (فيما) تنازع فيه "شرعًا" و"واحدًا".

---

[1] قراءة شاذّة مرويّة عن ابن مسعود. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٣٤.
[2] ن: قرئتا.
[3] ن: لرفع؛ ر: الرفع.
[4] ن ر - مع.

واتّبـاع ديـن الآبـاء، فـلا تتولَّوهـم وإنْ آمَنـوا حتى يُظاهـروا إيمانَهـم بهجـرةٍ صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من أغراض الدنيا، مستقيمةٍ ليس بعدها بَـداءٌ ولا تَعـرُّبٌ.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان المُظاهَر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمُهم حكمُ سائر المشركين يُقتَلون حيث وُجدوا في الحلِّ والحرم، وجانِبوهـم مجانبةً كليّةً، وإن بذلوا لكم الولايةَ والنُّصرةَ فلا تقبلوا منهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ۝٩٠﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ استثناءٌ من قوله: ﴿فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾ ومعنى ﴿يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ﴾: يَنتهون إليهم ويتّصلون بهم.

قوله: (فلا تتولَّوهم) فلا توادُّهم.

قوله: (حتّى يُظاهروا)، أي: لا تتولوهم إلى هذه الغاية.

قوله: (ولا تعرُّب) التعرُّب في عرفهم: الارتداد، يقال: تعرَّب بعد الهجرة، أي: صار أعرابيًّا مرتدًّا،[١] لأنّ الهجرة كانت شرط الإسلام.[٢]

قوله: (وجانِبوهم) عطف على قوله: (يُقتلون) لأنّهما تفصيل ما أجمله.

قوله: (فحكمُهم) حكم سائر المشركين، وإذا ثبت أنّه عطف عليه فيجب جَعْل الخبريّ في تأويل الطلبيّ أو بالعكس، والأوّل أولى لقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾، ﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ﴾.

قوله: (استثناء مِن قوله: ﴿فَخُذُوهُمۡ﴾)، أي: استثناء مِن ضمير المفعول في قوله: ﴿فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾ لا من الضمير في ﴿لَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ﴾، لأن اتّخاذ الوليّ منهم حرام.

---

[١] ر: ومرتدًّا.

[٢] انظر: المغرب للمطرّزي، «عرب».

وعن أبي عُبَيدة: هو من الانتِساب، وصلتُ إلى فلان واتصلتُ به: إذا انتميْتَ إليه.

وقيل: إنّ الانتساب لا أثرَ له في منع القتال، فقد قاتل رسول الله بمَن معه مَن هو من أَنسِبَائهم.

والقومُ هم الأَسْلَمِيُّون، كان بينهم وبين رسول الله عهدٌ، وذلك أنّه وادَعَ وقتَ خروجه إلى مكّة هلالَ بن عُوَيْمرٍ الأَسْلميَّ على أن لا يُعِينَه ولا يُعِينَ عليه، وعلى أنَّ مَن وَصَل إلى هلالٍ ولجأ إليه فله من الجوارِ مثلُ الذي لهلال.

قوله: (واتّصلتُ) قال الشاعر:

إذا اتّصلتْ قالت أبكرَ بن وائل وبكرٌ سَبَوها والأنوفُ رواغمُ[1]

إذا اتّصلت: انتسبت. سَبَوها: مِن السبي.[2]

قوله: (وقيل: إنّ) هذا ردّ لقول أبي عبيدة.

قوله: (بمَن معه)، أي: مع أصحابه.

قوله: (والقوم)، أي: ﴿قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾.

قوله: (وادَع)، أي: صالح.

قوله: (فله مِن الجوار) «الجار: الذي أجرتَه مِن أن يظلمه ظالم».[3] قال:

وكنتُ إذا جاري دعا لمضوفةٍ[4] أشمِّر حتّى ينصُفَ الساقُ[5] مِئزري[6]

واستجاره مِن فلان وأجاره[7] منه. وإنّما قال المصنّف: "مِن الجوار"، أي:

---

[1] البيت للأعشى في ديوانه، ص ٨١؛ وهو له في غريب الحديث لابن قتيبة، ٢/٢٤٢؛ والفائق للزمخشري، ٤/٦٣؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «وصل»، وفيها جميعًا «سَبتها» مكان «سَبَوها».

[2] ن: الشيء.

[3] الصحاح للجوهري، «جور».

[4] ن ر: بمضوفة.

[5] ن ر: الشاق.

[6] البيت لأبي جندب الهذلي في شرح أشعار الهذليين للسكّري، ١/٣٥٨؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «جور»، «ضيف»، «نصف»، «كون»؛ وبلا عزو في إصلاح المنطق لابن السِّكّيت، ص ٢٤١؛ والأضداد لابن الأنباري، ص ١٣٠.

[7] ن ر: فأجاره.

وقيل: القوم بنو بكر بن زيدِ مَناةَ كانوا في الصلح.

﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ لا يَخلُو من أن يكون معطوفًا على صفةِ ﴿قَوْمٍ﴾ كأنّه قيل: إلّا الذين يصلون إلى قومٍ مُعاهِدين أو قومٍ ممسِكين عن القتالِ لا لكم ولا عليكم، أو على صلةِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ كأنّه قيل: إلا الذين يتّصلون بالمعاهِدين أو الذين لا يقاتلونكم.

والوَجْهُ العطف على الصِّلة؛ لقوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء ٤/٩٠] بعد قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [النساء ٤/٨٩] فقَرَّر أن كفَّهم عن القتال أحدُ سببَي استحقاقِهم لنفيِ التعرُّض عنهم وتركِ الإيقاع بهم.

مِن باب "المفاعلة"؛ لأنّ هذا الصُّلح كان مِن الطرفين، و"مِن" فيه للبيان، أي: مثل الجوار[1] الذي لهلال.

قوله: (زيدُ مناة) زيدُ[2] مناة علم، وهو مثل قولِهم: "عبد مناة"، والمَناة اسم صنم.

قوله: (على صفة ﴿قَوْمٍ﴾) وهي قوله: ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾.

قوله: (بعد قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ﴾) يعني أنّ قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ﴾ يقتضي الأخذ والقتل، فلو لم يتقدَّم على قوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ ما يدلّ على أنّ كفهم سبب نفي تعرُّضهم لَما حَسُن.

قوله: (﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾)[3] بالفاء... إلخ، لأنّ الفاء تدل على أنّه مسبَّب[4] عمّا قبله.

قوله: (فقرَّر)، أي: فقرَّر قوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ بعد قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ﴾.

---

[1] ر: الجواز.
[2] ن ر: وزيد.
[3] ر - ما يدل على أنّ كفهم سبب نفي تعرّضهم لما حسن قوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾.
[4] ر + نفي تعرّضهم لما حسن قوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ بالفاء... إلخ، لأنّ الفاء تدل على أنّه مسبَّب.

فإن قلتَ: كلُّ واحد من الاتِّصالين له تأثيرٌ في صحَّة الاستثناء واستحقاقِ إزالةِ التعرُّض: الاتِّصالُ بالمعاهدين والاتِّصالُ بالمكافِين؛ لأن الاتِّصال بهؤلاء أو هؤلاء دخولٌ في حكمهم، فهلا جوَّزتَ أن يكون العطفُ على صفةِ ﴿قَوْمٍ﴾، ويكونُ قوله: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ تقريرًا لحكم اتِّصالهم بالمكافِين واختلاطهم بهم وجَرْيِهم على سَنَنِهم.

قلتُ: هو جائزٌ، ولكنَّ الأوَّل أظهرَ وأَجْرَى على أسلوب الكلام.

وفي قراءة أبي: "بينكم وبينهم ميثاقٌ جاؤكم حصِرَتْ صدورهم" بغيرِ ﴿أَوْ﴾، ووجهُه: أن يكون ﴿جَآءُوكُمْ﴾ بيانًا لـ﴿يَصِلُونَ﴾ أو بدلًا، أو استئنافًا، أو صفةً بعد صفةٍ لـ﴿قَوْمٍ﴾.

﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ في موضع الحال بإضمارِ "قد"، والدليلُ عليه قراءةُ مَن قرأ: ﴿حَصِرَةً صدورُهم﴾ و: "حَصِراتٍ صدورُهم"، و: "حاصراتٍ صدورُهم".

قوله: (**على صفة ﴿قَوْمٍ﴾**) ويكون المراد بهم المتَّصلين بالمكافِين لا المكافِين.

قوله:[١] (**الأوَّل**)، أي: العطف على الصلة.

قوله: (**وأجرى**) لأنَّه إذا عُطف على الصلة يكون المراد بـ﴿جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ المكافِين، فقوله بعد ذلك: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ يكون مناسبًا، لأنَّ المعتزِلين عن / القتال هم المكافُون، وأمَّا إذا عُطف على الصفة فيكون المراد بـ﴿جَآءُوكُمْ [٣١٣و]
حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ هم الذين يصِلون بالمكافِين، أعني: يكون التقدير إلَّا الذين[٢] يصِلون بالمكافِين إلى قوم جاءوكم، والمراد بالذين يصِلون إلى قوم جاءوكم هم الذين يصِلون[٣] عن القتال، فلا يناسبه ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ إلَّا بتقدير إدخالهم في حكمهم، ولا شكَّ أنَّ الأوَّل أولى، فإنَّ ظاهر ﴿ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ كَفُّوا عن قتالكم.

قوله: (**بعد صفة**) هي قوله: ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾.

---

١ ن ر – على صفة قوم ويكون المراد بهم المتصلين بالمكافِين لا المكافِين. قوله.

٢ ن – الذين.

٣ ن ر – إلى قوم جاءوكم والمراد بالذين يصلون إلى قوم جاءوكم هم الذين يصلون.

وجَعلَه المبردُ صفةً لموصوفٍ محذوفٍ على: أو جاؤوكم قومًا حَصِرَتْ صدورهم.

وقيل: هو بيانٌ لـ﴿جَآءُوكُمْ﴾، وهم بنو مُدْلج جاؤوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غيرَ مقاتلين.

والحَصَرُ: الضِّيقُ والانقباضُ.

﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾: عن أن يقاتلوكم، أو: كراهةَ أن يقاتلوكم.

فإن قلتَ: كيف يجوز أن يُسَلِّط الله الكفرةَ على المؤمنين؟

قلتُ: ما كانت مكافَّتُهم إلّا لقذفِ اللهِ الرعبَ في قلوبهم، ....

قوله: (أو جاءوكم قومًا) منصوبًا على الحال، وفائدةُ الحال في مثل هذه الصورة[١] تكون مبنيّةً على صفة الحال كما في قولك: "زيد رجل عالم"، فإنّ الخبر وإن كان هو الرجل لكنّ محطّ الفائدة صفتُه.[٢]

قوله: (وقيل: هو بيان)، أي: قيل: إنّ ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ بيان لقوله: ﴿جَآءُوكُمْ﴾، فلا يكون المراد بالمجيء هو المجيء حقيقة؛ بل المراد بمجيئهم هو كفّهم عن القتال، فإذا كفّوا عن قتالهم فكأنّهم جاءوهم.

قوله: (بنو مُدلِج) «بضمّ الميم قبيلة مِن كنانة، ومنهم القافة»،[٣] غيرُ منصرف للتأنيث والعلمية.

قوله: (عن أن يقاتلوكم)، يعني: بحذف الجارّ، أو بحذف "كراهة": على التقدير الأوّل يكون ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ مفعولًا به بواسطة حرف الجرّ، وعلى الثاني مفعولًا له.

قوله: (قلتُ: ما كانت مكافّتهم)... إلخ، العجبُ مِن المصنّف ومِن جوابه هذا، فإنّه إذا جاز[٤] تَرْكُ قذفِ الرعب المؤدّي إلى التسلُّط فما المانع مِن التسلّط ابتداء لمصلحة يراها الله تعالى، كما قال المصنّف وأجازه؟

---

١ ر: السورة.

٢ ن ر: صفة.

٣ الصحاح للجوهري، «دلج».

٤ ن - جاز.

ولو شاء لمصلحةٍ يَراها من ابتلاءٍ ونحوه لم يَقذفه فكانوا متسلِّطين مقاتلين غيرَ مكافِّين، فذلك معنى التسليط.

وقرئ: "فلَقَتلُوكم" بالتخفيف والتشديد.

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾: فإن لم يتعرَّضوا لكم.

﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾؛ أي: الانقيادَ والاستسلام، وقرئ بسكون اللام مع فتح السين.

﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: فما أَذِنَ لكم في أخذِهم وقَتْلِهم.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ هم قومٌ من أسدٍ وغطفانَ كانوا إذا أَتَوا المدينةَ أسلموا وعاهدوا ليَأْمنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عُهودَهم.

﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾: كلَّما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين.

﴿أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾: قُلِبوا فيها أقبحَ قلبٍ وأَشنَعَه، وكانوا شرًّا فيها من كلِّ عدوٍّ.

و﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: حيث تمكَّنتُم منهم.

﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: حجةً واضحةً؛ لظهور عداوتهم، وانكشافِ حالهم في الكفر والغَدْر وإِضرارهم بأهل الإسلام. أو: تسلُّطًا ظاهرًا حيث أَذِنَّا لكم في قَتْلهم.

قوله: (ليأمنوا) مِن قولهم: "أَمِنَ جاره بوائقه"، فهو متعدٍّ إلى مفعول واحد.

قوله: (﴿أُرْكِسُواْ﴾) ومنه الثور الراكس، أي:[1] الداخل في دَوس[2] الطعام.[3]

---

[1] ر: إلى.

[2] ن: روس.

[3] انظر: الصحاح للجوهري، «ركس».

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾: وما صحَّ له ولا استقام ولا لاقَ بحاله؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران ١٦١/٣] ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ﴾ [الأعراف ٨٩/٧].

﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ ابتداءً غيرَ قصاصٍ ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾: إلَّا على وجهِ الخطأ.

فإن قلتَ: بمَ انتصب ﴿خَطَـًٔا﴾؟

قلتُ: بأنه مفعولٌ له؛ أي: ما ينبغي له أن يقتله لعلَّةٍ من العللِ إلَّا للخطأ وحده.

ويجوز أن يكون حالًا بمعنى: لا يقتُله في حالٍ من الأحوال إلَّا في حالِ الخطأ، وأن يكون صفة للمصدر: إلا قتلًا خطأ.

والمعنى: أن من شأن المؤمن أن ينتفيَ عنه وجودُ قتلِ المؤمن ابتداءً البتَّةَ إلَّا إذا وُجد منه خطأ من غيرِ قصدٍ؛ بأن يرميَ كافرًا فيُصيبَ مسلمًا، أو يرميَ شخصًا على أنه كافرٌ فإذا هو مسلم.

وقرى: "خطاءً" بالمدِّ، و: "خطًى" -بوزن عمًى- بتخفيف الهمزة.

وروي: أن عيَّاشَ بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جَهْلٍ لأمِّه أَسْلمَ وهاجَرَ خوفًا من قومه إلى المدينة، وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقسمَتْ أمُّه لا تأكل ولا تشربُ ولا يُؤْوِيها سَقفٌ حتى يرجع، فخرجَ أبو جهلٍ

قوله: (ورُوي أنّ عيّاش)[1] في بعض النُّسخ: "روي" بغير واو، وهو على طريقته عند ذِكر سبب النزول، وفي بعضها "ورُوي" بالواو، وجهُه أنّ ما ذُكره أوّلًا دلّ على أنّ الآية نزلت ابتداء لبيان الحكم، ثـمّ أشار إلى أنّ بعضهم يقول: إن سبب نزوله قصّة عيّاش بن أبي ربيعة.

---

[1] ر + رضي الله عنه.

ومعه الحارث بن زيد بن أبي أُنَيْسَةَ، فأتياه وهو في أُطُم، ففتَلَ منه أبو جهلٍ في الذِّروةِ والغاربِ وقال: أليس محمدٌ يحثُّك على صلة الرحم؟ انصرفْ وبَرَّ أمَّكَ وأنتَ على دينك، حتّى نزل وذهبَ معهما، فلمّا فسحا عن المدينة كَتَفَاه وجَلَده كلُّ واحدٍ منهما مئةَ جَلدةٍ، فقال للحارث: هذا أخي فمَن أنت يا حارث؟ لله عليَّ إنْ وجدتُك خاليًا أَنْ أقتلك، وقدِما به على أمِّه فحلفَتْ لا يُحَلُّ كِتافُه أو يرتدَّ، ففعل، ثم هاجَرَ بعد ذلك، وأَسلم الحارث وهاجر فلَقِيَه عَيَّاشٌ بظهر قُباءٍ ولـم يَشعُر بإسلامه، فأنحى عليه فقتله، ثم أُخبرَ بإسلامه فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: قتلتُه ولـم أَشْعر بإسلامه، فنزلت.

قوله: **(في أُطُم)**، أي: قلعة الأطُم بضمّتين وبضمة وسكون والجمع الآطام، وهي: حصون لأهل المدينة.[١] **(ففتل)**، أي: أغترَّه، يقال:[٢] «ما زال[٣] فلان يفتل عن فلان[٤] في الذروة والغارب،[٥] أي: يدور مِن وراء خديعته»،[٦] وأصله أن يفتل[٧] وبر البعير الصعب حتّى يعطي رأسه.[٨] ومعنى قوله: **(ففتل منه)** أنّه خدعه. وذُرى الشيء:[٩] أعاليه، والواحد "ذِروة". و**(الغارب)**: ما بين السَّنام والعنق.

قوله: **(حتّى نزل)** متعلق بـ"فتل".

قوله: **(فلمّا فسحا)** افسح عنّي، أي: أبعد عنّي.

قوله: **(كَتَفاه)** «كتفتُ الرجل: شددتُ يديه إلى خلف بالكِتاف، وهو حبل».[١٠]

قوله: **(قُباء)**[١١] قباء بالضمّ والمدّ: مِن قرى المدينة، ينوّن ولا[١٢] ينوّن.

---

١ الأُطم والأُجم بمعنى واحد، والجمع آطام وآجام: وهي الحصون، وأكثر ما يُسمّى بهذا الاسم حصون المدينة، وقد يقال لغيرها أيضًا. **معجم البلدان** للحمويّ، ٢١٩/١.

٢ ن: فقال.

٣ ن: قال.

٤ ن - يفتُل عن فلان.

٥ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٦٩/٢.

٦ **الصحاح** للجوهري، «فتل».

٧ ن ر - في الذروة والغارب، أي: يدور من وراء خديعته وأصله أن يفتل.

٨ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٦٩/٢.

٩ ر - الشيء.

١٠ **الصحاح** للجوهري، «كتف».

١١ انظر سبب النزول في **جامع البيان** للطبري، ٣٠٦/٧ (النساء، ٩٢/٤)؛ **وأسباب النزول** للواحدي، ص ١٧٣-١٧٤.

١٢ ر: لا.

﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾: فعليه تحريرُ رقبة.

والتحريرُ: الإعتاقُ، والحرُّ والعتيقُ: الكريم؛ لأن الكَرَم في الأحرار كما أن اللُّؤم في العبيد، ومنه: عِتاقُ الخيل وعتاقُ الطَّير لكِرَامها.

وحرُّ الوجه: أكرمُ موضعٍ منه، وقولهم للَّئيم: عَبْدٌ، وفلانٌ عبدُ الفعل؛ أي: لئيم الفعل.

والرَّقبَةُ: عبارة عن النَّسمة؛ كما عُبِّر عنها بالرأس في قولهم: فلان يملك كذا رأسًا من الرقيق، والمرادُ بـ﴿رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾: كلُّ رقبةٍ كانت على حكم الإسلام عند عامَّة العلماء.

وعن الحسن: لا تُجزئ إلَّا رقبةٌ قد صلَّت وصامت، ولا تُجزئ الصغيرة.

وقاسَ عليها الشافعيُّ كفَّارة الظهار فاشترط الإيمانَ.

وقيل: لمَّا أخرج نفسًا مؤمنةً عن جملة الأحياء لزمه أن يُدخِل نفسًا مثلَها في جملة الأحرار؛ لأن إطلاقها من قيدِ الرقِّ كإحْيائها، مِن قِبَل أن الرقيق ممنوعٌ من تصرُّف الأحرار.

﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ﴾: مؤدَّاةٌ إلى ورثته يقتسِمونها كما يقتسِمون الميراث، لا فرق بينها وبين سائر التركة في كلِّ شيء، يُقضَى منها الدَّين وتُنفَّذُ الوصية، وإذا لم يُبقِ وارثًا فهي لبيتِ المال؛ لأن المسلمين يقومون مقام الورثة؛ كما قال رسول الله: «أنا وارثُ مَن لا وارثَ له».

قوله: (أكرمُ موضع) وهو الخدّ.

قوله: (النسَمة): الإنسان.

[٣١٣ظ] قوله: (على حكم الإسلام)، يعني: يكون محكومًا / عليها بالإسلام.

قوله: (يُقضى) بيان قوله: (غيرَ القاتل)،[١] يعني القاتلَ[٢] مِن أقرباء المقتول، فإنّه لا يرث.

---

[١] ن ر: التقابل.

[٢] ن ر – يعني القاتل.

وعن عمر رضي الله عنه: أنه قَضَى بدية المقتول، فجاءَت امرأتُه تطلب ميراثها من عَقْله، فقال: لا أعلم لكِ شيئًا إنَّما الدِّيَةُ للعصَبة الذين يعقِلون عنه، فقام الضحَّاكُ بن سفيانَ الكلابيُّ فقال: كتب إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمُرني أَنْ أُورِثَ امرأةَ أَشْيم الضِّبَابيِّ من عَقْلِ زوجها أَشْيَم، فوَرَّثها عمرُ.

وعن ابن مسعود: يرثُ كلُّ وارثٍ من الدِّية غيرَ القاتل.

وعن شَرِيكٍ: لا يُقضَى من الدِّية دَين ولا تنفَّذ وصيَّة.

وعن رَبيعَة: الغرَّة لأمِّ الجنين وحدها. وذلك خلافُ قول الجماعة.

فإن قلتَ: على مَن تجب الرَّقبةُ والدِّية؟

قلتُ: على القاتل، إلَّا أن الرَّقبة في ماله والدِّيةَ تتحمَّلها عنه العاقلةُ، فإن لم تكن له عاقلةٌ فهي في بيت المال، فإن لم يكن ففي ماله.

﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾: إلا أن يتصدَّقوا عليه بالدِّيَة، ومعناه: العفوُ؛ كقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ [البقرة ٢/٢٣٧] ونحوُه: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة ٢/٢٨٠]، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «كلُّ معروفٍ صدقةٌ».

وقرأ أبيٌّ: "إلَّا أن يتصدَّقوا".

فإن قلتَ: بمَ تَعلَّق ﴿أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ وما محلُّه؟

قلتُ: تعلَّقَ بـ«عليه» أو بـ﴿مُّسَلَّمَةٌ﴾؛ كأنه قيل: وتجب عليه الدية -أو: يُسلِّمُها-

---

قوله: (ومعناه)، أي: معنى التصدُّق هنا العفوَ، لأنَّ ذلك إسقاط الحقّ وإسقاط الحقّ يسمّى عفوًا لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ [البقرة ٢/٢٣٧].

قوله: (ونحوه ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟﴾ [البقرة ٢/٢٨٠])، وذلك لأنَّ المراد بقوله: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟﴾ عفو المديون عن الدَّين، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟﴾ [البقرة ٢/٢٨٠].

قوله: (بـ"عليه")،[1] أي: بـ"عليه"[2] المحذوف عند قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾.

---

[1] ن ر: فعليه.

[2] ن ر: فعليه.

إلّا حين يتصدَّقون عليه، ومحلُّها النصبُ على الظرف بتقدير حذف الزمان؛ كقولهم: أَجْلِسُ ما دام زيدٌ جالسًا، ويجوز أن يكون حالًا من ﴿أَهْلِهِۦ﴾ بمعنى: إلا متصدِّقين.

﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾: من قومٍ كفَّارٍ أهلِ حربٍ، وذلك نحوُ رجلٍ أسلم في قومه الكفَّار وهو بين أظهُرِهم لم يفارقهم، فعلى قاتله الكفَّارةُ إذا قتله خطأً، وليس على عاقِلَتِه لأهله شيء؛ لأنَّهم كفَّار محاربون.

وقيل: كان الرجل يُسلِم ثم يأتي قومَه وهم مشركون، فيَغْزوهم جَيْشُ المسلمين فيُقتَل فيهم خطأً؛ لأنهم يظُنُّونه كافرًا مثلَهم.

﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ﴾ كفرةٍ لهم ذمَّةٌ؛ كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين، وأهلِ الذمَّة من الكتابيّين، فحكمُه حكمُ مسلمٍ من المسلمين.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبةً، بمعنى: فمَن لم يملكها ولا ما يَتوصَّلُ به إليها ﴿فَ﴾عليه ﴿صيامُ شهرَيْنِ متتابِعَيْنِ توبةً من اللهِ﴾: قبولًا مِن الله ورحمةً منه، مِن تاب الله عليه: إذا قَبِل توبتَه، يعني: شَرَع ذلك توبةً منه، أو: نَقَلكم من الرقبة إلى الصوم توبةً منه.

قوله: (**إلّا حين**)، أي: إلّا وقت أن يتصدقوا.

قوله: (**عاقلتِه**)، أي: عاقلة القاتل، وكأنّه إنّما[1] قيّد بقوله: (**لأهله**) لأنّه يجب عليه الدية لمصالح المسلمين، أعني: لبيت المال.[2]

قوله: (**وقيل: كان الرجل**)... إلخ، فعلى هذا لا يجب على القاتل الدية أصلًا؛ بل هو مُهدَر.

قوله: (**حكمُ مسلم**) في وجوب الكفّارة والدية، ولا يمكن القصاص هنا، إذ الكلام في الخطأ.

قوله: (**يعني: شرع**) يريد أنّ قوله تعالى: ﴿تَوْبَةً﴾ منصوب لأنّه مفعول له إما متعلّق بجميع الخصال المذكورة، أي: شَرَع جميع ذلك مِن التحرير والصيام

---

[1] ر - إنما.   [2] ن - لبيت المال.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾

هذه الآيةُ فيها من التهديدِ والإيعاد، والإبراق والإرْعاد، أمرٌ عظيم وخطبٌ غليظ، ومِن ثمَّ رُوي عن ابن عباس ما رُوي من أن توبةَ قاتلِ المؤمن عمدًا غيرُ مقبولة.

وعن سفيان: كان أهلُ العلم إذا سُئلوا قالوا: لا توبةَ له.

وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنَّة الله في التغليظ والتشديد، وإلَّا فكلُّ ذنبٍ ممحوٌّ بالتوبة، وناهيك بمحوِ الشرك دليلًا.

وفي الحديث: «لزَوَالُ الدنيا أهونُ على الله مِن قتلِ امرئٍ مسلمٍ».

وفيه: «ولو أنَّ رجلًا قُتل بالمشرق وآخرَ رضيَ بالمغرب لَأُشرِكَ في دمه».

وفيه: «إن هذا الإنسانَ بنيانُ الله، مَلْعونٌ مَن هَدَمَ بنيانه».

وفيه: «مَن أعان على قتل مؤمنٍ ولو بشَطرِ كلمةٍ جاء يومَ القيامة مكتوبٌ بين عينيه آيسٌ من رحمة الله».

لقبول التوبة وللرحمة مِن عنده، وإمّا متعلِّق بالأمر الأخير، أي: نقلكم مِن الإعتاق إلى الصيام للرحمة وقَبول التوبة.[1]

قوله: (هذه الآية)،[2] أي: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾.

قوله: (والإبراق) رَعَد الرجل وبَرَق: تهدّد وأوعد. وأرعد الرجل وأبرق إذا تهدّد وأوعد. وأنكره الأصمعي.[3]

قوله: (لا توبةَ له)، أي: وإن قُتل بالقصاص.

قوله: («بشطر كلمة»)[4] في الغريبين: قال سفيان: "شطر الكلمة" هو أن تقول

---

[1] ن ر – وللرحمة من عنده وإمّا متعلق بالأمر الأخير، أي: نقلكم من الإعتاق إلى الصيام للرحمة وقبول التوبة.

[2] ن ر – الآية.

[3] الصحاح للجوهري، «رعد».

[4] سنن ابن ماجه، ٦٤٠/٣ (٢٦٢٠).

والعجبُ من قوم يقرؤون هذه الآيةَ ويرون ما فيها، ويسمعون هذه الأحاديثَ الفَظيعةَ وقولَ ابن عباس مع التوبة، ثم لا تَدَعُهم أَشْعَبِيَّتُهُم وطَمَاعِيَتهُم الفارغةَ واتِّباعُهم هواهم وما تُخَيِّلُ إليهم مُناهم أن يَطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد ٤٧/٢٤].

ثمّ ذكرُ اللهِ سبحانه التوبةَ في قتل الخطأ لِمَا عسى يقع من نوعِ تفريطٍ

في "اقتل": "اق"، كما قال: كفى بالسيف شاهِ،[١] أي: شاهدًا.[٢]

قوله: (**أشعبيّتُهم**) منسوب إلى أشعب الطمّاع، ومنه «**أطمعُ مِن أشعب**».[٣]

قوله: (**أن يطمعوا**) متعلّق بقوله: (**لا تَدَعهم**)، أي:[٤] تمنعهم عن الطمع. واعلم أنّ تفسير قول المصنّف بـ"لا تمنعهم عن الطمع" لا وجهَ له؛ لأنّ الأشعبيّة ليست ممّا يتوقّع منها المنع عن الطمع[٥] في العفو حتّى إن لم يمنع يتعجّب منه، فتأمّل؛ بل الوجه أن نقول: معنى "تدع": تترك، أي: لا تتركهم عن الحمل على الطمع؛ بل تحملهم على[٦] الطمع مِن غاية الأشعبيّة الحاملة على هذا الطمع.

قوله: (**ثمّ ذِكرُ الله**) الجملة عطف على الجملة المتقدّمة، فإنّ معنى قوله: (**والعجب**)... إلخ، أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾... إلخ،[٧] مانعٌ عن الطمع، فذَكَر بعده أنّ ذِكر الله تعالى التوبة في قتل الخطأ حيث قال:[٨] "توبة مِن الله حسمٌ للطمع أيضًا"، فهو استدلّ بدليلين، والضمير مِن (**فيه**) عائد إلى "القتل"، وتعلّق به (**الاحتياط والتحفّظ**) بطريق التنازع.[٩]

قوله: (**لِما عسى**)، أي: للذي يمكن أن يقع، واللام متعلّق بالتوبة.

قوله: (**مِن نوع**) بيان "ما عسى".

---

١ **المصنّف** لعبد الرزاق، ٩/٤٣٤ (١٧٩١٨).

٢ انظر: **الغريبين** للهروي، ٣/١٠٠٢. والكلام في **غريب الحديث** للخطابي، ١/٢٠٥.

٣ **مجمع الأمثال** للميداني، ١/٤٣٩؛ **المستقصى** للزمخشري، ١/٢٢٤.

٤ ر + لا.

٥ ن ر – لا وجه له لأنّ الأشعبية ليست مما يتوقع منها المنع عن الطمع.

٦ ر: عن.

٧ ن: الآية.

٨ ر: قالوا.

٩ ر – التنازع.

فيما يجبُ من الاحتياط والتحفُّظ فيه حَسْمٌ للأطْماع وأيُّ حَسْمٍ، ولكن لا حياةَ لمن تُنادي.

فإن قلتَ: هل فيها دليل على خلودِ مَن لم يَتُبْ من أهل الكبائر؟

قلتُ: ما أبينَ الدليلَ فيها، وهو تناولُ قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ﴾ أيَّ قاتلٍ كان؛ من مسلمٍ أو كافرٍ، تائبٍ أو غيرِ تائب، إلَّا أن التائبَ أخرجهُ الدليل، فمَن ادَّعى إخراجَ المسلم غيرِ التائبِ فليأتِ بدليلٍ مثله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾﴾

﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ وقرئ: ﴿فتَثَبَّتوا﴾، وهما من التفعُّل بمعنى الاستفعال؛ أي:

قوله: (ولكن لا حياةَ) أوّله:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ولكن[1]

وبعده:

ونارٍ لو نفختَ بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في الرمادِ[2]

قوله: (وأيُّ حسمٍ) أقول: الله تعالى أكرم مِن أن يجمع مَن يوحّده ويجحد / في العذاب الدائم، وقد وعد[3] بأنّه يغفر ما دون الشرك لمَن يشاء، ومَن أوفى بعهده مِن الله، وإن رَغِم أنف المتحجّز واسعًا. [٣١٤و]

قوله: (فليأتِ بدليل مثله) دلائل هذا أكثر مِن أن يحصى، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر ٣٩/٥٣]، والحديث المشهور المذكور فيه: «وإن زنى وإن سرق وإن رغم أنف أبي ذرّ».[4]

---

[1] البيت لكُثيِّر عزّة في ديوانه، ص ٢٢٢.

[2] ليس في ديوان كُثيِّر عزّة. وما وقفت عليه فيما بين يديّ من المظانّ.

[3] ر: وعده.

[4] بلفظ قريب في صحيح البخاري، ١٤٩/٧ (٥٨٢٧)؛ وصحيح مسلم، ٩٤/١ (٩٤).

اطلُبوا بيانَ الأَمْر وثباتَه ولا تتهوَّكوا فيه من غيرِ رويّة.

وقرئ: ﴿السَّلَمُ﴾ و: ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ وهما الاستسلام، وقيل: الإسلام، وقيل: التسليم الذي هو تحيَّةُ أهل الإسلام.

﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وقرئ: ﴿مُؤْمَنًا﴾ بفتح الميم من آمنَه؛ أي: لا نُؤْمِنُك.

وأصله: أنَّ مِرداسَ بن نَهِيك رَجُلًا من أهل فَدَك أَسْلم ولم يُسْلِمْ من قومه غيرُه، فغزَتْهم سَرِيَّةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالِبُ بنُ فَضالة اللَّيْثيُّ، فَهَربوا وبقي مِرْداس لثقته بإسلامه، فلما رأى الخيلَ ألجأَ غَنَمه إلى عاقولٍ من الجبل وصَعد، فلمَّا تلاحَقوا وكبَّروا كبَّر نزل وقال: «لا إله إلَّا الله محمدٌ رسول الله السلام عليكم» فقتله أُسَامَةُ بن زيد واستاق غَنمه، فأخبروا رسولَ الله فوَجَد وَجْدًا شديدًا، وقال: «قتلتُموه إرادةَ ما معه؟!» ثم قرأ الآية على أسامة، فقال: يا رسول الله استغفر لي، قال: «فكيف بلا إلهَ إلَّا الله؟» قال أسامة: فما زال يُعيدها حتى وددْتُ أنْ لم أكن أسلمتُ إلَّا يومئذٍ، ثم استغفَرَ لي وقال: «أعتِقْ رقبةً».

قوله: (ولا تتهوّكوا) تهوَّك في الأمر إذا دخل فيه مِن غير رويّة.[1]

قوله: (الاستسلام)، أي: الانقياد.

قوله: (إلى عاقول) العاقول مِن النهر والوادي والرمل: المعوجّ منه.[2]

قوله: (فوَجَد)، أي: حزن.

قوله: («فكيف بلا[3] إلهَ إلّا الله»)، أي: كيف يصنع لو خاصم "لا إلهَ إلّا الله".

قوله: (إلّا يومئذٍ)،[4] أي: كان يتمنّى إسلامًا لا ذنبَ فيه، والصواب أن نقول: تمنّى أنّه كان قد أسلم يومئذٍ لا قبله، فإنّه لو كان أحدث الإسلام يومئذٍ لكفّر عنه ذلك القتل لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله.

---

[1] انظر: الصحاح للجوهري، «هوك».
[2] مقاييس اللغة لابن فارس، ٧٣/٤، «عقل».
[3] ن: ولا.
[4] جامع البيان للطبري، ٣٥٧/٧ (النساء، ٩٤/٤).

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: تطلبون الغنيمةَ التي هي حُطَامٌ سريعُ النفاد، فهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبّت وقلّةِ البحث عن حال مَن تقتلونه.

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ يُغنِّمكموها تُغْنيكم عن قتلِ رجل يُظهر الإسلام ويتعوَّذُ به من التعرُّض له؛ لتأخُذوا ماله.

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أوَّلَ ما دَخلتم في الإسلام، سُمِعَتْ من أفواهكم كلمةُ الشهادة فحُصِّنت دماؤكم وأموالكم من غير انتظارِ الاطِّلاع على مواطأة قلوبِكم لألسنتكم.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدُّم فيه، وإنْ صِرْتم أعلامًا فيه فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فُعِل بكم، وأن تعتَبِروا ظاهرَ الإسلام في المكافَّة، ولا تقولوا: إن تهليلَ هذا لاتِّقاء القتل لا لصدقِ النيَّة، فتجعلوه سُلَّمًا إلى استباحة دمه وماله وقد حَرَّمَهما الله.

وقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ تكريرٌ للأمر بالتبيُّن ليؤكِّد عليهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ....

قوله: (حُطام)[١] الحَطْم: الكسر. «والحُطام: ما تكسَّر مِن اليُبس».[٢] ويقال للمال ومتاع الدنيا حُطام لسرعة زواله.

قوله: (يُظهِر) صفة (رجل).

قوله: (لتأخذوا) متعلِّق بقوله: (قَتْل).[٣]

قوله: (فحُصِّنت)،[٤] أي: بسببها.[٥]

قوله: (فعليكم)، أي: كذلك كنتُم فعليكم.

قوله: (فتجعلوه)، أي: القول، وهو جواب النهي أو عطف عليه.

---

١ ن: الحطام.
٢ الصحاح للجوهري، «حطم».
٣ ن ر: قيل.
٤ ر: تحصنت.
٥ ر: تشبيهًا.

فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترِزِينَ مُحتاطِينَ في ذلك.

﴿لَا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ وقرئ بالحركات الثلاث، فالرفع صفة لـ﴿ٱلْقَٰعِدُونَ﴾، والنصب استثناء منهم أو حال عنهم، والجرُّ صفةٌ لـ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

والضرر: المرضُ أو العَاهَةُ؛ من عَمًى أو عرجٍ أو زمانةٍ أو نحوها.

وعن زيد بن ثابت: كنتُ إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغشيَتْهُ السَّكينةُ فوقعَتْ فَخِذُه على فَخِذي حتى خَشيتُ أن تَرُضَّها، ثم سُرِّيَ عنه فقال: «اكتُب»، فكتَبْتُ في كَتِفٍ: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون»

قوله: (فلا تتهافتوا)[١] التهافت: التساقط، وتهافت الفراش في النار، أي: تساقط.[٢]

قوله: (فالرفع) مِن السبعة وكذا النصب،[٣] والجرّ شاذٌّ.[٤]

قوله: (ثمّ سُرِّي)، أي: أُفصِم عنه، أي: أزيلَ عنه وكُشف منه الفزع، مِن قولهم: سريتُ[٥] عنه الثوب وسروتُ عنه، أي: نزعتُ.

قوله: (في[٦] كتف)[٧] كانوا يكتبون في أوّل الإسلام في اللِّخافة والكرانيف والأكتاف. واللِّخافة واللُّخف: الحجارة البيض. والكرانيف: السَّعَف، أي: الخوص،[٨] جمع كِرنافة.

---

١ ر: يتهافت.

٢ انظر: الصحاح للجوهري، «هفت».

٣ قرأ بالرفع ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر ويعقوب وقرأ الباقون بالنصب. النشر لابن الجزري، ٢٥١/٢.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن نصر بن عليّ عن ابن محيصن، وأبو حَيْوَة، وكِرداب. المغني في القراءات للنّوزاواري، ص ٦٧٧.

٥ ن: شريت.

٦ ن – في.

٧ ن: كيف. | والحديث في سنن سعيد بن منصور، ١٥٣/٢ (٢٣١٤)؛ ومسند أحمد، ٥١٨/٣٥ (٢١٦٦٤)؛ وسنن أبي داود، ١٦١/٤-١٦٢ (٢٥٠٧).

٨ ن: الحوض.

فقال ابنُ أمِّ مكتوم وكان أَعْمَى: يا رسول الله، وكيف بمَن لا يستطيعُ الجهاد

قوله: (ابن أمّ مكتوم) اعلم أنّ ابن مكتوم هو عبد الله بن سُريج[١] وأمّ مكتوم أم أبيه، فكان عبد الله بن سُريج[٢] مشهورًا بجَدّيه،[٣] فلذلك يقال له: ابن أم مكتوم.

لو قال قائل[٤] كان الكلام على ما نزل أوّلًا[٥] ظاهرَ المعنى بيّن الثبوت واضح الاستقامة، لأنّ القاعدين والمجاهدين لا يستوون، سواء كان القاعدون أضرّاء أو[٦] غير أضرّاء، لفضل المجاهدين على القاعدين الأضرّاء، كما دلّ عليه ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾... إلخ، وعلى القاعدين غير الأضرّاء درجاتٍ، كما دلّ عليه ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ﴾... إلخ،[٧] وإذا لم يستوِ القاعدون مطلقًا والمجاهدون، فكيف توجّه[٨] سؤال عبد الله وكيف احتيج نزول ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾؟ فإنّ قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ﴾[٩] دلّ على نفي الاستواء أعمّ مِن درجة أو درجات، وقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾... إلخ، دلّ على تفضيله.

قلنا: جواب هذا السؤال مبنيّ على مقدّمة، وهو أن ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ يفيد نفي الاستواء مِن جميع الوجوه، لأنّ النفي قد دخل فيه على النكرة فيفيد العموم كما في غيره مِن الصور،[١٠] وإذا كان النفي عامًّا كان المعنى أنّ القاعدين لا يستوي المجاهدين[١١] بوجه ما[١٢] مِن الوجوه المعتبرة؛ بل بينهما بون بعيد[١٣] ودرجاتٌ كثيرة[١٤] فائتة للحصر، وإذا / كان هذا المعنى مفهومًا مِن الكلام كان سؤال عبد الله متوجّهًا، فبيّن بإنزال قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ أنّ نفي الاستواء العامّ [٣١٤ظ]

---

١ ن: شريح.

٢ ن ر: شريح.

٣ ن: فحدّثه.

٤ ن ر: القائل.

٥ ر: أو.

٦ ن: و.

٧ ن - وعلى القاعدين غير الأضراء درجات كما دلّ عليه ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ﴾... إلخ.

٨ ر + إلى.

٩ ن - فكيف توجه سؤال عبد الله وكيف احتيج نزول غير أولي الضرر فإنّ قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ﴾.

١٠ ر: الضرر.

١١ ر: المجاهدون.

١٢ ن - ما؛ ر: لا.

١٣ ن ر - بعيد.

١٤ ر + والله أعلم.

من المؤمنين؟ فغشِيَتْه السكينةُ كذلك ثم قال: «اقرأ يا زيد» فقرأتُ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فقال: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ قال زيد: أنزلها الله وَحْدَها فألحقتُها، والذي نفسي بيده لكأنّي أنظر إلى مُلْحَقها عند صَدْعٍ في الكتف.

وعن ابن عباسٍ: لا يستوي القاعدون عن بدرٍ والخارجون إليها.

وعن مقاتل: إلى تَبوك.

فإن قلتَ: معلومٌ أن القاعِدَ بغيرِ عذرٍ والمجاهِدَ لا يستويان، فما فائدةُ نفي الاستواء؟

قلتُ: معناه: الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبَوْنِ البعيد؛ ليأْنَفَ القاعدُ ويَتَرَفَّعَ بنفسه عن انحطاطِ منزلته، فيهتَزَّ للجهاد ويَرغب فيه وفي ارتفاع طبقته،

الذي دلّ عليه الكلام إنّما هو بين القاعدين غيرِ الأضراء وبين المجاهدين، ثمّ لمّا بيّن التفاوت العظيم والتباين بالدرجات بينهما فصّل[١] الكلام زيادة تفصيل[٢] بذِكر[٣] أنّ للمجاهدين فضلًا على القاعدين الأضرّاء درجةً وعلى غير الأضراء درجاتٍ، ليُعلَم أنّ للمجاهدين فضلًا على[٤] الإطلاق على القاعدين سواءٌ قعدوا لضرر أو لغير ضرر، فإنّ سلامة البعض عن الضرر وتوفيقه للجهاد زيادةُ[٥] توفيق وفضل، وأنّ الفضل بيد الله يؤتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ثم اعلم[٦] أنّ هذا البيان قريب مِن البيان في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة ١٨٧/٢]، فتأمّل.

قوله: (**إلى ملحقها**)، أي: موضع إلحاقها.

قوله: (**صَدْع**)، أي: جانب.

قوله: (**عبّاس: لا يستوي**)، أي: المعنى: لا يستوي.

---

١ ن: أفضل؛ ر: فضل.
٢ ر: تفضل.
٣ ن ر: ذكر.
٤ ر – القاعدين الأضرّاء درجة وعلى غير الأضراء درجات ليُعلم أنّ للمجاهدين فضلًا على.
٥ ن – زيادة.
٦ ن – اعلم.

ونحوُه: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر ٩/٣٩] أُريدَ به التحريكُ من حميَّة الجاهل وأنفَتِه ليُهابَ به إلى التعلُّم، وليُنْهَضَ بنفسه عن ضَعة الجهل إلى شرف العلم.

﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ جُملةٌ موضِّحة لِمَا نُفِيَ من استواء القاعدين والمجاهدين؛ كأنه قيل: ما لهم لا يَسْتوون؟ فأُجيب بذلك، والمعنى: على القاعدين غيرِ أولي الضرر؛ لكون الجملة بيانًا للجملة الأولى المتضمِّنَة لهذا الوصف.

قوله: (**ليُهاب**)، أي: ليُدعى إلى التعلُّم مِن «أهاب الراعي بغنمه،[1] أي: صاح به ليقف أو ليرجع،[2] وأهاب بالبعير».[3]

قوله: (**ضَعة**) «الوضيع: الدنيّ[4] مِن الناس. يقال: "في حَسَبه ضَعة وضِعة"، والهاء عِوَض عن الواو».[5]

قوله: (**والمعنى: على القاعدين غيرِ أُولي الضرر**) فيه نظر؛ بل الصواب أن يقال: "المعنى: على القاعدين أُولي الضرر"، يدلّ عليه قول الواحدي في **الوسيط**: «﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾، يعني مِن أهل العذر درجةً، وذلك أنّ المجاهدين مباشِرون[6] للطاعة فلهم فضيلةٌ على القاعدين مِن أهل العُذر وإن كانوا على نيّة الجهاد وقصده»،[7] وكذا قولُ المصنّف في جواب السؤال. أمّا المفضَّلون درجةً فهم الذين فُضِّلوا على القاعدين الأضرّاء، يدلّ على ما قلنا ونقلنا عن[8] **الوسيط**.

فالحاصل أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى﴾ إلى ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ أنّ بين المجاهدين والقاعدين غيرِ الأضرّاء بونًا بعيدًا، وأن ليس بين المجاهدين والقاعدين الأضرّاء هذا البون البعيد، ولكن بينهم تفاوت أيضًا. وكان هذا المعنى

---

١ ن: لغنمه.
٢ ن ر: يرجع.
٣ **الصحاح** للجوهري، «هيب».
٤ ر: الذي.
٥ **الصحاح** للجوهري، «وضع».
٦ ر: مباشرين.
٧ **الوسيط** للواحدي، ١٠٤/٢ (النساء، ٩٥/٤).
٨ ر: في.

﴿وَكُلًّا﴾: وكلَّ فريق من القاعدين والمجاهدين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، أي: المثوبةَ الحُسنى وهي الجنَّةُ، وإن كان المجاهدون مفضَّلين على القاعدين درجة، وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد خلَّفتم بالمدينة أقوامًا ما سرتُم مسيرًا ولا قطعتُم واديًا إلا كانوا معكم»، وهم الذين صحَّت نيّاتُهم ونَصحَت جُيُوبُهم، وكانت أفئدتُهم تَهوِي إلى الجهاد وبِهم ما يمنعُهم من المسير من ضَررٍ أو غيره.

فإن قلتَ: قد ذكَر الله سبحانه مفضَّلِين درجةً ومفضَّلين درجاتٍ فمَنْ هم؟

قلتُ: أما المفضَّلون درجةً واحدةً فهم الذين فُضِّلوا على القاعدين الأَضِرَّاءِ،

محتاجًا إلى البيان فبيَّنه بقوله: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ وبما[1] عُطف عليه مِن قوله: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ﴾، فكلتا الجملتين بيان، لا الجملة الأولى فقط كما يُشعِر به كلام صاحب **الكشاف**، فبيّن بالكلام الأوّل أنّهم مفضَّلون على أهل العذر درجة، ثمّ قال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، يعني المجاهد والقاعد المعذور،[2] كذا نقل في **الوسيط** عن مقاتل. ثم بيّن بالكلام الثاني أنّ المجاهدين[3] مفضَّلون على القاعدين مِن غير عذر بدرجات.

واعلم أنّ كلام صاحب **الكشاف** ههنا مضطربٌ متنافٍ، وأيضًا ليس له حُسن طباق مع لفظ **القرآن**، وما ذكرنا مطابق للفظ **القرآن** متلائم متوافقٌ. الحمدُ لله الذي هدانا لهذا، والمسئول مِن الله تعالى أن يزيدنا إطلاعًا على لطائف قرآنه بمنّه وجوده وإحسانه.

قوله: (**ونصحَت جيوبهم**) فلان ناصح الجيب، أي: خالص القلب.[4]

قوله: (**مِن المسير مِن ضَرر**)[5] "مِن"[6] في "مِن المسير" متعلِّق بـ"يمنعهم" / وفي "مِن ضرر" بيان (ما). [٣١٥و]

قوله: (**الأضرّاء**) جمع ضرير مِن الضرر، وهو بيّن الضرارة.[7]

---

١ ن ر: ربّما.
٢ انظر: **الوسيط** للواحدي، ١٠٤/٢ (النساء، ٩٥/٤).
٣ ر: المجاهدون.
٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «نصح».
٥ ن: صدر.
٦ ن ر – من.
٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ضرر».

وأما المفضَّلون درجات فالذين فُضِّلوا على القاعدين الذين أُذن لهم في التخلُّف اكتفاءً بغيرهم؛ لأن الغَزْوَ فرضُ كفاية.

فإن قلتَ: لِمَ نُصب ﴿دَرَجَةً﴾ و﴿أَجْرًا﴾ و﴿دَرَجَٰتٍ﴾؟

قلتُ: نُصب قوله: ﴿دَرَجَةً﴾ لوقوعها موقعَ المرَّة من التفضيل؛ كأنه قيل: فضَّلهم تفضيلةً، ونظيرُه قولك: "ضربه سوطًا" بمعنى: ضرَبَه ضربةً.

وأمَّا ﴿أَجْرًا﴾ فقد انتَصب بـ﴿فضَّل﴾؛ لأنه في معنى: أَجَرهم أجرًا، و"درجاتٍ ومغفرةً ورحمةً" بدلٌ من ﴿أَجْرًا﴾.

ويجوز أن ينتصِب ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ نصبَ ﴿دَرَجَةً﴾، كما تقول: "ضربه أسْواطًا" بمعنى: ضرباتٍ؛ كأنَّه قيل: وفضَّلهم تفضيلاتٍ، ونُصِبَ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على أنه حالٌ عن النكرة التي هي ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ مقدَّمةً عليها، وانتصب ﴿مغفرةً ورحمةً﴾ بإضمار فِعْلهما بمعنى: وغفرَ لهم ورَحمهم مغفرةً ورحمةً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ يجوز أن يكون ماضيًا كقراءةِ مَن قرأ: "توفَّتْهُم"، ومضارعًا

قوله: **(ونظيرُه قولك: ضربه سَوطًا)** قال ابن الحاجب في **شرح المفصّل**: «إنّما قال المصنّف:[1] "ومنه ضربتُه[2] سوطًا" تنبيهًا على أنّ هذا يُخالف[3] ما تقدّم مِن حيث إنّ وضعه للآلة المخصوصة الجسميّة إلّا أنّه استُعمل في هذا المحلّ المخصوص لضربه بيانًا لِما فعله فاعل الفعل، فوجب أن يكون مفعولًا مطلقًا لذلك».[4]

---

١ أي: الزمخشري في **المفصَّل**، ص ٥٥.
٢ ن ر: ضربه.
٣ ن: مخالف.
٤ **الإيضاح في شرح المفصَّل** لابن الحاجب، ١٩١/١.

بمعنى: تتوفّاهم، كقراءةِ مَن قرأ: "تُوَفَّاهم" على مُضارِعِ "وُفِّيَتْ"، بمعنى: أن الله يُوفِّي الملائكةَ أنفسَهم فيَتوفَّونها، أي: يمكِّنهم من استيفائها فيَستوفُونها.

﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: في حالِ ظلمِهم أنفسَهم.

﴿قَالُواْ﴾ قال الملائكة للمتوفَّيْن: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾: في أيِّ شيء كنتُم من أمْرِ دِينكم. وهم ناسٌ من أهل مكّةَ أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرةُ فريضةً.

فإن قلتَ: كيف صحَّ وقوع قوله: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جوابًا عن قولهم: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ وكان حقُّ الجواب أن يقولوا: كنّا في كذا، أو: لم نكن في شيء؟

قلتُ: معنى ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ التوبيخُ بأنهم لم يكونوا في شيءٍ من الدِّين، حيث قدروا على المهاجرة ولم يُهاجروا، فقالوا: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ اعتذارًا مما وُبِّخوا به واعتلالًا بالاستضعاف، وأنهم لم يتمكّنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيءٍ، فبكّتَتْهم الملائكةُ بقولهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ أرادوا: إنكم كنتُم قادرين على الخروج من مكّة إلى بعض البلاد التي لا تُمنعون فيها

قوله: (بمعنى: تتوفّاهم)[1] فحذف إحدى التاءين.

قوله: (أنفسَهم)، أي: الذين. (فيتوفّونها)،[2] أي: فتتوفّى الملائكة أنفس الذين، يعني: يجعل الله الملائكة مُتوفِّين أنفسَ هؤلاء قابضين لها.

قوله: (للمتوفَّين) إشارة إلى أنّ العائد إلى اسم "إنّ" محذوف، إذ تقديره: قالوا لهم: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾.

قوله: (في شيء) كالجهاد والهجرة ونصرِ الرسول والمسلمين وتركِ الكفّار إرغامًا لهم إلى غير ذلك، كأنّه قيل: "في أيّ أمر كنتم مِن أمور الدين"، بمعنى: "ما كنتم في شيء منها"،[3] لأنّ المراد ليس حقيقة الاستفهام؛ بل المراد التوبيخ.

---

[1] ر + محذوف.
[2] ن ر: فتتونها.
[3] ن - منها.

من إظهار دينكم، ومن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فَعل المهاجرون إلى أرض الحبشة.

وهذا دليلٌ على أن الرجل إذا كان في بلدٍ لا يَتمكَّنُ فيه من إقامةِ أمر دينه -كما يجبُ- لبعض الأسباب، والعَوائقُ عن إقامة الدِّين لا تَنْحصِر، أَوْ عَلِمَ أنه في غيرِ بلده أَقْومُ بحقِّ الله وأدومُ على العبادة، حقَّتْ عليه المهاجَرة.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَن فرَّ بدِينه من أرضٍ إلى أرضٍ وإن كان شِبرًا من الأرض، استوجَبَتْ له الجنَّةُ، وكان رفيقَ أبيه إبراهيمَ ونبيِّه محمدٍ».

قوله: (**لا يتمكّن**) صفة (**بلد**).

قوله: (**كما يُحبّ**) أظنّ أنّ الصواب فيه "كما يَجِب" بفتح الياء وكسر الجيم ليكون قوله: "أو عَلِم" قسيمًا له، فتأمّل. ثمّ إنّ قوله: (**حقّت**) بمعنى "ثبتت" لا بمعنى "وجبت"؛ لأنّ الهجرة على التقدير **الأوّل** واجبة[1] وعلى **الثاني** مندوبة،[2] فليُحمل حقّت على معنى أعمّ[3] مِن الوجوب والندب.

قوله: (**لبعض الأسباب**) متعلّق بـ"يتمكّن".

قوله: (**أو عَلِم**) عطف على قوله: (**كان**) ولا يجوز أن يقال: هو عطف على قوله: "لا يتمكّن"؛ لأنّه ليس في هذه الجملة ضمير يعود إلى بلد، إلّا أن يقال: قوله: (**بلدِه**) عبارةٌ عنه فاستغنى عن الضمير، ويكون مِن وَضْع[4] الظاهر موضعَ المضمر، فتأمّل.

قوله: (**«وإن كان شبرًا»**) اسم "كان" ضمير يعود إلى ما دلّ عليه الكلام، كأنّه قيل: وإن كان ما بين الأرضَين شبرًا.

قوله: (**«استوجبَت»**)، أي: وجبت. وحقيقته طلبَت الجنّة له الوجوب.

قوله: (**«وكان رفيق»**)[5] لأنّهما عليهما الصلاة والسلام هاجرا.

---

١ ن ر: واجب.
٢ ن ر: ندب.
٣ ر: عم.
٤ ر: موضع.
٥ **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٠/٥٥٥ (النساء، ٤/٩٧).

اللّٰهمّ إن كنتَ تعلمُ أن هجرتي إليك لم تكن إلّا للفِرار بديني فاجْعَلْها سببًا في خاتمة الخير ودَرك المرجُوّ من فضلك والمُبتَغى من رحمتك، وَصِلْ جواري لك بعُكوفي عند بيتكَ بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة.

ثم استثنى من أهل الوعيد المستَضْعَفينَ الذينَ لا يستطيعون حيلةً في الخروج لفقرهم وعجزهم، ولا معرفةَ لهم بالمسالك.

ورُوي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكَّة، فقال جُندَب بنُ ضَمْرة -أو ضَمْرةُ بن جُندبٍ- لبَنيهِ: احْملوني فإني لَستُ من المستضعفين، وإني لأهتَدِي الطريقَ، واللهِ لا أَبِيتُ الليلةَ بمكةَ، فحملوه على سرير متوجِّهًا إلى المدينة وكان شيخًا كبيرًا فمات بالتَّنْعيم.

فإن قلتَ: كيف أَدْخل الوِلْدانَ في جملة المستثنَيْن من أهل الوعيد كأنهم كانوا يستحقُّونَ الوعيدَ مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلةً واهتدَوا سبيلًا.

قوله: (اللّٰهمّ) من كلام الزمخشري.

قوله: (جندب) بالفتح عند البصريين وبالضمّ عند الكوفيين.

قوله: (بالتنعيم) موضع بفرسخ مِن مكّة.

قوله:[١] (كيف أَدْخَل؟) وجه السؤال أنّه استُثني مِن الوعيد المذكور في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾... إلخ، المستضعفون مِن الرجال والنساء والولدان، وقيّد المستثنين بأنّهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا، وهذا يُوهم أنّ الولدان لو استطاعوا واهتدوا لتناولهم الوعيد، لكن هذا محال، إذ لا يستحقّون، أي: الولدانُ الوعيدَ سواء استطاعوا واهتدوا أو لا.

وحاصل الجواب أنّ هذا القيد لازم للولدان لأنّهم لا يستطيعون ولا يهتدون البتّة، فلا يتوجّه عليهم الوعيد، وأمّا الرجال والنساء فالمستطيعون المهتدون منهم يتوجّه إليهم الوعيد ولا يتوجّه إلى غيرهم، هذا هو المراد بالوجه الأوّل، والوجهان[٢] / الآخران ظاهران. ومَن لم يعرف هذا المعنى حشا الحواشي بالحشو. [٣١٥ظ]

---

١ ن ر - قوله.

٢ ن ر: الوجهان.

قلتُ: الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدِين وقد لا يكونون كذلك، وأمَّا الولدان فلا يكونون إلَّا عاجزين عن ذلك فلا يتوجَّه عليهم وعيدٌ؛ لأن سببَ خروج الرجال والنساء من جُملة أهل الوعيد إنما هو كونُهم عاجزينَ، فإذا كان العجز متمكِّنًا في الولدان لا ينفكُّون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورةً، هذا إذا أريد بالولدان الأطفال.

ويجوز أن يراد المراهِقُون منهم الذين عَقَلوا ما يَعقل الرجال والنساء فيُلْحَقوا بهم في التكليف، وإن أريد العبيد والإماء البالغون فلا سؤال.

فإن قلتَ: الجملة التي هي ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ما مَوقعُها؟

قلتُ: هي صفةٌ لـ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أو لـ﴿ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾، وإنما جاز ذلك -والجُملُ نكراتٌ-؛ لأن الموصوفَ وإن كان فيه حرفُ التعريفِ فليس لشيءٍ بعينه؛ كقوله:

ولـقـد أمــرُّ عـلـى الـلـئـيـم يـسـبُّـنـي

وتمام تحقيقه أنّ المستثنى بالحقيقة هم الذين لا يستطيعون ولا يهتدون، وهذه الصفة مفارِقة عن بعضهم لازمة لبعضهم،[1] فيكون الولدان مستثنين على الإطلاق والرجال والنساء على تقدير العجز لا مطلقًا.

قوله: (**متمكِّنًا في الولدان**) وإنّما قرنهم[2] بهم لبيان أنّهم صاروا في انتفاء الذنب عنهم بترك الهجرة بمنزلة الولدان.

قوله: (**مِن جملتهم**)، أي: مِن جملة أهل الوعيد.

قوله: (**المراهِقون**)[3] فيكون السؤال واردًا، وجوابه كما ذكر أنّهم يلحقون بهم في التكليف.

قوله:[4] (**يسبُّني**)[5] تمامه:

---

١ ر: لبغضهم.
٢ ر: قربهم.
٣ ن: والمراهقون.
٤ ر + استثنى.
٥ ر: يستثني.

فإن قلتَ: لمَ قيل: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ بكلمةِ الإطماع؟

قلتُ: للدلالة على أن ترك الهجرة أَمْرٌ مضيَّق لا توسِعَةَ فيه، حتى إن المضطرَّ البَيِّنَ الاضطرارِ من حقِّه أن يقول: "عسى الله أن يعفو عنِّي" فكيف بغيره؟

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿مُرَٰغَمًا﴾: مُهاجَرًا وطريقًا يُراغِمُ بسلوكه قومَه؛ أي: يفارقهم على رَغْمِ أُنوفهم، والرَّغْم: الذُّلُّ والهَوانُ، وأَصْله: لُصوقُ الأنف بالرَّغْماء وهو التراب، يقال: راغمتُ الرجلَ: إذا فارَقْتَه وهو يكره مفارقتَك لمَذَلَّةٍ تلحقُه بذلك، قال النابغة الجَعْدِيُّ:

كَطَوْدٍ يُلاذُ بأركانه عزيزِ المُراغَمِ والمَذْهَبِ

وقرئَ: "مَرْغمًا".

قرئ: "ثم يدركُه الموت" بالرفع على أنه خبرُ مبتدأ محذوف.

فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يعنيني[١]

قوله: (**مُهاجَرًا**) المُهاجَر: موضع الهجرة.

قوله: (**يُراغِم**)، أي: يُراغِم المُهاجِر بسلوك ذلك الطريق قومَه.

قوله: (**أي: يفارقهم**) يفارق السالك أو[٢] المُهاجِر قومَه على رغم أنوفهم.

قوله: (**كطود**) البيت.

الطَّوْد: الجبل العظيم يُلاذ، أي: يلجأ. (**عزيزِ المُراغَم**): شديد المسالك.[٣]

قوله: (**"مَرْغَمًا"**)[٤] هو موضع الرغم.

---

[١] مضى بتخريجه في تفسير الفاتحة، ١/٧.

[٢] ر: و.

[٣] ن: السالك.

[٤] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس والواقدي والجرّاح. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٦٧٨.

وقيل: رفعُ الكافِ منقول من الهاء، كأنّه أراد أن يقف عليها ثم نقَل حركة الهاء إلى الكاف؛ كقوله:

مِـن عَـنَـزِيٍّ سبَّـنـي لـم أَضْـرِبُـهْ

وقرئ: "يُدْركَه" بالنصب على إضمار "أنْ" كقوله:

وأَلْـحَـقُ بـالـحـجـاز فـأَسْـتَـرِيـحَـا

قوله: (خبرُ مبتدأ)، أي: هو يدركه الموت، قال: وإنّما قيل: "ثمّ يدركه الموت" لبيان أنّ الأجر إنّما يستقرّ إذا لم يُحبِط العمل حتّى جاءه الموت. ويجوز أن يكون كلامًا مبتدأ، أي: على ما يقع عليه في كلام المبتدي إذا شرع في الكلام فقال: يدركُه الموت.

قوله: (حركة الهاء) وهذا إجراءٌ للوقف مُجرى الوصل.

قوله:[1] (لم أضربُه) أوّله:

عـجـبـتُ والـدهـرُ كـثـيـرٌ عـجـبُـه[2]

وبعض العرب تُحوِّل ضمّة الحرف الموقوف عليه وكسرتَه على الساكن قبله دون الفتحة في غير الهمزة، فتقول: "هذا بَكُرْ" و"مررتُ ببَكِرْ"، ولمّا نقل حركة الهاء إلى الكاف صار الهاء ساكنًا ولقي اللام الساكنة فالتقى ساكنان فحرّك بالضمّ، لا بالكسر لثِقَل النقل مِن الضمّ إلى الكسر، ولا بالفتح لئلّا يلتبس بضمير المؤنَّث، وأيضًا ضُمّ للاتباع.[3]

قوله: (بالنصب) اعلم أنّ النصب هنا مُشكِل لأنّه إذا قدّر أن يكون في تأويل المفرد ولا يتحقّق موضع يكون معطوفًا عليه، إلّا أن يقال: هو مثل "أكرِمني وأُكرِمك"، أي: "ليكن منك إكرامٌ"، فهنا أيضًا التقدير "مَن يكن له خروجٌ مِن بيته وإدراكُه الموتَ"، والتقدير في البيت "سيكون تَرْك وإلحاق"،

---

[1] ن: فراه.

[2] البيت لزياد الأعجم في ديوانه، ص ٤٥؛ وهو له في كتاب سيبويه، ١٨٠/٤؛ وبلا عزو في سرّ صناعة الإعراب لابن جني، ٣٨٩/١؛ والصحاح للجوهري، «لمم»؛ والمفصّل للزمخشري، ص ٤٧٦.

[3] ن ر: الاتباع.

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فقد وَجَب ثوابه عليه: وحقيقةُ الوجوب: الوقوع والسقوط ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج ٣٦/٢٢] ووَجَبَت الشمس: سَقَط قرصُها.

والمعنى: فقد عَلِم الله كيف يُثيبه، وذلك واجبٌ عليه.

ورُوي في قصّة جندب بن ضَمْرة: أنه لمَّا أدركه الموتُ أخذ يُصفِّق بيمينه على شماله ثم قال: اللّهمَّ هذه لك وهذه لرسولك، أُبايعُك على ما بايعك عليه رسولُكَ، فمات حميدًا، فبلغ خبرُه أصحابَ رسول الله فقالوا: لو تُوفِّي بالمدينة لكان أتمَّ أجرًا، وقال المشركون وهم يضحكون: ....

أو يقال: هو فاعل فعل محذوف، والفعل عطف على ﴿يَخْرُجْ﴾، أي: ثمّ يقع أو يحصل إدراكه الموت. وكذا في البيت نقول: التقدير "سأترك وألحق بالحجاز فتحصل الاستراحة". وأوّل البيت:

سأترك منزلي لبني تميمٍ وألحقُ[١]

قوله: (الوقوع) يريد أنّ قوله تعالى: ﴿وَقَعَ﴾ بمعنى وَجَب.

قوله: (على ما بايعك عليه[٢] رسولك) أراد أنّ بيعته كبيعة رسول الله عليه السلام،[٣] لا كبيعة الناس، وقول جندب: (أبايعك)... إلخ، جملة مبيّنة لقوله: (هذه لك وهذه لرسولك). وقوله: "هذه لك" إشارة إلى إحدى يديه، فقال: "هذه لك"، ثمّ أشار إلى يده الأخرى وقال: "هذه لرسولك"، كأنّه فعل ذلك أخذًا مِن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح ١٠/٤٨]، وبالغ في ذلك حتّى / جَعَل مبايعته مع الله تعالى[٤] لا مع الرسول إغراقًا في المبالغة، [٣١٦و]
ولأنّه[٥] أراد تحقيق المبالغة والنبيّ عليه[٦] السلام لم يكن هناك حتّى يُبايعه جندب،

---

١ البيت للمغيرة بن حَبْناء في إيضاح شواهد الإيضاح للقيسي، ٣٤٧/١؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي، ٤٩٧/١؛ وهو بلا عزو في كتاب سيبويه، ٣٩/٣، ٩٢؛ والإيضاح العضدي للفارسي، ص ٣١٣؛ وضرائر الشعر لابن عصفور، ص ٢٨٤؛ وشرح الرضي على الكافية، ٦٦/٤.

٢ ن ر – على ما بايعك عليه.

٣ ن ر – عليه السلام.

٤ ن – تعالى.

٥ ن: ولا.

٦ ن + الصلاة و.

ما أدرك هذا ما طلبَ، فنزلت.

وقالوا: كلُّ هجرةٍ لغرضٍ دينيّ من طلبِ علمٍ أو حجّ أو جهادٍ، أو فرارٍ إلى بلدٍ يزداد فيه طاعةً أو قِناعةً وزُهْدًا في الدنيا، أو ابتغاءِ رزقٍ طيّب، فهي هجرةٌ إلى الله ورسوله، وإن أدركه الموتُ في طريقه فأجره واقع على الله.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾

"الضربُ في الأرض": هو السفر، وأدْنى مدةِ السفر الذي يجوزُ فيه القصر عند أبي حنيفة رحمه الله: مسيرةُ ثلاثة أيام ولياليهن سَيْرَ الإبل ومشيَ الأقدام على القصد، ولا اعتبار بإبْطاء الضارب وإسْراعِه، فلو سار مسيرةَ ثلاثة أيام ولياليهنَّ في يوم قصَر، ولو سار مسيرةَ يوم في ثلاثة أيام لم يقصُر.

وعند الشافعي رحمه الله: ....

ولا عالمًا بتلك المبايعة لأنّه ما كان يعلم الغيب، وعلم جندب أنّ الله تعالى حاضرٌ هناكَ بعِلمه مطّلعٌ على ذلك، فلذلك قال جندب: "أبايعك" ولم يقل: "أبايع الرسول"، وجعل إحدى يديه لله تعالى والأخرى للرسول عليه السلام،[١] فتأمّل فيه، فإنّه معنًى لطيف، فإنّه لمّا جعل إحدى يديه لله تعالى[٢] لم يجعل يده[٣] الأخرى لنفسه؛ بل جعلها للرسول، فكأنّ هذه المبايعة مبايعةٌ مِن الله تعالى مع الرسول عليه السلام.[٤]

قوله: (ما أدرك) "ما" نافية "هذا"، أي: جندب ما طلب، أي: الذي طلب. (فنزلت)،[٥] أي: قوله:[٦] ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

---

١ د ر - عليه السلام.
٢ ر - تعالى.
٣ د - يده.
٤ د - عليه السلام.
٥ الكشف والبيان للثعلبي، ٥٥٩/١٠ (النساء، ١٠٠/٤)؛ أسباب النزول للواحدي، ص ١٨١.
٦ ن + تعالى.

أدنى مدة السفر أربعةُ بُرُد مسيرة يومين.

وقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ظاهرُه التخييرُ بين القصر والإتمام وأن الإتمام أفضل، وإلى التخيير ذهب الشافعي رحمه الله.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه أتمّ في السفر.

وعن عائشة رضي الله عنها: اعتَمرْتُ مع رسول الله من المدينة إلى مكّة، حتى إذا قدِمْتُ مكّة قلتُ: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي قصَرْتُ وأتممْتُ، وصُمْتُ وأفطرتُ، فقال: «أحسَنْتِ يا عائشةُ» وما عاب عليَّ.

وكان عثمان رضي الله عنه يُتمّ ويَقصُر.

وعند أبي حنيفة رحمه الله: القَصْر في السفر عزيمةٌ غير رُخصةٍ لا يجوز غيره.

وعن عمر رضي الله عنه: صلاة السفر ركعتان تمامٌ غيرُ قصرٍ على لسان نبيّكم.

قوله: (بُرُد) جمع "بريد": وهو اثنا عشر مِيلًا. يقال: ما بين مكّة إلى عُسْفان أربعة برُد.[١] قال رحمه الله:[٢] كانوا يبنون رُبُطًا في الطريق ويسمّونها السِّكك، بين كلّ سِكّتين اثنا عشر ميلًا، وثَمّ بِغال موقوفة محذوفة الأذناب، وسمَوا ذلك البغل البريد، وهي كلمة فارسيّة أصلها "بريده دم"، ثمّ سُمّي بها[٣] الراكب والمسافة.[٤]

قوله: (وعن عمرَ رضي الله عنه)...[٥] إلخ، قولُ عمرَ رضي الله عنه:[٦] («تمامٌ غيرُ قصر»)، أي: إذا صلّى المسافر ركعتين في السفر فقد أتمّ صلاته لا أنّه قصر، لأنّ الصلاة في السفر[٧] إنّما هي ركعتان فقط لا أزيَد.

قوله: («على لسان»)[٨] متعلِّق بمحذوف، أي: هكذا[٩] جرى على لسان

---

١ عُسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجُحفة ومكّة، وهي من مكّة على مرحلتين على طريق المدينة. **معجم البلدان** للحمويّ، ١٢١/٤-١٢٢.

٢ ن - رحمه الله؛ ر: رضي الله عنه.

٣ ر: به.

٤ ن: والمسافر.

٥ د - رضي الله عنه.

٦ د - رضي الله عنه.

٧ ن ر - فقد أتمّ صلاته لا أنّه قصر لأنّ الصلاة في السفر.

٨ **المصنَّف** لابن أبي شيبة، ٢٠٣/٢ (٨١٥٦)؛ **مسند أحمد**، ٣٦٧/١ (٢٥٧)؛ **سنن ابن ماجه**، ١٧٣/٢ (١٠٦٤).

٩ ر: هذا.

وعن عائشة رضي الله عنها: أوَّلُ ما فُرضت الصَّلاةُ فُرضت ركعتين ركعتين، فأُقرَّتْ في السفر وزيدت في الحضر.

فإن قلتَ: فما تصنعُ بقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا﴾؟

قلتُ: كأنهم أَلِفُوا الإتمام فكانوا مَظِنَّةً؛ لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانًا في القصر، فنُفي عنهم الجناحُ لتَطِيب أنفسهم بالقصر ويطمئنُّوا إليه.

وقرئ: "تُقْصِروا" من أَقْصَر، وجاء في الحديث إقصارُ الخطبة بمعنى تقصيرِها.

وقرأ الزُّهريُّ: "تُقصِّروا" بالتشديد.

والقصرُ ثابتٌ بنصِّ الكتاب في حال الخوف خاصَّة، وهو قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ وأما في حال الأمْن فبالسُّنَّة.

وفي قراءة عبد الله: "من الصلاة أن يَفْتِنكم" ليس فيها ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ على أنه مفعولٌ له بمعنى: كراهةَ أن يَفْتِنكم.

والمراد بالفتنة: القتالُ والتعرُّض بما يكره.

النبيّ عليه[١] السلام. وإنّما قال عمرُ: "على لسان نبيّكم" بالإضافة للتأكيد والمبالغة في قبول هذا المعنى.

قوله: («**أوّل ما فُرضت**»)[٢] "أوّل" نصب على الظرف عامله "فُرضت" الثاني، و"ما" في "ما[٣] فُرضت" مصدريّة والزمان مقدّر معه، أي: فُرضت ركعتين في أوّل زمان فرضِ الصلاة.

قوله: (**فنُفي عنه الجُناح**) اعلم أنّ نفي الجُناح في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾ [البقرة ٢/١٥٨].

قوله: (**في حال الأمن**)، أي: في السفر.

---

[١] ن + الصلاة و.
[٢] صحيح البخاري، ٤٤/٢ (١٠٩٠)؛ صحيح مسلم، ٤٧٨/١ (٦٨٥).
[٣] ن ر - ما.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٠٢﴾

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يتعلّق بظاهره مَن لا يَرى صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث شُرط كونُه فيهم.

وقال مَن رآها بعده: إن الأئمة نُوّابٌ عن رسول الله في كلِّ عَصْرٍ، قُوَّامٌ بما كان يقوم به، فكان الخطابُ له متناولًا لكلِّ إمامٍ يكون حاضرَ الجماعة في حالِ الخوف عليه أن يَؤُمَّهم كما أمَّ رسولُ الله الجماعاتِ التي كان يحضرها، والضمير في ﴿فِيهِمْ﴾ للخائفين.

﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ فاجْعلهم طائفتين، فلتقُمْ إحداهما معك فصَلِّ بهم.

﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ الضمير إمّا للمصلّين وإمّا لغيرهم، فإن كان للمصلّين فقالوا: يأخذون من السِّلاح ما لا يَشغلهم عن الصَّلاة كالسيف والخنجر ونحوِهما، وإن كان لغيرهم فلا كلام فيه.

قوله: (﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾)، أي: في الخائفين.

قوله: (مَن لا يرى) وهو أبو يوسف.[١]

قوله: (حيث) يتعلّق بقوله: (يتعلّق) كونه، أي: كون النبيّ عليه السلام.[٢] (مَن راها)، أي: صلاة الخوف.

قوله: (للخائفين) المدلول عليه بقوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾.

قوله: (إمّا للمصلّين)، أي: للشارعين[٣] في الصلاة.

قوله: (فقالوا)، أي: العلماء.

---

١ انظر تفصيل ذلك في المبسوط للسرخسي، ٤٥/٢ وبدائع الصنائع للكاساني، ٢٤٢/١.

٢ ن ر – عليه السلام.

٣ ر: للمسارعين.

﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾، أي: الذين سجدوا مع الإمام ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾ يعني: غير المصلِّين ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحرسونكم.

وصفةُ صلاة الخوف عند أبي حنيفة رحمه الله: أن يصلِّيَ الإمامُ بإحدى الطائفتين ركعةً إن كانت الصلاةُ ركعتين، ....

قوله: (﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾)، يعني: إذا فرغ الذين سجدوا[1] مع الإمام مِن السجود فليمشوا إلى وجه العدوّ للحراسة، فمرجع الضمير في قوله: ﴿سَجَدُواْ﴾ وقوله: ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾ واحد مِن حيث المعنى، لأنّ الذين فرغوا مِن السجود هم الذين يحرسون عن العدوّ ليأتي[2] بعد ذلك الطائفة الأخرى. ويجوز أن يكون المرجعان مختلفين، ويدلّ عليه المذكور في **الوسيط**، فإنّه قال الواحدي في **الوسيط**:[3]

قال الزجّاج: الهاء والميم في ﴿فِيهِمْ﴾ يعودان[4] على[5] المؤمنين، أي: وإذا كنتَ أيها النبيّ مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم.[6] ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، أي: ابتدأتها، وإقامة الصلاة الابتداء في تأديتها، ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾، أي: فلتقف، يقال: قام الرجل إذا وقف، / ومنه قوله تعالى: [٣١٦ظ]
﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ [البقرة ٢/٢٠]، أي: وقفوا قال: ابن عبّاس: نصفهم يصلّون معك. ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾، أي: وليأخذ[7] الباقون أسلحتهم. ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾، أي: فإذا سجدت الطائفة التي قامت معك ﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾، أي: الذين أُمِروا بأخذ السلاح. وقوله: ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ قال ابن عبّاس: يريد الذين كانوا مِن ورائهم لم يكونوا صلّوا ﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾، يريد الذين صلّوا أوّلا.[8]

قوله: (**غير المصلّين**)، يعني الفارغين مِن السجود الذاهبين إلى العدوّ،

---

[1] ن – يعني: إذا فرغ الذين سجدوا.
[2] ن: وليأت.
[3] ر – فإنّه قال الواحدي في **الوسيط**.
[4] ر: يعود.
[5] ر + أن.
[6] انظر: **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٢/٩٧.
[7] ر: وليأخذوا.
[8] **الوسيط** للواحدي، ٢/١١٠ (النساء، ٤/١٠٢).

والأخرى بإزاء العدوِّ، ثم تقِفَ هذه بإزاء العدوِّ وتأتي الأخرى فيصلي بها ركعة ويُتمُّ صلاتَه، ثمّ تقف بإزاءِ العدوِّ وتأتي الأولى فتؤدِّي الركعة بغير قراءةٍ وتُتمُّ صلاتها، ثم تحرسُ وتأتي الأخرى فتؤدي الركعةَ بقراءةٍ وتُتمُّ صلاتها.

والسجود على ظاهره عند أبي حنيفة رحمه الله، وعند مالكٍ بمعنى الصَّلاة؛ لأن الإمام يصلي عنده بطائفةٍ ركعةً ويقف قائمًا حتى تُتمَّ صلاتها وتُسَلِّمَ وتذهب، ثم يصلِّي بالثانية ركعةً ويَقِف قاعدًا حتى تُتمَّ صلاتها، ويُسَلِّم بهم، ويعضده: ﴿وَلْتَأْتِ طَآيِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾.

وقرئ: "وأَمْتعاتِكم".

مع أنّهم في الصلاة بعدُ. فقوله: "غير المصلّين"[١] غير المتمّين[٢] للصلاة. ويجوز أن يريد المصنّف بقوله: "غير المصلّين" الطائفة الأخرى، كما دلّ عليه لفظ الوسيط.

قوله: (والأخرى) الواو للحال.

قوله: (ويُتمّ)، أي: الإمام.

قوله: (ثمّ تقف)، أي:[٣] الأخرى.

قوله: (بغير قراءة) لأنّ الإمام قد قرأ في الركعة الثانية وهم كانوا في الصلاة، وإن كانوا في وجه العدو وكانوا في حُكم المتابعين.

قوله: (بقراءة) لأنّهم اقتدوا بالإمام في الركعة الثانية للإمام وأتمّ الإمام صلاته، فلا بدّ لهم مِن القراءة في ركعتهم الثانية، إذ لم يكونوا مقتدين بالإمام حينئذ ولا في حكم المقتدي.

قوله: (ويعضده)، أي: لمذهب مالك، وذلك لأنّ قوله: ﴿لَمْ يُصَلُّواْ﴾ دلّ على أنّ الطائفة الأولى قد صلّوا أو نقول لمّا قال[٤] هنا: ﴿لَمْ يُصَلُّواْ﴾ دلّ على

---

١ د ن ر + له.
٢ ن ر: المهيئين.
٣ ر: إلى.
٤ ر: قالوا.

فإن قلتَ: كيف جَمع بين الأَسْلحة وبين الحِذْر في الأَخذ؟

قلتُ: جعل الحِذْر -وهو التحرُّزُ والتيقُّظُ- آلةً يَستعملها الغَازي، فلذلك جُمع بينه وبين الأَسْلحة في الأخذ وجُعلا مأخوذَين، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الحشر ٩/٥٩] جُعل الإيمان مستقَرًّا لهم ومتبوَّأً لتمكُّنهم فيه، فلذلك جُمع بينه وبين الدار في التبوُّء.

﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم﴾: فيشدُّون عليكم شدَّةً واحدةً.

ورُخِّص لهم في وضع الأسلحة إنْ ثَقُل عليهم حملُها بسبب ما يَبلُّهُم من مطرٍ أو يُضْعفهُم من مرضٍ، وأمَرَهم مع ذلك بأخذِ الحِذْر لئلا يَغْفُلوا فيَهْجمَ عليهم العدوُّ.

فإن قلتَ: كيف طابقَ الأمرُ بالحِذْر قولَه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾؟

قلتُ: الأمرُ بالحِذْر من العدوِّ يُوهِمُ توقُّعَ غلبته واعْتزازِه، فنَفَى عنهم ذلك الإيهامَ بإخبارهم أن الله يُهينُ عدوَّهم ويَخذلُه وينصرهم عليه؛ لتَقْوَى قلوبُهم وليَعْلموا أن الأمر بالحِذْر ليس لذاك وإنما هو تعبُّدٌ من الله؛ كما قال: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة ١٩٥/٢].

أنّ المراد بقوله: ﴿سَجَدُواْ﴾ صلَّوا.

قوله: (شدّةً) الشَّدّة بالفتح: الحملة[1] الواحدة. وقد شدّ عليه في الحرب يشدُّ شدًّا، أي: حمل عليه.

قوله: (بين الدار في التبوُّء) المراد بالدار دار الهجرة وهي المدينة، والمراد بالذين تبوّءوا الدار الأنصارُ الذين كانوا ساكنين بالمدينة.

قوله: (واعتزازه)، أي: معاندته.

قوله: (ليس كذلك) فإنّ الله ينصركم عليهم، لكن ينبغي ألّا تكونوا أيضًا غافلين؛ بل تحتاطوا ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلُكة.

---

[1] ر: الجملة.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ١٠٣﴾

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فإذا صلَّيتُم في حال الخوف والقتال ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: فصلُّوها ﴿قِيَٰمًا﴾: مسايفين ومقارعين ﴿وَقُعُودًا﴾: جاثينَ على الرُّكب مُرامِين ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: مُثْخَنين بالجراح.

﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ حين تَضع الحرب أَوْزارها وأَمِنتُم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فاقضُوا ما صلَّيتُم في تلك الأحوال التي هي أحوالُ القلَقِ والانزعاج.

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾: محدودًا بأوقاتٍ لا يجوزُ إخراجُها عن أوقاتها على أيِّ حالٍ كنتُم خوفٍ أو أمْنٍ، وهذا ظاهرٌ على مذهب الشافعي رحمه الله في إيجابه الصَّلاة على المحارب في حالةِ المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتُها، فإذا اطمأنَّ فعليه القضاء، وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فهو مَعْذورٌ في تركها إلى أن يَطمئنَّ.

وقيل: معناه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ﴾ صلاةَ الخوف فأَديموا ذكر الله مُهلِّلين مكبِّرين مُسبِّحين، داعين بالنصرة والتأييد في كافَّة أحوالكم من قيامٍ وقعودٍ واضطجاعٍ، فإنَّ ما أنتم فيه من خوفٍ وحربٍ جديرٌ بذكر الله ودعائه واللَّجأ إليه ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾:

قولـه: (فإذا صلَّيتـم)، أي: شـرعتم فيهـا، أو المعنى إذا أردتُـم الصـلاة فـي حـال الخـوف.

قوله: (مثخنين) أثخنته الجراحة: أوهنته.

قوله: (أحوال القلق) إشارة إلى علّة القضاء.

قوله: (معناه)، أي: معنى قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾... إلى آخره.

قوله: (﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ﴾)، أي: فرغتُم منها.

قوله: (فأديموا)،[١] أي: في حال الحرب بعد الفراغ مِن الصلاة.

---

[١] ن: فادنوا.

فإذا أقمْتُم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فأتمُّوها.

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٤﴾

﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾: ولا تَضْعُفوا ولا تَتوانَوْا ﴿فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِ﴾: في طلب الكفَّار بالقتال والتعرُّضِ به لهم.

ثم أَلْزَمَهم الحجَّةَ بقوله: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ﴾؛ أي: ليس ما تُكابدون من الأَلم بالجَرْح والقتل مختصًّا بكم إنما هو أمرٌ مشترَكٌ بينكم وبينهم يُصيبهم كما يصيبكم، ثم إنهم يَصْبرون عليه ويتشجَّعون، فما لكم لا تصبرون مثلَ صَبْرهم مع أنكم أَوْلى منهم بالصبْر؛ لأنكم ﴿ترجون من ٱللَّه ما لا يرجون﴾ من إظهارِ دينكم على سائرِ الأَدْيان، ومن الثواب العظيم في الآخرة.

وقرأ الأعْرجُ: "أَنْ تكونوا تألمون" بفتح الهمزة، بمعنى: ولا تهنوا لِأَنْ تكونوا تألَمون.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَ﴾ تعليلٌ، وقرئ: "فإنهم يِيلمون كما تِيلمون".

ورُوي أن هذا في بدر الصغرى كان بهم جِرَاحٌ فتواكلوا.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ لا يُكلِّفكم شيئًا ولا يأمركم ولا ينهاكم إلَّا لِمَا هو عالمٌ به مما يُصْلحُكم.

قوله: (فإذا قمتم)، أي: صرتم مقيمين متوطِّنين في بلادكم بعد انقضاء الحرب والرجوع إلى الوطن.

قوله: (تعليلٌ)، أي: على هذا الوجه، وعلى الأوّل كان جزاء الشرط.

قوله: ("يِيلَمُونَ")[1] كُسر حرف المضارعة فانقلبت الهمزة ياء.

قوله: (فتواكلوا)، أي: وَكَل بعضهم إلى بعض.

قوله: (إنّ الله كان) في القرآن: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ لكنّ المصنّف قد يشير إلى المعنى ولا يُورِد لفظ القرآن.

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن يحيى بن وثّاب. المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٦٨٢.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾

رُوي أن طِعْمةَ بن أُبَيْرِقٍ أحَدَ بني ظَفَرٍ سَرَقَ دِرْعًا من جارٍ له اسمُه قتادَةُ بن النُّعمان في جرابِ دقيقٍ، فجَعل الدَّقيقُ ينتَثِر من خَرْقٍ فيه، وخبَّأها عند زيدِ بن السَّمين رجلٍ من اليهود، فالتُمسَتِ الدِّرْعُ عند طِعْمةَ فلم توجَدْ، وحَلَف ما أخَذَها وما له بها عِلم، فتركوه واتَّبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهوديّ، فأخذوها، فقال: دفعها إليَّ طِعمةُ، وشهد له ناسٌ من اليهود، فقالت بنو ظَفَر: انطلِقوا بنا إلى رسول الله، فسألوه أن يُجادِلَ عن صاحبهم وقالوا: إن لم تفْعَلْ هَلكَ وافْتَضَح وبرئَ اليهوديُّ، فهَمَّ رسولُ الله أن يَفْعَل وأن يُعاقب اليهوديَّ -وقيل: همَّ أن يقطَع يده- فنزلت.

ورُوي: أن طِعْمةَ هَرَبَ إلى مكَّة وارتدَّ ونقبَ حائطًا بمكة ليسرق أهله، فسقط الحائطُ عليه فقتله.

﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ بما عرَّفك وأوحَى به إليك، وعن عمر رضي الله عنه:

قوله: (طعمة) بكسر الطاء عن الصَّغاني، وبضمّها[١] عن المطرِّزي.[٢]

قوله: (فجعل) أي: طفق.[٣]

قوله: (فسألوه) الفاء في "فسألوه" فاء فصيحة، أي: فانطلقوا بهم فسألوه.[٤]

قوله: (عن صاحبهم) وهو طعمة. (وقالوا) أي: للرسول.

[٣١٧و] قوله: / (أهله) الظاهر أنّ المعنى "ليسرق متاع أهله" بحذف المضاف.

قوله: (بما عرَّفك) فسّر المصنّف ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ "بما عرَّفك"، يعني أنّ ﴿أَرَىٰكَ﴾ مِن الرؤية بمعنى المعرفة لا مِن الرأي بمعنى الاجتهاد. ويتعلّق بهذا مسألة أصوليّة،

---

١ ر: ونظمها.

٢ ما وقفتُ على ضبطيهما فيما بين يديّ من المظانّ. والظاهر أنّ ذلك وقع في نسخة كلّ منهما من الكشّاف، إذ مضت الإشارة إلى نسخة المطرّزي في تفسير سورة البقرة، ٢/٢٢١، ومضى النصّ على ذِكر نسخة الصغاني في تفسير سورة آل عمران، ٣/٨٦.

٣ ر: ظنوه.

٤ ن ر – الفاء في فسألوه فاء فصيحة، أي: فانطلقوا بهم فسألوه.

لا يقولَنَّ أحدُكم قضيتُ بما أَراني الله، فإن الله لم يجعل ذلك إلّا لنبيِّه، ولكن ليَجْتَهدْ رأيَه؛ لأن الرأيَ من رسول الله كان مصيبًا؛ لأن الله كان يُريه إياه، وهو منّا الظنُّ والتكلُّف.

وهو أنّه عليه السلام هل كان متعبَّدًا بالاجتهاد: فقال الأكثرون: نعم. وقال أبو علي الجبّائي[1] وابنه أبو هاشم: لا. واستدلّ أبو يوسف على أنّه عليه السلام كان متعبّدًا بالاجتهاد بهذه الآية،[2] وقرَّره أبو علي الفارسي بأنّه:

> لا يجوز أن يكون مِن رؤية البصر وهو ظاهر، ولا مِن الرؤية بمعنى العلم، لأنّ المفعول الأول مذكور وهو الكاف، وكذا الثاني وهو العائد إلى "ما"، فإنّ العائد المحذوف في حكم المذكور، فلو كان "أرى"[3] هذه الرؤية بمعنى العلم لزم ذِكر المفعول الأوّل والثاني دون الثالث وهو غير جائز، فثبت أنّ معنى ﴿أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ جعله لك رأيًا، أي: جعلك ظانًّا له بالرأي، وهو القياس.[4]

فالمصنّف[5] أشار إلى جوابه بجواز أن يكون مِن الرؤية بمعنى المعرفة، فيندفع ما ذكروه، وما نُقل عن عمر رضي الله عنه[6] يدلّ على أنّه يجوز أن يُفسَّر[7] "أرى" ههنا بما فسَّره أبو يوسف. واعلم أنّ ما ذكره أبو يوسف يقتضي أن يكون الغرض مِن إنزال الكتاب أن يحكم النبيّ عليه السلام[8] بالرأي، وفساد هذا بيّن، فالوجهُ هو تفسير المصنّف.

قوله: (**مصيبًا**)[9] فإنّ رأي النبي عليه السلام لا يكون إلّا مصيبًا، وأمّا رأي غيره فليس كذلك، فلا بدّ لهم أن يجتهدوا في رأيهم،[10] فلا يختاروا شيئًا من آرائهم

---

١ ر: الجياني.
٢ انظر أقوالهم في **الإحكام** للآمدي، ١٦٥/٤. وانظر: **المختصر** لابن الحاجب، ١٢٠٧/٢-١٢٠٩.
٣ ن – أرى.
٤ الكلام بمعناه في **الحجّة** للفارسي، ٥٧/٦-٥٨؛ ونقله عن الفارسي الرازيُّ في تفسيره، ٣٣/١١ (النساء، ١٠٥/٤).
٥ ر + رحمه الله.
٦ د – رضي الله عنه.
٧ ن ر: يقرّ.
٨ ر – عليه السلام.
٩ حديث عمر بمعناه في سنن أبي داود، ٤٣٩/٥ (٣٥٨٦).
١٠ ن ر + فظهر مِن ذلك أنّ قولهم.

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾: ولا تكن لأجْل الخائنين مُخاصِمًا للبُرآء، يعني: لا تخاصم اليهودَ لأجل بني ظَفَر.

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٦ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٠٧﴾

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ ممَّا همَمْتَ به من عقاب اليهودي.

﴿يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: يَخُونونها بالمعصية، كقوله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة ٢/١٨٧] جُعلت معصيةُ العصاة خيانةً منهم لأنفسِهم كما جُعلت ظلمًا لها؛ لأن الضَّرر راجع إليهم.

فإن قلتَ: لمَ قيل: ﴿لِّلْخَآئِنِينَ﴾ و﴿يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ وكان السارقُ طِعمةَ وحده؟

قلتُ: لوجهين:

أحدهما: أن بني ظَفَرٍ شَهِدوا له بالبَرَاءة ونصروه، فكانوا شركاء له في الإثم.

والثاني: أنه جُمع ليتناول طِعْمةَ وكلَّ مَن خان خيانتَه، فلا يخاصم لخائنٍ قط ولا يُجادل عنه.

إلّا بالاجتهاد، فهم[1] يجتهدون في رأيهم، فظهر مِن ذلك أنّ قولهم: "رأيي" مِن "أجتهد رأيي" منصوب على الظرف.

قوله: (للبُرآء) «تبرّأتُ منه وأنا براء منه وخلاءٌ منه لا يُثنى ولا يجمع لأنّه مصدر في الأصل مثل سمع سماعًا، فإذا قلت: أنا بريء وخليٌّ[2] منه ثنّيتَ وجمعتَ وأنّثتَ وقلت في الجمع "برآء"[3] مثل فقيه وفقهاء».[4] ووقع في بعض النُّسخ "للبُراء" بالضمّ ويجوز "البِراء" بالكسر أيضًا[5] جمع "بريّ" كـ"كريم وكرام".

قوله: (**فلا يُخاصم**) أي: فلا يُخاصِم مخاصم.

---

١ ر: فهو.

٢ ن ر: خليّ.

٣ ن ر: براء.

٤ **الصحاح** للجوهري، «برأ».

٥ ر + ويكون.

فإن قلتَ: لم قيل: ﴿خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ على المبالغة؟

قلتُ: كان الله عالمًا من طِعْمةَ بالإفراط في الخيانة وركوبِ المَأْثم، ومَن كانت تلك خاتمةَ أمره لم يشكَّ في حاله.

وقيل: إذا عَثَرْتَ من رَجُلٍ على سيّئةٍ فاعلم أن لها أخوات.

وعن عمر رضي الله عنه: أنه أمَرَ بقطع يد سارق، فجاءتْ أمُّه تَبْكي وتقول: هذه أوَّلُ سَرْقةٍ سَرقها فاعفُ عنه، فقال: كذَبْتِ، إن الله لا يؤاخذ عبدَه في أوَّل مرَّة.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿يَسْتَخْفُونَ﴾: يَسْتَتِرون ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ حياءً منهم وخوفًا من ضررهم ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: ولا يستَحْيون منه ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾: وهو عالمٌ بهم مُطَّلِع عليهم لا يخفى عليه خافٍ مِن سرِّهم.

وكفى بهذه الآية ناعيةً على الناس ما هم فيه من قلَّة الحياء والخشيةِ من ربِّهم، مع علمهم -إنْ كانوا مؤمنين- أنهم في حضرته لا سُتْرةَ ولا غَفْلة ولا غيبةَ، وليس إلَّا الكشفُ الصريح والافتضاحُ.

﴿يُبَيِّتُونَ﴾: يدبِّرون ويُروِّزون، وأصله أن يكون بالليل.

﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهو تدبير طِعْمَة أن يرميَ بالدِّرْع في دار زيد ليُسرَّقَ دونه، ويحلفَ بِبَراءته.

قوله: (**سَرَقها**)،[1] أي: سَرَق السرِقة، فالضمير مفعول مطلق.

قوله: (**يُدبِّرون**) أي: يدبِّرون في أنفسهم رأيًا.

قوله: (**ويروِّزون**) «رُزْته أروزه رَوزًا: جرّبته وخبَرتُه».[2]

---

[1] لم أجده فيما بين يديَّ مِن المظانّ.

[2] **الصحاح** للجوهري، «روز».

فإن قلتَ: كيف سُمِّي التدبيرُ قولًا وإنما هو معنًى في النفس؟

قلتُ: لمَّا حدَّثَ بذلك نفسَه سمِّي قَولًا على المجاز، ويجوز أن يراد بالقول: الحَلِفُ الكاذبُ الذي حلف به بعد أن بَيَّتَه، وتَوْرِيكُه الذنبَ على اليهودي.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩﴾

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ﴿ها﴾ للتنبيه في ﴿أنتم﴾ و"أُولَاء"، وهما مبتدأٌ وخبرٌ، و﴿جَٰدَلۡتُمۡ﴾ جملةٌ مُبَيِّنَةٌ لوقوع "أُولاءِ" خبرًا؛ كما تقول لبعض الأسخياء: "أنتَ حَاتِمٌ؛ تجود بمالك وتُؤْثِرُ على نفسك".

ويجوز أن يكون "أولاءِ" اسمًا موصولًا بمعنى "الذين" و﴿جَٰدَلۡتُمۡ﴾ صلتَه.

والمعنى: هَبُوا أنكم خاصَمْتم عن طِعْمة وقومِه في الدنيا، فمَن يخاصِمُ عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه.

وقرأ عبد الله: "عنه"؛ أي: عن طِعمة.

﴿وَكِيلٗا﴾: حافظًا ومُحاميًا من بأسِ الله وانتقامه.

قوله: (وتَوْرِيكُه) «ورَّكَ[١] فلان ذنبَه على غيره، أي: قَذَفه[٢] به، وإنّه لمُورِّك[٣] في هذا الأمر، أي: ليس له فيه ذنب».[٤]

قوله: ("أولاء" اسمًا) "أولاء" ممدودًا بمعنى "الذين" لغة طيئ.

قوله: (وقرأ عبد الله: "عنه")[٥] مكان ﴿عَنۡهُمۡ﴾.

قوله: (﴿وَكِيلٗا﴾) الوكيل في الأصل: ما وُكِل إليه الأمر، ثمّ صار مستعارًا منه إلى الحافظ؛ لأنّ الذي يُوكَل إليه الأمر[٦] لا شكّ أنه محافظ له، ونظيره[٧] أنّه يقال:

---

١ ر: وراك.

٢ في مطبوع **الصحاح**: قرفه.

٣ ضُبط في مطبوع **الصحاح** بفتح الراء، وضُبط في د بكسرها.

٤ **الصحاح** للجوهري، «ورك».

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود رضي الله عنه. **المغني في القراءات** للنُّوزاوازي، ص ٦٨٢.

٦ ن ر - ثم صار مستعارًا منه إلى الحافظ لأنّ الذي يوكل إليه الأمر.

٧ ن: ونظير.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١١٠ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١١﴾

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: قبيحًا متعدِّيًا يَسوءُ به غيرَه كما فعَل طِعْمةُ بقتادةَ واليهودي ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بما يختصُّ به كالحلِف الكاذب.

وقيل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ من ذَنْبٍ دون الشرك ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بالشرك.

وهذا بعْثٌ لطِعْمةَ على الاستغفار والتوبة لتَلْزَمَهُ الحجةُ مع العلم بما يكون منه، أو لقومه لِمَا فَرَط منهم من نُصرته والذَّبِّ عنه.

﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾؛ أي: لا يتعَدَّاهُ ضَررُهُ إلى غيره، فلْيُبْقِ على نفسه من كسْبِ السُّوء.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ١١٢ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ١١٣﴾

("غدير[١] مشمول" إذا هبَّت عليه الشمال فيعذُب ماؤه ويبرد)،[٢] ثمّ يقال: رجل مشمول، أي: سهل الأخلاق حسنُها، استعمل في المدح وفي الذمّ، يقال: "نوًى[٣] مشمولة" لأنّ الشّمال تفرّق[٤] السحاب وتبدِّده، فاستُعير للنوى من هذا الوجه.

/ قوله: (مع العلم) أي: مع أنّ الله تعالى[٥] عالم بما سيقع منه، وهو أنّه هرب إلى مكّة وارتدّ ونقب حائطًا إلى آخر القصة. وقوله: "مع العلم" متعلّق بقوله: (بعثٌ)، يعني أنّ الله تعالى بعثه على الاستغفار مع أنّ الله تعالى عالم بما يكون منه، وإنّما بعثه على ذلك لتلزمه الحجّة لا ليتوب ويستغفر، لأنّ الله تعالى كان عالمًا بما سيكون منه. ولم يقيّد المصنّف قوله: (أو لقومه) بمثل هذا القيد، [٣١٧ظ]

---

١ ن ر: عزيز.
٢ **الصحاح** للجوهري، «شمل».
٣ ن: يعاد؛ ر: نفاذ.
٤ ر + بين.
٥ ن ر - تعالى.

﴿خَطِيٓـَٔةً﴾: صغيرةً ﴿أَوۡ إِثۡمٗا﴾: أو كبيرةً ﴿ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا﴾ كما رَمَى طِعْمةُ زَيْدًا ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا﴾؛ لأنه بكسب الإثم آثِمٌ وبرَمْي البَرِيء باهِتٌ، فهو جامعٌ بين الأمرين.

وقرأ معَاذ بن جبل رضي الله عنه: "ومن يَكِسِّبْ" بكسر الكاف والسين المشدَّدة، وأصله: يَكْتَسِبْ.

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾؛ أي: عِصْمتُه وألْطافُه وما أوْحَى إليك من الاطِّلاع على سرِّهم ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ﴾: من بني ظَفَر ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحقِّ وتوخِّي طريق العدل، مع علمهم بأن الجانيَ هو صاحبهم، فقد رُوي أنّ ناسًا منهم كانوا يعلمون كُنْهَ القصَّة.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾؛ لأن وَبَاله عليهم.

﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖ﴾؛ لأنك إنما عمِلْتَ بظاهرِ الحال، وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك.

أي: بقوله: "مع العلم"؛ لأنّ مِن قومه مَن تاب واستغفر.

قوله: (صغيرةً) أو ما لا عَمْد فيه. (أو كبيرةً) أو ما كان فيه عَمْد. و(الإثم) مِن "الوثم" وهو الذي يثِم الطاعات، أي: يكسرها. هذا على مذهب الاعتزال، فإنّ المعاصي عندهم محبِطة للأعمال.[١]

قوله: (باهت) «بهته بَهْتًا وبَهَتًا[٢] وبُهتانًا فهو باهت، أي: قال عليه ما لم يفعل، فهو مبهوت».[٣]

قوله: (بكسر الكاف) مِن العرب مَن تحذف الحركة ولا تنقلها فيلتقي ساكنان فتحرّك الساكن بالكسر.

قوله: (أنّ ناسًا) وهم المراد بـ"الطائفة".[٤]

---

[١] انظر: الإرشاد للجويني، ص ٣٨٩-٣٩٠.
[٢] ر – وبهتًا.
[٣] ر – مبهوت. | الصحاح للجوهري، «بهت».
[٤] ر: بالمطابقة.

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من خفيّات الأمور وضمائر القلوب، أو من أمور الدِّين والشرائع.

ويجوز أن يرادَ بالطائفة بنو ظفر، ويرجع الضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ إلى الناس.

وقيل: الآية في المنافقين.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾: مِن تَناجي الناس ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾: إلّا نَجوى مَن أمَرَ، على أنه مجرورٌ بدلٌ من ﴿كَثِيرٍ﴾ كما تقول: لا خيرَ في قيامهم إلا قيامِ زيد.

ويجوز أن يكون منصوبًا على الانقطاع، بمعنى: ولكنْ مَن أمرَ بصدقةٍ ففي نجواه الخيرُ.

وقيل: المعروفُ: القرضُ، وقيل: إغاثة الملهوف، وقيل: هو عامٌّ في كلِّ جميل.

ويجوز أن يراد بالصدقة: الواجبُ، وبالمعروف: ما يُتصدَّق به على سبيل التطوُّع.

قوله: (ويجوز) على الوجه الأوّل كان المراد بـ﴿طَآئِفَةٌ﴾ بعض بني ظفَر، وكان الضمير عائدًا إلى بني ظفَر.

قوله: (بنو ظفَر) أي: كلّ بني ظفَر.[1]

قوله: (على الانقطاع) أي: يكون استثناء منقطعًا.[2]

قوله: (الملهوف) هو المظلوم الذي يستغيث.[3]

---

[1] ن ر - وكان الضمير عائدًا إلى بني ظفر قوله: بنو ظفر، أي: كلّ بني ظفر.

[2] ر: منقطًا.

[3] ر: يستعيب.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «كلامُ ابنِ آدمَ كلُّه عليه لا له، إلّا ما كان من أمرٍ بمعروفٍ أو نهيٍ عن مُنكرٍ أو ذكر الله».

وسَمِعَ سُفيانُ رجلًا يقول: ما أشدَّ هذا الحديث! فقال: أَلم تَسمع الله يقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾؟ فهو هذا بعَيْنه، أَوَسمِعتَه يقول: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر، ١٠٣/١-٢]؟ فهو هذا بعينه.

وشَرَط في استيجاب الأجر العظيم أن يَنْويَ فاعلُ الخير عبادةَ الله والتقرُّبَ به إليه، وأن يبتغي به وجهَه خالصًا؛ لأن الأعمال بالنيّات.

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾ ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؟

قلتُ: قد ذكَر الآمِرَ بالخير ليدلَّ به على فاعِله؛ لأنه إذا دخل الآمِرُ به في زمرة الخيِّرين كان الفاعل فيهم أدخلَ، ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ فذكر الفاعلَ وقَرَنَ به الوَعْدَ بالأجْرِ العظيم.

ويجوز أن يراد: ومَن يأمُرْ بذلك، فعُبِّر عن الأمْرِ بالفعل كما يُعبَّر به عن سائر الأفعال.

وقرئ: ﴿يُؤْتِيه﴾ بالياء.

قوله: («أو ذكر الله») جاز النصب والجر حملًا على اللفظ والمحلّ.[١]

قوله: (هذا الحديث) وهو قوله عليه السلام: «كلام ابن آدم»... إلخ.[٢]

قوله: (﴿وَمَن يَفْعَل﴾) وكان الأصل "ومَن يأمر بذلك". واعلم أنّ مبنى السؤال على أنّ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الصدقة والمعروف والإصلاح، فتقرير السؤال أنّه تعالى لمّا قال: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾، أي: إلّا نجوى مَن أَمَر، كان المناسب "ومَن يأمر بذلك"، أي: بهذه الأشياء، فلِمَ قال ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؟ ولم يقل: "ومَن يأمر بذلك"، فأجاب بوجهين. وهو ظاهر.

---

١ ن ر: المحل.

٢ سنن ابن ماجه، ١١٨/٥ (٣٩٧٤)؛ سنن الترمذي، ١٨٦/٤ (٢٤١٢).

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾

﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وهو السبيل الذي هُم عليه من الدِّين الحنيفيّ القيّم، وهو دليلٌ على أن الإجماع حُجةٌ لا تجوز مخالفتُها كما لا تجوزُ مخالفة الكتاب والسنَّة؛ لأن الله عزَّ وعلا جمعَ بينَ اتِّباع سبيلِ غير المؤمنين وبين مَشاقَّة الرسول في الشرط، وجَعل جَزاءه الوَعيدَ الشديدَ، فكان اتِّباعُهم واجبًا كموالاةِ الرسول عليه الصلاة والسلام.

﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾: نَجْعَلْه واليًا لِمَا تولَّى من الضلال بأَنْ نَخْذُلَهُ ونُخَلِّيَ بينه وبين ما اختاره.

﴿وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ وقرئ: "ونَصْله" بفتح النون مِن صَلَاهُ، وقيل: هي في طِعْمة وارتداده وخروجهِ إلى مكَّة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١١٦﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ تكريرٌ للتأكيد، وقيل: كرّر لقصّة طِعمةَ، وروي: أنه مات مشركًا.

وقيل: جاء شيخٌ من العرب إلى رسول الله فقال: إني شيخٌ مُنْهَمِكٌ في الذنوب،

قوله: (﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾) التولي: مباشرة الأمر والقيام به. والتولية: تفويض الأمر إلى مَن يباشره ويقوم به.

قوله: (تكرير) لأنّ هذه الآية ذُكرت في هذه السورة قبل هذا الموضع مرّة أخرى.[1]

قوله: (منهمِك) «انهمك الرجل في الأمر إذا جدّ ولجّ».[2]

---

[1] ر - أخرى.

[2] الصحاح للجوهري، «همك».

إلّا أنّي لم أُشرك بالله شيئًا منذ عرَفْتُه، وآمنتُ به ولم أتّخذ من دونه وليًّا، ولم أُوقِع المعاصيَ جَراءةً على الله ولا مكابرةً له، وما توهَّمتُ طَرْفةَ عين أنّي أُعْجِز الله هربًا، وإنّي لَنادِمٌ تائبٌ مستغفِر، فما تَرى حالي عند الله؟ فنزلت. وهذا الحديث يَنصر قولَ مَن فسَّر ﴿مَن يَشَآءُ﴾ بالتائب من ذنبه.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾

﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾: هي اللاتُ والعُزَّى ومَناةُ، وعن الحسن: لم يكن حيٌّ من أَحْياء العرب إلّا ولهم صَنمٌ يَعْبدونه يسمُّونه: "أنثى بني فلان".

وقيل: كانوا يقولون في أصنامهم: "هنَّ بناتُ الله".

وقيل: المراد الملائكة، لقولهم: الملائكة بناتُ الله.

وقرئ: "أُنُثًا" جمع أنيثٍ أو إناثٍ.

و: "وُثْنًا" و"أُثُنًا" بالتخفيف والتثقيل جمعُ وثنٍ؛ كقولك: أَسَدٌ وأُسْدٌ وأُسُدٌ، وقُلب الواو ألفًا نحو أُجُوهٍ في وجوه.

وقرأت عائشةُ رضي الله عنها: "أَوْثانًا".

﴿وَإِن يَدْعُونَ﴾: وإنْ يعبدون بعبادة الأصنام ﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا﴾؛ لأنه هو الذي أغراهم

قوله: (مكابرة)[١] المكابرة: المغالبة؛ لأنّ المكابرة التكبُّر.

قوله: (بالتخفيف) أي: بالسكون. و(التثقيل) أي: التحريك.[٢] (أُسْد)[٣] تخفيف، و(أُسُد)[٤] تثقيل.

قوله: (وإن يعبدون) نظيره قوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم ٤٨/١٩]، ثمّ قال: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم ٤٩/١٩]،

---

[١] الكشف والبيان للثعلبي، ٦٠٢/١٠ (النساء، ١١٦/٤)؛ معالم التنزيل للبغوي، ٢٨٨/٢ (النساء، ١١٦/٤).

[٢] ن ر: بالتحريك.

[٣] ن ر: أشد.

[٤] ن ر: وأشد.

على عبادتها فأطاعوه، فجُعلَت طاعتُهم له عبادةً.

و﴿لَعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾ صفتان بمعنى: شَيْطانًا مَرِيدًا جامعًا بين لعنةِ الله وهذا القولِ الشنيع.

﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: مقطوعًا واجبًا فَرَضْتُه لنفسي، من قولهم: فرَضَ له في العطاء، وفَرْضُ الجند: رِزْقُه، قال الحسن: من كلِّ ألفٍ تسعَ مئةٍ وتسعين إلى النار.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ الأمانيَّ الباطلةَ: من طول الأعمار، وبلوغِ الآمال، ورحمةِ الله للمجرمين من غير توبة، والخروجِ من النار بعد دخولها بالشفاعة، ونحوِ ذلك.

وتبتيكُهم الآذانَ: فعلُهم بالبَحائر؛ كانوا يَشُقُّون أُذُنَ الناقةِ إذا ولدت خمسةَ أَبْطنٍ وجاء الخامسُ ذكرًا، وحَرَّموا على أنفسهم الانتفاعَ بها.

فدلّ على أنّ[١] الدعاء هناك بمعنى العبادة.

قوله: (و﴿لَعَنَهُ ٱللَّهُ﴾) المراد بـ﴿لَعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ ما استحقّ[٢] به اللعن مِن استكباره عن السجود واستحقاقه بذلك التبعيدَ والرجم، ونظيره: "أبيتَ اللعنَ"، أي: ما فعلتَ ما تستحقّ به اللعن.

قوله: (**قال الحسن**)[٣] هذا تفسير ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.

قوله: (**بالبحائر**) بحَرتُ أذنَ الناقة بحرًا: شققتها[٤] وخرقتها،[٥] ومنه "البحيرة" وهي: ابنة السائبة.[٦] وحكمها / حكم أمها. [٣١٨و]

---

[١] ر – أن.
[٢] ن: لا يستحق.
[٣] بمعناه عن ابن مسعود في جامع البيان للطبري، ٣٨٩/٢٣ (المزمل، ١٧/٧٣).
[٤] ر: ثقبتها.
[٥] ن: وخرقها.
[٦] ن ر: السابقة.

وتغييرُهم خلقَ الله: فَقْءُ عَيْنِ الحامي وإعْفاؤهُ عن الركوب.

وقيل: الخِصَاءُ، وهو في قول عامّة العلماء مباحٌ في البهائم، وأما في بني آدم فمحظورٌ، وعند أبي حنيفة رحمه الله: يُكره شِرَى الخصيان وإمساكُهم واستخدامُهم؛ لأن الرغبة فيهم تدعو إلى خصائهم.

وقيل: فِطْرَةَ الله التي هي دين الإسلام.

وقيل للحسن: إن عكرمَة يقول: هو الخصاء، فقال: كذَب عكرمةُ، هو دينُ الله.

وعن ابن مسعود: هو الوَشْم، وعنه: لعنَ الله الواشرات والمتنمِّصات والمستوشِمات المغيِّرات خلقَ الله.

وقيل: التخنُّث.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾

قوله: (الحامي) «الحامي: الفحل الذي طال مُكثه عندهم. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾ [المائدة ١٠٣/٥]. الفرّاء: إذا لقح ولد ولدِه حمى ظهره فلا يُركب ولا[١] يجزُّ وبرٌ ولا يُمنع من مرعى».[٢] والإعفاء: الترك. ومنه إعفاء اللحية وهو: ترك قطعها.[٣]

قوله: (الواشرات) الواشرات: اللاتي يُحدِّدن أطراف الأسنان مِن "وَشَر الأسنانَ". و(المتنمِّصات) اللاتي ينتفن شعور الوجه. و(المستوشِمات)[٤] مِن "الوشم" وهو: ما يفعله الدُّعّار[٥] على أعضائهم مِن النقوش.

قوله: (التخنُّث) تركيب الخَنَث يدلّ على لين وتكسُّر.[٦] ومنه "المخنَّث" وتخنَّث في كلامه.[٧]

---

١ ر - لا.

٢ الصحاح للجوهري، «حمى».

٣ انظر: المغرب للمطرّزي، «عفو».

٤ صحيح البخاري، ١٤٧/٦ (٤٨٨٦)؛ صحيح مسلم، ١٦٧٨/٣ (٢١٢٥).

٥ ر: الدعاريد.

٦ ن: وكسر.

٧ انظر: الصحاح للجوهري، «خنث».

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران: الأوَّلُ مؤكِّدٌ لنفسه والثاني مؤكِّد لغيره ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ توكيدٌ ثالثٌ بليغٌ.

فإن قلتَ: ما فائدةُ هذه التوكيدات؟

قلتُ: معارضةُ مواعيدِ الشيطان الكاذبة وأمانيِّهِ الباطلة لقُرَنائِه بوَعْدِ الله الصادقِ لأَوْليائه؛ تَرْغيبًا للعباد في إيثار ما يستحقُّون به تَنَجُزَ وَعْدِ الله على ما يتجرَّعون في عاقبته غُصَصَ إخْلاف مواعيد الشيطان.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾

في ﴿لَّيْسَ﴾ ضميرُ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ليس يُنال ما وَعَد اللهُ من الثواب ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ﴾ بـ﴿أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ والخطابُ للمسلمين؛ لأنه لا يتمنَّى وعدَ الله إلَّا مَن آمن به، ولذلك ذكر أهلَ الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله.

قوله: (﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران) إنّما كان ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدرًا مؤكِّدًا لنفسه لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... إلخ، ليس إلّا الوعد فلا[1] يحتمل غير الوعد، وهو مِن حيث هو خبر مع قطع النظر عن قائله وعن الدلائل الدالّة عليه يحتمل أن[2] يكون حقًّا أو غير حقّ، فيكون ﴿حَقًّا﴾ مؤكِّدًا لغيره، كما تقول في: "له عليَّ[3] ألفُ درهم اعترافًا"[4] و"زيد قائم حقًّا".

قوله: (ترغيبًا) مفعول له.

قوله: (ما يستحقُّون) هو الطاعات.

قوله: (ما[5] يتجرَّعون) هو ترك المأمورات والإتيان بالمناهي.

---

١ ر: ولا.
٢ ر – أن.
٣ ن ر – عليّ.
٤ ر: أو غير ألف.
٥ ر: وما.

وعن مسروق والسدِّيّ: هي في المسلمين.

وعن الحسن: ليس الإيمانُ بالتمنِّي، ولكن ما وقَرَ في القلب وصدَّقه العملُ، إنَّ قومًا ألْهَتْهم أَمَانِيُّ المغفرة حتّى خرجوا من الدنيا ولا حسنةَ لهم، وقالوا: نُحْسِنُ الظنَّ بالله! وكذَبوا لو أحْسَنوا الظنَّ بالله لأَحسنُوا العملَ.

وقيل: إن المسلمين وأهلَ الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبيُّنا قبل نبيِّكم وكتابُنا قبل كتابكم، وقال المسلمون: نحن أولى منكم، نبيُّنا خاتم النبيين، وكتابُنا يَقْضِي على الكتب التي قبله، فنزلت.

قوله: (وَقَر)[١] الوقرة: الأثر. يقال: وَقَر في الصخرة إذا أثّر فيها. ووقَّره إذا أثّر فيه. قال:

وَيلُمِّ[٢] بزٍّ جَرّ شَغْلُ على الحصا[٣] جرًّا[٤] فوَقَّر ما هنالك ضائعُ[٥]

شَغْل: اسم تأبّط شرًّا. وبزّ: اسم سيفه. وكانت العرب إذا أرادت وصف رجل بالطول تقول: "طويل[٦] الحِمالة"، فهو يصف شَغْلًا بالقِصَر بما ذَكَر أنّه يجرّ سيفه في مشيه فتؤثِّر الحجارة في سيفه. قوله: "جرّ شَغْلُ على الحصا" صفة "بزّ". والعائد إليه محذوف، أي: جرَّه يتعجّب مِن سيفه. وقوله:[٧] "فوقّر" عطف على "جرّ". والضمير[٨] المستتر فيه يعود إلى "بزّ"، يريد أن سيفه[٩] أثّر في[١٠] الحجارة. وأمّا قول مَن قال: "أثّر الحجارة في سيفه" ففيه نظر. ثمّ قال: "ما[١١] هنالك[١٢] ضائع"، يعني: ما ضاع شيء في ذلك المقام، يريد أنّ سيفه لم يضع ذلك المقام بأن يمتنع مِن العمل؛ بل فعل فعله بأن أثّر في الحجر.

---

[١] ن: وقرا.

[٢] ر: ولم.

[٣] ن: الحصاء.

[٤] ن: حراء.

[٥] البيت لقيس بن العيزارة يهجو تأبّط شرًّا، في شرح ديوان الهُذليين للسُّكّري، ٥٩١/٢؛ والرواية فيه:
فويل لبَزّ جرّ شَغل على الحصا
فوقّر بَزّ ما هنالك ضائعُ

[٦] ن: بطويل؛ ر: تطويل.

[٧] ن ر - على الحصا" صفة "بزّ". والعائد إليه محذوف، أي: جرّه يتعجّب مِن سيفه. وقوله.

[٨] ن ر: الضمير.

[٩] ن ر - إلى "بزّ"، يريد أن سيفه.

[١٠] ن ر - في.

[١١] ن ر - ما.

[١٢] ن ر: هناك.

ويحتمِل أن يكون الخطابُ للمشركين؛ لقولهم: إن كان الأمر كما يزعُم هؤلاء لنكونَنَّ خيرًا منهم وأحسنَ حالًا: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم ٧٧/١٩] ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت ٥٠/٤١]، وكان أهل الكتاب يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾، ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾. ويَعْضده تقدُّمُ ذكر أهل الشرك قبلَه.

وعن مجاهد: أنَّ الخطاب للمشركين.

قوله: (الخطاب للمشركين) فالمشركون وإن لم يؤمنوا بوعد الله لكن كانوا يقولون: (إن كان)... إلخ، فجعل ذلك أمنيّة. واللام في (لقولهم) يحتمل أن يتعلق بـ(يحتمل) أو بالخطاب.

قوله: (﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ [مريم ٧٧/١٩]) ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ﴾ [مريم ٧٧/١٩]. قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾... الآية. قيل:[١] نزلت في الوليد بن المغيرة، والمشهور أنّها في العاص بن وائل. قال خبّاب بن الأرتّ: كان لي عليه دين فاقتضيته، فقال: لا والله حتّى تكفر بمحمّد. قلتُ: لا والله لا أكفر بمحمّد صلى الله عليه وسلّم[٢] لا حيًّا ولا ميتًا ولا حين نبعث. قال: إن كان الأمر كما يقول المسلمون مِن أنّ في الجنة ذهبًا وفضّة وحليًّا فإنّي إذا متّ وبعثتُ جئتني، وسيكون لي ثمّة مال[٣] وولد فأعطيك. وقيل: صاغ[٤] له خبّاب حليًّا فاقتضاه الأجر، فقال: إنكم تزعمون أنّكم تُبعثون وإنّ في الجنة ذهبًا / وفضّة وحريرًا، فأنا أقضيك ثمّة فإنّي أوتى مالًا وولدًا حينئذٍ.[٥] [٣١٨ظ]

قوله: (وكان أهل) عطف على "لقولهم"،[٦] إذ هو في معنى: لأنّهم كانوا يقولون.

قوله: (ويعضده) أي: يعضد أنّ الخطاب للمشركين. وقوله: (وعن مجاهد) هذا يقوّي ما مرّ.

---

١ ن - قيل.

٢ د ر - صلى الله عليه وسلّم.

٣ ن: قال.

٤ ن: ضاع.

٥ بلفظ قريب في صحيح البخاري، ٦٠/٣ (٢٠٩١)؛ وصحيح مسلم، ٢١٥٣/٤ (٢٧٩٥).

٦ ن: مقولهم.

قولُه: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ وقولُه: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعد ذكر تمنِّي أهل الكتاب نحوٌ من قولِه: ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة ٢/٨١] وقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة ٢/٨٢] عقيبَ قولِه: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ﴾ [البقرة ٢/٨٠]، وإذا أبطل الله الأمانيَّ وأثبت أن الأمر كلَّه مَعقُودٌ بالعمل، وأن مَن أصلح عَمَله فهو الفائز، ومَن أَساء عمله فهو الهالك، تبيَّن الأمرُ ووَضَح، ووجَبَ قطعُ الأمانيِّ وحَسْمُ المطامع والإقبالُ على العمل الصالح، ولكنَّه نُصْحٌ لا تَعِيهِ الآذانُ ولا تُلقَى إليه الأَذْهانُ.

فإن قلتَ: ما الفرق بين "مِن" الأولى والثانية؟

قلتُ: الأولى للتبعيض، أراد: ومَن يعملْ بعضَ الصالحات؛ لأن كلًّا لا يتمكَّن من كلِّ الصالحات؛ لاختلاف الأحوال، وإنما يَعمل منها ما هو تكليفُه وفي وُسعه، وكم مِن مكلَّفٍ لا حجَّ عليه ولا جهادَ ولا زكاةَ، وتسقط عنه الصلاةُ في بعض الأحوال.

والثانيةُ لتبيين الإبهام في ﴿مَن يَعۡمَلۡ﴾.

فإن قلتَ: كيف خُصَّ الصالحون بأنهم لا يُظلمون وغيرُهم مثلُهم في ذلك؟

قلت: فيه وجهان:

قوله: (**قوله: ﴿مَن يَعۡمَلۡ﴾**) مبتدأ، يعني: هذان القولان بعد[1] قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ﴾ مثل ذينك القولين بعد قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ [البقرة ٢/٨٠].

قوله: (**قلتُ: فيه وجهان**) حاصل الوجه **الأوّل** أنّ الضمير للفريقين، وحاصل الوجه[2] **الثاني أنّ** الضمير لأحد الفريقين وذِكر الآخر مستغنًى عنه، ولهذا الوجه تقديران،[3] ولذا قال: فيه وجهان. ويتوجّه أن يقال: معنى قوله:

---

١ ن ر – بعد.

٢ ن + وحاصل الوجه الأوّل أنّ الضمير للفريقين، وحاصل الوجه الأوّل أنّ الضمير للفريقين وحاصل الوجه.

٣ ن ر: تقريران.

أحدهما: أن يكون الراجع في ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ لعُمَّال السُّوء وعُمَّال الصالحات جميعًا.

والثاني: أن يكون ذكرُه عند أحد الفريقين دالًّا على ذكرِه عند الآخَر؛ لأن كِلَا الفريقين مَجْزِيُّون بأعمالهم لا تفاوُتَ بينهم؛ ولأنّ ظُلم المُسِيء أن يُزاد في عقابه، وأرحمُ الراحمين معلومٌ أنّه لا يَزيد في عقاب المجرم، فكان ذكرُه

(ذَكَره عند)...[1] إلخ، في معنى قولك: استغنى بالذِّكر عند أحد الفريقين عن الذِّكر[2] عند[3] الآخر لأنّ ولأنّ.

واعلم أنّ الصواب أن نقول: قوله: **(ولأنّ ظلم المسيء)**... إلخ، عطف على أوّل[4] الجواب وهو قوله: "فيه وجهان" وبيان ذلك أن نقول: معنى السؤال أنّ المقام محتاج إلى ذِكر نفي الظلم في الموضعين فلِمَ خصّ أحدهما بالذِّكر؟ فأجاب بطريقين: الطريق **الأوّل** تسليم أنّ المقام محتاج إلى ذِكر نفي الظلم في الموضعين، ثمّ ذَكَر الجواب بناء على هذا التسليم مِن وجهين، والطريق **الثاني** أنّه لا يحتاج ذِكر نفي الظلم في الأوّل لكونه معلومًا وإنّما احتيج إليه في الثاني فذَكَره. وقوله: **(لعمّال السُّوء)**[5] ساء يسوء سَوءًا بالفتح، والاسم السُّوء بالضم، وتقول: "هذا رجلُ سَوء" بالإضافة، ثمّ تُدخِل عليه الألف واللام فتقول: "هذا رجل السَّوء"، ولا يقال:" الرجل السَّوء" على الصفة، ويقال: "الحقّ اليقين"[6] و"حقّ اليقين" جميعًا،[7] لأنّ السَّوء ليس بالرجل واليقين هو الحقّ، قال: ولا يقول أحد: "هذا رجل السُّوء" بالضمّ.

قوله: **(يكون ذِكره)** أي: عدم الظلم.

قوله:[8] **(ولأنّ ظُلم)** كأنه دليل ثالث[9] على التخصيص.

---

[1] ن – عند.
[2] ن – عند الآخر.
[3] ر – عند.
[4] ن: أنّ.
[5] ن + السوء.
[6] ن ر: واليقين.
[7] ن – جميعًا.
[8] ن – قوله.
[9] ر: ثابت.

مستغنًى عنه، وأما المحسِنُ فله ثوابٌ، وتوابعُ للثواب من فضل الله هي في حُكم الثواب، فجاز أن يُنقص من الفضل؛ لأنه ليس بواجبٍ، فكان نفيُ الظلم دلالةً على أنه لا يقع نُقصانٌ في الفضل.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾: أَخلص نفسَه لله، وجعلها سالمةً له لا يَعرف لها ربًّا ولا معبودًا سواه.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: وهو عامل للحسنات تاركٌ للسيّئات.

﴿حَنِيفًا﴾ حالٌ من المُتَّبع، أو من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ كقوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة ١٣٥/٢] وهو الذي تَحَنَّفَ؛ أي: مالَ عن الأديان كلِّها إلى دِين الإسلام.

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ مَجازٌ عن اصطفائه واختصاصه بكرامةٍ تُشبه كرامةَ الخليل عند خليله، ....

قوله: (فكان نفيُ الظلم دلالةً) فيه إشارة إلى غاية رحمته، فكأنّه تعالى قال: لو نقصت شيئًا مِن الفضل كان كأنّي ظلمت، وإذا سمّى تعالى ذلك ظلمًا فكيف يزيد في العقاب.

قوله: (مجاز عن اصطفائه) وذلك أنّ اتّخاذ الخليل مستلزم للاصطفاء والاختصاص بالكرامة، فذُكر اتّخاذ الخليل وأريدَ الاصطفاء والاختصاص بالكرامة فيكون مجازًا. وتحقيقُه أنّه شبّه الاصطفاء للنبوّة والاختصاص بالكرامة بالاتّخاذ خليلًا، فذُكر المشبّه به وهو الاتّخاذ خليلًا وأريدَ المشبّه وهو الاختصاص والاصطفاء، ثمّ قيل بطريق الاستعارة التبعيّة: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ وأريدَ: اختصّه بالكرامة واصطفاه للنبوّة فيكون مجازًا، لأنّ الاستعارة التبعيّة قسم مِن أقسام المجاز.

والخليلُ: المُخَالُّ، وهو الذي يخالُّك؛ أي: يُوافقك في خِلالك، أو يُسايِرُك في طريقتك، من الخَلِّ: وهو الطريق في الرَّمل، أو يَسُدُّ خَلَلَكَ كما تَسُدُّ خَلَلَه، أو يُداخلكَ خِلال مَنازلك وحُجُبِكَ.

فإن قلتَ: ما موقعُ هذه الجملة؟

قلتُ: هي جملةٌ اعتراضيةٌ لا محلَّ لها من الإعراب؛ كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم: والحوادثُ جَمَّةٌ، فائدتُها تأكيدُ وجوبِ اتِّباع مِلَّته؛ لأن مَن بلغ من الزُّلفى عند الله أنِ اتَّخذه خليلًا كان جديرًا بأن تُتَّبع مِلَّتُه وطريقتُه، ولو جعَلْتَها معطوفةً على الجملة قبلها لم يكن لها معنًى.

قوله: (والخليل: المُخالّ)[1] يريد أنّه فعيل بمعنى مفاعِل[2] كالنديم بمعنى المُنادم،[3] والجليس بمعنى المُجالس.[4] قوله: (يُسايرك) سايره، أي: جاراه، أي: جرى معه.

قوله: (خِلالَ) الخَلَل: الفرجة بين الشيئين، والجمع الخِلال، مثل جَمَل وجِمال.

قوله: (والحوادثُ جَمّة).

ألا هـل أتـاهـا والـحـوادثُ[5] جـمّـةٌ بـأنّ امـرأ القيس / بـن تَـمْلِك بَيْقرا[6] [٣١٩و]

تَمْلِك: اسم امرئ القيس. وبَيْقرا، أي: مات أو انتقل مِن بلد إلى بلد. والباء في "بأنّ" مزيدة في الفاعل، والتقدير: هل أتاها بيقرتُه. قال في الصحاح: بَيْقر الرجل: أقام بالحضر وتركَ قومه بالبادية. ثمّ تمثّل بهذا[7] البيت.[8]

قوله: (لم يكن لها معنًى) لأنّ الجملة قبلها ﴿أَتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف على صلة ﴿مَنْ﴾، وهذه لا تصلح لذلك لعدم الضمير.

---

١ ن: الخال.
٢ ن: فاعل.
٣ ن: النادم.
٤ ن: الجالس.
٥ ر - والحوادث.
٦ البيت لامرئ القيس في ديوانه، ص ٣٩٢؛ وهو له في جامع البيان للطبري، ٥٠٦/١٦ (الحج، ٢٥/٢٢)؛ والخصائص لابن جنّي، ٣٣٦/١؛ والصحاح للجوهري، «بقر»؛ ونهاية الإيجاز للرازي، ص ١٧٢. وفي شرح ديوان امرئ القيس للسكّري، ٤٢٢/١: تَمْلِك: أمُّه. بَيْقَر، أي: انتقلَ من أرض إلى أرض، أو أعيا.
٧ ر: هذا.
٨ انظر: الصحاح للجوهري، «بقر».

وقيل: إن إبراهيم عليه السلام بعث إلى خليلٍ له بمصرَ في أَزْمَةٍ أصابت الناسَ يمتارُ منه، فقال خليله: لو كان إبراهيم يَطْلب الميرة لنفسهِ لفعلتُ، ولكنَّه يريدها للأضياف، فاجتاز غلمانه ببطحاءَ لينة فملؤوا منها الغرائرَ حياءً من الناس، فلمَّا أخبروا إبراهيم عليه السلام سَاءه الخبر، فحملَتْه عيناه، وعَمدَتْ امرأتُه إلى غِرارة منها فأخرجَتْ أحسنَ حُوَّارَى واخْتبزَتْ، واستَنْبَهَ إبراهيم عليه السلام فاشتَمَّ رائحة الخُبزِ، فقال: من أين لكم؟ فقالت امرأتهُ: من عند خليلك المصريّ، فقال: بل مِن عند خليلي اللهِ عزَّ وجل، فسمَّاه الله خليلًا.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ١٢٦﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ متَّصلٌ بذكر العُمَّال الصَّالحين والطَّالحين، ومعناه: أنه له ملكُ أهل السماوات والأرض، فطاعتُه واجبةٌ عليهم.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ فكان عالمًا بأعمالهم فمجازيهم على خيرِها وشرِّها، فعليهم أن يختاروا لأنفسهم ما هو أصلحُ لها.

قوله: (في أزمةٍ)[1] «الأزمة:[2] الشدّة والقحط. يقال: أصابتهم سنة أزَمتهم أزمًا، أي: استأصلتهم».[3]

قوله: (يمتار منه) «المِيرة:[4] الطعام يمتاره الإنسان، وقد مار أهله يميرهم مَيرًا، ومنه قولهم: 'ما عنده خيرٌ ولا ميرٌ'،[5] والامتيار مثله».[6]

قوله: (لينة)[7] موضع بقرب الطائف، واسمه وَرْد.[8] و(الغرائر) جمع غَرارة. (حملته عيناه) أي: نام.

قوله: (حُوّارى) الحُوّارى بالضمّ وتشديد الواو والراء مفتوحة ما حُوِّر من الطعام، أي: بُيِّض، وهذا دقيق حُوّارى، وحوَّرته فاحتور،[9] أي: بيّضته فابيضّ.[10]

---

[1] ر: أزمنة.

[2] ر: الأزمنة.

[3] **الصحاح** للجوهري، «أزم».

[4] ن: لكثرة.

[5] **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٢٨٥.

[6] **الصحاح** للجوهري، «مير».

[7] ن - لينة.

[8] ن: ورن. | انظر: **معجم البلدان** للحمويّ، ٥/٢٩.

[9] ن: فاحتوره.

[10] انظر: **الصحاح** للجوهري، «حور».

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾

﴿مايُتلى﴾ في محلِّ الرفع؛ أي: اللهُ يفتيكم والمتلوُّ ﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ في معنى اليتامى، يعني: قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [النساء ٣/٤]، وهو من قولك: أعجبني زيدٌ وكرمُه.

ويجوز أن يكون ﴿مايُتْلَى عليكم﴾ مبتدأ و﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ خبرَه على أنها جملةٌ معترِضةٌ، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، تعظيمًا للمتلوِّ عليهم، وأن العدل والنَّصَفَة في حقوق اليتامى من عظائم الأمور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتُها والمحافظة عليها، والمخلُّ بها ظالمٌ متهاونٌ بما عظَّمه الله،

قوله: (**هو مِن قولك: أعجبني زيد وكرمه**) فإنّ المراد في المثال "أعجبني كرمُ زيد"، والإسناد إلى "زيد" كالتوطئة لذِكر كرمه، لكن بينهما فرق مِن حيث أنّ المقصود في الآية هو الإسناد إلى الأوّل وفي المثال المذكور إلى الثاني، وكأنّ المصنّف لهذا قال: "هو مِن قولك"، ولم يقل: "هو مثله"، أي: بينهما نوع اتّصال.

قوله:[١] (**تعظيمًا**) مفعول له مِن قوله: (**معترِضة**) أو مِن قوله: (**المراد**) كأنّه قيل: جاء بها أو اعترض بها تعظيمًا، أو أراد بالكتاب اللوح تعظيمًا، ولذا حذف اللام. وقوله:[٢] (للمَتلوّ)[٣] فيه ضمير يعود إلى[٤] اللام، أي: تعظيمًا للذي تُلي عليهم وبيانًا أنّ العدل.

قوله: (﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾) ظرف وليس بصلة ﴿يُتْلَىٰ﴾ كما تقول: تلوتُ عليهم يومَ الجمعة في معنى كذا.

---

١ ن ر - (هو مِن قولك: أعجبني زيد وكرمه) فإنّ المراد في المثال "أعجبني كرمُ زيد"، والإسناد إلى "زيد" كالتوطئة لذِكر كرمه، لكن بينهما فرق مِن حيث أنّ المقصود في الآية هو الإسناد إلى الأوّل وفي المثال المذكور إلى الثاني، وكأنّ المصنّف لهذا قال: "هو مِن قولك"، ولم يقل: "هو مثله"، أي: بينهما نوع اتّصال. قوله.

٢ ر: قوله.

٣ ر + للمتلو.

٤ ر: أي.

ونحوُه في تعظيم القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف ٤٣/٤].

ويجوز أن يكون مجرورًا على القسَم؛ كأنه قيل: قل الله يُفتيكم فيهن وأُقسم بما يتلَى عليكم في الكتاب، والقسمُ أيضًا لمعنى التعظيم.

وليس بسديدٍ أن يُعطف على المجرور في ﴿فِيهِنَّ﴾؛ لاختلاله من حيث اللفظُ والمعنى.

فإن قلتَ: بمَ تعلّق قوله: ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾؟

قلتُ: في الوجه الأول هو صلةُ ﴿يتلى﴾؛ أي: يُتلى عليكم في معناهنَّ، ويجوز أن يكون ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ بدلًا من ﴿فِيهِنَّ﴾، وأما في الوجهين الآخرين فبدلٌ لا غير.

فإن قلتَ: الإضافة في ﴿يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ ما هي؟

قلتُ: هي إضافةٌ بمعنى "مِن"؛ كقولك: عندي سَحقُ عِمامةٍ.

وقرئ: "في يَيَامَى النساء" بياءين على قلب همزةِ «أيَامَى» ياءً.

﴿لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ وقرئ: "ما كَتَب اللهُ لهن".

أي: ما فُرض لهنَّ من الميراث، وكان الرجل منهم يضمُّ اليتيمةَ إلى نفسه ومالَها، فإن كانت جميلةً تزوَّجها وأكل المال، وإن كانت دميمةً عضَلها عن التزوُّج حتى تموتَ فيرثها.

قوله: (مِن حيث اللفظ) لعدم جواز العطف، لأنّ الجارّ والمجرور كشيء واحد، فلا يُعطَف[1] على بعضه. وقوله: (والمعنى) لعدم دخوله في الاستفتاء،[2] ولأنّه[3] لا يستقيم: يُفتيكم في حقّ ما يتلى عليكم في الكتاب.

قوله: (سَحْقُ عِمامةٍ) أي: سحق مِن عِمامة، كقولك: "خاتمُ[4] حديدٍ"، أي: مِن حديد.[5]

[1] ن + فلا يعطف.
[2] ن ر: الاستثناء.
[3] ر – لأنّه.
[4] ر + خاتم.
[5] د – أي: من حديد. | وجاءت تعليقًا في هامش د.

﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ يحتمِل: "في أن تنكحوهنَّ لجمالهنَّ" و: "عن أن تنكحوهنَّ لِدَمَامتِهنَّ"، ورُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا جاءه وليُّ اليتيمة نظر، فإن كانت جميلةً غنيّةً قال: زوِّجها غيرَك والتَمِسْ لها مَن هو خيرٌ منك، وإن كانت دميمةً ولا مال لها قال: تزوَّجها فأنت أحقُّ بها.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ مجرورٌ معطوفٌ على ﴿يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾، وكانوا في الجاهلية إنَّما يورِّثون الرجال القُوَّامَ بالأمور دون الأطفال والنساء.

ويجوز أن يكون خطابًا للأوصياء؛ كقوله: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ [النساء ٤/٢].

﴿وَأَن تَقُومُواْ﴾ مجرورٌ كـ"المستضعَفين"، بمعنى: يُفتيكم في يتامَى النساء وفي المستضعَفين وفي أن تقوموا، ويجوز أن يكون منصوبًا بمعنى: ويأمُركم أن تقوموا، وهو خطابٌ للأئمة في أن ينظروا لهم، ويستوفُوا لهم حقوقَهم، ولا يُخَلُّوا أَحَدًا يَهتضِمُهم.

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾

﴿خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا﴾: توقَّعَتْ منه ذلك لِمَا لاحَ لها من مَخايِله وأَمَاراته.

قوله: **(أن يكون خطابًا)** يريد في قوله: ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾، إذ التقدير: قل الله يفتيكم في المستضعفين. فقوله: **(ويجوز)** عطف مِن حيث المعنى على قوله: **(وكانوا)** لأنّه في معنى: إنّ الخطابَ للورثة.

قوله: **(توقَّعَت)** تقول العرب: أخاف أن يُعطيَني فلان، أي: أتوقَّع.

قوله: **(مِن مَخايله)** مَخيلة الشيء مَظِنّته، يقال: «خِلتُ الشيء خَيْلًا وخِيلةً ومَخِيلة وخَيْلولة، أي: ظننتُه، وفي المثل 'مَن يسمع يخَلْ'».[١] أو طموح طمح بصره إلى الشيء ارتفع.

---

[١] ر + قوله. | **الصحاح** للجوهري، «خلت». والمثل في **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٣٠٠؛ و**المستقصى** للزمخشري، ٢/٣٦٢.

والنشوز: أَن يتجافى عنها بأن يمنعَها نفسَه ونفقتَه والمودَّةَ والرحمة التي بين الرجل والمرأة، وأن يُؤذيها بسبٍّ أو ضربٍ.

والإعراضُ: أن يُعْرِض عنها بأن يُقِلَّ مُحادَثَتها ومؤانَستَها، وذلك لبعض الأسباب: من طَعْنٍ في سنٍّ، أَوْ دَمَامة، أو شيء في خُلُقٍ أو خَلْقٍ، أو مَلَالٍ، أو طُمُوحِ عَيْنٍ إلى أخرى، أو غيرِ ذلك، فلا بأس بهما في أن يُصْلحا بينهما.

وقرئ: ﴿يَصَّالحا﴾ و: "يصَّلِحَا"، بمعنى: يَتَصالحا ويَصْطَلِحا، ونحوُ "اصَّلح": "اصَّبر" في "اصْطَبَر".

﴿صُلْحًا﴾ في معنَى مصدرِ كلِّ واحدٍ من الأفعال الثلاثة، ومعنى الصُّلح: أن يتصالَحا على أن تَطيبَ له نفسًا عن القسمة، أو عن بعضها، كما فعلتْ سَوْدةُ بنتُ زَمْعَةَ حين كرهت أن يفارقها رسول الله، وعرفَتْ مكان عائشة مِن قلْبه، فوهبَتْ لها يومَها.

وكما رُوي أنَّ امرأةً أراد زوجُها أن يطلِّقها لرغبته عنها وكان لها منه ولدٌ، فقالت: لا تُطلِّقني، ودعني أَقوم على ولدي وتَقْسِمُ لي في كلِّ شهرين، فقال: إن كان هذا يَصْلُح فهو أحبُّ إليَّ، فأقرَّها.

أو تَهبَ له بعضَ المهر، أو كلَّه، أو النفقةَ.

فإن لم تفعل فليس له إلّا أن يُمسكها بإحسانٍ أو يسرِّحَها.

﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفُرقة، أو من النشوز والإعراضِ وسُوءِ العِشرَة، أو هو خيرٌ من الخصومة في كلِّ شيء، أو الصلحُ خيرٌ من الخيور كما أن الخصومةَ

قوله: (نفسًا) تمييز، أي: طابت نفسها لأجل الزوج عن نصيبها مِن القسمة بأن وهبت منه أو مِن امرأة أخرى.

قوله: (ودَعني أقوم) أي: أنا أقوم على طريقة الاستئناف.

قوله: (وتقسِم لي) قد أجريَ مُجرى الفعل اللازم، أي: تفعل القَسْم لأجلي.

[٣١٩ظ] قوله: (مِن الخُيور) قال رحمه الله:[١] / ورد في الكلام الفصيح فاقتديت به

---

١ ن - رحمه الله؛ ر: رضي الله عنه.

شرٌّ من الشرور، وهذه الجملة اعتراضٌ، وكذلك قولُه:

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ ومعنى إحضارِ الأنفسِ الشحَّ: أن الشحَّ جُعل حاضرًا لها لا يغيبُ عنها أبدًا ولا تنفكُّ عنه، يعني: أنها مَطْبوعةٌ عليه، والغرض: أنَّ المرأةَ لا تكاد نفسُها تسمح بقِسمتها وبغيرِ قسمتها، والرجلُ لا تكاد نَفْسُه تسمحُ بأن يقسِم لها وأن يُمسِكها إذا رغبَ عنها وأحَبَّ غيرها.

﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟﴾ بالإقامة على نسائكم وإن كرِهْتُموهن وأحببتُم غيرَهنَّ، وتصبروا على ذلك مراعاةً لحقِّ الصُّحْبة ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ النشوزَ والإعراضَ وما يؤدي إلى الأذى والخصومة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإحسان والتقوى ﴿خَبِيرًا﴾ وهو يُثيبكم عليه.

وكانَ عِمرانُ بن حِطَّان الخارجيُّ من أَدَمِّ بني آدم وامرأتُه من أجملِهم، فأجالت في وجهه نظرها يومًا ثمّ تابعَتْ: الحمدُ لله، فقال: ما لَكِ؟ قالت: حمِدْتُ الله على أني وإيَّاك من أهل الجنة، قال: كيف؟ قالت: لأنك رُزقتَ مثلي فشكَرْتَ، ورُزقتُ مثلكَ فصبرتُ، وقد وعد الله الجنَّة عبادَه الشاكرين والصابرين.

وهو قياس واستعمال، والمراد بالخيور الخيرات، أي: خير وهو مِن[1] جملة الخيور، فعلى هذا لا يكون بمعنى التفضيل، فلذا جمعه المصنِّف في قوله: "مِن الخيور".

قوله: **(قسمتِها)** بأن تهَب له بعضَ المهر أو كلَّه أو النفقة.

قوله: **(حِطّان)** بكسر الحاء وهو فعلان.

قوله: **(مِن أدمّ)** الدمامة: قُبح الوجه. فقوله: **(ثمّ تابَعَت)**،[2] أي: **بحمد الله** تعالى مرّة بعد أخرى.

قوله: **(وقد وَعَد)** من كلام المرأة.

---

[1] ر – من.

[2] ر: بايعت.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٢٩﴾

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ﴾: ومُحالٌ أن تستطيعوا العدلَ ﴿بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ والتسويةَ حتى لا يقعُ مَيْلٌ البتة ولا زيادةٌ ولا نقصانٌ فيما يجب لهنَّ، فرُفع لذلك عنكم تمامُ العدل وغايتُه، وما كُلِّفتم منه إلّا ما تستطيعون بشرطِ أن تَبْذلوا فيه وسعَكم وطاقتَكم؛ لأن تكليف ما لا يُستطاع داخلٌ في حدِّ الظلم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت ٤١/٤٦].

وقيل: معناه: أَنْ تَعْدلوا في المحبَّة، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنه كان يقسِم بين نسائه فيَعْدل ويقول: «هذه قِسْمَتي فيما أَملِك، فلا تأخُذْني فيما تملك ولا أَمْلِكُ» يعني: المحبَّة؛ لأن عائشة رضي الله عنها كانت أَحَبَّ إليه.

وقيل: إن العدل بينهنَّ أمرٌ صَعْبٌ بالغٌ من الصعوبة حدًّا يُوهِم أنه غيرُ مستطاعٍ؛ لأنه يجب أن يُسوِّيَ بينهنَّ في القِسمة والنفقة والتعهُّد والنظر والإقبال والمُمالَحَة والمُفاكَهة والمؤانَسة وغيرِها مما لا يكاد الحَصْر يأتي من ورائه، فهو كالخارج من حدِّ الاستطاعة، هذا إذا كنَّ محبوباتٍ كلُّهُنَّ، فكيف إذا مال القلب مع بعضهن؟

قوله: (العدلَ) لأنّ العدل ألّا يقع مَيل البتّة.

قوله: (وقيل: معناه) أي: محال أن تستطيعوا العدلَ في المحبّة، لأنّ ميلان القلب لا حكمَ عليه فلا يجب عليكم ذلك، لكن يجب عليكم[١] أن تعدلوا فيما سوى ذلك.

قوله: (أحبَّ إليه) والحاصل أنّ المراد بقوله:[٢] ﴿لَن تَسْتَطِيعُوٓاْ﴾ إمّا أنّه محال أو أنّه صعب، وعلى أنّه محال فإمّا أن يكون المراد العدلَ بينهنّ فيما يجب أو في المحبّة.

---

١ ر – ذلك لكن يجب عليكم.

٢ ن – عليكم ذلك، لكن يجب عليكم أن تعدلوا فيما سوى ذلك، قوله: (أحبَّ إليه) والحاصل أنّ المراد بقوله.

﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ فلا تَجُوروا على المرغوبِ عنها كلَّ الجَور فتَمْنعوها قِسمتَها من غير رضًا منها، يعني: أن اجتناب كلِّ الميل مما هو في حدِّ اليُسر والسَّعة فلا تُفرِّطوا فيه إن وقع منكم التفريطُ في العدل كلِّه، وفيه ضربٌ من التوبيخ.

﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ وهي التي ليست بذاتِ بَعْلٍ ولا مطلَّقة، قالت:

هل هي إلا حِظَةٌ أو تطليقْ أو صَلَفٌ أو بينَ ذاك تعليقْ

وفي قراءة أبيّ: "فتَذَرُوها كالمسجونة".

وفي الحديث: «مَن كانت له امرأتان يميلُ مع إحداهما جاء يومَ القيامة وأحدُ شقَّيهِ مائلٌ».

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث إلى أزواج رسول الله بمالٍ، فقالت عائشة رضي الله عنها: أَإِلى كلِّ أزواج رسول الله بَعثَ عمر مثلَ هذا؟

قوله: (تفرِّطوا فيه) أي: في الاجتناب عن كلّ الميل.

قوله: (وفيه ضربٌ) أي: في قوله: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾، كما يقال: لا تُجاوِز الحدّ.

قوله:

(هـــل هـــي) البيت[1]

قوله: "هي" كناية عن القصة، أي: هل قصّتها وقضيّتها إلّا أحد[2] هذه الأمور. "الحِظة" والحِظوة والحُظوة بمعنًى. و"الصَّلَف": ضدّ ذلك، يقال: «صلِفت المرأة تصلَف صلَفًا إذا لم تحظ عند زوجها وأبغضها».[3]

قوله: "هل هي" ضمير مبهم يفسِّره ما بعده كما يقع بعد "نِعم"[4] و"ربَّ" وليس[5] مِن ضمير الشأن والقصة في شيء.

---

[1] الرجز لابنة الحُمارس في المقصور والممدود للقالي، ص ١٧٥؛ والصحاح للجوهري، «هلل»، «حظا».

[2] ن: أخذ.

[3] الصحاح للجوهري، «صلف».

[4] ن ر: لهم.

[5] ن: ليس.

قالوا: لا، بعثَ إلى القرشيَّات بمثلِ هذا، وإلى غيرهن بغيره، فقالت: ارفَعْ رأسَك فإن رسول الله كان يعدِل بيننا في القسمة بماله ونفسِه، فرَجَع الرسولُ فأخبره فأتمَّ لهنَّ جميعًا.

وكان لمعاذٍ امرأتان، فإذا كان عند إحداهما لم يتوضَّأ في بيت الأخرى، فماتتا في الطاعون فدَفَنَهما في قبرٍ واحدٍ.

﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾ ما مَضى من مَيْلكم وتتدارَكوه بالتوبة ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ فيما يُستقبل، غَفر الله لكم.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ١٣١﴾

قرئ: "وإنْ يتفارَقَا" بمعنى: وإنْ يفارقْ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه.

﴿يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦ﴾: يَرزُقْه زوجًا خيرًا من زوجه، وعيشًا أَهْنأَ من عيشه، والسَّعَةُ: الغِنَى والمَقْدُرةُ، والواسعُ: الغنيُّ المقتدر.

﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ متعلِّق بـ﴿وَصَّيۡنَا﴾ أَوْ بـ﴿أُوتُواْ﴾.

﴿وَإِيَّاكُمۡ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ﴾.

و﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ اسمٌ للجنس يتناول الكتب السماويَّة.

﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: بأنِ اتَّقوا، أو تكونُ "أنْ" المفيِّرة؛ لأنَّ التوصيةَ في معنى القول.

قوله: («ارفع رأسك»)،[١] أي: تنبه، فإنّ النائم إذا انتبه[٢] رفع رأسه، أي: افطن لأمرك فإنّك غافل.[٣]

قوله: (لأنّ التوصية في معنى القول) اعلم أنّ الفعل الذي فيه معنى القول يفسَّر بـ"أن" لا بـ"أي" وأمّا الفعل الذي ليس فيه معنى القول ولا هو

١ بلفظ قريب في مسند أحمد، ٢٤٥/٢٥ (١٥٩٠٥). ٣ ن ر: فاعل.
٢ ر: تنبه.

وقوله: ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ﴾ عطفٌ على ﴿ٱتَّقُواْ﴾؛ لأن المعنى: أمَرناهم وأمرناكم بالتقوى، وقلنا لهم ولكم: "إنْ تكفروا فإنَّ لله"، والمعنى: إن للهِ الخَلقَ كلَّه، وهو خالقُهم ومالكُهم والمنْعِمُ عليهم بأصنافِ النعمِ كلِّها، فحقُّه أن يكون مطاعًا في خَلقِه غيرَ مَعصِيٍّ، يتَّقون عقابَه ويرجون ثوابَه، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من الأمم السالفةِ ووصَّيناكم ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، يعني: أنها وصيَّة قديمةٌ ما زال يُوصِّي الله بها عبادَه لَستُم بها مخصوصينَ؛ لأنهم بالتَّقوى يَسعدون عنده، وبها ينالون النجاة في العاقبة، وقلنا لهم ولكم: إن تكفروا فإن لله في سماواته وأرضه من الملائكة والثَّقَلين مَن يُوحِّده ويَعبُده ويتَّقيه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ مع ذلك ﴿غَنِيًّا﴾ عن خلقِه وعن عبادتهم جميعًا، مستحِقًّا لأنْ يُحمدَ لكثرة نعمه وإن لم يَحْمدْه أحدٌ منهم.

قول صريح فإنَّما يفسَّر بـ"أي" دون "أن"، وأمَّا القول الصريح فلا يفسَّر لا بـ"أي" ولا بـ"أن" لأنَّ الجملة الواقعة بعده محكيَ لأنَّها مقولة فلا حاجةَ إلى حرف التفسير.

قوله: (النِّعم كلِّها) أي: اتَّصافه تعالى بهذه الصفات يُوجِب أن يُتَّقى، وقد أمر بالتقوى مع دلالة الأدلَّة العقليَّة على وجوب التقوى، فقوله تعالى:[1] ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾... إلخ، عطف[2] على قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

قوله: (يتَّقون عقابه) بيَّن أوَّلًا أنَّ قوله: ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ بأيِّ شيء يتعلَّق، وأنَّ "أن" مصدريَّة أو مفسِّرة، وأنَّ الجملة الشرطيَّة عطف على ﴿ٱتَّقُوا﴾، ثمَّ شرع في تفسير قوله تعالى:[3] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أوَّلًا[4] إلى قوله: ثالثًا ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وهو مِن قوله: (والمعنى) إلى قوله: (أصلُ الخير كلّه). فقوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ مِن تتمَّة قوله: "والمعنى".

قوله: (مستحِقًّا) هو معنى قوله: ﴿حَمِيدًا﴾.

---

[1] ر - تعالى.
[2] ر - عطف.
[3] ر - تعالى.
[4] ن ر: أو.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾

وتكريرُ قوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تقريرٌ لِمَا هو موجِبٌ تقواه ليتَّقوه فيطيعوه ولا يَعْصوه؛ لأنّ الخشية والتقوى أصلُ الخير كلِّه.

قوله: **(وتكرير قوله)** جواب سؤال، وهو أن يقال: قد قال الله تعالى في أوّل هذا الكلام ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فلِمَ ذَكَره في آخره؟ فأجاب بأنّه للتقرير. وأظنّ أنّ الأَولى أن يقال: قال[1] الله[2] تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إشارة إلى المعنى الذي ذَكَره / المصنّف وهو أنّه لمّا كان جميع الأشياء [٣٢٠و] ملكَه دلّ العقل على أنّه يجب أن يوحَّد ولا يُشرَك به وأن يطاع ولا يُعصى وإن لم يُبعَث رسول ولا يُنزَل كتاب في بيان وجوب التوحيد[3] والطاعة،[4] ثمّ إنّه تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتاب لبيان وجوب الطاعة ووجوب التوحيد: أمّا بيان أنّه أرسل الرسل[5] وأنزل الكتب[6] فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿حَمِيدًا﴾، وأمّا بيان أنّه أرسل وأنزل للتوحيد فقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾، فإنّه تعالى لمّا بيّن أن جميع الأمور مفوَّض إليه كان ذلك دالًّا على أنّه ليس له شريك فوجب توحيده، فالحاصل أنّ ذِكره ثانيًا لغير المعنى الذي ذُكر أوّلًا فلا يكون تكريرًا للتأكيد.

قوله: **(لِما هو موجِب)** اللام في "لِما" متعلّق[7] بـ**(تقرير)** فهو مفعول به بواسطة حرف الجرّ، كما في "ضربتُ بالسّوط" و"نَجرتُ بالقَدوم"، واللام في **(لِيتّقوه)** متعلّق به أيضًا لكن بطريق العِلّيّة،[8] كما في "جئتك لتكرمني" فهو علّة التقرير، وأمّا اللام في **(لأنّ)** فيجوز أن يتعلّق بـ"يتّقوه"، والتحقيق أنّه علّة

---

[1] ر – قال.
[2] د ر – الله.
[3] ر: الطاعة.
[4] ر: والتوحيد.
[5] ر – الرسل.
[6] ن + للطاعة؛ للتوحيد.
[7] ن ر: يتعلق.
[8] ر: الغلبة.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: يُفْنِكم ويُعْدِمكم كما أوجدَكم وأنشأكم.

﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾: ويُوجِد إِنْسًا آخَرين مكانكم، أو خَلْقًا آخرين غيرَ الإنس.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ من الإعدام والإيجاد ﴿قَدِيرًا﴾: بليغَ القُدرة لا يمتنِعُ عليه شيءٌ أرادَهُ، وهذا غضبٌ عليهم وتخويفٌ وبيان لاقتداره.

وقيل: هو خطابٌ لمَن كان يُعادي رسولَ الله من العرب؛ أي: إن يشأ يُمِتْكم ويأتِ بناسٍ آخرين يُوالونه، ويُروى: أنها لمَّا نزلت ضربَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهرِ سلمان وقال: «إنهم قومُ هذا» يُريد أبناءَ فارِسَ.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمةَ ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ فما له يَطلب أحدَهما دون الآخر، والذي يطلبه أَخَسُّهما؛ لأنّ مَن جاهَدَ لله خالصًا لم تُخْطِئْهُ الغنيمةُ، وله من ثواب الآخرة ما الغنيمةُ

لجَعْل التقرير معلَّلًا[١] بالتقوى، فكأنّه قيل: إنّما كرَّر ليتّقوه لأجل أنّ التقوى والخشية أصل جميع الخيرات، فكرّر[٢] الموجِب للتقوى ليحصل التقوى الذي هو[٣] أصل الخيرات.

قوله: (خطاب لمَن) وعلى الأوّل كان خطابًا عامًّا.

قوله: (لأنّ مَن) بيان أنّ له عند الله الثوابين[٤] وهو يطلب الأخسّ.[٥]

قوله:[٦] (لم تُخطئه الغنيمة) أي: لا يتجاوزه؛ بل تحصل له الغنيمة التي هي المطلوب الأخسّ[٧] مع حصول أعظم المطلوبين لخلوص نيّته في الجهاد لله تعالى فتحصل له الغنيمة مع حصول المطلوب الكليّ وهو الثواب، ويقال لمَن طلب حاجة فلم يُنجِح: "أخطأ نوءك". والنُّجح والنجاح: الظفر بالحوائج.

---

١ ن: معدلًا.
٢ ر: فيكون.
٣ ر - هو.
٤ ن - الأوّل كان خطابًا عامًّا قوله: (لأنّ مَن) بيان أنّ له عند الله الثوابين.
٥ ن ر: الأحسن.
٦ ر + لو.
٧ ن ر: الأحسن.

إلى جَنْبِهِ كلَا شيءٍ، والمعنى: "فعند الله ثوابُ الدنيا والآخرة له إنْ أراده" حتّى يتعلّق الجزاءُ بالشرط.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٣٥﴾

﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾: مجتهِدين في إقامة العدل حتى لا تجورُوا.

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾: تقيمون شهاداتكم لوجهِ الله كما أُمرتُم بإقامتها.

﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: ولو كانت الشهادةُ على أنفسكم أو آبائكم أو أقارِبكم.

فإن قلتَ: الشهادةُ على الوالدين والأقربين أن يقول: أَشْهدُ أن لفلانٍ على والديَّ كذا، أو: على أقاربي، فما معنى الشهادةِ على نفسه؟

قلتُ: هي الإقرارُ على نفسه؛ لأنه في معنى الشهادةِ عليها بإلزام الحقِّ لها.

ويجوز أن يكون المعنى: وإن كانت الشهادة وَبالًا على أنفسكم أو على آبائكم وأقاربكم، وذلك أن يَشهد على مَن يتوقَّعُ ضررَه مِن سلطانٍ ظالمٍ أو غيرِه.

﴿إِن يَكُنْ﴾: إن يكنِ المشهودُ عليه ﴿غَنِيًّا﴾ فلا يمنعُ الشهادةَ عليه لغِنَاه طلبًا لرضاه ﴿أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا يمنعها ترحُّمًا عليه ....

ويقال: "أنجَح الرجل"، أي: صار ذا نُجح فهو منجِح، وقد أنجحتُ حاجته إذا قضيتَها.[1] والنَّوء: واحد الأنواء، وهي: منازل القمر، وتُسمّى نجوم المطر.

قوله: (**حتّى يتعلّق**) مِن حيث المعنى بقوله: (**والمعنى**) فكأنّه قال: هذا اللفظ مراد ومقدَّر ليتعلّق الجزاء بواسطته بالشرط وإلّا لم يكن بينهما ربط ولا يستقيم المعنى.

قوله: (**مجتهدين**) إشارة إلى أنّ الباء في ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ للتعدية، وإلى أنّ "القوّام" بناء مبالغة.

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «نجح».

﴿فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَا﴾: بالغنيِّ والفقير؛ أي: بالنظر لهما وإرادةِ مصلحتِهما، ولولا أن الشهادة عليهما مصلحةٌ لهما لَمَا شرَعَها؛ لأنه أَنْظرُ لعباده من كلِّ ناظرٍ.

فإن قلتَ: لمَ ثُنِّي الضميرَ في ﴿أَوۡلَىٰ بِهِمَا﴾ وكان حقَّه أن يُوحَّد؛ لأن قوله: ﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرًا﴾ في معنى: إن يكن أحدُ هذين؟

قلتُ: قد رجع الضميرُ إلى ما دلَّ عليه قوله: ﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرًا﴾ لا إلى المذكور فلذلك ثُنِّي ولم يُفرَدْ، وهو جنسُ الغنيِّ وجنسُ الفقير؛ كأنه قيل: فالله أولى بجنسي الغني والفقير؛ أي: بالأغنياء والفُقراء، وفي قراءة أبيٍّ: "فالله أولى بهم" وهي شاهدةٌ على ذلك.

وقرأ عبد الله: "إن يكن غَنِيٌّ أو فقيرٌ" على "كان" التامَّة.

﴿أَن تَعۡدِلُواْ﴾ يَحتمِل العَدْلَ والعدول؛ كأنه قيل: فلا تتَّبعوا الهوى كراهةَ أن تعدلوا بين الناس، أو إرادةَ أن تعدِلوا عن الحقِّ.

﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾: وإنْ تلووا ألسنتكم عن شهادة الحقِّ أو حكومةِ العدل، أو تُعْرِضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها.

وقرئ: ﴿وإن تَلُوا أو تُعرضوا﴾ بمعنى: ....

قوله: (﴿أَوۡلَىٰ بِهِمَا﴾) أي: الله أَولى منك.

قوله: (على ذلك) أي: على أنّ المراد جنسا الغنيّ والفقير.

قوله: (العَدْل والعدول) العَدْل: خلاف الجَور، يقال: عدلتُ عليه في القضية. والعدول: الانحراف عن الطريق.[1]

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ﴾ إشارة إلى شهادة الزور. وقوله تعالى: ﴿أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾ إشارة إلى كتمان الشهادة. فكلاهما في الإثم[2] واحد، قال[3] تعالى: ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ [البقرة ٢/٢٨٣].

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عدل».

٢ ر: اللائم.

٣ ر: قوله.

وإن وَلِيتم إقامةَ الشهادة أو أعرضتُم عن إقامتها.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وبمجازاتكم عليه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ خطابٌ للمسلمين، ومعنى ﴿ءَامِنُوا۟﴾: اثبتوا على الإيمان ودُوموا عليه وازدادوه.

﴿والكتابِ الذى أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ المراد به: جنسُ ما أُنزل على الأنبياء قبله من الكتب، والدليل عليه قولُه: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾.

وقرئ: "وكتابه" على إرادة الجنس.

وقرئ: ﴿نَزَّلَ﴾ و﴿أَنزَلَ﴾ على البناء للفاعل.

وقيل: الخطاب لأهل الكتاب؛ لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض.

وروي: أنّه لعبد الله بن سلام، وأَسَدٍ وأُسَيْدٍ ابْنَي كَعْب، وثعلبَةَ بنِ قيسٍ، وسلامِ بن أُختِ عبد الله بن سلام، وسَلَمةَ ابن أخيه، ويامينَ بن يامينَ، أَتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله، إنا نُؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعُزيرٍ، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال عليه السلام: «بل آمِنوا بالله ورسوله محمدٍ وكتابه القرآنِ وبكلِّ كتابٍ كان قبلَه» فقالوا: لا نفعلُ، فنزلت فآمَنُوا كلُّهم.

قوله: (وإن وَليتُم) أي:[1] قرّبتم إقامةَ الشهادة، أي: إن أدّيتم الشهادة[2] أو أعرضتُم عنها فإنّ الله.

قوله: (أتَوا رسول الله)[3] جملة مبيّنة لقوله: (أنّه[4] لَعبد[5] الله)... إلخ.

(النساء، ٤/١٣٦).

١ ن ر: أو.

٢ ن - أي: إن أدّيتم الشهادة.

٣ بلفظ قريب في معالم التنزيل للبغوي، ٢/٢٩٩

٤ ن: أن.

٥ ر: يعبد.

وقيل: هو للمنافقين؛ كأنه قيل: يا أيها الذين آمَنوا نِفاقًا آمِنوا إخلاصًا.

فإن قلتَ: كيف قيل لأهل الكتاب: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ وكانوا مؤمنينَ بالتوراة والإنجيل؟

قلتُ: كانوا مؤمنين بهما فحَسْبُ وما كانوا مؤمنين بكلِّ ما أُنزل من الكتب، فأُمروا أن يؤمنوا بالجنس كلِّه؛ ولأنّ إيمانهم ببعضِ الكتب لا يصحُّ إيمانًا به؛ لأن طريقَ الإيمان به هو المُعجزةُ، ولا اختصاصَ لها ببعض الكتب دون بعضٍ، فلو كان إيمانهم بما آمَنوا به لأجلِ المعجزة لآمَنوا به كلِّه، فحين آمَنوا ببعضه عُلم أنهم لم يعتبِروا المعجزةَ فلم يكن إيمانهم إيمانًا، وهذا الذي أراد عزَّ وجلَّ في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء ٤/١٥٠-١٥١].

فإن قلتَ: لم قيل: ﴿نُزِّل على رسولِهِ﴾ و﴿أُنزِل من قبلُ﴾؟

قلتُ: لأن القرآن نُزِّل مفرَّقًا مُنجَّمًا في عشرين سنةً بخلافِ الكتب قبله.

ومعنى قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ﴾ الآية: ومَن يكفر بشيءٍ من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ لأن الكفر ببعضه كفرٌ بكلِّه، ألا ترى كيف قدَّم الأمرَ بالإيمان به جميعًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ۝١٣٧﴾

﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ نَفْيٌ للغُفران والهداية -وهي اللطفُ-

---

قوله: (**قلتُ: كانوا**) أجاب بوجهين: **الأوّل** أنّهم كانوا مؤمنين بالبعض وكان المطلوب منهم الإيمان بالجميع، **الثاني** أنّهم لم يكونوا مؤمنين بشيء منها لأنّ كفرهم ببعضها يمنع صحّة / الإيمان بالبعض الآخر. فقوله: (**ولأنّ إيمانهم**)... [٣٢٠ظ]
إلخ، عطف على جملة قوله: (**كانوا مؤمنين بهما فحسب**)... إلخ، لأنّه في معنى التعليل، فكأنّه قيل في الجواب: إنّما قيل لأهل الكتاب: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ لأنّهم كانوا مِن المؤمنين بهما فحسب، ولأنّ إيمانهم.

على سبيل المبالغة التي تُعطيها اللامُ، والمرادُ بنفيهما نَفْيُ ما يقتضيهما وهو الإيمانُ الخالصُ الثابت.

والمعنى: إن الذين تكرَّر منهم الارتدادُ وعُهِد منهم ازديادُ الكفر والإصرارُ عليه يُسْتبعَدُ منهم أن يُحدِثوا ما يستحقُّون به المغفرةَ ويستوجبون اللطفَ من إيمان صحيحٍ ثابتٍ يرضاه الله؛ لأن قلوب أولئك الذين هذا دَيْدنُهم قلوبٌ قد ضَرِيَتْ بالكفر ومَرَنَتْ على الرِّدةِ، وكان الإيمان أهونَ شيء عندهم وأَدْونَه، حيث يَبدُو لهم فيه كرَّةً بعد أخرى، وليس المعنى أنَّهم لو أخلصوا الإيمانَ بعد تكرار الرِّدة ونَصَحَتْ توبتُهم لم يُقْبل منهم ولم يُغفَر لهم؛ لأن ذلك مقبول حيث هو بَذْلٌ للطاقةِ واستفراغٌ للوسع، ولكنَّه استبعادٌ له واستغرابٌ، وأنَّه أمرٌ لا يكاد يكون، وهكذا نَرى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يُرجى منه الثَّبات، والغالبُ أنه يموت على شرِّ حال وأَسمجِ صورة.

وقيل: هم اليهود؛ آمَنوا بالتوراة وبموسى، ثم كفروا بالإنجيل وبعيسى، ثم ازدادوا كفرًا بكفرهم بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم.

قوله: **(ضريَتْ)**[١] ضريَ بالشيء: لهج به. و"مَرَن بالشيء": تعوّد.

قوله:[٢] **(أهونَ شيء)** أي: أخسّ[٣] وأحقر،[٤] مِن الهُون والهَوان لا من الهَوْن.

قوله: **(يبدو لهم)** مِن قولهم: "بدا له في هذا الأمر بداءً"[٥] ممدود،[٦] أي: نشأ له رأي، وهو ذو بَدَوات.

قوله: **(استبعادٌ له)** أي: لإخلاص[٧] الإيمان. وقوله: **(وأنّه)** أي: إخلاص. وقوله: **(لا يكاد)** أي:[٨] لكن المعنى أنّ الإخلاص أمر لا يكاد.

---

١ في مطبوع **الكشّاف**: ضربت. | وأثبتُّ ما في **حاشية الجاربردي** وما راجعت من أصول **الكشّاف**، وهو الموافق لِما شرحه.

٢ ن ر - (ضريَتْ) ضريَ بالشيء: لهج به. و"مَرَن بالشيء": تعوّد قوله.

٣ ر: أحسن.

٤ ر: وأجهر شيء.

٥ ر: بدًا.

٦ ن: ممدودًا؛ ر: محدود.

٧ ن ر: إخلاص.

٨ ن - أي.

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ وُضع ﴿بَشِّرِ﴾ مكانَ: "أَخْبِرْ" تَهَكُّمًا بهم.

و﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصبٌ على الذمِّ، أو رفعٌ بمعنى: أُريدَ الذين، أو: هم الذين، وكانوا يُمايلون الكفرةَ ويوالونهم ويقول بعضهم لبعضٍ: لا يَتمُّ أمر محمد فتولَّوا اليهود.

﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يريد: لأوليائه الذين كَتب لهم العزَّةَ والغلبَةَ على اليهود وغيرهم، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون ٦٣/٨].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾

﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ هي "أنْ" المخفَّفةُ من الثقيلة، والمعنى: أنَّه إذا سمعتُم؛ أي: نُزِّل عليكم أن الشأنَ كذا، والشأنُ ما أفادَتْه الجملةُ بشرطها وجزائها، و﴿أَنْ﴾ مع ما في حيّزها في موضع الرفع بـ﴿نُزِّلَ﴾ أو في موضع النصب بـ﴿نَزَّلَ﴾ فيمَن قرأ به.

والمُنْزَل عليهم في الكتاب: هو ما نُزِّل عليهم بمكة من قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام ٦/٦٨] وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكرِ القرآن في مجالسهم فيستهزؤون به، فنُهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه، وكان أحبارُ اليهود

قوله: (أُريد الذين) فيه لفّ ونشر.

قوله: (والمعنى: أنّه) لأنّ حذف ضمير الشأن مع "أن" المخفَّفة لازمٌ.

قوله: (الجملة بشرطها) وهي ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟﴾.

بالمدينة يفعلون نحوَ فعل المشركين، فنُهوا أن يقعدوا معهم كما نُهوا عن مجالسة المشركين بمكّة، وكانَ الذينَ يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار هم المنافقون، فقيل لهم: إنكم إذًا مثلُ الأحبار في الكفر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني: القاعدين والمقعودِ معهم.

فإن قلتَ: الضمير في قوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ﴾ إلى مَن يَرجع؟

قلتُ: إلى مَن دلَّ عليه ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ كأنه قيل: فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها.

فإن قلتَ: لمَ يكونون مثلَهم بالمجالسة إليهم في وقتِ الخوض؟

قلتُ: لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضِين، والراضي بالكفر كافرٌ.

فإن قلتَ: فهلَّا كان المسلمون بمكةَ حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين؟

قلتُ: لأنهم كانوا لا ينكِرون لعجزهم، وهؤلاء لم يُنكروا مع قدرتهم، فكان تركُ الإنكار لرضاهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ﴾ إما بدلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ﴾، وإما صفةٌ للمنافقين، أو نصبٌ على الذمّ منهم.

قوله: (فنُهوا) أي: المسلمون.[1]

قوله: (لرضاهم) لا لعجزهم.[2]

قوله: (الذمّ منهم) إنّما قال منهم، أي: مِن المنافقين لأنّ المنصوب على المدح

[1] ر: المسلمين. [2] ر: يعجزهم.

﴿يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾؛ أي: ينتظِرون بكم ما يتجدَّد لكم من ظَفَرٍ أو إخفاق.

﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ مُظاهِرِينَ فأَسْهِمُوا لنا في الغنيمة.

﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾: ألم نَغْلِبْكم ونتمكَّنْ من قتلِكم وأَسْرِكم فأبقَيْنا عليكم.

﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن ثَبَّطناهم عنكم، وخيَّلنا لهم ما ضعُفت به قلوبهم ومرَّضوا في قتالكم، وتَوانَينا في مُظاهرتهم عليكم، فهاتوا نصيبًا لنا مما أَصبْتُم.

وقرئ: "ونمنعَكم" بالنصب بإضمار "أنْ"، قال الحُطَيْئَةُ:

ألَمْ أَكُ جارَكم ويكونَ بيني ... وبينكم المودَّةُ والإخاءُ

فإن قلتَ: لم سُمِّي ظَفَر المسلمين فتحًا وظَفَر الكافرين نصيبًا؟

قلتُ: تعظيمًا لشأن المسلمين وتخسيسًا لحظِّ الكافرين؛ لأن ظفَر المسلمين أمر عظيم تُفتح له أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه، وأمّا ظَفَرُ الكافرين فما هو إلّا حظٌّ دَنيٌّ ولُمْظةٌ من الدنيا يَصِيبُونها.

أو الذم لا بدّ أنّ يتعلّق بمتقدِّم وأن[1] يكون اختصاص له مِن شيء تقدَّم.

قوله: **(أو إخفاق) الإخفاق**: الخيبة وعدم الظفر.

قوله: **(ومرَّضوا)** أي: فرّطوا أو قصّروا، أي: جبُنوا.

قوله: **("وَنَمْنَعَكُمْ"[2] بالنصب)** إذا نُصب "وَنَمْنَعَكُمْ" يكون التقدير: "ألم يحصل" أو "ألم[3] يثبت استحواذكم ومنعنا إياكم"، وكذا التقدير في البيت: ألم يثبت[4] كوني جارَكم وكونُ المودة بيننا.

قوله: **(ولُمْظة) اللُّمظة**: كالنكتة مِن البياض.

قوله: **"لُمْظة"** يعني شيئًا قليلًا كاللقمة اليسيرة وكالشيء الذي يبقى مِن الطعام

---

[1] ر: أن.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني وعُبيد بن عُمير. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٦٩١.

[3] ر: لم.

[4] ر - استحواذكم ومنعنا إياكم، وكذا التقدير في البيت: ألم يثبت.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: يفعلون ما يفعلُ المخادعُ من إظهار الإيمان وإبْطانِ الكفر.

﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾: وهو فاعلٌ بهم ما يَفعل الغالبُ في الخِداع، حيث تركهم مَعْصُومي الدِّماء والأموال في الدنيا وأعَدَّ لهم الدَّرْكَ الأسفلَ من النار في الآخرة، ولم يُخْلهم في العاجل من فضيحةٍ وإحْلالِ بأسٍ ونقمةٍ ورُعْبٍ دائم.

والخادع: اسمُ فاعلٍ من خادَعْتُه فخَدَعْته: إذا غلَبْتَه وكنتَ أخدعَ منه.

وقيل: يُعْطَوْنَ على الصراط نورًا كما يُعطَى المؤمنون، فيمضُون بنورهم

في الفم، يقال: لَمَظ يلمُظ إذا تتبّع بلسانه بقيّة الطعام في فمه أو أخرج لسانه فمسح به شفتيه، واللُّماظ ما يبقى في الفم مِن الطعام.[١]

قوله: (﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾) اسم فاعل مِن خدعتُه، أي: غلبتُه في الخدع.

قوله: (فاعلٌ بهم) ما يفعل[٢] الغالب في الخداع، يعني: أنّه في المغالبة، قال المرزوقي في شرح قول الشاعر:

فما كنانةُ في خير تُخايرهُ ... وما كنانةُ في شرّ بأشرارِ[٣]

: «خايرتُه فخِرتُه خيرًا. وأنا خائره إذا كنتَ خيرًا منه».[٤]

قوله: (مِن خادعتُه)[٥] قال هو مِن "فاعلتُه[٦] ففعلتُه"،[٧] ولولا المانع الذي هو حرف الحلق لوجب ضمّ الدال في "يخدعهم"؛ لأنّ كلّ ما كان مِن باب المغالبة[٨] ضمّ العين في مضارعه إلّا إذا منع مانع. في هذه الحاشية نظرٌ؛ لأنّ مضارع هذا مضموم العين إذا كان بمعنى المغالبة.

قوله: (وقيل: يُعطَون) عطف مِن حيث المعنى على قوله:[٩] (حيث تركهم).

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «لمظ».

٢ ر: فعل.

٣ البيت لعقال بن هاشم. انظر: **شرح الحماسة** للمرزوقي، ١٤٨٠/٣.

٤ **شرح الحماسة** للمرزوقي، ١٤٨٠/٣.

٥ ن: مخادعته.

٦ ن: مفاعلته.

٧ ن: فعلته.

٨ ر: المبالغة.

٩ د ن ر: قولهم.

ثم يُطفأ نورُهم ويبقى نور المؤمنين، فيُنادُون: ﴿أَنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد ١٣/٥٧].

﴿كُسَالَىٰ﴾ قرئ بضمِّ الكاف وفتحِها جمعُ كَسْلان؛ كسكارى في سكران.

أي: يقومون متثاقِلينَ متقاعِسينَ كما ترى مَن يفعل شيئًا على كُرهٍ لا عن طِيبةِ نفسٍ ورغبة.

﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾: يقصدون بصلاتهم الرِّيَاءَ والسُّمعَةَ.

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: ولا يصلُّون إلَّا قليلًا؛ لأنهم لا يصلُّون قطُّ غائبينَ عن عيون الناس إلّا ما يُجاهِرون به، وما يُجاهِرون به قليلٌ أيضًا؛ لأنهم ما وَجَدُوا مَنْدوحة مِن تكلُّفِ ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه.

أو: ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلَّا ذكرًا قليلًا في النَّدرة، وهكذا ترى كثيرًا من المتظاهرين بالإسلام لو صحِبْتَه الأيامَ والليالِيَ لم تسمع منه تَهْليلةً ولا تسبيحةً ولا تحميدةً، ....

قوله: (**متقاعسين**) متأخِّرين.

قوله: (**والسُّمعة**) الصِّيت.[١]

قوله: (**قطُّ**) بمعنى البتّة، وأمّا بالتخفيف فبمعنى "لا غيرُ". عن[٢] المُطرِّزي.[٣]

قوله: (**إلّا ما**) استثناء منقطع.

قوله: (**ما وجدوا**)[٤] ما مصدريّة، أي: ما دام. وقوله: (**مَندوحةً**) أي: سَعة.

[٣٢١و] قوله: (**مِن المتظاهرين بالإسلام**) أي: يُظهِرون الإسلام وليسوا / مسلمين، فـ"تظاهَر" هنا مثل "تغافَل" و"تجاهَل" في أنّه يُظهر شيئًا ليس عليه، والباء[٥] للتعدية، أو "تظاهَر" بمعنى "ظَهَر" نحو "توانيتُ" بمعنى "وَنَيت"، والباء للتعدية أيضًا.

---

[١] ن ر: والصيت.

[٢] ن ر: مِن.

[٣] ما وقفت عليه فيما بين يديَّ من كتبه.

[٤] ر: أوجدوا.

[٥] ر: والبناء.

ولكنْ حديثُ الدنيا يستغرق به أوقاتَه لا يَفْتُرُ عنه.

ويجوز أن يراد بالقلَّة العدم.

فإن قلتَ: ما معنى المُراءاة وهي مفاعَلَةٌ من الرُّؤْية؟

قلتُ: فيها وجهان:

أحدهما: أن المُرَائيَ يُريهم عَمَلَه وهم يَرُونَه استحسانَه.

والثاني: أن يكون من المفاعَلةِ بمعنى التفعيل، فيقال: راءى الناس، بمعنى: رَأَّاهم، كقولك: نَعَّمه وناعَمَه، وفَنَّقه وفَانقه، وعَيْشٌ مُفَانِقٌ.

رَوى أبو زيد: رَأَّت المرأةُ المِرْآةَ الرجلَ: إذا أمسَكتْها ليَرى وجهه، ويدلُّ عليه

قوله: (حديثُ الدنيا) أي: تسمع حديثَ. ويجوز "حديثُ"[١] بالرفع، أي: دأبُه حديثٌ.

قوله: (نعّمه) مِن "النَّعمة" بالفتح وهو التنعيم، يقال: نعّمه وناعمه فتنعَّم.[٢] وقوله: (وفنّقه)[٣] تفنَّق[٤] الرجل، أي: تنعّم، وفنّقه[٥] غيرُه تفنيقًا[٦] وفانقه بمعنى، أي: نعّمه. وقوله: (مفانَق) أي: ذو نعمة.

قوله: (رأَّت المرأةُ المرآةَ) في بعض النُّسخ: "المِرآة" موضع "المرأة"، و"ليُرى" مكان (لترى)، ويدلّ على صحّته ما ذَكَر في الصحاح أنّه «قال أبو زيد: رأَّيتُ الرجلَ ترئيةً[٧] إذا أمسكتَ له المرآة لينظر فيها»،[٨] ووجهُ ذلك أنّ المرأة إذا أمسكت المرآة، أي: السجَنجَل ليرى الرجل فيها وجهه كأنّها بصرّته[٩] السجَنجَلَ، وإن كان الغرض من إمساكها أن يرى الرجل فيها نفسه، فيصحّ أن يقال: "رآه السجَنجَل"،[١٠] وإن كان الغرض رؤية نفسه بواسطة السجَنجَل، لكن ما في المتن

---

١ ن ر – ويجوز "حديثُ".

٢ ن – فتنعّم.

٣ ر: وفتقه.

٤ ر: يفتق.

٥ ر: وفتقه.

٦ ر: تفتيقًا.

٧ ر: تريد.

٨ الصحاح للجوهري، «رأى».

٩ ن: بصر.

١٠ ن ر: السجنجلة.

قراءةُ ابن أبي إسحاق: "يُرَؤُّونهم" بهمزة مشدَّدة، مثل: "يُرَعُّونهم"؛ أي: يبصِّرونهم أعمالَهم ويُرَاؤُونهم كذلك.

﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ١٤٣﴾

﴿مُذَبْذَبِينَ﴾ إمَّا حالٌ -نحوَ قوله: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ﴾- عن واوِ ﴿يُرَآءُونَ﴾؛ أي: يراؤونهم غيرَ ذاكرين مذبذَبِين، أو منصوبٌ على الذمّ.

ومعنى ﴿مُذَبْذَبِينَ﴾: ذَبْذَبَهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر، فهم متردِّدون بينهما متحيِّرون.

وحقيقة المُذَبذَب: الذي يُذَبُّ عن كِلَا الجانبين؛ أي: يُذَادُ ويُدفَعُ فلا يَقرُّ في جانبٍ واحد؛ كما قيل: ....

هو الوجه، وأمّا في **الصحاح** فليس في مثاله ذِكر المرأة فمعناه "رأيتُ الرجل نفسَه"، وإنّما ذَكَر المرآة في التفسير.

قوله:[١] **(يُرَءُّونهم)** أي: "يُرَءُّونَ النَّاسَ"،[٢] فأضمر الشيخُ بدل الظاهر. وقوله: **(يُرَعُّونهم)** هو مِن باب التفعيل مِن الرعي، وغرض المصنّف مِن إيراده ذِكرُ لفظ يُتبيّن به كيفيّة التلفّظ بقوله: "يُرَءُّونهم" لا مراعاة المعنى.

وقوله: **(أي: يبصِّرونهم)** مرتبط بقوله: **(والثاني:[٣] أن يكون)** أي: يكون[٤] مِن المفاعلة بمعنى التفعيل ويكون المعنى "يبصِّرونهم أعمالَهم"، فعلى هذا يكون المفعول الثاني مِن "يُرَءُّون الناسَ" محذوفًا. والأَولى أن يقال: قوله: **"أي:[٥] يبصِّرونهم أعمالهم"** تفسير[٦] لقراءة ابن أبي إسحاق، ثمّ قال: **(ويراءونهم كذلك)** أي: هو أيضًا بمعنى يبصِّرونهم أعمالَهم.

قوله: **(إمّا حال)** أي: يجوز أن يكون ﴿مُذَبْذَبِينَ﴾ حالًا[٧] عن واو ﴿يُرَآءُونَ﴾.

---

١ ن + قوله.
٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي إسحاق. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٣٦.
٣ ر + الثاني.
٤ ن - أي: يكون.
٥ ر: أو.
٦ ر: تفسيرًا.
٧ ر: حال.

فلانٌ يُرْمى به الرَّجَوانِ، إلّا أن الذَّبذَبة فيها تكريرٌ ليس في الذبِّ، كأنَّ المعنى: كلَّما مال إلى جانبٍ ذُبَّ عنه.

وقرأ ابنُ عباس: "مذبذِبين" بكسر الذال، بمعنى: يُذَبذِبون قلوبَهم أو دينَهم أو رَأيَهم، أو بمعنى: يتذبذبون، كما جاء: صَلْصَلَ وتَصَلْصَلَ بمعنًى.

وفي مصحف عبد الله: "متذَبْذِبينَ".

وعن أبي جعفرٍ: "مُدَبْدَبين" بالدال غيرِ المعجمة، وكأن المعنى: أُخذ بهم تارةً في دُبَّةٍ وتارةً في دُبَّةٍ، فليسوا بماضينَ على دُبَّة واحدة، والدُبَّةُ: الطريقَةُ، ومنها: "دُبَّةُ قريش".

و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الكفر والإيمان.

﴿لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين.

قوله: (**يُرمى به**) بضمّ الياء وفتح الميم أصحّ، و(**الرَّجوان**) «حافتا البئر، فإذا قالوا: "رُمي به الرجوان" أرادوا به أنّه طُرح في المهالك».[١] والرَّجَوان:[٢] الجانبان، يقال: دخل فلان في مجلس فلان فرُمي به الرَّجَوان استهزاء به، وأصله الدلو في هواء البئر يضطرب.

قوله: (**صلصلَ**) «صلصلة اللِّجام:[٣] صوته إذا ضُوعف.[٤] وتَصلصل الحُليّ، أي: صوَّت».[٥]

قوله: (**أُخِذ بهم**) يقال: أخذه وأخذ به.

قوله: (**في دُبَّة**)[٦] جاء في الحديث: «اتّبعوا دُبَّة قريش»[٧] أي: طريقهم[٨] التي يدبّون فيها.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «رجا».

٢ ر: الرجوان.

٣ ن ر: الجام.

٤ ن – ضوعف.

٥ **الصحاح** للجوهري، «صلل».

٦ د: دُبّهِ.

٧ **الغريبين** للهروي، ٦١٤/٢؛ **النهاية** لابن الأثير، ٩٦/٢؛ **فتوح الغيب** للطِّيبي، ٢٠٢/٥ (النساء، ١٤٥/٤).

٨ ر: طريقتهم.

﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: ولا منسوبين إلى هؤلاءِ فيُسمَّوا مشركين.

﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾: لا تتشبَّهوا بالمنافقين في اتِّخاذهم اليهودَ وغيرَهم من أعداء الإسلام أولياء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾

﴿سُلۡطَٰنٗا﴾: حجةً بيِّنةً، يعني: أن موالاةَ الكافرين حجةٌ بيِّنةٌ على النفاق، وعن صَعْصَعَة بن صُوحان أنه قال لابنِ أخٍ له: خالِصِ المؤمنَ وخالِقِ الكافرَ والفاجر، فإن الفاجر يرضَى منك بالخُلق الحسن، وإنه يَحِقُّ عليك أن تُخالِصَ المؤمن.

﴿الدَّرْك الأسفلِ﴾: الطَّبَق الذي في قعرِ جهنم، والنارُ سبعُ دركات سُمِّيت بذلك؛ لأنها متدارِكةٌ متتابِعةٌ بعضُها فوق بعضٍ، وقرئ بسكون الراء، والوَجْهُ التحريك لقولهم: أَدْرَاكُ جهنم.

فإن قلتَ: لِمَ كان المنافقُ أشدَّ عذابًا من الكافر؟

قلتُ: لأنه مثلُه في الكفر، وضمَّ إلى كُفره الاستهزاءَ بالإسلام وأهلِه ومداجاتَهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦﴾

قوله:[١] (صعصعة) هو صاحب عليّ رضي الله عنه.[٢]

قوله: (أدراكُ) لأنّ "أفعال" جمع "فَعَل" قياسًا، وأمّا جمع "فَعْل" فشاذّ.

قوله: (ومداجاتَهم) المداجاة: المداراة، يقال: داجيتُه كأنّك ساترته العداوة. ذَكَر أبو عمرو: المداجاة: المنع بين الشدّة والإرخاء.[٣]

[١] ر - قوله.
[٢] د - رضي الله عنه.
[٣] انظر: الصحاح للجوهري، «دجا».

﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ ما أفسَدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النِّفاق.

﴿وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾: ووَثِقوا به كما يثق المؤمنونَ الخُلَّص.

﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ لا يبتغون بطاعتهم إلّا وجهَه.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فهم أصحاب المؤمنين ورُفقاؤهم في الدارين.

﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ فيشاركونهم فيه ويُساهِمُونهم.

فإن قلتَ: مَن المنافق؟

قلتُ: هو في الشريعة مَن أظهَر الإيمان وأبطنَ الكفر، وأمَّا تسميةُ مَن ارتكب ما يُفسَّقُ به: بالمنافق فللتغليظ؛ كقوله: «مَن تَرَك الصلاةَ متعمِّدًا فقد كَفَر»، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه فهو منافق وإن صام وَصَلَّى وزعم أنه مسلمٌ: مَن إذا حَدَّثَ كذب، وإذا وَعَد أَخْلَف، وإذا ائتُمِنَ خان».

وقيل لحذيْفةَ رضي الله عنه: مَن المنافقُ؟ فقال: الذي يَصِفُ الإسلام ولا يَعْملُ به.

وقيل لابن عمر: نَدْخُل على السلطان ونتكلَّمُ بكلامٍ، فإذا خرجنا تكلَّمنا بخلافه؟ فقال: كنَّا نَعُدُّه من النفاق.

وعن الحسن: أَتى على النفاق زمانٌ وهو مقروعٌ فيه، فأصبح قد عُمِّمَ وقُلِّد وأُعطي سَيْفًا. يعني: الحجاجَ.

﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧﴾

﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ﴾ أَيتَشفَّى به من الغيظ، أم يُدرك به الثأرَ، أم يَستجلِبُ به

قوله: («ثلاثٌ») مبتدأ. وقوله: («مَن كُنَّ»)... إلخ، صفته. وقوله:[1] («مَن»)... إلخ،[2] خبره والمضاف محذوف، أي: خِصال مَن إذا حدَّث.

---

[1] ر: وقولك.

[2] بلفظ قريب في صحيح البخاري، ١٦/١ (٣٣)؛ وصحيح مسلم، ٧٨/١ (٥٨).

نفعًا أو يستدفِعُ به ضَرَرًا كما يفعل الملوك بعذابهم؟ وهو الغنيُّ الذي لا يجوزُ عليه شيءٌ من ذلك، وإنما هو أَمْرٌ أوجبَتْه الحكمةُ أن يعاقِب المُسِيء فإنْ قُمْتُم بشكرِ نعمته وآمنتُم به فقد أبعَدْتُم عن أنفسكم استحقاق العذاب.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾: مثيبًا مُوَفِّيًا أجوركم ﴿عَلِيمًا﴾ بحقِّ شُكركم وإيمانكم.

فإن قلتَ: لم قدِّم الشكر على الإيمان؟

قلتُ: لأن العاقلَ ينظر إلى ما هو عليه من النِّعمة العظيمة في خَلْقه وتعريضِه للمنافع فيشكرُ شكرًا مبهَمًا، فإذا انتهى به النظرُ إلى معرفةِ المنعِم آمَنَ به ثم شكر شكرًا مفصَّلًا فكان الشكرُ متقدِّمًا على الإيمان وكأنه أصلُ التكليف ومدارُه.

﴿لَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾: إلَّا جهرَ مَن ظُلم، استثنَى من الجَهر الذي لا يحبُّه الله جهرَ المظلوم، وهو أن يدعوَ على الظالم ويذكُرَه بما فيه من السوء.

وقيل: هو أن يُبدأ بالشتيمة فيَردَّ على الشاتم ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ [الشورى ٤٢/٤١].

وقيل: ضافَ رجل قومًا فلم يُطعموه، فأصبح شاكيًا فعُوتب على الشكاية، فنزلت.

وقرئ: "إلَّا مَن ظَلَم" على البناء للفاعل للانقطاع؛ أي: ولكنَّ الظالمَ راكبٌ

قوله: **(أن يُعاقِب)** هذا بدل / مِن **(هو)**. وقوله: **(وتعريضه)** مِن قولهم عرَّضت فلانًا لكذا، أي: نصبته له، فإنَّ الله تعالى بخَلْق[1] العباد عرَّضهم للمنافع. [٣٢١ظ]

قوله: (﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى ٤٢/٤١] استشهاد. وقوله: **(وقيل)** سببُ[2] النزول.

قوله: (**"مَن ظَلَم"**)[3] شاذٌ.

---

[1] ر: خلق.

[2] ر: يثبت.

[3] قراءة شاذَّة، مرويَّة عن زيد بن أسلم وسعيد بن جُبير والضحَّاك والحسن والزعفراني وابن حنبل، والشيزري عن أبي جعفر، والأصمعي عن نافع، والشافعي عن ابن كثير. **المغني في القراءات** للنُّوزاوازي، ص ٦٩٤.

ما لا يحبُّه الله فيَجْهَرُ بالسوء، ويجوز أن يكون "مَن ظلَم" مرفوعًا؛ كأنّه قيل: "لا يحبُّ الله الجهر بالسوء إلّا الظالمُ" على لغةِ مَن يقول: "ما جاءني زيدٌ إلّا عمرٌو" بمعنى: "ما جاءني إلا عمرٌو"، ومنه: ﴿لَا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل ٢٧/٦٥].

﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾

ثم حَثَّ على العفو وأن لا يجهرَ أحدٌ لأحدٍ بسوءٍ -وإن كان على وجه الانتصار- بعد ما أَطلق الجهر به وجعَله محبوبًا؛ حثًّا على الأحبِّ إليه والأفضلِ عنده والأدخلِ في الكرم والتخشُّع والعبوديَّة، وذكر إبداء الخير وإخفاءَه

قوله: (ما جاءني زيد إلّا عمرٌو) نُقل عن سيبويه أنّه قال: أصل قولك: "ما جاءني زيد إلّا عمرو": "ما جاءني إلّا عمروٌ"، فهو استثناء مفرَّغ يلزم منه نفي المجيء عن كلّ مَن عدا عمرًا، ثمّ أدخل عليه لفظة[1] "زيد" تأكيدًا لنفي المجيء عن زيد.[2] وقوله: (ومنه) أي: مِن جهة أنّ الله تعالى غير داخل في ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النمل ٢٧/٦٥].

قوله:[3] (﴿لَا يَعۡلَمُ مَن﴾) فالأصل "لا يعلم الغيب إلّا الله"، ثم أدخل لفظة ﴿مَن﴾ تأكيدًا لنفي عِلم[4] الغيب عنهم.

قوله: (أطلق) المراد بالإطلاق رفعُ القيد،[5] فإنّ الممنوع شرعًا كالمقيّد، فإذا أُبيح وجوِّز رُفع القيد عنه وأُطلق. وقوله: (بعد) ظرف لقوله: (حثّ) أي: حثّ على تَرْك الجهر[6] بالسوء بعدما[7] جوَّز الجهر بالسوء في قوله: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾، ثم ذكر العفو بقوله تعالى: ﴿أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ﴾ بعدما جُعل قوله تعالى:[8] ﴿إِن تُبۡدُواْ﴾.

---

١ ن: لفظ.

٢ انظر: كتاب سيبويه، ٢/٣١١.

٣ ن ر – ومنه، أي: مِن جهة أنّ الله تعالى غير داخل في ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

٤ ن ر: على.

٥ ر: التقييد.

٦ د: الدهر.

٧ ر: وبعدما.

٨ د + قل؛ ر: قبل.

تشبيبًا للعفو، ثم عطفه عليهما اعتدادًا به وتنبيهًا على منزلته، وأنَّ له مكانًا في باب الخير وسيطًا.

والدليل على أن العفو هو الغرضُ المقصودُ بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾؛ أي: يعفو عن الجانِينَ مع قدرته على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا بسنَّةَ الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾

جَعَل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله، أو آمَنوا بالله وببعضِ رسله

قوله: (تشبيبًا) التشبيب في اصطلاح علماء الفرائض ذِكرُ البنات على اختلاف الدرجات: إمّا مِن تشبيب القصيدة[1] وهو تحسينها وتزيينها بذِكر النساء، أو مِن شبِّ النار لأنَّ فيه تذكيةً[2] للخواطر، أو مِن شباب الفرس لأنّه خروج وارتفاع مِن درجة إلى درجة كحال الفرس في نزوانه.

قوله: (وسيطًا) فلان وسيط في قومه إذا كان أوسطهم نسبًا وأرفعهم محلًّا. وقوله:[3] (اعتدادًا به) وذلك لأنَّ ذِكرَ[4] الشيء لا ابتداءً بل بعدما جُعل الأشياء ذريعة إلى ذِكره دليلٌ على الاعتداد به وارتفاع منزلته، وعلى أنّه أقوى مرتبةً مِن الأمور التي جُعلت وسيلة إلى ذِكره.

قوله: (جَعَل الذين) أي: الله تعالى.

قوله: (أو آمنوا بالله وببعض رسله) فلذلك قال الله[5] تعالى أوّلًا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾، ثمّ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾... إلخ.

---

[1] ن – على اختلاف الدرجات أمّا من تشبيب القصيدة.
[2] ر: تزكية.
[3] ر: قوله.
[4] ن – أوسطهم نسبًا وأرفعهم محلًّا وقوله: اعتدادًا به وذلك لأنّ ذكر.
[5] د – الله.

وكفروا ببعضٍ- كافرين بالله ورسله جميعًا؛ لِمَا ذكرنا من العلّة.

ومعنى **اتِّخاذِهم بين ذلك سبيلًا: أن يتَّخذوا دِينًا وَسطًا بين الإيمان والكفر؛** كقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء ١٧/١١٠]؛ **أي: طريقًا وسطًا في القراءة، وهو ما بين الجهر والمخافَتة، وقد أخطؤوا فإنه لا واسطةَ بين الكفر والإيمان، ولذلك قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾؛ أي: هم الكاملون في الكفر، و﴿حَقًّا﴾ تأكيد لمضمون الجملة؛ كقولك: "هو عبد الله حقًّا"؛ أي: حَقَّ ذلك حقًّا، وهو كونُهم كاملين في الكفر، أو هو صفةٌ لمصدر "الكافرين"؛ أي: هم الذين كفروا كُفرًا حقًّا ثابتًا يقينًا لا شك فيه.**

فإن قلتَ: كيف جاز دخول ﴿بَيْنَ﴾ على ﴿أَحَدٍ﴾ وهو يقتضي شيئين فصاعدًا؟

قلتُ: إن "أحدًا" عامٌّ في الواحد المذكَّر والمؤنَّث وتثنيتِهما وجمعِهما، تقول: "ما رأيت أحدًا" فتقصد العمومَ، ألا تراك تقول: "إلَّا بني فلانٍ" و"إلَّا بنات فلان"، فالمعنى: ولم يفرِّقوا بين اثنين منهم أو بين جماعةٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب ٣٣/٣٢] ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [النساء ٤/١٥٢] معناه: أن إيتاءها كائن لا محالة وإن تأخَّر، فالغرضُ به توكيدُ الوَعْد وتثبيتُه، لا كونُه متأخرًا.

قوله: (**بين الإيمان**) أي: بين الإيمان بالجميع والكفر بالجميع.

قوله: (**لا واسطةَ**) أي: لا واسطةَ بين الكفر بالجميع والإيمان بالجميع،[١] لأنّ الكفر بالبعض مستلزم للكفر بالكلّ.[٢]

قوله: (**قوله: ﴿كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب ٣٣/٣٢]**)، يعني: جماعة مِن النساء، أي: كجماعة مِن جماعة النساء.

قوله: (**فالمعنى**) أي: فمعنى الآية.

قوله: (**﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾**) قال رحمه الله: يفعل الذي هو للاستقبال[٣] موضوع

---

١ ن ر - والكفر بالجميع قوله: لا واسطة، أي: لا واسطة بين الكفر بالجميع والإيمان بالجميع.
٢ ن ر - بالكل.
٣ ن ر: الاستقبال.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾

روي: أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازورا وغيرَهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنْ كنت نبيًّا صادقًا فأْتِنا بكتابٍ من السماء جملةً كما أَتى به موسى، فنزلت.

وقيل: كتابًا إلى فلان وكتابًا إلى فلان بأنّك رسول الله.

وقيل: كتابًا نُعاينه حين يَنْزِلُ.

وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنُّت، قال الحسن: ولو سألوه لكي يتبيَّنوا الحقَّ لأَعطاهم، وفيما آتاهم كِفايةٌ.

لمعنى الاستقبال بصيغته، فإذا دخل عليه "سوف" أكّد ما هو موضوع له مِن إثبات الفعل في المستقبل لا[١] أن يُعطي ما ليس فيه مِن أصله فهو في مقابلة "لن"، ومنزلته مِن "يفعل" منزلة "لن" مِن "لا يفعل"[٢] لنفي المستقبل، فإذا وُضع "لن" موضع "لا" أكِّد المعنى الثابت وهو نفي المستقبل، فإذن كلّ واحد مِن "سوف"[٣] و"لن"[٤] حقيقته التوكيد، ولهذا قال سيبويه: "لن / يفعل" نفي "سوف يفعل".[٥] [٣٢٢و]

قوله: (وقيل: كتابًا) أراد وقيل: المعنى تُنَزِّل كتابًا إلى فلان وكتابًا إلى فلان.

قوله: (قال الحسن) أي: البصري. قيل: إذا أطلق المصنِّف "الحسن" فالمراد الحسن البصري.

قوله: (وفيما)[٦] الواو للعطف أو الاستئناف لتكون الجملة مستأنفة، ويجوز أن يكون للحال على معنى أنّه لأعطاهم[٧] مع أنّ الحال أنّ فيما آتاهم كفاية،

---

١ ر: إلا.
٢ ر + لأنّ لا يفعل.
٣ ر: لن.
٤ ر: وسوف.
٥ انظر: كتاب سيبويه، ١١٧/٣.
٦ ن - وفيما.
٧ ن: لإعطائهم.

﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ﴾ جوابٌ لشرط مقدَّر، معناه: إن استكبَرْتَ ما سألوه منك فقد سألوا موسى ﴿أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ وإنما أُسند السؤالُ إليهم وإن وُجد من آبائهم في أيّام موسى -وهم النُّقَباءُ السبعون-؛ لأنهم كانوا على مذهبهم وراضينَ بسؤالهم، ومضاهِينَ لهم في التعنُّت.

﴿جَهْرَةً﴾: عِيانًا، بمعنى: أَرِنا نَرَهُ جهرةً.

يعني: مع أنّه لا حاجةَ إلى ما اقترحوا لقيام المعجز وظهور الأمر، لكنّه كان يعطيهم لزيادة البيان.

قوله: (﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟﴾) والتقدير: إن استكبرتَ[١] ما سألوه منك فاستكبِرْ ما سألوه مِن موسى وهو أكبر ممّا سألوه منك.[٢] وتَرَك المصنّف هذا البيان لأنّ الغرض الإشارة إلى الشرط المقدَّر،[٣] وأمّا بيان أنّ المعنى يئول إلى هذا الذي ذكرناه فكان ظاهرًا فلذلك تَرَكه.

قوله: (﴿جَهْرَةً﴾) أي: عِيانًا، وهي مصدر مِن قولك: "جَهَر بالقراءة وبالدعاء".

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ إمّا بدل مِن قوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟﴾، والتقدير: فأراد سؤال موسى فقالوا، فالفاء في "أخذتهم" للسببية، و"ثمّ" في ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟﴾ لتراخي الرتبة؛ لأنّ اتّخاذ العجل كان مقدّمًا على سؤال الرؤية،[٤] كأنّ الذي يرى بالعين جاهِرٌ[٥] بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافِتٌ بها. وانتصابها على المصدر لأنّها نوع مِن الرؤية، أو على الحال بمعنى ذوي جَهرة.

قوله: (نرَه جهرةً) وإنّما قدّر "نره"، لأنّ المراد أن يكون رؤيتهم جهرةً لا إرآته[٦] الله تعالى[٧] جهرةً.

---

١ ر: استكثرت.

٢ ر - فاستكبِرْ ما سألوه مِن موسى وهو أكبر ممّا سألوه منك.

٣ ن: المقدّم.

٤ د - قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ إمّا بدل مِن قوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟﴾، والتقدير: فأراد سؤال موسى فقالوا، فالفاء في "أخذتهم" للسببية، و"ثمّ" في ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟﴾ لتراخي الرتبة؛ لأنّ اتّخاذ العجل كان مقدّمًا على سؤال الرؤية.

٥ ر: جاهرًا.

٦ ن: إرادته.

٧ ر - تعالى.

﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ بسبب سؤالهم الرُّؤيةَ، ولو طلبوا أمرًا جائزًا لَمَا سُمُّوا ظالمين ولما أخذتْهم الصاعقةُ؛ كما سأل إبراهيم عليه السلام أن يُرِيَهُ إِحْياءَ المَوْتى فلم يُسمِّه ظالمًا ولا رَماه بالصاعقة، فتبًّا للمشَبِّهة ورميًا بالصواعق.

قوله: (سُمُّوا ظالمين) وإنّما سُمُّوا ظالمين عند أهل السنّة لأنّهم[1] كانوا كافرين عند سؤال الرؤية لقوله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة ٥٥/٢]، والكفّار محجوبون عن الرؤية لقوله تعالى:[2] ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين ١٥/٨٣]، ولا يلزم مِن هذا استحالة[3] الرؤية للمؤمنين، أو نقول: إنّما سمُّوا ظالمين لأنّهم سألوا ذلك عِنادًا كما أشار إلى مِثله الحسن، ولا نسلِّم أنّ السائلين للرؤية كانوا كافرين فإنّ النقباء سألوا هذا[4] والنقباء ما كانوا كافرين.

قوله: (للمشبِّهة) بيان للمدعوّ عليهم بالتباب،[5] فكأنّه[6] قال:[7] فتبّوا[8] تبًّا،[9] ثمّ قال هذا الكلام للمشبِّهة.

قوله: (ورميًا بالصواعق) تقديره "ورميًا بالصواعق[10] لهم"، أي: للمشبِّهة، لكنّه[11] حذف لتقدُّم ما يدلّ عليه، فالمصنّف[12] إن أراد بالمشبِّهة ههنا الطائفة التي شبّهوه تعالى بخلقه بأن قالوا: "هو تعالى شأنه جسم مستقرّ على العرش مثل استقرار أحدنا على مكانه"، فالحقّ بيده[13] في هذا السبّ واللعن، فإنّ المشبِّهة حقيق بذلك، وإن أراد في هذا الكلام الطعن في أهل السنة والجماعة ورميَهم لظنّه أنّ الرؤية مؤدِّية إلى التشبيه فهو حقيق بما تكلّم به جدير به وبأمثاله،[14] فإنّ هذا الظنّ باطل فتبًّا له ورميًا لظنّه.

---

[1] ر - لأنّهم.
[2] د - ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، والكفّار محجوبون عن الرؤية لقوله تعالى.
[3] ر: الاستحالة.
[4] ر: ذلك.
[5] ر: بالثبات.
[6] ر: فكأنّهم.
[7] ن ر: قالوا.
[8] ر: فتنوا.
[9] ر: بنا.
[10] ر - تقديره "ورميًا بالصواعق.
[11] ر - لكنه.
[12] ن: المصنّف.
[13] السياق: فالمصنّف إن أراد... بالحقّ بيده.
[14] ر: بأمثاله.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: تسلُّطًا واستيلاءً ظاهرًا عليهم حين أمرَهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يُتابَ عليهم، فأطاعوه واحْتَبَوْا بأفنِيَتِهم والسيوفُ تتساقط عليهم، فيا لك من سلطانٍ مبين!

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ١٥٤﴾

﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾: بسبب ميثاقهم؛ ليخافوا فلا ينقضوه.

﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ والطورُ مَطِلٌّ عليهم: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ ولا تعدُوا في السبت، وقد أُخذ منهم الميثاقُ على ذلك، وقولُهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، ومعاهدتُهم على أن يَتمُّوا عليه، ثمّ نقضوه من بعدُ.

قوله: (فيا لَك) المنادى محذوف، و(مِن) لبيان المنادى المحذوف، و"لك"[١] أيضًا خطاب لـ"السلطان" مبالغةً.

قوله:[٢] (والطورُ) حال. وقوله: (مُطِلّ) أي: مشرِف بطلّله وهو الشخص.

قوله: (وقد أُخِذ منهم) إشارة إلى أنّ قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا﴾ حال، و"قد" محذوفة، وكذا صلة ﴿مِيثَٰقًا﴾ محذوفة، أي: على ما مرّ مِن ﴿ٱدْخُلُواْ﴾ و﴿لَا تَعْدُواْ﴾، وعلى قولهم: ﴿سَمِعْنَا﴾، وعلى (مُعاهدتهم).

قوله: (يتمُّوا عليه) أي: على قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾. وقوله: "يَتمّوا عليه" هو بفتح الياء، قال في المُغرِب: «تمّ على أمره: أمضاه وأتمّه. وتمّ على الإباء، أي: مضى على الإنكار».[٣]

[٣٢٢ظ] قوله: (ثمّ نقضوه) أشار المصنّف بقوله: "ثمّ نقضوه" إلى / أنّ قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ مسبَّب عن محذوف وهو "ثمّ نقضوه"، فكأنّه قيل: رفعنا فوقهم الطور[٤] وقلنا حالَ أَخْذ الميثاق فنقضوا بعد ذلك: فبما نقضهم.

---

١ ن ر: لكن.
٢ ن – قوله.
٣ المغرب للمطرّزي، «تمم».
٤ ن ر + قلنا.

وقرئ: "لا تعتدوا"، و: "لا تعَدُّوا" بإدغام التاء في الدال.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾: فبنقضِهم، و"ما" مزيدةٌ للتوكيد.

فإن قلتَ: بمَ تعلَّقت الباء، وما معنى التوكيد؟

قلتُ: إمَّا أن يتعلَّق بمحذوفٍ؛ كأنه قيل: "فبما نقضِهم ميثاقَهم فعَلْنا بهم ما فعَلْنا"، وإما أن يتعلَّق بقوله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ على أنّ قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ بدلٌ من قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾.

وأمَّا التوكيد فمعناه: تحقيقُ أنّ العقاب أو تحريمَ الطيِّبات لم يكن إلّا بنقض العهد وما عُطف عليه من الكفر وقتْلِ الأنبياء وغير ذلك.

فإن قلتَ: هلَّا زعمتَ أن المحذوف الذي تعلَّقَتْ به الباءُ ما دلَّ عليه قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا﴾ فيكون التقدير: فبما نقضِهم ميثاقَهم طبَع الله على قلوبهم بل طبعَ الله عليها بكفرهم.

قلتُ: لمْ يصحَّ هذا التقدير؛ لأن قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ ردٌّ وإنكارٌ لقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ ....

قوله: **(أنّ قوله)** بعد ذلك.

قوله: **(تحقيقُ أنّ العقاب)** على الوجه الأوّل. وقوله:[١] **(أو تحريمَ)** على الوجه **الثاني**.

قوله: **(ردٌّ وإنكارٌ)** أي: لو قُدِّر ذلك لم[٢] يصحَّ الردّ لأنّه حينئذٍ يكون متعلقًا بقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ فلا يكون ردًّا لهذا، إذ يصير المعنى حينئذٍ "بنقضهم[٣] وقتلهم

---

[١] ن ر – (أنّ قوله) بعد ذلك. قوله: (تحقيق أنّ العقاب) على الوجه الأوّل. وقوله.

[٢] ر – لم.

[٣] ر: ببغضهم.

فكان متعلِّقًا به، وذلك أنّهم أرادوا بقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: إن الله خلق قلوبنا غلفًا؛ أي: في أكنَّةٍ لا يتوصَّل إليها شيء من الذكر والموعظة؛ كما حكى الله عن المشركين: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف ٢٠/٤٣] وكمذهبِ المجبِرةِ أخزاهم الله، فقيل لهم: ....

وكفرهم طَبَع"؛ بل لكفرهم طَبَع، فلا يكون ردًّا[١] لقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لكنّ المعنى عليه، وهذا مراد المصنِّف، لا ما كتب مِن الجانب الآخر.

قوله: (فكان متعلِّقًا به) فيكون مِن صلة وتتمّة قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ المعطوف على المجرور، فلا يعمل هو في جارّه ولا ما دلّ هو عليه، لأنّه حينئذٍ يكون من قبيل الإضمار على شريطة التفسير، وشرطُه جواز العمل فيه لو سُلّط عليه، وهذا مع تخلُّل العاطف بينهما فيه مانع آخرُ وهو أنّ ما كان مِن[٢] متعلّقات المجرور وتوابعه مِن حيث المعنى لا يعمل في الجارّ. ويريد المصنّف بهذا الكلام تقرير مذهبه، وهو أنّ المعنى ما خلق قلوبهم غلفًا غير قابلة؛ بل خذلها، وأمّا عند أهل السنّة فلا حاجةَ إلى هذا التكلُّف[٣] إذ التقدير "فبما نقضهم طَبَع بل لكفرهم طَبَع"[٤] ليكون إشارة إلى أنّ الكفر وحدَه كافٍ في سبب الطبع وإن لم يكن معه نقض ولا قتل.[٥] وفيما ذكره المصنّف إشكالٌ؛ لأنّه لو كان ردًّا لقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لكان عطفًا عليه فيلزم أن يكون مِن[٦] جملة قولهم فيفسد[٧] المعنى. ثمّ اعلم أنّه لا يلزم أن يكون مِن الإضمار على الشريطة، وما ذُكر في **الحاشية** آنفًا مردود.

قوله: (وذلك أنّهم) هذا بيان أنّ قوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾ ردّ وإنكار لقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾.

قوله: (كما) أي: كالإرادة التي حُكي عنهم.

---

١ ر – فلا يكون ردًّا.
٢ ن ر – من.
٣ ر: التكليف. | وفي هامش د: التكليف. خ [اختصارًا من "نسخة"].
٤ ن – طبع.
٥ ر + وفبما نقضهم.
٦ ن ر – من.
٧ ر: فيفيد.

بل خذلَها الله ومنعَها الألطافَ بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها، لا أَنْ تُخلقَ غُلْفًا غيرَ قابلةٍ للذكر ولا متمكِّنةٍ من قبوله.

فإن قلتَ: علام عُطف قوله: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾؟

قلتُ: الوجه أن يُعطَف على ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾، ويُجعلُ قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ كلامًا تَبِعَ قولَه: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ على وجه الاستطراد، ويجوز عطفه على ما يليه من قوله: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾.

فإن قلتَ: ما معنى المجيء بالكفر معطوفًا على ما فيه ذكرُه سواءٌ عُطف على ما قبلَ حرف الإضراب أو على ما بعده، وهو قوله: ﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾؟

قوله: (**لا أن تُخلَق**) يجوز أن يكون معطوفًا على قوله: (**المطبوع**)، فكأنّه قال: فصارت كالمطبوع عليها لا كالمخلوق غُلفًا. ويجوز أن يكون عطفًا على قوله: (**خَذَلها**) فيكون في الكلام حذف، إذ المعطوف عليه جملة، فيكون التقدير: لا كونها مخلوقةً غلفًا حاصلٌ.

قوله: (**قلتُ: الوجه**) إنّما جعل الوجهَ ذلك لأنّ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ مقصود بالذات في الكلام. وقوله:[1] ﴿بَلْ طَبَعَ﴾ كالتابع للاستطراد[2] واعتبارِ المقصود أولى.

قوله: (**الاستطراد**) أي: الاتّصال مِن غير أن يكون غرضًا.[3]

قوله: (**ما قبل**) هو قوله: (﴿وَكُفْرِهِم﴾). وقوله: (**ما بعده**) أي: بكفرهم. وقوله: (**وهو**) يجوز أن يكون عائدًا إلى ما في قوله: (**ما فيه**) أو على ما في قوله: "ما قبل" و(**ما بعد**). والصواب أنّ قوله: "هو" عائد إلى قوله: "ذِكر".

قوله: (**وقوله: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾**) فيكون المعطوف والمعطوف[4] عليه واحدًا.

قوله: (**أو بل طبع الله**) التقدير الأوّل على تقدير عطفه على قوله: ﴿وَكُفْرِهِم﴾

---

[1] ن: قوله.
[2] ن ر: الاستطراد.
[3] ر: عوضًا.
[4] ن ر - والمعطوف.

قلتُ: قد تكرَّر منهم الكفرُ؛ لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد، فعُطف بعضُ كفرهم على بعضٍ. أو عُطف مجموعُ المعطوف على مجموع المعطوف عليه؛ كأنَّه قيل: فبجَمْعِهم بين نقض الميثاق والكفر بآياتِ الله وقتلِ الأنبياء وقولِهم: قلوبنا غلف، وجَمْعِهم بين كفرهم وبَهْتِهم مريم وافتخارِهم بقتل عيسى= عَاقَبْناهم. أو: بل طبع الله عليها بكفرهم وجَمْعِهم بين كفرهم وكذا وكذا.

والبُهتانُ العظيم: هو التَّزْنِيَة.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾﴾

فإن قلتَ: كانوا كافرين بعيسى عليه السلام أَعْداءً له عامِدِينَ لقتله، يسَمُّونه الساحرَ ابنَ الساحرةِ، والفاعلَ ابنَ الفاعلة، فكيف قالوا: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾؟

قلتُ: قالوه على وجه الاستهزاء؛ كقول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٞ﴾ [الشعراء ٢٦/٢٧].

قبل الإضراب، وهذا على تقدير عطفه على قوله:[١] ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ بعد الإضراب.

قوله: (بكفرهم وجَمْعِهم)[٢] اعلم أنَّ هذا ليس عطفَ بعض كفرهم على بعض وليس أيضًا عطفَ المجموع على المجموع، بل هو عطف المجموع على الكفر. وحاصل / هذا الاعتراض أن المصنف أجاب عن السؤال بجوابين: [٣٢٣و] الأوّل أنّه عُطف بعض كفرهم على بعض، الثاني أنّه عُطف المجموع على المجموع، فيقول المعترض ليس هذا مِن الأوّل ولا من الثاني، فتأمّل. ويمكن أن يقال: هذا قسم ثالث لم يذكره أوّلا فذَكَره آخرًا. والصواب أن نقول:[٣]

---

١ ر – ﴿وَكُفْرِهِمِ﴾ قبل الإضراب، وهذا على تقدير عطفه على قوله.
٢ ر: وجميعهم.
٣ ن: يقال.

ويجوز أن يضعَ اللهُ الذِّكْرَ الحسنَ مكان ذكرهم القبيحِ في الحكاية عنهم؛ رفعًا لعيسى عليه السلام عمَّا كانوا يذكرونه به، وتعظيمًا لِمَا أرادوا بمثله؛ كقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الزخرف ٤٣/٩-١٠].

رُوي أن رَهْطًا من اليهود سَبُّوه وسبُّوا أمَّه، فدعا عليهم: اللّهم أنت ربّي وبكَلِمَتك خلَقْتَني، اللّهم العَنْ مَن سبَّني وسَبَّ والدتي، فمسخ الله مَن سبَّهما قردةً وخنازير، فاجتمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنه يَرفعه إلى السَّماء ويُطهِّره من صُحبةِ اليهود، فقال لأصحابه: أيُّكم يرضى أن يُلقى عليه شبَهي فيُقتلَ ويُصْلبَ ويُدخلَ الجنَّة؟ فقال رجلٌ منهم: أنا، فألْقَى الله عليه شَبَهه فقُتل وصُلب.

وقيل: كان رجلًا يُنافق عيسى فلمَّا أرادوا قتله قال: أنا أدلُّكم عليه، فدخل بيت عيسى ورُفع عيسى وأُلقِيَ شَبَهُه على المنافقِ، فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنُّون أنه عيسى.

مراد[1] المصنِّف أنَّ المعطوف عليه إمّا قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾... إلخ، فيكون مِن عطف المجموع على المجموع، وإمّا قوله: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ فيكون عطف المجموع على المفرد، وإذا تأمّلت حقّ التأمّل ظهر لك أنّ الاعتراض المختتم بقولنا: "فتأمّل" واردٌ وأنّ الجواب بقوله: "ويمكن" وبقوله:[2] "والصواب" لا يصلح أن يكون دافعًا[3] للاعتراض. ثمّ الصواب في هذا الموضع أنّ المعطوف مجموع قوله: (﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾)... إلخ، والمعطوف عليه إمّا ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ فيكون عطفَ المجموع على المفرد، وإمّا ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ فمِن عطف المجموع على المجموع.

قوله: (وتعظيمًا) أي: استعظامًا. وقوله: (﴿لَيَقُولُنَّ﴾ [الزخرف ٤٣/٩])، وهما ليسا مِن مقول الكفار، أي: قوله: (﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف ٤٣/٩]). وقوله: (﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الزخرف ٤٣/١٠]).

---

[1] ن: يريد؛ ر: إيراد.
[2] ن ر: بقوله.
[3] ن: دفعًا.

ثـم اختلفوا فقال بعضهـم: إنه إلهٌ لا يصح قتله، وقال بعضهـم: إنه قد قُتل وصُلب، وقال بعضهم: إن كان هذا عيسى فأين صاحبُنا؟ أو كان صاحبَنا فأين عيسى؟ وقال بعضهم: رُفع إلى السماء، وقال بعضهـم: الوجهُ وجهُ عيسى والبدن بدن صاحبنا!

فإن قلتَ: ﴿شُبِّهَ﴾ مسندٌ إلى ماذا؟ إن جعَلْتَه مسندًا إلى ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ فالمسيحُ مُشبَّهٌ به وليس بمشبَّهٍ، وإن أسنَدْتَه إلى المقتول فالمقتولُ لم يَجْرِ له ذكرٌ.

قلتُ: هو مسندٌ إلى الجارِّ والمجرور وهو ﴿لَهُمْ﴾؛ كقولك: "خُيِّل إليه" كأنَّه قيل: ولكنْ وقع لهم التشبيهُ، ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول؛ لأن قوله: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا﴾ يدلُّ عليه؛ كأنَّه قيل: ولكن شُبِّه لهم مَن قتلوه.

﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ استثناء منقطعٌ؛ لأن اتِّباع الظنِّ ليس من جنس العلم، يعني: ولكنهم يَتَّبِعون الظنَّ.

فإن قلتَ: قد وُصفوا بالشكِّ، والشكُّ: أن لا يترجَّحَ أحدُ الجائزَينِ، ثم وُصفوا بالظنِّ، والظنُّ: أن يترجَّح أحدُهما، فكيف يكونون شاكِّين ظانِّين؟

قلتُ: أُريدَ أنّهم شاكُّون ما لهم من علمٍ قط، ولكن إنْ لاحَتْ لهم أمارةٌ فظنُّوا فذاك.

قوله: (**استثناء منقطع**) إذا كان استثناء منقطعًا كان ﴿إِلَّا﴾ بمعنى "لكنّ" واسمه ﴿ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ وخبره محذوف، أي: لكنّ اتّباع الظن حالُهم أو طريقتُهم، وأمّا المصنّف فقد ذَكَر حاصل المعنى.

قوله: (**قلتُ: أُريدَ أنّهم**) ويحتمل عندي -والله أعلم- أن يكون التقدير: إنّهم لفي شكّ منه في جميع الأوقات إلّا وقت اتّباع الظن لظهور الأمارة إن لاحت لهم وما لهم مِن علم قطّ، ويكون الاستثناء متّصلًا مفرّغًا وقُدِّم قوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ على الاستثناء لأنّ المقصود مِن هذا الكلام نفيُ العلم عنهم.

قوله: (**فظنّوا**) عطف. وقوله: (**فذاك**) أي: فذاك شيء يصحِّح، أو فذاك ظنّ لا يقين.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾: وما قتلوه قتلًا يقينًا، أو: ما قتلوه متيقّنين كما ادعوا ذلك في قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾، أو يُجعل ﴿يَقِينَۢا﴾ تأكيدًا لقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾؛ كقولك: "وما قتلوه حقًّا"؛ أي: حقَّ انتفاءُ قتله حقًّا.

وقيل: هو مِن قولهم: قتلتُ الشيء عِلمًا ونحرتُه علمًا، إذا تَبالَغَ فيه علمُك، وفيه تهكُّم؛ لأنه إذا نفَى عنهم العلم نفيًا كليًا بحرف الاستغراق، ثم قيل: "وما علِموه علمَ يقينٍ وإحاطةٍ" لم يكن إلّا تهكُّمًا بهم.

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾

﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ جملةٌ قَسَمِيَّةٌ واقعةٌ صفةً لموصوفٍ محذوفٍ تقديره: وإنْ مِن أهلِ الكتاب أحدٌ إلّا ليؤمِنَنَّ به، ....

قوله: (أو يجعل ﴿يَقِينَۢا﴾ تأكيدًا) قال في **الصحاح**: «اليقين: العلم وزوال الشك. يقال: يقِنت بالكسر يقَنًا وأيقنت[1] واستيقنت وتيقّنت كلُّه بمعنًى، وأنا على يقين منه».[2] وقال في **مجمل اللغة**: «اليقين والتيقُّن:[3] زوال الشكّ».[4]

قوله: (وقيل: هو مِن قولهم: قتلتُ)... إلخ، ومنه بيت **الحماسة** في باب الهجاء:

يَروعك مِن سعد بن عمرو جسومُها   وتزهد فيها حين تقتلها خُبرا[5]

أي: يقل رغبتك[6] فيها حين تعلمها بالتحقيق مِن جهة الخُبر، وهو: الامتحان.

قوله: (أحد إلّا) لا بدّ هنا مِن أمرين: أحدُهما مستثنًى منه، والثاني موصوف بـ(لَيُؤمِننّ)، والمصنّف ذَكَر المستثنى منه صريحًا ولم[7] يصرِّح بذِكر الموصوف لِما دلّ عليه.

---

١ ن - وأيقنت.

٢ ن: واليقين؛ ر - والتيقن. | **الصحاح** للجوهري، «يقن».

٣ في مطبوع **مجمل اللغة**: اليقَن.

٤ **مجمل اللغة** لابن فارس، ٩٤٢/٢، «يقن».

٥ ما عرفتُ قائله. وهو بلا عزو في **شرح الحماسة** للمرزوقي، ١٥٢٢/٣.

٦ ر: روعتك.

٧ ر: لم.

ونحوه: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات ١٦٤/٣٧] ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم ٧١/١٩].

والمعنى: وما من اليهود والنصارى أحدٌ إلّا ليؤمننَّ قبل موته بعيسى وبأنه عبدُ الله ورسوله، يعني: إذا عايَنَ قبل أن تَزْهَقَ رُوحه حين لا ينفعُه إيمانه؛ لانقطاع وقت التكليف.

وعن شَهْرِ بْن حَوْشَبٍ: قال لي الحجّاج: آيةٌ ما قرأتُها إلّا تخالجَ في نفسي شيءٌ منها، يعني: هذه الآيةَ، وقال: إني أُوتَى بالأَسِير من اليهود والنصارى فأَضربُ عُنقَه فلا أَسمعُ منه ذلك؟ فقلتُ: إنَّ اليهوديَّ إذا حضره الموتُ ضَربت الملائكة دُبرَه ووجهَه وقالوا: يا عَدُوَّ الله، أتاك موسى نبيًّا فكذَّبتَ به، فيقول: آمنتُ أنه عبد نبيٌّ، وتقول للنصراني: أتاك عيسى نبيًّا فزعمتَ أنه الله أو ابن الله، فيؤمن أنه عبد الله ورسولُه حيثُ لا ينفعه إيمانُه، ....

قوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾ صفة موصوف محذوف، فالتقدير: وإنْ مِن أهل الكتاب أحد إلّا شخص متّصف بهذه الصفة وهو ﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾، أو نقول: وإن مِن أهل الكتاب أحد متّصف بصفة ما إلّا[١] بهذه الصفة وهو ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾.

قوله: (عاين) أي: مَلَكَ الموت وأعوانه.

قوله: (تزهَق) يقال: زهقت نفسه تزهَق زُهوقًا، أي: خرجَت.

[٣٢٣ظ] قوله: (آيةٌ) مبتدأ خبره محذوف، أي: في القرآن آية. وقوله: (ما / قرأتُها)... إلخ، صفةُ "آية".

قوله: (إلّا تخالَجَ)[٢] خَلَجه يخلِجه خَلْجًا، أي: جَذَبه وانتزعه، تقول: تخالَجَ في صدري منه شيء،[٣] أي: تشكّكتُ.

قوله: (وتقول)،[٤] أي: الملائكة.

---

[١] ن ر: لا.
[٢] ر: خالج.
[٣] ر - شيء.
[٤] الكشف والبيان للثعلبي، ٧٦/١١ (النساء، ١٥٩/٤).

قال: وكان متَّكئًا فاستوى جالسًا ونظر إليَّ وقال: ممَّنْ؟ قلتُ: حدَّثني محمد بن عليٍّ ابنُ الحنفيَّة، فأخذَ ينكتُ الأرضَ بقضيبه ثم قال: لقد أخذْتَها من عينٍ صافية، أو: من مَعْدنها.

قال الكلبي: فقلتُ له: ما أردتَ إلى أن تقول: حدَّثني محمَّد بن عليٍّ ابنُ الحنفية؟ قال: أردتُ أن أغيظَه. يعني: بزيادة اسم عليٍّ؛ لأنَّه مشهورٌ بابن الحنفية.

وعن ابن عباس أنه فسَّره كذلك، فقال له عِكرمة: فإن أتاه رَجلٌ فضربَ عُنقَه؟ قال: لا تخرجُ نفسُه حتى يحرِّك بها شفتيه. ....

قوله: **(قال)** أي: شهر[1] بن حوشب. وقوله: **(كان)** أي: الحجّاج. وقوله: **(وقال: ممّن؟)** أي: ممّن سمعتَ.

قوله: **(فأخذ ينكُت)** "النكت": أن تضرب في الأرض بقضيب فتؤثِّر فيها. و"القضيب": غصن الشجر، والجمع قضبان، وهي الأغصان. وقوله: **(فقلتُ له)** أي: لشهر[2] بن حوشب. وقوله: **(ما أردتَ)** أي: ما أنهى إرادتك إلى أن تقول، كقولك: أرغب إلى الله، أي:[3] أنهي رغبتي إليه، وكقول ابن عبّاس:[4] «إنّي أحمد إليكم غسل الإحليل»،[5] أي: أُنهي إليكم حمدي. وقوله: **(إلى أن تقول)** أي: ما أردتَ[6] ذاهبًا إلى أن تقول.

قوله: **(ابن الحنفيّة)** بدل مِن[7] قوله: (ابن عليّ)، أو عطف بيان لقوله: **(محمّد)** لأنّه مشهور به فهو كاللقب له.

قوله: **(لأنّه مشهور)** بيان أنّه أراد زيادة الغيظ لأنّه لمّا كان مشهورًا به لم يكن احتياج إلى ذِكر محمّد بن عليّ، وإنّما ذُكر للغيظ.[8]

قوله: **(فإن أتاه)** أي: أتى يهوديًا أو نصرانيًا رجلٌ مسلم. وقوله: **(قال)** أي:

---

١ ن: سمه.

٢ ن: الشهر.

٣ ر - أي.

٤ ن + رضي الله عنه.

٥ المصنَّف لابن أبي شيبة، ١/٥٧ (٥٩٥).

٦ ن: لردت.

٧ ن - من.

٨ ن: الغيظ.

قال: وإن خرَّ من فوقِ بيتٍ أو احترق أو أكله سَبُعٌ؟ قال: يتكلَّم بها في الهواء ولا تخرج رُوحُه حتى يؤمنَ به.

وتدلُّ عليه قراءة أبيّ: "إلّا ليؤمِنُنَّ به قبل موتهم" بضَمِّ النون، على معنى: وإنْ منهم أحدٌ إلا سيؤمنون به قبل موتهم؛ لأنَّ "أحدًا" يصلح للجمع.

فإن قلتَ: ما فائدةُ الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم؟

قلتُ: فائدتُه الوعيدُ، وليكون علمُهم بأنهم لا بدَّ لهم منَ الإيمانِ به عن قريبٍ عند المعايَنة وأن ذلك لا ينفعهم بعثًا لهم وتنبيهًا على معاجَلة الإيمان به في أوانِ الانتفاع به، وليكون إلزامًا للحجَّة لهم، وكذلك قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ يشهدُ على اليهود بأنهم كذَّبوه، وعلى النصارى بأنهم دعَوه ابنَ الله.

وقيل: الضميرَان لعيسى بمعنى: وإنْ منهم أحدٌ إلا ليؤمنَنَّ بعيسى قبل موت عيسى، ....

ابن عبّاس رضي الله عنه.[١] وقوله: (قال: وإن) أي:[٢] عكرمة. وقوله: (قال: يتكلّم)،[٣] أي: ابن عبّاس.[٤]

قوله: (وتدلّ عليه) لأنّ قوله تعالى: "مَوْتِهِمْ"[٥] في قراءة أبيّ تدلّ على أنّ الضمير لا يعود إلى عيسى عليه السلام.

قوله: (بعثًا) خبر[٦] "يكون".

قوله: (الدجّال)[٧] عطف بيان.

قوله: (ويلبث) أي:[٨] عيسى.

---

١ د ر - رضي الله عنه.

٢ ر: ابن.

٣ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٦٦٨/٧ (النساء، ١٥٩/٤).

٤ ر + رضي الله عنه.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد والضحّاك. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٦٩٦.

٦ ن ر: حين.

٧ ن ر: الرجال.

٨ ن ر: إلى.

وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله، روي: أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب إلّا يؤمنُ به، حتى تكون الملّةُ واحدةً وهي ملّةُ الإسلام، ويُهلِكُ الله في زمانه المسيحَ الدّجّالَ، وتقع الأَمَنَةُ حتى ترتعَ الأُسُودُ مع الإبل، والنُّمورُ مع البقر، والذئابُ مع الغنم، ويَلعب الصبيان بالحيّات، ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفّى ويصلي عليه المسلمون ويَدفِنُونه.

ويجوز أن يراد: أنه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنَنَّ به على أنَّ الله يُحييهم في قُبورهم في ذلك الزمان ويُعلِمُهم نزولَه وما أُنزل له، ويؤمنون به حين لا ينفعُهم إيمانُهم.

وقيل: الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يرجع إلى الله تعالى.

وقيل: إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠﴾

﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: فبأيِّ ظلم منهم، والمعنى: ما حرّمنا عليهم الطيّبات

قوله: (ويجوز أن يراد) هذا عطف مِن حيث المعنى على قوله:[1] (وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله).

قوله: (وما[2] أُنزل له) أي: يعلمهم ما أنزل عيسى عليه السلام[3] لأجله وهو الدعاء إلى دين الإسلام وتقويته لدين الإسلام.

قوله: (والمعنى ما حرّمنا) ومنه «شرّ أهر ذا ناب»،[4] وذلك لأنّ التنكير[5] دلّ على التعظيم، والحصرُ الذي أشار بقوله: "ما حرّمنا" إلى آخره، أفاده تقديم الجارّ والمجرور وهو[6] "بظلم".

---

١ ر: قولهم.
٢ ر: ما.
٣ د ر - عليه السلام.
٤ مجمع الأمثال للميداني، ١/٣٧٠؛ المستقصى للزمخشري، ٢/١٣٠.
٥ ر: التسكين.
٦ ر: ومن.

إلا لظلمٍ عظيمٍ ارتكبوه، وهو ما عدّدَ لهم من الكفر والكبائر العظيمة.

والطيّباتُ التي حُرِّمت عليهم: ما ذكره في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام ٦/١٤٦]، وحرِّمت عليهم الألبانُ، وكلما أذنبوا ذنبًا صغيرًا أو كبيرًا حُرِّم عليهم بعضُ الطيّبات في المطاعم وغيرها.

﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾: ناسًا كثيرًا، أو: صدًّا كثيرًا.

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾

﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بالرِّشوة التي كانوا يأخذونَها من سَفِلَتِهم في تحريف الكتاب.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ يريد مَن آمن منهم كعبد الله بن سلام وأضرابِه، والراسخون ﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾: الثابتون فيه المُتقِنُون المستبصِرون.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني: المؤمنين منهم، أو: المؤمنون من المهاجرين والأنصار. وارتفع ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ على الابتداء و﴿يُؤْمِنُونَ﴾ خبره.

قوله: (وغيرها) كالصيد في السبت مثلًا. اعلم أنّ قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ استدراك عن قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ويئول المعنى إلى أنّ غير الراسخين هم الذين يسألون، وأمّا الراسخون فيؤمنون ولا يسألون سؤال المتعنّتين،[١] ولذلك[٢] قال تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾، أي: مِن أهل الكتاب.

قوله: (يعني المؤمنين منهم)، يعني: حذف "منهم" ههنا[٣] لدلالة ما تقدّم عليه والمغايرةِ بين المعطوف والمعطوف عليه على هذا الوجه في الصفة، وأمّا على الوجه الثاني فالمغايرة بينهم في الذات.

١ ن: المعنيين.
٢ ن ر: وذلك.
٣ ن: هنا.

﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ﴾ نصبٌ على المدح لبيانِ فضل الصلاة، وهو بابٌ واسع قد كسَره سيبويه على أمثلةٍ وشواهدَ، ولا يُلتفَتُ إلى ما زعموا من وقوعه لحْنًا في خط المصحف، وربما الْتَفَتَ إليه مَن لم يَنظرْ في "الكتاب"، ولم يَعرفْ مذاهبَ العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان، وغَبِيَ عليه أن السَّابقين الأوَّلين الذين مَثَلُهم في التوراة ومَثَلُهم في الإنجيل كانوا أبعدَ همَّةً في الغَيْرة على الإسلام وذبِّ المطاعِن عنه من أن يَتركوا في كتاب الله ثُلْمَةً ليَسُدَّها مَن بَعدهم، وخَرْقًا يَرْفَؤه مَن يَلحقُ بهم.

قوله: (لبيان) اللام متعلّق بقوله: (نصبٌ)[1] فكأنّه قيل: "نصب على المدح"، وعدل عن الرفع عطفًا على ما تقدّم "لبيان".

قوله: (مِن أن يتركوا) متعلّق بمحذوف لا بقوله: (أبعدَ) وأمّا "مِن" التي يستعمل به[2] اسم التفضيل فليست مذكورة ههنا، والتقدير "أبعد الناس همّة"، أو "أبعد همّة مِن غيرهم"، ثمّ قيل: "مِن أن"، أي: "يبعدون مِن أن"، وإنّما قلنا ذلك إذ لا يستقيم تفضيل[3] "أبعد" على "مِن أن"، فتأمّل. ومثل قوله: "أبعد همّة / مِن أن يتركوا" قولُ المتنبي: [٣٢٤و]

الناس أكيَسُ من أن يمدحوا رجلًا   حتّى يروا[4] عنده آثار إحسانِ[5]

فكأنّه قال: الناس أكيس المخلوقات أو أكيس مِن غيرهم، ثمّ قال: "مِن أن يمدحوا"،[6] أي يبعدون أو يجتنبون مِن أن يمدحوا.

قوله: (في الكتاب) أي: كتاب سيبويه.

قوله: (يرفؤه) رفأتُ الثوب أرفَؤه رَفاءً إذا أصلحتَ ما وهى منه، وربَّما لم يُهمَز. "غبيَ عليَّ الشيء" إذا لم تعرفه.

---

[1] ر: يصف.

[2] ن: بها.

[3] ر: بفضل.

[4] ر: يرى.

[5] ما وجدت البيت للمتنبي. وهو للطبرخزمي في الدرّ الفريد لابن أيدمر، ١٨٥/٤.

[6] ر + قوله: في الكتاب، أي: كتاب سيبويه.

وقيل: عطفٌ على ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء.

وفي مصحف عبد الله: "والمقيمون" بالواو، وهي قراءة مالك بن دينارٍ والجَحْدريّ وعيسى الثقفيّ.

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ جوابٌ لأهل الكتاب عن سؤالهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُنزِّل عليهم كتابًا من السماء، واحتجاجٌ عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كشأنِ سائر الأنبياء الذين سَلَفوا.

وقرئ: ﴿زُبورًا﴾ بضمّ الزاي: جمع زِبْر وهو الكتاب.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾

﴿وَرُسُلًا﴾ نصبٌ بمضمرٍ في معنى: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، وهو: «أرسَلْنا» و«نبَّأْنا» وما أشبَه ذلك، أو بما فسّره ﴿قَصَصْنَٰهُمْ﴾.

وفي قراءة أبيّ: "ورُسُلٌ قد قصصناهم عليك من قبلُ ورُسلٌ".

وعن إبراهيم ويحيى بن وثّاب أنهما قرآ: "وكَلَّم اللهَ" بالنصب.

ومن بِدَع التفاسير: أنه من الكَلْم، وأن معناه: وجَرَّحَ الله موسى بأظفارِ المحَن ومخالبِ الفتن.

قوله: (أو بما) فيكون إضمارًا على شريطة التفسير.

قوله: (الفِتَن) وتمسّك بقوله تعالى:[١] ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه ٢٠/٤٠].

---

[١] ر – تعالى.

﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾

﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ الأَوْجهُ أن ينتصِب على المدح، ويجوزُ انتصابُه على التكرير.

فإن قلتَ: كيف يكون للناس على الله حجةٌ قبلَ الرسل وهم محجوجُونَ بما نَصَبه الله من الأدلة التي النظرُ فيها موصلٌ إلى المعرفة، والرسُلُ في أنفسهم لم يتوصَّلوا إلى المعرفة إلّا بالنَّظر في تلك الأدلة، ولا عُرِفَ أنهم رسلُ الله إلّا بالنظر فيها؟

قوله: **(الأوجَه)** يريد أنّه أوجَه مِن النصب على التكرير، أي: على التأكيد اللفظيّ لوقوع الفصل بينهما بأجنبيّ.

قوله: **(التكرير)** تأكيد لفظيّ.

قوله: (**فإن قلتَ: كيف يكون للناس**)... إلخ، هذا السؤال مبنيّ على ثبوت الوجوب قبل الشرع، وهو مذهب المعتزلة، وأمّا عند أهل السنّة والجماعة فلا وجوب إلّا بالشرع لعدم التعذيب قبله،[1] قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء ١٧/١٥]. وقوله: **(وهم محجوجون)** أي: مغلوبون بالحجّة، حال مِن "الناس"، والواو في **(والرسل)** لعطفه على الحال قبلها. وقوله: **(لم يتوصّلوا) إلّا بالنظر** ممنوع، فإنّ جبريل عليه[2] السلام علّمهم ذلك، قال تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ [الشورى ٤٢/٥٢]. وقوله:[3] **(في أنفسهم)** حال مِن الواو في "يتوصّلوا"، ويريد بقوله: "في أنفسهم" أنّهم وصلوا بمجرّد النظر مِن غير أن يُرسَل إليهم رسول، وهذا أيضًا ممنوع إذ أرسل إليهم جبرئيل عليه السلام.[4] وقوله: **(ولا عُرف إلّا بالنظر)** على إطلاقه غير صحيح، لأنّ ذلك بإرشاد الأنبياء وإظهارِهم المعجزة وتعليمِهم كيفيّة الوصول.

---

[1] ر: قبل.
[2] ر: عليهم.
[3] ر: قوله.
[4] ن ر – عليه السلام.

قلتُ: الرسل مُنَبِّهون عن الغفلة وباعثون على النظر -كما ترى علماءَ أهل العدل والتوحيد- مع تبليغ ما حُمِّلوا من تفصيل أُمُور الدِّين وبيانِ أحوال التكليف وتعليم الشرائع، فكان إرسالهم إزاحةً للعلة وتتميمًا لإلزام الحجة؛ لئلا يقولوا: لولا أرسلتَ إلينا رسولًا فيُوقِظَنا من سِنَةِ الغفلة ويُنَبِّهَنا لِمَا وَجب الانتباهُ له.

﴿لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾

وقرأ السُّلمي: "لكنَّ الله يشهدُ" بالتشديد.

فإن قلتَ: الاستدراك لا بدَّ له من مُستدرَك، فما هو في قوله: ﴿لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾؟

قلتُ: لمَّا سأل أهلُ الكتاب إنزالَ الكتاب من السماء وتعنَّتوا بذلك،

قوله: (**قلتُ: الرسل منبِّهون**) يريد أنّ النظر كافٍ في المعرفة لمَن نظر، لكن بعض الناس يغفُلون[١] عن النظر ويذهَلون عنه فيحتاجون إلى مَن يبعثهم[٢] على النظر، فإذا نظروا عرفوا. وقوله:[٣] (**كما ترى**) منصوب على المصدر، أي: منبِّهون تنبيهًا مثل التنبيه الذي ترى عليه علماءَ.[٤] فالعائد إلى "ما" الموصولة محذوف. وقوله: (**مع تبليغ**) أي: ينبِّهون مع تبليغ، يريد أنّ النظر وإن كان كافيًا في المعرفة لكن لا نزاع في أنّه لا يُعرَف به تفصيل العبادات فهو فائدة أخرى لبعثتهم.

قوله: (**قلتُ: لمّا سأل**) أجاب عن السؤال مِن وجهين: **الأوّل** أنّه استدراك ممّا حذف مِن كلام الله تعالى[٥] لدلالة سياق الكلام عليه، أي: أنّهم لا يشهدون لكن الله يشهد، **والثاني** أنّه استدراك ممّا قاله أهل الكتاب، فإنّهم لمّا قالوا نحن لا نشهد استدرك[٦] تعالى[٧] فقال: ﴿لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ ردًّا لقولهم وتخسيسًا لشهادتهم،

---

[١] ر: يعطون.
[٢] ن ر: تبعهم.
[٣] ر: قوله.
[٤] ن: علمًا. | أي: إلى آخر الكلام.
[٥] ر - تعالى.
[٦] ر: استدراك.
[٧] ر: يقالُ.

واحتج عليهم بقوله: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [النساء ٤/١٦٣] قال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ بمعنى: أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد.

وقيل: لمَّا نزل ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ قالوا: ما نشهد لك بهذا! فنَزَل ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾.

ومعنى شهادةِ الله بما أَنزل إليه: إثْباتُه لصحَّته بإظهار المعجزات كما تُثبَت الدعاوَى بالبيِّنات، وشهادة الملائكة: شهادتُهم بأنَّه حقٌّ وصدقٌ.

فإن قلتَ: بمَ يُجابون لو قالوا: «بمَ يُعْلم أن الملائكة يشهدون بذلك؟»؟

قلتُ: يجابون بأنّه يُعلم بشهادة الله؛ لأنه لمَّا عُلم بإظهار المعجزات

فإنّهم وإن لم يشهدوا[1] فشهادة الله تعالى كافية. والحاصل أنّهم لو شهدوا وذكروا صفته على ما في التوراة لتبيّن للناس مِن سِفْلة اليهود وغيرهم أنّه عليه[2] السلام نبيّ وأنّ الله تعالى قد أوحى إليه، فإذا تركوا الشهادة قال تعالى: لا حاجةَ إلى شهادتهم بذِكر صفة النبيّ عليه السلام[3] على ما في التوراة، فإنّ / الله تعالى [٣٢٤ظ] قد أظهر على يده المعجزة بحيث أثبتت نبوته وأغنى عن شهادتهم وبيانهم. واعلم أنّ حاصل معنى قول المصنّف في الجواب: إنّ الاستدراك متعلّق بقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ﴾ أو بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ﴾. وهذا هو المعنى[4] لا ما كُتب مطوَّلًا مِن الجانب الآخر.

قوله: (نشهد لك بهذا) أي: بأنّ[5] الله تعالى[6] أوحى إليك كما أوحى إليهم.[7]

قوله: (بأنّه يُعلم)[8] الضمير مِن قوله: "بأنّه" و"يُعلم" عائد إلى أنّ الملائكة يشهدون، والتحقيقُ أنّه يعود إلى الشهادة التي هي[9] مصدر ﴿يَشۡهَدُونَ﴾ لأنّ "أن"

---

[1] ن: يشهد.
[2] ن + الصلاة و.
[3] ر – عليه السلام.
[4] ر + لكن.
[5] ن: بإذن.
[6] ر – تعالى.
[7] ر – كما أوحى إليهم.
[8] ر + من.
[9] ر: بين.

أنه شاهدٌ بصحّته عُلم أن الملائكة يشهدون بصحّة ما شهد بصحّته؛ لأن شهادتهم تَبَعٌ لشهادته.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ وما موقعُه من الجملة التي قبله؟

قلتُ: معناه: أنزله مُلْتبِسًا بعلمه الخاصِّ الذي لا يعلمُه غيره، وهو تأليفُه على نظمٍ وأسلوبٍ يَعجزُ عنه كلُّ بليغٍ وصاحبِ بيان، وموقعُه ممّا قبله موقعُ الجملة المفَسِّرة؛ لأنه بيانٌ للشهادة وأن شهادته بصحّته أنه أنزله بالنَّظْم المعجز الفائت للقُدَر.

وقيل: أنزله وهو عالمٌ بأنّك أهلٌ لإنزاله إليك وأنك مُبلِّغه.

مع[1] ما[2] بعده في تأويل المصدر مِن خبره، أي: أنّ شهادتهم تُعلم بشهادة الله تعالى. وقوله: "أنّه"، أي: الله تعالى. وقوله: **(بصحّته)** أي: بصحّة ما أنزل.

قوله: **(﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾)** قال في **تفسير الوسيط** «﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾، أي: أنزله وفيه[3] علمه».[4] وهذا المذكور في **الوسيط** موافق لقول المصنّف: **(بما عُلم مِن مصالح العباد)** أي: أنزله وفيه معلوماته التي هي مصالح العباد مِن الأحكام الشرعيّة الأصوليّة والفروعيّة.

قوله: **(أنزله ملتبِسًا)**[5] فعلى هذا الوجه يكون قوله: ﴿بِعِلْمِهِۦ﴾ حالًا، والجملة -أعني[6] قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾- بيان للشهادة، والعِلم على هذا بمعنى[7] المعلوم، لأنّ معنى ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ أنّه أنزله ملتبِسًا بعلمه، أي: أنزله **(على نظم وأسلوب يعجِز عنه كلّ بليغ)** فيكون معجزًا، وهو المراد بكون الله تعالى[8] شاهدًا عليه، كما تقدّم.

قوله: **(وقيل: أنزله وهو عالم)** عطف على قوله: **(معناه: أنزله)** ولم يذكر موقعه

---

[1] ر: و.
[2] ن: وما.
[3] ن ر: فيه.
[4] **الوسيط** للواحدي، ٢/١٤١ (النساء، ٤/١٦١).
[5] ن: مبنيًا؛ ر: بائنًا.
[6] ن ر: لمعنى.
[7] ن ر: المعنى.
[8] ر – تعالى.

وقيل: أنزله بما عَلم من مصالح العباد مشتمِلًا عليه.

ويحتمِل: أنه أنزله وهو عالمٌ به رقيبٌ عليه، حافظٌ له من الشياطين بِرَصَدٍ من الملائكة، والملائكةُ يشهدون بذلك؛ كما قال في آخر سورة الجنّ، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ [الجن ٢٨/٧٢] والإحاطة بمعنى العلم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ وإنْ لم يَشْهَدْ غيرُه؛ لأن التصديق بالمعجزة هو الشهادةُ حقًّا: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام ١٩/٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾

على هذه[1] الوجوه وهو حال. وقوله: (**وقيل: أنزله بما**) أي: أنزله بسبب ما علمه مِن مصالح العباد[2] مشتملًا على ما علم مِن مصالح العباد. واعلم أنّ الصواب أنّ الباء في قوله: "بما علِم" ليست للسببية؛ بل للملابسة كما بيّنه المصنّف بقوله: (**مشتملًا**).

قوله: (**برَصَد**) الرَّصَد: الحفظة، أي: أرسله مع[3] ملائكة حَفَظة له مِن الشياطين.

قوله: (**سورة[4] الجنّ**) حيث قال: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ﴾ [الجن ٢٧/٧٢-٢٨]، فإنّه يدلّك على وجود رَصَد[5] مِن الملائكة. وقوله: "﴿وَأَحَاطَ﴾"، أي: وأحاط الله بما لديهم، أي: بما عند الرسل مِن الحكم والشرائع، وهذا يدلّ على كون الله تعالى رقيبًا وحافظًا وعالمًا بما لديهم.

قوله: (**التصديق**) هو أن يصدّق الله[6] النبيّ عليه السلام[7] بأن يُظهر المعجزة على يده. وقوله: (﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام ١٩/٦]) استشهاد.

---

[1] ن ر: هذا.
[2] ن - العباد.
[3] ن ر - مع.
[4] ر: وسورة.
[5] ن: الرصد.
[6] ن + تعالى.
[7] ر - عليه السلام.

﴿كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾: جمعوا بين الكفر والمعاصي، أو كان بعضُهم كافرين وبعضُهم ظالمين أصحابَ كبائرَ؛ لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يُغفر لهما إلّا بالتوبة.

قوله: (**أو كان بعضهم**) المعنى الثاني لا يصلح أن يكون مرادًا لأنّه لو كان مرادًا لَوَجب إعادة الموصول لأنّهما فريقان مختلفان حينئذٍ، ولَقيل:[١] "إنّ الذين كفروا والذين ظلموا" كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [البقرة ٦٢/٢]. وجواب هذا الاعتراض[٢] أن يقال: قد يُنسَب الفعل الصادرة مِن بعض القوم إلى جميعهم كما يقال: "قتل بنو فلان زيدًا" وإن كان قتله واحد[٣] منهم، فكذا نقول ههنا: لمّا صدر الكفر مِن بعضهم نُسِب إلى جميعهم، ولمّا صدر الظلم مِن بعضهم نُسِب إلى جميعهم فقيل: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾، فتأمّل.

اعلم أنّا تأملنا ذلك فوجدنا الجواب غير سديد،[٤] فإنّ / حاصله يئول إلى أنّ الله تعالى سمّى الكافرين وغيرهم كافرين لصدور الكفر مِن الكافرين، ومثل ذلك غيرُ واقع في القرآن ولا في كلام النبيّ عليه السلام،[٥] ولا يجوز لنا أيضًا تسمية غير الكافر كافرًا لذلك، والمصنّف إنّما فسّر هذا التفسير الثاني لترويج مذهبه مِن أنّ أصحاب الكبائر يخلّدون في النار كالكفّار،[٦] فخبط في اللفظ والمعنى. قولنا في **الحاشية** في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾: "المعنى ليس مرادًا وإلّا لوجب إعادة الموصول" غيرُ سديد؛[٧] لأنّه ذكر المصنّف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر ٣٣/٣٩] يجوز أن يريد: والفوج[٨] أو الفريق الذي[٩] جاء بالصدق وصدّق به، والرسول الذي جاء بالصدق، وصحابته الذين صدّقوا به. وقال غير المصنّف: ﴿ٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ النبيّ عليه السلام[١٠] والذي صدق به. [٣٢٥و]

---

١ ن ر: لقيل.
٢ ر: الإعراض.
٣ ن: أحد؛ ر: وأخذ.
٤ ر: شديد.
٥ ر – عليه السلام.
٦ انظر: **الإرشاد** للجويني، ص ٣٨٦-٣٨٩.
٧ ر: شديد.
٨ ن: الفوج؛ ر: والفرح.
٩ ر: أرى.
١٠ د ر – عليه السلام.

﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾: لا يَلطفُ بهم، فيسلكون الطريق الموصلَ إلى جهنم، أو: لا يهديهم يوم القيامة طريقًا إلَّا طريقها.

﴿يَسِيرًا﴾؛ أي: لا صارِفَ له عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾

﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ وكذلك ﴿ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء ١٧١/٤] انتصابه بمضمَر، وذلك أنه لمَّا بعثَهم على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمرٍ فقال: ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾؛ أي: اقصدوا أو ائتوا أمرًا خيرًا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث، وهو الإيمان والتوحيد.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾

﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ غَلَتِ اليهود في حطِّ المسيح عن منزلته ....

قوله: (فيسلكون) الفاء للعطف فقط. وقوله: (أو: لا يهديهم) الهداية: الدلالة الموصلة إلى البغية، فقوله: "يهديهم طريق جهنَّم" استعارة تهكميَّة.

قوله: (مِن الكفر والتثليث) بيان ما أنتم فيه، وفي الكلام لفٌّ لأنَّ التقدير في قوله: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾: ﴿فَـَٔامِنُوا۟﴾ اقصدوا أمرًا خيرًا لكم مِن الكفر وهو الإيمان، والتقدير في قوله: فيما بعد ﴿ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾: ﴿ٱنتَهُوا۟﴾ ائتوا[١] أمرًا خيرًا لكم مِن التثليث[٢] وهو التوحيد، لأنَّ هذه الآية بعد قوله: ﴿لَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾، ففي كلام المصنِّف لفٌّ ونشر في موضعين.

قوله: (﴿لَا تَغْلُوا۟﴾) ودين[٣] الله بين الغلوّ والتقصير.

---

[١] ن: انتهوا؛ ر - ائتو.
[٢] ر: التنكيث.
[٣] ن: دين.

حيث جعلَتْه مولودًا لغير رِشْدةٍ، وغَلَتِ النصارى في رَفْعِه عن مقداره حيث جعلوه إلهًا.

﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وهو تنزيهُه عن الشريك والولد.

وقرأ جعفر بن محمد: "إنما المِسِّيحُ" بوزن السِّكِّيت.

وقيل لعيسى: "كلمة الله" و"كلمة منه"؛ لأنه وُجد بكلمته وأمره لا غير، من غيرِ واسطةِ أبٍ ولا نطفةٍ.

وقيل له: "روحُ الله"، ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ لذلك؛ لأنه ذو رُوحٍ وُجد من غيرِ جزءٍ من ذي روحٍ؛ كالنطفة المنفصِلة من الأب الحيِّ، وإنما اختُرِع اختراعًا من عند الله وقُدرتِه خالصةً.

ومعنى ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾: أوصلها إليها وحصَّلها فيها.

﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، فإن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون: هو جوهرٌ واحدٌ ثلاثةُ أقانيم: أُقْنُوم الأب، وأُقْنوم الابن، وأُقْنوم رُوح القدس، وأنهم يريدون بأُقنوم الأب: الذات، وبأقنوم الابن: العِلْم، وبأقنوم روح القدس: الحياةَ، فتقديرُه: «الله ثلاثة»، وإلّا فتقديره: ....

قوله: (رِشْدة) الرُّشد والرَّشد: خلاف الغيّ، والمَراشد: مقاصد الطُّرق،[١] ويقال: "هو لرِشدة" إذا كان صحيح النسب، وهو خلاف قولك:[٢] لزنية.

قوله: (لذلك) أي: لأنّه وُجد بغير واسطة... إلخ. وقوله: (لأنّه) بدل مِن "لذلك" أو تعليل لقوله: "لذلك".

قوله: (خالصةً) حال مِن (قُدرته).

قوله: (هو) أي: الله تعالى.

قوله: (﴿ثَلَٰثَةٌ﴾) أي: تقدير[٣] قوله: ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾: (الله ثلاثةٌ)، أي: لا تقولوا: الله ثلاثة.

---

١ ن ر: الطرف.
٢ ر: قوله.
٣ ن ر: تقرير.

«الآلهة ثلاثة»، والذي يدلُّ عليه القرآنُ التصريحُ منهم بأن الله والمسيحَ ومريمَ ثلاثةُ آلهةٍ، وأن المسيح ولدُ الله من مريم، ألَا ترى إلى قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة ١١٦/٥] ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٣٠/٩]، والمشهورُ المستفيضُ عنهم أنهم يقولون: في المسيح لاهُوتيّةٌ وناسُوتيّةٌ من جهة الأب والأمّ، ويدلُّ عليه قولُه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ فأثبتَ أنه ولدٌ لمريم اتَّصل بها اتِّصال الأولاد بأمَّهاتها، وأن اتِّصاله بالله عزَّ وعلا من حيث إنّه رسوله، وأنه موجود بأمره وابتداعه جَسدًا حيًّا من غيرِ أبٍ، فنفى أن يتَّصل به اتِّصالَ الأبناء بالآباء.

قوله: **(الآلهة)** أي: لا تقولوا: الآلهة ثلاثة.

قولـه: **(والـذي يـدلّ عليـه)**... إلـخ، إشـارةٌ إلـى عـدم صحّـة مـا حُكـي عنهم أنّهم يقولون. ويدلّ قوله: (﴿ءَأَنتَ قُلْتَ﴾ [المائدة ١١٦/٥])... إلخ، على تصريحهـم بـأنّ الله تعالـى[١] والمسـيح ومريـم ثلاثـة آلهـة، ويـدلّ (﴿وَقَالَتِ﴾ [التوبـة ٣٠/٩]) أنّهـم يقولـون: "المسـيح ولـد الله"، ويـدلّ المشـهور المسـتفيض المثبـت بآيتيـن[٢] أيضًـا أنّهـم قالـوا: المسـيح ولـد الله. فقولـه: "الـذي" مبتـدأ و**(التصريـح)** خبـره.

قوله: **(ويدلّ عليه)** أي: على أنّ المشهور المستفيض عنهم أنّهم أو على أنّهم يقولون.

قوله: **(فأثبت)** أي: بقوله: ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾؛ لأنّه يردّ عليهم، فإنّ هاتين الآيتين لمّا ردّ عليهم ذلك علم أنّه كان مذهبهم كذلك.

قوله: **(حيث إنّه)** حيث قال رسول الله. وقوله: **(موجود[٣] بأمره)** حيث قال: ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾. وقوله: **(فنفى)** أي: فلمّا نفى هذا الاتّصال عُلم أنّ مذهبهم هذا الاتّصال.

---

١ د ر - تعالى.
٢ ر: ما يبين.
٣ ن ر: موجودًا.

وقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ وحكايةُ الله أوثق من حكاية غيره، ومعنى ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾: سبّحه تسبيحًا مِن أن يكون له ولد.

وقرأ الحسن: "إِن يكونُ" بكسر الهمزة ورفع النون؛ أي: سبحانه ما يكون له ولد، على أنَّ الكلام جملتان.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بيانٌ لتنزُّهه مما نُسِبَ إليه، يعني: أن كلَّ ما فيهما خَلْقُه ومِلْكه فكيف يكون بعضُ مِلكه جزءًا منه، على أنّ الجزء إنما يصحُّ في الأجسام وهو متعالٍ عن صفات الأجسام والأعراض.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ يَكِلُ إليه الخَلْقُ كلُّه أمورهم، فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾

قوله: (وحكايةُ الله) فما حُكي عنهم مِن القول بالأقانيم حكاية باطلة، فهم لم يقولوا بالأقانيم؛ بل قالوا ما يدلّ القرآن على أنّهم قالوه، وهو التصريح / منهم... إلخ. [٣٢٥ظ]

قوله: (أسبّحه)[١] أي: أنزهّه تنزيهًا.

قوله: (فيهما) أي: في السماوات والأرض.

قوله: "فيهما" جملتان، وكان على القراءة[٢] الأولى جملة واحدة.

قوله: (على أنّ) أي: مع أنّ هذا دليل آخرُ على أنّه لا يجوز أن يكون جزءه.[٣]

قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ بيان لتنزّهه عمّا نسب إليه مِن التثليث، لأنّه لو كان غيره إلهًا لكان بعض الخلق يكِل الأمر إلى ذلك الغير، ولَما كان تعالى كافيًا لكنّه كافٍ على ما ذكر،[٤] ولم يذكر المصنِّف هذا المعنى، وهو معنى حسن.

---

١ في مطبوع الكشّاف: سبّحه. | وأثبتُّ ما في حاشية الجاربردي، وما راجعته من أصول الكشّاف.
٢ ن: القرآن.
٣ ن ر: خبره.
٤ ن ر: ذكره.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾ لن يأنفَ ولن يذهبَ بنفسه عزَّةً، من نكَفتُ الدَّمع: إذا نحَّيْتَه عن خدِّك بأصبعك.

﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: ولا مَن هو أعْلى منه قَدْرًا وأعظَم منه خطرًا، وهم الملائكة الكَروبِيُّون الذين حول العرش؛ كجبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ومَن في طبقتهم.

فإن قلتَ: مِن أين دلَّ قولُه: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ على أن المعنى: ولا مَن فوقه؟

قلتُ: من حيث إن علم المعاني لا يقتضِي غيرَ ذلك، وذلك أن الكلام إنما سيقَ لردِّ مذهب النصارى وغلوِّهم في رفع المسيح عن منزلةِ العبوديَّة، فوَجَب أن يقال لهم: لن يَترفَّع عيسى عن العبوديَّة ولا مَن هو أرفعُ منه درجةً؛ كأنه قيل: ....

قوله: (﴿لَّن يَسْتَنكِفَ﴾) أي: لن يمتنع ولن ينقبض أنفًا وحميّةً[1] المسيح الذي تدعونه إلهًا.

قوله: **(الكَرَبيُّون)**[2] كرُب إذا قرُب،[3] وهو أقرب مِن "قرُب"، والياء للمبالغة لا للنسبة، كما يقال: "أحمريّ" في[4] "أحمر". وقوله: **(ولا مَن هو أعلى)** هذا إنّما يصحّ لو كان المراد ردّ مذهب النصارى فقط أمّا لو كان المراد ردّ مذهب الطائفتين، أي: النصارى وعبَدة الملائكة فلا يتمّ ما قاله.

قوله: **(قلتُ: مِن حيث إنّ علم المعاني لا يقتضي غيرَ ذلك)** ممنوع لاحتمال أن يكون قدّم ذِكر عيسى تقديمًا للأهمّ، فإنّ الكلام في بيان أنّ عيسى[5] عبد مِن عباد الله، ومثلُه في تقديم الأهمّ قوله: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف ١٨/٤٩]، فإنّه قدّم الصغيرة

---

١ ن ر: وجميعه.
٢ كذا وقع في أصول حاشية الجاربردي. وفي مطبوع الكشّاف وما راجعتُ من أصوله: الكَروبيون. | وهو المشهور في هذه اللفظة.
٣ ن: أقرب.
٤ ر: و.
٥ ن + عليه السلام.

لن يستنكِفَ الملائكة المقرَّبون من العبوديَّة فكيف بالمسيح، ويدلُّ عليه دلالةً ظاهرةً بيِّنةً تخصيصُ المقرَّبين لكونهم أرفعَ الملائكة درجةً وأعلاهم منزلةً، ومثاله قول القائل:

وما مِثلُه مِمَّنْ يجاوِدُ حاتمٌ ولا البحرُ ذُو الأمواجِ يَلتَجُّ زاخِرُه

لا شُبهةَ في أنه قصدَ بالبحر ذي الأمواج: ما هو فوقَ حاتم في الجود،

على الكبيرة لزيادة اعتناء[1] المجرمين بشأنه، قال فُضيل: ضجّوا والله من الصغيرة قبل الكبيرة.[2] وأيضًا فهو مثل قولك: لن يستنكف المسيح والملائكة،[3] وزيدَت "لا" لِما في الكلام مِن النفي كقوله: ﴿لَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فصلت ٤١/٣٤].

قوله: (فكيف) أي: فكيف علمك بالمسيح،[4] أو فكيف يستقرّ أو يليق الاستنكاف بالمسيح. وقوله: (ويدل عليه) أي: على أنّ المعنى "ولا مَن فوقه". والجواب أنّه لمّا ردّ مذهب النصارى أراد أن يردّ مذهب عبَدة الملائكة فقال: ﴿وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، ويقرب هذا مِن قبيل الاستطراد، والظاهر أنّه يردّ مذهب النصارى، وله دلالةٌ ظاهرة على ما ادّعى المصنّف.

قوله: (تخصيص المقربين) وجوابه أنّه خصّ المقربين لأنّهم كانوا يعبدونهم ولا يعبدون غيرهم.

قوله:

(وما مثله)[5] البيت

"جاودتُ الرجل" مِن الجود، كما تقول: "ماجَدتُه"[6] مِن المجد.[7] التجّ البحر، أي: اختلط وارتفع، أي: وما مثله حاتم[8] ممّن يجاوَد. والصواب أن يقال:

---

[1] ن ر: اعتبار.

[2] لم أقف عليه فيما بين يديّ من المظانّ السابقة على الكشّاف.

[3] ن: ولا الملائكة.

[4] ر: المسيح.

[5] ما وقفت عليه فيما بين يديّ من المظانّ.

[6] ن: ما جادته.

[7] ن ر: الجد.

[8] ر - حاتم.

ومَن كان له ذوقٌ فليذُق مع هذه الآية قولَه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة ١٢٠/٢] ....

تقدير البيت: وما مثله[1] ممّن يجاوده حاتم، أي: لا يقدِر[2] حاتم على مجاودة مثل الممدوح.

قوله: (ومَن كان له ذوق) جواب سؤال وهو أن يقال: هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة ١٢٠/٢]، مع أنّه لا يمكن أن يقال: إنّ النصارى أفضل مِن اليهود أو خير منهم لِما ذكر العلماء مِن أنّه لو قال شخص: "النصرانيّة خير مِن المجوسيّة" كفر. فقال المصنّف: الفرق بين الآيتين معلوم بالذوق.

واعلم أنّه قال الإمام الرافعي في **الشرح الكبير**: لو قال: "النصرانيّة خير مِن المجوسيّة" كفر، ولو قال: "المجوسية شرّ مِن النصرانيّة" لا[3] يكفّر.[4] / وقال[5] [٣٢٦و]
الشيخ النووي في **الروضة**: الصواب أنّه لا يُكفّر بقوله: "النصرانيّة خير مِن المجوسيّة" إلّا أن يريد أنّها حقٌّ اليومَ.[6]

ولقائل أن يقول: ما ادّعاه المصنّف مِن الذوق لا يدلّ عليه الذوق ولا غيره؛ بل لمّا عجز المصنّف عن الجواب أحال على الذوق لئلا يجترئ أحد على الإنكار، لئلا يقال له: لا ذوقَ لك. وأمثال ذلك لا يُعتدّ به، وهذا الإيراد رِخوٌ، والفرق كما ادّعى المصنّف ليس الأمر كما ادّعى هذا القائل، فإنّ الذوق شاهد على ما قاله المصنّف شهادة ظاهرة بيّنةً، وإنّما إيراده هذا مِن عدم الذوق والعناد. وقوله: (﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة ١٢٠/٢])، تقديره: لن ترضى عنك[7] مَن هم أقرب مودّةً للذين آمنوا وهم النصارى فكيف باليهود.

---

[1] ن ر - حاتم ممّن يجاود، والصواب أن يقال: تقدير البيت وما مثله.

[2] د ن ر: يقدره.

[3] ن ر: لم.

[4] انظر: **روضة الطالبين** للنووي، ٦٩/١٠.

[5] ن ر: فقال.

[6] ن: القوم. | انظر: **روضة الطالبين** للنووي، ٦٩/١٠.

[7] ن ر - عنك.

حتى يعترف بالفرق البيّن.

وقرأ عليّ رضي الله عنه: "عُبَيْدًا لله" على التصغير.

ورُوِي أن وَفْدَ نجرانَ قالوا لِرسول الله صلى الله عليه وسلم: لِمَ تَعيبُ صاحِبَنا؟ قال: «ومَن صاحبُكم؟» قالوا: عيسى، قال: «وأيُّ شيءٍ أَقُول؟» قالوا: تقول: إنه عبدُ الله ورسوله، قال: «إنه ليس بعارٍ أن يكون عبدًا لله»، قالوا: بلى، فنزلت.

أي: لا يستنكفُ عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه، فلو كان موضعَ استنكافٍ لكان هو أَوْلى بأن يستنكِفَ لأن العارَ أَلْصقُ به.

فإن قلتَ: علامَ عُطف قوله: ﴿وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾؟

قلتُ: لا يخلو: إما أن يُعطف على ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾، أو على اسم ﴿يَكُونَ﴾، أو على المستتر في ﴿عَبْدًا﴾ لِمَا فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة؛ كقولك: مررتُ برجلٍ عَبْدٍ أبوه، فالعطفُ على ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ هو الظاهرُ؛ لأداءِ غيره إلى ما فيه بعضُ انحرافٍ عن الغرض، وهو أن المسيح لا يَأْنَفُ أن يكون هو ولا مَن فوقَه موصوفِين بالعبوديَّة، أو أن يَعْبُدَ الله هو ومَن فوقه.

قوله: (بالفرق) الفرق أنّ الآية التي نحن فيه[1] مَسوقة لبيان فضل عيسى عليه السلام[2] والملائكة، إذ المعنى لا يستنكف عيسى والملائكة فلِمَ تستنكفون[3] أنتم لأجل عيسى عليه السلام؟[4] وأمّا الآية الأخرى فمَسوقة لبيان عِناد اليهود والنصارى فلا يلزم أن يكون حُكم الأولى مطّردًا[5] في الثانية.

قوله: (قال: تقول)[6] وفي بعض النُّسخ "قالوا".[7] هذا باعتبار المعنى وما في المتن باعتبار لفظ "الوفد".

قوله:[8] (منه) أن يكون عبدًا لله.

---

[1] ر: فيها.
[2] د ر – عليه السلام.
[3] ن: تستكفهم.
[4] د ر – عليه السلام.
[5] ر: مضطردًا.
[6] أسباب النزول للواحدي، ص ١٩٠.
[7] ن ر: قال.
[8] ن – قوله.

فإن قلتَ: قد جُعِلتِ الملائكة وهم جماعةٌ عَبْدًا لله في هذا العطف فما وجهُه؟

قلت: فيه وجهان؛ أحدهما أن يراد: ولا كلُّ واحد من الملائكة، أو: ولا الملائكةُ المقرَّبون أن يكونوا عبادًا لله، فحُذف ذلك لدلالة ﴿عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾ عليه إيجازًا، وأمَّا إذا عطفْتَهم على الضمير في ﴿عَبۡدٗا﴾ فقد طَاحَ هذا السؤال.

قرئ: "فسيحشُرُهم" بضمّ الشين وكسرها، وبالنون.

قوله: **(فإن قلتَ: قد جُعلت)** وجهُ السؤال أن يقال:[١] تقدير الآية على ما ذكرتم "لن يستنكف المسيح ولا الملائكة المقرّبون أن يكون عبدًا لله"،[٢] هذا على الوجه **الأوّل** مِن الوجوه المذكورة، وأمّا على **الثاني** فتقديره "لن يستنكف المسيح أن يكون هو ولا الملائكة المقرّبون عبدًا لله"، فيلزم إطلاق المفرد وهو "العبد" على الجمع وهم "الملائكة المقرّبون".[٣] فأجاب بوجهين: **الأوّل** أنّه باعتبار كلّ واحد واحد، أي: لن يستنكف المسيح ولا كلّ واحد مِن الملائكة أن يكون عبدًا لله، **والثاني**: أن في الكلام حذفًا، والتقدير[٤] "لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقرّبون أن يكونوا[٥] عبادًا لله"، هذا على الوجه **الأوّل** مِن وجوه[٦] العطف، وأمّا على **الثاني** منها فكذا يأتي الوجهان: **الأوّل** لن يستنكف المسيح أن يكون هو ولا كلّ واحد مِن الملائكة المقرَّبين أن يكون عبدًا لله، **والثاني** لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبادًا لله. هذا الكلام على الوجهين **الأوّلين** مِن وجوه العطف. أمّا على الوجه **الثالث** منها فالسؤال ساقطٌ؛ لأنّ التقدير أن يكون عبدًا هو ولا الملائكة المقرّبون أن يكونوا،[٧] أي: يعبد هو والملائكة، وهذا لأنّ العبد يدلّ على العبادة، وفعل الجماعة يوحّد[٨] متقدّمًا عليه، فيكون التقدير يعبد هو والملائكة المقرَّبون.

---

١ ر: يقول.

٢ ر + قوله: (فإن قلت: قد جُعلت).

٣ د ر – المقربون.

٤ ر: فالتقدير.

٥ ن: يكون.

٦ ن: الوجوه.

٧ د ن – المقربون أن يكونوا.

٨ ن ر: يوجد.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٧٣﴾

فإن قلتَ: التفصيلُ غيرُ مطابقٍ للمفصَّل؛ لأنه اشتمَل على الفريقين، والمفصَّل على فريقٍ واحد؟

قلتُ: هو مثلُ قولك: جَمع الإمامُ الخوارجَ، فمَن لم يخرج عليه كَسَاهُ وحَمَله، ومَن خرج عليه نكَّلَ به، وصحَّة ذلك لوجهين:

أحدهما: أن يُحذف ذكرُ أحد الفريقين لدلالةِ التفصيل عليه، ولأن ذكرَ أحدهما يدلُّ على ذكرِ الثاني؛ كما حُذف أحدهما في التفصيل في قوله عَقيب هذا: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾ [النساء ١٧٥/٤].

والثاني: وهو أن الإحسان إلى غيرهم مما يَغُمُّهم، ....

قوله: (**التفصيل غيرُ مطابق**)... إلخ، أقول يحتمل أن يقال في الجواب: الضمير مِن قوله: ﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ﴾ يعود إلى جميع الناس مِن المستنكفين وغيرهم؛ لأنّ المستنكِف يدلّ على غير المستنكِف، فكأنّه قيل والله أعلم: ومَن يستنكف فسيحشره الله تعالى وغيرَه ويجزي كلًّا بعمله. والحمد لله على التوفيق / والإلهام. [٣٢٦ظ]

قوله: (**وحَمَله**) أعطاه الحُمولة.

قوله: (**أن يُحذَف**)[1] في المفصّل.

قوله: (**عليه**) فيكون المجموع كأنّه تفصيل واحد.

قوله: (**أحدهما**) في المفصّل.

قوله: (﴿**وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ**﴾) ﴿فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ﴾ [النساء ١٧٥/٤] ولم يذكر جزاء الكافر غير المعتصم لأنّ الأشياء تتبيّن بضدّها.[2]

قوله: (**والثاني**) حاصل الوجه الثاني[3] أنّ قوله: ﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾ إشارة

---

[1] ر: يحدث.
[2] في هامش د: بأضدادها. خ [اختصارًا من "نسخة"].
[3] ن ر – الثاني.

فكان داخلًا في جملة التنكيل بهم، فكأنه قيل: ومَن يستنكف عن عبادته ويستكبِرْ فسيُعذَّب بالحَسْرة إذا رأى أُجورَ العاملين، وبما يُصيبه من عذاب الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾

"البرهانُ والنُّور المبين": القرآن، أو أرادَ بالبرهان: دينَ الحقِّ، أو رسولَ الله، وبالنورِ المبين: ما يبيِّنُه ويُصدِّقه من الكتاب المعجِز.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾

﴿فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ﴾: في ثواب مستحَقٍّ وتفضُّلٍ.

﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ﴾: إلى عبادته ﴿صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ وهو طريق الإسلام، والمعنى: توفيقُهم وتثبيتُهم.

إلى الوعيد بنوعي العذاب وتفصيله هو قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ﴾، فيكون المفصَّل مشتملًا على الفريقين كالتفصيل، أو نقول: التفصيل أيضًا نوع واحد.

قوله: **(فكان)** أي: الإحسان إلى غيرهم.

قوله: **(في ثواب مستحَقٍّ)** أشار به إلى أنّ الثواب كالأمر الواجب الذي يستحقّ العبد بعبادته، وأنّ الفضل هو التفضُّل مِن الله تعالى عبده تبعًا للثواب الذي هو جزاء العمل، هذا مذهبه، وأمّا عند أهل السنّة فالجميع رحمة منه وفضل ليس شيء منه واجبًا.[1]

قوله: **(﴿صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾)** يجوز أن يكون بدلًا مِن الضمير في ﴿إِلَيۡهِ﴾، فإنّه يقال: هداه الطريق وهداه إلى الطريق، فالضمير منصوب المحلّ وهذا بدل منه. ويجوز أن يكون ﴿صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ مفعولًا ثانيًا، فقوله: ﴿إِلَيۡهِ﴾ مِن صلته، أي: صراطًا مستقيمًا إلى الله.

---

١ انظر: **الإرشاد** للجويني، ص ٣٨١-٣٨٣.

﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾

روي أنّه آخِرُ ما نَزَل من الأحكام، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكّة عامَ حَجَّةِ الوداع، فأتاه جابر بن عبد الله فقال: إن لي أُختًا فكم آخُذُ من مالها إن ماتت؟

وقيل: كان مريضًا، فعاده رسول الله فقال: إني كلالةٌ فكيف أَصنع في مالي؟ فنزلت: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾.

ارتفع ﴿ٱمۡرُؤٌاْ﴾ بمضمَرٍ يفسِّره الظاهر.

ومحلُّ ﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ الرفعُ على الصفة لا النصبُ على الحال؛ أي: إن هلك امرؤٌ غيرُ ذي ولدٍ، والمرادُ بالولد: الابنُ، وهو اسم مشترَك يجوز إيقاعُه على الذَّكَر وعلى الأنثى؛ لأنّ الابن يُسقط الأختَ ولا تُسقطها البنتُ

قوله: (**حِجّة الوداع**)[1] الحِجّة: المرّة الواحدة، وهو شاذّ، والقياسُ الفتح مِن **الصحاح**.[2] وقال في **المُغرِب**: «الحِجّة بالكسر: المرّة، والقياس الفتح،[3] إلّا أنّه لم يسمع مِن العرب على ما حكاه ثعلب، ويدلّ عليه "ذو الحِجّة"».[4]

قوله: (**على الحال**) لأنّ ذا الحال نكرة غير موصوفة، لأنّ ﴿هَلَكَ﴾[5] مفسِّر للفعل المحذوف لا صفة.

قوله: (**المراد بالولد الابن**) فيه نظرٌ، والأَولى أن يُجرى الولد على عمومه ليشمل الابن والبنت، وقول المصنّف في تعليل ذلك (**لأنّ الابن يُسقِط**) ليس بسديد؛[6]

---

١ انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ١١/١٠١ (النساء، ٤/١٧٦).

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حجج».

٣ ن ر – الحِجة بالكسر المرة والقياس الفتح إلا أنّه لم يسمع مِن العرب.

٤ **المغرب** للمطرّزي، «حجج».

٥ ن – ذو الحجة قوله: (على الحال) لأنّ ذا الحال نكرة غير موصوفة، لأنّ ﴿هَلَكَ﴾.

٦ ر: بشديد.

إلّا في مذهب ابن عبّاس، وبالأخت: التي هي لِأَبٍ وأمٍّ أو لأبٍ، دون التي لأمٍّ؛ لأن الله تعالى فرَض لها النصفَ وجعَل أخاها عصَبةً، وقال: ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء ١٧٦/٤]، وأما الأختُ للأم فلها السُّدسُ في آية المواريثِ مسوًّى بينها وبين أخيها.

لأنّه لم يجعل في القرآن في هذا الموضع عدم الولد شرطًا لإرثها؛ بل شرطًا لكونها ذات نصف، فتدبّر. وكذا في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ فإنّ المعنى "الأخ يرِث مال الأخت إن لم يكن للأخت ولد"، ولا شبهة في أنّ هذا الحكم مشروط بألّا يكون لها ولد لا ابن ولا بنت، ويوضح ما قلنا قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ فإنّ الثلثين إنّما يكونان للأختين[١] بشرط عدم الولد لا بشرط عدم الابن فقط. والحاصل أنّه تعالى فرض للأخت النصف عند عدم الولد، وهو مطَّرد لا إشكال في منطوقه، وأمّا إذا انتفى هذا القيد وهو عدم الولد فالحكم أيضًا ظاهر، لأنّه إن كان له ابن أو ابن وبنت[٢] فليس للأخت[٣] شيء، وإن كان له بنتان فليس للأخت النصف، وكذا إن كان له بنت، لأن الأخت حينئذٍ ترِث بالعصوبة لا لخصوصيّة كون النصيب نصفًا، فتأمّل، فإنّها ترِث تارة نصفًا وتارة رُبعًا وتارة[٤] ثلثًا وتارة نصفَ سُدس بحسب الصور، كما إذا انحصرت الورثة في البنت والأخت أو في البنت والزوج والأخت أو في البنت والأمّ والأخت أو في البنت والأخت[٥] والأمّ[٦] والزوج، جميع ذلك بالعصوبة، لا أنّ هذه الأنصباء فرض مقدَّر لها.[٧]

قوله: / (مشترَك) أي: معنويّ. [٣٢٧و]

قوله: (في مذهب ابن عبّاس)[٨] لعموم الولد. وقوله: (فرض لها) أي: للأخت المذكورة هنا.

---

١ ن ر: الأختين.
٢ ر: أو بنت.
٣ ر: الأخت.
٤ ر - رُبعًا وتارة.
٥ ن ر: والأم.
٦ ن ر: والأخت.
٧ ر: له.
٨ انظر مذهبه في المصنَّف لعبد الرزاق، ٢٥٤/١٠ (١٩٠٢٣).

﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾: وأخوها يرثُها إن قُدِّر الأمر على العكس؛ من موتها وبقائه بعدَها.

﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾؛ أي: ابنٌ؛ لأن الابن يُسقِط الأخَ دون البنت.

فإن قلتَ: الابنُ لا يُسقط الأخ وحدَه فإنَّ الأب نظيرُه في الإسقاط، فلِمَ اقتُصر على نفي الولد؟

قلتُ: بيّنَ حكمَ انتفاءِ الولد ووُكِل حكمُ انتفاء الوالد ....

قوله: (﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾) ﴿هُوَ﴾ ضمير ﴿ٱمْرُؤٌا﴾ وهو الأخ. وقوله: (مِن موتها) بيان العكس.

قوله: (أي: ابنٌ) فيه نظرٌ ذكرناه.

قوله: (الأخ) ولا الأخت أيضًا، فالسؤال وارد هناك أيضًا، لكنّه اكتفى بهذا السؤال عنه.

قوله: (وحدَه) حال مِن الضمير في (يُسقِط) فيصير المعنى "لا يُسقط الابن منفردًا"، والمراد بانفراده ألّا يكون معه الأب فهذا السؤال على ظاهره غير صحيح؛ لأنّ الابن يُسقط بانفراده الأخ، وغاية الأمر أنّ الأب أيضًا يُسقِط الأخ منفردًا، وهذا لا ينافي أنّ الابن يُسقط منفردًا الأخ، فالوجه أن نقول: المعنى لا يُسقِط الابن منفردًا بهذا الحكم، أي: بإسقاط الأخ؛ بل الأب يشاركه في هذا الحكم ويدل على أنّ المعنى هذا قوله: (فإنّ الأب)... إلخ.

قوله: (فلِمَ اقتُصر؟) أي: إذا كان الابن مسقِطًا للأخ[١] والأب أيضًا مسقِطًا للأخ فلا شكّ في اشتراط انتفاء الابن والأب[٢] في إرث الأخ، فلِمَ اقتُصر على نفي الابن ولم يذكر نفي الأب؟ وقوله في الجواب: (بيّن حكم انتفاء الولد) مشكِل لأنّ الحكم المذكور ههنا وهو إرث الأخ ليس حكم انتفاء الولد، فإنّ انتفاء الولد،[٣] أي: الابن لا يقتضي ذلك؛ بل هو حكم انتفاء الابن والأب معًا، فكان الصواب أن يقول: بيّن اشتراط انتفاء الولد ووُكِل اشتراط انتفاء

---

١ ر: الأخ.

٢ ن ر - أيضًا مسقطًا للأخ فلا شكّ في اشتراط انتفاء الابن والأب.

٣ ن ر - فإنّ انتفاء الولد.

إلى بيانِ السنَّة، وهو قولُه عليه السلام: «أَلْحِقوا الفرائضَ بأهلها، فما بقيَ فلأَوْلَى عَصَبةٍ ذكرٍ»، والأبُ أولى من الأخ، وليسا بأوّل حُكْمين بيِّن أحدُهما بالكتاب والآخر بالسنَّة.

ويجوز أن يُدلَّ بحُكم انتِفاءِ الولد على حُكم انتفاء الوالد؛ لأنّ الولد أقرب إلى الميّت من الوالد، فإذا ورث الأخُ عند انتفاء الأقربِ فأَوْلى أن يرثَ عند انتفاءِ الأبعد؛ ....

الوالد[1] إلى السنّة. ويمكن أن يقال: معنى كلامه: بُيّن الحكم الذي هو انتفاء الولد ووُكِل الحكم الذي هو انتفاء الوالد، فهو من إضافة العامّ إلى الخاصّ، وليس المراد مِن الحكم الحكم الشرعيّ، بل العقليّ. أو نقول الشرط والمانع[2] والسبب قد يُسمّى حكمًا، ولمّا كان هذا سبب أو شرط الإرث سمّاه حكمًا.

قوله: **(وهو قوله)** "هو" عائد إلى **(السنّة)**، والتذكير لأنّه في معنى الحديث أو باعتبار قوله.

قوله:[3] **(ذكر)**[4] تمّ الحديث ههنا.[5] وقوله:[6] **(والأب أَولى مِن الأخ)** كلام المصنّف، وهي جملة معترضة. وقوله: **(وليسا)** عطف على قوله: "بُيِّن" أو معترضة.

قوله: **(ويجوز أن يدلّ)** هذا الكلام غير سديد؛ بل هو سهوٌ مِن المصنّف؛ لأنّ الغرض بيان أنّ اشتراط انتفاء الولد يدلّ على اشتراط انتفاء الوالد،[7] وهذا لا يُفيده؛[8] بل هو عكس المراد، وفساده لا يخفى على المتأمّل، وإن كان مراده أنّه يرث عند انتفاء هذا فيرث[9] عند انتفاء ذلك ففساده أظهر؛ لأنّه لا يرث عند انتفاء هذا فقط ولا عند انتفاء ذاك فقط؛ بل لا بدّ مِن انتفائهما ليرث. والصواب أن يحذف مِن الجواب الثاني قوله: **(لأنّ الولد)** إلى قوله: **(الأبعد)** ويتّصل به قوله:

---

١ ن ر – ووُكل اشتراط انتفاء الوالد.
٢ ن: المانع.
٣ ر – قوله.
٤ صحيح البخاري، ١٥١/٨ (٦٧٣٥)؛ صحيح مسلم، ١٢٣٣/٣ (١٦١٥).
٥ ن ر: هنا.
٦ ر: قوله.
٧ ن: الولد؛ ر– يدلّ على اشتراط انتفاء الوالد.
٨ ن ر: يفيد.
٩ ن ر: فقط ولا.

ولأنّ الكلالة تتناولُ انتفاءَ الوالد والولد جميعًا، فكان ذكرُ انتفاءِ أحدهما دالًّا على انتفاءِ الآخر.

فإن قلتَ: إلى مَن يرجعُ ضميرُ التثنيةِ والجمعِ في قوله: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً﴾؟

قلتُ: أصله: فإن كان مَن يرث بالأخوَّة اثنتين وإن كان مَن يرث بالأخوَّة ذكورًا وإناثًا، وإنما قيل: ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ ﴿وَإِن كَانُوٓاْ﴾ كما قيل: «مَن كانت أمُّك؟» فكما أُنِثَ ضميرُ «مَن» لمكانِ تأنيثِ الخبر، كذلك ثُنِّي وجُمع ضميرُ مَن يرث في ﴿كَانَتَا﴾ و﴿كَانُوٓاْ﴾ لمكان تثنية الخبر وجمعه.

والمرادُ بالإخوة: الإخوة والأخوات؛ تغليبًا لحكم الذكورة.

﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ مفعولٌ له، ومعناه: كراهةَ أن تَضلُّوا.

(**ولأنّ**[1] **الكلالة**) فيصير هكذا على حكم انتفاء الوالد لأنّ الكلالة.

قوله: (**أقرب**) أي: أقوى عصوبة.

قوله: "ولأنّ الكلالة" عطف على (**لأنّ**)، يعني: أراد ليس له ولد ولا والد واكتفى بذِكر أحدهما عن الآخر ودلّ / على المحذوف أنّ الفتيا في الكلالة، والكلالة: مَن ليس له ولد ولا والد، فإن كان له[2] أحدهما لم يُسمَ كلالة. [٣٢٧ظ]

قوله: (**تغليبًا**) مفعول له، لأنّ قوله: (**والمراد**) في معنى قولك: "أراد بالإخوة"[3] فيكون فعلًا لفاعل الفعل المعلَّل، فحذف اللام. ويجوز أن يكون مفعولًا مطلقًا، أي: غُلِّب حكم الذكورة تغليبًا.

قوله: (**﴿أَن تَضِلُّواْ﴾**) قال الفرّاء والكسائي: "لئلا تضلّوا" فحُذف "لا" لدلالة الشأن عليه،[4] ومعناه "لئلا تُخطئوا ولا تميلوا عن الطريق"، ومحلّ ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ مجرور، كأنّه قال: "لانتفاء ضلالكم"، قال البصريون: إنّ حذف "لا" غير جائز،

---

١ ر: لأن.
٢ ن: قوله.
٣ ن ر: بالأخرة.
٤ انظر: **معاني القرآن** للفرّاء، ١/٢٩٧.

عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورة النساء فكأنّما تصدَّق على كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ وَرِثَ ميراثًا، وأُعطي من الأجر كمَن اشترى مُحرَّرًا، وبَرِئَ من الشرك، وكان في مَشِيَّةِ الله مِن الذين يتجاوَزُ عنهم».

وإنّما هو على حذف المضاف، أي: كراهة أن تضلُّوا،[1] ومحلّه منصوب على أنّه مفعول له، كما قال جار الله.

قوله: **(ورِث ميراثًا)** صفة **(كلّ)**.

قوله: **(وكان)**[2] حال مِن الضمير المستتر في قوله: **(مِن الذين)**.[3] والله أعلم.

---

١ انظر: **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ١٣٦/٢.

٢ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٩/١٠ (النساء، ١/٤)؛ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٢ (النساء، ١٧٦/٤). وهو جزء من حديث أُبيّ بن كعب في فضائل السور. انظر: **الموضوعات** لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٣ د - قوله: (وكان) حال مِن الضمير المستتر في قوله: (مِن الذين).

Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları
Yayın No. 1436
İSAM Yayınları 267
Klasik Eserler Dizisi 62

TETİMMETÜ'L-KEŞŞÂF (HÂŞİYETÜ'L-ÇÂRPERDÎ ale'l-KEŞŞÂF)
Fahreddin el-Çârperdî

Cilt 3

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî

Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)
TDV İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM)
Tahkik/Tenkitli Neşir Birimi ilmî kontrolünde hazırlanmıştır.
İcadiye-Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
Tel. 0216. 474 08 50
www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

Editör Okan Kadir Yılmaz
İlmî kontrol Mehmet Taha Boyalık, Abdurrahman Rıdvan Haraş
İnceleme kısmı son okuma Sait Kayacı (Arapça), Mustafa Demiray (Türkçe)
Tashih (Arapça) Abdulnasır Hakimi (İmla, İndeks ve Bibliyografya), Nour Alhila (İmla)
Ali Haydar Ulusoy (İmla ve İndeks), Azat Sarsanbaev (İmla)
(Türkçe) İsa Kayaalp (İmla), İsmail Özbilgin (Bibliyografya)
Tasarım Ali Haydar Ulusoy, İbrahim Dervişmüezzin (Uygulama),
Hasan Hüseyin Can (Kapak), Ramzi Haj Mustafa (Kapak Hattı)

Bu eser
TDV İslam Araştırmaları Merkezi'nin (İSAM)
İkinci Klasik Dönem Projesi
kapsamında yayımlanmıştır.

Bu kitap
İSAM Yönetim Kurulu'nun
27/12/2024 tarihli ve 2024/11 sayılı kararıyla basılmıştır.

Birinci Basım: İstanbul, Aralık 2024 m. / 1446 h.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.)
978-625-428-636-0 (3. Cilt)

Basım Yayın ve Dağıtım
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No. 11
Yenimahalle/Ankara
Tel. 0312. 354 91 31 Faks. 0312. 354 91 32
bilgi@tdv.com.tr
Sertifika No. 48058

Fahreddin el-Çârperdî
Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf) [(تتمة الكشاف (حاشية الجاربردي على الكشاف]
/ Fahreddin el-Çârperdî ; tahkik Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî. İstanbul ; Ankara : İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM) ; Türkiye Diyanet Vakfı, 2024.
3. c. (720 s.) ; 24 cm. – (Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları ; 1436. İSAM Yayınları ; 267. Klasik Eserler Dizisi ; 62)

Dizin ve kaynakça var.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.) 978-625-428-636-0 (3. Cilt)

İSAM
TÜRKİYE DİYANET VAKFI
İSLAM ARAŞTIRMALARI MERKEZİ
مركز البحوث الإسلامية

Tetimmetü'l-Keşşâf

(Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)

Fahreddin el-Çârperdî
(ö. 746 h. / 1346 m.)

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş
Muhammed İmâd el-Nabulsî

Proje Yürütme
Mehmet Taha Boyalık

Üçüncü Cilt

TÜRKİYE DİYANET VAKFI YAYINLARI